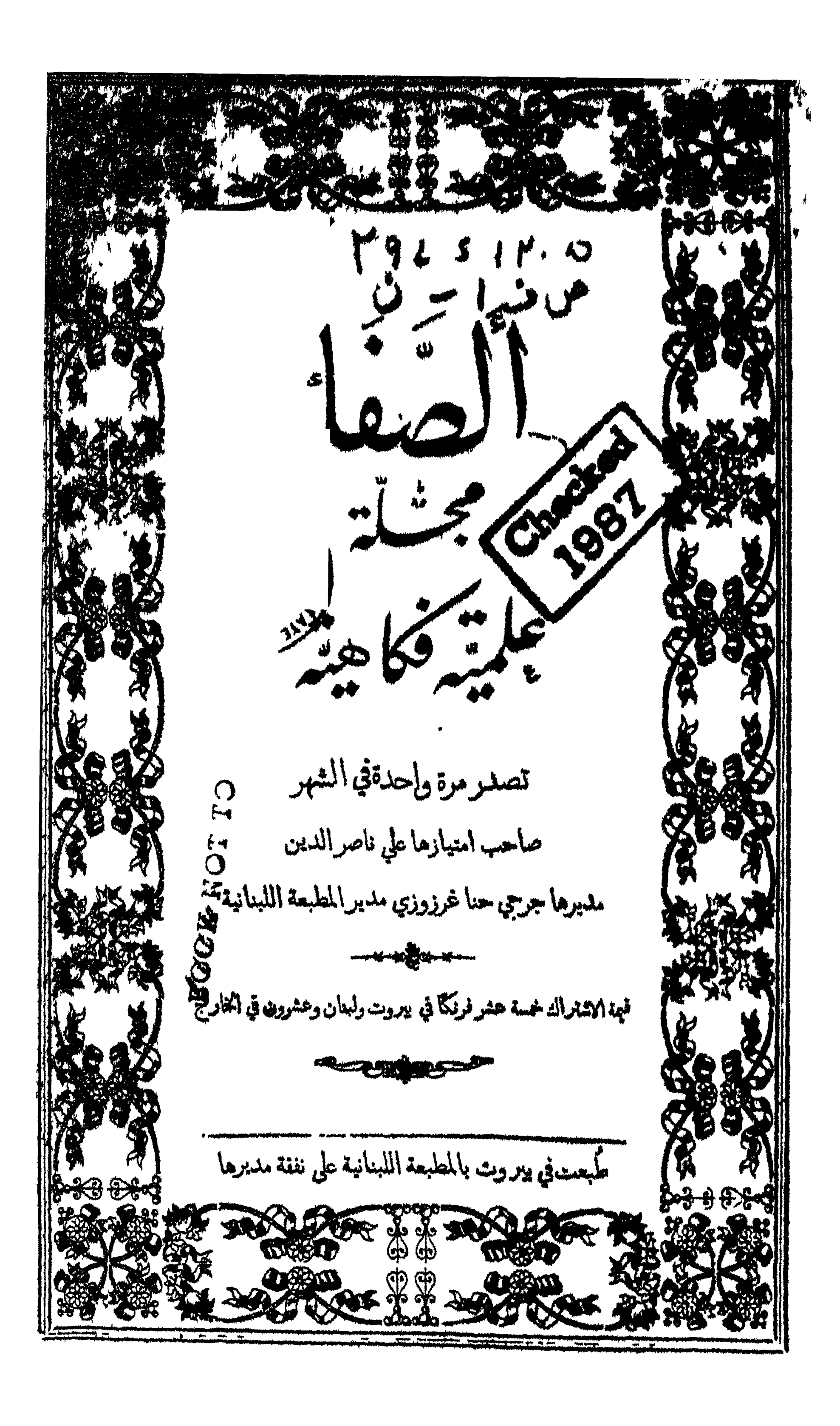


الصفاء

مجلّة علميّة فكاهيّة

تصدر مرة واحدة في الشهر

صاحب امتيازها علي ناصر الدين

مديرها جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

قيمة الاشتراك خمسة عشر فرنكًا في بيروت ولبنان وعشرون في الخارج

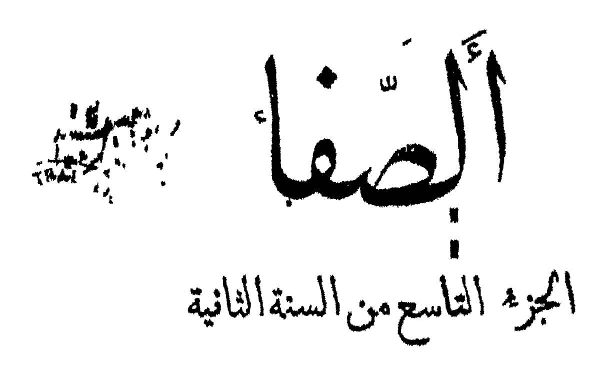
طُبعت في بيروت بالمطبعة اللبنانية على نفقة مديرها

اعلان

المرجو من حضرة مشتركي الصفاء في بيروت ولبنان ان يدفعوا لهذه الادارة او لحضرة وكلائها الكرام ما عليهم من قيم الاشتراك في هذه السنة وان لا يعتمدوا عند الدفع الا على الوصولات المطبوعة وعليها اسم ادارة الصفاء والممضاة باسم وخط مدير المجلة المذكورة كاتبه

جرجي حنا

غرزوزي



الجزء التاسع من السنة الثانية

في ١ و١٣ تشرين الثاني ١٨٨٧ الموافق ٢٨ صفر ١٣٠٤

العلة الاولى

الاعتقاد بالعلية والمعلولية هو من المبادئ الاولية التي يجري عليها العقل في افعالهِ واحوالهِ . وبيانهُ ان الانسان العاقل لا يرى شيئًا من الموجودات الاَّ ويفكر بان وجود ذلك الشيء متوقف على وجود شيء اخر هو علة لهُ مؤثرة فيهِ كافئة لايجاده . والعلم بذلك ضروريٌّ فطريٌّ القياس لا يحتاج في ادراكهِ الى رويَّةٍ والاختبار الشخصي اكبر شاهد لاثبات ذلك . واما ما يزعمهُ بعض المتعمقين من ان الانسان انما قال بذلك بعد النظر الدقيق والاختبار الطويل وهو لو صح قولهم لكان عليهم لا لهم فلضيق المقام نجتزئ بالالماع الى فسادهِ وبطلانهِ في عرض الكلام

كيف لا وعلى هذا الناموس تتوقف جميع اعمال الحياة باسرها وهو يجري فيها مجرى الروح بالبدن ولولاه لما تم اختراع ولا ارتقى امرؤ درجة في سلم التقدم . فكل امرء سواء كان مخترعًا ام عاملاً في الارض ينظر في حاجتهِ فاذا وجدها في حيز الامكان يتذرع اليها بما يراه سببًا وعلةً لها واذا تعذَّر عليهِ البلوغ الى مبتغاه او قصَّر في القيام بواجباتهِ تطلب لذلك عذرًا . واذا وافى صديقًا فأخبره بعاتبة قائلاً لِمَ لم تتم العهد وماذا اعاقك عنهُ وهو انما يطلب لهُ في ذلك سببًا وعلةً . واذا طرأ عليهِ طارئ ولم يعلم لهُ سببًا أخذهُ العجب . ذلك كلهُ جريًا على

المبدأ الاولي في ان الكائنات باسرها انما بعثها الى الوجود بواعث هي علل لها وهذا الاعتقاد من بديهيات الفطرة يذهب اليهِ العقل قبل التفكير والاستدلال بل هو سند حق تستند احكام الاستدلال اليهِ ونتوقف في صحتها عليهِ ومبدأ من الاوليات التي هي اساس اليقينيات وركنها واليها يرجع العقل في جميع احكامهِ ونواميسهِ

وهذه الاوليات التي من جملتها العلية والمعلولية ثابتة راسخة يعوّل على صحتها واذا تزعزعت سقطت المدارك البشرية جملةً لانها مقرنة ومبنية عليها ابتناء البيت على اركانهِ وقواعدهِ ولا ينكر رسوخها وصدقها سوى الذين استحوذ عليهم الضلال وتورطوا في الغرور. ومثلهم في ذلك مثل حاطب تسلق شجرة وهمّ بقطع فرع منها فعمد الى الفرع الذي هو جالس عليهِ وطفق يعالجهُ بفاسهِ حتى قطعهُ فسقطا معًا لانهم في جماعتهم اما ان يسلموا بمبدإٍ بسيط من مثل هذه المبادئ الاولية التي عليها قيام المعرفة او لا. فاذا سلّموا كانت الغاية وان انكروا أُرتجت دونهم ابواب التوصل الى شيء من اليقينيات التي من جملتها القضية التي يتوهمون اثباتها

وزد على ذلك انهُ لكلٍ من هذه المدارك والاحكام الاولية شيءٌ في الخارج يطابقهُ. وبين عالم المعقولات وعالم المحسوسات علائق محكمة العرى اي انهُ لكل واحدٍ من مداركنا الباطنة حقيقة في الخارج تطابقهُ. وذلك ثابت بتصديق العقل لما يصل اليهِ من عالم المحسوسات على طريق الحواس الخمس ومهما كان اصل هذه المطابقة فانها تؤيد مبادئ العقل الاولية وتثبتها اثباتًا لا تقوى عليها بعده ترّهات الحكماء بريب. ومن هذه المبادئ الاولية قولنا «لكل معلول علة»

والعلة على ما هو متعارف ومشهور بين الجمهور يدخل في مفهومها القوة. فاذا تبين لنا بعد الامتحان والتدقيق ان ليس لامرٍ سابق قوة لانتاج التالي لهُ فلا نسمي ذلك السابق علة. والعلة هي سابق او جملة من السوابق متقدم على تالٍ معين لهُ قوة لانتاج ذلك التالي بحيث ان وجود التالي المعلول يتوقف على وجود القوة في العلة. ويتفرع عن ذلك

اولاً. ان كل ما يوجد في المعلول يوجد ايضًا في العلة اما بالفعل واما بالقوة وان لم يكن في العلة شيء من خصوصيات المعلول فاما ان يكون المعلول واجب الوجود وهو محال او يقتضي لوجوده علة اخرى موءثرة فيهِ غير الاولى

ثانيًا. يمكن ان تكون علة هذا الشيء معلولاً لعلةٍ سابقة وهذه هي ايضًا معلولاً لعلة اخرى وهلم جرًّا الى ان تنتهي الى علة هي الاولى

ثالثًا. ان الفلاسفة ورجال العلم يعدون بعض امور عللاً ولكنها عند التحقيق لا تكون

في شيء من ذلك وانما هي شروط لوجود ذلك الشيء فالمكان مثلاً هو شرط في وجود الاجسام الهيولية ولكنه لا يعتبر علة واعلة في وجودها . وقس عليه ما يسميه الدراونة بيئة الشيء اي احواله وظروفه المحيطة به فهي قد تكون شرطاً في وجود ذلك الشيء على هيئة خصوصية ولكن لا يسوغ ان تسمى علة فاعلة في وجوده . وتحقيق الامر ان الشروط الواجبة قد تكون حدوداً لافعال العلل فتغير كيفية تاثيرها في المعلولات على هذه الكيفية او تلك ولكنه لا يتصور فيها القوة فليس من الصواب ان نعتبر عللاً

رابعاً . لا يكون الناموس علة واما ما جرت عليه عادة الناس وجمهور العلماء في اطلاقه على القوة من مثل قولهم الانسان ضعيف لا يقوى على مقاومة النواميس العظيمة فذلك من باب التوسع لان النواميس خلو من كل قوة ومظاهر الوجود وكوائنه انما تصدر عن قوات الطبيعة التي هي وراء النواميس والشرائع . وقس عليه قول الحكام والقضاة «الشريعة تاخذه بجريرته وتعاقبه أردع العقوبة» والشريعة انما هي الطريقة التي يجرى الناس عليها فلا نتصور فيها القوة أصلاً

واذا تقرر ما قدمناه من بيان مبداء العلية والمعلولية نقول ان الكائنات باسرها على تفاوت احوالها واختلاف مظاهرها لم يبينا شيء منها من ذاته بل كلٌ منها يفتقر في وجوده الى علة توجده ترقيه لايجاده وذلك بديهي وقطري القياس على ما مرَّ في ما سلف ونحن بعد التنقيب والبحث عن تلك العلة او العلل المتعددة تجدها معلولة لعلة اخرى وهذه ايضاً معلولة لعلة اخرى على التسلسل على ان عقولنا بحسب فطرتها وطبيعتها لا يمكن ان نسلم في ان المحدود والمتناهي يتسلسل الى غير نهاية فلا بد اذاً من وجود علة غير معلومة تكون علةً لجملة تلك المعلولات وهي العلة الاولى وعللها وبها تُعلل جميع مظاهر الوجود وكوائنه

ومهما نبعد عهد تلك العلة الاولى عن الكائنات او تركيبت العلل المتوسطة بينها لا يخل ذلك بالبرهان وعقولنا لا بد من ان تنتهي في تسلسل تلك العلل ومعلولاتها عند علةٍ نعتبر بدءاً لها ولا تكون معلولة اصلاً وهي العلة الاولى

وقد يتعنت بعض المتمرسين في المسألة فيسأل عن اصل هذه العلة الاولى وعن كيفية حصولها في الوجود وهو لا يدري انه لو تصورنا العلة الاولى معلولة لبطلت ان تكون الاولى وعندها يلزم ان تعلل علتها وعلة هذه ايضاً وهكذا على التتابع الى ان ننتهي الى العلة الاولى الغير المعلولة او نرجع الى التسلسل الغير المتناهي الذي يناقض مبادئ العقل وفطرته

(جرجس همام)

قوة العادة

العادة لا يكاد يكون في الامكان استجلاء قوتها وتاثيرها فينا استجلاء وفيًّا من دون ان يعزى الينا شيء من الغلوّ والمبالغة . ولكن ما كان ذلك ليلزمنا الصمت والسكوت عن سحرها وافتتانها الالباب وحلولها سواد القلوب . فهي اذا ولجت حدائق العوائد الجسدية اشربتها حبها واذا تمكنت من جواد العقل قبضت على عنانهِ واذا جلست في منتدى الادب جلست في صدره . فطالت واستطالت على الهيئة الاجتماعية تناوئ الطبيعة وتنازعها في السيادة عليها حتى قيل « العادة طبيعة خامسة » ولا مغالاة في ذلك . والا فلمَ يتعسَّر علينا تحويل عوائد الزنوج وتبديل اخلاق الهنود . ولماذا يوصف العربي باكرام الضيف والدمشقي باللطف والمصري بسرعة الخاطر أليسوا جميعهم أنسال سلالة واحدة . فأنّى لهم هذا الاختصاص ولماذا يمتاز بعضهم عن بعض في الصفات والخلال ذلك لأن « لكل امرئ من دهره ما تعوَّدا » فعادة العربي اكرام الضيف تربى فيها ونشأ عليها والدمشقي شبَّ على اللطف والدعة والمصري على سرعة الخاطر فبملابسة هذه الشؤون ومزاولتهم لها المرة بعد المرة رسخت اتم الرسوخ فيهم وقس على هذه سائر الخصال حميدة كانت ام ذميمة . واذا لم تكن العادة طبيعة خامسة لماذا لا تنجع الوسائل التي يتذرَّع بها لاستصلاح اللص المعروف بالازعر والكذّاب المعروف بالكذب . فليست طبائعهم تختلف في الاصل عن طبائع الآخرين لو لم يكونوا تلطخوا بما يتصفون بهِ بالمعاشرة والاقتداء بمن خادنوهم من أخدان السوء . شتان ما بينهم وبين الأُلى يتبجحون في رياض التربية ويرتشفون من صافي معينها اصول الاداب ويقتدون بشمائل عشرائهم الكرام

واذا استزدتني ايضاحًا واثباتًا قلت المثل السائر « العادة في البدن لا يغيرها الا الكفن » اكبر شاهد على قوة العادة وشدة تاثيرها . الا ترى ان الجندي انهُ اذا خرج من الجندية تبقى عليهِ اثارها جلية واضحة فاذا مشى مشى بعزمٍ وبترتيب واذا فعل فعل بسرعة وبخفة وما نعودهُ ايام كان جنديًّا من سرعة الانقياد وخفة النهضة يجعل لهُ مزية على من سواه في الاعمال والمصالح

ومما يدخل تحت احكام العادة ويخضع لتاثيرها رقة اللهجة وغلظتها في التكلم والاسراع والترسل في القراءة فهي تكون في الانسان بحسب ما ألف عليهِ واستعادهُ . ومن المعلوم ان سكان كل قطر وناحية لهم لهجة تختص بهم فاذا انتقل انسان من قطر الى اخر او من ناحية في

ذلك الى اخرى وأقام فيها برهة استرق لهجتهم وصار يحكي مثلهم وقس عليه القارىء فانه يا قل عناء يمكنا ان تغير قراءتنا من كيفية الى اخرى بالممارسة والتكرار

العادة وما اشد رسوخها فينا واستيلائها علينا - حقاً اني اراني مقصراً وجواد كلامي يكبو عن ان ياتي على منتهى وصفها : غير اني اريدكم شاهداً واحداً يدل على شديد قوتها وعظيم تاثيرها ومباراتها الدين في السيادة علينا حتى لا يكاد يجاريها نفوذاً (استغفر الله . استغفر الله) كيف لا وهي التي استوت على منصة الناضوية بالامر النافذ والحكم الفاصل أوليست هي التي يرجع اليها الفقهاء وشيوخهم ويتخذونها حكماً في الامور التي لم يرد عليها نص الشرع فيقولون «العادة محكمة» فاذا وجد المشتري في الحنطة والشعير والثمار تراباً فان كان ذلك لا يُستكثر في العادة صح البيع والا كان المشتري مخيراً : البيض والجوز وما شاكلها اذا ظهر بعضها فاسداً فما لا يستكثر في العادة والعرف كالثلاثة في المئة يكون معفواً وان كان الفاسد كثيراً كالعشرة كان للمشتري ردّ جميعه للبائع ومثله تحديد يوم العمل للاجير ومقدار حمل الدابة المستاجرة

وليس تاثيرها في العقل اضعف منه في الجسد وذلك يُعتبر في اهل الدرس الذين يحبون العزلة ويحيون الليالي ويعتادون في سائر انظارهم الامور الذهنية والانظار الفكرية فيمتازون لاول وهلة ولا سيما في المحادثات عن التجار الذين يقتصرون في انظارهم على ما في الخارج وعلى ما يحدثه وينبعث من الاحوال فاذا عرض لك ان حادثت احداً منهم عرفت مع اي الفئتين انت تحدث اذلا التباس ولا اشتباه بينهما . فمن اين حصل هذا الفرق الشاسع وتركيب عقولهما واحد في الاصل سوى من قبل العادة . لله درها ما اعلاها بالنهى

ومثل ذلك فعلها في العواطف الدينية والاداب . فالمحامد والمحاسن كعذوبة اللسان ولين العريكة وصدق المقال ومحبة السلامة وحفظ الذمام مثل الملاوم والمعايب كالخنى والوقاحة والكذب واللجاج والغدر كلها تتقوى بقوة العادة وتتمكن بالممارسة والتكرار : فاذا كانت هذه قوة العادة وهذا فعلها فمن يقدر ان يجحد اهمية التهذيب والتربية الحسنة على صغر

الولد الخصيم يجنح الى المنازعة والمشاجرة ويتقوى ميله بالتمرين ويضعف بعدمه . فاذا دخل مدرسة تراه في الاسبوع الاول يلكز هذا ويلطم ذلك ويدفع رفقاءهُ التلامذة لليمين وللشمال وهو في ذلك لا يعود اليوم ضربة من احد لي بما له القصاص من بعد الانذار والارشاد وحين لا يجد منتدحاً للخصام بما لك نفسهُ ويكبح امياله ويقوة المعاشرة وفعل الارشاد لا يمر به حين من الزمان حتى تضعف فيه امياله الطامحة الى المشاجرة ويلزم السكينة والهدوّ

ادخل الكنائس وابحث عن الجمعيات وانظر الى قوة العادة في التصدق والاكتتاب فيهما فتاثيرها هناك جليٌّ بينٌ. كثيرون في عصرنا الحاضر ومن الموسرين كذلك لا يتصدقون في الكنيسة الا بشيء قليل من الكثير الذين رزقهم الله وما ذلك الا لانهم قد نشأوا على هذه العادة وكثير منهم ممَّن لا ينقص دخلهم عن الاربعة الالاف غرش سنويًا يعطون ولا عطاء حاتم الطائي خمس بارات واذا اجزلوا عشرين بارة في الاسبوع . ومنذ نحو سبع سنوات كانوا يعدون الانتظام في سلك الجمعيات جهالة والتبرع بشيء لها اسرافًا وتبذيرًا اما الان فترى الشبان يتقاطرون اليها من كل فج فترى الواحد منهم مشتركًا بجمعيتين فاكثر يتبرع من ماله لكلٍّ بثلاثين الى الستين غرشًا . والرغبة في ازدياد والاقبال عليها مستمر متواصل حتى انهم يعدون العطاء للجمعيات ربحًا لا خسارة وبالعادة يتقوى فيهم هذا الميل شيئًا فشيئًا فيتدرجون من بذل الدرهم الى بذل الدينار (جرجس همام)

تدبيرُ المال

تدبير المال علم يبحث فيهِ عن ماهية المال وعن كيفية تحصيلهِ وتوزيعهِ والتعامل بهِ . والمال هو كل ما يبذل وتدفع عنهُ الاعواض . فيندرج تحتهُ كل ما يملكهُ الانسان من الاعيان والمنافع سواء كان منقولًا ام غير منقول كالفرس والدينار والدار والعقار وحق المرور وتدريس الاستاذ لا . يجري في جميعها البذل وتدفع عنها الاعواض . بخلاف الهواء والضياء والماء فانها وان كانت ضرورية لا تقوم الحياة الا بها فلا تعد مالًا لانها مباحة للجميع وايديهم مبسوطة عليها ولا يلوح في خلد احد ان ينازع الآخر في الانتفاع بها واحراز ما شاء منها الا اذا وقع السعي بشيء منها حين يتعسر الوصول اليهِ او ينقص عن مقدار الضرورة والحاجة كالهواء المرسل في ناقوس الغواصين الى اعماق البحر والضياء الداخل من نافذة تطل على دار الجيران والمياه المتوزعة في المدينة على ديار السكان فالهواء في المثال الاول مال يباع ويُشترى . وحق فتح النافذة في الثاني لدخول الضياء منفعة يُبذل في سبيلها الدرهم والدينار وللمياه الموزعة على اهل المدينة قيمة هي قيمة العمل الذي توزعت بهِ اذ لولا العمل لم تحصل قيمتها في الدور

وقد تختلط ماهية المال على كثيرين فلا يفرقون بينهُ وبين النقود فيرتكبون متن الضلال ويقدّرون ثروة البلاد وغناها بما يكون فيها من الدرهم والدينار ويتطوحون في الغواية فيقيمون الحواجز في سبيل التجارة ويضعون المكوس الفاحشة على البضائع الواردة اسماكًا وضنًّا بالمجرين

المعدنيين ولا بدع في ذلك فهم انما يلبسون الدليل بالمدلول عليه . والثروة قد تقدّر قيمتها بالنقود من الذهب والفضة فاذا سألت عن دخل حاكم بلغ الف درهم في الشهر مثلاً او بحثت عن نفقة مجلس بلدية الفيتة الوفاً من الدنانير

واذا لم يكن المال الا النقود بعينها فالامم المتوحشة قبل تدرجها في معارج الحضارة وقبل ابتداع المسكوكات لم تكن ذات ثراء ومال والواقع يناقض ذلك فقد روى المؤرخون ان العرب وهم في حالة الخشونة كانوا يقتنون الانعام ويدخرونها ليوم الحاجة فيدفعونها اعواضاً عما يحتاجون اليه من ضروريات المعاش واذا تحدثوا عن بلاد وفدروا ثروتها كانوا يقدرونها بكذا وكذا جماعات من الابل . واهل الصين كانوا يتعاملون فيما سلف من الايام بالشاي مضغوطاً الى هيآت صغيرة مكعبة وهكذا «كان الناس يتقايضون المتاعات ويتبايعون البضاعات فالبهائم بالبهائم والغنائم بالغنائم والحاصيل بالحاصيل والمثاقيل بالمثاقيل وما زالوا على هذا السلوك حتى ابتدعوا المسكوك» هذا وقد رأيت عند كساد الاسواق رأي العين تجاراً لعهدنا الحاضر من اهل لبنان يشترون القماش ويخيطونه اكسية وصُدْرات وغير ذلك من السلع وينقلونها الى البقاع العزيز فيبيعونها مقايضة بالحنطة والحمص وغيرها من الحبوب

والعملة في الاصل اجرة العمل وفي اصطلاح ارباب هذا الفن هي واسطة للتعامل تُقدر بها قيم المتمولات وعليه فلا يلزم ان تكون العملة فضة وذهباً بل قد تكون ورقاً او غير ذلك من المواد التي يقع عليها اختيار العموم فيجعلونها عندئذٍ قياساً يقدرون به قيم الاعمال والسلع . واما كونها واسطة فلانها تتوسط بين المتعاملين فتسهل عليهم التصرف في المصالح وقضاء الحاجات كما لو اعوز الفلاح عباءة وعنده شعير فيبذل لما عنده من الشعير عوضاً عنها ولكن قد يصعب عليه مثل هذه المقايضة فيضطر الى ان يبيع الشعير ويقبض ثمنه دراهم ثم بالدراهم يشتري العباءة

«فالله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم في الغالب وان اقتنى الانسان سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما لما يقع في غيرهما من حوالة الاسواق التي هما عنها بمعزل» وسيأتي استيفاء الكلام عن العملة وشرائطها ان شاء الله

ان كثيرين لم يدركوا كنه المال فركبوا الامر على غير بيان وخيل لهم انه والنقود سواء فلم يفرقوا بينهما وعصفت بهم ارياح الجهل فساقتهم الى استخدام الوسائل الآيلة الى نمو الذهب والفضة وتكثيرهما فنشطوا التجار ومهدوا لهم السبل للبضائع الصادرة واقاموا في سبيل الواردات صعاباً بضرب المكوس الفاحشة عليها وهم لا يدرون انهم في ذلك يقعدون التجار عن السعي

في المكاسب فتكسد اسواق العمران وقد وقع مثل ذلك لوزراء الانكليز قديمًا فضربوا الضرائب الرفيعة على الخمر والعرق والحرير وغيرها الواردة الى ثغورهم من بلاد الفرنسيس حتى ترتفع اثمانها فينقبض الناس عن ابتياعها واستعمالها تفاديًا من خروج الفضة والذهب من بلادهم وكان اول من كشف الغطاء عن سفسطتهم وفنّد آراءهم العالم الشهير آدم سمث بكتابه المسمى ثروة الامم الذي طبعهُ سنة ١٧٧٦ أتى فيه على جميع المسائل التي التوت عليهم وبين لهم ان الحزم والصواب انما هو رفع الضرائب الثقيلة عن البضائع واردةً كانت او صادرة. والله مدبر الاموال بحكمته (جرجس همام)

تحصيل المال

لتحصيل المال ثلاثة اسباب الارض والعمل والرسمال والارض اعظم تلك الاسباب واهمها ولا بدَّ منها في ابتغاء الرزق واقتناء المكاسب فلا يُستغنى عنها في التحصيل مهما اختلفت وتضاربت المذاهب فيهِ. وبيانهُ ان ليس من سِلعة ولا متاع من الامتعة الا ويرجع بهِ الى الارض امّ الجميع. على ان من المتاعات ما يكون مرجعهُ ظاهرًا قريبًا كما في الحبوب من الاقوات والقطن والكتان من الملبوسات ومنهُ ما يكون مرجعهُ خفيًا بعيدًا كالحرير والصوف واللبن فالحرير هو من دوده والصوف واللبن من الانعام والاول يعيش على ورق التوت والانعام في الثاني على العشب والصاعتر وغير ذلك من نباتات الارض واشجارها. وعلى الجملة فجميع المصنوعات والبضائع مرجعها اما الى الحيوان او النبات او المعدن ومرجع هذه الثلاثة الى الارض ولا اشكال فيهِ فتدبَّر. وقد عظمت اهمية الارض في تحصيل المال عند ارباب هذا الفن من الفرنسيس على عهد آدم سمث المنوه عنهُ حتى ذهبوا الى انها السبب الوحيد لتحصيل المال واقتناء المكاسب على انهُ قام من الذين تعمقوا في البحث والتنقيب بعد ذلك مَن خالفهم واثبتوا بان للتحصيل ركنين وطيدين ما سوى الارض وهما العمل والرسمال واقاموا عليهِ الدلائل والشواهد الصادقة

اصلاح التربة وتقويتها: تحصيل الرزق وكسبهِ بالقيام على النبات من الزروع والشجر واعدادهِ للاثمار واستخراج الاثمار يسمى فلاحة وهي ابسط مذاهب التحصيل. والارض اذا طال الزمان عليها باجتناء حاصلاتها سنة فسنة يذهب ما يزرع فيها بالموادّ المغذية فيقل خصبها ولذلك كان قيام الفلاح عليها وعملهُ فيها لازمين لتدبير الوسائل اللازمة لاصلاح تربتها واعادة

خصبها . وتلك الوسائل اما كيماوية وتقوم بدملها بالسماد والسرقين على قدر ما تقتضيه الحاجة . واما آلية تقوم بحراثتها وعزقها لكي تتخلل اجزاؤها فيسهل نفوذ الهواء اليها ويتفرق السماد فيقرب تناول الجذور له ، وقد يتم اصلاحها بانتزاح مائها كالآجام والمستنقعات من المعامي التي تتعسر اثارتها وحراثتها لغمرها بالماء

الكثير والقليل من المزروع : اختلفت آراء الباحثين في هذا الفن وفضّل بعضهم الزراعة فيما اذا كانت الاراضي واسعة كثيرة وقالوا انه اذا كان المزروع كثيرًا عظم الربح ولو كان ما يستدر قليلاً فان القليل في الكثير كثير والفلاح اذا استأجر ارضًا مساحتها ثلاثمائة فدان يوافقه عند ذلك ان يستعمل المحراث البخاري والمدرسة وغير ذلك من الآلات الزراعية التي تتوفر بها الاعمال ونقل النفقات في اعداد الغلال . ومثل ذلك الانعام فاذا كانت كثيرة لا ينفق على الراس الواحد منها في رعايتها والاعتناء بها ما ينفق عليه فيما اذا كانت قليلة العدد . وخالفهم آخرون وانكروا ذلك عليهم لما يقع في الاعمال الكبيرة من التفريط والضياع لاتساع نطاقها وتعسر ضبطها كما ينبغي

ولا يخفى ان الانسان اذا اثرى وتوفرت اراضيه لا يستطيع على القيام عليها بنفسه بل يساقي الاخرين في نخيله وكرومه وزيتونه ويستعمل المزارعين في اراضيه ليقوموا باصلاحها على ان يكون لكل واحد منهم سهم معين من اثمار الاغراس وغلال الاراضي ثم المساقي اذا كان عقد الشركة بينه وبين المالك سنويًا بحيث يمكن فسخه وتجديده كل سنة يتقاعد الشريك عن العمل والجد في معالجة التربة واصلاحها خشية ان يخرجه رب الملك منها عند نهاية السنة فتذهب اتعابه سدًى واما اذا كان عقد الشركة لزمان طويل فلا يضن عند ذلك بالعمل لانه يعمل ويجد على رجاء ان يحصد جنى اتعابه ولا يخشى انقصالا

ومنهم من يعقد اتفاقًا مع الفلاح على ان يعمل في ارضه وياخذ منه مبلغًا معينًا كل سنة وذلك ما يسميه العامة بالتضمين وهو من باب المزارعة والمساقاة الفاسدتين ويجري عليه اهل الغرب في اكثر بلدانهم ولاسيما في جزيرة ارلنده المشهور امرها هذه الايام في الارتباك والاضطراب الناجمين عن فساد شريعة الاراضي عندهم

ثم ان المغروسات بعضها يفتقر الى العناية والالتفات اكثر من بعض . فالكرم والتوت والتين مثلاً تفتقر في القيام عليها الى مزيد العناية ودوام الانتباه في حرثها وسملها وتهذيبها كل سنة في الوقت المعين وقس عليها تربية الطيور والابقار لاجل اجتناء البيض من الاولى واللبن من الثانية وقد ذكرت مجلة انكليزية انه يدخل بلادهم في السنة من بلاد الفرنسيس ما تنيف

قيمته عن الالفي الف ليرة انكليزية من البيض. وعزاه بعضهم الى موافقة تربة بلاد الفرنسيس وهوائها للطيور. وقال اخرون ان ذلك ناتج في الاكثر عن ان اصحاب الاراضي من الفرنسيس لا يعدُّون شيئًا من اعمالهم كبيرًا ولا شاقًا اذا كان يعود عليهم بالنفع المالي اما الانكليز منهم فهم اقل عددًا وارفع رتبة من اصحاب الاراضي الفرنسيين فلا يتحملون بانفسهم مشقات التربية وما تقتضيه من العناية والالتفات واقاموا لاثبات ذلك ادلة وبراهين لا محل لها هنا

(جرجس همام)

حضرة الفاضل مدير جريدة الصفا الزاهرة

اهديكم ما يجب على مثلي من انواع التحية والتعظيم ثم اتقدم مهنئًا بنجاح مشروعكم العظيم واحيط الجناب علمًا انني فيما سبق كنت كلفت نفسي بعمل رسالة ادبية الظاهر طبيعية الحقيقة وسمتها بسرائر الضمائر وضمائر السرائر وقد منّ الله على ان وفقت بما يجب على قاصر مثلي اظهاره لهذا الوجود الانساني ومذ كانت جريدتكم الصفا ميدان سباق لافكار العلماء والادباء أحببت ان اسوق هذه الرسالة فيها فصلاً بعد اخر لاجعلها معرضًا تقذ اليه قطارات الافكار من كل سماء حتى اصل بالانتقاد الى نباء وهذا الذي يتوصل بمثلي الى الحق واشال اخواني الى تحري عدم التعصب والصدق وانا على يقين من حرية ضمائرهم وظواهرهم تدل على سرائرهم وأرجوكم ادراج جوابي هذا في مقدمة تلك الرسالة لاثبات فضل اولئك العلماء الاعلام واقبلوا مني مزيد التحية والسلام في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨٧ كاتبه

محمد توفيق

(عنوان السرائر وضمائر السرائر)

استعين بك يامن يستحيل لوجوده هيئة ويامن لا يوصف بحركة ذهاب ولا جيئة واحمدك على منحة الوجود لكل موجود

وبعد فان الفلسفة العملية التي تخفق بنودها على معاقل العقول من نشأة العلم في حجر الحجى قد اخذ رسم مبداها في انمحا وكاد ينمحي ما تأسس عليه اصل معناها فاردت ان احيي

دارسها لتثمر مغارسها الان صبابتها تمكن متعلمها ان يبني بحثه على البرهان وهو الاستدلال بالوجود المعلوم على المسامت الموهوم

وقد وسمها بعض المتقدمين بالفلسفة الكلية او العلم الالهي اذ يبحث فيها عن كليات الموجود وعلته ومعلوله وكثرته ووحدته وقوته وفعله ونشأ عن ذلك البحث الطبيعيات والرياضيات فهي فروع عن هذا الاصل الشريف

وسأبني بحثي على مقدمة ادبية وجملة فصول علمية اسوقها استطراداً على صفحات الصفا لتقابل مرآة العقول المبرءة من الاخلال المتصرفين في الامور النافعة لعل ان اقوم بواجب الوطنية وعسى ان ابلغ تلك الامنية المسببة

المقدمة

كم اطال اللوم فينا الائم ورأينا العدل ضد الخبر

أي نفسي ماذا عليك لو رفعت حجاب الغفلة ورفعت ستار الانقياد لما تفرضيه حقاً وما هو من الحق في شيء تعالي او قظك من نوم طال لاسير بك في روض العالم البهيج الذي مدت منه الى دائرة هيكلك هذا الجسماني خطوط اخطها من قوس دائرة الابداع الى نقطتك المركزية يد القدرة العالية التي تسلطت على كل الاكوان تمحي ما تشاء وتثبت فتتصرف في الموجودات وجود بعد عدم وعدم بعد وجود

فان قمت من رقدتك هذه التي طالت وطرقت باب التدبير والحكمة يفتح لك الباب المغلق على كثير ... فتدخلي بيت الصفاء الذي اضاءه نور الفضيلة ... وتظهر لك الحقائق التي عميت على من لم يطرق باب الحكمة والتدبير وهنالك تجدي لحواد الجد ميدان افكار وساحة تذكار فسيحة ورصا نصراً لا بالصورة كما تعهدين) ولكن الحقائق التي تبعث بك الى الاستغراب وتجذبك الى اختبار هذه العوالم بالسباحة الفكرية على مطية حرية الضمير في فضاء موهوم ... واحذري من مصادمة ما يسبح فيه من الحيوانات العطرية التي اذا صادمك شيء منها حال بك عن المركز القويم فيكون سيرك بانفراج هبوط وارتفاع وانحراف عنه ويسرة وايم الله هذه سبيل غير سبيل الحق المبين .. واذا انتهى بك السير الى ذاك المقام الخارج عن مركز تسلط العوائق والاجرام ... فانتبهي الى ما حولك من جميل المناظر وعليك ان تسلطي منظار الحكمة على ذاتك مرة وعلى مرآة الحقائق المطبوع فيها شكل جميع المخلوقات اخرى

فاذا تاملت منشأ هذا الوجود وتدبرت سبب بناء هذه الهياكل لوجدت السبب الوحيد في ذلك ارادة مبدع الاكوان تعلقت بوجود ظواهر تدل على حقائق وعلمت ان قدرته تعالى تسلطت على جميع الموجودات وفقاً لقانون الارادة التي ترجمت عنها المطابقة الحاصلة بين الظواهر والحقائق

ويك يا نفسي من اخذ بك عن خطة الاعتدال وسبيل الاجتهاد فلم تميزي بين هذه الاشكال المختلفة والامور المتشابهة في الظاهر المتفاوتة في الحقيقة . . . فاليك اليك اخزعي ما اوقفك عن السير وراء غايتك لتنظري المتفاوت في الظاهر والمتناسب في الحقيقة . . . حتى اذا تجلت لك مرآة الحقائق رايت مشهداً عظيماً ومرأى مهولاً وموقفاً حرجاً تتلى عليك فيه صحيفة اثارك وما فرطت من قبل

فان كنت مطمئنة اصبحت راضية مرضية وان لم ياخذ بك الاطمئنان الى درجة الرضى واقعدك الطمع عن الاستقصاء اجلسك الحرص وراء حجاب الظواهر ولبست الظواهر من الحقائق في شيء فارجعي الى ارائك ايكائك بالاحسان على الاحسان وراقبي اعمال العلي التي يرقص لها عجباً من اخذ على نفسه الاستدلال بالظواهر على الحقائق

وان هذا وربك اعسر امر عند ذوي النهى واكبر دليل لدى من تدبر وانتهى فلا يغرنك هوس من تجنبه مصادمة جراثيم العوائد عن الفوائد فاخذت به الى دار الزخرف في حياته الدنية لا نفاس تلك الحياة الطبيعية فهو عبد ملاذه اسير شهواته لا من المعاء استراح ولا بالحقائق انشرح فهو هو رب النفس الخبيثة وشر هذه العوالم

يا فؤادي ليس يطفى ذا الصدا وعلى البلوى اذاً فاصطبر
امن الاعداء ترجو المددا انت مغرور فلا تنتظر

نعم نعم تنبهت لقول الناطق بالحكمة (اعداء عدوك نفسك التي بين جنبيك) فلم انا اكاشف النفس باسرار ربما اباحتها فاباحت ما احرزت من الحياة وانتهبت بجارحة العدوان ما لذَّ لي من البقاء مع انني لو تحريت الامور بجارحة الفكر وسرحت طرف طرفي في طبقات السماء وما هي عليه من الاختلاف والائتلاف ونظرت الى نجومها الزاهرة الظاهرة في بحار النور الدائرة على محورها المجازي المتحركة بحركتها الحقيقية المجاذبة الى بعضها بما اودع فيها من السر لعلمت ان منافرتها عن بعضها بقابلية تنفس ذلك الانجذاب الى جسم اخر وعلمت ان هذين الامرين يبعثان بها الى التوازن وتتميم النظام فينتشر عجاج امواج الانوار لارى بها ما اوجده المبدع الاول حولي من العوالم وهذه اية اخرى تنجلي لمن تدبرها بنور الحكمة قائلة مالك ونفسك

لست مسئولاً عنها وهي مسئولة عنك

فلمَ ابتها النفس قد اثرت عليَّ حرباً بعد اونك اليَّ الست انا انت وانت انا وما انا الاّ الهيكل الذي جعل محلاً لتجليك ومظهراً لحقيقتك فانت مني كالنضارة للغصن وانا منك كالخلايا التي تتدرج على سلمها النضارة فاحتفظي اسائلك المسائل التي تستلزم اجابتك وهي في غاية البساطة لا تعرف سبيل الاغراب ان لم تتدرجي الى طريق الاستغراب فان وجدت جواباً منك مصادقاً للحقيقة فلشيء من معدنه لا يستغرب وها انا اجهد هذا الهيكل ان يقوم معك على قدم الاجتهاد فان من حبي استظهار الحقائق بقية في الفؤاد

الفصل الاول

في سوال النفس

اي نفسي اجيبي عن امور حيرت الافكار ودهشت الابصار فما بني البحث على اعظم منها وقد عدها العلماء في مقدمة المسائل وانحلوا الجواب عنها الوسائل فجوابها (نبأ عظيم) هم فيه مختلفون وما علموه منه اقل مما يجهلون فسوالهم سرف وجوابهم صلف وانا كما تعهدين

خلقت عيوفاً لا ارى لابن حرة علي يداً اغضى لها حين يغضب

واذا سالتك كانت الاجابة افيد وما اسال عن شيء غير لازم لذي قلب القى سمعه وشهد الحقائق بعين الاستبصار ولن يبعد عليك لزوم هذا السوال وجوابه اوجب الاحوال ونصه

من ابن هذه الاشياء جميعها ومن بنى قبة السماء الفسيحة واشعل في الافلاك نيراناً وجعل لها من الشفق مناطق ونجاداً ونشر على بساط هذه القبة الزرقاء زواهر الكواكب المنيرة فارسلت علينا اشعتها عن بعد شاسع مع حركتها القياسية فدورانها النظامي لا يعتوره الخلل

ومن قال للارض دوري حول الشمس حتى تشرق وتغرب وهي في خط الزوال مخيلة للناس دوراتها في مقام الثبوت

ومن قال للشمس سيري في دائرة فلك عظيم بجميع ما حولك من السيارات حول مركز هو سماء فيه شمسك

ومن اولى الارض بهذا الدوران خصباً تستمر به حياة الانسان

وهذه الجبال الشاهقة الشامخة من ابداء كاتها ورفع روسها الى ما فوق السحاب وزين جبينها بالآجام الخضرة والاثمار النضرة والاشجار المزهرة والنباتات المتفاوتة طبعاً ونوعاً ومن عم

وورسها المتطبة الوجوه بالثلج والجليد ومن فجرت بطونها عيونا

تحكي لك الصل اذا تكسرا والسيف متنا والحسام جوهرا

لم انس منه جدولا تحيرا كانه في الرمل حين تحدرا

يسعى كافورا بغير نهر

فيسير سير الافعوان لحكمة مغيبة عنا ويجتمع في مجتمع تخرج منه الانهار ليزول ما بطرا على الماء من الضرر فاذا جرى حكم الدور على وجه الغبراء نغسله بماء الحياة الطيبة رافت موارده واشتفى وارده فاخصب اليابسة بمروره وحسن نظامه وبدوم هذا الماء في سيره كسير بني الانسان فرقة واجتماع وسلام ووداع حتى يجيء دور الاصلاح فينم النجم ظهورا والشجر نورا ونورا اويقرأ العندليب من انغام الطرب على غصون ناعوز بورا ويحصل هنالك اتحاد الكلمة من الجمادات والنباتات على هذه الاعمال التي لا تدوم امدا غير بعيد حتى ينقلب امرها الى غيرها ويرجع دورها الى حالها فحكم دورها اخذ من الثبات ظاهر معدنيه

يشف عن كالدر من حصبائه لترسم الغصون في احشائه

وصار كالمرآة من صفائه له خرير معلن بدائه

يشكو به ظل الغصون الخضر

فاذا اجتمع من ماء الانهار مسيل واقر المدد بعد طويل الامد صار بحرا يمده القمر بغاية القرب ويجزره بغاية البعد فتتلاطم امواجه ويعلو عجاجه حكمة تقدرت لسير الجواري المنشآت فيه كالاعلام ومنافع الانام

والبحر مثل الزئبق الرجراج والسفن فوق وجهه المواج

كانها مصافل من عاج فان غدا منتفخ الاوداج

من غضب فهي كحبل الكر

تزعجه الريح مدى الايام فلا ما تراه الا طامي

يلعب بالموج بلا احتشام تلاعب الايام بالكرام

كانها تطلبهم بالوتر

ومع كل فالبحار من الماء التي تحمل الخصب والحياة في مجار بها لكل شيء تدب اليه ومن ذا الذي البس زهور الرياض حلتها الفاخرة وباي ابداع وامكان وقدرة واتقان وسحر ورقية وامعان تاتي لحبوب الرمل وقطرات الماء ان توجد ما تشخص ابصارنا له وتقصر عن ادراك شأوه يد العلم والصناعة من الجمال الرائق والعطور الزاكية والالوان الساطعة

فعروضك حاز الاتقان والحكيم وحير العلماء مثبتاً لهم نظرية وفوق كل ذي علم عليم

وفتح النرجس عين واصد لم تطبق الجفن على مراود

يرمق خد الورد كالمراود لطمعة الجمال او كالحاسد

لانه يلحظه عن سعر

فانظر الى وشي الربيع الاخضر فالروض القى قطعاً من عنبر

في مجمر الشقيق كالجمر ففاح من خمره المستتر

نشر يجيبك واي نشر

وما الذي ادهشني اي نسي وهد قواي عن ادراك شأو غيرك من المجتهدين

قد اظهر الشرق ضمير الفجر والريح قد جرت ذيول العطر

وحركت ساكن نشر الزهر ولم تزل تصقل وجه النهر

حتى اذاع ما طوى من سر

فهاني اخبرني عن هذه المخلوقات الحية التي تأهل الارض والماء فتوجد النبات الى من تنسب وما هي علة وجودها وكيف تأتي لها قسراً او تقديراً القيام على النسق يوجد بنية اجسامها

ومن ذلك الذي فطر هذه السليقة الحيوانية في كل الانواع فجعل الكل خادماً للفرد والفرد خادماً للكل فالكل يبادل الفرد باعماله التي اختارها مهنة وجاء سيادلتهم باعمالهم حتى يحصل نظام حلقات اعمال الفرد وعلى ناموس توزيع الاعمال الذي يحصل بحكمة بالغة وباتقان تام يتم الترتيب التي تقف عقولنا لديه على حد الحيرة والارتباك واذا امعنا النظر في هذه الامور نجدها انطبقت على قاعدة تكاد ان تكون واحدة فما هي تلك القاعدة التي تطابق طبيعتنا وضروب معيشتنا غاية المطابقة

وما اوقف طرفي غير هذا الانسان الذي علته مدار جميع الكائنات وما اخذني من العجب منه غريب صنعته ولا بديع عمله ولا حسن اتقانه ولكنني اعجب من اعمال البومية التي يكاد يسأل عنها ارباب العقول الراجحة مع انها اشد غرابة وتعقيداً من سواها فكم اعترض العقول دون حلها قصورها النظريه ولكنني اتأثر منها تأثيراً يعجز عنه تعبير القلم واللسان وما هذه الاعمال غير استحالة المواد الجمادية الى جسم حيوي يختص بالحركة والانتقال واودعت فيه وظائف مختلفة تتممها اعضاءه بامانة ونشاط بحيث لا يعترضها خلل ولا قصور فبعضها يرى المواد ويميز بينها من حيث حجمها ولونها واشكالها الهندسية وغير ذلك مما اودع فيها من الخصائص وبعضها يسمع الاصوات المتشابهة التي تتولد على بعد منها وتحمل اليها على اجنحة النسيم

فيحدث من تاثيرها تاثير في اعصاب الدماغ و بعضها يتاثر من الروائح بحسب حقيقتها فان كانت طيبة تلذذ بها وانشرح لها وان كانت خبيثة انقبض منها فاحدثت في كلتي الحالتين تاثيرًا في الدماغ والبعض منها وجد مميزًا بين طعم المواد النباتية والجمادية والحيوانية فينشرح لحلوها وينقبض لمرها وينطب لحامضها فيحصل من ذلك اثر اخر هو افراز ريق او تغيير حالة افراز من القلة للتوسط او منها للكثرة او من الكثرة لها وكل هذه لم تكن في الاعتبار اقل من تاثر القوة الحافظة بسرعة غريبة تفوق سرعة الكهرباء وليست هي فقط تتاثر من ذلك بل هنالك قوى اخرى كالذاكرة والحس المشترك ونتيجة هذه التاثرات تاول الى اجراء ما يناسب الاثر فينطق هذا الانسان وفقًا لما ارادت تلك القوى في اقرب من زمن سير الكهرباء الف مرة ويكاشف امثاله بخفايا الاسرار ويخبرهم بما يصل اليه من الافكار فهو ان حرم الناطقة لا يؤنس بحضوره ولا يوحش بغيابه ويكون كحيوان من العجمات وان لم يود وظيفة — ومن عجيب تركيبه وحسن ترتيبه تاثير الطعام بجسمه فان تركيبه الكيماوي من ثلاثة او اربعة عناصر كل واحد منها على حدته تفه ينفر منه الذوق واما مجموعها الكيماوي فيلتذ به الحس الذوقي وتقبله المعدة — واعجب من هذا كون تلك العناصر اصلها واحد وما اخذته من الخاصية لمجرد اجتماع على شكلها الحاضر المخالف لشكلها الاول بحسب انفعالها بكيفيات هي مستعدة للتاثر منها بنواميس اصلية افيضت عليها من لدن مبدعها — واعجب من ذلك تلك النواميس وحصولها لاجسام دون اخرى بطرق متعددة لا يكاد يحصرها الحاصر — واعجب من هذا العقل وهو افضل شيء منحة الانسان فهو هو آلة التصور والحكم والتبكر والذكر فيما حوله من المواد فيسير ما بينها من المنسب ليقتبس من التجربة والاستقراء به جميع معارفه

اي نفسي تذكري في الكائنات واتحدى مع العقل والروح في هذه الفكر واتحفيني بجواب هذه المسألة ولا اجد لك سبيلاً تتخلصين به من نكران ما اتت بو يدك من الصناعة — واني لي ان انكر عليك حكمتك وصواتك وجودتك التي اتحدت يدًا واحدة على ان تاتيني بالسعادة الابدية متخذة سبيل الاعمال المتباينة وسيلة لغايتي من الحياة

فهذا العالم يانفسي هيكل رحيب اقيم لمجد منظمه ويدوم لعلاه

فانظري يانفسي واعجبي واجعلي اعظم همك في البحث عن هذه العوالم الحية والكائنات الجامدة وعليك ان تخبريني بما يظهر لك من بعد البحث عن هذه المسئلة التي حيرت كامل العلماء والالباء فنادى الجميع هذا امر لا يدرك من سبيل هذا العالم الظاهري وهو من وراء حجاب وقام بينه و بين جميع هذه العوالم

البقية تاتي

المناظرة والمراسلة

العرف الطيب

قد اطلعت على مقالة في مجلة الصفاء منسوبة لجناب فضيلتلو الشيخ ابرهيم افندي الاحدب يفند فيها ما اوردتهُ في بعض اجزاء المجلة المذكورة من الكلام على شرح ديوان ابي الطيب الموسوم بالعرف الطيب فقال فيها اني استعملت في تقريظهِ الغلوَّ الذي لا يقبل وزدت في تجاوز حد الاطراء وبهضم جانب العلماء الذين اقدموا على شرح هذا الديوان الى آخر ما ذكرهُ مما يعلم كل من اطلع على مقالتي المذكورة انني بريءٌ منهُ واني لم اتحرَّ فيها قشرة التقريظ والاطراء ولم اتصدَّ الى وصف المؤلف بالنعوت المبتذلة والالقاب المألوفة في مدح من يغتر باطراء المادحين وانما آثرت اظهار حقائق راهنة وايضاح بعض القضايا العلمية مما اقتضاهُ التقرير عن مؤلف عني مؤلفهُ بجمعهِ وترتيبهِ وتكميلهِ وتهذيبهِ في مدة تزيد على اربع سنين متوالية وهو لم يألُ جهداً في معاناة التعب ومغالبة السأم وكد الروية في التنقيب عن اسرار معاني هذا الشاعر واستشفاف النظر في كل بيت ومتانة الكلام على كل لفظة بما يقتضي الاخذ في المسائل النحوية واللغوية والتاريخية وغيرها عن انبع مواردها مما يشهد له بشدة الدأب وثبات الجلد وعدم المبالاة بضياع الاوقات في تحقيق المسائل العلمية في حال كونهِ وان يقال لو تعمد النقل واكتفى بالاخذ عمن تقدمهُ من شراح الديوان لكفى نفسهُ ذلك النصب الطويل ولأتمَّ هذا التاليف في سنة او بعض سنة وانصرف بعدهُ الى سائر شانهِ. ومن قضى هذا الجهد كلهُ في مثل هذا التاليف الجليل حرصاً على استيفاء الفائدة منهُ وجاء صنيعهُ بعد ذلك ناطقاً بالسداد كافلاً ببلوغ المراد لم يكثر فيهِ التنويه بذكر احسانهِ والتنبيه على بعض حسناتهِ وما اراني اتيت في ذلك امراً يستحق المؤاخذة ولا تثريب عليَّ اذا قصدت بيان الفضل اعترف بهِ للمتأخر ولا انكرهُ على المتقدم ولكن ذلك على ما ارى فرض يقتضيهِ الادب ووفاء لحق من جهد نفسهُ في تقريب منال العلم على

طلابهِ وحثًّا لذوي الفضل على انتهاج سبيلهِ والاقتداء بهِ في التحقيق وبذل نفيس العمر في سبيل المنافع العامة

ولا ارى لجناب المعترض حجة عليَّ فيما نسبهُ اليَّ من تهضم جانب العلماء الاَّ ما اتيت بهِ من المقابلة بين شروح بعض ابيات المتنبي اختلف عليها الشارحون لتعرّف منزلة كل منها بالنسبة الى الآخر وحجة بذلك لا يسلم له بها ذوو الانصاف وكل من اطلع على مقالتي المذكورة تبين منها اني لم اقصد الغض من شانهم ولم ارغب في غمط احسانهم وهو كما قلت في مقالتي المعترض عليها «لا ينكرهُ الا معاند او مكابر» وأنّى يصح ان ينسب اليَّ تهضم جانبهم وانا مقرٌّ بفضلهم ومعترف بنبلهم ومهتدٍ بانوارهم وجارٍ على اثارهم على اني لا اعتقد (واظن ان جناب المعترض لا يعتقد كذلك) بعصمة احد منهم في جميع ما اتى بهِ من الشرح والتفسير والا فما الداعي الى شرح الديوان المذكور من نحو خمسين عالمًا يخالف كل منهم الاخر في شرحهِ واي ثانٍ عدَّ متهضمًا في جانب سابقهِ عند مخالفتهِ له او تنبيههِ على عدم اصابتهِ قال الواحدي في مقدمة شرحهِ ديوان ابي الطيب «ولهذا خفيت معانيهِ على اكثر من روى شعرهُ من اكابر الفضلاء والائمة العلماء حتى الفحول منهم والنجباء كالقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة وابي الفتح عثمان ابن جني النحوي وابي العلاء المعري وابي علي ابن فورجة البروجردي رحمهم الله تعالى وهؤلاء كانوا من فحول العلماء وتكلموا في معاني شعرهِ مما اخترعهُ وانفرد بالاغراب فيهِ وابدعهُ واصابوا في كثير من ذلك وخفي عليهم بعضهُ فلم يحن لهم غرضهُ المقصود لبعد مرماهُ وامتداد مداهُ اه» ولا احسب ان احدًا خطّأ الواحدي في قولهِ هذا مع اننا نرى في تتبع كلامهِ كثيرًا من المآخذ التي اخذها على غيرهِ وهو مع ذلك لم يعدَّ متهضمًا لجانب احد منهم وقد رأينا هؤلاء الشراح لا يبالون باظهار آرائهم في نقد كلام ابي الطيب نفسهِ مع حرصهم على بيان فضلهِ واجتهادهم في اظهار النكات البديعة في معانيهِ مما ينسبونهُ الى معجز الكلام الشعري فمن ذلك قول الواحدي في شرح قولهِ

انّى يكون ابا البرية آدمٌ ... وابوك والثقلان انت محمدُ

قال «فصل ابو الطيب في هذا البيت بين المبتدا والخبر . . . وهذا تعسف» وقد أَعاب المعري والواحدي عليهِ القافية في قولهِ

انا بالوشاة اذا ذكرتك اشبهُ ... تاتي الندى ويذاع عنك فتكرهُ

فاذا رأيتك دون عرض عارضًا ... ايقنت ان الله يبغي نصرهُ

وعاب ابن جني عليهِ قولهُ

تنكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

قال «وليس هذا البيت مصرعاً وقد جاء بعروضه على مفاعلن وهو تخليط منه» ومما انتقده عليه ابن جني قوله

برد يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

قال «ولو امكنه في موضع فادر يقظان لكان احسن» فرده ابو الفضل العروضي في ما املاه على الواحدي قال «هذا نقد غير جيد» وقال الواحدي «والعجب في ان ابا الفتح يقصر في ما فرض على نفسه من التفسير ويخطىء ثم يتكلف النقد ...» وللواحدي في نقد من تقدمه من الشراح اقوال كثيرة اذكر منها شاهداً على صحة قولي الاول الذي ذكر قوله في مقدمته «واما ابن جني فانه من الكبار في صنعة الاعراب والتصريف والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف غير انه اذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولج به عثاره ...» الى ان قال «ثم اذا انتهى به الكلام الى بيان المعاني عاد طويل كلامه قصيراً واتى بالمحال هزواً وتقصيراً. واما ابن فورجة ... لم يخل من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قل ما يخلو عنه احد من البرية ولقد تصفحت كتابيه واطلعت على مواضع الزلل ومع شغف الناس واجماع اكثر اهل البلدان على تعلم هذا الديوان لم يقع له شرح شاف يفتح الغلق ويسيغ الشرق ولا بيان عن معانيه كاشف الاستار حتى يوضحها للاسماع والابصار» اه ومن ذلك قوله في تفسير هذا البيت

أيكون الهجان غير هجان ام يكون الصراح غير صراح

ونصه «ذكر حاكمنا ابو سعيد بن دوست في تفسير هذا البيت ان الهجان جمع هجين ولم يقل ذلك احد من اهل اللغة وانما جمعوا الهجين هجناً .. الى ان قال ثم اخطأ ايضاً في معنى البيت ... وكثيراً ما يخطىء في هذا الديوان وليس يمكن عد هفواته لكثرتها وقلة الفائدة في ذكرها وانما ذكرنا هذا تعجباً ودلالة على امثاله» ومنه قوله في تفسير هذا البيت

هذا الذي خلت القرون وذكره وحديثه في كتبها مشروح

قال «ولم يعرف ابن جني معنى البيت فلم يفسره وفسره ابن دوست بخلاف الصواب فقال ان الله تعالى بشر به في كتب الماضين وهذا كذب صريح» ومن العجب ان الواحدي عاد في تفسير هذا البيت الى المعنى الذي انتقده على ابن دوست حيث قال «ويجوز ان يريد انه (اي الممدوح) المهدي الذي ذكر في الكتب خروجه» اه فتامل والامثلة على ما ذكر كثيرة يضيق دون استيفائها المقام فلا نطيل الكلام عليها

اما ما اورده من المآخذ على ما ذكرته في المقالة المشار اليها فاني لا انكر على حضرته اعزه الله فضل علمه وطول باعه في نقد الكلام ولكني آخذ عليه انه تعجل الروية ولم يعط الكلام حقه من التدبر وامعان النظر ولا سيما انه في مقام مساجلة لا ينبغي ان يرسل القول فيه الا بعد اطالة الروية والتثبت في وجوه النقد ليبقى منيعاً في موقفه ولا يستهدف لسهام المعترضين واما اذكر هنا ما اورده من النقد متتبعاً كلامه في بيت بيت والحكم بعد ذلك للمنصفين وجنابه في اولهم ان شاء الله . فمن ذلك ما اورده في الكلام على قول المتنبي

اراد وا أن يديروا الراي فيها فصبحهم برأي لا يُدارُ

فذكر هنا كلاماً طويلاً من جملته قوله «من ابن جاءه ان المراد بالادارة القلب والتقليب الذي هو بعيد من غرض الناظم ولا يفهم من اللفظ بل الصواب ما قاله الشراح . . . من ان الادارة على معناها وان المراد فصبحهم براي لا يتوقف فيه» الى اخره قلت لا مراء في ان غرض الناظم انما يعرف من مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا شيء منه يدل على ان الناظم قصد وصف ممدوحه في هذا المقام بسداد الراي ولكن القرينة تدل على وصفه بالبأس وعلو الهمة في ايقاعه ببعض القبائل المتآمرة عليه في تدمر بدليل قوله قبل البيت المذكور

وليس بغير تدمر مستغاثٌ وتدمر كاسمها لهم دمارُ

اما قوله «القلب والتقليب» فلفظ «القلب» زيادة من عند حضرته والمناسبة بين التقليب والادارة ظاهرة للتلازم بين معنييهما ولذلك يرادفون بينهما فيقولون قلّب فلان طرفه وادار طرفه وهما بمعنىً واحد قال ابو الطيب

اقلب فيه اجفاني كأني اعدُّ به على الدهر الذنوبا

وقال ايضاً

أدرنَ عيوناً حائرات كأنها مركبةٌ احداقها فوق زئبقِ

وبيّنتُ ان ادارة الرأي مستعارة من ادارة الطرف للمناسبة بين الراي الحسي والراي المعنوي وما نقله جنابه من تفسير الشراح لهذا البيت لا ينافيه كون اللفظة بالمعنى الذي ذكر وحينئذٍ فقوله «الصواب ان الادارة على معناها» كلام مبهم لانه لم يفسر المراد بها على ان هذا ليس في شيء من محل النظر في البيت اذ الخلاف في كون ادارة الراي حاصلة من سيف الدولة او من المتآمرين عليه على ما اوضحته في محله وقد نقل الشيخ كلامي هناك فاهمل منه ما يتم به المعنى لانه نقله بما صورته «فاتاهم سيف الدولة براي لا سبيل الى تقليبه» والذي هناك نقلاً عن الاصل «لا سبيل لهم» اي لاهل تدمر فترك لفظة لهم التي هي محل المفرق بين التفسيرين ولعل هذا ما

اوجب خفاء المعنى عليه . ونقل بعد «يعني انزل نقمته بهم» والذي هناك «انزال نقمته بهم» على المصدر وهو تفسير الراي الذي لم يتجروا على تقليبه فتامل

ومنه ما اوردهُ في الكلام على قوله

حنانيكَ مسئولاً ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا

فاطال في هذا الموضع واسهب بما لا حاجة الى نقله ثم قال « وهو (اي ما قالهُ الشراح في هذا البيت) تفسير لحاصل المعنى لا يراد به اعراب اللفظ وفيه حذف المبتدا من كليهما فقط اذا اريد اعراب اللفظ» اه ولعلهُ يعتذر بهذا القول عن الشراح كما اعتذر عنهم في كلامهِ على البيت السابق بقوله «غاية الامر ان في كلام الشراح اختصاراً لا يخفى» وكان عليه ان يشرح هذا المتن ويصرح بلفظ المبتدا المحذوف ثم يطبق ما ذكره من التفسير على الحاصل من لفظ البيت . وقولهُ بعد ذلك ولا حاجة الى ما ذكره المفرط لانهُ حذف كثيرٌ ينبو عنهُ اللفظ ولا يقاس في مثلهِ ولا يتعلق بهِ غرض كما لا يخفى» كل هذا من خفي الكلام بل هو في غاية البعد عن الواقع ولو تدبرجنا بهُ عبارة العرف الطيب لم يجد فيها الا «حذف المبتدا من كليهما فقط» لانهُ يقول في تاول الشطر «وانت حسبي اذا كنت موهوباً . . . وانا حسبك اذا كنت واهباً . . . » فلم يقدر في كلا الموضعين الا محذوفاً واحداً وهو الضمير «المبتدا» وقولهُ اذا كنت موهوباً ذكره كالتفسير لبيان كون الحال عن المتكلم وكذا امثلهُ في الجملة الاخرى فليس في شيء من «اعراب اللفظ» وقولهُ «واستقبح ما ذكره المعرى» يكفيني جواباً عليهِ ان التمس اعادة النظر في ما قلتهُ فيظهر انني بريء منهُ فليتامل

ومنه ما اورده في الكلام على قوله

نجوت باحدى مهجتيك جريحةً وخلفت احدى مهجتيك تسيلُ

وحاصل كلامه فيهِ ان المراد بالمهجة هنا الدم وعليهِ فقد ادعى المتنبي ان للدمستق دمين وانهُ نجا باحد دميهِ اي بدم نفسهِ وترك دمهُ الآخر يسيل فتاملهُ قلت وعادة الناس ان يشبهوا الولد بالنفس لتنزيلهِ منزلتها في الحب ولا اعرف زولم يسمع تشبيههُ بالدم والشواهد على الاول اكثر من ان تحصى . ثم ذكر بيت السموأل فانكر ان يكون فيهِ شاهد وأَوَّلَ النفس الواردة فيهِ بالدم وكل يعلم ان مراد السموأل في هذا البيت التمدح بان عشيرتهُ تموت قتلاً بحد السيف ولا تموت حتف انوفها فكنى عن الموت بسيلان النفس كما يقال فاضت نفسهُ على ما ذكرتهُ عن العرف الطيب وعلى تاويل جنابهِ يكون المعنى ان دماءهم تسيل بالقتل ولا تسيل بغير القتل فانظر اي معنى يبقى للبيت . وبقي انكار الشيخ قول صاحب العرف الطيب فاضت نفسهُ كانهُ يعني

ان الصواب فاظت وكان يغنيه عن هذا الاعتراض ان ينظر نظرة في كتب اللغة قال صاحب القاموس «فاظ فيظًا . . . . . وافاظة الله تعالى وفاظ نفسه قآءها ولذا ذكروا نفسه فقاضت «بالضاد» فتامل

ومنه ما اورده في الكلام على قوله

يطارد فيه موجهُ كلَّ سابحٍ سواءٌ عليهِ غمرةٌ ومسيلُ

فادعى ان قول الشارح ان الخيل كانت تتبع الموج وهو يجري امامها لا يصح ان يسمى مطاردة وان «الاقعد» ان يقال ان المآء يدافعها وهي تطارده اه قلت المطاردة ليس من لوازمها الدفاع لان حقيقة الطرد جري الطارد وراء المطرود وهو مفاد ما تقدم من عبارة العرف الطيب والمطاردة هنا ليست بمعنى المشاركة لقولك طاردت الصيد مثلاً ولا مشاركة فيه كما هو ظاهر وانما هو كما تقول طالبته بالمال وحاولت الامر وراودته عما في نفسه وما شاكل ذلك . على ان هذه اللفظة ليست في شيء من محل البحث وانما الخلاف في تفسير لفظتي الغمرة والمسيل على ما ذكرناه في موضعه وقد كرره في عبارة الاعتراض بما يغني عن اعادته والحكم فيه للمصنفين

ومنه ما اورده في الكلام على قوله

ولكن الفتى العربيَّ فيها غريبُ الوجه واليد واللسانِ

وكلامه هنا لا يزيد على نقل اقوال الشراح لكن ذكر في جملته اخذًا على العرف الطيب « انه ليس كل عربي حلَّ في بلاد فارس يكون مملقًا عانى فاقة » وهو كلام لم أدرِ ما مدخله ولا اين الاشارة اليه في عبارة العرف الطيب الا ان يكون استنتجه من قوله «غريب اليد اي لا ملك لي في هذه الاماكن» وهذا لا يقتضي الاملاق ولا الفاقة اذ لا يلزم منه ان كل عربي لا ملك له في ارض فارس يكون فقيرًا فليتامل البصير

ومنه ما جاء به في الكلام على قوله

يموت راعي الضان في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ

وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سربهِ .

فذكر هنا كلامًا نرد النظر فيه الى المطالع ولو تدبر عود الضمير على اللفظ المذكور في شرح المعرّي وقابله على قولهِ (الهاء في عمره وسربه ضمير جالينوس) لوجد استغرابي في محله وقد نقل قول صاحب العرف الطيب بما نصه «اي وربما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمنًا على نفسهِ» الخ ثم قال «ان قوله وكان آمنًا على نفسه من الهلاك فيه الغاء لمعنى الزيادة المفهوم من زاد» اه . قلت انما ورد هذا الاعتراض من تحريف النقل لان لفظ العرف

الطيب وهو ما نقلته اناعنه «آمن على نفسه» بلفظ افعل التفضيل لا «آمنًا» كما نقله وبنى عليه اعتراضه ومنه ما اورده في الكلام على قوله

انت الغريبة في زمان اهله ولدت مكارمهم لغير تمام

وذكر هنا كلامًا من جملته قوله «من ابن جاء ان التاء لا تأتي للمبالغة الا سماعًا وعلى فرض تسليم زعمه فلم لا تكون الغريبة ما سمع» قلت لا اقل من حط المنبه بالنص على كون التاء تأتي للمبالغة قياسًا او ايراد السماع الذي وردت فيه الغريبة بهذا المعنى والا عاد احتجاجه في الوجهين دعوى بلا دليل . ثم قال «ودعوى انها (اي الغريبة) مجردة عن التانيث في نحو ذلك باطلة اذ لا يقال غريبة حسن» الى آخر ما ذكره وهذه الدعوى لم ترد في كلامي ولا فيه اشارة اليها بل الوجه العكس اي تانيث لفظ الغريبة كما في ذبيحة ونحوها ومنه ما اتى به في الكلام على قوله

لنوره في سماء المجد مخترق لو صاعد الفكر فيه الدهر ما نزلا

وهنا اطال بما محصله ان صاعدًا لا يمتنع ان يكون بمعنى المجرد قياسًا على قاتله الله وسافر زيد اه قلت هذا التخريج والتخريج انما يصار اليه عند تعذر الحمل على القياس فاذا امكن الرجوع الى القياس فهو اولى . وقوله المعنى عليه كذا وكذا هو نفس ما ذكره في العرف الطيب فلا فرق بين تفسيره وتفسير الشراح من هذا الوجه . ثم قال «وفي نسخة سماء الفخر اي بدل سماء المجد وعليها كتب ابو البقاء» الخ ولا ادري ما محل هذا الكلام مما نحن فيه . ومنه ما ذكره في الكلام على قوله

يعللها نطاسي الشكايا وواحدها نطاسي المعالي

ومحصل كلامه هنا اني حرفت عبارة الواحدي فقلت يزيد عللها بدلًا عن «يزيل عللها» قلت أني نهيأ لحضرته ان يتهمني بذلك وشرح الواحدي مطبوع مشهور وقرينة كلامه تدل دلالة واضحة على انه اراد «يزيد» لا يزيل ونص عبارته «يقول يمرضها ويزيد عللها طبيب الامراض «يعني قبل موتها» وابنها طبيب المعالي اي العالم بادواء المعالي فيزيلها عنه .. .» ومعلوم ان كلامه انما هو في العلة التي ماتت فيها فلو ازال الطبيب عللها لم تمت ولا يخفى على المطالع ان المفهوم من قول الواحدي التعريض بطبيب الامراض لانه زاد في مرض والدة سيف الدولة على ما يفهم من كلامه فماتت مع ان ابنها الذي هو طبيب المعالي قد ازال ادواءها عنه فكانه يقصد المقابلة بين الطبيبين بان الاول يزيد في العلة والآخر يزيلها فاين الغلط الفاحش واين التحريف . وقوله ان بناء فعّل كما فعل يأتي للسلب والازالة كفرّد زيد البعير واشفاه الله اي

ازال عنه القراد وسلبه الشعر» فليس يشيء مما نحن بصدده على ان البناء المذكور لا ياتي اطرادًا بالمعنى الذي حكاه وإلا اقتضى ان يكون معنى بجّله وأكرمه على الازالة والسلب وكان عليه ان يؤيد قوله بالنقل الصريح لان اللغة لا تؤخذ بالقياس كما لا يخفى . ومنه ما اورده في الكلام على قوله

اما تغلط الايام فيَّ بان ارى عدوًّا تناءى او حبيبًا تقرّبُ

وغاية ما ذكره في هذا الموضع على ما ظهر لي بعد الامعان في تأمل عبارته انه قرأ قولي «تناءى وتنأى» في الكلام على هذا البيت بفتح التائين والهمزتين على انهما ماضيان من التفاعل والتفعّل ثم تصرّف في عبارتي وحرّف معناها فقال في صدر اعتراضه ما نصه «فزعم ان تناءى تفاعل (اي بفتح التاء والعين) من التنائي لا تنأى (وضبط الهمزة بالفتح) بوزن تفعل كما قال الواحدي فانه غير منقول «قال وهو سهو . . . وظاهره ان تفاعل مطاوع فاعل كلاهما بصيغة الماضي والاحسن انه بصيغة المضارع لفاعل» وكل هذا في غير محله لان لفظي «تناءى وتنأى» كلاهما بصيغة المضارع في قولي وفي قول الشارح وان شك في ذلك فليراجع هذا البيت في العرف الطيب (صفحة ٣ - ٥) ليرى ضبط الكلمة بالشكل الصريح . ومما لا بد من اعادة كلامي الذي بني هذا الاعتراض عليه ليرى المطالع الفرق بين ما قلته وما نقله الشيخ عني ولينظر وجه الكلام في البيت وهذا نص كلامي هناك «وقد ذكر (اي صاحب العرف الطيب) في شرح هذا البيت ما نصه تُناءِي (اي بضم التاء وكسر الهمزة) تُفاعِل من النأي وهو البعد يقال نأى وانأيته على افعل ولكنه نقله الى فاعل كما يقال اعدته وعادته وروى الواحدي تنأّى بالتشديد وهو غير منقول» اه فليتأمل البصير في القولين ولينظر اين محل اعتراض الشيخ من هذا الكلام وبمراجعته تعلم انه ليس في المسئلة اخذ على الواحدي ولا على غيره من الشراح ولكن مدار الكلام التنبيه الى انه لم يرد في هذا الحرف فاعل ولا فعّل بالتشديد وانما الذي ذكروه في تعديته انأى على افعل فنقله المتنبي الى فاعل او فعّل في احدى الروايتين على ما هو ظاهر في كلامي وكلام العرف الطيب بغير اشكال

ومنه ما اورده في الكلام على قوله

وما كان ادناها له لو ارادها والطفها لو انه المتناولُ

فذكر انني خطأت المعري والواحدي في تفسيرها لهذا البيت وانا لم اذكر فيه تخطئة وانما كان كلامي في الترجيح بين قول وآخر وذلك ان الواحدي لم يتأتَّ له تفسير «الطفها» فصحّحه بتذكير الضمير ورده الى الممدوح وروى المعري «الطفها» وهي الرواية المشهورة في البيت وفسره باقربها

فكان تكرار القول ادناها في صدر البيت ولا يخفى ما في ذلك ولذا عدل في العرف الطيب الى المعنى الذي ذكرته له

ومنه في الكلام على قوله

لا افتخارَ الا لمن لا يضامُ   مدركٍ او محاربٍ لا ينامُ

والحكم في هذا كتب النحاة فلا نطيل في الكلام عليه ومثله قوله

وما عشت ما ماتوا ولا ابواهم   تميم بن مرٍّ وابن طابخة اد

ويكفي في الجواب عليه التنبيه الى ان قوله ما ماتوا مستقبل في المعنى لانه مبنيٌّ على الشرط فلو رُبط بالفاء امتنع تأثير اداة الشرط فيه فصار ماضياً محضاً وهو غير المقصود والاّ فقد اثبت انهم لم يموتوا حقيقةً فليتامل

ومن ذلك ما ذكره في الكلام على قوله

بعضد الدولة امتنعت وعزت   وليس لغير ذي عضد يدانِ

وقد اجتهد في تخريج الاسناد هنا بما لا ينهض فذكر ان الضمير يعود على معلوم من المقام على حد حتى توارت بالحجاب وهو الدولة المفهومة من المقام» ثم قال «وعضد الدولة علم على الممدوح ولا يجوز ان يعود الضمير على جزء العلم الا باعتباره قبل العلمية» اه. قلت حق مرجع الضمير الى معلوم من المقام ان يكون ذلك المعلوم مفهوماً من سياق الكلام المتقدم كما في حتى توارت بالحجاب لا من لفظ مذكور بعينه كما في البيت والا فهو يعود على ذلك المذكور وهو ما ذهب اليه المتنبي في هذا التركيب فرد الضمير الى لفظ الدولة المضاف اليه على اعتباره قبل العلمية كما يقول الشيخ وهذا الاعتبار لا يمتنع هنا على ارادة التورية بلفظ عضد الدولة وهي التي بنى عليها سائر البيت كما انه لم يمتنع في قوله

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة   ولكن سيف الدولة اليوم واحدُ

فانه اراد بسيف الدولة هنا معناه التركيبي من باب التورية ايضاً والاّ لم يصح استثناؤه من السيوف المذكورة في صدر البيت كما يظهر بادنى تامل . وعكس تجنيه في هذا البيت تجنيه في قوله

يا سيف دولة هاشم من رام ان   يلقى منالك رام غير مرامِ

فانكر ان يكون سيف الدولة هنا لقباً على صاحبه مع ان المخاطب به هو سيف الدولة بعينه وادعى ان المراد به معناه التركيبي لانه سيف للدولة العباسية وهو من اغرب ما ورد من حوادث الانتقاد

ومنهُ ما اورده في الكلام على قوله

ذي الارض عما اتاها اليوم غانيةٌ وغيرها كان محتاجاً الى المطرِ

فقال «ان الكلام على مثل هذا التركيب مستفيض في الكتب وقد ذكروا انهُ من نوع الكناية» الى آخر ما قالهُ. قلت عدُّ هذا التركيب من الكناية لا يخلو من نظر وان اوهما ظاهر مفهومهِ لصحة انفكاك التلازم فيهِ دونها. وبيانهُ ان قولك غيري يفعل هذا لا يلزم منهُ ان المتكلم لا يفعلهُ الا بعد اعتبار ما في العبارة من معنى القصر المستفاد من تقديم لفظ الغير فصار على حد قولك انا كفيت مهمك على ما هو مقرر في مواضعهِ. الا ترى ان قولك غيرك زارني فيهِ من نفي الزيارة عن المخاطب ما ليس في قولك زارني غيرك وحينئذٍ فمفهوم الكناية في المثال الاول من خواص التركيب لا من مفاد لفظ الغير كما يظهر بالتامل. وهذا بخلاف قولك «مثلك لا يبخل» فانك لو اخرت لفظ المثل وقلت «لا يبخل مثلك» بقيت الكناية واحدة في التركيبين لان نفي الحكم عن احد المثلين يلزم منهُ نفيهُ عن صاحبهِ وليس كذلك في الغيرين فان ما ثبت لاحدها لا يلزم منهُ نفيهُ عن الغير الآخر لجواز اشتراكهما فيهِ. وعلى تسليم ان هذا يعدُّ من الكناية كما قال فانهُ لم يذكر هذا التركيب احد من البديعيين في باب الكناية لا في البديعيات وشروحها ولا في كتب الفن وما نقلهُ الشيخ من كلام النحاة في توجيه الآية المذكورة مقصور على لفظ المثل وهو ما ذكره الصبان في حاشيتهِ على الاشموني وهذا نص كلامهِ هناك «ومنع كثيرون زيادتها في الآية فبعض هؤلاء قالوا المثل بمعنى الصفة وبعضهم قالوا المثل بمعنى الذات والمحققون منهم قالوا الآية من باب الكناية للمبالغة في التنزيه فهي باقية على حقيقتها من نفي مثل مثلهِ لكن المراد لازم ذلك وهو نفي مثلهِ وانما كان لازماً لانهُ لو كان لهُ مثل لكان هو مثلاً لمثلهِ فلا يصح نفي مثلهِ ولان مثل الشيء من يكون على اوصافهِ فاذا نفوهُ عمن يماثلهُ فقد نفوهُ عنهُ ونظيره مثلك لا يبخل فانهم نفوا البخل عن مثلهِ والمراد نفيهُ عنهُ فليس المراد بالذات من الآية حقيقتها من نفي مثل المثل حتى يلزم وجود المثل» اه بزد عليهِ

ومنهُ ما اوردهُ في الكلام قولهِ

يدبر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فالنوبِ

فنقل هنا عبارة ابي البقاء العكبري ومحصلها تخطئة المتنبي فيما ذكرهُ من سعة مملكة كافور ذهاباً الى ان هذه المذكورات داخلة في مملكة كافور وليس ذلك من مراد المتنبي لان المجرورات في البيت حدود مملكتهِ فهي خارجة عنها لا داخلة فيها وهو مفاد تفسير العرف الطيب على ان

المعري والواحدي لم يتعرضا لشيء من ذلك بل ظاهر كلامهما ان هذه الاطراف كلها بما يدبره كافور وعبارة المعري في تفسير البيت «يعني ان هذه النواحي كلها تحت امره فهو يدبر ملكها» ونحوها عبارة الواحدي على ان ما ذكره ابو البقاء ايضاً غير واف ببيان حدود مملكة كافور لان غاية ما ذكره ان كافوراً ملك مصر واعمالها وهو حد مبهم لان اعمال مصر غير متعينة وقد شرحها في العرف الطيب شرحاً بيناً نقلاً عن ابن خلكان كما ذكرته هناك ويتصل بهذا البيت قوله وقلنا لها اين ارض العراق فقالت ونحن بتربان ها

تغالط في معنى هذا البيت واجتهد في اثبات كون تربان من ارض العراق بما لا فائدة من نقله ولا برهان عليه سوى قوله « ويدل عليه قوله بها (كذا) سواء قلنا انها اسم فعل بمعنى خذ او حرف تنبيه» الى اخر ما ذكره وهي الحجة الدامغة التي لا تخفى على اصحاب النظر ومثله قوله

سهادٌ اتانا منك في العين عندنا رقادٌ وقلامٌ رعى سربكم وردُ

فانبت عن ابي البقاء العكبري ان القلام خبيث الريح ولا حجة له الا ان ابا البقاء يقول ذلك وفي العرف الطيب اثبت العكس نقلاً عن مفردات ابن البيطار بالاسناد الى ابي حنيفة وغيره ممن يوثق بكلامهم في مثل هذا ومعلوم ان ابا البقاء لم يكن من علماء النبات ولا احسب الشيخ يدعي لنفسه معرفة هذا العلم فما باله يتعرض للكلام فيما ليس من معلوماته ويتصدى لتخطئة مثل ابن البيطار وابي حنيفة وغيرهما من اثبات اهل العلم وثقاتهم تاييداً لما لا يعلم صحته من خطائه ولو تدبر كلام ابي البقاء نفسه في هذه المسئلة لما اتخذه حكماً فقد نقل عنه قوله «والقلام خبيث الرائحة وقيل هو القاقلي وهو ارداً النبات» اه فقوله القلام خبيث الرائحة لم يقله احد من اللغويين ولا النباتيين وهو عين القاقلي كما ذكره ويوبده ما في القاموس وغيره الا انه ليس باردا النبات كما يقول لانه معدود في الافاويه ومستعمل منذ عهد قديم لتطييب الجشاء واصلاح شهوة الطعام وخواص هذا النبت مشهورة لا عند العرب فقط بل هو معروف بها عند الامم الاوربية ولا سيما الالمان والانكليز وهو عندهم في منزلة الشونيز عندنا ولنا فيه كلام اكتفينا منه بما يحتمله المقام ومثل هذا كلامه في قوله وهو ختام الاعتراض

فلو سربا وفي تشرين خمس رأوني قبل ان يروا السماكا

وقد اطال هنا وترامى الى ما لا يحتمل قوله ولا سياقه ولا يحسن بي الرد عليه وغاية ما ذكره من نقض كلامي في هذا البيت انه نقل قول ابي البقاء العكبري فيه وهو غير خارج عن قول غيره من الشراح فجمع بين المغالطة والمصادرة في آن واحد وحاصل كلامه في هذا البيت ان الشراح يقولون ان السماك يطلع في الخامس من تشرين الاول على ما يوهمه ظاهر اللفظ والذي حققه

صاحب العرف الطيب انهُ كان يطلع لذلك العهد في الثالث عشر من الشهر المذكور لا في الخامس منهُ وان اوان طلوعهِ يتغير على مر السنين كغيره من الثوابت وهو فيومنا هذا يطلع في آخر تشرين الاول فليتامل في هذا الكلام وفي كلام الشيخ ولينظر اين ذاك من هذا وان كان الشيخ في ريب من صحة هذا القول فقد كان عليهِ ان يحققهُ قبل ان يعترض عليهِ وقد نشر هذا الكلام في اوائل الشهر الذي قالوا ان هذا النجم يطلع في الخامس منهُ وان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر فهلا نظر في السماء هل يراه في الوقت الذي ذكروه او فيما بعده من الايام الى اخر هذا الشهر وان كان الامر على خلاف ما يقول فما بالهُ يغالط في الحق الواضح ويجادل في المحسوسات انكارًا لفضل من يشهد لهُ العيان ويؤيد قولهُ البرهان وبهذا القدر كفاية للمنصف والله المسئول ان يهدي بصائرنا حتى نرى الصواب صوابًا ولا يجعل بيننا وبين الحق حجابًا وهو حسبنا ونعم الوكيل

بشارة

زلزل

تأثير بخار البترليوم (زيت الكاز) في الصحة

(من قلم الاديب البارع حبيب يدون رزق الله)

يوجد في اماكن مختلفة في العالم وخصوصًا قرب معادن الفحم الحجري ينابيع وحفر من زيت الكاز المتكونة عند تحويل البقايا النباتية الى فحم حجري وهذه الينابيع والحفر توجد بكثرة في الولايات المتحدة في اميركا وفي جهات بحر قزبين جنوبي روسيا . وفي السنين الاخيرة كثرت محصولات زيت الكاز جدًا واستعمل لاجل الانارة وفي الاعمال الميكانيكية اجمالاً ولاهمية استعمالهِ صار فرعًا مهمًا في التجارة . ويوجد في الطبيعة على هيئات مختلفة واهمها نوعان الاميركي والقبزيني اما الاخير فاكثره ينابيع من الزيت المذكور ممزوجًا بكميات مختلفة من الماء فيجمع هذا ويقطر مرارًا

واما الاميركي فعلى نوعين ينابيع وابار تزداد (حجمًا) وسعًا كلما شغلت بهِ الايادي . ويوجد الزيت على هيئة سيال كثيف زيتي لونهُ اسمر مخضر مركب من غازات وسوائل وجوامد

هيدروكربونية (اي مركبة من هيدروجين وكربون فقط لكن على نسب مختلفة) وبواسطة التقطير على درجة خفيفة اسب نحو .. .اف تتصاعد الغازات القابلة للالتهاب التي لو وجدت في الزيت المستعمل للانارة لاحدثت تفرقعا عظيما واضرارا جسيمة وقد عرف بالامتحان بان جرمين من هذه كافية لتفرقع ٨٠ جرما من الهواء فهذه الغازات المذخورة في السائل الاكثر تطيرا من البقية تسمى بروح البترو ليوم وتستعمل كمذوب لمواد دكتهن تستعمل في الصناعة وبعد ان ينتهي تصاعد هذه الغازات والسوائل الاكثر خفة تزاد الحرارة و يتصعد الزيت المستعمل للانارة ويبقى بعد التقطير مواد كثيفة تستعمل لمسح الاوائل الميكانيكية ويستحضر منها مواد مختلفة التركيب ذات اهمية في الطب والصناعة

وقد امتحن احد مشاهير العصر فعل بخار البترو ليوم المتصاعد ابتداء من المادة الاصلية على عملة معادن البترو ليوم في جبال كرباث في اميركا فوجد ان عملة هذه المعادن معرضون الى جو مفسود بغاز الاجام (بنسبة ثلث الى ١٠ في ١٠٠)وايثلين وهو المسمى بالهيدروجين المكربن الثقيل او مولد الزيت (بنسبة ٨ في ١٠٠) ومواد اخر هيدروكربونية مختلفة التركيب الكيماوي والصفات الطبيعية ويوجد ممزوجا في هذا الهواء اكسيد الكربون السام ونادرا يخلو من غاز الهيدروجين المكبرت ذي الرائحة الكريهة ولو وجدت هذه الغازات في هوائنا الذي نعيش به لاصيب كثيرون بالموت خنقا واحدث ما لا نود حدوثه غير انه قد ظهر بالامتحان المدقق ان حوادث الاسفكسيا الموت خنقا نادرة والامراض اجمالا غير معروفة الا قليلا بين عملة هذه المعادن ومن الاعجب انه مع كثرة استنشاق هذه الابخرة السامة المميتة فامراض الاعضاء التنفسية قليلة الوجود وقل جدا من اصيب بها وكذلك قل وجود داء السل الرئوي الا في البعض الذين حصلوا عليه بالارث من والديهم و بناء على امتحاناته المدققة قد قسب هذا العلامة قلة حدوث داء السل الرئوي و بقية امراض الاعضاء التنفسية الى فعل بخار البترو ليوم الخصوصي المضاد للفساد اما التعرض لمثل هكذا هواء مدة فيحدث دوارا في الاذان ورؤيا دوائر منيرة امام الاعين ويسرع النبض وتنقد قوة الادراك و يحدث عنه وترترة في الكلام .اما العته فكثير الوجود حتى ان المصاب به يسمع اصوات تامره ان يبقى في قعر الحفرة في الوقت الذي لم يتكلم معه احد او ان يلقط حجارة ظنا منه بانها ذهب

وقد تفعل هذه الابخرة فعل المستحضرات الافيونية حتى ان الفاعل ينام ١٦ ساعة او اكثر في قعر الحفرة ويحتدم غضبا اذا ايقظه احد. اذا فرك الجلد بالبترو ليوم يهيجه واحيانا يحدث حب الصباغ الاصطناعي واذا لمس العين يحدث التهابا في الملتحمة .وقد استعمل من الخارج

فركنا في الروماتزم المنصلي ووجد بالاختبار انه يعجل شفاء الجروح والقروح
اذا اخذ البترولبوم من الداخل شربًا يحدث غشيانًا واغماء واذا استنشق بخاره المستجلب حديثًا الى سطح الارض يحدث اولاً حاسة خنة في الصدر وسهولة الحركات التنفسية وازدياد سرعة النبض غير ان هذه الحالة يتبعها سريعًا رنين اشبه بغناء في الاذان وضعف عمومي

محصولات البترولبوم في اميركا

ان مجموع محصول زيت الكاز في الولايات المتحدة في اميركا في اثناء سنة ١٨٨٦ كان ٢٨١١٠١١٥ برميلاً وكل برميل يسع ٤٢ جالونًا والجالون ١٢٨٠ درهمًا فيكون البرميل ٦٧ رطلاً و٦ ادرهمًا ومن هذا المجموع كان محصول ولاية بنسلفانيا وولاية نيويورك ٢٥٧٩٨٠٠ برميل وكان معدل سعر البرميل ٧١ سنتيًا وربع (الريال العمودي يساوي ١٠٠ سنتي) فيبلغ قيمة هذه البراميل ٢٠٠ ٢٨٤٥٧ ريال عمودي فيبلغ قيمة البرميل ٢٣ غرشًا تقريبًا اما محصولات سنة ١٨٨٦ فكانت ٦٢٣٦٨٠٧٤ برميلاً زيادة عن محصولات سنة ١٨٨٥ وهذا مما يظهر اجتهاد الاهالي في التنقيش والاعتناء على مصلحة البلاد الذي هو سبب تقدمها ونجاحها

النقد والمعارف

(من قلم الاديب البارع نقولا ابراهيم رزق الله)

بعض النقد آفة النجاح والمعارف والوطن وعدو لا يسهل كبح جماحه الا بالالفة والاتحاد وقد يؤوب الطالب تحت اثقال وطأته منهوك قوى الطلب ولا يبالي الناقد الاعمى بما اثار على الجد من سوابق لسانه ولا يدري وقد اضرمها حربًا عوانًا بين العلم والعمل ومن استلفتته احوال المعارف في سوريتنا رأى عجبًا لتباطؤ انتشارها ولا يفكر حينئذٍ ما ينجم عن ذاك من الضرر الادبي لكل طالب
نعم ان البعض الآخر مما تصلح به احوال المعارف وتعم الفائدة وما ارتفع بحسن النتائج على

نتائج ذاك الوخيمة . يشترط له ان يكون الناقد بصيرًا ادرك الاصابة وحوى من كرامة الخلق ما يكون به لطف التعليل وبت خلوا الغرض ما يومن بجانبه ان يكون عثرة في سبيل العمل وبمحاسن هذا تتضح لك مساوي ذاك وبضدها تتبين الاشياء

قد شب في طباع بعض شباننا ما احبط مساعي الطلبة واعترض مجاري التقدم من حيث القذف والطعن في مواضع مواضيع لا تستحق النقد مما يقضي على الطالب والمطلوب بالوقوف فيما ان الامال تكون مشتغلة لتمتطي صهوة الاعمال فيكبو بها جواد الاقدام اذ يعترضها شيطان الملل فتنثني صولته بالاهمال والكسل

ولا يقتصر ذلك على الطلبة فقط بل يشمل المعارف ايضًا فيكون داعيًا لتباطوء انتشارها ويقف في وجوه المطبوعات عمومًا فيعرقل حبال امال نجاحها واذا فشا هذا الوباء الادبي قضى على مصالح المكتبة عمومًا بالفشل وعلى المعارف بوقوف مجاريها وعلى تجارة العلم بالخسارة والعياذ بالله

نرى كثيرين لا يتعرضون لوضع رسالة او كتاب خوفًا وتجنبًا ونرى كثيرين لا يأنفون من ان يصوبوا على المؤلف سهام النقد غير المصيب طمعًا باحراز فضل بين اقرانهم يعود عليهم عارًا . ولهذا توقف انتشار العلم وحال بين اليد والقلم لسان النقد ولو تمثل قول من قال انظر الى ما كتب لا الى من كتب لسلم المعترض والكاتب ولاختفى سعي الناقدين واذا نظرنا امر المطبوعات من حيث قلة نجاحها وتأخر فلاحها لما رأيت ما عاد على كاتب بما يوازي ساعات الكتابة نفعًا بل ترى انه قد تكلف من المشقة ما يستحق اوفر الارباح واوفى الشكر والامر يعود عليه بالعكس . وربما لبث المولف كالنار تحت الرماد حتى تدركه رحمة او تهب عليه عواصف النصيب فينتفض من غبار الاهمال ويبدو للعيان واذا لم يوافق مشرب قوم امسى بعد ذلك عرضة لملامة ذوي الاغراض ولذلك لا يكاد يرى المدقق كتابًا عاريًا من حلة شرح نقد كذب نسجتها يد الغرض يستوفي ذلك اوجع صفحات ذلك الكتاب عددًا حتى كأن الكاتب والمكاذب حليفا رهان وهذا آفة المصالح الكتابية واحدى علل المعارف العمورية

وعدم رواج المطبوعات وقلة طلابها حياة تستوقف الكتبة فيا ان العامل بعد بذل الجهد وافراغ قالب الجد يتناول كتابة سنة في التاليف او الجمع ويرتب عامًا كاملًا لنفقة طبعه وآخر ايضًا لانتشاره وتعميم نفعه وعلى هذا الوجه يكبو به جواد الاقدام فيعود بالخذلان والاحجام . وهكذا نرى المعارف بطيئة الانتشار والكتبة نذرًا قليلًا والمطالب جمة وانما كتبنا ما كتبنا لينتبه الغافلون ويتجنب العارفون قبل ان يتسع الخرق على الراقع

لغز

ألا يا من بشهرته	غدا ناراً على علمِ
ترى ما اسمٌ جلا عنا	بطلعته دجى الظلمِ
عظيم نفعهُ يا صا	ح بين العرب والعجمِ
خماسي اذا القيت	ت خمسيهِ الى العدمِ
فلا يبقى سوى راس	يقاسي شدة الالمِ
وان اهملت اولهُ	تجد باقيهِ في الاجمِ
فجيش كان جملهُ	فجد بالحل ذا النعمِ

الياس حنبكاتي

الرياضيّات

مسألة حسابية

زيد وعمرو وبكر حضروا بيع فرس وكان ثمنها ١٢٨٤٠ غرش فقال زيد لرفيقيهِ ان اعطاني كل منكما ربع ما معهُ فوق ما معي حصل لي ثمنها ثم قال عمر لرفيقيهِ ان اعطاني كل منكما خمس ما معهُ فوق ما معي حصل لي ثمنها ثم قال بكر لرفيقيهِ ان اعطاني كل منكما سدس ما معهُ فوق ما معي حصل لي ثمنها فكم غرشاً كان مع كل منهما

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما قبلهُ)

مع ان خليفة اغسطس تدعوهُ واجبانهُ الى الانتقام ممن حرمهُ حقوقهُ ويدفعهُ شرفهُ الى استرجاع ما فقدهُ اسلافهُ ولو تكلف في هذا السبيل عناء الحرب والكفاح

وتحيَّر ثيودونس بعد هذه الحادثة وسُقط في يدهِ ورضي بتوقيع عهدة اخرى مآلها

استعد اده الى استقالة السلطة اذا منح ثمانية واربعون الف دينار في كل سنة ولربناحة الى صرف باقي عمره في العزلة والدرس ومنادمة العلماء والحكماء واعطى كلا العهدين للسنير والتمس منه ألّا يبرز الثانية منهما الا متى رفضت الاولى رفضا تاما ولما لمح ذلك يوستنيان رضي وطلب استقالة الملك الغوتي وارجع رسولة اليه وصحبة برسالة يمدحه فيها ويطريه حكمة وفلسفة

وحدث ان الجنود الغوتية قتلت قائدين رومانيين في اقليم دالماسيا فحرك ما جرى ميت جسارة الملك فكلم سنير يوستنيان باستكبار وعظمة وتهديد وتهويل ولكن شجاعته هذه الناشئة عن ياس وجبانة ستزول عن قليل عند ظهور بليساريوس الشهير وتسقط تحت اقدام خيله ورجله

وهيأ بليساريوس سنة ٥٣٦ عددا للقتال وحشد الجنود وتقدم لمحاربة الغوتيين فاتى ايطاليا من جهة رجيوم واستولى على بعض مدن وما زال سائرا حتى وصل الى نابولي فحاصرها برا وبحرا وارسل اليه اهل المدينة رسلا يقولون له ان يعرض عن محاربتهم وينصحونه ان يحاصر اولا رومية حتى اذا افتتح العاصمة استطاع افتتاح باقي الاقاليم اجابهم بليساريوس حينما اخابر اعدائي لا استشيرهم بل انصحهم ان يرموا الانتصاح واني فايض باحدى يدي على المسلام والحرية كما يشهد بذلك ما عملته في جزيرة سيسيليا

ولم يكن اهل المدينة قادرين على انجاز امر او حل معضلة لانقسامهم وكثرة احزابهم وتباين اجناسهم فاليونانيون كانوا مترددين بتأثير كلام خطبائهم وعلمائهم بقلوبهم نيران الحرية الخامدة واليهود الاغنياء والكثيرون كانوا يبغضون يوستنيان وشرائعه وزد على ذلك الجنود القائمة في المدينة والمجاهدة في الدفاع كرها او اختيارا لصيانة المملكة وحفظا لعيالها المأخوذة رهائن في رافنا

وبعد حصار عشرين يوما مل بليساريوس الانتظار وهم بالرحيل ليداهم الملك ويستولي على رومية قبيل حلول فصل الشتاء فاشار عليه رجل من اعوانه ان يدخل من قناة يجلب بها الماء الى المدينة فاعار كلامه اذنا صاغية وبادر الى ادخال اربعمائة جندي من ذلك المكان فسارت تلك الشرذمة تحت جنح الظلام الحالك وفاجأت الحراس وقتلتهم وسهلت لاصحابها وسائل تسور الاسوار فاندفعت العساكر الرومانية من كل جهة وفتحت الابواب وانقضت على الاهلين تفتك بهم وترتكب ما لا يجمل فعله وبلغ ذلك بليساريوس فبادر كالبرق الخاطف واخذ يحرض الجنود على اجتناب المحارم والذنوب وبكت البرابرة منهم بقوله ان الذهب والفضة مباحان لكم جزاء بسالتكم وجسارتكم فاجتنبوا قتل السكان فانهم مسيحيون وضعفاء ورعايا ملكنا فردوا الاولاد على ابائهم والنساء على ازواجهم واروا الجميع بشهامتكم وكرم اخلاقكم ما طبعتم عليه من

الاحسان والمعروف ليدروا اي قوم كانوا يعادون ويحاربون

وتجت المدينة بفضائل ذلك القائد الشهير واباءَه ورجع النابليون الى منازلهم ليتمتعوا بطيبات ما اذخروا وملذات الاموال التي اخذوها

ولم يكن الملك ثيودوتس ليفكر الا بنفسه وسلامته من تلك الموبقات فاقام في رومية خائفاً متذعراً يرجو بكهانة المشعوذين خلاصاً فغضبت من سلوكه الجنود واقامت قائدها الاكبر فيتيجس ملكاً عوضاً منهُ ولما بلغتهُ تلك الاخبار فرَّ هارباً من عاصمتهِ فلحقهُ رجل غوثي كان قد اعتدى عليهِ وضرب عنقهُ وهو يصرخ صراخ آيس جبان

وعلم الغوثيون تقهقرهم وتضعضع احوالهم فائتمروا واتفقوا ان يرجعوا الى الوراء ليجتمعوا ويستعدوا ان يكروا كرّة واحدة على الرومانيين فخرجوا من العاصمة وغادروا فيها قائداً شيخاً واربعة الاف جندي وكان سكان المدينة قد دبت فيهم روح الوطنية والغيرة الدينية فمهدوا لبليساريوس سبل الانتصار وافتتاح رومية مهد الدولة الرومانية فولجها في ٣٠ كانون اول سنة ٥٣٦ وانقذها من سلطة البرابرة بعدان استولوا عليها مدة ستين عاماً وارسل ليودرس قائد حاميتها مع مفاتيح ابوابها الى القسطنطينية دلالة على انتصاره وخضوع البلاد ليوستنيان

وتجمهر الغوثيون وعادوا في ايام الربيع لينازلوا بليساريوس ويسترجعوا ما فقدوهُ فحاصروا رومية اياماً طوالاً حتى كادوا يفوزون بالمنى وذاق سكان المدينة من جراء ذلك ويلات القتال والجوع والحصار وتمنى بعضهم لو غلبوا ورجعت المياه الى مجاريها غير ان بليساريوس القائد الحاذق النشيط فعلى رغم ما حدث لم يالُ جهداً في تشجيع جنوده ودرء الاخطار عنهم فرد هجمات اعدائهِ بالخيبة والفشل وكان ساهراً لا ينام عن المكايد والدسائس الآيلة الى قهرهِ فنفى عدداً عديداً من الاهلين الذين عرف غدرهم ويلوح ان بعض خدام البيعة تواطأ مع المحاصرين على فتح باب السور القريب من الكنيسة اللاترانية فبلغ ذلك بليساريوس حالاً فعجل بالدواء الذي رآهُ لازماً وشافياً واخرج من رومية البابا سلفيريوس في ٢٧ تشرين الثاني سنة ٥٣٧ والبسهُ لبس راهب وطلب الى الكهنة الاجتماع وانتخاب اسقف آخر فاختاروا فيجيليوس ولعل ذلك كان بايعاز الملكة ثيودورة وانطونينا امرأة بليساريوس الساعيتين في انتخاب حبر مخالف لمجمع خلكيدون او غير مبالٍ بهِ

وكتب بليساريوس الى الملك ما معناه

ايها الملك

قد ولجنا حسب امرك مملكة الغوثيين واخضعنا لسلطانك جزيرة سيسيليا واقليم كمبانيا

ومدينة رومية ولا ريب انتا اذا فقدنا هذه الاصقاع نلبس عارًا لا يوازيه الفخر الذي رقلنا به حين افتتاحها وقد حاربنا الى الان جماهير البرابرة وظفرنا ولكن ربما تغلبوا علينا بكثرة العدد والعدد ومعلوم ان النصر بيد الله غير ان شهرة الملوك والقواد تتعلق بفوزهم او انخذالهم واسمح لي ايها الملك ان اتكلم بحرية واعلم انه اذا كنت تريد ان نبقى في قيد الحياة فارسل الينا قوتًا واذا كنت تريد تعزيز قوتنا وترغب في نصرتنا فارسل لنا مددًا

قد اقتبلنا الرومانيون سكان رومية كاصدقاء ومخلصين واذا دامت الحال هكذا سيملون ويخونون اما انا فحياتي مرهونة بخدمتك وعليك الاقتبال اذا كان موتي في هذه الحالة يزيد في مجدك ونجاح اعمالك» فاجاب يوستنيان طلب قائده وارسل اليه مددًا فتمكن هذا من قهر الغوثيين والجائهم الى رفع الحصار سنة ٥٣٨ وتعقبهم في البلاد الايطالية وخرب مملكتهم

ونقض كسرى ملك الفرس عهود الصلح وشروط السلام وبادر الى الاعتداء على مملكة يوستنيان فجهز جنوده وسار بهم وقهر القواد الرومانيين وافتتح المدائن واستولى على سوريا سنة ٥٤٠ غير ان بليساريوس لم يمهله زمانًا طويلًا فاسرع بجيوشه المعتادة خوض غمرات المنون ونازله والجاه ان يرجع ادراجه وان يخلي غنيمته التي سرّ باكتسابها برهة يسيرة

ولم تكن مملكة القسطنطينية قوية كما يتوهم القارئ الناظر الى نصرات بليساريوس وامتداد سلطة سيده يوستنيان فلو سعى هذا الملك في اصلاح شؤون رعاياه حال ارتقائه سرير الملك وتأييد شوكته بتوفير قواه وحصرها في البلاد التي ورثها لاصبح اشد باسًا واكثر اقتدارًا على تلافي الخطوب ونزع ادواء السياسة والاحكام ولكنه مال الى اكتساب الفخار المعقود بناصية الظفر والافتتاح ماشيًا على سنن من تقدمه من الملوك العظام ففرّق جنوده في اقطار بعيدة تبعد عن بعضها اميالًا وفراسخ بحيث يتعذر عليه جمعها في وقت قريب لتكر كرة واحدة على من يجسر من شعوبه ان يرفع راية العصيان او ان تحارب من رام الاعتداء عليه من الاقوام المجاورين ولقد كان يوستنيان طمعًا محبًا للمال حريصًا على اقتنائه ففرض على الامم التي اخضعها مكوسًا فاحشة باهظة فملوا جميعهم منه ومن حكام عماله فعصاه الافريقيون ونشبوا في حربه مدة مديدة الا ان تلك الحروب الوحشية انجلت عن خراب تلك الدنيا فاصبح اكثرها قفرًا يبابًا ولم يبق منها في قبضة يد الرومانيين سوى بلاد قرطجنة او تونس والسواحل البحرية المخصبة

وبقي للغوثيين في ايطاليا معاقل التجأوا اليها وتجمعوا فيها ولم يتمكن الرومانيون من ابادتهم او اخضاعهم تمامًا فتحاملوا على بليساريوس واتهموه بالخيانة والزموه الذهاب الى القسطنطينية كي يدفع عن نفسه تهمهم الفاسدة ويبرر امام الملك واعوانه فانتهز الغوثيون تلك الفرصة وتجهزوا

الحرب والكفاح واستعدوا لاسترجاع ما فقدوهُ قبلاً واظن الايطاليين قد اسعفوهم على ذلك لنفورهم من عمال حكومة القسطنطينية وخالفاه اشهر قوادها وغيظهم ممن اهانهم وعزل استغف رومية الاعظم ونفاه الى احدى الجزر الشاسعة المنفرج ليموت فيها وحيداً غريباً

وكان القواد الذين خلفوا بليساريوس ضعفاء جهلاء فلم يستطيعوا ان يردوا البرابرة المنقضة عليهم انقضاض الصواعق بل رجعوا القهقرى وتركوا لخصومهم ابواب الفخار مفتوحة وسبل الانتصار ممهدة مطروقة فتقدم الغوثيون غانمين ظافرين ولما وصلوا الى رومية حاصروها وشددوا الحصار فجزع الاهلون وكادوا يموتون جوعاً فاعرض الحاكم عن شكواهم وصم عن استماع صوت ندائهم واحتكر الحنطة وباعها لاغنياء المدينة باثمان فاحشة ليثري وهو غير مبال بتضور الفقراء وعذاب الجميع فعم البلاء وصمم بعض الحراس على الخيانة تخلصاً من البلايا والكروب ففتحوا احد الابواب للمحاصرين وولج رومية في اخر سنة ٥٤٦ الملك الغوثي توتيلا وجنوده واخذوا في النهب والقتل ولما بلغ ذلك الملك ضريح القديس بطرس وقف يصلي وجنودهُ تردي بحد السيف من تراه خارج المعبد وداخلهُ فتقدم اليهِ الكاهن بلا جيوس وهو ماسك الانجيل بيدهِ وقال لهُ كن رحيماً ايها السيد فابتسم توتيلا واجابهُ اتتنازل بجلالتك ان تتوسل اليَّ قال لهُ الكاهن اني قائم لديك متوسلاً ذليلاً لان الله قد جعلنا رعاياك والرعايا مستحقة الرحمة والاشفاق فاثر هذا الكلام بالملك البربري وامر بكف القتل والاعتداء على البنات والنساء المحصنات

ولم تبقَ تلك المدينة القديمة الشهيرة في يد احدائها واعداء يوستنيان اكثر من شهرين لان بليساريوس النشيط الحكيم بادر الى نجدتها مسرعاً وانقذها ممن استولى عليها بخيانة الحراس وضعف القواد واراد بعد ذلك ان يتعقب الغوثيين مخالفة الزمان بتشاغلهم لقلة جنوده وسوء حالهم وانقطاع المدد فرجع الى القسطنطينية كاسف البال زائد البلبال وبرجوعهِ استفحل امر الغوثيين فعادوا الى رومية واستولوا عليها وافتتحوا المدن الايطالية واندفعوا الى سيسيليا واخضعوا سردينيا وساروا بسفنهم الى سواحل بلاد اليونان غير ان يوستنيان لم يغفل قط عن املاكهِ الايطالية فحشد الجنود وهيأ العدد وسير خصيهُ نرسيس لافتتاح تلك الاقطار فقدر هذا القائد بتدبيرهِ ومهارتهِ ان يعوض ملك القسطنطينية ما خسرهُ وان يثل عرش الغوثيين ويسوس سكان ايطاليا مدة خمسة عشر عاماً بالفطنة والحكمة فازهرت المدائن واستراح الناس وعاش الجميع بالامن والسرور

وثار البلغاريون سنة ٥٥٩ فاخضعهم بليساريوس بعوده من ساحة القتال اتهم بمكيدة

وقبض عليه لكن غير ان الملك عرف براءته وعفا عنه وفي ١٢ اذار سنة ٥٦٥ مات شيخاً حزيناً وقضي يوستنيان بعده بثمانية شهور عن ثلاث وثمانين سنة ملك منها ثمانياً وثلاثين

ومما يستحق التدوين في هذا الفصل ظهور نجم عظيم بذنب في السنة الخامسة لملك يوستنيان فحير ظهوره العالمين وارتعد الناس خوفاً من الحروب والويلات التي تحدث على زعمهم عقيب ظهوره قال المورخ الانكليزي غبون ان هذا النجم ظهر سبع مرار منذ ابتداء عهد التاريخ والحكايات فالمرة الاولى كانت سنة ١٧٦٧ ق . م والمرة الثانية سنة ١١٩٣ ق . م والثالثة سنة ٦١٨ ق . م والرابعة سنة ٤٤ ق . م والخامسة في السنة الخامسة لملك يوستنيان او سنة ٥٣١ ب . م وفي هذه المرة كما في المرار المسابقة ضعف نور الشمس واصفر لونها لدى ظهور هذا النجم الغريب والمرة السادسة كانت سنة ١١٠٦ كما يشهد بذلك مورخو اوربا والصين والمرة السابعة كانت سنة ١٦٨٠ فرقب اذ ذاك هذا الحادث العلماء والفلكيون واوضح سير النجم بتدقيق العالمان فلامستيد وكاسيني وفرر رنوبلي وتيوتن وهالي نواميس دورانه وسيظهر في المرة الثامنة سنة ٢٣٥٥

وكانت الزلازل كثيرة في عهد يوستنيان حتى ان مدينة القسطنطينية بقيت تميد اكثر من اربعين يوماً واتصلت هذه الهزة بكل العالم المعروف او على الاقل الى اقصى حدود المملكة الرومانية وفتحت الارض فاها وابتلعت ما صادفته وقذفت اناساً وحجارة في الهواء وهاج البحر وطغا وانفصلت اكمة من جبل لبنان بالقرب من بوترس الان قرية البترون وفي ٢١ ايار سنة ٥٢٦ خربت انطاكية ومات فيها ما ثنان وخمسون الف نفس تحت الردم وفي ٩ تموز سنة ٥٥١ خربت مدينة بيروت ومدارسها المشهورة بتعليم الشرع الروماني

وفشا الطاعون في عهد يوستنيان في القسطنطينية والمدائن الخاضعة لها قيل انه اتى من بلاد الحبش ومصر وانتشر في المملكة بالقسمين الاوربي والاسيوي وفتك بالسكان فتكاً ذريعاً وقد وصفه المورخ بروكوبوس بقوله ان اعراضه المنذرة بظهوره تبتدي بهذيان المصاب وهو نائم او ان هذه العلة تفاجئ الانسان وهو في شغله العادي فيشعر اولاً بحمى خفيفة وفي الغد تظهر بجسده بثور تكون في الغالب بالعينين والابط او تحت الاذن وفيها مادة سوداء قدر العدسة فاذا تقيحت امكن شفاء المصاب والا فشفاؤه مستحيل وموته موكد في اليوم الخامس من ظهورها واذا كان الانسان ضعيف البنية يتقيأ دماً اسود بعقبه يبس الامعاء اما الحبالى المصابة بهذا الداء فشفاؤها مستحيل قيل ان امرأة حبلى ماتت بالطاعون فشق بطنها واخرج ابنها حياً وعاش والاحداث عرضة للوباء اكثر من الشيوخ والرجال اكثر من النساء

ولقد هجم هذا الوباء المخيف سنة ٥٤٢ على الديار الشرقية والغربية فنهب النفوس نهبًا وغادر مدائن كثيرة خالية من السكان مقفرة ولسنا نعلم تمامًا عدد الذين ذهبت بهم خالية ولكنما روى بعضهم انهُ في السنة الاولى من ظهوره دام في القسطنطينية ثلاثة اشهر كان يموت فيها كل يوم من الخمسة الاف الى العشرة الاف نفس ولم يكن الناس عالمين وسائل الموقاية من هذه العلة الهائلة المنتقلة من صقع الى اخر بالبضائع والامتعة والانسان جاهل سبب فشوها او انهُ عالم ذلك والحكومة لا تساعدهُ على منع السبب لزوال المسبب

ووصف المورخون يوستنيان بكونهِ صبورًا لطيفًا بشوشًا قادرًا على اخفاء حنقهِ وكظم غيظهِ وقد اشتهر بالعدل والرحمة والتعبد والتقشف فكان يصوم احيانًا يومين لا يذوق بهما طعامًا و يصرف لياليهُ بالدرس والاعمال فتعلم الموسيقى وفن البناء والقريض وكان فيلسوفًا وفقيهًا ومشترعًا وهو الذي جدد بناء كنيسة القديسة صوفيا ووسعها وزينها بالنقوش وجعلها من اشهر ابنية العالم وانفق على بنائها نحو مليون ليرة انكليزية وجمع الشرائع الرومانية المتفرقة بكتب عديدة واصلحها واختصرها فصارت نموذجًا للعمل وقاعدة للاحكام



الفصل الخامس

من موت يوستنيان سنة ٥٦٥ الى موت موريس سنة ٦٠٢

واهمل يوستنيان بآخر ايامهِ شؤون المملكة لانهُ كان باذلاً الجهد في التعبد والتقشف والتامل الروحي وكانت رعاياه قد ملت منهُ وتمنت تغييره املاً ان ترى بالتغيير نجاحًا ولكن المتعقلين منهم علموا ما دون ذلك من الاخطار لان الملك كان بلا عقب فخشوا ان تثور بموتهِ اطماع اولاد اخيهِ واختهِ فيلقون البلاد بالاضطراب والارتباك ولكن الزمان قضى بخلاف ما كانوا ينتظرون وتلافى اعضاء المجلس العالي بنشاطهم وحكمتهم شر تلك الخطوب فذهبوا الى ابن اخيهِ يوستين ليلة موت يوستنيان واتوا بهِ وقصوهُ ملكًا

واعلن يوستين حال ارتقائهِ سرير الملك استعداده لمراعاة العدل والقانون فوفى دائني يوستنيان سلفة بعد ان كانوا قد يئسوا من استيفاء ديونهم وقبل انتهاء الثلاث سنوات حدث

زوجته الملكة صوفيا حذوه واعانت بعض المحتاجين بيدفع ما عليهم فاشتهر عملها واحسانها وشكرها واحبها القريب والبعيد

ولم ينجح يوستين بحروبه وسياسته بل كان حليف الذل والخمول ففقد الديار الايطالية وبلايا استولت على الناس التعاسة بانواع يشنون من جورها ويشكون ظلم الحكام

واصاب هذا الملك مرض طرحه في الفراش ومنعه من مراقبة الاعمال واذ لم يكن له ولد يرث ملكه بعد موته فاختار قائداً اسمه طيباريوس واشركه في الملك سنة ٥٦٧ وخاطبه امام البطريرك والكهنة والجمهور بكلام وجيز هذا معناه «انظر ايها البطل الى علائم السلطة السامية التي ستنالها من يد الله فشرفها لتتشرف بها واخدم المملكة ر وحتي واعتبرها كوالدتك فانك الان ابنها وقد كنت قبلاً خادمها لا تسر بسفك الدماء وامتنع ما استطعت من الانتقام فالانتقام يؤذي فاعله ويلبسه من العار والشنار ثوباً لا يبلى واجتنب الاعمال التي سودت سيرتي امام الناس واستشرني بكل ما تعمله واتخذ اختباري للاعمال السابقة قدوة لك ومثالاً اما انا فقد اخطأت كرجل وخطاياي منذ عرفت بهذه الحياة و وزرائي الذين خدموني واثاروا غضبي سيظهرون معي امام عرش الديان ولا يخدعنك غرور الدنيا وعظمة الملك بل كن حكيماً وديعاً وتذكر حالتيك الماضية والحاضرة وانظر الى ما حولك ترَ من الشعب اولاداً وعبيداً فاحبهم بشفقة والدية واحبهم كنفسك واجهد ان تكسب ميلهم وان تمنع اعتداء الجنود وتصون اموال الناس وثروة الاغنياء وتخفف كرب المحتاجين

فسمع الشعب الواقف كلام الملك برصانة وسكون وتأثر تأثراً عظيماً لتوبته ثم تقدم البطريرك وصلى وبارك فسجد طيباريوس واخذ الاكليل وهو راكع على قدميه ولما انتهت الصلاة خاطب يوستين الملك الجديد بهذه الكلمات «الآن حياتي ومماتي بيدك فاستعن بالله في جميع اعمالك واطلب اليه ان يهديك صراطاً مستقيماً ويهبك الحكمة والسداد»

وقضى يوستين باقي حياته بالعزلة والراحة والسلام وقام طيباريوس باعباء السياسة وكان محترماً سلفه ذاكراً احسانه وشاكراً انعامه

وكان هذا الملك طويلاً جميلاً نشيطاً كريماً فاراد صوفيا امرأة يوستين الملك السابق ان تقيده بهواها وتخضعه لسلطتها فلم يبالِ طيباريوس بها لانحصار حبه بامرأته انسطاسيا ولم يشغلها صفحه الاعراض غير انه كان يحترمها غاية الاحترام ويرغب في موالاتها ويغض الطرف عن نفورها واجتهادها باثارة الفتن حتى تفاقم الخطب ووجدها لا ترجع عن الاضرار به والطعن عليه والرغبة في اذلاله فمنعها اذ ذاك من مخالطة العظماء بحرية وبث العيون والارصاد

ليرقبوا اعمالها ويسهروا كي يقطعوا دابر المفسدين

ولقب طيباريوس نفسه بقسطنطين فراراً من قبح اسمه الاول ولا ريب انه كان فاضلاً صادقاً حكيماً عادلاً بشوشاً كريماً فاتفق انه حارب الفرس واسر بعض جنودهم فاكرمهم وانعم عليهم وارجعهم الى اوطانهم بالهدايا والتحف

ولم يحيَ هذا الملك العادل زماناً طويلاً فمات بعد ارتقائه سرير الملك باربعة اعوام واقام وهو على فراش الموت خليفة له رجلاً اسمه موريس زوجه ابنته وامره بالمعروف والاحسان

اما عائلة موريس فلاتينية الاصل الا ان ابويه رحلا الى كبادوكية واستوطناها مدة مديدة وكان هذا الملك في ابتداء امره جندياً فاحبه طيباريوس ورقاه واقامه رئيساً على فرقة من الجنود واظهر في الحرب الفارسية نشاطاً عظيماً ومهارة نادرة في تدريب الجيوش وقيادتهم فاشتهر اسمه واحله الملك عند رجوعه الى القسطنطينية محلاً عالياً واخيراً قلده حسام السلطة واجلسه على سرير ملكه وكان عمر موريس اذ ذاك ثلاثاً واربعين سنة وملك عشرين عاماً على الشرق اظهر في اثنائها ثباتاً في اعماله وتسلطاً على اميالهِ فاصبح مظهراً لكل فضيلة وفضل ومشى على سنن سلفهِ فقاد رعاياه في سبل السعادة وطرق النجاح واسعف ملك الفرس على استرجاع ما فقده في حرب البرابرة وبعث الى رومية الحنطة والقوت اسعافاً لاهلها على حرب اللومبرديين المنقضين عليهم من كل جهة

وكان موريس بخيلاً فاغضب الجنود ببخلهِ فعصوهُ وخلعوهُ سنة ٦٠٢ ونصبوا قائداً اسمه فوكاس قتل حال تنصيبهِ سلفه واولاده الخمسة والقى جثثهم في اسواق القسطنطينية ولم يسمح بدفنها الا حينما ظهر فسادها وانبعثت منها الروائح الكريهة

الفصل السادس

تاريخ الكنيسة في القرن السادس

الحوادث الخارجية

وتكللت اعمال المبشرين في هذا القرن بالفوز والنجاح بمساعدة ملوك القسطنطينية المسيحيين

باب الفكاهات

رواية الكونت دي كولانج

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي قصيري

(تابع ماقبله)

هذا المقصد الشائن السفل المستكره ولكنه لسوء الحظ كان يخفق بين الموت والحياة تحت رحمة الشيطان المجرب وكان الامل قد انعشه منذ هنيهة ولم يعد يريد الموت . وكيف يمكنه الموت يا ترى وهو في هذه الحال من الصبوة والشبيبة لا لعمري ان من كان في سنه لا يستطيع ان يغمض عينيه عن مشاهدة النور الى الابد ويرفض الحياة المعروضة عليه فباطلاً كانت تناديه افكاره بصوت هائل قائلة ان ما تريد عمله نذالة

وشعر الكونت دي مونكاربن المسكين بثقل النظر العابس الموجه اليه من جوزي باسكو فندى جبينه بنقط كبيرة من العرق وخفق صدره وكان المورتغالي ينتظر جوابه بمزيد القلق لان ذلك الشاب الذي لا يستطيع بدونه شيئاً والذي فعل كل شيء للاستيلاء عليه كان لا يبعد ان يفلت من يده في تلك الساعة العظيمة ثم اطلع جوزي من ملامح وجهه على اضطرابه الباطني وتمكن من معرفة جميع افكاره تقريباً فوضع يده بلطف على كتفه وقال انت على شفير الهاوية يا عزيزي لوفو دلك وهي لا تلبث ان تبتلعك اذا لم تتمسك باليد التي امدها لانقاذك وحرمة الحق انني لا افهم معنى لترددك ان ما اقدمه لك انما هو امرأة بديعة وثروة عظيمة اي جميع الاشياء التي تضمن لك النجاح واخذ الثار

فوضع الكونت دي مونكاربن يده مراراً عديدة على عينيه وجبهته وكان مصفراً كالموتى

قال جوزي والآن انا بانتظار جوابك

فانتصب الشاب فجأة بمنتهى قامته تنبعث من عينيه اشعة غريبة وكان القتال الذي انتشب في افكاره قد انتهى بتغلب روح الشر على الصوت السري الذي يناديه قف مكانك والا تصير نذلاً لئيماً ولم يعد يسمع ذلك الصوت الموجود في جميع البشر اعني صوت الضمير فصاح انت تعرف جيداً اني اخصك

قال فاذن قبلت

اجاب نعم قبلت افعل بي ما تشاء

فارسل جوزي باسكو صوتاً يعني الفوز ولمعت عيناهُ كجذوتين من النار وصاح احسنت احسنت يا حضرة الكونت لقد اثبت الآن انك رجل معتبر يمكن الاتكال عليك

قال الشاب بصوت خائر اريد ان اعيش

قال وسوف تعيش وتمرح في الخيرات والافراح الموعود بها اننا من تاريخ هذه الساعة صرنا لبعضنا وسنسير نحن الاثنان بعزم الى الغاية التي نريد بلوغها ثم سأل هل فهمت جيداً كل ما قلتهُ لك

اجاب نعم

قال كل ما جد شيء يستدعي انارتك ببعض التعليمات اعاود مدك بجميع الايضاحات اللازمة اما الآن فقد فطنت الى شيء

فسال وما هو

قال فكرت يا عزيزي الكونت بضرورة السكنى سوية

فسال الشاب متعجباً ماذا

قال ولا اجد صعوبة بالسكنى معك في هذا المنزل لانني لست صعباً بعيشتي وغرفة واحدة تكفيني والمهم ان اكون بجانبك

قال الشاب بمرارة حتى تلاحظني جيداً فهمت مرادك

قال لا لعمري ليس لملاحظتك بل لاسنادك اذا عثرت حيث يقتضي يا عزيزي ان تكون قوياً وان لا تجبن على الاطلاق ثم متى عشت معك وبجانبك نشيع بين الناس انني قريبك

فسال قريبي

قال نعم ابن عمك ان ذلك ضروري لنجاح مشروعنا

قال ألا تجد صعوبة بترويج هذا الادعاء

اجاب لا لا ابداً

قال الشاب انك لا ترتاب بشيء يا موسيو دي روكاس

قال الا تعلم انهُ يوجد في عروقك دم اسباني

اجاب صحيح لان جدتي ام ابي كانت امرأة رجل اسباني يدعى كادورنا ترك وطنهُ وحضر

للمعيشة في فرنسا فمن السهل علينا والحالة هذه ان نمد فرعاً من سلسلة عائلة روكاس البورتغالية الى اسبانيا ولا يكون في ذلك ما يستبعد تصديقه فنقول ان كونتاً من عائلة روكاس تزوج فتاة من عائلة كادورنا ونجعل تاريخ ذلك منذ نرن اذا اردت وحينئذٍ أكون ابن عمك

قال بلا ريب تكون ابن عمي

قال ولا يخفاك اهمية الفوائد التي تحصل عليها بهذه القرابة فهي تسمح لي اولاً بالذهاب معك الى حيثما تذهب بلا اعتراض وقد يحمل عليها ما لطمع اهتمامي بك وصداقتنا واعادة اعتبارك وشرفك ولا يبقى وجه للاستغراب من كل ذلك

قال صحيح

قال فاذن الكونت دي مونتكاربن هو قريبي وما عدت ادعوك من الآن فصاعداً الا ابن عمي العزيز

قال فليكن ما تريد

قال فاذن اتفقنا وبعد يومين او ثلاثة ينتقل ابن عمك الكونت دي روكاس للسكنى معك في هذا المنزل

اجاب نعم

ثم استمرا يتبادلان الحديث في هذا الموضوع الى ان حضر الخادم الشيخ واخبرهما بوضع المائدة فنهضا وانطلقا الى قاعة الطعام وعند وصولهما الى باب القاعة اوقف البورتغالي الكونت الشاب وقال يلزمك مشترى اشياء كثيرة في هذا النهار فخذ هذه عشرة آلاف فرنك

ثم وضع في يد شريكه الجديد اوراقاً مالية بهذه القيمة وقال لا تشكرني على هذه العطية لانها داخلة في اتفاقنا وكل ما مديون لك آخر بما وعد به

وفي المساء ذهب جوزي ياسكوالي ونتار تروكان سوستين دي ميرقي وارماند دي كرول ينتظرانه بفروغ صبر وعند دخوله الى الغرفة التي ينتظران فيها عادة بادرهما بالتحية فنظر اليه الاثنان سوية بمظاهر الاستفهام

قال سوستين هل قبل حضرة الكونت دي مونتكاربن

اجاب نعم قبل وصار يخصنا

فسال والشروط

اجاب قبل بكل شيء

قال ان هذا والحق يقال الآ انتصار عظيم

قال جوزي والاعجب اننا احرزنا هذا الانتصار بسهولة لان الكونت كان صباحًا في حال لا تساعدهُ على رفض اقتراحي فانني تبعت خطواتهُ كما قلت لكما خطوة فخطوة منتظرًا بفروغ صبر حلول الساعة التي يجبر فيها على تسليم نفسهِ اليَّ وهكذا كنت قربهُ عندما دقت الساعة. ان التيقظ من الضرورات اللازمة في مثل هذه الاحوال اذ لو تاخرت اربع وعشرين ساعة لكنا فقدنا الكونت دي مونتكارين

فسال وكيف ذلك

قال ان هذا الخسيف العقل كان معتمدًا على الانتحار

فظهرت على سوستين وارماند معًا مظاهر الاندهاش

قال جوزي ولكنني وصلت في الوقت المناسب لارجاعهِ عن ذلك العزم المشوم فسارع للتمسك بحبل الحياة الذي ادليتهُ اليهِ لان الرجل متى ساءت احوالهُ الى درجة الاعتماد على الانتحار بالقاء نفسهُ في نهر السين او باحراق دماغهِ بالرصاص لا يرفض فتاة بديعة تعرض عليهِ مع اثني عشر مليونًا بل يقبل ذلك بمزيد الاهتمام والامتنان وبغض النظر عن اشياء كثيرة ان الكونت دي مونتكارين صار لنا الآن روحًا وجسدًا ولم يعد يفكر بالانتحار

فسال جوزي هل انت على يقين تام منهُ

قال ان شخصهُ وحياتهُ مسئولان عنه

قال فاذن انت متاكد انهُ لا يخوننا

قال انهُ احد شركائنا فاذا خاننا يخون نفسهُ وسوف اسهر عليهِ واتخذ جميع الوسائط والاحتياطات الضرورية

وبعد برهة من السكوت التفت جوزي الى دي كرول وقال قلت لي يا عزيزي ارماند انك تكره البطالة وقد تذكرت قولك ووجدت لك خدمة

فظهر على دي كرول ملامح التعجب واستمر جوزي على حديثهِ فقال لربما لا تكون هذه الخدمة موافقة لذوقك تمام الموافقة ولكن يهمنا كثيرًا ان تنخرط فيها ولا حاجة للقول انها مركز ثقة وانك تستطيع افادتنا بواسطتها فوائد جمة

فسال ما الذي يناط بي عملهُ

قال ان كثرة العمل وقلتها تتوقف على الحوادث وهاك واقعة الحال ان الكونت دي مونتكارين يلزمهُ سائس لمرافقتهِ وقد رايت من المناسب ان يكون هذا السائس انت

فلا وسع دي كرول الامساك عن اظهار الاستغراب من هذه الخدمة

فقال جوزيه منبسماً وسوف تسمي المعنول بالبدلة الرسمية الزرقاء التي تلبسها ثم غير فجأة صوته وقال انت حاصل على اذان للسمع واعين للنظر وسوف ترافق الكونت الى حيثما يذهب وتصادق جميع خدم المنازل التي يتردد عليها فتعلم من الخدم ما يقولة ويضمره الاسياد

فقال دي كرول فهمت الان اهمية هذه الخدمة

فقال جوزيه انت ذكي لبيب

فسأل دي كرول متى اباشر العمل

ففكر جوزيه برهة واجاب تعال غداً في الساعة الرابعة الى منزل مونتكارين فتجدني هنالك وتنال المطلوب

الفصل الثامن عشر

جوزيه باسكو وتلميذه

ولم يكن جوزيه باسكو من الذين يسمحون باضاعة الاوقات الثمينة بالباطل ففي اقل من ثلاثة ايام انتقل للسكنى مع الكونت دي مونتكارين في المنزل الصغير في شارع اسنورج بما حمل خادمي الكونت العجوزين على التعجب الشديد لانهما لم يسمعا قبلاً بذكر هذا القريب الجديد الذي حضر من البورتغال فقال فرنسيس الخادم لامراته باحبذا لو حضر هذا القريب من قبل واوقف سيدنا عن التهور في الخراب

اجابت المراة بتنهد الامل انه يسلك من الان فصاعداً طريق الهداية والتعقل

قال الرجل ان ابن عمه سيرد جماحه ولا يسمح له ابداً بالاندام على اعمال جنونية جديدة وفضلاً عن هذا فان حضرة الكونت قد تغير تماماً ولم يعد كالسابق ولا ريب ان الموسيو دي روكاس اوصاه ان يظهر استحقاقه للخيرات التي يريد معاملته بها وطلب منه قبل كل شيء ان يغير حياته. ان الكونت دي روكاس رجل محنك خطير بهيئة خشنة وهذا من سعادة سيدنا لانه محتاج الى يد ثانية تمسك

فسالت المرأة هل تظن ان الموسيو دي روكاس كثير الغنى

قال اذا حكمنا عليه من الظواهر فلا ريب انه يملك عدة ملايين من الثروة ومن حين حضوره فاضت علينا الاموال ولم يعد ينقصنا شيء فان حضرة الكونت اشترى عربتين واحضر الى الاصطبل ثلاثة افراس من جياد الخيل وصار عنده الان سائق وسائس ومنذ ثمانية ايام الى الان لم نعد نرى احدًا من اصحاب الديون فيستدل من ذلك ان الموسيو دي روكاس مدَّ باموالهِ حضرة الكونت وان حضرة الكونت وفى ديونهُ

قالت المرأة جل الامل ان تكون الايام المشومة قد انقضت

قال فرنسيس ولا تعود ترجع مطلقًا حقًا ياكتريبنه ان فوادي طافح بالفرح منذ بضعة ايام واشعر كأن شبابي قد تجدد

ثم احاط فرنسيس بذراعهِ قامة كاتريبنه وقبلها من خدها قبلة رنانة فاستلقت المرأة على ظهرها ضاحكة ودفعتهُ عنها وقالت الا تريد ان تنتهي من هذه الهذيان ايها الشيخ المجنون

وخلاصة القول ان جوزي باسكوكات قد احسن الادارة كما تقدم معنا فحصل على ثقة خادمي الكونت دي مونتكاربن الامينين ثم نال ثقة الدائنين ايضًا وتمكن بسهولة من استمالتهم بمواعيده الغرارة لانهُ كان متحيلاً يحسن الكذب بمزيد المهارة والتفنن وهكذا اوقف بسرعة جميع الشكاوى القضائية بتوزيع اربعين الف فرنك على الدائنين المذكورين وكان يخاطب الجميع بلهجة واحدة فيقول لكل منهم انني عرب املك ثروة عظيمة والكونت دي مونتكاربن هو اقرب انسبائي ووريثي بعد موتي حيث لم اتزوج ولا يمكن ان اتزوج فيما بعد نعم انني ساعيش طويلاً ولا احب الموت على الاطلاق ولكن ابن عمي بعد سنة او اكثر يصير قادرًا على وفاء ديونهِ لانني ساعد لهُ بعقد زواج يعود عليهِ بثروة عظيمة وانا لم احضر واقيم في باريس الا لتعجيل هذا العقد ان الكونت دي مونتكاربن في حاجة لمشورات حسنة وسوف يحصل عليها لانني اوده كثيرًا واعتبره كولدي وساكون لهُ في هذه المسألة الخطيرة المهمة بمقام الوالد

اما الكونت دي مونتكاربن فترك البورنغالي يدبر الامور بحسب معرفتهِ واقتصر على الاستفادة بالنتائج وكان لا يظهر اقل الاستغراب او الدهشة بما يرى من تحقيق وعود الموسيو دي روكاس لانهُ صار يعرف ذلك الرجل الذي استحال الى آلة في يدهِ وراه في حال العمل فلم يعد يشك باقتداره وكان يقول في نفسهِ ان دي روكاس رجل عجيب والاعجب من

شخصوا قنداره اذا استطاع القيام بجميع وعوده

وكان الكونت دي مونتكار بن يعجب به ولكنه كان حاصلاً مع هذا الاعجاب على نوع من الخوف وبالرغم عن مزيد ثقته يرتبقو كان لا يستطيع صيانة نفسه من قلق مبهم فجعل يقول في ذاته ان الموسيو دي روكاس يسير الى الغاية التي يروم بلوغها بجسارة ترعب فوادي فهو يعلم الى اين يسير اما انا فلا اعلم الى اين يقود في

وكان لوقوديك يتظاهر بالامتنان الجزيل على اعماله معه ولكن لا يوجد بينهما اقل ارتباط قلبي لان المودة الحارة التي يظهرها البورتغالي بحسب الظروف للكونت الشاب كانت لا تحمل على محمل الحقيقة وهكذا بقي قلب لوقوديك مقفلاً في وجه هذه الصداقة وكان لا يوجد ولا يمكن ان يوجد بين هذين الرجلين الا نوع من المواخذة

وعندما عاود الكونت دي مونتكاربن الظهور في الشوارع والشانزاليزه وطرقات حرش بولونيا يسوق بنفسه على عربته الفاخرة جوادين الكريمين وشاع بين الناس تقرير اعتباره المالي ورجوع ثروته وان حياته تغيرت تماماً عن السابق لم يسع معارفه اخفاء دهشتهم من ذلك ولكن حضور الكونت دي روكاس بقربه لطف تلك الدهشة كما تنبأ البورتغالي من قبل وجعل سبيلاً للحل يعزى اليه هذا الانقلاب

وكان اصحاب لوقوديك الندماء يقولون فيما بينهم ويكررون في كل مكان هذا الحديث اننا نحسد الكونت دي مونتكاربن على هذا القريب الذي وفد من اقصى البورتغال لانقاذه من الخراب ان الكونت دي روكاس على ما ينال قريبه من جهة امه والذي يظهر انه واسع الثروة

وكان الاعتقاد بثروة البورتغالي وقرابته من الكونت الشاب كافياً لاقناع الناس باسباب هذا التغيير الطارئ على مركز الموسيو لوقوديك وداعياً لمجانبة الحدس والتخمين

ولا يخفى ان الناس عموماً في باريس لا ينظرون الى الاشياء والى بعض الاعمال الا سطحياً وقد يرتضون غالباً بالظواهر لان الحياة فيها مفرغة للعمل اكثر من بقية الاماكن فترى كلاً مشتغلاً باعماله وعائلته وافكاره عن الاهتمام بالسوى وليس هذا منهم عن عدم اكتراث او حب ذات بل عن رغبة العيش احراراً باحترام حرية الآخرين

وفي صباح يوم دخل جورج غرفة لوقوديك ثم اخرج ورقة من جيبه وقدمها اليه

فسأل الكونت ما هذه الورقة

قال هذا يا ابن عمي العزيز صك شركتنا واذا شئت فقل الشروط الخطية اي التعهدات

المتبادلة فيما بيننا

قال صحيح حدثني قبلاً عن هذه الورقة

قال لك الحق بقرأتها قبل ان تمضيها

قال لا ازيد علماً بهذه القرأة فانا عالم بما تطلبه مني هل عدلت يا ترى هذه المطاليب

اجاب لا لعمري لا تزال كما عرفتك عنها

فتناول الشاب الورقة والقى نظرةً بسرعة عليها فقال جوزى هل عندك ما تعترض به

اجاب لا ابداً

قال البورتغالي امضها اذن ثم غمس القلم في الحبر ومدهُ الى لوفوديك

وكان الكونت دى مونتكارين قد اصفر شديداً واستولت عليهِ رعشة خفيفة فقبض على القلم ووقع على الشروط بيد ملتهبة بالحمى

ثم عاود جوزى اخذ الورقة وبعد ان فحص الامضاء ورملهُ بقليل من الرمل الذهبي طواها واعادها الى جيبهِ وقال الآن يا عزيزى الكونت صرنا مرتبطين

قال صحيح ولا يخفاني انني اخصك وانني عبدك وتحت مطلق سلطانك ولكن انا اردت ذلك وليس لي ما اشكوه من هذه الحال

اجاب لا ريب بذلك ثم اتخذ صوت المازحة وقال اعترف يا عزيزى الكونت ان عبوديتك حتى الآن خير من سيادة

قال الكونت اخاف ان تزيد كثيراً في تحسين حياتي

قال جوزى هذه اقوال تحتها معانٍ كثيرة ـ

قال لا تحملها على خلاف الخاوف

قال لا باس ولكن يقتضي ان نعمل على ابادة هذه المخاوف اجبني بصراحة يا عزيزى الكونت هل انت مرتضٍ

اجاب نعم مرتضٍ

قال اما رأيت انني احسن القيام بمواعيدي

اجاب لا شيء يقوى على مقاومتك وعندما تقول اريد كل شيء ينقاد صاغراً لارادتك

قال وسيدوم الحال على هذا المنوال الى يوم الفوز العظيم الم اقل لك يا لوفوديك ان ماضيك سينسى سريعاً وان اشرف العيال ستبادر لانتبالك وان جميع الابواب ستفتح امامك فهل اذا رأيت الآن الم تصدق نبوتي . ان الناس تنايلك في كل مكان بمزيد الملاطفة والتودد

وارفع الاعيان مقاماً في الهيئة الاجتماعية يمدون اليك الايدي لاكتساب صداقتك ان ارتدادك الى طريق الحق بعد الجهل القديم جعل لك اهمية عظمى بين العالم والذين يعرفون جنونك السابق يهنئونك الان وبعد ابتعادهم عنك صاروا يرغبون في صداقتك ان اشد الناس صرامة يثنون عليك ويكثرون من مدحك فهم يبالغون في ذكر زهوك وامتيازك وكمالك والذي يظهر ان اعظم النساء يصرفن همهن لنيا بلنك بمنتهى اللطف والرقة وخلاصة القول ياعزيزي الكونت ان الناس في كل مكان مسلوبون بمحاسنك

وهذا كله اريده واشتغل لاجله ولكن لا اخفي عنك انني لم اتوقع ابداً بلوغ هذه النتيجة السريعة الساطعة التامة ان صفاتك الشخصية ياعزيزي لوفوديك قد فعلت في هذه المرة اكثر من ارادتي فانت اليوم في نفس الحالة التي كنت اتمناها لك وقد تغيرت تماماً وصرت رجلاً جديداً ومن المتوجب عليّ ان اظهر لك ارتضائي منك واقول لك احسنت انني كنت اعرفك قبل ان اخبرك بمقاصدي وقد درست جيداً اخلاقك وفطرتك وصرت على يقين منك والان الطريق مفتوحة ويمكننا المسير بجسارة بلا خوف من مصادفة عوائق مهمة في سبيلنا وفي بضعة ايام اعرفك بخطيبتك

قال متى تريد ذلك يا روكاس

قال من الممكن ان تعرف بها من تاريخ الغد ولكن من قواعدي المقررة ان لا انصرف بكثير من العجلة . واظن ان مصلحتنا تقضي علينا بالانتظار قليلاً

قال لا باس ولكن يحقك يا روكاس لا تدع صبري بكثرة الانتظار

قال جوزي ضاحكاً كل ما انتظرت كل ما صرت قابلاً للاشتعال بنار الحب

قال لوفوديك ان قلبي خال وسوف يشتغل سريعاً اذا كانت مكسيمليان مستجمعة الصفات التي ذكرتها عنها

قال سوف تراها يا لوفوديك . سوف تراها

قال هلا تريد الان ان تصرح لي باسم ابيها

قال ان ابا مكسيمليان ياعزيزي الكونت هو المركيز دي كولانج

فانتصب الكونت الشاب واقفاً على قدميه كانه دفع الى ذلك بقوة خفية وقال متعجباً الكونت دي كولانج

قال جوزي عجباً هل تعرف هذا المركيز

قال لا اعرفه شخصياً ولكن طالما سمعت الناس تلهج بذكره ولا يمكن ان يكون الانسان من

هذا العالم ويجهل اهمية المركيز دي كولانج ودرجتهُ السامية في باريس فان ثروتهُ متسعة ويوكدون انها تزيد على خمسة وعشرين مليونًا

قال لا اخالفك في هذا

قال ان الناس لا تتكلم عن هذا المركيز الاَّ بمزيد الاعجاب بهِ فهو بفكر ممتاز وقلب عظيم

قال صحيح

قال والخلاصة انهُ حاصل على جميع الاوصاف الكريمة وهو عين الشرف

قال جوزي يسرني ان نتكلم بمثل هذا المدح عن المركيز دي كولانج

فسال لوفوديك وهل الفتاة التي تريد ازواجي بها هي ابنتهُ

قال نعم هي نفسها مكسيمليان دي كولانج المسكرة

فصاح لا لا . . . ابدًا هذا مستحيل هذا فوق العقل . . ولا ريب يا روكاس انك تتصور محالاً

قال ان ارتيابك بذلك يا عزيزي لوفوديك يدل على ضعف ثقتك بي

فصاح قلت لك هذا مستحيل . . هذا حلم

قال حلم سار يا عزيزي الكونت وسوف يستحيل الى حقيقة بقوة ارادتي

فالقى الشاب نفسهُ على مقعدهِ وجعل ينظر الى البورتغالي بتضعضع وبعد هنيهة من السكوت قال ان سكينتك وثباتك اقلقاني يا روكاس فما عدت اعلم باذا افكر . . وقد اتوهم احيانًا ان حياتي الحاضرة هي حلم وان كل ما يحصل حولي محض اوهام ثم صاح لا يحق لي ان اشك باقتدارك لان ما فعلتهُ الى الان كافٍ لاقناعي بما تستطيع فعلهُ فيما بعد فانت حاصل على قوة هائلة ولا ريب ان هذه القوة اتصلت اليك من الشيطان او انك انت نفسك شيطان رجيم

فطفق جوزي يضحك وقال افترض كل ما تريدهُ فقط لا تقنط من النجاح

وعند ذلك وضع الشاب راسهُ بين يديهِ وبقي برهة مستغرقًا في افكارهِ ثم انتصب فجأة وسال كم يبلغ المركيز دي كولانج من العمر

قال لا يتجاوز السادسة والخمسين

فسال والمركيزة

قال اربعين سنة على الكثير

قال حسن هل لك يا دي روكاس ان تصرح الان كيف يمكن ان احصل على جميع

ثروة المركيز بعد زواجي بابنته حيث من الصعب ان نسلم بان المركيز يمتنع لارضائك عن كل شيء ويذر النقو ويذهب للانفراد في شرتريز او في التارب ثم سأل والمركيزة انك لا تستطيع مهما انعم سلطانك ان تجردها مع زوجها من ثروتها كما تجرد عصفورا من ريشه وفضلاً عن هذا فان مكسيمليان دي كولانج لبست وحيدة كما ترى ولها اخ يكبرها قليلاً وانا اعرف قوانين بلادي وان حقوقها في ارث ابيها تكون معادلة لحقوق اخيها

فظهر على شفتي جوزي تبسم غريب

قال لوفودبك اقول لك بصراحة يا روكاس انني لا افهم شيئاً

قال صحيح لا يمكنك ان تفهم

قال ولما احب الاستضاءة بقليل من النور في وسط هذا الظلام فهز البورتغالي راسه وقال من اللازم يا عزيزي الكونت ان لا تكون قليل الصبر وكثير الفضول . لا تقلق افكارك بمحاولة النظر في الظلام ودع الاشياء السرية تحت حجاب الخفاء . وحد من الاشياء ما لا استطيع قوله لك حيث لا لزوم لمعرفته منك وحسبك ان تعلم بان كل ما وعدت به بعطى اليك استقبل الايام والساعات كما تقبل عليك وسوف ابعد عنك بما في الامكان مشاغل الافكار والضجر تنبظ يا عزيزي ولا تفكر بعد الان الا بمكسيمليان دي كولانج خطيبتك الجميلة

وبعد هذه الكلمات خرج جوزي ياسكومن الغرفة فأمر الكونت الشاب يده بسرعة على جبهته وهمس الحق معه من اللازم ان لا اهتم بشيء وان اسلم نفسي للاقدار واتبع بسكينة الطريق التي تفتح امامي

وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً احضر الى الكونت دي مونتكارين ضمن غلاف مختوم بشمع وردي الدعوة الاتية

ان حضرة المركيز والمركيزة دي كولانج يرجون حضرة الكونت دي مونتكارين ان يشرفهما بحضور السهرة التي يحتفلان نقدمها مساء الخميس القادم في ٦ كانون اول

وكان قد ارسل الى الموسيو دي روكاس مثل هذه الدعوة فسأل لوفودبك عن افكاره بهذا الخصوص

اجاب لا افكر بشي وغاية ما يقال اني متحير من ذلك وانا منتظر بفروغ صبر ان توضح لي كيف يرسل الي المركيز والمركيزة دي كولانج وهما لا يعرفانني مثل هذه الدعوة بدون طلب مني

قال هذا سهل انك احسنت التصرف حسب مشورتي مع المركيزة دي نوفيل العجوز بما

اظهرت لها من المودة والاحترام فاحبتك كثيرًا ولا يخفاك ان هذه المركيزة كانت صديقة أم المركيز دي كولانج فرجته ان يدعونا نحن الاثنين الى سهرة مساء الخميس وهي التي ستعرفك بالمركيز والمركيزة

قال فاذن مساء الخميس ارى السيدة مكسيمليان

قال وسوف يرقصون ونستغنم الفرصة للمحادثة معها ولو قليلاً

قال اخشى ياروكاس ان لا اعجبها

فرفع البورتغالي كتفيه وقال ما هذا الحديث الست انت هو الكونت دي موقتكارين

قال هل نسيت ياروكاس انك غيرتني وصيرتني رجلاً آخر

قال جوزي والذي يظهر انك انت ايضًا نسيت واجباتك فمن اللازم يا ولدي ان لا نهمل شيئًا حتى تحب

فاخفض الشاب راسهُ وداوم جوزي الحديث فقال ليس مرادي انك تكتسب حب السيدة دى كولانج في ليلة واحدة ان الجندي بوجه العموم لا يحرز النصر الا بعد خوض المعارك وانت شاب جميل حاد محبوب مجمل بجميع الصفات الجذابة ولا يمكن ان تنس ملك السيدة دى كولانج ما لم تظهر كثيرًا من سوء التصرف وقلة التروي وانما امل بالعكس انك تحدث تاثيرًا موافقًا

الفصل التاسع عشر

سهرة حافلة في منزل دي كولانج

وكانت هذه السهرة هي السهرة الاولى الحافلة التي نوى اجراؤها في منزل دي كولانج بعد نزول المركيز والمركيزة من مصيفهما الى باريس

وكانت عائلة كولانج تقدم في كل سنة ثلاث او اربع سهرات حافلة تلهج بها الالسن مقدار شهر من الزمان ولا يمحى تذكارها من ذهن المدعوين اليها لان المركيزة كانت تحسن مقابلتهم بمزيد الظرف التام وكذلك المركيز كان يفتح لهم قلبه ويعاملهم بمنتهى الملاطفة والتودد وفضلاً

عن هذا فان الدخول الى قاعات هذه العائلة كان محسوباً من جملة النعم العظيمة وكانت الناس تهتم كثيراً حتى تدعى الى هذه الحفلات ويكون لها نصيب فيها

وكان الابتداء بالسهرة معيناً في الساعة العاشرة وقد تضمن البيان اشياء كثيرة تسبي العقول فان جوقاً من احسن المغنين كان مكلفاً للغناء في تلك الحفلة وفي جملته لازال سليمان والسيدة كروس وكان كوكيلين الاكبر مع عدة من رفاقه في ملعب الكومدي فرانسيز مزمعين بعد الغناء على تمثيل رواية هزلية صغيرة يريد مولفها ان لا يعرف اسمه ولكن البعض من الذين اوتمنوا على ذلك السر باحوا به فعرف كثيرون ان مولفها امرأة شابة من اجمل النساء واسمى العائلات وفي البيان المذكور ان الرقص يبدأ عند نصف الليل اي بعد الغناء والتمثيل على الحان موسيقى كبيرة منتقنة تتألف من عشرين موسيقياً

وفي الساعة التاسعة اشعل الخدم الثريات وتدفقت من المدرل امواج النور الساطع ثم فتح المولاب البابين الكبيرين الخارجيين لدخول المعربات حتى يتمكن المدعوون من الترجل على الطنافس الفاخرة المفروشة من اعالي المنزل الى اسفل درجات السلم الكبير

وبعد قليل بدأ يسمع دوي المعربات وحركة الخدم والحشم الماشرين بريد البذخ الباهر في شارع بابيلون حيثما يسود عادة السكون والسكينة وكان المركيز والمركيزة وولداهما قد انتهوا من العشاء مع بعض اصحابهم وفي جملتهم الاميرال دي سبسترن والكونتيسة دي فالكور وابنتها فنهضوا عن المطاولة عند استماع مسير العربات على بلاط الممشى وقالت المركيزة التهيا بالحديث وتاخرنا على المائدة

اجابها المركيز ينتهي الكونت دسانوب منابك برهة ياعزيزتي متيلدة وسافعل كل ما في الامكان حتى لا ينتبه الى غيابك

ثم ذهبت المركيزة مع بقية السيدات للملاحظة نيابهن ونزينهن للمرة الاخيرة اما المركيز وولده فانطلقا الى القاعة الكبيرة

وكان كثير من الخدم والحاشية ينتظرون في الفناء بالملابس الرسمية والانوار تسطع في كل مكان بمظهر بديع لان ضوء الشموع كان يمتزج بضوء الغاز ثم تنعكس تلك الاضواء في المرايا فتدفق حتى يخيل للناظر كانه في النهار وان اشعة الشمس الباهرة منتشرة حوله

وكان مستعاضاً عن باب المدخول بستار فاخر مرفوع من الجهة الواحدة بمسلمين حرير وقد وضع على السلم ستائر اخرى جميلة المزينة

وكان يرى الداخل في المرواق بين صنبت من الشجر الصغير المغطى بالزهور كايام الربيع حتى اذا

وصل الى الفناء توهم انهُ في جنينة زاهرة لانهم كانوا واضعين ثمَّ بكثير من الصناعة وباسلوب يغش الناظر غياضًا من الخضرة وكان ينبعث من تلك الزهور البديعة المتنوعة غير العادية التي يظهر كانها خارجة من الارض رائحة عطرية لطيفة

وكان منصوبًا من مكان الى اخر في الرواق والفنا والممشى العريض الطويل الذي لجهة اليمين تماثيل فاخرة من الرخام يتخللها اشجار كبيرة وصغيرة وفي ذلك اليوم كان الممشى المذكور الذي يودي الى جناحي المنزل بفرعين منعكسين مزدانًا بالاغصان والزهور كطريق مفتوحة بين اشجار مغضة يخرج اليها من داخل المنزل بابواب كثيرة وهو متصل بقاعة كبيرة مزينة بالرسوم والتحف الصناعية وكان موجودًا فيها معدات الاكل والشرب وقد وضع في وسطها طاولتان كبيرتان مشحونتان بالمعجنات والاثمار المطبوخة وجميع انواع المسكرات والمشروبات اللطيفة والخمر الفاخر

وفي الساعة العاشرة بدأ الغناء وكان في القاعة الكبيرة اكثر من مائتي نفس ولا يزال فيها محلات فارغة لاناس اخرين لان القاعة المذكورة كانت تسع نحو ثلاثمائة نفس

وكان المشهد حقيقة فوق العادة كانهُ من اعمال الجان ويكفي لانسلاب المرء ان يلقي نظرة واحدة على تلك الجمعية الزاهرة فان الاكتاف البديعة العارية كانت تتموج تحت الانوار المتدفقة عليها من الثريات والاوجه ضاحكة والجباه مشعشعة والاعين متقدة والشفاه باسمة والخلاصة ان جميع تلك الهيأة من رجال ونساء كانوا مائلين للمسرة

وكانت احجار الياقوت والزمرد والالماس تشعشع في تلك الحفلة وتنبعث اشعتها البراقة من مكان الى اخر بما يبهر النظر ويظهر على الرؤوس كسائل من نور والذي يلوح ان اجمل نساء باريس اتفقن في تلك الليلة على الاجتماع في منزل كولانج لان جميع الحاضرات كنَّ من ملكات الجمال المتفردات بالحسن فكن يتنازعن الزهو والامتياز والظرف وقد ظهر الزي في تلك الثياب الفاخرة بزيد رونقهِ والبذخ بمنتهى ابداعه

وبالحقيقة ان الموجودين في تلك الحفلة كانوا نخبة اعيان باريس وعظمائها من الاذكياء واصحاب الالقاب والاغنياء وخلاصة القول ان باريس المعروفة كان يمثلها في تلك السهرة بعض مشاهيرها في المجالس والعسكرية والادب والعلم والفنون والشرف

وكان يرى بين الحضور عدة من كبار السياسيين المنتمين الى حزب الشمال في مجلس النواب ·

ولا يخفى ان الموسيو دي كولانج من اصحاب الافكار المتسعة الحرة فكان يتبسم لهذه الالفاظ

شرعي وحق الهي) التي يتمسك بها انصار الملكية وهو من المحازبين لضرورة احترام الاصوات العمومية ولا يتصل شيئًا على حقوق الشعب وكان يرى ضرورة تأييد الامبراطورية ولكنه ما لبث ان حيا الجمهورية التي انقذت فرنسا وانضم بصراحة اليها مصوبًا كلمات الموسيو تيرس الذي قال ان الجمهورية هي هيأة الحكومة الوحيدة التي تخفض انقساماتنا وهكذا ترك المركيز دى كولانج اراءه القديمة غير منكر بخلاف سعادة وعظمة فرنسا وتحول بصدق الى رجل جمهوري

وكان اوجين دى كولانج بحسب مبادئ تربيته من افكار ابيه يحب الاجتماع باناس يبرزون اراءهم ويتكلمون بحرية عن مستقبل البلاد

وكان في المنزل المذكور فضلاً عن الممشى الذي يودي الى قاعة الاكل والمشروبات والفناء الذي تحول الى شبه جنينة عدة قاعات اخرى كبيرة مفتوحة للمدعوين ومع كثرتهم كانوا يمشون مرحًا ذهابًا وايابًا وكانت المركيزة وبجانبها مكسيمليان والسيدة دى فاكور وابلين وعدة نساء وافقات على مسافة قريبة من مدخل القاعة لاستقبال المتاخرين الذين كانوا يتقدمون من وقت الى اخر وكان يحضر للاعلان بمجيئهم خادم بثياب سوداء وربطة رقبة بيضاء اما المركيز فكان ينتقل من قاعة الى اخرى للترحيب بالزائرين

وكانت المركيزة محاطة باناس كثيرين جاؤوا لتهنئتها وهم يبالغون بالثناء عليها فكانوا يقولون لها ان حفلتك هذه يا حضرة المركيزة هي غاية في الرونق والبهاء وليس لها مثيل بين الحفلات حتى يخيل لمن فيها انه في بلاد الجان والسحرة

اما السيدة دى كولانج فكانت تجيب على ذلك بمنتهى الظرف وتبتسم للجميع وتخاطب كلاً بما يسره من الالفاظ اللطيفة حتى تجردت برهة من افكارها المحزنة ومخاوفها القاسية

وكانت الانظار جميعها شاخصة الى مكسيمليان وابلين اللتين لا يشبع من النظر الى جمالهما والاعجاب بهما والناس تظهر العجب وتقول ما احلاهما وما ابدعهما وبالحقيقة ان هاتين الصديقتين كانتا بظرف لا يعادله خلاف الظرف الالهي لهما بلون زاهٍ وجبهة مشعشعة واعين مسكرة وشفاه متبسمة وكان ينبعث من اعينهما انوار الفرح والسعادة وبالاجمال ان كل شيء فيهما كان مشرقًا نيرًا يولد الانسلاب وينشر حولها اشعة البهاء التي لا تغلب

وكان موجودًا هنالك كثير من البنات والنساء الشابات الجميلات ولكن جمالهن بالنسبة الى ابلين ومكسيمليان لم يكن شيئًا مذكورًا والجمال الوحيد الذي يشابه جمال السيدة دى كولانج في تلك الحفلة انما هو جمال السيدة دى فالكور

وكان اوجين واملين يتبادلان على الدوام نظرات الحنو والحب ثم يلقيان الى بعضهما من وقت الى اخر بعض كلمات بصوت منخفض

وكان يظهر من اعين اميلين الفاترة انها تقول لاوجين لست جميلة الا لك .لك وحدك اما نظرات اوجين فكانت تجيبها على ذلك بقولها احبك

ولما انتهى لا زال من تلحين احدى الاغنيات الافريقية تقدم الخادم الواقف في الفناء على باب القاعة وصرح باسماء المدعوين الذين حضروا اثناء الغناء. فقال حضرة الكونت دي روكاس وحضرة الكونت دي مونتكارين

وعند استماع الاميرال سيسترن لهذا الاسم الكونت دي روكاس القت راسه فجأة عن غير اختيار ونهض نصف نهضة عن مقعده واذا بعجوز من السيدات اقتربت من المركيزة والقت في اذنها بعض كلمات ثم دخل الكونت دي روكاس يتبعه الكونت دي مونتكارين فاخذ الاميرال يتامل بفضول ذلك الشريف الغريب الكونت دي روكاس وكان لابسا على صدره نيشانًا محجرًا بالالماس ونحو اثني عشر وسامًا من درجات اخرى وبعد ان تقدم بضع خطوات في القاعة وقف عن مداومة التقدم وظهر للحاضرين كانه يبحث بنظره على شخص ثم لمعت اعينه فجأة وهش وجهه لدى مشاهدة العجوز التي همست في اذن المركيزة تقترب منه وكانت العجوز المذكورة هي المركيزة دى نوفيل فقالت من هنا ياسيدي لقد تنبهت المركيزة دى كولانج الى حضوركما وهي بانتظاركما تعالا لاقدمكما

قال جوزي قدمي ابن عمي اولاً اذا حسن لديك ياحضرة المركيزة ثم حاد من الطريق لمرور الكونت الشاب الذي بادر لتقديم ذراعه الى العجوز المذكورة فنهضت السيدة دى كولانج لاستقبالهما وقالت السيدة دى نوفيل اسمحي لي ياحضرة المركيزة ان اعرفك بحضرة الكونت لوفوديك دي مونتكارين وابن عمه حضرة الكونت دى روكاس احد اشراف البورتغال الذي يحب فرنسا ولا سيما باريس كرجل باريسي

قالت المركيزة بصوتها العذب اهلاً وسهلاً بكما ياسيديّ انني اشكر المركيزة دى نوفيل التي شرفتنا بحضوركما الى سهرتنا هذه

فانحنى جوزي بتمام الاحترام واللياقة وقال ان الشرف هو لي ولابن عمي ياحضرة المركيزة

قالت السيدة دى نوفيل يمكنكما ان تشكرا حضرة السيدة دى كولانج لان الدعوة الى مثل هذه الحفلة تعطف عظيم

قال المبور تغالي والذي يزيد في عظمة هذا التعطف هو دعوتنا اليها قبل ان نحصل على سعادة التعرف بحضرة المركيزة فنحن نعتبره والحالة هذه كشيء لا يثمن

وكان الكونت دي موتكاربن ينظر بسهور لا يفارق اليبنبين فتمتم اني ممتن لحضرة المركيزة الى الابد

ثم قال في نفسه لا بد ان تكون احدى هاتين المبنتين المسكرتين في السيدة دي كولانج ولكن ايتها يا ترى فهما متساويتان بالجمال والظرف ثم راجع نفسه وقال ان هذه الفتاة التي يترجم نظرها عن اشياء كثيرة خفية هي الاريب السيدة مكسميليان

وكان مصيباً في ذلك لان احساسات قلبه عرفته عن بعد بالسيدة دي كولانج فبقي ينظر اليها

المبقية تاتي

اخبار واكتشافات واختراعات

الكلاب في بفاريا

ان الحكومة في بفاريا اتخذت احتياطات جديدة متشددة ضد الكلاب لوقاية البلاد من مرض الكلب فقد رأت ان احسن علاج لهذا المرض انما يكون باستعمال جميع الوسائط المحكمة للوقاية منه فامرت باعدام كل كلب لا يكون له صاحب خصوصي مسئول عنه ولا يوجد في عنقه ميدالية معدنية تصرح بدفع الرسم المعين عليه لصندوق الحكومة و بعدد الكلب المقيد في سجل القضاء اما هذه الميدالية فتعطى من دائرة البوليس و يجري ابدالها وتغييرها في كل سنة فتارة تكون من النحاس الاصفر وتارة من النحاس الاحمر واخرى من التونيا بحيث يمكن البوليس من النظرة الاولى ان يعرف الكلاب القانونية من غيرها ومن المفروض على اصحاب الكلاب ان يحضروا كلابهم في كل شهر الى دائرة فحص الحيوانات الرسمية حتى اذا وجدت صحيحة الجسم تعطى الميدالية القانونية والا تعدم باطلاق الرصاص واذا اخل احد ببعض هذه النصوص بان تأخر عن دفع الرسم مثلاً مدة اسبوعين يغرم بجزاء نقدي باهظ ثم على اصحاب الكلاب ان يتندموا لتقييد كلابهم في السجلات وفحصها ودفع الرسم عنها بعد ولادتها بثلاثة شهور وعلى

فرض ان كلبًا انتقل بطريق المبيع او الهبة او غيرها من شخص الى شخص اخر فمن اللازم ان يبلغ ذلك الى دائرة البوليس ولا يصح المبيع ما لم تدفع عنهُ الرسوم المستحقة

اما الرسم المعين على الكلاب فيختلف باختلاف القضاوات ويكون من ٢ ماركات الى ٥ في السنة ولا يؤذن للكلب ولا لصاحبهِ ان يغير محل اقامتهِ بدون ان ينبه الى ذلك دائرة البوليس لان هيأة والوان الميداليات لا تتغير فقط بحسب السنين بل بحسب الاحياء والقضاوات ايضًا ومن الضروري ان يعرف مكان الكلب والقضاء الذي يقيم فيهِ

آكالو الابر

ان كثيرين من صحيحي الاجسام والعقل يميلون الى اكل الابر ويأكلون منها اعدادًا وافرة فقد حدث فابرس دي هيلدن انهُ يعرف امرأة بصحة جيدة كانت تبتلع في اوقات الفراغ والضجر كميات كثيرة من الابر تخرج من جلدها بعد ابتلاعها بست سنوات ثم تعددت امثال هذه الحادثة في فرنسا واسبانيا والمانيا وفي سنة ١٨٨٣ بينما كان بعض الخدم وله من العمر ٢٣ عامًا يعالج في سكاندينافيا عند احد الاطباء بمرض عصبي ظهر تحت ركبتهِ تضخم خرج منهُ ابرة ثم اثنتان ثم ثلاث وظهر بعد ذلك عدة تضخمات في جهات مختلفة من جسده كانت تخرج منها الابر بكثرة حتى بلغت ١١٠ ابر وقد اعترف المريض انهُ ابتلع في حياتهِ قسمًا وافرًا منها ويظهر من مطالعة اعمال الجمعية الطبية في اسوج سنة ١٨٢٣ ان هذا الميل الى ابتلاع الابر لم يظهر حديثًا كما توهم البعض فان احد المرضى اصابهُ مثل هذا التضخم سنة ١٨١٩ وجعلت تخرج الابر من الاماكن المتضخمة حتى خرج منهُ ٢٧٢ ابرة وفي سنة ١٨٣٠ فلج ذراعاه وسنة ١٨٢١ خرج منهُ مقدار مئة ابرة ثم اجبر سنة ١٨٢٣ على دخول المستشفى حيثما خرج منهُ في تلك السنة ٢٣ ابرة فيكون مجموع الابر التي خرجت منهُ في بضع سنوات ٤٠٥ ابر

مروحة فريدة

ان السيدة دي باتي من مشاهير المغنيات الافرنجيات تحمل مروحة فريدة في نوعها وبلا مثيل في العالم فان جميع الملوك المعاصرين كتبوا عليها بخط ايديهم اقوالاً مختلفة تتضمن الثناء عليها والرضاء عنها فكتب القيصر لا شي يسكن مثل غناك وكتب امبراطور المانيا الى بلبل جميع الازمان وكتبت الملكة خريستينا في اسبانيا المملكة تفتخر بان تحسبك في جملة رعاياها وكتبت الملكة فيكتوريا اذا صدقت كلمات الملك ليار القائلة ان الصوت المعذب موهبة ثمينة تكونين انت يا عزيزتي ادلينه اغنى النساء واقتصر الامبراطور النمساوي والملكة ايزابيلة على وضع امضائهما وكتبت ملكة البلجيك صورة المصراع الاول من اغنية شهيرة ثم يوجد في وسط المروحة هذه الكلمات

امد اليك يدي يا مليكة الطرب مذيلة بهذا الامضاء تيرس رئيس الجمهورية الفرنسوية

عدد سكان الارض ومساحتها

عرض على المجمع العلمي الفرنساوي كتاب يتضمن احصاء سكان الارض ومساحة سطحها بمزيد التدقيق وقد ظهر من هذا الاحصاء ان اقسام العالم الخمسة تبلغ مساحتها مائة وستة وثلاثين مليون كيلومتر مربع وان سكانها مليار واربعمائة وثلاثة وثلاثون مليونًا ومن العجيب ان ثلثي هؤلاء السكان يسكنون ارضًا مساحتها ١١ مليون كيلومتر مربع (اي جزءًا من اثني عشر جزء من مساحة الارض) ففي اوربا ماعدا الروسية وسكاندينافيا يوجد ٢٤٥ مليونًا وفي الهند ٢٥٤ وفي الصين الاصلية واليابان ٤٣٠ وقد ظهر من التحقيق والاختبار ان الناس يكثرون في الوديان التي تغزر فيها مجاري المياه بسبب خصب الارض وسهولة الاتصالات والتنقل ثم في الشطوط البحرية طمعًا بالصيد والملاحة ثم في السهول المحاطة بالوديان والتلال حيثما يستخرج منها الفحم الحجري وتكثر المعامل ثم حول المدن الكبيرة ثم في المقاطعات المخصبة اذا لم يكن ثمة مانع من الحالة الاجتماعية وبالعكس قد يقل وجود السكان في السهول المرتفعة والجبال ولاسيما في المقاطعات الشمالية الاوربية شمالي سين بطرسبرج وفي الصحارى الجنوبية الشرقية القاحلة من اوربا

الملح للمواشي

ان استعمال الملح مع العلف للمواشي يفيدها كثيرًا فانه يزيد قابليتها للاكل وينشطها ويقوي عزائمها وقد ادرك الافرنج فوائده واصطلحوا على استعماله في غذاء مواشيهم ولكن ظهر بالاختبار انه مضر في بعض الاحوال وذلك عندما يقل النبات ولا يعود للمواشي شيء مما ترعاه من الكلاء فان استعمال الملح حينئذٍ يضعفها ويهزلها وحتى صارت الى الهزال يصعب انقاذها منه

ثم نستلفت الانظار الى ضرر استعمال الملح لاناث المواشي المشرفة على الولادة وخير الوسائط لاستعماله ان يخلط بالعلف جيدًا بسحوقًا ومحلولًا وان لا يعطى قطعًا كبيرة لئلا تنشأ عنه اضرار عظيمة في حال انتشار الامراض بين المواشي

الصفير

اصطلح الافرنج على الصفير في المحافل العمومية علامة للتقبيح وقد كتب الموسيو دي جاردين فصلًا بحث فيه عن تاريخ هذا الاصطلاح وعما اذا كان لكل من الحضور حق بالتقبيح كما له حق بالاستحسان ومما ذكره ان اصوات الصفير الاولى سمعت سنة ١٦٨٠ كما يستناد من بعض ابيات لراسين وذهب آخرون انها لم تسمع الا في ١٤ كانون الثاني سنة ١٦٨٦ في رواية هوليت لطوما زكورنيل والحقيق ان الصفير وجد قبل هذين التاريخين فان بوالو تكلم عنه

في بعض ابياتهِ سنة ١٦٦٤ وقال في ابيات اخرى نشرها بين سنتي ١٦٦٩ و١٦٧٤ ان الصغير حق يشتريهِ المرء على الباب عند دخولهِ وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر صفر لكثير من المولفين والمشاهير وفي جملتهم فولتير وتالما (الممثل الشهير) وغيرهما من الافراد ثم ختم المسيو ديجاردين الكلام بقولهِ ان هذا الاصطلاح منتشر الان في جميع جهات العالم ولا يوجد بلد خالٍ منهُ خلاف الصين ولولاها لامكن القول انهُ عام الارض

الجرائد في اميركا

احصت الجرائد في اميركا فبلغ عددها ١٥٤٣٠ جريدة مجموع ما يطبع منها في الاوقات المعينة لصدورها ٢٠١٦٥٢٠٠٠ نسخة منها ١٧٩٤٦٢٥٠ اسبوعية و ٦٠٥٨٢٥٠ شهرية و ٤٧٧٣٥٠٠ يومية و ٧٩٦٧٥ نصف شهرية و ٢٢٤٠٠٠ نصف اسبوعية و ١٩٢٢٥٠ كل ثلاثة اشهر فتكون الجرائد الرائجة فيها كثيرًا هي الجرائد الاسبوعية وذلك بخلاف البلاد الفرنساوية التي تروج فيها الجرائد اليومية ويوجد بين هذه المنشورات ثلاث عشرة جريدة يطبع منها في كل مرة مائة وخمسون الف نسخة ثم اثنتا عشرة يطبع منها مائة الى مائة وخمسين الف نسخة

ولا يخفى ان اهالي كنادا والولايات المتحدة يبلغون الان خمسة وستين مليونًا فلو قسمنا هذا العدد على خمسة باعتبار ان كل عائلة تولف من خمسة انفس لبلغ مجموع العائلات فيها ثلاثة عشر مليونًا ويصيب كل عشرة انفس خمس نسخ وكل عائلة نسختان ونصف بما فيهِ الاولاد والفقراء والجانين ومن هذا يستدل ان اميركا الشمالية تمتاز الان على سائر الامم في رواج المطبوعات

اللغة الفرنساوية

قدم المسيو بطرس ماليبزت الى الجمعية اللغوية الفرنساوية تقريرًا يتضمن ادخال بعض الاصلاح في تهجئة الالفاظ الفرنساوية وتطبيقها على الاصل المشتقة منهُ ثم الغاء بعض الاحرف المزدوجة التي توجد في بعض الكلمات ولا توجد في اصولها والاستعاضة عنها بحرف واحد وقد سلمت بعض الجرائد بامكان تحقيق الراي الثاني ولكنها انكرت عليهِ الراي الاول المتعلق بتغيير كثير من الالفاظ الفرنسوية لتطبيقها على اصول لا يعرفها الفرنسويون

الة قطع الرأس (الكيلوتين)

وضع جديدًا في متحف اليفاكس اثر قديم عليهِ نقوش يستفاد منها ان اهالي بابولي كانوا يستعملون منذ قرنين تقريبًا آلة قطع الراس المصطلح عليها الان في اوربا وهي المعروفة بالكيلوتين فثبت من ذلك ان نسبة اختراع هذه الالة الى الدكتور كيلوتين غير حقيقية وانها معروفة منذ قرون في ايكوس واستعملتها المانيا في الاجيال الوسطى وقد اخذها الالمان عن الابطاليان الذين اعدموا بها في نابولي

سنة ١٣٦٨ احد مشاهير اللصوص وليس الايطاليان ايضًا هم مخترعو هذه الالة حيث من المؤكد انها استعملت في بلاد الفرس قبل ان عرفت في اوربا ولا ريب ان الفرس اخذوها عن غيرهم من امم اسيا

لغة القفافيز

اصطلح النساء والبنات في القاعات الانكليزية على لغة جديدة لم يسبقن اليها وهي التعبير عن افكارهن بواسطة القفافيز التي يلبسنها ونحن نقدم هنا انموذجًا من حديث هذه اللغة الغريبة فمن ذلك انهن يعبرن عن معنى الايجاب برمي القفاز من اليد اليمنى الى اليد اليسرى وعن معنى السلب بتقليب القفازين سوية وعن عدم الاهتمام والاكتراث بتجريد بعض اليد اليمنى من قفازها وعن هذه العبارة اتبعني الى الجنينة او الى الغرفة المجاورة بضرب القفازين على الذراع الايسر كمن يحاول نفض الغبار عنه وعن هذه الكلمات احبك دائمًا بطي وتمليس القفازين واذا ارادت السائلة معرفة جواب المخاطب وهل يحبها كما تحبه تلبس نصف القفاز في اليد اليسرى ثم يعبر عن التحذير بلف اصابع القفاز على الابهام واذا ارادت المتكلمة اظهار الكدر تضع القفازين بهيئة صليب على الطاولة او غيرها من الامتعة الموجودة امامها

شعر الرنه والغرق

صرح بعض الباحثين بعد تجارب مختلفة فائدة شعر الرنه (وهو حيوان كالغزال يعيش في القطب الشمالي المتجلد) لاصطناع كل ما يلزم لانقاذ الغرقى ومنع الغرق وقال من المحتمل ان يفيد شعر الغزال نفس هذه الفائدة والذي ثبت من تجارب الباحث المذكور ان هذا الشعر له خاصة عظيمة وهي العوم بقوة على وجه المياه فاصطنع منه نسيجًا وعمل من النسيج فلكًا ثم ركب هذا الفلك مع اثنين من اصحابه المعتقدين بنجاح مشروعه فلم يغرق احد وبقي الفلك عائمًا ولما تأكد ذلك اصطنع ثيابًا من هذا الشعر لانقاذ الغرقى ومنع الغرق وتحقق بالتجربة ان من يلبس بدلة كاملة من هذه الثياب لا تغمره المياه ويبقى عائمًا الى ما شاء الله وياحبذا لو امتحن الباحث شعر الغزلان كما امتحن شعر الرنه لان هذا الحيوان ينحصر في اقرنة من قرى في الارض وبعز نيلة بخلاف الغزال فانه موجود في جميع جهات الارض تقريبًا

الزواج والطلاق في فرنسا

أحصي عدد الزواج والطلاق الذي حدث في فرنسا سنة ١٨٨٦ فكانت عقود الزواج ٢٨٣١٩٢ عقدًا منها ١٥٠٤٠ في السين و١٠٠٠ في الشمال و٧٥ في مقاطعات الالب العليا و٨١٥ في مقاطعات الالب السفلى و٩٨٣ في اللوزير اما عدد المطلقات فبلغ ٢٩٤٩ منها ٦٥٠ في السين و١٥ في لاجيروند و١٠٧ في البوش دي رون و٥٠ في اللوار انفربور

و ١٠٤ في الشمال والروث اما في اللوزير ومقاطعات الالب العليا فلم يحدث طلاق على الاطلاق

مرصد نيس

هو احسن مراصد اوربا في الوقت الحاضر واغناها في الادوات اللازمة لرصد الافلاك بحسب احتياج العلم في هذا العصر شيد من ماله الخاص على جبل عالٍ بقرب نيس الموسيو بيشوفيم احد الاغنياء وقد انفق على تشييده وادواته نحو اربعة ملايين ووقف له من الاملاك والاراضي ما يتكفل بنفقاته الى ما شاء الله وقد احتفل اخيرًا هذا الرجل الكريم بدعوة المؤتمر الدولي الجغرافي الذي التأم في نيس الى وليمة حافلة شربت فيها الانخاب بصحته فاجاب على ذلك بما خلاصة بعضه

عند ما توفي والدي ترك لي عدة ملايين لم اكتسب منها بتعبي ولا بارة واحدة وكنت لا استحقها ولا بوجه من الوجوه فصرفت همي للبحث عن واسطة اعتذر بها لنفسي عن امتلاكي لهذه الثروة العظيمة ولم اجد خلاف تخصيص قسم منها لعمل عظيم مفيد فانشأت هذا المرصد الذي حصلت في هذه السنة على شرف اجتماعكم فيه

كاربر بيلوز النقاش

توفي هذا النقاش الشهير الفرنساوي منذ بضعة اشهر ومما يحكى عنه ان جمعية البانوراما البرلينية طلبت اليه يومًا عمل تمثال لولي عهد المانيا فرفض طلبها ولما تكرر عليه السؤال والالحاح بلزوم عمله قال ان ثمنه كبير جدًا فسئل وكم ثمنه يا ترى فانتصب النقاش بنتهى قامته وقال بخشونة خمسة مليارات (وهي الغرامة الحربية التي دفعتها فرنسا لالمانيا سنة ١٨٧١)

سنديانة تاريخية

يستفاد من بعض الجرائد ان السنديانة التاريخية التي سقط عليها المنطاد الذي حمل غامبتا من باريز اثناء محاصرتها من الالمان الى اللوار حتى يجمع جيشًا لانقاذ العاصمة من الاعداء قد قلعت اخيرًا وانه سيشيد بدلًا منها بناية عظيمة تبقى تذكارًا وطنيًا لهذا العمل العظيم

ونحن نذكر هنا لتفكيه القراء وحبًا بالفائدة التاريخية لمعًا من هذه الرحلة الجوية كما حكاها الموسيو غامبتا نفسه عند وصوله الى التور قال انه طفق يحدث السامعين بالاخطار التي عرض لها بسبب جبن الربان الذي خاف شديدًا لدى مشاهدة الرصاص متصاعدًا اليهم من الصفوف البروسيانية ولم يعد يهمه خلاف الانحدار الى الارض باسرع ما يمكن وبالرغم عن تهديدات الموسيو غامبتا والموسيو سبولير اعتمد على النزول بدون ان ينبهما الى ذلك فادار المنطاد مقدار نصف ساعة ثم اشرف على السقوط في اللوار ولما انتبه المسافران الى اقترابه من الارض مسك كل روفليرًا في

يده وقالا بسكينة للربان اذا نأوت
النزول تحرق دماغك بالرصاص فخاف منهما
وعاود المنطاد الصعود مستمراً على مسيره الى
ان خرق وتعطل برصاصة روسيانية
فاجبروا على النزول وكانوا اذ ذاك فوق
حرش فسمعوا حديثاً بين الاشجار واعلموا هل
المتكلمون المذكورون هم فرنساويون او
بروسيانيون وقبل ان يستقر المنطاد على
السنديانة التاريخية التي تقدم ذكرها راى
غامبتا ان يرمي راية مثلثة الالوان الى الحرش
فالتقطها الموجودون فيه وكانوا فرنساويين
فصاحوا يعرفونهم بانفسهم ثم عاونوهم على بلوغ
الارض ولدى معرفتهم قابلوهم بمزيد التحمس
الا ان البروسيانيين كانوا قريبين من ذلك
المكان ومن اللازم سرعة السفر فركب الموسيو
غامبتا والموسيو سبولير دابتين وفي نحو الساعة
العاشرة مساء كان الاثنان في مونتديديا
فذهبا الى دار الحكومة وبعد قرع الباب
طويلاً جاءت احدى الخدم وسالت ماذا
تريد ان قال غامبتا اريد مواجهة الحاكم قالت
من المستحيل مواجهته في هذه الساعة لانه قد
فصاح غامبتا متعجباً ماذا تقولين الحاكم يرقد
من الساعة العاشرة في وقت الحرب اذهبي
وايقظيه من اللازم ان اراه فذهبت الخادمة
مذعورة وبعد عدة دقائق حضر الحاكم
لاستطلاع امر هولاء الجسورين الذين كدروا
رقاده وسال غامبتا قائلاً من انت ياسيدي
اجاب انا وزيرك قال ولكن ياحضرة الوزير
كيف امكنك .... فقاطعه غامبتا متبسماً
وقال ليس لك ان تسالني بل لي انا ان اسالك
عما فعلته من حين قيامك في هذه الوظيفة اعطنا
قبل كل شيء ما ناكله لاننا على وشك الموت
جوعاً ثم سار بعد ذلك الى اللوار وفعل ما فعل
من جمع العساكر بقيادة الجنرال شانزي وتجديد
القتال وعدم النجاح الى غير ذلك مما يمكن
مراجعته في محلاته

روتشيلد

ترتفع ثروة هذه العائلة الى ثلاثة مليارات
ومئتي مليون فرنك اي مقدار القيمة التي بلغها
برنامج الحكومة الفرنساوية . ونصف باريز
تقريباً تخص هذه العائلة الان بالتملك الشرعي
ومن اغرب ما يحكي عن ثروتها الواسعة انها
دفعت منذ شهرين مبلغ ٢٧٣ مليوناً لميلانيه دي
روتشيلد وذلك عند زواجها بالبارون
دي زويلان كما يدفع غيرها من عامة الصيارف
غرشاً واحداً

لغة الحيوانات

كتب الموسيو شيفربل فصلاً اظهر فيه
بصراحة ان الحيوانات لها لغة مختصة بها وانها
تفهم من بعضها كما يفهم الانسان الناطق من
انسان اخر مثله وقد استدل على ذلك من
تغيير اصواتها بحسب الظروف والطوارئ.
وقال اننا مخطئون بعدم درس هذه اللغة
جيداً حتى نتمكن من فهمها وترجمتها

التقدم

ظهرت جريدة التقدم في اول هذا الشهر بشوب قشيب كبيرة الحجم غزيرة المادة متنوعة المواضيع فصيحة العبارة حسنة الاساليب بتولى ادارة تحريرها جناب صديقنا الكاتب الفاضل نجيب افندي ابرهيم طراد ويدير مهام اعمالها جناب الاريب الاديب اسكندر افندي جرجس طاسو وقد راينا فيها من الفصول السياسية والاخبار الادبية والفكاهية والتجارية ما يحلها محلاً رفيعاً من قلوب قرائها ويشف عن غزارة فضل المحرر وسعة اطلاعهِ وذكاء فؤاده وهي تصدر مرة في الاسبوع وقد تعين قيمة الاشتراك فيها عن كل سنة عشرة فرنكات ولا يخفى ان هذه القيمة هي قليلة جداً في جنب ما ينفق عليها من المصاريف الكثيرة وما تتضمنهُ من الفوائد المختلفة فنرجو اقبال الناس عليها تنشيطاً لحضرة مديرها ومحررها الفاضلين اللذين وقفا نفسيهما لخدمة الوطن العزيز والتقاطاً لدرر الفوائد المنثورة منها لمنفعة العموم

تنزيه العباد في مدينة بغداد

وهي نبذة في تاريخ بغداد وجغرافيتها وضعها جناب الاديب البارع المعلم نابليون افندي الماربيني البغدادي وقد ضمنها ذكر احوال بغداد القديمة مع ما جد عليها من التغييرات الحديثة وثمانية جداول في الخلفاء والسلاطين من بني العباس الى ال عثمان الكرام ثم تجارة بغداد ومعاملها ومصنوعاتها ومدارسها ومعابدها ومزروعاتها واخلاق اهلها الى غير ذلك مما تفيد مطالعتهُ فنثني على حضرة مؤلفها مزيد الثناء وهذا الكتاب طبع في مطبعتنا ويباع فيها

تاريخ روسيا

اهدي الينا الجزء الثالث من تاريخ روسيا الحديث بقلم الاديب البارع نخله افندي قلفاط وهو يشتمل على تتمة حياة اسكندر الاول وكل حياة نقولا الاول وبداية حياة اسكندر الثاني الى نهاية حرب القريم . وقد طالعناه فاذا هو غاية في حسن التعبير وصدق الرواية وجودة الاسلوب جمع بين اللذة والفائدة فنحض الناس على اقتنائهِ لان التاريخ من اجل ما تتحلى بهِ عرائس الافكار ولا سيما تاريخ الروسية لما بيننا وبين هذه الامبراطورية العظيمة من العلائق التاريخية

وقائع تليماك

هي قصة ادبية وضعها في اللغة الفرنسوية الاسقف فيلون الشهير لتهذيب وتثقيف دوك دي بورغونين ولي عهد لويس الرابع عشر وقد ضمنها نصائح وتحذيرات من الظلم والرذائل محرضاً بها تلميذه على اتباع جادة العدل والانصاف ومدمجاً جميع ذلك بحوادث بديعة نسقها بترتيب عجيب وعبارات هي بلا ريب منتهى البلاغة وحد الاعجاز. قد ترجمت هذه القصة الى العربية وطبعت ثانية بنظارة المعلم شاهين عطيه ثمنها ١٥ غرشاً

قصة حمزة البهلوان

هي قصة حماسية ادبية قد فسح بردها ونظم عقدها جناب نخله افندي القلفاط وزينها بالاشعار البديعة والمطارحات الرشيقة فجاءت من احسن القصص المعروفة تفوق قصة عنترة الفوارس بالشجاعة وكثرة الوقائع التي تاخذ بالنفوس كل ماخذ وهي مقسومة الى اربعة مجلدات قيمة الاشتراك بها عشرة فرنكات صدر منها المجلد الاول والمجلد الثاني وقد اخذنا الان بسرعة انجازها بمدة وجيزة

اعلان

بناء على ما نشره جناب الفاضل علي بك ناصر الدين في اخر السنة الاولى وفي الجزء الاول من هذه السنة اعلن لحضرة الجمهور اني قد التزمت طبع مجلة الصفاء هذه واعتمدت اتقانها وضبطها وجعل عدد صفحاتها في السنة سبعمائة وثمانياً وستين صفحة تصدر في كل شهر اربعاً وستين وقد اخترت لتحريرها نفراً من افاضل الكتبة المستعدين ان يدونوا فيها ما يهم ذكره من مقالات علمية وادبية وتاريخية وفكاهية وافردت باباً مخصوصاً للمراسلات والمناظرات الادبية التي يتحفنا بها اهل العلم والادب وعينت قيمة الاشتراك عن كل عام خمسة عشر فرنكاً في بيروت ولبنان وعشرين في الخارج خالصة اجرة البريد وأمل ان هذه الخدمة الوطنية تروق في اعين ابناء الوطن فيتلقونها بالرضى والقبول .

كاتبه

جرجي حنا

غرزوزي

وكلاء الصفا ومحلات الاشتراك

في بيروت ادارة المطبعة اللبنانية في الطابق العلوي من سوق الخواجات وعد ومتاني

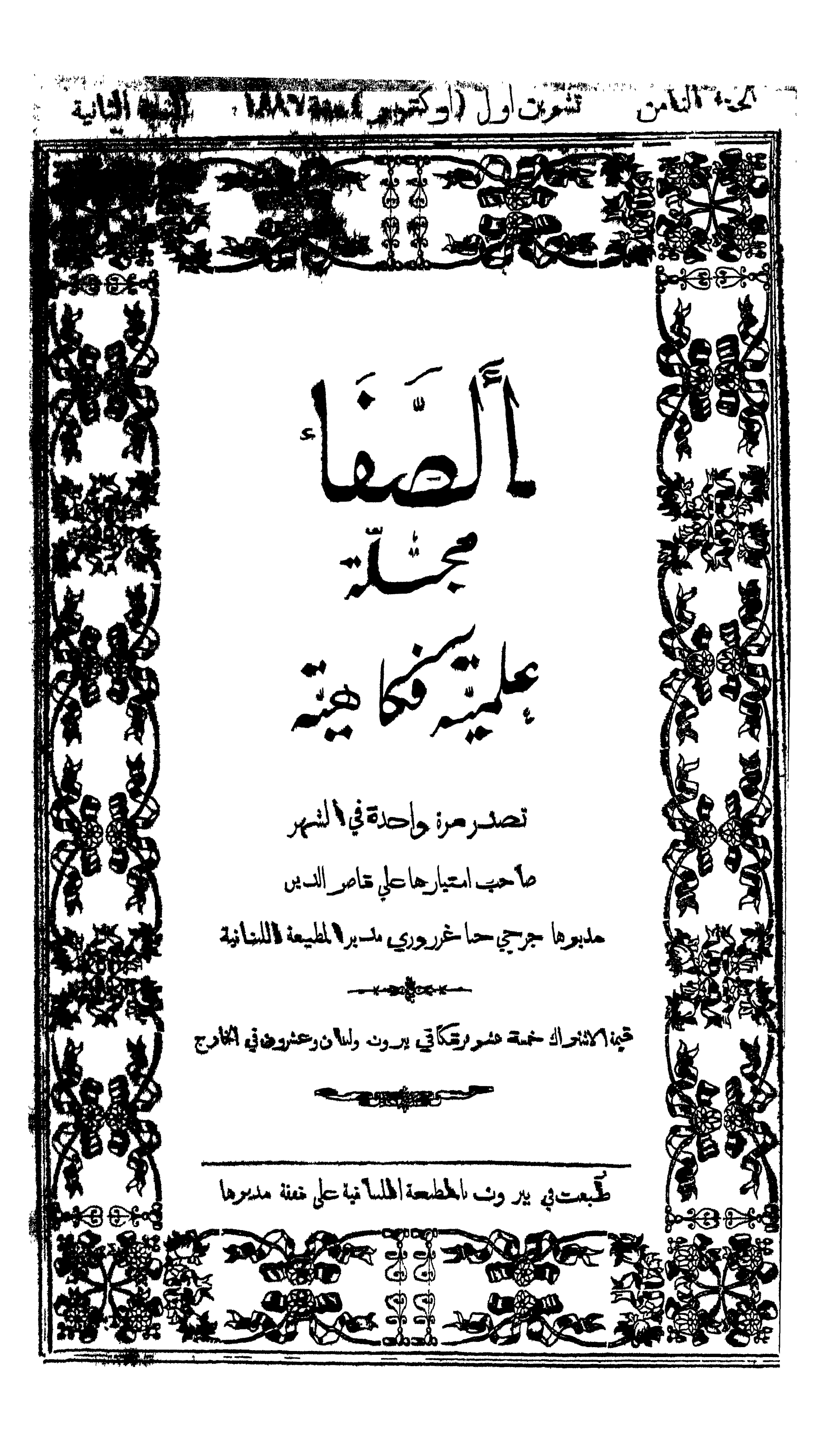
مركز متصرفية لبنان - ابرهيم بك الاسود
مركز قضاء الشوف - حسن افندي الخطيب
بغداد - الخواجه نابوليون الماريني
حمص - سليمان افندي يوسف نعمه
حماه - الدكتور امين افندي الحلبي
حوران - الشيخ علي القاضي
راشيا - عبدالله افندي مالك
زحله - شاهين افندي عازار
المعلقه - ابرهيم افندي فريحه
بعبدا - الدكتور فارس افندي ملاط
دير القمر - سليم افندي الجاهل
بعلبك - نقولا افندي الخوري
طرابلس الشام - المعلم ابراهيم بشاره الشويري
اللاذقية - أسعد افندي داغر
غزه - منيب افندي طنوس
دمشق - ميخايل افندي منصور
والخواجه يوسف الخواجه

الاستانة العلية - عبد الله افندي خياط
حلب - ميخائيل افندي [illegible]
الاسكندرونة - هنري افندي زربق
القدس - ملحم افندي صالح نصر
يافا - القس مراد الحداد والمعلم سليم ابو نادر
حيفا - الدكتور شكري ابو طاجي
عكاء - نعمان افندي ابي شعر
الناصرة - القس ساروفيم ابو طاجي
صفد - رشيد افندي حبيب
جديدة مرجعيون - يعقوب افندي نده
صيدا - قيصر افندي برتوران
الاسكندرية - حبيب افندي غرزوزي
طنطا - أسعد افندي دياب
دمياط - نخله افندي قصيري
اسيوط - جورج افندي خياط
عموم الارياف المصرية - رشيد افندي سعاده
وكيل جريدة الاهرام البهية

وكالة الصفاء العامة في القطر المصري

وكيلنا العام في مصر المحروسة وسائر القطر المصري فضل الله افندي غرزوزي فمن رغب الاشتراك في محل ليس لنا به وكيل خصوصي فعليه ان يخابره ويشترك على يده

الجزء الثامن   تشرين اول (اوكتوبر) سنة ١٨٨٦   السنة الثانية



الصفاء

مجلة علمية فكاهية

تصدر مرة واحدة في الشهر

صاحب امتيازها علي ناصر الدين

مديرها جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

قيمة الاشتراك خمسة عشر فرنكاً في بيروت ولبنان وعشرون في الخارج

طبعت في بيروت بالمطبعة اللبنانية على نفقة مديرها

اعلان

المرجو من حضرة مشتركي الصفا في بيروت ولبنان ان يدفعوا لمكتب الادارة او لحضرة وكلائها الكرام ما عليهم من قيم الاشتراك في هذه السنة وان لا يعتمدوا عند الدفع الا على الوصولات المطبوعة وعليها اسم ادارة الصفا والممضاة باسم وخط مدير المجلة المذكورة

كاتبه
جرجي حنا
غرزوري

المطبعة اللبنانية في بيروت

مستعدة لطبع الكتب العربية وما يلزم التجار من كمبيالات وحوالات واعلانات وخلاف ذلك باسعار هاودة . وهذا بيان بعض مطبوعاتها واثمانها وهي تطلب في بيروت من ادارتها ومن بقية المكاتب وفي الجهات من وكلاء هذه المجلة

تاريخ الرومانيين

من بناء رومية الى حين تلاشي الحكومة الجمهورية

هذا الكتاب المفيد قد وضعه في اللغة العربية نجيب افندي ابرهيم طراد وأودعه بعبارات منسجمة رشيقة انتقاداً ادبياً وملاحظات تاريخية عديدة ولا ريب ان المتفكهين ومحبي درس التاريخ ومعرفة آثار واعمال مشاهير رجال الاقدمين يسرون بتلاوته لانهم يرون فيه اصل اكبر ممالك العالم واشهرها في الزمان القديم والحديث مدينة صغيرة سمت وارتقت الى اوج المجد والفخار بفضائل بعض رجالها العظام وملكت بشجاعتهم اكثر الاقطار المعروفة ومن المؤكد ان درس تاريخ الرومانيين مفيد ولازم للاحداث الاولى يقتبسون منه محبة الوطن والفضيلة سببي تقدم كل بلاد وعمرانها . ثمنهُ ١٥ غرشاً

تاريخ

الدولة المكدونية والممالك التي انفصلت عنها

قد الف هذا الكتاب نجيب افندي ابرهيم طراد وذكر فيه اولاً كيفية تقدم الممالك وتأخرها واوجز المقال بتاريخ اجداد فيلبس لجهل المؤرخين حقيقة حالهم ثم اخذ في قص اخبار فيلبس فشرح وفصل وابان اجتهاد دمستينوس خطيب آثينا البليغ في اضرام نار الشجاعة بقلوب مواطنيه واثبت بعده تاريخ اسكندر ذي القرنين ضارباً صفحاً عن خرافات كثيرة رواها الاقدمون وذاكراً غيرها مع التنبيه عليها واظهر بعد موت هذا البطل حالة سلطنته الواسعة وانقسامها وختمهُ بخضوع جميع الممالك المنفصلة عنها لسلطة الرومانيين ثمنه ١٠ غروش



الجزء الثامن من السنة الثانية

في ٩ و٢١ تشرين اول ١٨٨٧ = الموافق ٢٧ محرم ١٣٠٤

علاج جديد للهواء الاصفر

نشرت جريدة اللفنت هرلد الانكليزية الفرنسوية المطبوعة بالاستانة بتاريخ ٢٣ و٢٤ آب (اغسطوس) رسالة للطبيب ديجردان المقيم في العاصمة اودعها كاتبها نصائح مهمة ومفيدة لاتقاء شر علة الهواء الاصفر والنجاة منها بايسر الوسائل واختمها بما لم يخطر على بال طبيب قبله فاخترنا لذلك تعريبها حرصاً على فوائدها قال الكاتب

ان الذي لم تعم بصيرته وبصره آراء المدرسين ودروس المدارس والذي يبحث عن الحقيقة لاجل الحقيقة نفسها وهو مُعْرِض عن جهل الراغبين في اخضاع الطبيعة لاهواء التصور وقواعد التخيلات يعلم ان الهواء الاصفر ليس الداء الذي يتوهمه كثيرون

ترتعد الفرائص عند ذكر اسم هذه العلة التي يزيدها هولاً اقترانها بلفظة العدوى غير ان عدواها ليست بالطريقة التي يظنها الجمهور واطباء كثيرون بل تكون بواسطة وبعبارة اخرى بسيطة تفهمها العامة اقول ان المرء يمكنه بلا خوف ان يعتني بالمصاب ويلمسه ويعيش معه ويتمرغ بعرقه كما تحققت بالاختبار سنة ١٨٦٥ ولا يعديه سوى الهواء والنور ومجاري المياه والرياح وبالجملة فمصدر العدوى كل ما يحمل الهواء او واقع تحت فعله وليست ملامسة المصاب او جثته بشيء من ذلك

وللهواء الاصفر نواميس ثابتة ومؤكدة كباقي الادواء المُعْدية وغير المُعدية ويلزم لظهوره

حالات هوائية وصحية وفيزيولوجية معلومة لا يقوم ولا ينشو بدونها واذا لم يكن بالانسان استعداد لهذه العلة فلا خوف عليه منها ولو عاش مع المصابين غير انه يجب عليه اجتناب الرعب فالرعب من اعظم الاسباب المساعدة على ظهورها و يتلو ذلك الافراط في الأكل وشرب الاشربة المسكرة ولما كان المرء غير قادر على نزع الخوف اذا الخوف داهمه فعليه اذ ذاك ان يبتعد ما امكنه الابتعاد عن الاماكن الناشي بها المرض

واسباب الهواء الاصفر اختلال كهربائي في الهواء والمواد المركب منها فيزداد ضغطه و يحدث في الجسم اعراضاً تنبئ عن قرب ظهوره واهم تلك الاعراض بطوء في دورة الدم كما يلاحظ ذلك من بطوء حركة النبض وحصول انزعاج قلبي وعام وان بطوء حركة النبض مهم جداً لجهل الاطباء له وعدم ذكره بكتاب او تقرير ولان هذه العلة سواء كانت قوية او ضعيفة لا بد من ان تداهم المرء اولاً على هذه الصورة ولو اختفت احياناً الاعراض المشهورة مثل الاسهال والتقزز ويكون ذلك قبل بضعة ايام وهي العلامة التي اعطتنا اياها الطبيعة تنبيهاً لنا على ما سيفاجئنا وحثاً على اتخاذ الوسائل الواقية في اوانها وهي اشد نفعاً من جميع الاحتياطات المصطلح عليها في المجامع الصحية دفعاً لعدو لم يزل مجهولاً على رغم تقدم العلم وافتخارنا بتقدمه

والعلم مشتغل بهذه الايام في درس الجسيمات الجهرية وهو بحث زاده وضوحاً وتفصيلاً العالم العلامة باستور فلا تلهج الالسنة الا بهذه الذريرات ولا يهتم الدارس والباحث بغيرها فيسعيا كلاهما في محاربتها او اماتتها او تربيتها وتخفيف سمها لاتخاذها سلاحاً واقياً منها ولكن كل ذلك لم يأت بنتيجة مهمة ولم يقو على نزع ونلاشي العلة

وليعلم الجميع ان الهواء الاصفر ليس مخيفاً كما يصوره لنا جهلنا وجبننا وتذكرنا الاوبئة السالفة وشدة تعلقنا بالحياة وبالحقيقة ان الذين يموتون بالهواء الاصفر هم اقل من الذين يموتون بالامراض الاخرى ومعالجته ايسر من معالجة أدواء كثيرة ومما يجب ملاحظته انه في حين انتشاره يحسب المائتون بعلل اخرى عادية في عداد الذين نشبت بهم مخالبه ٠

وهاك العلاج الواقي من هذه العلة وهو علاج شاهدت نفعه بالاختبار في الشرق اثناء المرات الثلاث التي ظهر بها الهواء الاصفر فيه

وقاية العموم ٠ — لا يخفى ان الهواء هو حامل الاوبئة وناقلها وهو متسلط على البشر يكتنفهم من كل جهة فلا يستطيع الانسان الى مقاومته سبيلاً فمنع العدوى الناشئة من الاقذار والمياه الفاسدة والمنازل الوسخة المضرة وشرب الاشربة المغشوشة لا يؤثر شديد تأثير بالهواء سبب هذه العلة الحقيقي والاصلي اما احسن وسيلة وجدتها نافعة هو اشعال النيران في الاغوار

والانجاد بكثرة في المساء ونصف الليل ويكون الوقود من النباتات المشابهة للصعتر واكليل الجبل ويلزم تقليل الخشب الصمغي لسبب الدخان الذي يصعد منه اما خشب الايكاليبتوس والزيتون فحسن وموافق

وهذه النيران تشعل في المدينة وما حولها الى بعد بضعة فراسخ وفي المدينة يوضع قليل من الكبريت المسحوق بعد خمود النار والبخور نافع جداً للتطهير فلا باس من استعماله

ويجب فحص البيوت والنوات وتنظيفها اما الحجر الصحي ووسائل التطهير المصطلح عليها فلا تفيد سوى اتعاب ذوي الامزجة العصبية وتسكين روع الاهلين والحجر الصحي لم يوقف قط فشو المرض بل اضر بالمعاملات التجارية وكثيراً ما كان سبب المرض لتجمع الناس في مكان واحد

ويجب نزح المياه الراكدة بسرعة شديدة وتنظف المستراحات دائماً وتطهر بكبريتات الحديد او كلوريد التوتيا والكلس ويحسن وضع قطع كلس في احدى زوايا هاوتجدد تلك القطع بالاسبوع مرتين وتطرح فيها بعد استخدامها ولا بد من تنظيف الشوارع وحلاتها بعد الظهر لان هذه الاعمال خطرة فلا يجب اجراؤها في الحر لئلا يتنوي الاصرويصبح المنظفون واسطة لسريان العلة

وبالجملة يجب تنظيف الشوارع والمشغل في الصباح والمساء والاستراحة بعد الظهر والاهم من كل ذلك تنظيف المنازل حيث يقضي المرء لياليه واكثر اوقاته والاعتناء بنظافة الجسد واجتناب الروائح الخبيثة وادخال النور الى الغرف لان النور هو الحياة غير انه يجب اغلاق الكوى من المساء اذ ضرر وفتك الاوبئة في الليل اشد منها في النهار

وقاية الافراد — "الافراط مضر" حتى في الوقاية فلا تفرط باستعمال شيء ولا تغير اكلك العادي الا قليلاً

اذا خرجت باكراً في الصباح فاياك والخروج صائماً وتناول حسب عادتك قليلاً من القهوة او الشوكولاتا الخ وقلل شرب الكحول ولا تشرب الماء بارداً وانت متعب وجسدك راشح وفنجان قهوة او شاي يروي الغليل اكثر من الثلج والاشربة الباردة وقلل ما استطعت شرب الجعة فهذا الشراب النافع في البلاد الشمالية مضرٌ في البلدان الحارة

كل اكلاً مقوياً ولا تفرط باكل اللحم وامتنع عن لحم الخنزير ولا تخف من اكل الخضر اذ آكلو اللحم هم عرضة للامراض الوبائية اكثر من آكلي الخضر واذا كنت تحب الفواكه فكل منها بلا خوف ولا حرج

واحذر من رطوبة الهواء في الليل والبس السمة مدفئة واجتنب مجاري الهواء المادمة

الصحة وبالاختصار كن فطيناً بلا افراط ولا تنهمك بالهواء الاصفر كثيراً ولا تخف من الذهاب ليلاً الى محالّ الملاهي والملاعب اذ الملاهي المعتدلة تنفع العقل كما ينفع الجسم الاكل المقوّي

الدواء الواقي — من الامور المقررة ان كثرة الادوية تضر والاطباء الحاذقون يمنعون عن تناول الادوية ما استطاعوا فيجب في حالة الصحة ان يكون اللباس موافقاً بريح الجسم ولا يسلب حريته وان تكون الرجلان دافئتين واذا كانت المعدة متعبة او اصابك قبض او اسهال فخذ في الصباح قبل الاكل ملعقة واحدة صغيرة من ملح سالد تس شاتنو تذوبها في كاس ماء مصفّى وعلى الاكل اذا لم تحصل على ماء مصفّى امزج مع الخمر ماء القطران او ماء سان غالميه

واعلم ان الانسان ياكل ليعيش ولا يعيش لياكل واذا كنت بطيء الهضم او شعرت بتعب عند نهوضك عن المائدة او كان مزاجك عصبياً او لمفاوياً فخذ بكاس ماء نقطتين من صبغة جوز القيء واحمل بجيبك زجاجة صغيرة فيها المواد الآتية ممزوجة

ألكول كامفره	غرام	٣
اتير سلفيريك	«	٣
صبغة جوز القيء	«	٤

ومتى شعرت بدوار مصحوب ببطوء النبض الذي ذكرته آنفاً فخذ قطعة من السكر او قليلاً من الماء مع خمس نقط من الدواء واذا لم تنقطع الاعراض فعد الى اخذ ذلك بعد عشرين دقيقة واذا اصابك اسهال او نقرز فخذ بلا خوف من ثلاثين الى خمسين غرام زيت خروع واربعة او خمسة فناجين شاي او زيزفون او لسان الثور

دفئ بطنك وعند الاحتياج افركه باللالكول كامفره مع صبغة الايكاليبتوس وغطه بالفلانلا وبعد اخذك المسهل بثلاث او اربع ساعات تشرب كل ربع ساعة فنجان شاي على اربع مرار وتضع فيه خمس نقط من الدواء المذكور

احذر من الافيون واملاحه ولا تعالج الاسهال بالادوية القابضة لان ضررها اكثر من نفعها ويصح بها قول المثل انها تخفي الذئب في الحظيرة - وينفع معتادي التدخين وغير المعتادين تدخينُ سيكارات كافور

وعلى رغم هذه الوسائل اذا ظهرت العلة ظهوراً تامّاً وذلك نادر فادعُ طبيبك وهو يعالجك حسبما يرى موافقاً

ومما يجب ويجمل ذكرهُ هو اني عالجت في الشرق اكثر من الفين وخمسمائة مصاب وقد

استعملت لنفسي وسيلة واحدة وافية وهي غريبة عجيبة يمكننا ان ندعوها تميمة

خذ صفيحة نحاس احمر رقيقة بيضية الشكل وقد والكف وصفيحة اخرى من التوتيا وضع بين هاتين الصفيحتين قطعة فلانلا ثخينة في صغرتيهما قليلاً واغمسها بماء ملح او ماء البحر وانقب اعلى الصفيحتين وادخل بالثقب شريط حرير احمر وضع هذا القرص الكهربائي على المعدة من جهة النحاس وعلقه بعنقك وامسحه كل يوم وغيّر قطعة الفلانلا كل يومين مرة او في الاسبوع مرتين

يظهر ان هذا الطبيب قد حسب الهواء الاصفر في عداد الحوادث الكهربائية فاستعمل له هذا الدواء العجيب وقد اطلعنا في اعداد المقتطف الى التابعة على رسالة من طبيب آخر في العاصمة يناقضه بها بطريقة غير علمية ولذلك لم نؤثر نقلها ولا تلخيصها

نجيب ابرهيم طراد

التطهير ومواده

قدّم مجلس الصحة في اقليم كونيكتكت من الولايات المتحدة لحاكم البلاد تقريرًا عن مواد التطهير مفاده ان غاية التطهير منع سريان الامراض المعدية باتلاف مسببات العدوى وذلك بواسطة المواد المطهّرة التي لا تصلح ان تدعى كذلك الاّ متى اتلفت جراثيم العدوى اتلافًا تامًا

وقد تقرر ان سبب العدوى في مواد كثيرة وجود جسيمات مجهرية حيّة في تلك المواد عُرفت بجراثيم المرض وموضوع علم التطبيب الان الاعتقاد ان اسباب العدوى في جميع المواد المعدية هي من هذا النوع فينحصر لذلك التطهير في اتلاف تلك الجراثيم المرضية

ولقد توسعت العامة في كلمة التطهير فاستعملتها لكل مادة كيماوية تزيل او تخفي الروائح الرديئة او توقف عمل الفساد وهلم جرًّا وهذا الخطأ قد ارتكبته الخاصة باستعمالهم ما يزيل الروائح الرديئة والتعفن لاتلاف جراثيم الهواء الاصفر والحمى التيفودية وخلافهما غير ان معنى تلك اللفظة لا يدركها المرء جيدًا الاّ متى عرف انه وجد اخيرًا بالاختبار ان الادوية المزيلة الروائح الكريهة والتعفن لا تصلح البتة لاتلاف جراثيم المرض كيف لا وان كبريتات الحديد المستعملة للتطهير قد وجدت غير نافعة لاماتة الجراثيم المرضية مع انها مفيدة جدًّا اذا استعملت لازالة الروائح الكريهة والتعفن

والمواد المزيلة التعفن تؤثر في جراثيم المرض تأثيرًا محصورًا واستعمالها نافع في ازمنة

الوبآء اذا وجد بالقرب من المنازل مواد آلية لا يمكن اتلافها او نقلها او تطهيرها واعلم ان كل مادة تُطهِّر تزيل العفن ولا بعكس فعند ظهور وبآء كالحمى الصفرآء والسودية والهوآء الاصفر يجب ازالة التعفن بالمواد المطهّرة المتلفة الجسيمات الحية لا سيما اذا عُرف ان جراثيم الدآء سرت الى تلك المواد المتعفنة

وتطهير غرفة المريض واجب وسهل اذ الجراثيم واماكن وجودها فيها معروفة واهمال ذلك يعدُّ ذنبًا عظيماً لان حصر المرض وسريانه متوقفان على تطهير غرفة المصاب وعدم تطهيرها

ومن المؤكد ان افراز المصابين بالهوآء الاصفر والحمى معدٍ سوآء كانت العلة قوية او خفيفة وربما كان انتشار الديسانتريا والامراض الدرنية والحميات بواسطة الجراثيم المتضمنة في سلح المرضى فمن المهم تطهيرها وفي الهوآء الاصفر والديفتريا والحمى الصفرآء يجب تطهير ما يتقيأهُ المصاب اما في الامراض التدرنية والدفتيريا وذات الرئة فيجب تطهير او حرق بصاق المريض وذلك ايضًا واجب في البول وطريقة التطهير تكون بتذويب كلوريد الكلس في ماء نقي ووضعهِ فوق المواد المعدية التي تمزجها بهِ وتتركها على الاقل ساعة واحدة قبل طرحها خارجًا او في المستراح ويُستعمل بروتوكلوريد الزئبق مع برمانكانات البوتاس والمآء

اما جسد المصاب واجساد الذين يخدمونهُ ويعالجونهُ فيجب تطهيرها بالكلور والصودا او الحامض الفحمي او البروتوكلوريد الزئبق ويطهَّرُ المجدور بغسلهِ بمذوب الصودا والكلور وفي الامراض المُعدية تطهر جثة الميت بالحامض الفحمي او بمحلول بروتوكلوريد الزئبق

والإغلاء يميت كل جراثيم الامراض المعروفة وهو مفيد جدًّا لتطهير الثياب والامتعة التي يمكن غسلها فاذا خلع مريض ثيابهُ يجب وضعها حالاً في مآء سخن او في محلول الزئبق والكبريت والنحاس مدة ساعتين قبل غسلها وتطهر الثياب ايضًا بوضعها مدة اربع ساعات في محلول الحامض الفحمي اما الالبسة والامتعة التي لا يمكن غسلها واغلاؤُها فتطهر بتعريضها لحرارة قوية جدًّا ناشفة مدة اربع ساعات في غرفة محكمة البنآء ومخصوصة بذلك والحرارة اللازمة اذ ذاك تكون ٢٣٠ درجة من مقياس فارنهيت غير ان هذه الحرارة غير كافية لازالة باشلوس المرض الفحمي وما شاكلهُ على انها تستطيع اتلاف جراثيم الادوآء الاخرى كالجدري والهوآء الاصفر والحمى الصفرآء والدفتيريا والحمى التيفوئيدية وغيرها والحرارة المصحوبة بالبخار اشد

تاثيرًا واعظم فعلًا

واذا لم توجد غرفة صالحة للتسخين فتطهر الامتعة بالتبخير بغاز الحامض الكبريتيك ويجب اذ ذاك اغلاق باب الغرفة ونوافذها اغلاقًا محكمًا لئلا يخرج الغاز منها وتنشر الثياب وتبقى كذلك مدة اثنتي عشرة ساعة وهذه الطريقة لا تصلح لتطهير الفرش والمخدات الملوثة لان الغاز لا يدخل اليها بسهولة واحسن وسيلة لتطهيرها وتطهير غيرها من الامتعة الخفيفة الثمن هي اعدامها وحرقها

وتطهر غرف المرضى مدة وجودهم فيها بتغيير الهواء وتجديده ولكنها متى فرغت يغسل كل ما هو ظاهر بها بمحلول كلوريد الحديد والزئبق وتمسح الجدران وتبيض وتفتح الغرف مدة اربع وعشرين ساعة ويجدد الهواء ثم تغسل ارضها وخشبها بالصابون والماء الحار وتعرض للهواء مدة طويلة والغرف التي كان بها مصابون بالجدري والحمى القرمزية والدفثيريا والتيفوس والحمى الصفراء تطهر بالطريقة المذكورة ويزاد على ذلك التبخير بغاز الحامض الكبريتيك

والمستراحات والمحال المطروح بها سلح وافراز المصابين تطهر ببر ونوكلوريد الزئبق وقد تقرر ان جراثيم الهواء الاصفر والحمى التيفودية تنقل الى الناس بواسطة الماء والطعام لا سيما اللبن فهذه المواد تطهر باغلائها ومن المهم ايام الهواء الاصفر ان يسخن الماء الى درجة الغليان ثم يقطر ويبرد بالثلج النقي

نجيب ابرهيم طراد

المرسلون الاميركان في بيروت

قد اعتاد بعض خطبائنا وكتابنا ان يستفتح كلامه وما يكتبه عن الوطن والديار الشرقية عمومًا بمدح القدماء الشرقيين والثناء عليهم كأن ما احرزه اولئك الاقوام الافاضل بالجد والاجتهاد في سبيل ترقية العلوم والمعارف يعذرنا على تقاعسنا عن ادراك تلك الرتبة العليا ويصوننا من لوم اللائمين وسهام المعنفين نعم ان الشرقي العربي قد طبع على حب الفخر والمجد والشرف وعرف بالاباء وعزة النفس والكرم كما هو معلوم ومشهور لدى الخاص والعام وكما هو ظاهر ايضًا باجلى بيان للباحث الغريب متى سبر غور هذه الامة ووقف على احوالها

وقصصها المدونة بصفحات التاريخ ولكن تلك السجايا الكريمة والصفات المحمودة لا تفيدنا شيئاً اذا اتخذناها وحدها شعارًا واكتفينا بها وغضضنا الطرف عن قصورنا الحاليّ ولاظنها في كل حال لا تسمح لنا بالخيلاء وانكار سبق غيرنا وتقدمهِ علينا في مجال الادب والحضارة بل الاتضاع فضيلة كبرى والشكر للمحسن من شيم الحرّ الكريم وضروريّات الانسانية

وكل من اطّلع على تواريخ الامم الاوربية الراقية في هذا العصر اوج العظمة والتمدن يجد ان هذه الامم مع ما هي عليهِ من رفعة الشان والثروة والنجاح تعترف بفخر واتضاع انها اخذت العلوم عن غيرها وان للعرب فضلاً عظيماً في تثقيفها لانها استنارت بنبراس تآليفهم واهتدت بنور تعاليهم أَولسنا نرى العرب انفسهم مقرين بفضل اليونان في المباحث العلمية والفلسفية والطبية وهل اقرارهم هذا خفض منزلتهم السامية ونقص مجدهم او أَقعدهم عن ادراك ما ادركهُ السوى والزيادة عليهِ

فاذا كانت هذه الحالة حالة الامم الشرقية والغربية في الزمان القديم والحديث فماذا يا ترى يمنعنا الان من احقاق الحقيقة ورفع برقع التجاهل واعلان شكرنا لمن كان الوسيلة في ارجاع نور العلم الى ديارنا وتثقيفنا في القرن التاسع عشر قرن التمدن والتهذيب

ولا يخفى على كل ذي بصيرة لبيب ان العلم في الايام المتأخرة قد اتسع مجالهُ وتغيرت احوالهُ ونقض الاختبار والتدقيق والاكتشافات الصناعية كثيرًا من قواعدهِ القديمة فاصبح العلم القديم كبيت ضاق باهلهِ وعبثت بهِ ايدي الزمان وتهدمت بعض جدرانهِ وتلفت بعض ادواتهِ وصار محتاجًا الى الاصلاح والترميم والتوسيع وذلك لا يتأتى الاَّ بوسيلتين اولاها الاقتداء بالقدماء والاتكال على انفسنا واختبارنا لاصلاح ما فسد وزيادة ما تمكن زيادتهُ وهذا السبيل كثير المشقات بعيد المسافة اما الوسيلة الثانية فهي الانتفاع بثمرة اختبار واجتهاد الغرباء وهي طريقة يسهل اتباعها وطريقٌ يهون اجتيازها لكنها تقتضي امورًا كثيرة ضرورية لا يمكننا ايجادها الاَّ بشق الانفس فهذه الضروريات قد اوجدها المرسلون الاميركان او ساعدونا على ايجادها

قلت المرسلون الاميركان وما ادراك ما المرسلون الاميركان هم قوم افاضل ودعاة ودعاء قد اجتابوا البلاد واتوا من اقاصي الدنيا من القارة الجديدة المفصولة عن العالم القديم بالبحار المحيطة والاقطار الشاسعة الواسعة وتجشموا اهوال السفر وعذاب مفارقة الاحباب قصد خدمة الانسانية ونفع النوع البشريّ

اما حكومتنا العثمانية السنية فلما كانت ساهرة على مصالح رعاياها وراغبة في نفعهم وتقدمهم

سمحت لاولئك الاساتذة النشيطين في بناء المدارس العديدة وتعليم العثمانيين ما يهمهم معرفته من العلوم الغربية المفيدة فاتى ذلك العمل باثمار شهية ونتائج حسنة ظاهرة لكل ذي عينين

ومن أهم اعمالهم المشكورة ما نورده هنا على سبيل الاختصار تذكرة وتنبيهاً

تمتاز طلبة المدارس الاميركية بتضلعها بالفنون الرياضية والطبيعية واذا رأينا الآن بعض المدارس البيروتية معادلة لها في ذلك فلانها حذت حذوها واخذت عنها

قد علموا تلك العلوم في اللغة العربية وتجشموا مشقات المتاعب ومؤلفاتهم المذكورة يفخر بها الوطن الا انه يسوءنا جداً استبدالهم اخيراً في التدريس لغة البلاد باللغة الانكليزية وظننا انهم لا يعذرون على ذلك مهما كان السبب الداعي اليه

لا يعترضون من يخالفهم بالتعاليم الدينية اعتراضاً فظاً عنيفاً كما يفعل باقي الاجانب نزلاء بلادنا بل من مبادئهم الحرية في الفكر والعمل

هم اول من سعى في ايجاد مدرسة الطب والمدارس العالية في بيروت واذا سعى غيرهم سعيهم واقتدى بهم فيبقى ما عملهُ دون ما عملوهُ

علموا مجاناً سعوا في اعالة الفقراء واعانة المحتاجين واتوا كل ذلك بلطف فائق يزيد احسانهم احساناً

يعلمون الدارس حسن الافتكار وصحة البراهين بخلاف باقي الاجانب الذين يقيدون العقل ويخضعونه لفعل التقييد الوهمي

كفاهم فخراً انهم اول من اتقن المطبعة العربية ولقد طبعوا كتباً كثيرة مفيدة باعوها بابخس الاثمان تسهيلاً لاقتنائها وهذا يذكرنا اعمال العالم العلامة المرحوم عالي سمث واجتهاد وتعب الاستاذ الفاضل والفيلسوف الشهير الدكتور فانديك ولا مشاحة انهم ينفقون في ديارنا كل سنة كميات وافرة من الدراهم والدنانير ولا قصد لهم سوى خدمة الانسانية وربما وجد بينهم اناس طمعون محبون للمال حريصون على اقتنائه فعمل هؤلاء لا يضر بالغاية السامية التي ارسلوا لاجلها ولا ينقص قدرهم وفضلهم تعامي بعض اللائذين بهم وطعنه عليهم بغضاً وحسداً

اما الآن وقد تعلم كثيرون منا العلوم التي تُعلَّم في تلك المدارس الاجنبية ونلنا الغاية التي لاجلها سمحت حكومتنا السنية لاولئك الغرباء بالتعليم فالمانع يا بني الوطن من الاقبال على المدارس الوطنية وتحسينها والسعي في تقدمها وتوسيع دائرة دروسها اذ لا يعوزنا لبلوغ هذا المأرب سوى بذل المال والمال موجود بكثرة والدولة العلية حفظها الله ساهرة على مصالحكم راغبة في تقدمكم مستعدة لمساعدتكم بكل الوسائل والوجوه «ط»

في الارنيشورنكوس

(من قلم جناب الاديب المعلم نابليون الماريني)
في بغداد

الارنيشورنكوس كلمة يونانية معناها منقار العصفور وهو من الحيوانات التي تستلفت الانظار اليها غرابتها العجيبة. وهيئتها الغريبة. وهو يقرب من اللبونة بجسده. ومن الطير بارجله الكفية. ومن البط بمنسره. ومسكنه في هولندة الجديدة فقط وهي البلد الذي فيه النمّ الاسود والسنجاب الطائر والكنكورو وغيرها من الحيوانات التي كانت مجهولة بالمرة قبل اكتشاف هذه الارض واستنفاضها.

ثم ان جسم هذا الحيوان غض متلطخ من رأسه حتى ذنابه وفكيه مغلفان بمادة قرنية فتودعة هيئة منقار البط والتمّ. اما فكه الاعلى فغشاؤه اسود ضارب الى الزرقة مرصع بنقطات متفاوتة الالوان. واما غشاء الفك الاسفل فابيض في الارنيشورنكوس الحدث وتنقلب برشة لونه كلما تقدم هذا الحيوان في العمر. ولهذين الفكين عوضاً عن الاسنان بثور قرنية غضة في كل منها اربعة. ومن عجيب بل ومن غريب هذا الحيوان ان له لسانين الواحد شعراني وهو في منسره والآخر اثخن منه قائم في اصل الاول وفي رأسه نطفتان لحيمتان. ثم ان مقلتيه صغيرتان لامعتان ذواتان ربشة سمراء واذناه صغيرتان ايضاً حتى انه يعظم على الناظر رؤيتهما غير انه ما يكتنفهما تجويف كما في غيره بل انهما مخفيتان بغشاء بحيث يستطيع الحيوان ان يفتحهما او يسدهما على ارادته كما يفعل باجفانه. ورجلاه قصيرتان مجهزتان بمخالب قوية تتلاصق اصابعها بجلدة كما للبط وغيره من الحيوانات من رتبة السوابح وفي راس اعضائه السفلى مخلب مؤسل مثقوب يخرج منه عصير لذاع مسمّ يغص من غدة قائمة بين عضل فخذه. اما اعضاؤه الاربعة فانها مخصصة للعوم. واما المخالب التي تجهز هذه الاعضاء فانها له كما يقال كالة لحفر الارض كي يسير فيها دياسياً كما هو دأب المناجذ.

وقد زعم البعض ان الارنيشورنكوس بائض كالطير وقرر ذلك واحد من ابناء السبيل بقوله انه قد رأى انثى هذا الحيوان راخمة بيضها وكان قدّ البيضة نضاهي بيضة الصغدوة. واما اليوم فقد ثبت ان هذا الحيوان من اللبونة اي ان انثاه تلد صغارها وترضعها من لبنها كالفرس وغيرها من هذا القبيل

واذا سأل البعض اين مقام هذا الحيوان . اجيب ان مقامه طفاطف الانهر والسبب لانه يجد قوته بسهولة دون مكابدة كلفة كالاسماك والديدان والحشرات المائية التي يلتقطها بمنسره كما تفعل الطيور التي من جنس البط ويسرح في الاسل والقصب ويصنع عشه في احجار قليلة العمق مؤلف من اغصان الشجر والاسل والقصب .

ثم ان الارنيثورنكوس امفيبي اي متساكن البر والبحر كاللوترا والعجل البحري يغوص في الماء لطلب قوته وما يلبث تحته الا زمانا قليلا حتى تراه قد اخرج منسره فرأسه . ولما يكون على الارض فانه يؤاتر الزحف على التمشي وهو سريع الحركة نشيط وحينما يريد ان يحك رأسه او جسمه يفعل ذلك بكمبه الخلفيين كما يفعل الكلب . هذا واذا بتك به انسان او حيوان يدافع حينئذ عن نفسه بمهمازه وهذا عضة ليس هو بخطر ذلك لان المادة المتولف منها منسره ضعيفة نحيفة جدا . غير انه قد يكون مميتا هذا اذا ضرب بمخلبه الموسل ذلك الذي سبقت اليه الاشارة .

حدث اخو فلوات قال اني لما قصدت ارنيثورنكوس انحططت لاخذه فاذا مخلب الحيوان الموسل اصابني في كتفي وانشب فيه . وبعد مرور مدة من الزمان ورم كتفي بنوع عجيب وظهرت فيه علامات فعل لدغ الحيات فداويته مدة بالشربة النشادرية فنجع فيه هذا الدواء بسرعة غير ان الوجع استمر في كتفي شهرا رغما عن الشفاء المسرع .

وهذا المثل الذي اوردناه اعلاه ليس هو بكاف للتصديق بان السائل الذي ينفجر من مخلب الارنيثورنكوس سم جسيم . لان بعضا من جوابة الاطراف قرروا ان مخلب هذا الحيوان ما يستعمله للذود عن نفسه وما يحوي سائلا ولا هو قادر على جرح شيء . ومن الارنيثورنكوس جنس واحد فقط يعرف بالارنيثورنكوس بارادكسوس وصفه الطبيعي بلومنبال وهو الذي في سنة ١٧٩٦ جاءه من هولاندة الجديدة جلد هذا الحيوان محشوا تبنا . ويسكن في اصقاع بحيرات بورجاكسن ومستنقعاتها وخصوصا في طفاطف جدول نيو .

النمل

(من قلم فرج الله افندي شحاده)

سبحان مبدع الكائنات ومكون الحيوانات فان اصغرها اشغل عقول ارباب العلم والباحثين عن الطبيعة في الاعصار الغابرة الى عصرنا هذا وكثيرون من فلاسفة اليونان ومن

فطاحل عصرنا قد بحثوا عنه بالتدقيق كما يظهر من مؤلفات بعض المتاريخيين وإننا لا نحتاج الى اطالة الكلام في ذكر الذين بحثوا عنه اذ ليس قصدنا سوى اظهار ما تهمّ معرفته فاقول

ان هذه الحيوانات الصغيرة تظهر ذكاء وفطنة يندهشان بصيرة الانسان حتى يكاد لا يصدق كل ما يسمعهُ عن عوائدها وتبدي من التدبير ما لا يبديهِ اكبر الحيوانات لانها لا تضيع دقيقة واحدة ويُعلم من مراقبة البشر لها انها كثيرة الكد والاجتهاد والاعتناء بصغارها وحمايتها من الاخطار الدانية وحفظها نظيفةً نقية الابد ان كما تعتني الام بولدها وتحس حالاً بقرب العدو لكثرة اعينها وتقذف عليهِ سائلاً قارصًا ماتعًا قويًا او حامزًا خارجًا من المعدة مرارًا كثيرة تحرق الاخشاب والاشجار وتسودها فما هذا الحامز القوي يا ترى . ويوجد ثلاثة وثمانون نوعًا من هذه الحيَيونات بحسب قول الفلاسفة والباحثين عنها وجميعها تتشعب الى ثلاثة رتب هي رتبة ملكة وجنود وفعلة وكلها تحسن تدبير المملكة فترتبط برباط المحبة وخير الجميع واناثها تُكرَم الاكرام الزائد ويُحتفل احتفال عظيم للملكة عند موتها

وقد تتعدد في الالوان فتختلف بين خضراء وحمراء وسوداء وصفراء واعمالها تعلمنا الاجتهاد والثبات في امورنا وفي اي عمل شرعنا فيهِ قال سليمان الحكيم اذهب الى النملة ايها الكسلان وتأمل طرقها وكن حكيماً واننا لا ننكر على هذه الحيوانات الاهتمام في معاشها لانها تهيئ طعامها الشتوي في فصل الصيف وقد كثر الذين ينكرون هذه المزية اي اعداد طعام الشتاء في فصل الصيف ولكن من نظر اليها بعين التفكر لم يسعهُ الاَّ الاقرار بذلك فاننا اذا هدمنا قرية من قرى النمل نرى نوعا من الحيونات غالبًا اسمهُ (آفنديس) ونرى في زوايا العش مؤونة لاجسادها من الحنطة والسنابل

وتعتني بصغارها الاعتناء التام كما شاهد (فارن هوّيط) قال عندما قلبت حجرًا وجدت كثيرًا من النمل فاندهشت من منظرهِ ورأيت نملة من الفعلة مع اربع او خمس ذرّات صغيرة في شرنقة ففرّ الكل اما تلك النملة فلم تهجر صغارها لتفر هاربةً راضيةً بنجاة حياتها بل حملت واحدة من اصغر اولادها والتفتت الى هنا والى هناك وفرّت هاربةً ومن المؤكد ان النمل يبني بناءً محكماً ويقطع الحجارة وكل ذلك ظاهر من صناعة قراه التي تكون على هيئة كثيب مسدود من كل الانحاء ما عدا الاسفل حيث يوجد دهليز وطريقة بناء القرية هكذا تحفر الفعلة اولاً اتلامًا غير متساوية المسافة ولكنها متساوية العمق والحافات اليابسة اي الغير المحروثة التي تفصل الاخاديد بعضها عن بعض هي كالاس للحيطان الداخلية والترى يغطي قيه

السقف فبعد ذلك تنصب كل قواها على تحسين البيت من مماش وطرقات واسقفة اه. مراراً كثيرة لا تكون القنطرة حسب المطلوب فلا تخور عزيمتها بل تبذل الجد والكد في تشييد الفاسد ثانية حتى يتناسب ذوقها لعمري ان هذا يدل على قوة البرهان والتمييز بين صحيح الشيء وفاسده فاذا رأت واحدة منها وهي آخذة في بناء العش قشاً او قضباناً متجمعة بهيئة مناسبة لمطلوبها في بناء البيت فتقتصر على المبناء وتغطي الفسحات التي هي بين القش بتراب وتدبرها بطريقة مفيدة

والذي يوضح لنا ذكاء النمل و يبين مهارتها ما شاهده الدكتور (اربرد) قال بينما كنت اتنزه واجول في فلاة رأيت قرية اخذة النمل في بنائها فصرت اتأمل واجيل فكري في انها كيف وهو مكث وصابر فنظرت نملة مسرعة الى حقل بجانب القرية لتأتي بسنبلة تغطي بها النصف الباقي من السقف المكشوف فصارت تتأمل وتلتفت في السنابل وتنتخب هذه وتترك تلك حتى قيد الله لها وجود واحدة تفي بالمطلوب فأتت بها وكملت مشروعها ولكن السنبلة مالت من جهة واحدة لثقل التراب وكادت تسقط فقصت المسبلة حالاً من اسفلها و وضعتها في مكانها المناسب واستعملتها كدعامة فهذا قد اذهل عقل الدكتور المذكور كثيراً لذكاء وادراك هذه الحيوينات التي قلما تفكر فيها الاطفال وقد شاهد القرن كثيرون من ارباب العلوم والمعارف الذين يذعن لكلامهم حكي ان حيواناً مات وصار فريسة للنمل وحيوانات اخرى فسحب النمل جناحه ولما كان باب القرية ضيقاً عرضه وادخل اولاً طرف الجناح وولج البعض الى داخل الباب وسحب طرف الجناح والبقية كانت تدفع من الخارج ولما كان الباب لم يزل ضيقاً نزلت كل نملة بدورها الى ارض الباب واتت بذرة من التراب وفي اثناء ذلك أتت نملة ومعها فريسة اخرى فحالاً ترك النمل العمل وذهب لمساعدتها وادخل الفريسة بان سقط النمل الى داخل الباب وامسك براس الحشرة والبقية تدفع من خارج الباب ومن بعدما ادخلها باحرلادخال الجناح او الفريسة القديمة بعدما وسع الباب ثانية وثالثة وكان البعض قد سحب الطرف من داخل الباب والبعض يدفع من الخارج الى جهة الشمال والبعض الى جهة اليمين حتى فاز بعد مقاساة اتعاب شاقة غير مبال فالذي ينكر على هذه الحيوانات الصغيرة الذكاء والفهم و يقول انها تفعل ما تفعله بالسليقة يكون بلا ريب جاهلاً حالها

ولما كان لغيرها حاستا الشم واللمس التي بهما تقدر ان تهتدي اذا ضلت عن السبيل مثلاً اذا فرقت صفاً من النمل ومنعته عن سيره فتفرق الى جهة الشمال واليمين يلوح للناظر انه تشتت ولكنه يرجع الى نفس الطريق التي سار عليها قبلاً بواسطة حاسانيه المذكورتين

وحاولت مرة نملة ان تسحب جناح فراشة فشق عليها ذلك وحدها وكانت المسافة نصف يرد فقط والطريق وعرة كلها حجارة واعشاب اذ كل حصاة للنملة كالجبل للانسان والذي عملته هذه المخلوقة الصغيرة هو انها دارت حول هذه الحجارة وصعدت فوقها حتى وصلت بها الى جانب القرية ثم اتى باقي النمل لمساعدتها

وتميز النملة عدوها من صاحبها مثلاً خذ عدداً من النمل من قرية ما ثم ارجع هذا النمل الى عشه بعد مضي ساعة او ساعتين ولاحظ كيف يثور النمل ويحاول قتل الغرباء ولكن قد تصير بغتة هدو تام وصداقة فترحب به اذا كان من الاصدقاء واذا كان من الاعداء تأخذ

البقية تأتي

المناظرة والمراسلة

لغز

احاجيك ما شيء اذا ما سرقته وفيه نصاب ليس يلزمك القطعُ
على ان فيهِ القطع والحد ثابت ولا حد فيهِ هكذا حكم الشرعُ

نابليون ماريني

آخر

سألتك ما واش يراد حديثهُ ويهوى الغريب النازح الدار افصاحهُ
تراهُ مدى الايام اصفر ناحلاً كمثل عليل وهو قد لازم الراحهُ

نابليون ماريني

لغز

وما صفراء شاحبة ولكن يزينها النضارة والشبابُ
مكتبة وليس لها بنان منمقة وليس لها نقابُ
تصيح بها اذا قيلت فاها احاديثاً تلذ وتستطابُ
ويحلو المدح والتشبيب فيها وما هي لاسعاد ولا الربابُ

جبرائيل روفائيل ياغجيان

العلوم

(من قلم الاديب الاريب والفرع النجيب محمد افندي الكسني نجل جناب العلامة)
ابي الحسن افندي الشاعر المشهور

هي الوسيلة العظمى للترقي والنجاح الى المقامات السامية التي حازها ذوو الآداب الذين شدوا ازر المعارف والفنون حقيقة لا وهماً كما في بعض الانام الذين يتطفلون على مائدتها مع انها مائدة ترفض مطلق التطفل لكنهم يلتجئون الى بعض العلماء ويلتقطون نزراً من الفنون ويزعمون انهم توغلوا وتضلعوا فيها فيباشرون التأليف تحت نظارتهم (اي العلماء) كما تقدم وينشرون لواء الجهل قاصدين انتصارهم على عدو خطير انهم كالغائص على الريح . او كالهادر في العُنة . وان هذا الامر لشائع بين الخاص والعام ومع كل هذا لا يجدون نفعاً بل ضرراً واما الذين يرغبون من صميم فؤادهم التعلم ويجلسون على تلك المائدة مع انكسار جناحهم فلربما يصيب السهم الهدف بعد الاشتغال والمداومة ومع هذا ابي احث ذوي الآداب ان لا يعدوا احداً من تلك الشرذمة لكي لا يعلوا عليهم فيما بعد بالسفسطات والخرافات والخطب التي يؤدونها على رؤوس الجهلة ويتلونها على مسامعهم بلسان المعارية مع اختلاسهم لها من بعض الكتب ويأخذون بمدح نفوسهم وتمويه ابواهم ظلماً وعدواناً لا سيما الذين هم في عصرنا الحالي فان عصبيتهم كثرت وتجمهرت بسبب تلك الواسطة القبيحة وبناء على ما تقدم حررت هذه المقالة تنبيهاً لمساعديهم ليجتنبوا هذه الاعمال المضرة ويعلموا صدق مقالي الذي مضمونه صادر بالفعل ومسلم كالقضايا التي قياساتها معها فلا يحتاج الى برهان والله المهدي للصواب واليه المرجع والمآب .

الرياضيّات

مسألتان حسابيتان

وزير عنده كاسان من العسجد وزن احداهما ١٢٤ وقية ولهما غطاء واحد اذا غطيت هذه به كان وزنها ضعف وزن الكاس الثانية . واذا غطيت الثانية به كان وزنها خمس أمثال

وزن الاولى فكم وزن الثانية وكم وزن الغطاء .

٣ خرج يوسف وبطرس من مكان واحد مسافرين الى جهة واحدة وكان يوسف يقطع يوميًّا ٢٨ ميلاً ولكن بعد ٢٩ يومًا اب الى طريقهِ مسافة تعادل ما قطعهُ بطرس في تلك الايام التسعه والعشرين ثم رجع الى جهة مسيرهِ الاولى يتبع بطرس حتى ادركهُ بعد $\frac{1}{2}$ ٢١ يومًا من خروجهما . فكم ميلاً كان بطرس يقطع يوميًّا .

المعلم نابليون الماربتي

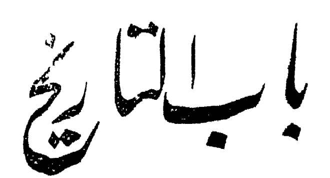
مسألة حسابية

نعلم ان حروف المطبعة مركبة من ثلثة امتزاجات . الاول مركب من ٢٠ جزءًا من الانتيمون و٨٠ جزءًا من الرصاص . الثاني اصلب من الاول ومركب من ٦ اجزاء من القصدير و١٩ جزءًا من الانتيمون و٨٠ جزءًا من الرصاص . والثالث مركب من جزء واحد من النحاس و٩ اجزاء من القصدير و٦ ١ جزءًا من الانتيمون و٣٤ جزءًا من الرصاص فماذا قيمة كلٍ من الامتزاجات المار ذكرها المحتوية في ١٦٨٠ كيلغرامًا من الحروف اذا كانت قيمة كيلغرام نحاس ١٠ و٢ ف وقيمة كيلغرام قصدير ٢٥ و٣ ق . ورصاص ٦٠ و . ف وانتيمون ٩٠ و١

جبرائيل روفائيل ياغجيان

احد طلبة مدرسة القديس يوسف الكرملية

في بغداد



تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما قبله)

في حالة تقرب من ان تكون فوضوية وكان الملك والقائضون على ازمة الاحكام مجاز بين الزرق راغبين في فوزهم لاستقامة اعتقادهم ورفضهم اتباع بدع المبتدعين فزادوا قحة وفجورًا وصالوا وطالوا على اعدائهم وجرعوهم رحيق الخطوب والكروب

بكاس دهاق محللين ما حرمته الشرائع الالهية والبشرية ولما رأى يوستنيان تفاقم الخطب امر بكف الاعتداء واعلن حمايته للجميع

وحدث سنة ٥٣٢ ان يوستنيان كان حاضرًا في الملعب فاخذ الخضر يشكون حالهم ويتذمرون ولما طال اللجاج وزادت الضوضاء امر الملك المشتكين بالسكوت فضاعفوا شكواهم وتذللهم ورجوا من عدله انصارًا لهم منهمين الحكام بغضهم وطالبين اطالة حياة ملكهم فحنق يوستنيان وصاح «الى متى هذه الوقاحة ايها الاشرار فاصمتوا واصبروا» اجابوه «قد صرنا عرضة للاعتداء والاخطار ونحن مساكين وابرياء ولا نجسر على المرور في الشوارع لسبب اضطهاد اسمنا ولونا فليمت ايها الملك ولكن فليكن موتنا بامرك وفي سبيل خدمتك» وكان يوستنيان لا يرق لحالهم ولا يميل الى استماع شكواهم فتضلوا من الحياة واعلنوا نفورهم وعصيانهم اميرًا لا يجري العدل بين رعاياه وقالوا «ان اباه قد لفظه عند ولادته بالقاتل والجحش والظالم» فغضب الملك واجابهم «هل فنطتم من الحياة» وفي الحال نهض الازرق وانتشب القتال بين الفريقين ففر الاولون هاربين لضعفهم وقلة عددهم وساروا في الشوارع يلقون بافئدة الناس الرعب والقلق وكانت الجنود قد بادرت لتطفئ نار تلك الفتنة فقبضت على بعض المذنبين وحكم حاكم المدينة بقتل سبعة انفس من الحزبين فطافوا بهم حول حي بيرا وضربوا اعناق اربعة وشنقوا الخامس وارادوا شنق السادس والسابع فانقطعت الحبل ولم يمس المذنبين ضرر فابتهج الحاضرون بخلاصهما وسهلوا سبل هربهما وكان احد ذينك المذنبين من الحزب الاخضر والاخر من الحزب الازرق فاتفق اذ ذاك الحزبان وتواطآ على محاربة عدوهما والانتقام منه وهجما على قصر الحاكم وحرقاه وذبحا القواد والحراس واخرجا من كان فيه مسجونًا ونارًا لا فرق الجنود المرسلة لقمعهما فجرى من الهجمات ما اخر وجاد كل بنفسه فداء قومه وصيانة لشرفه حسب زعمه وكانت كوى المنازل والسطوح تمطر حجارة على العساكر فيقابلها هؤلاء بالنار والمواد المحترقة فالتهمت البيوت وامتد لسان اللهيب الى كل المدينة والتهم كنيسة القديسة صوفيا واماكن اخرى كبيرة شهيرة وفر الاغنياء والمتمولون من القسم الاوربي الى القسم الاخر الاسيوي وتركت القسطنطينية مدة خمسة ايام لاولئك الثائرين الاولى اتخذوا كلمة نيكا اي اظفر سرًّا لاجتماعهم وتألبهم ودعيت لذلك هذه الفتنة فتنة نيكا

ولم يكتف العصاة بما فعلوا بل تطاولوا الى امور السياسة والاحكام وطلبوا اصلاحًا فأجيب طلبهم وسأل لهم الملك الخضوع معتذرًا عن خطاه فلم يجده اعتذاره شيئًا ولما رأى الخطر محيطًا به استعد للهرب بحرًا لينجو بنفسه ويكون في مأمن يفعل فيه ما يجد فعله نافعًا ويصدر اوامر

براها كافية لاخماد لظى الثورة وحقد الثائرين

وكان الملك والوزراء والعظماء مجتمعين ومضطربين يرجون بالهرب خلاصاً فنهضت الملكة ثيودوره وقالت اني احتقر الفرار ولو كان في الفرار الامن والراحة والسلام فالى الموت مصير الانسان وحياة الامراء المالكين كماتهم بعد فقدهم العز والملك فاطلب الى الله ألاّ يجعلني يوماً واحداً عارية من التاج وادوات الزينة الملكية لم يميتني قبل خلعي وسقوطي عن منصة الفخر والمجد واذا اعتمدت ايها الملك على الهرب فجميع وسائله ميسورة لك فهذه خزائنك ملآى بالذهب والجواهر وهذا البحر مغطى بالسفن المواخر ولكن خف من يوم تعيش به عيشة دنيئة محتقرة في المنفى اما انا فناهجة منهج القدماء القائلين ان المعرش ضريح مجيد

واحيت هذه المرأة بكلامها وشجاعتها شجاعة زوجها الملك فرفض الفرار وعاد الى التفكير والتدبير فتيسرت له وسائل اقناع الاقوام الزرق بخطإهم فاتوا اليه خاضعين وبخضوعهم ذل الآخرون فتمكنت الحكومة من قهرهم وقُتل في يوم واحد ثلاثون الف نفس وعدد عديد من الشرفاء المتهمين بالاشتراك مع الثائرين الموحين اليهم طرائق الثورة والانقسام وهُجرت الملاعب مدة ولما استؤنفت الالعاب عادت الاحزاب الاولى كأن ما كان لم يكن

وكانت المملكة الشرقية في عهد يوستنيان عامرة آهلة يشتغل سكانها بالزراعة والصناعة المعروفة بتلك الايام وكانت مدن مصر وسورية وآسيا الصغرى البحرية ترسل غلالها ومنسوجاتها الى الديار الاوربية والاقطار الاخرى المفتقرة اليها ومن المؤكد ان القطر المصري وحده كان يرسل في كل عام الى مدينة القسطنطينية نحو مائتين وستين الف مدّ قمح فهذه البلاد الصغيرة المدعوة قديماً اهراء رومية كانت ولم تزل مشهورة بالخصب وجودة التربة التي يجددها كل سنة النيل نهرها وحياتها اذ لولاه كانت قاعاً صفصفاً وقفراً يباباً لا ينبت شيئاً صالحاً لقوت الناس والبهائم وطيور السماء ووحوش الفلا

اما الحرير فكان نادراً عند الرومانيين معتبراً اجمل وابهى من اللآلي وقيمته كالذهب وكانت الناس تحتمل مشقات رائعة واهوالاً واخطاراً للاتيان به من المملكة الصينية حيث كان محصوراً ورأى يوستنيان بعين الحكمة والخوف الدراهم الوافرة التي ينفقها الاهلون لابتياع هذا النسيج وهي اموال تذهب في كل سنة جزافاً الى اقصى بلاد الشرق المفصولة عنهم ببوادٍ واقطارٍ واسعة شاسعة وبحار عظيمة يجتازها المسافرون بسفنهم الصغيرة وقلوبهم غارقة ببحر الرعب والهلع وبينما كان فاكراً بهذا الامر جاهداً في ايجاد طريقة لتلافي ما ينتج عنه من المضار حضر الى القسطنطينية راهبان سكنا مدة في الصين وعرضا له رغبتهما في احضار بزر القز في

جوف عصويهما المجوفتين فسرّ الملك بما عرضاه واجازهما وشجعهما ووعدهما بمكافئة سنية ان تمما
ما فكرا به فعادا من حيث أتيا واخبيا البزر في جوف عكازيهما وأتيا الى القسطنطينية راجعين
وعلّما الناس تربية هذا النوع ولقد برع سكان البلاد بهذا الامر حتى انهم بعد مدة وجيزة عادلوا
الصينيين في معرفة تربية الديدان ونسج الحرير

ان تقدم الرومانيين واندفاع جنودهم المظفرة في الزمان القديم الى كل جهة وصوب لافتتاح
المدائن والاقطار كانا ناتجين عن اعتقاد اولئك الوثنيين بكون مدينتهم رومية عاصمة بلادهم
قد بنتها الآلهة واعدتها للسيادة والتسلط على العالم فقوى هذا الاعتقاد عزم ابنائها الابطال
وابسلوا في جميع الارجاء يحاربون من يمانعهم ويكلون من يصدهم ويثور عليهم ولم يزالوا على
هذه الحالة الى ان تغيرت الايام وتبدلت انتصاراتهم المتتابعة بالقهر والخزي والفشل فادركوا ان
ما اعتقدوه خرافة نسجتها يد الجهل غير ان رؤساءهم لم يبرحوا جاهدين في توسيع نطاق
املاكهم ولو ابوا الذل من ساحات القتال مدة من السيادة وراغبين كاجدادهم في التسلط
على العالمين وعليه فيوستنيانس حينما ارتقى عرش الملك بادر الى محاربة الفرس فاصلاهم نار
الوغى مدة خمس سنوات ظفر بها اعداؤه عليه فاضطر الى عقد صلح ودفع غرامة تساوي قيمتها
قيمة اربعمائة واربعين الف ليرة انكليزية ودعت الامتان المتحاربتان هذا الصلح صلحًا الى اجل
غير مسمى

وكان هيلدريك احد ملوك الدولة الفاندالية الافريقية المستولية على بلاد تونس وما جاورها
رجلاً عادلاً منصفًا فامر بارجاع مائتي استقف كاثوليكي الى كنائسهم واباح لهم اشهار اعتقادهم
والاحتفال بشعائر دينهم فاغضب ذلك الاريوسيين وهم السواد الاعظم من رعاياه وهاجوا
وماجوا وتمنوا خلعه فنهض جليمار احد قواده العظام وعزله قسرًا واسكنه بدل القصور والمنازل
الباذخة البديعة سجنًا حقيرًا مظلمًا وبلغت تلك الاخبار مسامع اهل القسطنطينية وملكهم فثارت
بهم الحمية ودفعتهم الغيرة والطمع الى مساعدة اساقفتهم المظلومين واسترجاع بلاد واسعة
اغتصبها منهم جماعة الفاندال المتوحشين لكن بعض الرؤساء والوزراء نظروا الى بعد المسافة
واهوال الحروب وتذكروا حملة باسيليكس الماضية فبادروا الى ردع الملك واقناعه بتغيير
عزمه وما نوى وقال له احدهم المدعو يوحنا الكبادوكي « ان محاربة قرطجنة والاستيلاء على
تلك الاقطار لعمل حسن جزيل الفائدة مشكور الا انها بعيدة يقتضي للوصول اليها سفر مائة
واربعين يوما ولو انتج فتحها تفوق امانينا وبلغ املنا لما امكننا المحافظة على ما كسبناه الا بافتتاح
جزيرة سيسيليا وبلاد ايطاليا وان نجاحنا فيها يستلزم منفعات واتعابا اخرى نحن في غنى عنها

فضلاً عن كون تأخرنا يهيج البرابرة ويدفعهم الى ولوج مملكتنا» فاثر هذا الكلام بيوستنيان واخمد نار شجاعته وجسارته وكاد يعدل عما يبغي لولا حضور احد الاساقفة وقوله له «قد رأيت ايها الملك رؤيا أوعز بها اليَّ ان اخبرك الاَّ تحول عن مباشرة حرب تؤول الى خلاص الكنيسة الافريقية فرب الجنود يكون عونك وملكه يسير امامك وامام جيوشك ويبدد شمل اعدائك فلا تخف» ونغلب هذا الاسقف بكلامه وتشجيعه على تردد الملك ومضادة اعوانه وحمله سنة ٥٣٣ على تجهيز الجيوش وتسييرها الى ارض العدى بقيادة بليساريوس اشهر وامهر واحذق قواد الشرق

ووصلت تلك الجنود الجرارة الى شاطئ افريقيا بعد سفر ثلاثة اشهر فاحتلتها آمنة سالمة واراد بعضها ان يعتدي على الاهلين فزجره بليساريوس وجمع جميع العساكر واظهر لهم فوائد العدل واحترام حقوق الغرباء بقوله «لما تقلدت هذه القيادة ورضيت هذا المنصب الرفيع وبادرت الى اخضاع الاقاليم الافريقية لم اكن متكلاً على شجاعتكم واقدامكم ايها الجنود الابطال مقدار اتكالي على صداقة الوطنيين وبغضهم للفندال فانتم وحدكم قادرون ان تحبطوا اعمالي وتخيبوا آمالي باعتدائكم وسلبكم اشياء يمكننا ابتياعها بثمن دون القليل وانكم تمهدون بهذا العمل سبيل اتحاد الفريقين الوطنيين واجتماع كلمتهما لمحاربتنا وطردنا» واعقب بليساريوس هذا الانذار بتنظيم الجيش ومراقبته فاكتسب ثقة الاهلين وتقدم في البلاد ظافراً يفتح المدائن ويصادق السكان بلا قتال ولا عراك ولم يزل سائراً حتى دنا من قرطجنة فلقيه هناك رجال جليمر فنازلهم وبعد معمعة هائلة فرَّ ذلك المغتصب الى بلاد نوميديا حيث بلغه خبر انفاذ امره وقتل عدوّه هلدريك الملك الشرعي

اما بليساريوس فجدَّ بالمسير حتى وصل في ١٥ ايلول سنة ٥٣٣ الى مدينة قرطجنة فدخلها بلا عراك ولا سفك دماء واقتبله سكانها بالترحاب والاكرام وسلموا اليه اسلحتهم وقادوه الى قصر ملكهم واظهروا فرحهم بتزيين الكنائس والمنازل وتسهيل وسائل سكن العساكر بالراحة والامان ورأى الاريوسيون فوز خصومهم فانضموا اليهم وغيّروا اعتقادهم وصار الفريقان حزباً واحداً

ولم يزل جليمر الملك المغتصب آملاً الظفر واثقاً باسترجاع ما فقده قسراً فجمع عساكره المتفرقة بعد انكساره واغرى المغاربة بمساعدته واعدَّ اياهم بصلات سنية وجوائز بهية وكان اخوه زانو قد اخبره بانتصاره في سردينيا وافتتاحه تلك الجزيرة فاجابه بكتاب يقول له به «ايها الشقيق الشفوق والاخ العزيز ان الله قد غضب علينا وعلى امتنا نعم انك قد افتتحت

سردينيا ولكننا خسرنا افريقية اذ حالما ظهر بليساريوس وجنوده القليلة في ساحة القتال فارق النجاح والشجاعة جماعة الفاندال واستولى عليهم الجبن والخيانة فخيولنا وسفننا ومدينة قرطجنة نفسها اصبحت في قبضة الاعداء ولا امل لنا سوى بجسارتك ومهارتك فبارح سردينيا حالا وتعال لنصرتنا وارجع مملكتنا او مت كريمًا معنا» وحينما وصلت الى زانو هذه الرسالة وبلغته تلك الاخبار المكدرة المفجعة جمع جنوده وبادر مسرعًا لحماية وصيانة ونصرة اخيه ولما التقيا وقفا صامتين اذ دلائل مصائبهما وفشلهما كانت ظاهرة اليهما لا تحتاج الى سؤال او بيان

واصبحت جنود جليمر لاجتماعه باخيه جرارة قوية يبلغ عددها اضعاف عساكر الرومانيين فزحف الفريقان ولما وقعت العين على العين انتشب القتال وكان عنيفًا ومما زالت جيوش الامتين في صدام وعراك الى ان مات زانو واستظهر الرومانيون ففرّ المغتصب هاربًا وتفرق شمل عساكره ولعبت بهم ايدي سبا فكتب بليساريوس الى الملك يوستنيان يبشره بفوزه وانتصاره وافتتاحه المدينة والافريقية بمدة لا تزيد على ثلاثة اشهر

وكان جليمر المغتصب بعد قهره وفراره ناويًا الهرب من افريقية وساعيًا في الذهاب سرًا الى اسبانيا فعلم بذلك اعداؤه وبادروا الى منعه فحصروه في جبل باپوا بارض نوميديا واحاط فاراس القائد الاول في ذلك الجبل املاً ان البرد والجوع يلجئان الملك الفاندالي التعيس الى التسليم والارتضاء بالاسر فكتب اليه رسالة قال له بها اني رومي مثلك وغير مهذب ولا مثقف ولكنني اكلمك بلسان شفوق وقلب كريم واستخبرك سبب عنادك واصرارك على اضرار نفسك وعائلتك وامتك ولعلك تقول ان اندفاعي الى ذلك حبك الحرية وكرهك الاستعباد ولكن يا حبيبي جليمر الست الان في حالة ادنى من حالة العبيد وهلا تفضل الفقر والاستعباد في القسطنطينية على القلق والارتياب والتعاسة في جبل باپوا وهل تعد خضوعك ليوستنيان عارًا ولا تفقه ان بليساريوس ونحن انفسنا رعاياه وخاضعون له ولا يخفى ان هذا الملك الشهم الجواد سيهبك اراضي واسعة ويقلدك منصبًا في المجلس العالي ويتخذك رتبة شريف فثق بكلام بليساريوس واعلم ان الصبر واجب وفضيلة كبرى اذا لم يكن سبيل الى الخلاص غيره ولكن الاعتصام بحبله متى فتح باب الفرج يعد جنونًا فاجابه جليمر بقوله اني عالم فائدة نصائحك وصحة ارشادك ولكنني لا اقدر ان اكون عبد عدو ظالم استحق بغضي وغضبي لانني لم اضره قط فلماذا بعث اليّ قائده بليساريوس الذي طرحني من ذروة مجدي الى مهاوي هذه التعاسة والشقاء فيوستنيان انسان وملك لا يخشى ان يصيبه ما اصابني ولا استطيع ان ازيد على ما كتبته اذ شجوني تهيج وتكاد تخنقني فاتوسل اليك ان ترسل الي ايها الحبيب فارس قيثارة

واسفنجة ورغيف خبز

وسبب هذا الطلب الغريب هو ان ملك الفاندال لم يذق الخبز من زمان طويل وكانت عيناهُ قد ابيضتا من الحزن والتعب والبكاء. فاراد اسفنجة يمسح دموعهُ بها وقيثارة لينشد وهو يغني قصة التعيسة وبلاياهُ فاشفق عليهِ فاراس وارسل اليهِ ما طلبهُ وبعد ذلك عاهدهُ باسم الملك يوستنيان واتى بهِ من ذلك الجبل

وساق الناس بليساريوس بالسنة حداد حسداً لهُ وتحاملاً عليهِ واتهموهُ بميلهِ الى الاستبداد والعصيان بالاقطار الافريقية التي افتتحها وصدق يوستنيان هذا الامر فامرهُ بالحضور حالاً الى العاصمة فعاد بالاسلاب والاسرى ودخل القسطنطينية وقدم للملك فروض العبودية والخضوع واحتفل بنصرتهِ احتفالاً بديعاً لم يجرِ في تلك المدينة نظيرهُ وكان جليمر مغتصب عرش الفاندال سائراً امامهُ هادئاً صابراً وهو يردد قول الجامعة «باطل الاباطيل كل شيء باطل» ولما رأى يوستنيان مبادرة هذا القائد البطل الى الخضوع وامتثال اوامرهِ والرجوع حالاً من ديار كان قادراً ان يستبد باحكامها عرف زور كلام الوشاة ورضي عنهُ واقامهُ في العام التالي سنة ٥٢٥ قنصلاً

وعين بليساريوس حين سفرهِ من افريقية خلفاً لهُ خصياً اسمهُ سليمان فهذا القائد النشيط اقتدى بسلفهِ ومشى على سننهِ واصلى المغاربة الوطنيين نار الحرب مدة عدة اعوام فاستطاع بشجاعتهِ وحسن اسلحة جنودهِ ونظامهم ان يتغلب على كل عدوٍ مقاومٍ لسلطة ملكهِ حتى دوّخ البلاد وجعلها ولايات رومانية

وقدر يوستنيان بعد سنة ٥٥٠ ان يستولي على بعض مدن بحرية في اسبانيا لسبب انقسام الاهلين والفتن الثائرة بينهم وكان جاهداً في امتداد سلطتهِ في تلك البلاد بواسطة الدسائس والحروب وكذلك فعل خلفاؤُهُ غير ان اجتهادهم جميعاً ذهب ادراج الرياح

وكانت قلعة ليليبيوم في جزيرة سيسليا ملكاً للفاندال اخذها احد ملوكهم المسمى تراسيموند حين زواجهِ بالاميرة امالافريدا اخت تيودوريك الغوتي الكبير وكان الغوت آملين ان الرومانيين يسمحون لهم بها بعد انتصارهم على الفاندال لمساعدتهم لهم وارتياحهم الى فوزهم ولكن ساء ما زعموا اذ بليساريوس ارسل يقول لهم سنة ٥٣٤ «ان مدينة وقلعة ليليبيوم كانتا للفاندال وحيث ان هؤلاء الاقوام قد انتصرنا عليهم وقهرناهم فجميع ما يملكون هو لنا واذا امتنعتم ما اوعزت بهِ تنالون رضى الملك ... ولكنكم اذا عاندتموهُ تثور غضبهُ ويصليكم نار حرب لا تنطفئ الا بخرابكم التام ومتى اسرعنا الى اثارة القتال لا تكتفِ اذ ذاك

بالاستيلاء على مدينة واحدة بل سعى في استرجاع جميع الاعمال التي اختلستموها وسلبتموها ملكها الشرعي»

اما ازمّة احكام البلاد الايطالية فكانت في قبضة امرأة اسمها امالثونسا بنت ثيودوريك من امرأته اوديليدا اخت كلوفيس ملك فرنسا وذلك انه لم يكن لثيودوريك ابن يرث ملكه من بعده فزوج ابنته هذه بفتى سليل احد اعضاء العائلة الملكية الذي فرّ هاربًا الى اسبانيا فرقاه الملك الغوتي الى رتبة قنصل وامير ولكن ذلك الفتى لم يتمتع زمانًا طويلاً بلذة ارتقائه واقترانه بامالثونسا بل مات مخلفًا طفلاً يدعى اتالاريك فتولت امرأته بعد وفاته وموت ابيها احكام البلاد بالنيابة عن ابنها القاصر

واشتهرت هذه الملكة بجمالها البديع وحسنها الباهر وذكائها العظيم وسعة معارفها وكثرة عوارفها وكان لها القدم الاولى في المباحث العلمية والفلسفية قيل انها درست اللغة اليونانية واللاتينية والغوتية وتضلعت بها حتى اصبحت قادرة ان تتكلم بكلٍ منها بفصاحة ورشاقة ولا ريب انها كانت حسنة المبادئ كريمة النفس لانها عاملت الرومانيين سكان رومية وايطاليا الاصليين معاملة رعايا واشفقت عليهم خلافًا للغوتيين الذين لم يزالوا يعتبرونهم اعداء وعبيدًا

وكان ابنها اتالاريك كسلان يبغض العلوم والمعارف ويأبى الدرس ومشقاته واجهاد العقل في سبيل التحصيل ويسر من والدته لاكراهها اياه على المواظبة والاجتهاد فحدث ذات يوم ان الغوتيين كانوا مجتمعين في قصر رافنا فمرّ هذا الامير الفتى من غرف امه واتى وانتصب بين الجمع وهو يذرف عبرات الغضب والمكرياء وشكا الى الحاضرين قساوة والدته وضربها اياه بسبب عصيانه وعناده فثار هذا الكلام باولئك المتوحشين وتوهموا ان الملكة راغبة في اهلاك ابنها واختلاس سرير ملكه وطلبوا خلاص الفتى وتربيته كاجداده ورجال امته في ميادين القتال والعراك ليشبّ بطلاً جاهلاً مثلهم فتقدروا بفظاظتهم وغباوتهم والحاحهم ان يحرموا الغلام وسائل التمدن والتهذيب وتركوه ونشأته يقضي اوقاته في السكر والملاهي وارتكاب الفواحش ولما رأت الملكة عصيان اخصائها وزيغه واحاطة الاعداء بها من كل جانب حابرت يوستنيان قصد السكن في بلاده وارسلت الى مدينة دراخيوم في اقليم ابيروس اربعين الف دينار غير ان حب التسلط على الناس كان متسلطًا على فؤادها فاطارت صوت الطمع اذنًا صاغية وقلبًا واعيًا وحبها ارمعت على مبارحة ايطاليا محتمية بدسائسها وقدرت ان تهلك بعضًا من كبار الرؤساء الثائرين عليها وتمكنت بموت هؤلاء من الاستبداد بالاحكام والقبض على ازمّة

البلاد بالنيابة عن ابنها كما كانت اولاً غير ان هذا الفتى الجاهل لم يعش زماناً طويلاً لان الفسق والفواحش والملذات اضنته فمات يافعاً لم يتجاوز السادسة عشرة فاضطرت اذ ذاك الى مشاركة ابن عمتها ثيودوتس الجبان والبخيل فثار الغوثيون عليها ونفوها الى جزيرة صغيرة في بحيرة بوليسنا وهناك قتلوها سنة ٥٣٥ بالحمام خنقاً

ونظر ملك القسطنطينية الى انقسام الغوتيين وثار الفتن المشتعلة بينهم نظر طمع جسور فبعث سفراء وجواسيس زادوا لظى الاضطراب والشقاق التهاباً واشتعالاً وارسل سنة ٥٣٥ بليساريوس مع فرق من الجنود فاحل هذا القائد الشجاع والبطل الشهير مدينة كاتانا في سيسيليا ومنها تقدم في الجزيرة طولاً وعرضاً واستولى عليها واخضعها لسرير القياصرة واضافها للمملكة الرومانية وبينا كان سائراً في سبل الافتتاح والظفر بلغه خبر عصيان الجنود بافريقيا فبادر الى تلك البلاد كالبرق يسعى في قمع واذلال الثائرين حتى اذا ما كاد يدرك تمام الغاية المطلوبة عاد راجعاً الى سيسيليا ليخمد نار ثورة شبت في معسكره مدة غيابه

اما ثيودوتس سليل الابطال وملك ايطاليا ورئيس امة اشتهرت ببأسها وشجاعتها واقدامها على الاهوال فكان حالما بحيث درس الفلسفة وقرأ مؤلفات افلاطون وغيره من الحكماء فلم تزده تلك الدروس العالية والمطالب السامية الا خساسة وجبناً وبلغه ما اصاب جليمر مغتصب الفاندال فارتعد فوق عرشه خوفاً وكادت نفسه تفيض من الرعب والهلع وكان سفير يوستنيان المدعو بطرس رجلاً دنياً حكيماً فارهب الملك الغوتي بتهديده وتهويله وحمله على امضاء معاهدة صلح اشترط بها الادعاء في المحافل والندوات الايطالية للملك القسطنطينية وتقديم اسمه وتمثاله على اسم وتمثال ملك ايطاليا الذي اصبح بموجب هذه المعاهدة تابعاً للحكومة الرومانية خاضعاً لاوامرها ثم ظهر ان ثيودوتس كان كثير القلق والاضطراب تتنازع عقله وراحته الهواجس والوساوس فارجع سفير مملكة القسطنطينية بعد رحيله وسأله قائلاً اتظن ان الملك يوقع هذه المعاهدة اجابه السفير اظنه يوقع فسأله واذا رفض ذلك فماذا تكون النتيجة اجابه الحرب فقال له وهل تكون هذه الحرب اذا اضطرم سعيرها عادلة اجابه تكون اذ ذاك فعال كل موافقة لطبعه فسأله عن مراده فقال له انت فيلسوف ويوستنيان ملك الرومانيين فهل يليق بتلميذ افلاطون ان يسفك دم الوف من البشر لاجل غايات شخصية

البقية تأتي

المناظرة والمراسلة

تابع ما قبله صفحة ٤١٦

العرف الطيب

(من قلم العالم العلامة والجهبذ الفهامة مصدر البلاغة والعرفان الشاعر)
المشهور فضيلتلو الشيخ ابرهيم افندي الاحدب

اللهم أرنا الحق حقاً ووفقنا لاتباعه وأرنا الباطل باطلاً وحوّل اسماعنا عن سماعه فاني وقفت في مجلة الصفاء على تقريظ منسوب لجناب بشارة افندي زلزل وضعه على شرح ديوان ابي الطيب الموسوم بالعرف الطيب لجناب الشيخ ابراهيم ابن الشيخ ناصيف اليازجي جمعه من هوامش كتبها ابوه على نسخته وزاد عليها من عنده حتى تم شرحه فوجدت حضرة المقرظ استعمل في تقريظه الغلو الذي لا يقبل وزاد في تجاوز حد الاطراء وبخس جانب العلماء الذين اقدموا على شرح هذا الديوان كابن جني وابي العلاء المعري والواحدي وغيرهم على انه لولاهم ما اهتدى مقرظه الى شرحه وادعى انه احاط بالعلم العتيق والدقيق وانه كشف عن مخبآت هذا الديوان التي لم يحم حولها شارح ولا صدع ببيانها صادح وانه لم يدع في القوس منزعاً وليس وراء عبادان قرية وذكر جملة ابيات خالف فيها من سبقه من الشراح ورأى خلاف آرائهم صوب المقرظ فيها ما رآه واقام نفسه حكماً بينه وبين الشارحين فحكم عليهم بالباطل ولما كان بيان الحق واجباً على كل من عرفه رأيت ان ابينه بياناً شافياً لامراض الجهل سالكاً الجدد غير متهضم جانب احد لانه ليس من شيمتي ان اتعسف في هضم جانب الناس ولم اتكلم على كل ما في هذا التقريظ واكتفيت بالكلام على ابيات المتنبي التي خطأ الشارحين فيها فاقول وبالله التوفيق من ذلك قول المتنبي يذكر بعض القبائل الذين تغاروا على سيف الدولة وتآمروا على نقض طاعته

فاوقع بهم فجاءة عند تدمر

اراد وا ان يديروا الرأي فيها فصبحهم برأيٍ لا يُدارُ

فادعى المقرظ انه من الابيات التي تستلزم دقة نظر في استنباط معناها قال وقد رأيت الواحدي يقول في تفسير هذا البيت ما نصه يقول ارادوا ان يديروا الرأي في تدمر فاتاهم سيف الدولة برأي لا يدار على الامور لانه باول بديهة يرى الصواب اه وقال المعري اجتمعوا بتدمر ليديروا رأيهم فصبحهم سيف الدولة برأي لا يتوقف فيه لانه لا يرى الا ما يكون صوابًا في اول وهلة اه ومقتضى القولين ان الادارة المفهومة من قوله لا يدار هي من فعل سيف الدولة الى اخر ما اطال به واستصوب ما ذكره المقرظ من انهم ارادوا ان يقلبوا آراءهم فاتاهم سيف الدولة برأي لا سبيل الى تقليبه اي انزل نقمته بهم ونجح بذلك من انه غرض الناظم قلت من ابن جاءه ان المراد بالادارة القلب والتقليب الذي هو بعيد من غرض الناظم ولا يفهم من اللفظ بل الصواب ما قاله الشراح ومنهم ابو البقاء العكبري من ان الادارة على معناها وان المراد فصبحهم برأي لا يتوقف فيه لانه لا يرى الا الصواب وهو الايقاع بهم واراد المشاكلة بالرأي والادارة على حد قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه غاية الامر ان في كلام الشراح اختصارًا لا يخفى ثم قال ومن ذلك قوله

حنانيك مسؤلاً ولبيك سائلاً وحسبي موهوبًا وحسبك واهبا

فادعى انه غاية في الاشكال وانه لا يفهم الا بتقدير محذوف واستصوب ما قاله المقرظ من قوله وانت حسبي اذا كنت موهوبًا اي لا افتقر بعد هبتك الى واهب اخر وانا حسبك اذا كنت واهبًا اي في شكر هبتك والقيام بحق الثناء عليك وادعى انه سديد لا اضطراب فيه واستقبح ما ذكره المعري من قوله وحسبي موهوبًا اي حسبي من جميع هباتك ان تهب لي نفسي وقيل يكفيني ما وهبت من المال وحسبك واهبًا اي كملت في هذه الصفة وقيل حسبك من جميع المناقب ان تكون واهبًا نفسي مني وما ذكره الواحدي من قوله وكفى بي موهوبًا اي انا اشكر من يهبني وانشر ذكره وكفى بك واهبًا اي انك اشرف الواهبين اه ومثله ما قاله ابو البقاء قلت وهو تفسير لحاصل المعنى لا يراد به اعراب اللفظ وفيه حذف المبتدا من كليهما فقط اذا اريد اعراب اللفظ ولا حاجة الى ما ذكره المقرظ لانه حذف كثير بموعة اللفظ ولا يقاس في مثله ولا يتعلق به غرض كما لا يخفى ومن ذلك قوله في سيف الدولة يخاطب الدمستق وقد فروا سر ابنه

نجوت باحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل

فادعى ان المعنى على ما قاله المقرظ من انه هرب فنجا بنفسه وترك ابنه في قبضة الهلاك الى اخر

ما ذكره وادعى موافقة الشراح في ذلك الا انهم اساؤا في تفسير لفظ يسيل فسره ابن جني بتذوب في القيد ها وهزالا وخطأه الواحدي وادعى ان المعنى بنسل فيسيل دمه فخطأهما المفرط زعمه انه كما قال مفرطه كنى بسيلان مهجته الاخرى عن الهلكة كما يقال فاضت (كذا) نفسه على حد قول السموأل

نسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

قلت كلا القولين المذكورين صحيح من تفسير قسيل تذوب او يسيل دمه بالقتل حقيقة ولا شاهد في قول السموأل لان المراد بالنفس الدم كما هو احد معانيها واي مانع يمنع ان يراد هنا باللفظ حقيقته ولا شيء ينافي الحقيقة وارادة الهلاك بسيلان المهجة وان احتمله اللفظ فهو مجاز لان حقيقة السيلان هو جريان المائع نعم ما قاله ابن جني هو مجاز ايضاً وكيف كان الحال لا يقدم على القول بانه تفسير غير صحيح كما لا يخفى ثم قال ومن ذلك قوله

يطارد فيه موجه كل سابح سواء عليه غمرة ومسيل

فادعى ان المعنى الصحيح ما قاله المفرط من ان الخيل كانت تسبح الموج وهو يجري امامها فجعل ذلك مطاردة بين الخيل لا تبالي بغمرة الماء لقوتها تستطع معظم السيل كما تقطع المسيل الذي لا ماء فيه اه وزعم ان المعنى بعيد وان المعري لم يفهم معنى البيت اذ جعل الغمرة كناية عن الحرب فهو يقول ان الخيل لما عبرته كان يدافعها موجه فكانها تطارده اي تحاربه وسواء على كل فرس منها خوض الماء وغمرة الحرب قال المفرط وهو غريب وقال الواحدي ان الخيل كانت تسبح في الغمرة وتسير في الماء وخطأهما في تفسيرهما الى اخر ما اطال به قلت ما ذكره المعري من ان الماء يدافعها وهي تطارده هو الاقعد في معنى البيت لان المفاعلة حينئذ تكون على بابها ولا صارف يصرفها عن ذلك ولانه امدح لقوة الخيل بخلاف ما اذا جرت مع الموج فانه لا يفيد قوتها ولا بعد تفسير الغمرة بالحرب كما في قوله في غمرة اسمك فلانا عن فل ولا بعد في ارادة الماء من المسيل مجازاً كما قال المعري وهو اعلم باغراض المتنبي ويتعجب من قول المفرط لا مسيل هناك فليتأمل ثم قال ومن ذلك قوله في شعب بوان

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

فاستصوب تفسير المفرط بقوله غريب الوجه في عيون اهلها الا انه لا يعرفني احد غريب اليد اي لا ملك لي في هذه الاماكن فيدي اجنبية فيها غريب اللسان لان لغتي عربية وهم اعاجم وادعى انه تفسير لا غبار عليه وزعم انهم تحاملوا بتفسير غربة الوجه بان لونه اسمر وهم شقر الوجوه وغربة اليد بان سلاحه السيف والرمح وسلاح اهل الشعب الحربة والرايات او انه يكتب بالعربية

وهم بالفارسية قلت الوجه الوجيه ما ذهبوا اليه لانه ليس كل عربي حل في بلاد فارس يكون مملقًا عاني فاقة ولان تفسيرهُ بما ذكروهُ اليق باغراض المتنبي من الاغراب في المعاني على ان اراده ان لونه يخالف الوانهم بغربة اوجه لا بعد فيها بل هو معنى بحت يسبق الى الذهن كما لا يخفى على اديب ثم قال وقوله

يموت راعي الضان في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ

وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سربهِ

فاستغرب قول المعري ان الهاء في عمرهِ وسربهِ ضمير جالينوس اي ربما عاش الجاهل المخلط اكثر من العالم المنتهي وربما زاد امن الجاهل في نفسهِ الى وقت موتهِ على امن العالم فيها ورجح قول المقرظ ان الضمير من عمرهِ لجالينوس ومن سربهِ اي نفسهِ للراعي اي وربما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمنًا على نفسهِ من الهلاك لان الطبيب بقدر وراء كل سبب آفة فلا يزال خائفًا مضطرب البال اه قلت ما ذهب اليهِ المعري هو الاولى لان على سربهِ يتعلق بقولهِ زاد لا بالامن والمعنى عليهِ كما يظهر مما ذكره في ما بعد ولان الضمير يعود حينئذٍ الى اقرب مذكور وهو سالم من تشتيت عود الضمائر بخلاف ما فسرهُ المقرظ في جميع ذلك ولان قوله وكان آمنًا على نفسهِ من الهلاك فيهِ الغاء لمعنى الزيادة المفهوم من زاد ثم انتقل الى اسلوب آخر في تخطئة الشراح وتفضيل مقرظهِ عليهم فقال في قولهِ

انت الغريبة في زمان اهلهُ ولدت مكارمهم لغير تمامِ

ان الغريبة اسم لما يستغرب والتاء فيها للاسمية كما في تحية ونحوها وانكر على الشراح ان التاء للمبالغة وزعم انها لا تأتي للمبالغة الا سماعًا فلا يقال زيد فاصلة ونحوهُ كما استهجن ان التقدير انت الخصلة او الحالة او الامائة الغريبة قلت ليت شعري من ابن جاءهُ ان التاء لا تأتي للمبالغة الّا سماعًا وعلى فرض تسليم زعمهِ فلم لا تكون الغريبة مما سمع على ان دعوى السماع مشتركة بين كونها للمبالغة او النقل ودعوى انها مجردة عن التأنيث في نحو ذلك باطلة اذ لا يقال غريبة حسن ولم يسمع حمل غريبة على مذكر الّا في قول المتنبي فلا يرتكب اخراجها عن الوصفية ولا مانع ان يراد الخصلة والحالة الغريبة على حذف مضاف أي صاحب الخصلة كما لا يخفى ثم قال ومن ذلك قوله

لنوره في سماء المجد مخترقٌ لو صاعد الفكر فيهِ الدهر ما نزلا

ففسر الشراح لفظ صاعد بمعنى صعد وجعلوا الفكر فاعلاً وزعم انهُ لم يات صاعد في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكروهُ ولا يساعد عليهِ القياس وادعى انهُ وردٌ مفرطة الى معنى المشاركة قياسًا

ونصب الفكر مفعولاً به بجعل ضمير المجد فاعلاً قلت هو مثل قاتله الله وسافر زيد وفاعل قد ياتي عرياً عن المشاركة كما في كتب التصريف والمعنى عليها به لو ارتفع الفكر في كنه نوره المشرق في سماء المجد ما نزل عن ارتفاعه وهو المعنى المراد ولا شيء بحالة كما قال المفرط وفي نسخة سماء الفخر وعليها كتب ابو اليقاء فقال في المعنى يقول لفخره علو وارتفاع فنوره يصعد في سماء الفخر ولو صعد فكر واصف في ذلك النور طول ليلها ما زل لانه يصعد على اثر ذلك النور فلا يلحقه لانه قد علا فوق كل شيء ذكره وصيغة علوّ الا بدرك ما وهم وتنكر اه ثم قال ومن ذلك قوله في رثاء ام سيف الدولة

يعللها نطاسي الشكايا وواحدها نطاسي المعالي

فزعم ان الواحدي فسر يعللها بقوله يمرضها ويزيد علتها طبيب امراضه وادعى انه اراد يعللها يعالجها من علتها كما يقال مرضة اذ كان في قول الواحدي ذم الطبيب بزيادة علتها فيناقض وصفه بالنطاسي قلت هو غلط فاحش لانه حرف يزيل علتها بيزيد فقال ما قال عن غير روية والمعنى على الازالة اي يزيل علتها الان سافعل كافعل ياتي للسلب والازالة كقرد زيد البعير واشفاه الله اي ازال عنه القراد وسلت الشفاء كما في شروح العزي وابواب السماء وهكذا مرضها اي ازال مرضها وكان المفرط لم يفهم معنى يعللها فارتكب في تفسيره ما يخالف اصل وضع اللغة ثم قال ومن ذلك قوله

اما تغلط الايام فيّ بان ارى بغيضاً تنائي او حبيباً تقرب

فزعم ان تنائي تفاعل من المتنائي لا تنائي بوزن تفعل كما قال الواحدي فانه غير منقول وهو سهو عن قواعد التصريف لانه يجوز ان يبنى من الثلاثي المجرد المتصرف فاعل وتفاعل وتفعل قياساً وظاهر ان تفاعل مطاوع فاعل كلاهما بصيغة الماضي والاحسن انه بصيغة المضارع لفاعل كما ذكره ابو البقاء في شرحه ليكون كلا المعنيين تنائي وتقرب في غاية التفاعل ومفعول تنائي محذوف اي تنائيه وهو جائز الاشبه ثم قال ومن ذلك قوله في مدح سيف الدولة

وما كان ادناها له لو ارادها والطفها لو انه المتناول

والضمائر كلها راجعة الى النجوم في البيت السابق وصحح الواحدي الطفه بعود الضمير على الممدوح من لطف به اذا رفق وابو العلاء فسر البيت بقوله ان النجوم تقرب له اذا ارادها غاية القرب ولو اراد ان يتناولها لكانت اقرب الاشياء اليه اه فزعم المفرط انه اخذ لطف من معنى دنا وانهما كلاهما مخطئان وان حقيقته كما قال المفرط تفسير الطفها باخبها من لطف صغر ودق قلت اي خطأ في البيت على قول ابي العلاء والواحدي اذا فسر اللفظ بما وضع له ولا شيء

بما فيه والاول ذكر حاصل المعنى ولم يفسر كل لفظ على حدة لوضوح معاني المفردات قال ابو البقاء يقول ما كان ادناها لو قصدها والطفها لو حاول تناولها وهو افراط في الغلو على عادة المتنبي اه على انه لا يأتي لطف بمعنى خف فليتأمل ثم قال

لا افتخارٌ الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينام

فانتقد قول الواحدي كان الوجه ان يقول لا افتخارَ بالفتح كلاً رجل في الدار وانما يجوز الرفع اذا عطف عليه ولكنه اجازه بدون عطف لضرورة الشعراء فجعل الرفع مع النفي بلا ضرورة بناء على ان نافية للجنس وفيه تقصير لا يخفى والوجه ما قاله المقرظ من ان لا هنا مشبهة بليس ولا عمل لها لانتقاض نفيها فالرفع المتحتم اه وقد اعظم ذلك غاية الاعظام قلت والوجه ما قاله الواحدي فان لا نافية للجنس قطعاً وان اهملت ضرورة لانها متى كانت للجنس نصاً ولم تكرر وجب اعمالها كما بينوه في محله فحملها على لا المشبهة بليس لا ينافي كونها لنفي الجنس كما تفيده عبارة المقرظ فيجوز كونها للجنس وكونها كليس قال ابو البقاء بعد ما ذكر ان الوجه البناء وانما جاز الرفع بدون عطف لانه جعلها بمعنى ليس فليتأمل ثم قال ومثله قوله

وما عشت ما ماتوا ولا ابواهم تميم بن مرّ وابن طابخة أدُّ

قال الواحدي الوجه ان يقول فما ماتوا كما تقول ما دمت حياً فما احزن فحذف الفاء ضرورة فانتقد عليه ذلك بان المقرظ لم يتعرض لشيء من هذا لان كلام الناظم لاغبار عليه ووجهه ان جواب ما ماض فلا تدخله الفاء الى آخر ما ذكره بعينه ومبيه وهو غفلة عما لا يجهله صغار الطلبة في المدارس فان الماضي هنا منفي بما فيجب ربط الجواب بالفاء لان الجواب لا تباشره الاداة وانظر الى الضابط الذي يجمع ما يربط بالفاء وجوباً وهو قوله

اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس

وكأن عدم تكلم مقرظه على ذلك دليل على انه لا شيء فيه لانه علامة الثقلين في العربية ولعمري ان هذا غاية التهور في الغلو والادعاء الباطل الذي يشين صاحبه ثم قال وعكس ما في هذا البيت قوله

بعضد الدولة امتنعت وعزت وليس لغير ذي عضد يدان

فانتقد عود الضمير على المضاف اليه لقول الواحدي الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يد لمن لا عضد له اه وهو وهم ظاهر فان الضمير يعود على معلوم من المقام على حد حتى توارت بالحجاب وهو الدولة المفهوم من المقام وعضد الدولة علم على الممدوح ولا يجوز ان يعود الضمير على جزء العلم الا باعتباره قبل العلمية ولم يعلم علام اعادة المقرظ وقد اطال الكلام بما لا معنى له ثم

قال وقوله

ذي الارض عما اتاها اليوم غانية ... وغيرها كان محتاجا الى المطر

فتوه بشأن المقرظ بخصوص عجز البيت من انه اتى بكلام دقيق لم يتعرض له اصحاب البديع وانه من استنباطه وسعة روية ووحدة ذهنه اه قلت هذا من قصور الاطلاع فان الكلام على مثل هذا التركيب مستفيض في الكتب وقد ذكروا انه من نوع الكناية حيث ذكروا في توجيه قوله تعالى ليس كمثله شيء ان المقصود منه نفي المثلية عنه تعالى بنفي مثل مثله فهو كقولهم مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود اي انت لا تبخل وانت تجود كما لا يخفى على بصير ثم افتخر بسعة اطلاع مقرظه حيث اسقط من الديوان قوله

ياسيف دولة هاشم من رام ان ... يلقى منالك رام غير مرام

فادعى انه موضوع لان هذا اللقب حدث بعد نظم هذه القصيدة قلت من اين جاءه ان هذا اللقب لم لا يكون المراد به المعنى التركيبي لانه سيف للدولة العباسية كما قال ابو البقاء فليتأمل ثم قال ومن ذلك تحديده مملكة كافور الاخشيدي في قوله

يدبر الملك من مصر الى عدن ... الى العراق فارض الروم فالنوب

حيث بين مقرظه في شرحه ان هذه الحدود خارجة عن الحدود اتباعا لابن خلكان لا كما قال الشراح من انها داخلة فيه قلت ما ذكره عن الشراح غير صحيح قال ابو البقاء في معناه يريد سعة ملكه وانه يدبر هذه المملكة على تباعد ما بينها وبين مصر ولم يملكه كافور ولا استاذه وانما ملك كافور مصر واعمالها والذي ذكره ابو الطيب لم يملكه وما تأمر فيه سوى الملك الكامل الى اخر ما ذكره فليتأمل ثم قال وكذلك ما ذكره في معنى قوله

وقلن لها اين ارض العراق ... فقالت ونحن بتربان ها

فزعم ان تربان موضع بقرب المدينة يبعد عنها نحو خمس فراسخ بدليل قوله قبله

وامست تخيرنا بالنقاب ... وادي المياه ووادي القرى

والنقاب موضع بقرب المدينة يتشعب منه طريقان احدهما الى وادي المياه والاخر الى وادي القرى وانه لو كان من ارض العراق كما يقول الشراح لم يكن للبيت معنى لانه لا معنى للسؤال عن ارض العراق وهم فيها وحلف بعمره ان هذا منتهى التحقيق قلت الوجه ما ذكره الشراح من ان تربان من ارض العراق ويدل عليه قوله بها سواء قلنا انها اسم فعل بمعنى خذ او حرف تنبيه ويكون نكتة السؤال تجاهل العارف اي خذ ارض العراق او هذه ارض العراق لاننا فيها كما لا يخفى على من عرف معنى التحقيق ولا ينافيه البيت قبله سواء كان النقاب موضعا بقرب المدينة

او موضعًا اخر على ما يهم من شرح ابي البقاء ثم قال ومن بديع تحقيقاته ما اورده من الكلام على لفظ القلام في قوله

سهاد اتانا منك في العين عندنا رقاد وقلاّم رعى سربكم ورد

فادعى انه فاق على الساتي باستخراج معناه وذكر خواصه واطنب في اجتهاده في ذلك غير انه لم يذكر معناه ولا خواصه قلت وهذا البزمن ذاك المطرح قال ابو البقاء في شرحه والقلام نبت خبيث الرائحة وقيل هو القاقلى وهو ارداً النبات وقيل هو الحمض اى السهاد لاجلكم رقاد في الطيب والقلام على خبث ريحه اذا رعته الكم ورد والمعنى انه يستلذ الصعب في حبها ويحسن في عينه ما لم يحسن اه ثم قال وابلغ من ذلك تسيره لقوله من القصيدة التي ودع بها عضد الدولة عند انصرافه من عنده

فلو سرنا وفي تشرين خمس رأوني قبل أن يروا السماكا

فادعى انه ابرز حقيقة المعنى الى الظهور بعد ان مضى عليها نحو تسعمائة سنة وهي تحت ظلمة الجهالة والخفاء الى اخر ما اطال به وتهور فيه من الغلو واساءة الادب الى العلماء الذين لا يساوي مد احدهم ولا نصيفه وهو غاية في سوء الصنيع وهو لم يذكر ماذا قال الشراح في هذا البيت الذي قصروا فيه عن مدى مفرطه وجهلوا ما علمه وخفي عليهم ما انكشف له قال ابو البقاء والسماك كوكب معروف من كواكب الانواء وهو يطلع بالغداة لخمس خلون من تشرين الاول والمعنى يقول لو سرنا وفي تشرين خمس ليال لسبقت السماك بالطلوع وهذا مبالغة في سرعة السير فكانه يقول اذا اخذ السماك في الطلوع واخذت في السير سبقته الى اهلي بالكوفة وذلك لثقته بما احاط به من سعادة عضد الدولة اى لو سرت وقد انصرم من تشرين خمس ليال يراني من اقصده واحن اليه من اهلي من الجماعة المتصلة بنسبي قبل أن يروا السماك الذي هو في هذا الوقت يشير الى سرعة السير اه وهو غاية في ايضاح المقصود من المبالغة والغلو الذي هو ديدن المتنبي فلا يستبعد منه مثله ودوانه مشحون بامثال ذلك ثم ذكر ايضًا ابياتًا لم يتعرض للشراح بها اضربنا عنها صفحًا وان كان الغرض منها الغلو الذي لا يقبل في مدحه وتقريظه اذ ليس لي غرض في تتبع العثرات التي لم يرو بانها غاية الصواب نعم اذا الجئت نعت واذا احرجت خرجت والله المسؤول ان يبصرنا بعيوب انفسنا ويعرفنا مقدارها فلا نغتر باطراء المادحين الذين يضروننا في الدنيا والدين وحسبي الله ونعم الوكيل

آداب نابوليون الماريتي

وقفت في هذه الاثناء على رد المعلم نابوليون الماريتي المدرج في العدد السابع من مجلة الصفاء فوجدت فيه كلاماً لا يوجد الاّ في قول من نضب ماء الحياء من وجهه . ولقد استغربت بشر مثل هذا الرد الذي لم اجد فيه سوى الركاكة والجهل مما لا يستحق جواباً وليس من شأني ان اجاريه في مضمار المشاتمة والطعن

لبس الوقيعة من شأني فان عرضت　　اعرضت عنها بوجه بالحياء ندي

اني اضن بعرضي ان يلم به　　غيري فهل اتولى خرقه بيدي

ولكنني اثرت في ما اذكره ان اعرفه بقدره لئلا يظن الجاهل في نفسه انه حكيم فاكيله بكيله ولا اكلمه الاّ بلغته . وقد خطأني بامرين . الاول . قولي المقالة المدرجة في مجلة الصفاء في الرخم فقال الاصح ان يقال مقالة الرخم المدرجة في الصفاء . والحق ان المقالة في الرخم على الحقيقة وليست هي مقالة الرخم فلا وجه للاضافة في هذا المقام . والثاني قولي بحرفتيه . فقال انه لم يجد ذكراً لهذه اللفظة في كتاب اللغة (كذا) ولا في غيره (كذا) . قلت ليس من شأن كتب اللغة التعرض للقياسيات والقواعد الصرفية كالمنسبة هنا وعدم تعرضها لا ينفي صحة استعمالها والاّ لوجب ابطال سائر القواعد الصرفية والنحوية وكل منسوب كالاسمية والفعلية والضاربية والمضروبية وهلم جرًا . على ان الحرفية ذكرت مراراً كثيرة في كتب آداب اللغة ومنها مغني اللبيب لابن هشام . فمن هنا قد اتضحت قلة بضاعته ومطالعته وهو مع ذلك يتصدى الى ما يفوق على طوره . على انني لو عمدت الى تخطئته لاستخرجت من كل عبارة قالها جملة اغلاط فاجتزئ بذكر شيء منها . فمن ذلك قوله «كنت مجيلاً النظر في المطالعة ومسرحاً نظر الاختبار» وهو من الركاكة على ما ترى فاي معنى لتسريح النظر بعد اجالته وما هو المقصود من نظر الاختبار ومن تكرار لفظ النظر في هذا المحل

ومن المضحكات قوله «ينبغي للدهي قبل ان يتصدى للمساجلة وينزل في مضمار المناظرة والمجادلة يجب عليه اولاً . » فلينظر هذا الدهي الى قوله «ينبغي له» كيف يخاط مع قوله «يجب عليه» والانبغاء غير الوجوب . لان كلمة ينبغي تقتضي رجحان احد الطرفين وجواز الآخر بخلاف كلمة يجب . هذا فضلاً عن ان صاحبنا جاء بكلام ابتر لا يستدل منه معنى وفصله بنقطة الوقف . وهذا من بديع ركاكته

وقوله «ان يدرك جيداً معنى الكلام الذي و يريد الرد عليه» (كذا) بوضع الواو مقحمة بين الموصول والصلة وهو على ما ترى . وهذه الزيادة تشهد بزيادة براعته

وقوله « انه ليس من اصحاب هذا العلم ولا من المتوغلين فيه» ومقتضى الحال هنا ان يكون المعطوف دون المعطوف عليه وهذا مما يدل على توغله بالشطط اذ قد يكون الانسان من اصحاب العلم ولا يكون من المتوغلين فيه على نحو قولنا عمرو ليس من اقران زيد ولا من خدمه فلا يوافق ان نقول انه ليس من خدم زيد ولا من اقرانه كما لا يخفى عن اهل النظر

وقوله « غبيا متجاهلاً » والغبي هو الجاهل والمتجاهل هو المتظاهر بالجهل والجاهل لا يكون متظاهراً بالجهل كما لا يخفى

وقوله « رأى الحق بيد عاكسه» يريد بعاكسه خصمه او مناظره ولم يرد لفظ العاكس بهذا المعنى فلينظر صاحبنا في كتاب لغته ليرى اين هو من الصواب

وقوله « قلنا تيين الان الى مناقصة كلام حضرة الافندي» ولعله اراد بالمناقصة الانتقاد او التخطئة او التفنيد او ما هو بمعناها . لان المناقضة مصدر ناقض قوله الثاني قوله الاول اي خالفه ولا مناقضة هنا الا ان يكون صاحبنا يؤثر وضع لغة جديدة فيحتاج الامر الى وضع قاموس خصوصي لها

ومن هذا القبيل قوله «ناخذ اولاً في مناقضة تصحيح فاتحتها» وهو من طلاسم القول الذي لا يهتدى الى تصحيحه وكانه يريد تصحيح فاتحتها بدليل قوله فيما بعد « وقد انتهينا من تصحيح فاتحة مقالتك » والامر واضح ان المقالة التي عنى حضرته بتصحيح فاتحتها هي صحيحة المبنى سديدة المعنى وهو يرغب في مناقضة صحتها . فيالة من مخطىء قد اصاب

وقوله « و بعد ناخو عن البقية» وما كان اغناه عن هذا اللغو

وقوله « لقد استفتحت صدر كلامك » فكيف يكون استفتاح صدر الكلام الا ان يكون ذلك من مبتكرات نفعرانه

وقوله « يرعب الفرائص بانشائه » والحال ان الفرائص لا ترعب بل ترتعد اذ رعب صاحبها فليست هي التي تخاف ولكنها ترتعد بسبب رعب صاحبها « فاقرأ ولا ترتعب»

« وقوله فائذن لنا ايها الخواجا في التفوه عن الامدة لِمْ يتعذر على حضرتك .» وفي هذا غلطان الاول قوله « التفوه عن » والصواب الكلام على او النظر في او ما شاكل ذلك . والثاني قوله « يتعذر» والاولى . يصعب او يعسر او يثقل او ما يرادفها . لان المؤلفين لم يستعملوا يتعذر الا بمعنى يمتنع او يستحيل من ذلك قولهم « تعذر الابتداء بالساكن » و تعذر ظهور الحركات

على المنصور وامثال ذلك كثيرة وهذا الذي يتبادر الى الفهم اليوم. هذا والاذن لجنابه في ما سأل من اقرب الممكنات لا من المتعذرات ولا من المتعسرات

وقوله «من الذي درسك ان الرخم اصناف عديدة او ما اسم الكتاب الذي رأيت فيه ذلك» وهو من غريب الكلام فلينه بيد ما كيف يعرب هذا القول ولعله يجيبنا بان من مضاف الى الذي كما اضاف المقالة الى الرخم. ثم من اخبره ان معرفة اصناف النوع موقوفة على التدريس وأنى ساغ له ان يطلب اسم الكتاب الذي اخذت عنه القول بان الرخم اصناف عديدة وقد ذكرت في ردّي السابق اسم الكتاب المذكور واسم مؤلفه العلامة المرحوم احمد افندي فارس الشدياق اولعله يقصد التهكم على العلامة المذكور فليطلّ اولوا الادب والعلم

وقوله «كان ينبغي لك ان تذكر شيئاً عن عائلته ورتبته والسبب هو ان الطبيعيين متعودون قبل ان يعلقوا في الكلام عن حيوان ما ان يذكروا عائلته ورتبته» وهنا من بدائع الهذر الوان وبضائع اللغط اشكال والظاهر انه اراد بقوله «ينبغي لك» يجب عليك فالعجب لمن شأنه كذا ويتصدى للانتقاد ويا ترى لماذا وجب عليّ ذلك والمقام مقام ردّ لا مقام تأليف في الحيوان

وقوله «قد فشت عليك الصيعة اما سمعت ما يقول المثل لا تهرف بما لا تعرف» والظاهر من سياق كلامه انه اراد بقوله «فشت عليك الضيعة» تعرضت لما لم تعلم والصحيح ان معناها بعيد عن ذلك. قال الزمخشري في اساس البلاغة «وفشت عليه ضيعته اذا انتشرت عليه اموره لا يدري بايها يبدأ» . وقال صاحب محيط المحيط «اذا اخذ الرجل في ما لا يعنيه يقال فشت عليه ضيعته» ولا مناسبة لكل من المعنيين في عبارته. فليعلم صاحبنا ان المباحث العلمية تعنينا بل هي امرٌ واجب علينا

ومن اسراره التي لا تدرك قوله «عركت في حديثك» وهو من اوضاعه المبتكرة

ومن بديع صرفياته قوله «آت» امراً من اتى

وقوله في فنونك عبارة يالها و(كذا) والفعل يأتي فنسأله ان ينظر في كتاب لغته ليرى ان كان على هدىً في ما نشره وحينئذٍ لا يكون في فنونه غاية

وماذا عسى ان أحصي من اغلاطه في ردٍ زاد عن الصفحة الواحدة قليلاً فلو تحريت تفنيد كل ما ارتكبه من الركاكة وبيان سفاسفه لضاق بنا مجال القول فعلى من رام المزيد بمطالعة ردهِ . وكفى بما تقدم نصحاً له وتهذيباً لجماح افكاره

فقد تطفلنا عليك ايها الاديب وانزلناك الى مقامك وما خاطبناك الا بشيء من كلامك

ولو اسكت المسامع من الفاظك وقرت النفوس الابية من مناظرتك على الك شمحت بانفك وظننت ان جدران مكتبك منتهى الارض حتى اذهلك كبرك وتيهك وعجبك وصلفك عما في ردك من الفوائد الشائقة والمعاني الرائقة . لما اوسع اطلاعك واطول باعك واغزر فضلك واكرم طبعك (ماشاالله كان)

على اني اقول ان كل ما ذكر من الاغلاط وما لم يبق كرلا شيء بالنسبة الى ما نشرهُ من الذم الذي تأباه النفوس الابية وتأنف منهُ اصحاب الآداب وهو يقول بعد كل ما ذكره من الادعاء والافتراء «كثرة الكلام تنفر الانام .. وما اظنك تجاوبني» . ويي ويي ان لله في الخلق عجبًا

اي نابوليون اعلم ان صاحب الفضل اذا اظهرهُ يجلهُ فضلهُ وصاحب الجهل يذلهُ جهلهُ فلا يثني على امرىء الا بما انطوى عليهِ وافعالهُ لا تعزى الا اليهِ ان خيرًا فخيرًا وان شرًا فشرًا .

قلت «بئس العمل الذي عملتهُ» ولم يكن عملي الا اظهار حقيقة علمية . فلا ريب بان الحقائق العلمية مذمومة عندك ومحظورة عليك

وقلت . «لو كنت عاقلاً حكيمًا لما رسمت تلك الاسطر» وما تلك الاسطر الا علمية ادبية وفي مراجعتها بيان كاف تتضح منهُ مغالطة صاحبنا فاكرم بهِ من عاقل حكيم

وقلت «قد تعسفت في الكلام كما يهذي المصاب بكلا يسس الخ» وهذا كلام مختبر اذ قد بان منهُ ما يؤيدهُ

وقلت «ابنت نفسك امام الادباء بليدًا جاهلاً وغبيًا متجاهلاً » فيالك من نارع ناخع وناتر ساجع

وقلت « قد انسل صامتًا لانهُ قد اصاب عصا المناظرة على أُم رأسهِ» . رحم الله من ربّاك وهذبك هذا التهذيب

وسأفند فيما بعد اعتراضهُ على المقالة في الرخم . الياس بهنا

الصفا : قد نشرنا في العدد السابق مقالة من قلم المعلم نابوليون افندي الماربني البغدادي ردًا على ما كتبهُ المعلم الياس افندي بهنا في الجزء الثاني من هذه السنة فاستاء البعض من نشرها لما فيها من الطعن على حضرة مناظرهِ الكريم والتعريض بطيب نطاسي اديب وعالم فاضل اريب عُرف في ديارنا بسعة معارفهِ وعوارفهِ وحسن آدابهِ وبراعتهِ وسمو ادراكهِ واعمالهِ المشكورة والمبرورة المستوجبة الذكر على تراخي السنين ومهما كانت الحال نتنبه حضرات المناظرين والمراسلين اننا لا نقبل رسالات من هذا النوع فيما بعد

باب الفكاهات

رواية الكونت دي كولانج

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي قصيري

(تابع ما قبله)

فنظر اليه جوري كمن يريد ان يطلع على اعماق افكاره وقال في نفسه حانت الساعة لم يعد لي وقت اضيعه بالباطل اذا اردت ان لا يفلت من يدي ثم قال بصوت مرتفع انت غير قابل للاصلاح يا حضرة الكونت

اجاب الشاب صحيح

قال ومع هذا فانت شاب واذا اردت يمكنك . . .

قال الشاب يتبسم عربي ان اصلح نفسي البس كذلك

اجاب بلا ريب

فصاح الكونت دي مونتكاريين بصوت خشن مضى الاوان

قال جوري ما دمت مصرًا على اللعب فهلم بالا

اللاعبين بانتظارنا

الفصل الرابع عشر

اللعب

فاقترب الاثنان من طاولة اللعب التي احاط بها حالاً نحو اثني عشر مقامرًا وجلس المبور تغالي على مقعد كبير ثم القى نظرًا سريعًا على جميع الاشخاص الجالسين حوله وكأنه ارتضى من مشهدهم فظهرت عليه حالاً ملامح السرور والتبسم وسحب بخطارة جزدانه ففتحه واخرج منه

ورقتي بنك بقيمة الف فرنك وضعها على غطاء الطاولة الاخضر ثم قبض على الورق ولفظ هذه الكلمات العبوا ياسادتي

فتساقطت على الطاولة قطع الذهب واوراق البنك وابتدأ اللعب فعلا صوت البورنغالي في وسط السكوت وقال ربحت ثم استولى على الكسب وقال عندي اربعة الاف العبوا

فكسب البورنغالي ايضًا وتكرر كسبه ثانيًا وثالثًا حتى اجتمع امامه عرمة من الذهب واوراق البنك فقال عندي الان اثنان وثلاثون الف فرنك فشخص اللاعبون الى بعضهم وكانوا جميعًا صفرًا كالموتى وقد استولى على البعض الارتعاش وعلى البعض الاخر التشنجات العصبية وجعلوا ينظرون باعين متقدة مضطربة وكان الكونت دي مونتكارين يجهد نفسه على التظاهر بالسكينة ولكن اضطراب شفتيه ومنخره كان يشف عن ثائراته الداخلية

فقال احد اللاعبين حقًا انه لم يعد في المستطاع اللعب مع حضرة الكونت دي روكاس لانه موفق دائمًا بما لا يصدق

فايد كثيرون هذا الحديث وقالوا صحيح

اما جوزي فاستمر محافظًا على مظاهر العظمة والسكينة وقال العبوا ياسادتي

وفي هذه المرة بقي صوته بلا تأثير لان اللاعبين كانوا مترددين وظهر عليهم كأنهم يتشاورون فلم يلبه احد اما هو فاستمر ينتظر بلا تضجر وكانت شارلوت خلفه وقد اسندت ذراعيها على وسادة مقعده فاحنت رأسها الاشقر بتمهل حتى النصف تقريبًا خدها الوردي بوجه البورنغالي وقالت بصوت منخفض حقًا انك خليل التوفيق ياحضرة الكونت فهو مقيد بك يتبعك كخادم الى حيث تكون انني اعجب بسكينتك وكيف ان السعادة مهما تعاظمت لا تؤثر فيك ولا تزعجك كانك تمثال العظمة فهمس جوزي ساخرًا ما هذا التحمس

قالت لاريب انك سعيد وموفق في كل شيء

فسال هل تظنين ذلك ياشارلوت

قالت لا اظنه ظنًا بل متأكدته

قال انت مخطئة

فسألت من اي شيء تشكو العلك تشكو من قلبك

اجاب لربما

قالت لكل داء دواء ياحضرة الكونت الا تريد ان تشفى

قال انني ابحث على الدواء

قالت اين الطبيب اظنك تجده هنا غير بعيد حنك اذا بحثت عنه

قسأل صحيح

قالت نعم وهذا الطبيب الشاب .. ..

قال هل هو شاب اذن

اجابت انه كثير الحرص على كتمان السر وهو مستعد لتمريضك بمزيد الفرح

قال جوزي اذا كان ذلك ياشارلوت البديعة سوف استشيره عن صحتي

فسألت حتى

اجاب في بضعة ايام

فقوست شارلوت رأسها الاشقر البديع وكانت جبهتها مشعشعة وعيناها تنبعث منها اشعة النور

اما المبور تغالي فالقى نظره على جميع اللاعبين وسال على م عولتم ياسادتي ولما لم يجب احد ثم دفع الى وسط الطاولة بعض الاوراق المالية وقال لم يبعد عندي الا خمسة الاف فرنك العيول

فصاح الكونت دي مونتكارين علي ثم القى بيد مرتعشة على الطاولة خمس ورقات مالية كل واحدة منها بقيمة الف فرنك فقلب الكونت دي ر وكأس الورق وفي الحال سمعت ضوضاء عظيمة تشف عن التمرمر وقال جوزي ببرودة لقد خسرت ياسيدي دي مونتكارين

فبدأ من الكونت الشاب اشارة بمعنى الغيظ وتأخر مذعورًا الى الوراء خائر القوى وظهر على وجهه المكمد بقع حمراء بنفسجية وصاح اللاعبون تعجبًا هذه هي المرة الخامسة التي كسب فيها

قال جوزي صحيح ياسادتي ولكن ليس في ذلك ما يوجب العجب فهذه صدف الورق ثم جمع بضبط وسكينة المذهب واوراق البنك عن الطاولة ووضع الكل في جيبه ونهض وقال انني اترك مكاني لغيري

وعند ذلك تكاثرت حركة الاقدام حول الطاولة ذهابًا وايابًا ثم اخذ احد اللاعبين المركز الذي تركه المونتغالي وتجدد اللعب

اما الموسيو جوزي فابتعد عن الطاولة الخضراء وكانت النساء وقد بلغ عددهن نحو العشرين معجبات به يتخصص اليه باعين براقة واتخذت شارلوت الجميلة مظاهر الدلال فكانت تقول في نفسها انه شيخ مسن ولربما شنيع ايضًا ولكنه بلا ريب من اصحاب الملايين وكان الكونت

دي مونتكارين قد القى نفسه بخوار على مقعد في احدى قرا في المقاعة واحنى رأسه على صدره تستغرقه الافكار الكئيبة فتقدم البورتغالي منه وجلس بجانبه وقال والان ياحضرة الكونت اما حذرتك ونبهتك

فرفع الشاب رأسه فجأة وقال بدهشة هذا انت اظن انك تكلمني

قال نعم ياحضرة الكونت تشرفت بمخاطبتك

قال ما سمعت جيداً ما الذي قلته لي

قال قلت انك اخطأت بعدم اتباع مشوراتي

قال ان الحكم بخطائي واصابتي ياحضرة الكونت يختلف بحسب افكارنا

قال هذا اشبه بلغز ياسيدي ما فهمت شيئاً

قال من المستحيل عليك ان تدرك مقاصدي وافكاري

اجاب بدون ريب فاذن انت ترغب الخسارة

قال بارتياح قلبي الى مدومة ،تمام اللعب مع قطع النظر عن النتائج سواء كانت طيبة او رديئة

قال جوزي من المؤكد انك كنت ومازلت حاصلاً على الحق باجراء كل ما تريد ولكن التوفيق له اهواء ياحضرة الكونت ولا يخفاك اني حاولت غير مرة انقاذك من ضرباته الموجعة

فاضطربت شفتا الكونت دي مونتكارين بنوع من التبسم المر وقال بحدة قضي الامر ولم اسمح لك فخسرت كثيراً وعلى الدوام انني من تاريخ اليوم الذي نظرتك فيه المرة الاولى لم ينقطع التوفيق الملازم لك عن معاكستي ولم يعد ذلك عن هوى كما تدعي بل عن عداوة وعدوان والذي يظهر لي ان التوفيق خاضع لارادتك حتى اكاد اظن انك شيطاني المضل

قال جوزي بلهجة سخرية كمل ياحضرة الكونت ولا ترجع فانت تخاطبني باقوال جارحة

قال حقاً ان النحس لم يتبعني بكل هذا العناد الا منذ بضعة شهور اي من حينما تعرفت بك

قال لربما ولكن هذا السبب لا يكفي لجعلي مسئولاً

قال ان شيئاً من داخل فؤادي يقول لي ان لك عليَّ نفوذاً مشوماً

قال اذكر ياعزيزي الكونت انني لم اتشرف بمعرفتك منذ زمن طويل وعلى فرض انني اليوم شيطانك المضل فلا ريب انك حصلت قبلي على جملة شياطين مضلين فهلم بنا نتكلم جدياً لماذا تتصور يا ترى ان لي عليك نفوذاً مشوماً هل لانني اخلصت لك بعض النصائح ولم تجر بموجبها

اجاب لا اعلم ولكن اسألك لماذا تتأثر خطواتي كظلي حتى صرت اراك في كل محل اذهب اليه في المنتدى وفي القاعات وبي النالن الميزه وفي سباق الخيل وفي القهوة وفي الشوارع وفي ملعب الروايات فاما امامي واما خلفي واما بجانبي انك دائمًا بقربي في كل مكان . . في كل مكان فلماذا ياترى هذا التأثر صرح لماذا

فسأل جوزي وهل محبة الاجتماع بك والذهاب الى مكان وجودك جريمة

قال لا ولكن . . . ثم تردد في الحديث فقال جوزي كمل

قال ان اصرارك على ملاحقتي في كل مكان كحارس يحملني على التعجب وقد تعذر عليّ فهم المعنى المراد بذلك والذي اراه ان هذا التصرف لا يخلو من الغرابة

قال الا ترى في تصرفي باعزيزي الكونت الا دليلاً على عظم اهتمامي بك . الست صديقك

فهمس متعجبًا صديقي

قال هل تشك بذلك يا حضرة الكونت

فامسك الشاب عن الجواب ولم يتلفظ بشيء اما جوزيه فقبض على يده وقال بلهجة تشف عن مزيد الصدق والاخلاص نعم انا صديقك بل مخلص لك اكثر من جميع اصدقائك وعندي ان الشك بذلك اهانة لي فانت ممن يحسنون اكتساب محبة الناس ياحبيبي لودوفيك وقد تولدت معي هذه المحبة من تاريخ تشرفي للمرة الاولى على يدك ثم تزايدت سريعًا حتى بلغت درجة الصداقة الحقيقية

فشخص الشاب بنظره اليه وقال لا اخاطر بشيء اذا صدقتك وعاود جوزيه الحديث

فقال اسمع يالودوفيك انني رجل مجرب وقد حييت وعرفت الحياة فانا لا اتصرف ولا ادفع الى عمل ما بعوامل التحمس وجميع اعمالي موزونة بقسطاس الفكر فمن كان في سني تكون الصداقة التي يشعر بها فؤاده دائمًا حقيقية ولربما تسألني لماذا احببتك ولماذا يهمني امرك فجواب ذلك لانك حاصل على الشبوبية والحرارة والتحمس الى غير ذلك من الاوصاف التي كانت فيّ وفقدتها فانا انظر اليك واقول في نفسي كنت قبلاً مثلك ذكرتني والحق يقال بالماضي عندما كنت انظر المستقبل منبسطًا امامي بافلاكه الجميلة المتسعة . اكرر لك القول ان صدقني لك بمنتهى الاخلاص صدقني ياعزيزي لودوفيك انني اهل لان اعمل اشياء كثيرة لاجلك

فهز الشاب رأسه وقال لم يعد لي ما يعمل لاجلي

قال وانا يا العكس ارى انه يوجد اشياء كثيرة للعمل ولكن المقام عندنا لا يصلح للتكلم عن فكر خطر على بالي ومقصد دبرته وسوف نتحادث عن ذلك في وقت اخر وحينئذٍ تتأكد

صداقتي

وكان الموسيو دي مونتكارين يسمع ذلك بهيأة متضعضعة عابسة تدل على مشاغل افكاره فسأل جوزي لم انت متضعضع في هذا المساء وبماذا تفكر

قال لوفوديك بلهجة غريبة افتكر بما سافعله غداً

فسأل وما الذي اعتمدت على فعله غداً يا عزيزي الكونت

قال هذا سر خصوصي متعلق بي يا حضرة الكونت دي روكاس

فقال جوزي في نفسه ان هذا السر لا يخفى عني ثم عاود الحديث بصوت مرتفع وقال انت متكدر اليوم وما دام العمل الذي تنويه سراً خصوصياً تريد حفظه لنفسك ما عدت اسالك عنه . . هلم نتحادث عن شيء آخر

فسأل الشاب بماذا نأمر

قال كم بلغت خسارتك في هذا المساء

قال خسرت كل ما كان باقياً عندي

قال ما عرفت من هذا قيمة المبلغ الذي خسرته

قال عشرة الاف فرنك

قال هل تريد محاولة ارجاعها باللعب

فصاح قلت لك انني لا املك خلاف هذا المبلغ عشرة الاف فرنك وقد خسرته ولم يعد في الامكان ان العب

فاخرج جوزي من جيبه عدة اوراق مالية وقال يمكنني ان اقرض صديقي الشريف الكونت دي مونتكارين مبلغ عشرة الاف فرنك

فدفع الشاب بخشونة اليد التي قدمت اليه الاوراق وقال لا لا . . اشكر فضلك

فسأل ولماذا تمتنع عن اخذها الست صديقك يا عزيزي الكونت

اجاب بلا ريب ولكن . . . .

قال صرح

قال ان كل شيء ضدي وعامل على معاكستي ومن المؤكد عندي انني ساخسر

قال انت تعلم يا حضرة الكونت ان حظ المرء يتغير في كل حين ولا يمكن ان يستقر على حال واحد

قال الا تذكر انك اقرضتني قبلاً مثل هذا المبلغ يا حضرة الكونت دي روكاس

اجاب بلى وطلبت اليك ان تخبه عندما يحسن لديك

قال والاعجب انك لم تأخذ مني وصلاً به

قال هذا يحدث بين الاصحاب

قال ومن اجل هذا الا اريد ان انطرف بالانتفاع من حسن نصدك بكفيتي ما انا مديون به الان

فسأل لم كل هذه التدقيق فيما بيننا ياحبيبي لودونيك

قال يحق للانسان ان يخسر امواله لا اموال الاخرين

قال اذا استمررت على هذا الحديث فمن الممكن ان نبحث طويلاً ولا نتفق على شيء ان جل ما اعرضه عليك انما هو الواسطة اللازمة لاسترجاع الخسارة التي تكبدتها انك حضرت الى هنا مصحوباً بعشرة الاف فرنك ثم خسرت هذا المبلغ واتما كسبته فلم لا تقبل ان ارجعه اليك حقاً يا عزيزي لودوديك انك غريب الاطوار وان موضاتك اصعب من مرضاة التوفيق. يسرني ان اتقرب منك وان اقدم لك برهاناً جديداً على صداقتي فخذ هذه الاوراق حتى اذا كسبت تردها اليّ واذا خسرت فتعزى عن الخسارة بانشاد هذا البيت

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فسأل الشاب لا بد من ذلك ياحضرة الكونت دي ر وكاس

اجاب نعم

قال فليكن ثم تناول الاوراق المالية بيد ملتهبة بالحمى واعين تقدح النار ووثب الى جهة طاولة اللعب

اما البورنغالي فانتقل الى جانب البارونة وجعل يتحادث معها وكان قد مضى نحو عشرين دقيقة واذا الكونت دي مونتكارين قد انفصل فجأة عن جماعة اللاعبين وارسل صوتاً اجش فنهض جوزي مهرولاً وتقدم لناحيته وسأله ماذا فعلت

اجاب خسرت وكنت عالماً من قبل هذه النتيجة وقلت لك عنها

قال ليس في ذلك ما يحملك على اظهار كل هذه الرعشة فالك نفسك وكن قوياً لان الانظار موجهة اليك

اجاب اصابني اليأس

قال فصاحب باليأس من اجل شيء زهيد كهذا لا ريب انك مجنون

فتأوه وصاح انك لا تعلم ولا يمكن ان تعلم

قال جوزي عند اول فرصة ناخذ بثارنا ونسترجع خسارتنا

قال لم يبقَ لي امل والاصوب ان اتخلص سريعاً من هذه الاثقال

فارتعش البورتغالي وسال ماذا تقول

قال اقول ان وجودي صار ثقيلاً عليَّ وقد سئمت الحياة

فسال ماهذا ياعزيزي الكوست العالك مجنون يستدل من انقباض وجهك واضطراب عينيك انك تنوي . . . ثم صاح لايمكن ان تفعل ذلك . لايمكن ان تفعل ذلك

قال ما عدت اريد الحياة

قال ولكنك مستبد بالدخول اليها ايها التعيس

قال لالا عشت طويلاً وقد اختبرت الحياة وساتركها بلا اسف على الاطلاق

فصاح جوزي بصوت متاثر لوفوديك انت تؤلمني . تؤلمني كثيراً بهذا الحديث

اما الشاب فعاود التكلم بهياج وقال اني خربت . خربت تماماً وصار لي مدة واقا اقاوم الاقدار واقاتل بيأس والان سحقت ولم يعد لي قوة ولا اقتدار على شيء . . . وصار من المستحيل مداومة المقاومة لاني ندت ارثي بجنون وذلك بالقائه الى جميع الاهواء اني دخلت الى الحياة بطريق مشوهة وربما وجد بين اصحابي من دفعني قليلاً الى الامام ولكنني لا اشكو احداً حيث كان من اللازم عليَّ ان اتاخر وامتنع عن التقدم في هذا السبيل المعوج ولا اظهر هذا الضعف

ثم داوم الحديث بخشونة وقال الحق كذلك عليَّ لاني قدت نفسي بحماقة الى الخراب وحتى لا ارى ما ينتظرني اغمضت اعيني ثم اندفعت مصاباً بالدوار الى العثير الجهنمي اني العن اليوم الذي ولدت فيه والعن الحياة نعم انها جميلة لبعض الناس ولكنها لي بمقام سلسلة عذاب ومرارة وقد ركضت وراء المسرات فوجدتها باطلة ولكن ما عرفت ذلك خلاف الان بعد فوات الوقت . ما عاد لي امل فانا مكسور القلب خائر القوى متضجر من كل شيء ثم سال هل اعيش ولماذا يا ترى حتى اكون سخرية عند البعض وموضوعاً للاحتقار عند الاخرين كيف يمكنني المعيشة وانا لا املك شيئاً ولا احسن معرفة شيء ولا اقدر كادني الفعلة على كسب خبزي اليومي

صار لي الان خمسة عشر يوماً ياروكاس وانا افكر بالانتحار وفي هذا الصباح رهنت مجوهرات امي الاخيرة حيث لم اجسر على مبيعها وقبل دخولي الى هذا المنزل قلت في نفسي اذا خسرت احرق دماغي بالرصاص وقد خسرت كما لا يخفاك وسوف يحصل الداعون غداً على جثتي

قال جوزي ساخرًا هذا اسلوب غريب لوفاء الديون ثم غير صوته فجأة وقال بخطارة من اللازم ان تمتنع يا عزيزي الكونت عن هذا العزم لانني اريد ذلك وليس قصدي الآن ان اعظك وعظًا مضحكًا واحول افكارك بالبراهين العقلية عن الانتحار ولكن اقول لك فقط انه مهما كانت حالتك يمكنني ان اخلصك حيث لديّ وسائط فعالة لانتشالك من الخراب وارجاعك الى ثروة عظيمة

فنظر اليه الشاب بظاهر عدم التصديق

قال البورنغالي العالك مرتاب بصحة هذا الحديث

اجاب اظن انك تسخر بي

قال ليس هذا وقت السخرية فاسمع اني اسألك الانتظار لمدة اربع وعشرين ساعة فاذا لم اقنعك من الآن الى ذلك التاريخ بصحة حديثي واستمررت مصرًا على انفاذ مقصدك المشوم يبقى لك وقت لحشو غدارتك

فتبسم الشاب تبسمًا غريبًا ثم عاود جوزي الحديث فسأل هل تمنحني هذه الاربع والعشرين ساعة التي اطلبها منك

اجاب نعم ان التساهل بيوم واحد بالنسبة الى الابدية لا يحسب شيئًا

قال جوزي من اللازم ان اراك غدًا صباحًا

قال اين

قال عندك

قال في اية ساعة

اجاب احضر لزيارتك في الساعة التاسعة

قال حسن سوف انتظرك

وبعد هنيهة خرج جوزي باسكو الكونت دي مونتكارين مسرعة من منزل البارونة الالمانية

الفصل الخامس عشر

لودوفيك دي مونتكارين

وكان الكونت دي مونتكارين يسكن في شارع ا...سونرج منزلاً غير كبير بظهر بديع جدًا

اشتراه منذ اربع سنوات والتزم من اجل هذا الشراء ان يبيع متزلين من املاكهِ في ديجون

وفي ذلك الحين كان الشاب المذكور قد اندفع بحسب تعبيره الخاص الى المعتبر الجهنمي اي الى تطرفات الحياة الباريسية غير المرتبة فكان يصحي كل شيء بلا فكر وبلا ضمير للمسرات التي لا يشبع منها وينتقل من معصية الى اخرى حتى استغرقته جميع الفواحش وهو يصرف امواله جزافًا في طرق غريبة من المعاصي التي لا يعرف لها اسم ولا يخفى ان هذه الاعمال كانت تسقم صحته وتضعف افكاره وتجرده من الاحساس الادبي وتدنس اسمهُ وتشين شرفهُ. ولما كانت مداخيلهُ لا تفي بمصاريفه جعل يستقرض ووجد في اول الامر بسهولة من يقرضهُ ويسترهن املاكهِ ولكن ما لبث المقرضون بعد نفاذ املاكهِ المذكورة ان غيروا مسلكهم معهُ وتصاموا عن استماع ندائهِ وعند ذلك ابتدأت النهاية اي ساعة التجارب القاسية

وكان لهُ اصدقاء عديدون اشتركوا معهُ في ابتلاع ارث ابيهِ فاداروا لهُ فجأة ظهورهم واعرضوا عنهُ وكذلك معشوقاتهِ لم يعدن يعرفنه وهذه هي حالة الناس على الدوام عندما تكون سعيدًا يبحثون عنك ويملقونك ويصوبون اقوالك ومتى اصابك الفقر والشقاء يهربون منك ويحتقرونك وينكرونك والذين اعجبوا بك وانتفعوا بخيراتك وغمروا باحسانك وجميلك هم الذين يبادئونك بالذم وثلم الصيت ويرمونك بالحجر الذي يرجم بهِ الدب على فم راسك

وكان الكونت دي مونتكارين قد مرت عليهِ جميع هذه التجارب العالمية ولما رأى نفسهُ متروكًا من الجميع ونظر الى عمق الهاوية التي فتحت تحت اقدامهِ تكامل انتباههُ من غفلتهِ فادرك حينئذٍ انهُ تهور في طريق رديئة ولكن الوقت كان قد مضى ولم يعد يمكنهُ لسوء الحظ ان يغير مسلكهُ وبالنظر الى حالة الشكوك التي وصل اليها لم يفكر بالاسف من عمله ولم يسأل عن امكان نهوضهِ من سقطتهِ وكان قد فقد قوتهُ وشجاعتهُ وضعفت نفسهُ وخسر قلبهُ فاظهر الجبن امام الصعوبات التي انتصبت امامه ولم يعد يرى الا رسومًا مشوهة ولا يشعر من نفسهِ الا بمخاوف المستقبل

فنسب ذلك الى معاكسة الاقدار وظهرت لهُ الحياة كشيء مستنكر وان العالم اضحوكة للارادة القديرة التي اوجدت الخلق وفي حال جنونهِ كان يلعن النهار ويتهدد الشمس ثم يلعن الليل ويتهدد الكواكب ولم يعد عنده قيمة للحياة فهي لديهِ كحمل ثقيل جدًا يربطهُ مقيدًا بهذه الارض وحتى يتخلص منها فكر بالانتحار فكان يقول في نفسهِ ان خير الاعمال التي يجب عليَّ انما هي قتل نفسي ومع هذا كان يوجل دائمًا تلك الساعة الهائلة كأن شيئًا سريًا يدفعهُ الى التمسك بهذه الحياة التي سئمها ولم يعد يريدها ولربما يكون هذا الشيء هو احتجاج ضميره بيته

وكان في هذا الشاب فضلاً عن ذلك حاسة غريبة فهو لا يستطيع الاقدام على الانتحار عند هذا الفكر وهو ان العالم بعد موته لا يتغير فيه شيء وان الخلائق ستداوم الحركة والتنفس والحياة وهذا نوع من الغيرة الجنونية فان ذلك المجنون كان يريد بانحداره الى الظلمة الابدية ان ينحدر كل شيء معهُ الى العدم والاندثار وبعد خمسة عشر يوماً من التردد تحمل في اثنائها كثيراً من العذابات الوحشية اعتمد اخيراً على التخلص من حياتهِ كما صرح لجوزي باسكو ولكن هذا الرجل ادخل الى فؤاده سريعاً اشعة الامل. فتمسك بها كغريق في وسط البحر يتمسك بحبال الهواء.

وكانت الساعة وقتئذٍ اقل من التاسعة وقد نهض الكونت دي مونتكارين منذ ساعة تقريباً ولبس ثيابهُ وهو ينتظر بفروغ صبر وقلق مجيء الكونت دي روكاس الكاذب

وكان متمدداً على مقعد والسيكارة بين شفتيهِ وعيناه شاخصتان الى السقف وهو مشتغل الافكار بالمحادثة التي دارت امس بينهُ وبين جوزي وقد تمكن من اعادة جميع الاقوال التي لفظها البورتغالي بمزيد الضبط فالتتهُ في الحيرة ودفعتهُ الى التفكر

ولم يكن الكونت دي مونتكارين ساذجاً حتى يصدق ان محبة الكونت البورتغالي لهُ مجردة عن الغرض ولكنهُ كان مجبوراً على الاقرار بكرامة هذا الرجل الذي لا يعرفهُ الا قليلاً وحسن معاملته ومزيد التفاته اليه فجعل يسال نفسهُ قائلاً ما الذي يستطيع عملهُ ياترى لانقاذي ولم يعد لي عزم ولا ارادة وقد جننت واصابني اليأس وفقرت وخسرت اعتباري بين الناس وهو يعرف انهُ لا يستطيع الانتفاع مني بشيء ومع هذا قال لي اريد ان اخلصك فكيف يخلصني ياترى وباية واسطة انهُ يدعي بوجود هذه الواسطة بين يديهِ وانهُ قادر ان يمنعني عن قتل نفسي وان يرغمني على مداومة الحياة . . والذي يظهر لي ان جميع هذا الاشياء محض اوهام فباطلاً اتعب افكاري بالبحث والتنقيب حيث لا افهم شيئاً . لا افهم شيئاً . . .

ثم صاح من يكون ياترى هذا الرجل الكونت دي روكاس وبعد هنيهة القى نظره على ساعة معلقة بالجدار وهمس لقد دقت الساعة التاسعة وعما قريب يصل صديقي المجهول

وفي الحال سمع صوت وقع خطوات في الفناء ثم فتح الباب وظهر خادم مسن على العتبة وقال حضر الكونت دي روكاس

فوثب الكونت الشاب منتصباً على قدميهِ واندفع بيد منبسطة الى الامام لمقابلة البورتغالي فشد جوزي على يده وقال لم اتأخر عليك بالمجيء اليس كذلك

قال لا يمكن المسير باكثر من هذا الضبط والدقة هذه الساعة التاسعة تدق الان

اجاب ان الدقة والضبط هما دستور عملي ولا يمكن الاخلال به ياعزيزي الكونت

ثم ذهب الخادم الشيخ فاقفل جوزي من خلفه باب القاعة وكان لا بساً كالعادة بحسب الزي الاخير وبدلته غاية في الزهو و في ربطة رقبته السوداء حجر من الالماس الفاخر الوهاج فقال له اوفوديك اجلس ياحضرة الكونت

قال نعم فلنجلس وليكن جلوسنا براحة لان محادثتنا طويلة

فجلس الاثنان على مقعد طويل

قال لوفوديك فكرت انك ترضى بمناولة الغذاء معي في هذا اليوم واصدرت الاوامر اللازمة الى الخدم بهذا الخصوص

قال جوزي لا اتمنى ياعزيزي لوفوديك الا اجراء ما يسرك ولهذا قبلت دعوتك والذي يظهر لي ان حالتك ليست صعبة ومأ يوسة كما قلت امس حيث ما زلت محافظاً على خدمك

قال على خادمين فقط رجل وامرأته وهما من خدام ابي القدماء الذين حضروا ولادتي وربوني الى هذا السن فان حبهما واخلاصهما لي فوق التصور وهما لا يعرفان بالتدقيق حقيقة مركزي ولكن يعلمان اني في ارتباك شديد من جهة المال ومنذ شهرين عندما بعت عربتي وطردت خادم غرفتي والسائق قلت لهما ان ظروف الاحوال تلجئني الى الافتراق عنهما فاخذت المرأة بالبكاء وصرح لي فرنسيس الشيخ انهما لا يتركانني ابداً وانهما يودان البقاء معي لخدمتي ولم يكن تصرفهما هذا عن صالح او غرض حيث من ذلك التاريخ انقطعت عن دفع راتبهما ومنذ مدة تعلق بهما مصروف المنزل فهما يصرفان من اصل الدراهم التي وفراها من خدمة اربعين سنة

قال جوزي ان هذا والحق يقال منتهى الوداد والاخلاص

قال هاك ما وصلت اليه يا روكاس فما هذا الخطب الهائل

قال لا لا ليس هائلاً ولكنه مزعج فقط والامل ان تلافي هذه المسألة باسرع ما يمكن انك في الساعة الثانية من هذا الصباح عندما فارقتك كنت مضطرباً جداً والذي اراه ان اضطرابك خف الان وان الحمى تلطفت فهيا للتكلم بطريقة جدية هل تتذكر ما قلته لك عند البارونة

اجاب نعم اتذكره جيداً

قال لا اخفي عنك ياعزيزي انك ارعبتني وفتئذٍ هل ما زلت تفكر بالانتحار

اجاب نعم

قال من اللازم ان ينتفي عنك هذا الفكر وهذا القصد من حضوري الى هنا انك افتقرت

ووصلت الى الدرجة القصوى من الخراب ولم يعد لاحد ثقة بك وليس من يقرضك ولا بارة واحدة وقد قلت لي ذلك امس ولكننا نعرفه من قبل واعرف ايضاً مثلك جميع انواع الارتباك الملمة بك فانت موجود الان ضمن دائرة حرجة وقد درت حولها لايجاد مخرج تنجو منه وفكرت اخيراً بالانتحار ولا ريب انه الباب المناسب للخروج ولكن هذا الباب الذي لا يوجد خلفه شيء ليس الباب الوحيد الموجود واذا بحثنا بتدقيق نجد باباً آخر اساعدك على فتحه

لا لزوم لاخباري بسيرة حياتك لانني اعرفها فهي كسيرتي انا وهذا وذاك وجميع اولاد العائلات الشريفة الذين يملكون ثروات عظيمة ويتركون لانفسهم قبل الاوان فان اقاربك كانوا يسكنون في ديجون وقد ولدت انت في هذه المدينة وتلقيت دروسك في مدرستها ولم تتعلم جيداً بسبب قلة اجتهادك

قال الشاب لا يوجد في حديثك شيء من الملق والملاطفة

قال جورجي من اللازم ان نحسن قول الحق لاصدقائنا ان الكونت دي مونتكاربن اباك كان له منزلان في ديجون وهما القصر والاملاك ومنكبل الجميلة في الكوت دور ثم له ايضاً لحساب امك منزلان في الاوكسير ومنزل ثالث في جوايي وعدة املاك اخرى كثيرة في لوكسرول ولما فقدت امك لم يكن عمرك اكثر من عشر سنوات ومع ان اباك كان شاباً وقتئذ امتنع عن الزواج لفرط حبه لك وكان الموسيو دي مونتكاربن رجلاً صالحاً كريماً من اصحاب الشرف والاعتبار ولا تزال الناس تتكلم عنه الى الان بمزيد الاحترام ولكنه لسوء الحظ كان ضعيفاً متهاوناً فلم يقو على تسييرك بحسب ارادته وكان يحتمل بلطف اعمالك الشاذة ويقابل هفوات صباك الاولى بكثير من المسامحة والتساهل ثم مات اخيراً وكنت لا تبلغ الثامنة عشرة من العمر وترك لك ثروة تنيف عن المليونين فقام وصياً عليك احد اقاربه من اولاد عمه وكان هذا الوصي الذي توفي الان مقيماً في باريس فاحضرك الى قربه واهتم بصوالحك المالية بمزيد الانصاف والاستقامة ولكنه اهمل شخصك فترك لك حريتك المطلقة ولم يفكر باعطائك النصائح التي يستلزمها سنك وعدم اختبارك وظن انه يتمم جميع واجباته نحوك بقبض مداخيلك وضبط حساباتك واعطائك جميع الدراهم التي تطلبها منه اما انت فتركت دروسك وبالنظر الى غناك لم تشعر بضرورة الحصول على مركز للشغل وعند بلوغك سن الرشاد قدم لك وصيك حسابات ارثك وصرت ولي ثروتك المطلق

قال الكونت الشاب ان المصادر التي اخذت عنها اكيدة يا حضرة الكونت دي روكاس

قال هاك برهاناً آخر لاثبات اهتمامي بك فاسمع تتمة السيرة انك تمتعت بحياة الافراح والملاهي

والملذات وكان لك عدة معشوقات وفي اقل من سنة تطرقت في جميع الاشياء فصرت من رجال الزي الجديد وصار لك دولة واتباع كالامير ولا ريب انك عرفت اليوم قدر هولاء الناس وكان بدخلك عجيباً فلهجت الالسن بذكرك ودار الحديث على اعمالك الغريبة فمن جهة كانوا يعجبون بك ومن جهة اخرى يذمونك حيث يوجد دائماً اناس لنا وفي ناس علينا في هذا الوجود واذا اسأت الى البعض يصوب البعض الآخر اعمالك ويقول ان لك حقاً بالتفكه حسب مشتهاك

وكنت قلما تهتم بكرامة نفسك حيث من الصعب ان يتمتع المرء ببعض الملذات مع المحافظة على حسن سمعته وعند ذلك بدأت تنشد منهلاً كروبرت دي نورماندي ابا المال وهم. وجعلت تنفقه جزافاً وبلا حساب كأنك حاصل على كنز لا ينفذ

ولا حاجة لان اتتبع آثارك واحدثك بجميع الطرق التي سلكتها وقادتك الى الخراب فان مداخيلك لم تعد تكفي للقيام بهذا النوع من الحياة فالتزمت ان تثقل كاهلك بكثير من الديون الباهظة ولا يخفى ان المرابين في باريس كغيرها من البلاد اموالهم ثمينة وتكلف كثيراً من يستقرضها فرهنت بالتتابع جميع املاكك في بوركوني ثم هذا المنزل ايضاً بحيث لم يعد لك من يقرضك وصار لا يسعك ان تبيع كرماً واحداً من كرومك في المكوت دور وزد على هذا انك متعذر عن دفع الفوائض المستحقة عليك والدائنون يتهددونك وقريباً يلقى الحجز على املاكك وهذا تتمة البلاء

وكان الشاب يسمع باعين منخفضة فقال صحيح

قال جوزي وانت وحدك لا تستطيع شيئاً ضد ذلك

اجاب لودوفيك بصوت خشن ابداً

قال جوزي فانت والحالة هذه محصور في ممر ضيق او مسجون في الدائرة التي حدثتك عنها منذ هنيهة

اجاب مسجون ومقيد

قال ولدى النظر الى ما حولك لا تجد سبيلاً للخلاص

اجاب ابداً. لا اجد الا الموت

قال انني لا اعلم بالتدقيق قيمة الديون التي عليك ولكن اظن انه لو باعت الحكومة قصر رونكيل ومنزلك هذا وجميع املاكك الاخرى تكاد لا تكفي اثمانها الدائنين

قال هذا اكيد

قال واذا حدث هذا المبيع ولا يبعد حدوثه تصبح بلا مأوى وتسقط في منتهى الفقر والشقاء

المرعبين

فاظلمت اعين الشاعر وقال بصوت خائر لا يمكن ان ارى ذلك

فعاود البورنغالي الحديث بحرارة وقال دائماً .. دائماً تكررالا تحار هل يليق بالرجل يا ترى ان تسترقه الافكار الحزنة وتجرده من العزيمة الى هذا الحد فانت مغلوب ومن اللازم ان تفكر باخذ الثار فوعزيمتك وتنشط حتى تستطيع مقاومة الزوبعة

قال فانك وقاومت نبلاً بقدر استطاعتي .اما الان وقد صرت على شفير الهاوية فما الذي تريد ان افعله اذا كنت عالماً بعلاج صفه لي

قال يلزمك اولاً ان تعاود امتلاك نفسك تمام الامتلاك

قال حسن وبعده

قال اذا كنت واثقاً بي وتركتني افعل ما اريد رايت انك تتغلب على جميع الموانع وتزيل من طريقك جميع هذه المصاعب التي يظن انها لا تزول

قال يلزمنا لذلك مقدار كثير من القوة والاقتدار

اجاب البورنغالي بصوت منعظم ومن قال لك انني لست قوياً قديراً

قال فاذن هذا اكيد وانت تريد ...

قال ان اخلصك كما قلت لك

فسأل وهل يقتضي لذلك ان اسلم نفسي اليك

اجاب نعم او ان تكون ارادتك على الاقل موافقة لارادتي

قال فهمت وانا لا اخاطر بشيء اذا انقدت اليك حيث لا يوجد لديَّ ما اخسره

اجاب لا بل بالعكس يمكن ان تكسب كل شيء

فسأل هل يجوز لي ان استفهم منك عما تريد عمله

اجاب بلا ريب وساحدثك عن ذلك في الحال

الفصل السادس عشر

الاقتراح

وبعد برهة من السكوت عاود البورنغالي الحديث فقال ساَبتدئ باعادة اعتبارك المالي

وسيتم ذلك بسرعة لايقدر عليها خلاف خاتم المارد وسوف نحدث هذه الاعجوبة بنو زبح خمسين الف فرنك على الدائنين واحضار جوادين وعربة الى اصطبلك ودفع القيمة المذكورة بتمامها نقدًا وساذهب انا بنفسي لمقابلة دائنيك واسعي بتوقيف المعاملات الرسمية الموجهة ضدك لان القاء الحجز على املاكك وان لم يحدث تأثيرًا ماديًا يكون له سمعة رديئة وبهمنا مجانبتهُ . من اللازم ان يستعد الانسان من قبل للاخطار التي يمكن ظهورها ويبادر لتلافيها قبل حلولها وان يخفي عن الناس كل مالا حاجة لهم بمعرفتهِ وخلاصة الامر يجب ان لا تمس املاكك على الاطلاق ولا سيا املاكك في رونكيل وعلى كل فهذا عملي ولا حاجة لان تشغل افكارك بخصوصهِ

وكيف كانت اخلاق المرابين الذين امدوك بالمال ساتجح ان شاء الله بالتغلب على عنادهم واجبرهم ان يتركوك براحة وحيث سلبوا منك كثيرًا من المال لابد من سلبهم ايضًا . لانهم بهذا انني اقصد الانتصاب امامهم جاثيًا على ركبتي ومتوسلاً اليهم بالفاظ الانكسار لابل بالعكس ان مثل هولاء الناس لايناسب التكلم معهم الا والراس مرتفع والسوط في اليد!!!

وكان الكونت الشاب ينظر الى مخاطبهِ مضطربًا مبهوتًا كانهُ في حلم اما جوزي فاستنبح حديثهُ وقال سوف نعيد منزلك الى الحال التي كان عليها منذ سنة وترجع كما كنت فيلاً الكونت دي لوفوديك المبدخ الذي اشتهر لمدة من الزمان كازهى والطف رجل في باريس . انت الان بحكم الميت ولكن غدا تنشر وتعود منتصرًا الى عالم الوجود ولدى خروجك من الظلمة المحدقة بك تجد النور وتفتح امامك حياة جديدة فاهتم ان لايعرفك اصحابك الاقدمون ان هولاء الاحباب الذين ساعدوك على آكل اموالك قد علموك لزوم التحذر من المملقين ولا ريب انك تذكر بعد هذا التعليم الذي درستهُ في مدرسة التجارب الخشنة وان اصدقاءك الكاذبين ابتعدوا عنك واحتقروك حالما أفل نجمك فقابلهم على ذلك بالاحتقار وخذ بذلك ثارًا من ثاراتك ومن اللازم ان تتسلح بالاختبار الذي اكتسبتهُ فتضعهُ على قلبك أوقاية لك كما يوضع المدرع على صدر المحارب لوقايتهِ

ان المصائب لها من الحسنات انها تفتح الاعين وتجبر صاحبها على التامل فيحسن معرفة الاشياء ويقدرها حق قدرها وسوء الظن يقوي العزائم فانت قادر والحالة هذه على الصبر بجسارة لانك مسلح بقوة وزد على هذا فانا هنا بجانبك وشعوراني تزيد قوتك واذا كنت مترددًا اي اذا نقصتك الجسارة امدك بها

فسأل الشاب متعجبًا هل انا مستيقظ حقيقة

قال جوزي ضاحكاً اذا اردت ان تتاكد ذلك انتف شعرة من شاربك

قال لا اخفي عنك يا روكاس انني ما فهمت شيئاً كثيراً من حديثك

فسال هل سمعتني جيداً

اجاب نعم

قال يكفي احفر جميع اقوالي هذه تحت جبهتك واتما الضامن انك لا تلبث ان تفهم ثم أعر صغياً لاستماع تتمة حديثي سوف تعاود الظهور بين العالم ولكن افهم كلامي جيداً يالوفوديك بين العالم الحقيقي ولا تعود تعرف الجمعيات التي كنت تخالطها سابقاً وتحصل على حياة جديدة كما قلت لك والخلاصة ان تغييرك سيكون تاماً فتتحول من حال الى حال آخر لان الماضي مات ودفن فعليك ان تنساه اذا امكن وان تجرد الجنون من ثيابه وتكسر مخالبه الغرار وتتفرغ من الان وصاعداً لحرق البخور على هياكل الحكمة وانا لا ادعي بالتشبه الى منيرفا ولكن ساحاول على الاقل ان اكون ميتورك ثم ينبغي لك بعد ان كنت عبداً لشهواتك ان تسلط ارادتك على جميع اميالك فلا تعود تلعب على الاطلاق او تلعب قليلاً كرجل جدي محترس يخاطر احياناً ببضع ليرات حتى يجاري الاخرين لا تدخل الى تلك القاعات التي يمكن ان يخسر فيها الانسان ثروة جنانها في ليلة واحدة ولا تتردد على المعشوقات لان جميع هولاء المومسات الجميلات لسن الا باعة مسرات بائمان مرتفعة اعرض عن الولائم النسقية وعن ليالي الملاذ الجنونية التي يخرج المرء منها مصفراً ضعيفاً بوجه هزيل وراس متقد بالنار واعين مظلمة جامدة وقلب خائر

ومن اللازم ياعزيزي الكونت ان تعاود الارتفاع الى مقامك السابق بحسن السلوك فتحصل على الخطارة والرزانة والاستحقاق التي يتأ زيها رجال الشرف وبعد ان كنت مثالاً للمعاصي عند كثيرين يقتضي ان تذكر كمثل صالح للاخرين بحيث لا تلبث درجات العالم السامية التي دفعتك عنها ان تدعوك اليها والابواب التي اقفلت في وجهك ان تنفتح لاقتبالك والناس الذين احتقروك ان يعاودوا احترامك وخلاصة القول انه من الضروري ياعزيزي لوفوديك ان يقال عنك في كل مكان ان الكونت دي مونتكاربن هو شاب بديع مهذب كامل

قال اظن ياسيدي دي روكاس انك تمزح

اجاب احلف لك يالوفوديك انني اتكلم بمنتهى الجد

قال هل تريد ان ترفع صالاً مثلي الى مقام القداسة

اجاب نعم

قال هذا مستحيل

اجاب الم تسمع ان الشيطان تحول يوماً الى ناسك

قال اذا فعلت ذلك اضيف الى بقية صفاتي المستنكرة صفة الرياء

قال ان المرائين يا عزيزي في جميع الازمنة والامكنة هم القسم الاكبر من العالم فاذا نعذر عليك حقيقة التخلق قلبياً باخلاق الكمال كان لا بد لك من وضع نقاب على وجهك ولكن كن براحة لان دورك سيكون سهلاً عليك وستجدهُ موافقاً وتمثله بطريقة جدية وسوف يتم تغييرك من حال الى حال آخر بدون ان تشعر

قال انني اترك لك التكلم يا روكاس حيث لا اعلم بما اتكلم

قال وبالطبع يا عزيزي الكونت يلزمك ان تحافظ في العالم على الدرجة المختصة بامثالك فتفتح منزلك بما يناسب من الترتيب والبذخ . وتحضر الخدم والخيل والعربات وبقية اللوازم ثم اخبرك بمناسبة ذلك انك محتاج لخادم ملازم يرافقك دائماً وانا ساهتم بتقديم الرجل الموافق لذلك فلا تتعب نفسك بالبحث عنهُ

فما استطاع لوفوديك الامساك عن الضحك وقال حقاً انك عجيب لانك تتكلم عن كل هذه الاشياء كانها حاصلة

اجاب نعم وجل الامل ان تحصل من تاريخ الغد

فسال الشاب بصوت ساخر والدراهم يا حضرة الكونت دي روكاس

فاجاب البورتغالي بذلك الثبات الغريب لا تهتم بالدراهم فسوف تحصل منها على قدر ما يلزمك

فوثب الشاب منتصباً على المقعد وشخص محدقاً عينيهِ الى جوزي باسكو وسال ماذا تقول . . ماذا تقول . .

اجاب اقول ان الدراهم حاضرة

فسال ومن يعطينيها

قال انا

قال انت دي روكاس انت

اجاب نعم انا

قال لا يخفاني انك غني وكريم جداً ولكن . . ثم امسك عن اتمام عبارته وقال لم افهم

شيئاً ولم تزدني علماً عماعلمته منذ هنيهة

قال خذ لقلبك صبراً سوف تطلع على كل شيء والذي تراه الان مظلماً غامضاً لا يلبث ان يكشف عنه وبصير صريحاً صافياً شفافاً انني احب كثرة الايضاح في الحديث حتى يسهل ادراكه بجميع نواحيه

قال الكونت الشاب انك رجل غريب يا روكاس ولا يسعني الاّ الاعتراف بذلك وانت تعلم انني كثير الشكوك ومع هذا فقد اعتقدت بهذه الصداقة العظيمة التي تظهرها لي ولكن لا اقدر ان اسلم ولو كان عندك كنوز الارض انك مدفوع الى هذا التصرف بمجرد الصداقة والاخلاص فقط ولا ريب ان ما تريد عمله هو مفيد لصالحك كصالحي ولربما اكثر ايضاً

فتبسم جوزيه باسكو اما لوفوديك فاستمر على الحديث وقال لقد حزرت من الان انك تنوي مقصداً عظيماً واخذ بلزمك لانفاذه رجل شريف ينقاد صاغراً لارادتك ويتصرف بحسب املائك وقد وقع اختيارك عليّ

اجاب اليورقغالي نعم هذا هو الصواب

فقال اظن انك تروم محادثتي عن ذلك المقصد العظيم الذي تريد ان اشترك فيه ولكن اسمح لي قبل ذلك ان اوجه اليك سؤالاً او سؤالين الا تخشى من خسارة الاموال التي تخصصني بها لهذا العمل

اجاب لا

قال حسن ولكن على فرض انها تبددت وذهبت ضياعاً بحلول بعض طوارئ غير منتظرة فماذا تكون تبعتي بالنظر اليك

قال متى قبلت اقتراحي لا يمكن ان يحدث عنك ضرر لشراكتنا الا بالترك او الخيانة

قال لست خائناً واذا اشتركت معك لا احاول قط الانفصال عنك والذي يستفاد من اقوالك يا روكاس انك عازم على تقديم مبلغ عظيم

قال بعض مئات الوف من الفرنكات

فسأله وكيف تسترجع هذه الاموال

قال سوف يعقد على هذا فيما بيننا وثاق خصوصي

قال فاذن المراد اجراء عمل

قال عمل مهم جداً

قال وهو بيني و بينك ضرب من التجارة

اجاب نعم ضرب من التجارة

فسأل وهل لك شركاء غيري

قال اثنان ولربما اكثر ايضاً لان ذلك يتوقف على ضرورات الاحوال

قال بقي عليّ هذا السؤال الوحيد هل انا هو الرجل الذي يلزمك

اجاب نعم لانك انت هو الرجل الذي اخترته

قال لربما تكون مخطئاً يا روكاس العلي حاصل على جميع الصفات بل المعائب اللازمة لهذه المصلحة

قال انت تعلم جيداً يا عزيزي الكونت انني اعرفك

قال اذا كان ذلك لم يعد لي ما اقوله وها انا صاغ لاستماع مقصدك

قال هاك مقصدي بكلمتين اثنتين بالوفود بك اريد ان ازوجك

فانذهل الشاب وقال متعجباً تريد ان تزوجني

قال هل في ذلك ما يحمل على العجب الم تبلغ بعد سن الزواج

قال بلى ولكن سمعتي رديئة جداً بسبب اعمالي فمن هي الفتاة التعيسة التي ترضاني بعلاً لها

قال هل نسي حضرة الكونت دي مونتكارين انه من تاريخ الغد يتغير تماماً حتى لا يعود يعرف

قال لم انسَ ذلك ولكنني معروف ولا يخفى الناس شيء من امري

قال لا يمر عليك شهر في الحياة الجديدة الا وتمحى من جميع خطايا صباك

فسأل هل تظن ذلك

قال واوكده فانني اعرف العالم واعرف انه كثير المسامحة ثم قد يوجد بين الاشياء ما تصفح عنه النساء بطيبة خاطر

قال فاذن مرادك ان تزوجني

اجاب نعم وقد قلت لك ذلك

فسأل وهل نعرف الفتاة التي تريد ازواجي بها

اجاب بدون ريب

قال وهل تخابرت في هذه المسألة قبل استشارتي

قال ما فعلت شيئاً بعد خلاف تهيئة الطرق والوسائط

فسأل وهل هي غنية

قال عظيمة الغنى فهي تملك على الاقل عشرين مليونًا

قال هذه ثروة تدهش فاين وجدت يا ترى هذه الخطيبة

اجاب في باريس

فسأل بين اي الناس

قال بين احسنهم واشرفهم

قال من المحتمل ان تكون عجوزًا مجنونة تجاوزت الخمسين

اجاب لا لعمري بل صبية في التاسعة عشرة من العمر

قال فاذن بلهاء وبليدة

قال لا بل مثقفة جيدًا وهي بديعة ذكية ممتازة كاملة التربية

قال لا ريب اذن انها شنعاء يرعب مشهدها القلوب

قال اخطأت انها بوجه بديع حسبي

قال لا بد ان تكون عرجاء او كنعاء او حدباء

فهز البو رنغالي رأسهُ وقال متبسماً ان هذه الفتاة يا عزيزي الكونت هي صورة الجمال الاتم فاتخذت هيأة لوفوديك مظاهر جديدة وقطر شاخصًا الى جوزي وقال حدثني الحقيقة يا حضرة الكونت هل لهذه الفتاة معايب خفية او لعلها ارتكبت اثمًا

قال ان هذه الفتاة هي الطهارة بعينها ولا يوجد فيها من المعايب الخفية الا الفضائل النادرة

فصاح الشاب وانت تزعم ان هذه الجوهرة الفريدة والزهرة التي لا دنس ولا عيب فيها بديعة البديعات التي تملك وستملك يومًا ما عشرين مليونًا ترضاني زوجًا لها. هذا محال بل منتهى الجنون

قال جوزي ببرودة لربما ترى ذلك جنونًا ومحالاً ولكنني حاصل على هذا الزعم ولا حاجة لان اكشف لك عما عندي من الوسائط للعمل ويكفي ان تعلم كونها موجودة ولا ريب انني لا استطيع عمل شيء بدون رضاك ومساعدتك الفعلية ثم قال هذا اقتراحي اجب هل تريد اولا تريد ان تقبل به

قال حقًا انك رجل قدير يا موسيو روكاس وقد اوجدت فيّ نوعًا من الجسارة الجهنمية ونعم نعم اقبل القيام بهذا الاقتراح مهما حدث صرح الان هل كنت متأكدًا من قبل اكتساب

مصادفتي

فاجاب البورنغالي على ذلك بحركة من رأسهِ واستتبع لوقوديك حديثهُ قائلاً لولاذلك ما جئت تكلمني عن هذا المقصد الجسور

قال جوزي صحيح

فسأل الشاب هل يمكن ان اعرف اسمها

اجاب تسمى مكسيمليان وبعد بضعة ايام اطلعك على اسم عائلتها وهي من اعظم عائلات فرنسا

فسال من عائلة شريفة

قال من اسمى واشهر عائلات الشرف ولا يسوءك ياعزيزي الكونت اذا قلت انها اقدم من عائلتكم

قال الحق معك ياسيدي دي روكاس يلزم ان لا اعرف عنها اليوم اكثر من ذلك لئلا افقد صوابي بالنظر الى حالة افكاري الحاضرة

الفصل السابع عشر
روح الشر

وبعد هنيهة من السكوت عاود الكونت دي روكاس الكاذب الحديث فسال هل اعتمدت اذن تمام الاعتماد على الزواج

اجاب كيف اخالفك والفتاة التي تعرضها عليَّ فضلاً عن الملايين العديدة التي تملكها بديعة سلابة ثم كرر قولهُ مكسيمليان. مكسيمليان صرت اعبد هذا الاسم

قال سوف تعبد شخصها من حينما تراها

فسال هل من الضروري اللازم ان افعل ذلك

قال لا ولكنني الى الان لا ارى مانعاً من عادتها وعلى كل فهذا امر خصوصي يتعلق بك

قال هل تظن ان هذا الزواج يتم

فقدحت اعين جوزي شراراً وقال اريد ان يتم وسوف يتم

قال الملك علم يا روكاس انه كان من المحتمل ان اخالك لولم تكن صديقي

فسأل ولماذا يا عزيزي الكوست

قال لانك رجل مخيف

فتبسم المبور تغالي بظاهر لاتدرك لا ستنيع لو فوديك الحديث قائلاً تكلمت [illegible]
مساعدتي الفعلية فما هي بلا ترى هذه المساعدة وما الذي يطلب مني ان افعله

قال هذا امر يسيط يطلب منك ان تفعل ما يفعله جميع الشبان الذي [illegible]
الاقتران من فتاة وذلك لان تطارحها الغرام وان لا تهمل شيئاً لاكتساب حبها

قال واذا لم انجح في ذلك

قال فحينئذٍ نستعيض عن زواج الحب بزواج العقل والادارة

فسأل واذا يفقتني السيدة مكسيمليان ورفضتني . .

قال لا تشغل افكارك بتلك فلست الا لانني حاصل على الوسائط اللازمة لنجاح المشروع
فاذا نجحت باكتساب حبها كما امل واظن كان به والا تدبرنا في الامر بما يضمن الفوز وكن
متيقناً يا عزيزي الكوست اننا اذا صادفتنا موانع في طريقنا نقوى بعون الله على تمهيدها واكتساب
رضاء الفتاة لانني فطن المسير الى غاية ما اتخذ جميع الاستعدادات اللازمة لبلوغها ولكن
اسألك ان تثق بي ثقة تامة وان تنقاد لرأيي بلا مقاومة وان لا تتصرف بخلاف مشورتي او
بعبارة اخرى ان لا يكون لك ارادة خلاف ارادتي

قال فهمت جيداً

قال واذا سرت بحسب هذه الشروط يكون النجاح مضموناً ولا يبقى سبيل للارتياب

فسأل ومتى تعرفني بهذه العائلة

قال بعد شهرين او اكثر حيث يقتضي اولاً ان تعاود الظهور بين الطبقة العليا من
الناس وان يتم انقلابك وتغيير احوالك

قال هذه صعوبة اولى اراها في سبيلي

فسأل وما هي

قال كيف يمكنني ان اعاود الظهور بين هولاء الناس الذين ابتعدت عنهم ولم يبق لي
علاقة معهم ان بعض المنازل التي كنت ازورها سابقاً اقفلت في وجهي اليوم ولم تعد تقبلني

قال لا تخف سوف تفتح لاقبالك وقد هيئت لك الدخول الى بعض القاعات الشريفة لبينما
تجدد علائقك الماضية مع اصحابك فانت شاب تراه ممتاز ذو اسم شريف ولديك كل ما يلزمك

لاكتساب محبة الناس ومن المؤكد انهم يتسون ماضيك بسهولة واذا ذكرت يوماً اعمالك الجنونية القديمة يقال انها من هفوات الصبا وسوف اذيع بين الناس خبر رجوعك الى طريق الحق وفي اقل من شهر تقبل في كل مكان ويبحث عنك

قال اري ياروكاس انك منهيء للمجاوبة على كل شيء

اجاب نعم لانني فكرت بجميع الاعتراضات التي يمكن تقديمها

قال فاذن لافائدة من تقديم اعتراضات اخرى

قال اظن ذلك

قال فلنتكلم اذن عن شيء آخر لايخفاك انني كنت معتمداً على قتل نفسي في هذا النهار فجئت انت وانقذت حياتي اولاً ثم اردت اتفاذ مقصد يعود عليَّ بملايين عديدة من الثروة باقراني من فتاة بديعة لايحتمل وجود اثنتين شلها في باريس

قال صدقت انها فريدة بالنظر الينا يا عزيزي الكونت

اجاب انا متأكد ذلك ولا حاجة للتكلم عن امتناني لافضالك من اجل هذه المساعي ولكن اسألك ماذا يكون انتفاعك من هذه الخدامات غير العادية

فاحاط نظر جوزي بالكونت الشاب من قمة رأسه الى اطراف قدميه وسأل هل تريد ان تقرر اليوم هذه المسألة

قال اذا لم يكن ثمة مانع يهمني ان اعرف . . .

قال جوزي من المعلوم اننا نؤلف الان شراكة

اجاب نعم شراكة

قال ومرادنا ان نباشر عملاً

اجاب نعم

قال فلنفعل اذن كما لو كنا في شراكة تجارية اي بعد النجاح ونهاية العمل يأخذ كل منا نصيبهُ من الارباح

فارسل لوقوديك صوت الدهشة واستتبع جوزي حديثهُ قائلاً يلزمنا بالطبع تأمين منك بضمن قيامك بهذا التعهد ففي بضعة ايام اقدم لك ورقة تذيلها بامضائك وهكذا تحفظ حقوقنا جميعاً

قال قل لي سريعاً ما هي مطاليبك

قال لا يخفاك انني لست وحدي

قال اخبرتني بذلك

قال ان المبلغ الذي نسعى لكسبه هو عشرون مليونًا خمسة ملايين لنا والباقي لك .

قال ولكن ...

فقاطعه جوزي فجأة وقال هذه شروطي الاخيرة القطعية التي لا تقبل التعديل فاما ان تقبل بها كما هي واما ان تتخلى عن العمل فافكر جيدًا يا حضرة الكونت العزيز وحيث لم نبدأ بعد بشيء يمكنك الانسحاب

فوضع الشاب يده بسرعة على جبهته وظهر عليه كأنه نال عبقًا انتشب في افكاره لانه بالرغم عن سقوطه كان لا يزال في فؤاده وضميره من المناعة ما يرفع صوته بالاحتجاج ضد

البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

الخطيب المتفرنج

اطلعنا في جريدة بيروت على رسالة بلا امضاء منسوبة الى احد الادباء يظهر من عبارتها انها كتبت للمعان الخطيب الوطني المتفرنج الذي خطب باللغة الفرنساوية في المدرسة الاسرائيلية اثناء الفحص السنوي وقد انكر فيها علينا ما ذكرناه بخصوصه من استغرابنا وقوف رجل وطني في حفلة وطنية لمخاطبة جمهور وطني عربي بلغة اجنبية واعتذر عن ذلك بدعواه ان امتحان المدرسة في ذلك اليوم كان مقصورًا على اللغة الفرنساوية وكذلك الرواية وخطاب احد الاساتذة ثم تطاول بعد ذلك على الصاع وحرره بكلام لا نشوه بنشره صفحات مجلتنا ونحن ننبه حضرته الان ان حفلة المدرسة الاسرائيلية كيف كانت اللغة التي فحص فيها التلامذة وشملت الرواية هي حفلة وطنية محضة وان جميع الحاضرين كانوا وطنيين وان جنابه الشريف هو وطني ايضًا ولا يستطيع انكار ذلك مهما بالغ في التفرنج ومن المقرر الثابت ان اللغة الوطنية هي اللغة التي يقتضي مراعاتها والتزوسك بها من جميع الوطنيين في الحفلات الوطنية اما فحص التلامذة

وتمثيل الروايات في المدارس عموماً بلغات اجنبية فليس القصد منها الا اظهار درجة البراعة التي وصلوا اليها في اللغات المخصوصين فيها كما لا يخفى على فطنته وقد قلنا لحضرته في العدد الماضي ان هذا التصرف من قبلهِ لا يشفع فيهِ الا قصد اظهار البراعة واكتساب المدح فاذا كان ذلك كان معذوراً الان حكمهُ حينئذٍ يكون كحكم بقية التلامذة الذين سبقوه الى تقديم الفحص في تلك الحفلة ولا يبقى لنا وجه للاستغراب

اما قولهُ ان بعض الاساتذة خطب باللغة الفرنسوية فقد اكد لنا كثير من الحاضرين انهُ محض كذب واختلاق وعلى فرض صحتهِ يكون الاستاذ المذكور مخطئاً ايضاً باختياره لغة خلاف لغة وطنهِ لمخاطبة مواطنيهِ بها ولا يصح الاقتداء بعملهِ لان كل ما يؤسس على الخطاء خطاء

والذي استوجب دهشتنا من تلك الرسالة انها كتبت بالعربية وكان المنتظر من هذا الخطيب المتفرنج الاديب ان لا يتنازل الى الكتابة بخلاف اللغة الفرنساوية التي خطب بها ولكن يظهر ان الله سبحانهُ وتعالى لم يسمح ان تخسر الامة العربية مثل هذا الجهبذ اللسن الذي كستهُ الافرنج فالهمهُ اخيراً ان يتفوه بلغة ابائهِ واجداده وهذا لطف من الله ومنة كبرى

اما تطاول صاحب الرسالة على مجلتنا الصفا ومحرريها لانها لم توافقهُ على غروره وتسمح لهُ ولامثالهِ من المتفرنجين ان يسلبوا الوطن حقاً من حقوقهِ فاقل ما يقال فيهِ انهُ خروج عن الادب وتماد في القحة والجسارة ونحن لا نواخذ بذلك صاحب الرسالة لما هو معلوم من جهلهِ والجاهل كالسكران لا يعتد بهذيانهِ ولكن لا نفتت على حضرتهِ بالقول ان مجلتنا الصفاء هي مجلة وطنية يهمها تأييد لغة الوطن واحباط المساعي المصروفة من ذوي الاغراض لتحويل الافكار عنها الى غيرها من لغات الاجانب فهي تشتغل لخدمة الوطنيين ولا يسعها السكوت عن ما يجحف بالاخلاق والمصالح الوطنية كثر الاغرار المتفرنجون من امثالهِ او قلوا رضوا او غضبوا

خطب جسيم

ننعي لآل الفضل والعلم والادب وفاة فارس ميدان البلاغة والانشاء وحيد الدهر وعلامة العصر العالم الفاضل والشاعر الناثر البليغ اللغوي الذي ملئت بمأثره البلدان وسارت بذكره الركبان المرحوم احمد افندي فارس الشدياق كسفت شمس حياتهِ في ٢٢ ايلول في الاستانة العلية ولهُ من العمر ٨٨ عاماً قضاها بين الكتب والمحابر والاقلام والدفاتر فشاد للمعارف قصوراً

يقصر عنها المتطاول واطلع في سماء الآداب بدور الفضائل وقد كان رحمة الله من افراد البلغاء المحققين والعلماء المدققين محيطًا بجميع علوم العرب وبعض لغات الاجانب وله تصانيف عديدة قريبة في بابها خدم بها لغتنا الشريفة فمن ذلك الجاسوس على القاموس وسر الليال في القلب والابدال والقارياق وكشف المخبا وغيرها من المؤلفات التي لا تحصى ومن اشهر مآثره المشكورة جريدة الجوائب التي انشأها في الاستانة لخدمة الدولة والامة فانها جابت البلدان وانتشرت الى اقاصي المعمورة وبلغت من علو المكانة ونفوذ الكلمة ما لم تبلغه جريدة قبلها من جرائد العرب حتى صارت مثلاً في الاهمية بين الجرائد

وفي صباح يوم الاربعاء احضرت جثته الى ثغرنا على الباخرة النمساوية يصحبها جناب ولده الفاضل سعادة تلو سليم افندي فارس فهرع الناس جماهير من ذوي الوجاهة والفضل والادب لاستقبال نعش الفقيد وازدحمت الاقدام الوفًا على الشاطئ ثم حمل النعش بمزيد الاحتفال والاكرام تحيط به عساكر الجندرمة ويتقدمه البوليس والجاويشية وكانت الاسواق مزدحمة بالجموع التي تحف بالنعش من امامه وخلفه وبعد الصلاة عليه نقل بمزيد الاحتفال على عجلة مخصوصة الى قرية الحدث مسقط رأس الفقيد حتى يدفن هناك حسب وصيته الاخيرة ولما بلغ المشهد الحدود اللبنانية استقبلته الجند اللبناني ومعه بعض الضباط وساروا امامه الى قرية الحدث حيثما واروا النعش التراب وانصرف الجمع اسفًا يلهج بذكر مؤلفاته العديدة واهمية هذه المصيبة العظيمة التي رزئ بها الفضل والادب فنعزي جناب ولده الفاضل السليم على فقده ونرجو له ولجميع آله ومحبيه وابناء الوطن عمومًا المستفيد من فوائده نعمة الصبر الجميل على هذا الخطب الجسيم والمرزء المقعد المقيم

مس طمسن

عادت الى ثغرنا في اوائل هذا الشهر حضرة الغيورة الفاضلة مس طمسن رئيسة مدرسة البنات الانكليزية السورية الداخلية بعد ان تغيبت في انكلترا زهاء سنتين وقد تولت قبل سفرها رئاسة هذه المدرسة مدة خمس سنوات متتابعة اظهرت في اثنائها من الاقدام والغيرة وعلو الهمة وعمل الخير والسهر الدائم على تعليم وتثقيف امهات المستقبل ما ترك لها في افئدة السوريين ذكرًا جميلاً لا يمحى بكرور الاعوام فنرحب بقدوم هذه الفاضلة المحسنة الى الانسانية ونرجو للوطن العزيز دوام الانتفاع بمآثرها الجليلة

سفر

فارقنا مساء الاربعاء الماضي عائدًا الى مصر مقرّ اشغاله وجناب صديقنا الفاضل شاهين افندي مكاريوس صاحب جريدة اللطائف ومدير المقتطف الاغر بعد ان صرف عندنا مدة شهرين قضاها متجولاً في ربى لبنان ترويحًا للنفس فنرجو ان يرافقه التوفيق والسلامة في الذهاب والاقامة

قدوم

أنس ثغرنا اول الاسبوع الماضي بلقيا جناب الفاضلين الوجيهين سعادتلو خليل افندي الخوري مدير المطبوعات والامور الاجنبية في ولاية سورية وعزتلو اسكندر بك التويني ترجمان متصرفية لبنان عائدين من انكلترا فنهنئهما بسلامة القدوم

باسكال الغريق

اهدي الينا نسخة من رواية باسكال الغريق وهي قصة حسنة الاسلوب جميلة الوقائع رشيقة العبارة كثيرة الفوائد الفها جناب الذكي الاديب المجتهد نقولا افندي ابرهيم رزق الله فنثني على اجتهاده مزيد الثناء ونحض ابناء الوطن على مجاراته باتباع خطة التأليف في هذا الفن المفيد

اعلان

نؤمل من حضرة مشتركي مجلتنا (الصفاء) في القاهرة ان يتكرموا بدفع قيم الاشتراك لحضرة الاديب سليم افندي نجيب وذلك بمقتضى الوصولات المطبوعة باسم الادارة والمضاة بامضائنا

كاتبه

جرجي حنا

غرزوزي

وقائع تلماك

هي قصة ادبية وضعها في اللغة الفرنسوية الاسقف فنيلون الشهير لتهذيب وتثقيف دوك دي بورغوين ولي عهد لويس الرابع عشر وقد ضمنها نصائح وتحذيرات من الظلم والرذائل محرضاً بها تلميذه على اتباع جادة العدل والانصاف ومدمجاً جميع ذلك بحوادث بديعة نسقها بترتيب عجيب وعبارات هي بلا ريب منتهى البلاغة وحد الاعجاز - قد ترجمت هذه القصة الى العربية وطبعت ثانية بمطابع المعلم شاهين عطيه ثمنها ٥ غروش

قصة حمزة البهلوان

هي قصة حماسية ادبية قد نسخ بردها وطبع عندنا جناب نخله افندي القلفاط وزينها بالاشعار البديعة والمطارحات الرشيقة لجاءت من احسن القصص المعروفة تفوق قصة عنترة الفوارس بالشجاعة وكثرة الفنون مما التي تاخذ بالنفوس كل ماخذ وهي مقسومة الى اربعة مجلدات قيمة الاشتراك بها عشرة فرنكات صدر منها المجلد الاول والمجلد الثاني وقد اخذنا الان بسرعة انجازها بمدة وجيزة

اعلان

بناء على ما نشره حضرة الفاضل علي بك ناصر الدين في اخر السنة الاولى وفي الجزء الاول من هذه السنة اعلن لحضرة الجمهور اني قد التزمت طبع مجلة الصفاء هذه واعتمدت اتقانها وضبطها وجعل عدد صفحاتها في السنة سبعمائة وثمانياً وستين صفحة تصدر في كل شهر اربعاً وستين وقد اخترت لتحريرها نفراً من افاضل الكتبة المستعدين ان يدونوا فيها ما يهم ذكره من مقالات علمية وادبية وتاريخية وفكاهية وافردت باباً مخصوصاً للمراسلات والمناظرات الادبية التي يتحفنا بها اهل العلم والادب وعينت قيمة الاشتراك عن كل عام خمسة عشر فرنكاً في بيروت ولبنان وعشرين في الخارج خالصة اجرة البريد وطيد أمل ان هذه الخدمة الوطنية تروق في اعين ابناء الوطن فيتلقونها بالرضى والقبول .

كاتبه
جرجي حنا
غرزوزي

وكلاء الصفا ومحلات الاشتراك

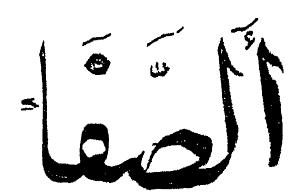
في بيروت ادارة المطبعة اللبنانية في الطابق العلوي من سوق الخواجات رعد وهاني

مركز متصرفية لبنان . ابرهيم بك الاسود
مركز قضاء الشوف . حسن افندي الخطيب
بغداد . الخواجه نابوليون الماريني
حمص . سليمان افندي يوسف نعمه
حماه . الدكتور امين افندي الحلبي
حوران . الشيخ علي القاضي
راشيا . عبدالله افندي مالك
زحله . شاهين افندي عارار
المعلقه . ابرهيم افندي فريجه
بعبدا . الدكتور فارس افندي ملاط
دير القمر . سليم افندي الجاهل
بعلبك . نقولا افندي الخوري
طرابلس الشام . المعلم ابراهيم بشاره الشويري
اللاذقية . اسعد افندي داغر
غزه . منيب افندي طوس
دمشق . ميخايل افندي مصور
والخواجه يوسف الخواجه

الاستانة العلية . عبد الله افندي خياط
حلب . ميخائيل افندي صقال
الاسكندرونة . ديمتري افندي زريق
القدس . ملحم افندي صالح نصر
يافا . القس مراد الحداد والمعلم سليم ابو نادر
حيفا . الدكتور شكري ابوطاجي
عكاء . نعمان افندي ابي شعر
الناصرة . القس ساروفيم ابوطاحي
صور . رشيد افندي حبيب
جديدة مرجعيون يعقوب افندي بدر
صيدا . قيصر افندي ترزان
الاسكندرية . حبيب افندي غرزوزي
طنطا . اسعد افندي دياب
دمياط . نخله افندي قصيري
اسيوط . جورج افندي خياط
عموم الارياف المصرية . رشيد افندي سعاده
وكيل جريدة الاهرام البهية

وكالة الصفاء العامة في القطر المصري

وكيلنا العام في مصر المحروسة وسائر القطر المصري فضل الله افندي غرزوزي فمن رغب الاشتراك في محل ليس لنا به وكيل خصوصي فعليه ان يخابره ويشترك على يده



الجزء السابع من السنة الثانية

في ١ و١٢ ايلول ١٨٨٧ الموافق ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٠٤

جنر مكتشف تطعيم الجدري
ومَنْ خلفهُ

قد اتسع في ايامنا هذه نطاق علم الطب والتطبب واصبح غاية كل دارسٍ مجتهدٍ لبيب وقف الزمان لوقف حياتهِ على خدمة ابناء جلدتهِ واستطلاع حقائق امور طبيعية كانت لولا اجتهاد اولئك الافاضل اسراراً لا يُدرك كنهها ولا يهتدى اليها وارفع تلك المباحث رتبة واشدها ضرورة ما يسميهِ الاطباء بالطب والعلاج الواقي فهو يهمُّ الغنيَّ والفقير والعظيم والوضيع والكبير والصغير واشهر المشتغلين بهذا العلم النافع في الزمان القديم والحديث العالم العلاَّمة الفاضل ادورد جنر الذي طار صيتهُ في الآفاق وجعل من درسهِ واختبارهِ حصناً حصيناً خلَّص بهِ نفوس الوف من الشرقي كل عام .

ولد هذا الرجل العظيم في ١٧ ايار سنة ١٧٤٩ في مدينة بركلي من اقليم غلوسترشاير الانكليزي ولما اتم دروسهُ تبع احد الاطباء الجراحين ليمارس ما تعلمهُ ويضيف الى ما اكتسبهُ في المدارس علماً واختباراً ثم اتى بعد ذلك الى لوندرا واقام فيها سنتين مساعداً وتابعاً ليوحنا هنتر الرجل الشهير فزاد بمخالطتهِ لهُ ميلهُ لدرس التاريخ الطبيعي واعدَّ نفسهُ ببحثهِ ودروسهِ لبلوغ تلك الدرجة السامية والشهرة الواسعة والاكتشاف الجزيل النفع الذي خلَّد اسمهُ بين العالمين وكانت الناس قد قدرتهُ حق قدرهِ فكانت تأْتيهِ في كل يوم افواجاً لتشكو لهُ ما المَّ بها من

الاوجاع المبرّحة والاسقام المزمنة ولم تصرف كثرة اعمالهِ نظرهُ عن الخوض في عباب مباحث التاريخ الطبيعي وهو فنٌّ عُرف باضطلاعهِ بهِ فتيسر لهُ معرفة عدة اسرار طبيعية زادت شهرتهُ شهرة وجعلت اسمهُ معروفاً لدى الخاص والعام

ومن الامور التي أشغلتهُ مدة مديدة وغادرتهُ فاكرًا بها باذلاً جهدهُ في استطلاع حقائقها وادراك كنهها وايجاد وسيلة لدفعها او الوقاية منها هي علة الجدري التي كانت وباءً اشد وطأة على الناس من الطاعون وحدث ان احدى النساء اتتهُ يوماً ليعالجها فذُكر بحضرتها مرض الجدري فقالت لا اخاف ان تداهمني هذه العلة لاني اصبت بجدري البقر وكان سكان ذلك الاقليم يعرفون هذا الامر الذي لم يكن جنر جاهلهُ وانما ما ذكرتهُ المرأة نبّه افكارهُ فلم يفتر عن ترديدهِ ولما عاد الى لوندرا اخبر بهِ اشخاصاً كثيرين من جملتهم هنتر فلم يروا لما ذكرهُ اهمية وقالوا إنْ ذلك الاَّ وهم تكون بالضرورة نتيجتهُ وهمية . وفي سنة ١٧٧٥ حينما غادر العاصمة وعاد الى مكانهِ الاول عاد الى التنقير والتنقيب وفي سنة ١٧٨٠ لاح لهُ بريق من الاماني وامل بالفوز وبلوغ المنى

ولا حاجة الى اعلام القارئ اللبيب تفصيل ما لقيهُ ذلك العالم الفاضل من العقبات في طريق نجاحهِ وانما نقول انهُ علم وتأكد وجود عدة امراض موضعية في البقر ينشأ عنها في ايدي الحلبة بثور ليست جميعها الجدري البقري الذي يسبب مرضاً موضعياً اصليًّا وان البثرة المذكورة لا تعدي الاَّ متى بلغت هيئة مخصوصة او درجة معلومة تكون بها واقية مَنْ تنقل اليهِ ومع انهُ مشهور ان علة الجدري تصيب الانسان مرة في عمرهِ علم انها تصيبهُ في النادر مرتين لسبب تركيبهِ المخصوص او اسباب اخرى فجرأهُ هذا الاكتشاف الى مزاولة عملهِ والثبات في التجارب لينال الفوز الذي يبتغيهِ

ولما حقق امانيَّهُ وحاز ما طالما جهد في الدأب وراءهُ أعلم اصدقاءهُ ما اوتيهُ من الحظ والنجاح وفي ١٩ ايار سنة ١٧٩٦ اخذ مادة من بثرة في يد احدى الخادمات التي اصيبت بالجدري البقري ولقح بها يد غلام صحيح الجسم متعافٍ فظهر بهِ المرض بطريقة قانونية حسنة واصبح في مأمن من عدوى تلك العلة الهائلة وفي شهر حزيران لقح ذلك الولد مرة اخرى بمادة اخذت من رجل مجدور فلم يصبهُ شيءٌ على الاطلاق فاشتهر عملهُ وانعهُ كثيرون وقد قال هو نفسهُ عن اكتشافهِ ما معناه «ان نقطار الناس مسرعين الى التطعيم قد جعلني اشعر بفرح لا مزيد عليهِ لتاكدي كوني وُجدت آلة أُعدت لتنزع من العالم احدى بلاياها العظمى وقد خلقت مولعاً بالعيشة الحرة والراحة الداخلية حتى انني كنت اسرّ واذهل في تأملي عندما كنت

اجهد في الفحص والبحث عن العلة ولمساسها في تلك المروج الخضراء بين مساكن الفلاحين
وكان يزيدني سرورًا نتيجة تلك التأملات وهي شكر الله تعالى على ما هداني اليه»

وطعم جنر بعد ذلك ابنه واولادًا اخرين ونشر كراسًا ضمنه تفصيل بحثه واكتشافه فاستلفت بها انظار الاطباء المدارسين فامتحن تعليمه واثبته الطبيب كليف اشهر الجراحين في ذلك الزمان وطلب اليه ان يأتي الى لوندرا ووعده باعطائه عشرة الاف ليرة انكليزية اجرة في كل سنة فرفض جنر اجابة طلبه وفضل البقاء بمنزله ليستمتع بشهرته براحة وسكون

ومن آراء جنر ان علتي الجدري البشرية والبقرية هما علة واحدة تختلف اختلافًا طفيفًا واننا باستعمالنا المادة اللمفاوية البقرية نتخذ الوسائل لنقل المرض بالطف حالاته عوضًا عن انتشاره بسموه الموذي المخيف ولما عرض جنر رأيه ضاده اذ ذاك كثيرون من اصحاب مذهب اختصاص الامراض الوبئية بالناس وعدم تسلطها على الحيوانات السافلة بقولهم ان امراض الحيوانات لا تعدي البشر ولكننا الان نعلم علم اليقين خطأ الذاهبين هذا المذهب اذ ثبت وجود علل كثيرة في البهائم تنتقل الى الانسان بطرائق شتى

ونجحت تجارب جنر فوق ما كان آملاً فاخرس بنجاحه ومبادرة الجمهور الى اتباع مذهبه كل من جرؤ ان يرفع صوت طعنه عليه وكان داء الجدري داءً هائلاً دعا الخوف منه عامة الناس الى التمسك بعرى كل وسيلة ظنت كافية للنجاة وكافلة للاصابة منه ولا يمكننا الان ان نتصور تمامًا شدة فتك هذا المرض الوبيل قبل ظهور جنر والمؤرخون جميعهم قد اجمعوا على كونه اشد الاوبئة هولاً واصعبها مراسًا قال احد الاطباء يبلغ عدد الذين كانوا يموتون كل سنة في اوروبا بالجدري مائتين وعشرة آلاف نفس وقال بروبلي الايطالي انه كان يموت به في كل خمس وعشرين سنة خمسة عشر مليون نفس اي ستمائة الف نفس في كل عام ومات مرة في روسيا مليونان في سنة واحدة وفي اسيا وافريقيا وجنوبي اميركا سطا الجدري على مدن واقاليم فامات اهلها وتركها قفرًا - وليس الموت باعظم آفاته فكم من المصابين الذين نجوا من المنون وقد فقدوا بصرهم واصبحوا عميانًا او تعطلت محاسن وجوههم وتبدل رونق الشباب باخاديد هائلة وخدوش قبيحة او ورثوا من جرائها عللاً فانية انحلت جسومهم واسكنتهم اخيرًا القبور

ولا مشاحة ان اكتشاف طريقة التطعيم بالجدري البقري قد اراح العالم من وبال كان اشد نكالاً من الموت الزؤام ولا عبرة بهجوم ذلك الداء الوبيل وشدة وطأته في احوال واوقات دون اخرى فان لهذا الامر اسبابًا معروفة وغير معروفة لا تنقص منفعة التلقيح وانما

يظهر للمدقق الخبير المقابل بين الحالة الحاضرة والسابقة ان النوع البشري قد نجا من بلية جلى باكتشاف جنر العظيم ومن المؤكد انه اذا تطعم جميع الناس بلا استثناء بصبح الجدري مرضاً خفيفاً لا يعبأ بهِ

اختبار واكتشاف باستور الفرنسوي — لا يخفى ما لهذا العالم الفاضل المدقق والخبير المحقق من الشهرة في العالم فانه اعظم كيماوي في هذا العصر صرف اوقاته في درس الكيمياء الآلية فبرع بها واهتدى الى حقائق دقيقة خطيرة رفعته الى اوج المجد وجعلته قطب صناعته واماماً تسير اليهِ الركبان من كل فج عميق

وكان العالم الفرنسوي كياردي لاتور قد اكتشف ان علة الاختمار في الاشربة نبات ينمو بها فاعترضه اذ ذاك الكيماويون وفي مقدمتهم العالم ليبغ الشهير الا انه لما استطاع هلمهولتس وغيره منع دخول الدقائق الآلية المؤلف منها نبات الاختمار الى بعض الاشربة لم يحصل اختمار على الاطلاق فثبت حينئذٍ ان علة اختمار التحول الاولية ليست تغييراً كيماوياً عادياً وانما هي ناتجة من وجود ادوات آلية حية واكتشف بعد ذلك ان الفساد الذي يعتري بعض الاشربة المتضمنة مواد آلية ليس ناشئاً عن فعل اوكسجين الهواء البسيط بل عن دخول بعض جراثيم دقيقة لقيت مواد كافية وصالحة لنمائها في تلك الاشربة وعليهِ اذا منع دخول هذه الجراثيم بتصفية الهواء بآلة او بالتسخين او وسيلة اخرى ممكنة ترى ان الاشربة القريبة من الفساد تبقى كما كانت لا يعتريها تغيير البتة او انها تختمر اختماراً مخالفاً حسب وقوعها تحت فعل انواع اخرى من الجراثيم

فهذه الامور قادت باستور الى درس الامراض في الحيوانات الحية فنظر اولاً الى دود القز وقد كان معروفاً ان البيبرين المهلك الدود ان في فرنسا وايطاليا اذا اصاب الدودة بلاها بذريرات تدخل الى البزر وتضعفه او تعدهُ للهلاك فاكتشف باستور بعد جهد التنقيب والتنقير ان تلك الجسيمات هي مستقلة بنفسها قادرة على النماء تأتي من الخارج وليست دليلاً فقط على علة الدود بل سبب العلة الحقيقي وكانت نتيجة هذا الاكتشاف ازالة المرض او اخماد ناره ومنع خسائر فاحشة كانت في كل سنة تفاجئ الاهلين

ومن سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٧٠ ماتت ستة وخمسون الف نفس بعلة تعددت اسماؤها بين أنتراكس والمرض الفحمي او الحمى الطحالية او الحبة الرديئة قيل انها ظهرت مرة في الخيل والمواشي باقليم نوفوغورد الروسي فاتصلت الى الناس واماتت في ذلك الاقليم خمسمائة وثمانية وعشرين نفساً وهي على نوعين احدهما اشد ضرراً واسرع سرياً من الآخر وكلاهما يسطوان على

المواشي فيسببان لاصحابها خسائر ملايين من الفرنكات في كل عام

وفحص احد الاطباء الفرنسويين دم حيوانات اصيبت بالحمى الطحالية فوجد بعض الياف دقيقة شفافة بحث عنها كوخ الالماني واثبت انها نباتات طحلبية اصلها جراثيم دقيقة ميكر وسكوبية دعيت لذلك «ميكروبس» وهي تنمو فتصير خيوطًا صغيرة او عصيًا دعيت «باشلي» من كلمة باشلوس اللاتينية ومعناها عصا او قضيب ووجد ايضًا ان هذه العصي مجوفة كالاتابيب ومقسومة الى عدة اقسام تتحطم عند نمائها التام وتكون اجوافها ملأى بجراثيم دقيقة تشابه اصل تلك الاتابيب وعلم كوخ ورنابعوهُ ان هذه الجراثيم تنمو اذا وضعت في عصير آلي موافق لها تكون حرارتهُ مناسبة ولكي يعرف كيف تولد هذه الجسيمات المرض في الحيوانات لقح ارانب وقيرانًا بنقط من ذلك النقيع فظهر بها جميع اعراض الحمى الطحالية او المرض الفحمي

ولما كان باستور دائب السعي والفحص لم يغفل قط عما فعله ويفعله الباقون بشأن الامور المرضية والاحوال الوبئية فتعجب من ان الداء الفحمي يفاجئ المواشي في الغالب بالمراعي الحسنة بالظاهر فبحث عن المكان الذي توضع به الحيوانات المائتة في تلك الارجاء فوجدها دُفنت بارض المراعي في حفر عميقة جدًّا فحار كيف تنتقل الجراثيم من عمق ثماني اقدام الى اديم الارض فظن الديدان الواسطة الوحيدة لنقلها واخذ في البحث ليحقق الامر ويتأكد مما دار في خلده فجمع دودًا من تراب المراعي المذكورة واخرج امعاءها ولقح بها ارانب وخنازير فظهرت بجميعها اعراض المرض الفحمي وكانت دماؤها ملأى بالباشلوس المخيف وهذا الاكتشاف يذكرنا بقاله داروين «من ان الديدان كانت تحرث الارض قبل اختراع الانسان المحراث ولا زالت تحرثها واظهر ان اراضي المروج الواسعة المنبسطة قد مهدتها الديدان التي تخللتها ولا تزال تتخللها دائمًا» وكان باستور جاهدًا في تثبيت كون تلك الحشرات هي سبب انتقال بذار المرض والموت وهي تحرث الارض حرثًا يفيد الانسان

ولقد ثبت ان جراثيم هذا الداء الوبيل هي نباتات بهيئة سافلة يمكن بذرها وزرعها وبقي علينا ان ننظر اذا كان يمكننا زرعها ان نخفف اضرارها اذ من المؤكد والمشهور ان الاشجار والانجم البرية اذا زُرعت واعتني بها تتغير هيئتها وطعمها تغيرًا بينًا كالاجاص البري وغيره مما يماثله

ويوجد طريقتان تنال بهما الغاية المطلوبة من تغيير قوة الباشلوس والجراثيم التي تشبهها والاولى منهما تشبه الطريقة التي اتبعها جنر بادخال الجدري الى البقر ومنها الى الانسان والثانية

اطراد زرع ما يرام زرعه واخذه من الاجسام الحية فتبين من هاتين الطريقتين ان الجراثيم تضعف جدًّا ويصبح المرض الناتج عنها لطيفاً وبلا اهمية تذكر ووضع باستور الباشلوس في مرق الدجاج او عصير اللحم وبعد شهرين وجد ان الجراثيم تغيرت تغيرًا خفيفاً والحيوانات التي تلقحت بها بعد ثلاثة او اربعة اشهر ظهر بها المرض لطيفاً وبرئ اكثرها بعد سنة او ثمانية اشهر وصار المرض خفيفاً جدًّا حتى ان الحيوانات التي تلقحت من هذه شفيت شفاءً تامًّا سريعاً

واتضح بعد ذلك ان تلقيح الحيوانات بالمرض الخفيف يصونها من الداء الاصلي متى اصابها كما صان جنر المجدورين بالتطعيم وهذا بعض ما اثبته باستور نسمه في تقريره الذي رفعه الى لجنة الطب الاجنبية فانه بعد ان فصّل طريقته في تلطيف سم الداء واعطائه بوسيلة فيسيولجية حدثه الاصلية قال «ان الطريقة التي شرحتها لتطعيم الحمى الطحالية قد انعها الناس منذ انتشرت ففرنسا يموت فيها كل سنة بالحمى الطحالية حيوانات قيمتها عشرون مليون فرنك او حسب راي احد ماموري نظارة الزراعة ثلاثون مليون فرنك ومهما كانت الاقوال فالقيمة الحقيقية غير معروفة وقد سئلت ان اعلن جهرًا في بو يلي لِيْ فُورْ بالقرب من مالِين نتائج اكتشافي فاتيت بخمسين خروفاً طعمت نصفها وتركت النصف الاخر بلا تطعيم وبعد اسبوعين لقحت الخمسين جميعها بجراثيم الداء الحي القوية فالخمسة والعشرون المطعمة نجت من المرض اما الباقية فماتت بعد يومين ونصف

ومن ذلك الاوان كانت تأتيني كتب الفلاحين من كل فج عميق يطلبون بها موادّ للتطعيم وفي خمسة عشر يوماً لقحنا في الاقاليم المجاورة لباريس عشرين الف كبش وعددًا وافرًا من المواشي والخيل وقد تكرر هذا العمل بحقل لامير بالقرب من شارتر بطريقة تستحق الذكر لان بعضاً من الاطباء قال ان السم المستخرج من دم المصاب تكون قوته كقوة ما اسميه السم المزروع ولقح بدم حيوان مات بداء الحمى الطحالية كباشاً ملقحة وغير ملقحة وكانت النتيجة كما ذكرت في بويلي لِيْ فور

ومن اهم المسائل في هذا الموضوع مسألة تجديد التطعيم اذ من المؤكد ان الاوبئة المختلفة تختلف بقوتها وحدتها فما يقي الانسان من الجدري الخفيف لا يقوى على ذلك متى كان المرض قويًّا ويكون جسد المرء في بعض الفصول وبعض الاحوال معرضاً لبعض امراض لا يكون معرضاً لها في اوقات غيرها وينضح من اختبار باستور ان اوكسجين الهواء والوقت واسباب اخرى تضعف قوة الجراثيم وتغير فعلها بالحيوان فانجح وسيلة للحصول دائماً على مادة قوية للتطعيم هي اعادة التلقيح بالجدري البقري عوضاً عن الاتكال على ما يؤخذ من جسد الاطفال

وقد اكتشف باستور طريقة لصيانة الدجاج من علة الهواء الاصفر الدجاجي وذلك بتلقيح الفراخ بباشلوس مخصوص وفائدة هذا العمل ظاهرة من ارسال الفرنسويين في كل سنة ملايين من البيض الى جهات مختلفة ولا بد ان يكتشف العلماء ايضاً بالتلقيح وسائل اخرى للوقاية من الامراض والاوبئة فتتسع دائرة الطب ويصبح الانسان آمناً على حياته من طوارىء علل لم تكن بحسبانه

نجيب ابرهيم طراد

حيوان جديد

بينما كان احد العلماء المدعو مارش يبحث في ارض جبال ويومنك الوسطى سنة ١٨٧٠ وجد بقايا حيوان ضخم مجهول عرفه بكونه من الانواع البائدة وسماه دينوسيراس وقد وجد بقايا اخرى من حيوانات هذا النوع باوقات مختلفة بعد ذلك فنقل منها الى بيت التحف في مدرسة يل التي يعلّم بها مقدار مائتي هيكلاً وقطع هياكل كلها تفصح عن تكاثر هذا الحيوان في احد اطوار تكون الارض

وهذه البقايا وجدت بحيرة واقعة في شمال جبال ويومنك الى الجهة الغربية والشرقية من النهر الاخضر على بعد مائة ميل من الضفتين وفي الزمان الثالث الجيولوجي كانت تلك البحيرة بحراً داخلياً الّا ان ارتفاع الارض في الجهتين الغربية والشرقية عند الجبال الصخرية منع اتصالها بالبحر الكبير وجعلها عذبة المياه بالتدريج

والارض التي حولها مكسوة نباتات الاقاليم الحارة وهي كانت ترتفع بالتدريج فوق سطح البحر فبلغ علوها سبعة الاف الى ثمانية الاف قدم وكانت تلك البحيرة تملأ بالثفل وما يسقط من الجبال المحيطة بها حتى بلغ علو ارضها ميلين في ابتداء الزمان الثالث وفي هذه الاتربة المتراكمة يجد الباحث تاريخ الحيوان في ذلك الاوان فانه يرى عدداً وافراً من هيئات انواع الفرس والتمساح والسلحفاء والحرباء والاسماك والافاعي الاولية ويجد انواعاً لم تكن معروفة قبلاً اهمها الدينوسرنا الذي قُسم الى ثلاثة اقسام دعيت دينوسارس وتينوسارس واونيتاثيريوم ولا مشاحة ان مكتشف تلك الاعظم وجامعها ومركبها قد لقي مشقات هائلة وابدى براعة فائقة وصبراً عظيماً شأن فطاحل العلماء ويظهر ان الدينوسيراس يقارب بهيئته الفيل

والرينوسيروس ويشبه الاول بشيته وفرس الماء باموراخرى فعنقه اطول بمن عنق الفيل ولذلك يمكن رأسه ان يصل الى الارض اما دماغه فصغير وعظامه تدل على كونه حيوانًا كسلان باردًا بطيء الحركة لا يستطيع احتمال تغيرات الهواء. ولم يمكنه ان يعتاد الاختلاف الذي حصل في اخر الزمن الثالث وعليه فقد باد نسله بالتدريج في ذلك الاوان ولا شيء يدل على كونه عاش بعد تلك المدة

ولم يتأكدوا الى الان هيئة ومادة قرنيه والمظنون انهما كانا مغشيين بجلد ثخين شثن وطول التينوسيراس وهو اكبر انواع الدينوسيرتا نحو اثني عشرة قدمًا وعلوه ست اقدام ونصف وعرض ظهره نحو خمس اقدام واذا قسناه على الحيوانات الحية في هذه الايام يكون ثقله نحو ستة الاف ليبرا اما الدينوسيراس فهو اصغر منه ويلوح ان هذه الوحوش كانت كثيرة العدد في ابتداء الزمن الثالث الجيولوجي وانها كانت عائشة فرقًا عند ضفاف البحيرات الحارة ترعى النبات النابت في تلك الانحاء «ط»

عدوى اللبن

قد صرفت الاطباء والحكومة في الولايات المتحدة الاميركية نظرها الى البحث عن نقاوة اللبن ومنفعته فوجدته مادة صالحة لنقل جراثيم الامراض الوبيلة والعدوى وان العلة التي تصيب البقرة تسري الى لبنها وتجعله زارع الادواء في جسوم شاربيه غير ان العلماء والمعلمين لم يجمعوا جميعهم على هذا الامر فهو موضوع مناظرة وجدال

قال الدوكتور كلاين في خطاب القاه في الجمعية الملكية بلوندرا ما مفاده ان سبب الحمى يكون احيانًا كثيرة اللبن واورد على ذلك ادلة ناصعة وبراهين دامغة واشار الى احوال كان فيها اللبن اعظم داع لشيوع هذه العلة الخبيثة والبلية الكبرى

واثبت العالم الفرنسوي غالتيه ان الامراض الدرنية تنشأ ايضًا عن لبن البقر المصابة بتدرن وقال انه سقى فجاجًا وخنازير هذا اللبن فاصيبت بالسل وبطوء او انقطاع حركة النبض

وقد لوحظ في اميركا بالاعوام المتاخرة ان ظهور امراض كثيرة كان ناشئًا عن اللبن وقد أثبت هذا الامر حتى ان تلك الامراض دعيت باسماء خصوصية نحو حمى اللبن التفودية وديفثريا اللبن وهلم جرًا وكان المرض محصورًا بعائلات معلومة ظهر عند البحث انها كانت

قشتري اللبن من بائع واحد ولما فحصت الاماكن المأخوذ منها ذلك اللبن وُجد بعض اصحاب المواشي والخدام مصابا بالحمى والدفتريا حسب المرض المنقل

اما العلاج الواقي من جراثيم الامراض الداخلة في اللبن فهو اغلاؤُهُ حتى تبلغ حرارته ١٨٥ درجة من مقياس فارنهيت او ٨٥ درجة سنتي غراد فيموت ما به من الهوام

اما المواد الاخرى المستخرجة من اللبن كالزبدة والجبن وغيرهما فلا يمكن اغلاؤُها الى هذه الدرجة ومن هنا يظهر لنا جليًا مضارّ تلك المواد لاسيَّما الجبن البلدي المعروف في بيروت فان له شهداء ذاقوا ويله وشهودًا عدلاً شهدوا فعلهُ الرديّ بآكليهِ ويثبتون اذاهُ ويحرضون الناس على الاقلاع عنهُ والحذر من اكلهِ واقتنائهِ «ط»



حرارة الشمس

تكلم احد العلماءِ في احدى الندوات العلمية عن قواعد الديناميت فقال ما معناهُ — ان التاريخ البشري لم ينبئنا بشيء عن اصل وكمية حرارة الشمس ومدة بقائها ولكننا اذا نظرنا الى الاجيال الجيولوجية والقرون الغابرة نظر مدقق حكيم نحكم بحصول تغيير في صفاتها وقد ذهب هلمهولتس ان الشمس كرة واسعة آخذة حرارتها بالتناقص وكلما بردت تقلَّصت بفعل الجاذبية فحافظت بتقلصها على حرارتها البالغة قوتها قوة اربعمائة وستة وسبعين الف مليون مليون حصان او نحو ثمانية وسبعين الف حصان لكل متر مربع وتُظهر قاعدة حرارة المواد الديناميتية ان الشمس تحتاج الى هبوط وتقلص خمسة وثلاثين مترًا بالسنة حتى تستطيع المحافظة على قوتها المحرقة وعليهِ فيلها ينقص بعد الفي عام جزءًا واحدًا من الف جزء مما هي الان

ولا بد ان يأتي يوم تصبح بها حرارتها غير كافية لحياة البشر وهذا اليوم يكون بعد نحو عشرة ملايين سنة فاذا اتخذنا هذه القاعدة لحساب الايام الماضية نرى ان عمرها الان نحو عشرين مليون سنة

وسواءٌ كان تنور الشمس ناتجًا عن اصطدام العوالم او انتشار مواد سحابية منيرة فقد اختلف العلماءُ بتحديد مدتها الا انهم اجمعوا على كون تلك المدة اطول مما ذكر ولكن العالم المشار اليهِ قد حسب المسألة مسألة ديناميتية فاذا كانت كما فكر لا تكون مدة حياتها اكثر مما قال «ط»

في الزمرد

(بقلم جناب الاديب المعلم نابليون الماريني)

في بغداد

في ماهيتهِ وشكلهِ — الزمرد بالدال المهملة او الدال المعجمة (كذا في كتاب لغتنا) من سلكات الالومين والغلوسين. وهو مادة شبيهة بالزجاج . وهذه المادة متبلورة عمومًا ولها دائمًا شكل الموشور ذي ستّ زوايا وهذا قد ينتهي بشكل الاهرام لكنهُ يشعّرُ احيانًا فيمسي اسطوانيًا (في ضروب الزمرد) — ان للزمرد الوانًا متفاوتة لا يستقصى عددها اشهرها الزمرد الرائق او المظلم والعديم اللون ومنهُ ايضًا ما يكون اصفر واخضر وضاربًا الى الزرقة . وقليلاً ما يكون اخضر صرفًا حانيًا فيعزى حينئذٍ الى اكسيد الكروم وهذا هو اجود الكل

في معادنهِ — اعلم ان الزمرد لا يحصرهُ موضع ولا يعدّهُ عدد بل انهُ منبثّ في الارض . واما جنسهُ فهو من جنس الغرانيت المسمى بالغمانيت - وتلفيه بعض الاحيان في الغنيس ولكن اجودهُ وهو الاخضر الصرف قد يضرب اوتادهُ خصوصًا في بيرو مطمورًا بين الشست الدلغاني المتصل بالكلس .

ثم ان اجمل احجار الزمرد هي الواردة من ناحية سنتافادو باجوتا وهي تستخرج من معدن موزو قرية صغيرة بوادي مجدلانة الكائن ببلاد كلُمبيا من ممالك اميركا الجنوبية وقد ذكرت الجريدة الاميركانية المعروفة باسم لوفريَة دزَيناتُر وفي نقلاً عن بعض ارباب السياحات الذين طافوا بتلك الارجاء هذه التفاصيل والبيانات المذكورة بعد وهي هذه حيث قال توجد احجار الزمرد في عدة اماكن من الوادي المذكور ولا ترى ما على منحدر جبل هنالك يبلغ ارتفاعهُ نحو خمسين مترًا ومن ذلك المكان يستخرج اكثر الزمرد وهذا الجبل متكون من نوع حجر بلسد طفلي جيري اسود اللون قليل الصلابة توجد في ضمنهِ بعض كتل حجرية جيرية بيضاء تترقها بعض بلورات من الحديد المتكون وفي الحجر اللماع الجيري المدعو باسم القلدسباث منها توجد احجار الزمرد وكلما كانت كبيرة مع كونها اكثر صفاء واغبرارًا . كانت اعلى قيمة واعتبارًا . ومن المعلوم انهُ يوجد حجر الزمرد في عدة اماكن من الكرة الارضية كجبال

اورال ومدينة سلاسبرغ وبلاد الهند وغير ذلك من الاقطار والامصار غير انه اكثر ما يوجد من حجر الزمرد واجوده هو ما يستخرج بكيفية ياجونه هذه قال السياح المروي عنه اعلاه وقد شاهدت عند متعهد معادن الزمرد تلك الحجرة كتلة من الحجر اللماع الجيري المذكور فيه مرزانان مطروقتان في بلورات الزمرد بقدر اصبعين طولاً على نحو اصبع واحدة عرضاً وطريقة العمل في استخراج هذا المعدن بسيطة جداً وهي عبارة عن مجرد تفصيل اجزاء الجبل لا غير وذلك ان العمال ينقبون صفاً افقياً وبيد كل واحد منهم مكشاح يبرت بها قطعة من الارض فتنفصل احجار الزمرد التي توجد فيها ومتى خلت تلك القطع من احجار الزمرد تركوها تتزحلق حتى تسقط في مجرى الماء المدعو هنالك باسم الميزو ثم تتقهقر الى وراء بقدر قدم واحدة ويعملون كالسابق وهلم جراً . وبهذه المثابة ترى الجبل لا يزال في تناقص جزءاً بعد جزء وعلى نهايتي الخط الجاري عليه العمل يوجد حارسان يستلمان تلك الاحجار النفيسة بمجرد انفصالها عن الكتل الارضية المقتطعة وقد كان عدد الصناع العاملين بذلك المعدن ١٥٠ عاملاً فقط يعطى العامل منهم زيادة عن مصاريف السكنى والقوت في كل يوم من ريال الى ريالين وقيمة الريال هنا نصف فرنك لا غير عن مسافة تسع ساعات من العمل وهذه المعادن مملوكة لمصلحة بيت المال بطريق التعهد والالتزام لرجل فرنسي من اهالي اقليم الالزاس عن مدة ست عشرة حجة بمبلغ ايراد سنوي بقدر ١٤٧٥٠ فرنكاً ويقال ان المتعهد يغنم من ذلك الالتزام ربحاً بقدر مائة في المائة ولا يمكن لاحد ان يحصل بطريق الاشتراك على حجر زمرد مطلقاً قال الراوي لهذه الاخبار وكنت رغبت في الحصول على قطعة زمرد من هذا المعدن لاجعلها انموذجاً في مجموع ضروب معادن لبعض اصحابي من غواة هذا الفن ببلاط اوروبا فلم يسمح لي بذلك ويوجد على شواطئ نهر الميزو هذا صنف طير من رتبة الفراش نادر الوجود جداً يعرف هنالك باسم المورفوسيريتي وهو طائر ازرق اللون تنعكس فيه الالوان المعدنية والانثى منه صفراء منقوشة بخطوط سود هي دون الذكر في الجمال وهي بالنسبة الى ندرة وجودها بحيث تساوي قيمتها خمسين فرنكاً واكثر من ذلك حسبما ذكره السائح المذكور وذكر له عمال ذلك المعدن ان هذا الفراش يتغذى بالزمرد فانكر عليهم ذلك وترتب على انكاره ان حصلت بينه وبينهم مجادلة أدت الى مشاجرة ومجاهرة

السفّور

(بقلم جناب الاديب المعلم نابليون الماريني)
في بغداد

السفور من الاسماك ذوات الاشعة الشوكية وعواماتها البطنية موضوعة خلف الصدرية وقد استحالت كل منها الى اسلة او شوكة مزدوجة غالبًا واسلة اخرى من امام الزعنفة الظهرية واخرى صغيرة عند الاستية ووخز الاشواك المظنون كخطرٍ لا يصدر عوارض الاَّ عوارض كل جسم حار وهو من الاسماك الكثيرة الغرابة ما نعرفه. فان هيئته الخارجية تدلنا عليه اكثر من غريزته التي تسوقه الى بناء مأواه . والحق يشهد ان هذه التحفة على صغرها صغيرة وهذه السمكة ببناياتها التي تتصادف فئاتٍ في النغيص كما في الماء الراكد لا يتجاوز طولها ابدًا من خمسة الى ستة سنتيمترات وهي سريعة الحركة وقوة عضلاتها شديدة واي شدة حتى انها تصعد فوق الماء علوّ خمسة وثلاثين سنتيمترًا . فالسفور اذًا يقطع مسافة تساوي سبعة اضعاف طول جسمه . واذا قطعنا النظر عن كل نسبة يجب ان يقفز السفور على هذا الحساب قفزة واحدة مسافة طولها نحو من احد عشر مترًا ولكن رغمًا عن صغر قده . فالسفور يقتحم اعظم الاهوال واكبرها وما يعزى ذلك الاّ لاشواكه المؤسّلة المغطى جسمه بها والصفائح كاكثرية الاسماك اي انها اكولة وقوتها من الدود والحيوانات الهلامية المائية والسرء غير ان هي نفسها فريسة لحاميّ صغير والضرب من السرطان الذي يلتصق بجلدها ويمصّ دمها ولها عدوّ الدّ آخر وهو دودة تنفذ احيانًا في جسمها لتقيم في بدنها فتملأها بيضًا في مدة وجيزة .

وما نراه من العجب في السفافير ايضًا انها تزداد بنوع غير اعتيادي مع انها تصاد بتواصل وذلك لا طمعًا في ان يتخذها الطهاة الوان مآكل لسيداتهم بل طمعًا في استخراج الزيت الكثيف المستعمل في بعض البلاد كثيرة الاكل وقد تتخذ في بعض البلدان اما قوتًا للخنازير البرية واما سمادًا للاراضي . والسفافير التي تصطاد في كمشتكا مدة الصيف تشمس فتصبح لها ينبوعًا غزيرًا ونفيسًا لقوت الكلاب التي تجر العربات في الشتاء . وقد سلف القول على ان السفور ليس بصفاته الظاهرة فقط يستلفت الانظار والتفكر بل ايضًا وخصوصًا بمهارته المذهلة التي يظهرها الى عالم الوجود عند بناء عشه اذ ان بقية الاسماك تجتزئ بمأوى في الدغل وفي قلب الطين او تحت الاحجار اما السفور فليس كذلك لانه بناء ماهر ومهندس بارع فانه بعد ان يختار له احسن المواضع واوفقها لبنائه الموعود بعده سمكًا مالكًا وحيدًا وحرًّا مطلقًا لذلك

البناء ويأخذ في مقاومة كل ما اقترب منهُ واجتاز بهِ من الاسماك ولو اكبر منهُ واما في وسط الجدول فيعتبر كملك مشترك للجميع فان السواحل التي تنبت فيها النباتات المائية بكثرة مشغولة بأناثي من المناقير ولا يوجد فسحة قدر سطحها ثلاثون سنتيمترًا الا وهي تحت حوزة احد الاسماك ولذلك يضطر المسور ان يجد في هذه الفسحة الحرجة اناث مأواهُ لانهُ ان جاوز الحد يخاطر بنفسهِ ويصيب قتالاً من جاره والمواد التي يحتاج اليها لبناء مسكنهِ هي قصد الحشائش او التبن الذي يحملها الماء الى جانب النباتات المائية التي يبتني عشهُ في قلبها . ثم يأخذ نسج عشهِ من هذه المواد نسجًا خفيفًا فبل الكثافة بشكل اسطواني مفتوح من طرفيهِ ويخرب اذا اخرج من الماء وفيهِ تسرأ الانثى وحجم السراة حجم ذرة وهي صفراء اللون عند سرئها ثم تأخذ وتشرب ريثما كلما تقدم عهد نسئها .

وقد استوفينا الكلام على السفور النهري بقي علينا الآن ان نأخذ في ترجمة السنور البحري فنقول . ان السنور البحري كالنهري ماهر في صناعتهِ ويدافع عن نفسهِ يكافح العدوان الالداء الاشد منهُ جأشًا وبأسًا وقتل كل ذلك يعزى الى صف الاشواك الخمس عشرة الصلبة الحادة المجهز بها ظهرهُ وهو يقيم عشهُ على طريقة اخيهِ اي بين الطحلب الاخضر والعرفيري الذي يرى على جرفة الشطوط هذا وان كل محل يستحسنهُ السنور يتغلب عليهِ وقد قال احد الطبيعيين انهُ كان سفور قد ابتنى عشهُ في طرف حبل قنب غائص احد طرفيهِ في الماء وكان مركبًا من ألياف خشيشية دقيقة جدًّا ونسج هذا العش بدراية لا مزيد عليها وكان يؤلف ضربًا من الكرة المستطيلة وحجمهُ حجم جمع ومرتبطًا بالالياف المنحلة من الحبل نصف فتل وكانت سفينتهُ طرف الحبل نفسهُ

المناظرة والمراسلة

الرد السديد المغني

على الياس افندي بها

اني بينما كنت مجيلاً النظر في المطالعة ومسرحًا خطر الاختبار . في كل باب من ابواب جريدة الصفاء التي لها الآن لدى الناس كبير اعتبار . وقعت على رسالة عويصة المعاني .

لطيفة المباني . فوددت اذ ذاك معرفة اسم منشيها الذي جعلها صحيحة المبنى . فاذا هو مولانا وافندينا الياس افندي بها .

ثم اني اقول قبل ان استفتح ردي بشيء . انه ينبغي للذهي قبل ان يتصدى للمساجلة و ينزل في مضمار المناظرة والمجادلة . يجب عليه اولاً ان يدرك جيداً معنى الكلام الذي يريد الرد عليه . وثانياً ان يلتفت الى ذاته قائلاً . هل انا من فرسان هذا الميدان ليحق له التصدي لغيره .

اما صديقنا فقد ناقض قولنا . واني اقول وهيم الله انه ما شرب ابداً معنى رد اخي على حضرة الدكتور بشاره افندي زلزل وفضلاً عن ذلك انه ليس من اصحاب هذا العلم ولا من المتوغلين فيه . فلما رأيت ايها الافندي انك لست من المضطلعين بهذا الفن فمن الذي حملك على ترويج ردك . أظننت انه ما يستطيع احد على مجاوزتك . بئس العمل الذي عملته . لانك لو كنت عاقلاً حكيماً لما رسمت تلك الاسطر وقد تعسفت في الكلام كما يهذي المصاب بكلا يبس المخ . اذ انك بها قد أبنت نفسك امام الادباء بليداً جاهلاً . وغبياً متجاهلاً .

ثم انه أما رأيت صاحب مقالة الرخم حضرة الدكتور زلزل افندي قد انسلّ صامتاً لانه قد اصاب عصا المناظرة على ام رأسه . وما استطاع حينئذٍ ان يحرس ببنت شفة لانه رأى الحق بيد عاكسه .

فلنأتين الآن الى مناقضة كلام حضرة الافندي المذكور فنقول .

اننا قبل ان ننتقد مقالتك على الرخم التي نقلتها عن الاديب فارس افندي الشدياق نأخذ اولاً في مناقضة تصحيح فاتحتها ومن بعد نلغو عن البقية .

لقد استقبحت صدر كلامك بهذه العبارة وهي . «قد اطلعت على المقالة المدرجة في مجلة الصفاء في الرخم صفحة ١١٢ . . . . وكان الاصح ان يقال . «قد اطلعت على مقالة الرخم المدرجة في الصفحة ١١٢ من مجلة الصفاء . . » ثم انه ما كان مرادك بكلمة «بحرفيته» اني ما وجدت ذكراً لهذه اللفظة في كتاب اللغة ولا في غيره اظن انك جئت بها بمعنى حرفه . لله درك من ناخع برعمب الدرّ نص باقشائه الرفيع المعنى بالحقيقة انك قد فقت ان القرية في البلاغة والبن زيدون في سعة العبارة اما الآن فقد انهينا من تصحيح فاتحة مقالتك فاتقذن لنا ايها الخواجا في التفوه عن الأمدة إلمّ يتعذر على حصرنك . اسألك اولاً من الذي درسك ان الرخم اصناف عديدة . او ما اسم الكتاب الذي رأيت فيه ذلك . ثم خلا هذا كان ينبغي لك ان تذكر شيئاً عن عائلته ورتبته . والسبب هو ان الطبيعيين متعودون قبل ان يعلقوا في الكلام عن حيوان ما ان يذكروا عائلته ورتبته . فبين لنا إذن من هذا القياس انك لست

من اهل هذا الفن بل فيس هذا بعشك فادرجي - وقد فتشت عليك الضيعة . أما سمعت ما يقول المثل - لا تهرف بما لا تعرف .

هذا وانك قد عركت في حديثك وخبطت خبط العشواء . في الليلة الدهماء . فلو اردت ان اناقض كلاً من جملك وافندها لاستغرق كلامي ربع مجلة الصفاء الاغر . هذا اذا ذكرت شهادات اقوال طبيعي العرب والفرنج ولكن فلنقطع الكلام الى هنا تابعين المثل الشائع وهو - كثرة الكلام - تنفر الانام .

وهاك مشورة من عندي وهي . عليك بمطالعة الوجه ٦ من كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات لمطبور نا لمؤلفه الدكتور جورج بوست وكتاب عالم الحيوان للعلامة الفرنسي بولص لورسون وغيرهما من الكتب التي هي من هذا القبيل . هذا واني منبهك ابداً لمجاوبتك . وحذار من ان تخبط في كلامك مرة اخرى كهذه . وتأتي بعبارات سخيفة الالفاظ ركيكة المعنى . واهنة المبنى . بل أشبع كلامك وآت بالفاظ فصيحة . ومعاني رجيحة . الا انه ما اظنك تجاوبني واذا فعلت ذلك اعربت عن نفسك للادباء ان على نباطك غشاوة . بل ان في فقعوتك عماوة .

نابليون الماريني

في بغداد

حضرة مدير مجلة الصفاء المحترم

قد اطلعت في الجزء الخامس من مجلتكم الغراء على مقالة بقلم الاديب «الياس افندي مسلّم» احد طلبة مدرسة اللاهوت الانجيلية في بيروت تحت عنوان بعض علوم العرب وعلمائهم فعجبت اذ ذاك كيف انه مال للانتحال فافترى على اهل الادب واختلس بعض مقالاتهم وادرجها في مجلتكم البهية تحت اسمه مع كونها لجناب العالم الفاضل المرحوم نوفل افندي نعمة الله نوفل واني قد عثرت عليها في نسخة كتاب له لم يطبع بعد يسمى صناجة الطرب في تقدمات العرب فاذا هي هي وعلى ما اظن ان حضرة الافندي المومى اليه (اذا لم انل حقيقة الحال) قد اتصل اليها من نسخة اخرى قد اهداها المؤلف للمدرسة اللاهوتية الانجيلية . ولكي يلتفت لما نوهت عنه ارجو ان تدرجوا هذه الاسطر القليلة في مجلتكم الغراء ولكم بذلك مزيد الفضل والمنة

من طرابلس احد مشتركي مجلتكم

سلامه غريب

الرياضيّات

حل المسئلة الحسابية المدرجة

في الجزء الرابع من الصفاة

لنا في حل هذه المسئلة طريقتان الاولى حسب الحساب الفرضي وهي ان نرى المخرج الاقرب الذي تتفق عليه هذه الكسور الثلاثة وهو ٨ ثم تأخذ نصف الثمانية وربعها وثمنها ونجمعها فيكون سبعة وحسب الرد (في حساب الفرائض) تكون المسئلة من ثمانية ردت الى سبعة فيكون للاول اربعة وللثاني اثنان وللثالث واحد والطريقة الثانية حسب القواعد الحسابية وهي ان نحول الكسور الى مخارج مشتركة فتكون ٤/٨ ٢/٨ ١/٨ فتتحول نسبة مجموع الصور الى صورة كل كسر كنسبة عدد الابل الى الجواب ٨ و٨ و٨

٧ : ٤ :: ٧ : ج٤

٧ : ٢ :: ٧ : ج٢

٧ : ١ :: ٧ : ج١

فيكون لصاحب النصف ٤ ولصاحب الربع ٢ ولصاحب الثمن ١

انطونيوس منصور
احد تلامذة مدرسة
كفتين

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما قبله)

واعلنة الحرب وارسل جنوده الكثيرة لقتاله فلم يجده اجتهادهُ شيئًا بل هيأ بجسده وغضبه لعدوه ظفرًا جديدًا وفخرًا عظيمًا وسنة ٤٦٠ عاد الى محاربته وجهز مائتي سفينة وثمانية الآف جندي بعثها الى سواحل ايطاليا ومدنها البحرية فاتت تلك العمارة مدينة ترنتوم وحاربت

اهلها ونهبت اموالهم واضرت بتجارتهم وعادت راجعة الى بوغاز الالسبون والدردنيل تذيع بافتخار خبر الاضرار باقوام ما زال الشرقيون يعتبرونهم رومانيين واخوانهم وربما كان رجوع سفن انسطاسيوس وعساكره ناجمًا عن خوف من سفن ثيودوريك البالغ عددها الف سفينة والمنتشرة في المياه الايطالية والمستعدة ان تهاجمهم وتنكل بهم لو لم يرجعوا الى اوطانهم مسرعين ومكتفين بما حازوا من الفوز والنجاح

ولما كانت اخبار المملكة الشرقية في القرن الخامس بعد المسيح عقيب موت ثيودوسيوس المعظم وانقسام سلطنته بين ابنيه قليلة لقلة الكتاب المؤرخين وغير مهمة لخمول وضعف الملوك خلفائه اقتصرت منها على ما ذكرته في هذين الفصلين واظن هذا القدر مع ما سيذكر في الفصل الثالث كافيًا لافادة محبي درس التاريخ والمتفكهين بمطالعته

الفصل الثالث

تاريخ الكنيسة في القرن الخامس

الحوادث الخارجية

ولم تزل كنيسة المسيح في هذا القرن كما كانت في القرن الماضي سائرة في سبل النجاح والفلاح ناشرة لواء بشارة الانجيل حيثما حلّ امناؤها وانصات سلطة ملوكهم غير مبالية بمضادة اعدائها والحروب التي اثارها البرابرة في الاقطار الغربية والشرقية وامتاز ثيودوسيوس الصغير بين الكبراء والامراء بنشاطه وسعيه في توسيع نطاق الكنيسة الجامعة واذاعة تعاليمها فاتى اعمالًا كثيرة مشهورة مشكورة وامر الوثنيين بهدم هياكلهم المشادة لعبادة الاوثان او اعطائها المسيحيين كي يطهروها ويجعلوها معابد صالحة لاقامة شعائر دينهم والصلاة وابطل كل احتفالات الديانة الرومانية واليونانية القديمة وهدى الى دينه كثيرين من اولئك الاشياع باوامره وارشاده فاقتبلوا جميعهم بالفرح والسرور في احضان البيعة وحُسبوا في عداد المؤمنين

ولم يمتنع الغرب بما حازه الشرق من الاصلاح بل بقي الوثنيون في اماكن عديدة منه يحتفلون جهرًا باعياد الهتهم ويقيمون الصلاة ويسبحون ملعب السيافين الهائل الذي تقشعر منه الابدان

وكان كثيرون من الكبراء والعظماء متدينين بدين الصابئين يعلنون اعتقادهم بحرية وبلا خوف غير ان تلك الالعاب البربرية والاحتفالات الوثنية كانت تُهمَل بالتدريج حتى تلاشت او كادت تتلاشى في اخر هذا القرن

وقلّ عدد الخارجين عن الدين المسيحي في المملكتين الشرقية والغربية وكانت جبال لبنان والشيخ مملوءة بالوحوش الضارية والحيوانات المؤذية لانتشار اهلها على ما قيل القديس سمعان العمودي فاشار عليهم ان ينبذوا وراءهم ظهريًا اعتقاداتهم الباطلة ويعتنقوا بحرارة واخلاص دين المسيح فاصاخوا له سمعًا وانتصحوا بارشاده ومشورته وتنصروا فهجرتهم اذ ذاك الوحوش الكاسرة حسب رواية بعض المؤرخين وعاشوا براحة وأمن وسرور

وتنصر الاقوام البرابرة المحيطون بالسلطنة الرومانية كالغوثيين والجرمانيين لانهم نظروا الى الرومانيين وعظمتهم وتمدنهم وترتيبهم فارادوا اقتفاء اثرهم وجهدوا في التخلق ببعض اخلاقهم والتدين بدينهم الا ان السواد الاعظم منهم اتبع عقيدة اريوس ومشى على سننه فكان اهتداؤه اشدّ وبالاً على الكنيسة من بقائه وثنيًا ومما يُحكى عن كلوفيس ملك الافرنج او الفرنسويين انه كان اميرًا متكبرًا شجاعًا طمعًا بربريًا فأسس مملكة الافرنج ببلاد فرنسا وافتتح قسمًا عظيمًا من تلك الاقطار وتتطاول بطمعه الاستيلاء على البلاد باسرها وكان متزوجًا امرأة مسيحية اسمها كلوتيلد بنت ملك البورغنديين وهي امرأة تقية لم تكن تنقطع عن ارشاده والاجتهاد في هديه لدينها ودينها . ويها مظهرة منفعة اعتقادها للظفر والتغلب على الاعداء ولكنه اعارها اذنًا صماء ولم ينتصح بمشوراتها وحدث سنة ٤٩٦ انه كان منازلاً قبائل الالمان فتقهقر وكادت جنوده تتشتت في مجاهل تلك الارض فتذكر حسب رواية بعضهم كلام قرينته واستغاث بالمسيح الهها فنشط واستظهر على من اولئك يستظهر عليه فترك دينه الوثني واعتمد في اخر السنة بمدينة ريم وتعلم التعليم المسيحي على يد اسقفها رميجيوس وسار حسب سننه

ويُحكى انه حدثت حين اعتماده عجائب ومعجزات تُرى منها مجيء حمامة بيضاء كالثلج حاملة لمسحه زجاجة مملوءة زيتًا لا ينفد ولا ينقص عُرفت عند الفرنسويين بالزجاجة المقدسة وحُفظت الى سنة ١٧٩٣ في كنيسة ريم الكبرى لمسح ملوك فرنسا فكسرها ايام الثورة ريهل احد نواب الحكومة الثورية

وكان رؤساء جميع الامم البرابرة التي اغارت على الرومانيين وخلعت سلطتهم وثنيين او اريوسيين فحسب كلوفيس متقدمًا بين امراء اولئك الشعوب المسيحيين وكان ذلك سبب تلقيب من خلفه على العرش بالملك المسيحي وابن الكنيسة البكر وهذا اللقب توارثه ملوك تلك

البلاد الى حين تلاشي حكومتهم

و بزغت في هذه الايام انوارا لتعاليم المسيحية في ارلنده واقطار اخرى بهمة ونشاط بعض المرسلين الاتقياء الاولى اقتحموا الاخطار ولم يبالوا بحياتهم ليذيعوا انجيل من صُلب لاجلهم وسفك دمه فداء لهم

الحوادث الداخلية

ومنح مجمع القسطنطينية في القرن الماضي حقوقًا وامتيازًا لبطريرك تلك المدينة ورفعه الى رتبة الاولين بين الرؤساء فاتسعت سلطة خلفائه وجاز حكمهم على بلاد تراكة وآسيا الصغرى والبونتس والجهة الجنوبية من اقليم ايلريا وفي القانون ٢٨ من مجمع خلكيدون المعقود سنة ٤٥١ أُعتبر البطريرك المذكور مساويًا لاسقف رومية بالرتبة والحقوق جميعها لتساوي العاصمتين في المقام والابهة والرونق والجمال وكان البابا ليون الكبير جاهدًا في حرم رفيقه تلك الحقوق عاملاً على تخفيض سلطته وساعيًا في اشهار وتثبيت تقدمه فلم يجد اجتهاده شيئًا لمضادة الملك الشرقي له وعزمه على رفع شان قاعدة مملكته وتعظيم قدر اسقفها

وكان جميع المسيحيين يحترمون اورشليم ويعتبرون كنيستها رسولية وام الكنائس واولها فساعدوا جوفينال اسقفها على الاستقلال والارتقاء الى رتبة اول بين الرؤساء والتلقب كرفقائه بلقب بطريرك متسلط على كنائس فلسطين وفينيقية وبلاد العرب الا ان مجمع خلكيدون المشار اليه آنفًا لم يمنحه سوى اقليم فلسطين فأُرجعت بلاد فينيقية والعرب لبطريرك انطاكية

ولم تمت بذار الشقاق والتعاليم الفاسدة التي بذرها ونشرها في القرون الماضية جماعة المبتدعين الراغبين في تجديد وتغيير العقائد للحصول على السلطة والشهرة واهم اولئك المنفصلين طوائف الدوناتيين والاريوسيين فالاولون حاربهم القديس اغسطينوس بكتاباته البليغة ونصائحه الشهيرة ومواعظه الانيقة الفصيحة فقلّوا وذلّوا لاتمام صبب اوامر الملوك المشددة فتلاشوا او كادوا يتلاشون ولما فتحت قبائل الفاندال الاقطار الافريقية ظهروا من رماد خرابهم وحيوا بعد الممات والشقاء لكنهم كانوا قليلي العدد ضعيفي العزيمة لم يمكنهم استئناف اعمالهم السابقة ولم تعد لهم تلك القوة التي سادوا واشتهروا بها. اما الاريوسيون فاصابهم من القصاص ما اصاب غيرهم فغادروا الاوطان وفرّوا هاربين الى البرابرة المتنصرين كالغوثيين

والفاندال والبورغند بين ابناء كنيستهم وعاملوا الاخرين مضطهديهم معاملة اولئك لهم

وظهرت في هذا القرن بدعة نسطوريوس السوري بطريرك القسطنطينية وذلك ان كاهنًا صديقه اسمه انسطاسيوس خطب سنة ٤٢٨ وحرّم تسمية مريم العذراء بوالدة الاله وقال إنْ هي الاَّ ام المسيح فقط اي ام انسان لان الاله لا يخلق ولا يموت فاعجب كلامه نسطوريوس ودافع عنه في خطب عديدة فهاج عليه الكهنة والشعب ونلبوه وقرروا ان مريم العذراء هي ام الاله المتجسد ولما اشتهرت تلك التعاليم قبلها كثيرون لاسيما المصريين

واتفق كرلس بطريرك الاسكندرية مع سلستين اسقف رومية وعقدا مجمعًا في الاسكندرية وحرما نسطوريوس ولما بلغ ذلك نسطوريوس حرم هو ايضًا كرلس واتهمه باتباع شيعة ابوليناريوس المازج طبيعتي المسيح وجرد كلا الحبرين اقلامًا حدادًا لتثبيت عقائدهما واستمالة الشعوب اليها حتى اضطر ثيودوسيوس الصغير الى عقد مجمع سنة ٤٣١ في مدينة افسس وهو المجمع المسكوني الثالث فلم يحضره نسطوريوس واجمع راي المجتمعين على حرمه وتشبيهه بيهوذا الاسخريوطي مسلّم معلمه وقرروا ان المسيح اقنوم الهي له طبيعتان متحدتان لا ممتزجتان

ويتضح مما تقدم ان بدعة نسطوريوس كانت اعتقاده بانفصال طبيعتي المسيح وان الطبيعة الالهية قد زيدت على الطبيعة البشرية بعد ولادته لمساعدته مدى الحياة وانكر بعض المؤرخين ذلك وقال ان نسطوريوس رضي بتسمية العذراء بام الاله اذا كانت هذه العبارة تفيد ان الولد الذي ولدته اتحد مع الطبيعة الالهية

واشتهرت تعاليم نسطوريوس في جميع الاقطار المشرقية واتبعها برصوم اسقف نصيبين وجهد في اذاعتها وتكثير عدد المؤمنين بها فقدر بهمته التي لا تعرف الملل ان يحقق امانيه وان يستميل مسيحيي كردستان وبلاد فارس واشور والاقاليم المجاورة لها وبنى في نصيبين مدرسة خرج منها معلمون في هذا القرن وفي القرن التالي وانتشروا في مصر وسوريا والعراق وشبه جزيرة العرب وبلاد التتر والصين

واختلف النسطوريون انفسهم في حقيقة اعتقادهم فذهب علماؤهم مذاهب شتى وكادوا بانقسامهم يضعفون ويسقطون لولم يعقد رؤساؤهم عدة مجامع في مدينة سلوقية ويقرروا عقيدتهم فما معناه «ان في فادي العالم اقنومين احدهما الهي وهو الكلمة السرمدي والاخر بشري هو شخص يسوع وان هذين الاقنومين مجتمعان في هيئة واحدة وان اتحاد ابن الله وابن البشر حصل في اوان الحبل ولا سبيل الى انفصالهما وليس هذا الاتحاد اتحاد طبيعة او شخص بل هو

اتحاد ارادة ومحبة وان المسيح مميز عن الله المستقر به كما يستقر في هيكله وان مريم العذراء تدعى والدة المسيح لا والدة الاله

وقام سنة ٤٤٨ رجل آخر اسمه افتيشس رئيس دير في القسطنطينية واراد مضادة نسطوريوس وشيعته فتطرف في مبادئه وحدا به حتى قال كما يعتقد القبط ان للمسيح طبيعة واحدة هي كلمة الله المتجسد ولعله اراد انكار طبيعة المسيح البشرية فحرمه فلافيوس البطريرك القسطنطيني بالمجمع الذي عقده في تلك السنة وعزله عن منصبه فرفض الاذعان لهذا المجمع وطلب عقد مجمع عام فاجابه ثيودوسيوس طلبه وجمع سنة ٤٤٩ مجمعاً برئاسة ديوسكوروس بطريرك الاسكندرية خليفة كرلس وكان هذا الحبر مبغضاً لفلافيوس فاسعف افتيشس وبرره فلم يرض فعله هذا جماعة اليوتات بل انكروا صلاحية المجمع وسموه جمعية لصوص والتجأ تابعو مجمع افسس الى البابا فطلب لاون الكبير الى الملك مركيان عقد مجمع للنظر في هذه المسألة فلبى مركيان دعوة اسقف الغرب وعقد سنة ٤٥١ في مدينة خلكيدون المجمع المسكوني الرابع الذي حرم ديوسكوروس وعزله ونفاه وابطل قرار المجمع السابق وثبت ما قاله البابا ليون في رسالته الى البطريرك القسطنطيني وهذا مآده ان في المسيح طبيعتين متمايزتين ومتحدتين في شخص واحد بلا تغيير او امتزاج او اختلاط

واقتبل المصريون والارمنيون وبعض السوريين تعاليم افتيشس وحدث من جراء ذلك نزاع بين الكاثوليكيين والافتيشيين عند عزل بطريرك الاسكندرية

وانقسم هؤلاء المبتدعون الى شيع عديدة لا فرق بينها الا في الالفاظ ولكن البردعي الشهير سعى في اجماع كلمتهم ونفي الشقاق وتوثيق عرى الاتحاد فنجح بما يبغي وجمع الجميع ضمن دائرة واحدة

وجل اعتقاد افتيشس ان طبيعة المسيح الالهية قد استغرقت البشرية فاصبح بطبيعة واحدة هي الالهية وجاء بعده برصوم (غير برصوم اسقف نصيبين) ونلو وحنايس ولطفوا تلك القاعدة وقالوا «ان طبيعتي المسيح الالهية والبشرية متحدتان اتحاداً عظيماً حتى انهما صارتا طبيعة واحدة بلا تغيير واختلاط او امتزاج ولكي يفهم الناس هذا الامر جيداً لخصوا تلك العبارة وقالوا « في المسيح طبيعة واحدة ولكن هذه الطبيعة مزدوجة ومركبة »

وكان راهبان شهيران تقيان احدهما بريطاني اسمه بلاجيوس والاخر ارلندي اسمه سلستيوس ساكنين في رومية فظنا ان الاعتقاد بالخطيئة الجدية ولزوم النعمة لانارة العقل وتطهير القلب مضر بالتقوى ومحل الفضيلة ومعرض العالمين الى اليأس والضلال وان هذا

التعليم فاسد فخطيئة الجدين مختصة بهما ونتيجتها راجعة اليهما لا تتصل بذريتهما بل يولد الانسان طاهرًا نقيًا كما كان ادم قبل سقوطهِ ولانهُ قادر على التوبة والتوصل الى اسمى درجات التقوى والفضيلة باجتهاده الذاتي وقواه الخاصة وان النعمة الخارجية لازمة لتحريك رغبتهِ اما مساعدة روح القدس الداخلية فلا احتياج له اليها وخرج هذان الراهبان من رومية وسعيا في اذاعة افكارهما وتعاليمهما واوشكا ينجحان ويستميلان الشعوب اليها لولا انتباه القديس اغسطينوس ومحاربتهِ لهما بكتبهِ وخطبهِ واقناعه البابا زوسيمس بخطاياهما وتحريضهِ اياه على وشقهما يسهام الفصل ففصلهما وطردهما وحرما في مجمع افسس الذي اشهر كفر نسطوريوس

وحدث عقيب هذا النزاع شقاق اخر بشأن النعمة فذهب بعضهم الى ان هلاك الانسان وسقوطهُ وخلاصهُ وبره امور كلها مقدرة منذ الازل وقال البعض الاخر ان النعمة الداخلية ليست ضرورية لتولد في النفس اعمال التوبة الابتدائية فالانسان قادر على ذلك بقواه الطبيعية كما يقدر على الايمان بالمسيح ولكنهُ لا يستطيع الثبات والتقدم في هذا السبيل الا بمساعدة دائمة ومعونة النعمة الالهية ودام الخصام بين العلماء في هذا الموضوع مدة قرون عديدة وولد شيعًا اخرى سببت تعبًا عظيمًا للكنيسة الغربية ايامًا طويلة

وختام الكلام عن تاريخ الكنيسة في القرن الخامس نبيه جماعة المطالعين الكرام انني اجتنبت في هذا البحث كلهِ ذكر ما يخدش اذهان الطوائف المسيحية السورية حرصًا على مرضاتهم وانجازًا لوعدي في صدر الكتاب وفي ابتداء القسم الثاني من الفصل السادس اخر فصول الباب الاول .

الفصل الرابع

في ملك يوستين الاول من سنة ٥١٧ الى سنة ٥٢٧
ويوستنيان الثاني من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥

ان الملك يوستنيان المعادل اعظم ملوك الرومانيين في العظمة والفطنة والحكمة والتدبير كان فلاحًا متوحشًا بلغاريًا ولد سنة ٤٨٣ في قرية بالقرب من مدينة سرديكا او صوفيا وعاش منذ نعومة اظفاره مع عمهِ يوستين القادر الماهر فشب جبارًا قويًا غنيًا

ويلوح ان الزمان جار على يوستين او انهُ مل الحياة والفقر في بلاد خربة فغادر وطنهُ

ومهنته ومحراثه وسار ماشياً مع فلاحين آخرين وقصدوا القسطنطينية عاصمة الشرق متزودين
بقوتهم وشجاعتهم ولما القوا العصا طلبوا الانخراط في سلك الجنود فقبلوا بسرور واكرام نظرًا
لاقتدارهم وعلو قاماتهم وكبر جثتهم وأُدخلوا في فرقة حرس الملك ليون

واظهر يوستين في الحروب التي باشرها والاعمال التي عملها شجاعة سامية احلته بين ارفاقه
محلاً عاليًا فارتقى الى رتب شريفة متينة وجمع ثروة عظيمة وما زال سائرًا في سبل النجاح
والفلاح حتى استلم قيادة الحرس الملوكي واصبح شهيرًا بين البيوت السامية ولما مات الملك
انسطاسيوس سنة ٥١٨ سعى خصيّه امانتيوس في عزل نسيبه القدي ولاء المتوفى وجعله خليفة
له واعطى رئيس الحرس كميات وافرة من الدراهم ليبذلها لاستمالة قومه ونصيب احد اللائذين
بالخصي الخاضعين له المتصانعين لديه فاخذ يوستين الدراهم واتخذها ذريعة لاستمالة الاحزاب
وارتقى سرير الملك آمنًا وهو شيخ عمره ثمان وستون سنة فسرّ به الجنود والكهنة والشعب
لانهم رأوا منه قائدًا شجاعًا لطيفًا ورجلاً تقيًا متعبدًا مستقيمًا

وكان يوستين جاهلاً جميع انواع العلوم شيخًا غير قادر وحده على سياسة المملكة فعلم ضعفه
واتخذ بادئ بدء مساعدًا الخازن بروكلس وبعده اتخذ ابن اخيه يوستنيان الذكي النشيط الطبع
الذي رباه وهذّبه في مدارس القسطنطينية وجعله وارثًا لثروته وسرير ملكه فصدّق المجلس
العالي على انتخابه ونصبه ملكًا قبل موت عمه باربعة اشهر لوهن قوى ذلك الشيخ وخرفه اما
تيودوره الملكة امرأة يوستنيان فكانت ابنة اكاسيوس القبرصي حارس الادباب في الملعب فلما
مات ابوها باتت مع اختيها كوميتو واسطاسيا في حالة فقر يرثى لها وجميعهن كن صغيرات
في السن لا يتجاوز عمر الكبرى سبع سنوات

وكانت تيودوره جميلة حسناء فقيرة فلم تجد سبيلاً للكسب الا الانخراط في سلك
الممثلات فاعجبت الناس بمهارتها واتخذت خلانًا وبدأت تعيش براحة وهناء قيل انها
كانت في بلاد بافلاغونيا فحلمت انها ستصير امرأة ملك قوي فعادت الى القسطنطينية مسرعة
وتابت واتخذت لها بيتًا عاشت فيه بالبر والطهارة والتقوى تشتغل الليل والنهار اشغالاً يدوية
لتعيش وتساعد المساكين فعلم بها يوستنيان ونظرها فتيمه هواها وشغفه جمالها الباهر واعجبه
نشاطها وعقلها فاقترن بها على رغم مضادة امه واقتساتيه والشريعة التي تحظر على الشريف
التزوج بعبدة او ممثلة او غريبة واغرى عمه يوستين على اصدار امر يخالف القانون ويفتح
سبيلاً للتوبة امام الموى ويأذن لهن بالارتقاء الى اعلى درجات المجد والشرف ولما تولى يوستنيان
العرش شاركته امرأته بالملك واجلسها على عرشه ووضع التاج القيصري على هامته وهامة تيودوره

الممثلة بنت اكاسيوس حارس الادباب

ولم تنجُ هذه الملكة بشؤونها من هجو العالمين ورشقتها السنة المبغضين والحاسدين بسهام الاحتقار والتنديد وجهدوا في تذكيرها حالتها الاولى ونكايتها بكل اوان فهجرت لذلك مدينة القسطنطينية وعاشت بقصورها وجنانها الواقعة على شاطئ البوسفور واعتزلت الناس واتقت منهم ما استطاعت وكان زوجها في ابتداء ملكه مريضاً فبذلت جهدها في جمع الاموال ليمكنها ان تعيش بها بعده عزيزة مكرمة

والحق يقال ان ثيودوره كانت امرأة ذكية واصلة اتت اعمالاً عظيمة مبرورة ومشكورة وساعدت زوجها في السياسة اشد المساعدة واسعفته بآرائها وحكمتها ولكن الشعب اليوناني لمخالفتها لاتباعها مذهب لاتيبس ومصادقتها بعض الاساقفة وفي ١١ حزيران سنة ٥٤٨ ماتت بعلة رديئة كست جسمها قروحاً فتكون مدة ملكها اثنين وعشرين عاماً

وكان سباق الخيل معتبراً في الايام القديمة العاباً مقدسة وفروضاً واجبة على البشر للآلهة فانقسم المسابقون الى اربعة احزاب حسب لون ثيابهم البيضاء والحمراء والخضراء الصافية والزرقاء واعتقدوا ان تلك الالوان رموز الى السنة وفصولها فالالبسة البيضاء تشير الى ثلوج الشتاء والحمراء الى الصيف لاحمرار الكلب كوكبه والزرقاء الى الخريف لزرقة المياه الواقع عليها ظل الاشجار والخضراء الى الربيع وخضرة النبات وكان لكل حزب اناس لائذون بهم ومصادقون ومحبون ومبغضون يستغرقون الاوقات في النزاع والخصام وكانت الشرفاء والعظماء تشارك الرعاع في تلك المحنة ولا يبالي بتحازب بعضهم احد الاحزاب ويسعى في سقوط الآخر

وحدث في ايام انسطاسيوس ان روح النزاع المدنية دبت في صدور اولئك الاقوام الاغبياء وزادت انقسامهم وبغضهم لبعضهم واشتد فاحتمى الخضر بحجارة وخناجر في قراطل الاثمار وبارزوا خصومهم الزرق وقتلوا منهم ثلاثة آلاف وسرى سم تلك الدسيسة من العاصمة الى الاقاليم وملأت البلاد بالفتن والارتباك والاضطراب والفتن ولبث الشعب بدار الشقاق والفساد وغادرت الجميع يئنون ويشكون الظلم والغموم والبلايا والهموم لان اولئك الجماهير المتوحشين داسوا القوانين وخرقوا الانسانية واصبحت حكومة المملكة

المتينة تأتي

باب الفكاهات

رواية الكونت دي كرولانج

معربة بقلم حضرة الاديب سامي افندي بصيري

(تابع ما قبله)

قال سمعت صوتاً في باب الحديقة

فاصغى الاثنان واذ سمعا بخطى وقع اقدام فقال سوسنين هذا هو

وبعد هنيهة سمعت الاقدام المذكورة على السلم ثم فتح باب الغرفة فجأة وظهر دي كرول

واستقبله الاثنان باصوات الدهشة وبعثت اليه اعينهما بمعنى الاستفهام

قال دي كرول بصوت وحشي اذ لم يلتفت الى كل شيء هل وجدتما ما اشربه اني ظمآن

فسال سوسنين وماذا تريد هل خمراً او عرقاً او اسفنتاً

قال اعطني اولاً يا صاحبي زجاجة ملآنة وبعدها العرق والافسنت

قال جوري مجيباً هل مرادك ان تسكر

فارسل دي كرول عينيه وكانت قد لمعت فيهما شرارة غريبة من الغضب الى ما حوله

وقال نعم اريد ان اشرب اريد ان اشرب

فبادر سوسنين الى وضع قنينة وفتحها على الفور واقبل يشرب دي كرول ثلاثة اقداح متتابعة ثم

تنفس الصعداء وسقط يعبث على المقعد

قال جوري اظن انه سكر

اجاب دي كرول ان رطلاً مملوءاً بالنبيذ لا يكفي لسكري

قال باسكو اذا كنت لا تزال ظمآناً اشرب وحدك انما الذي فعلته حيث يهمنا معرفة

ذلك عاجلاً

قال دي كرول فعلت ما عهد الي فعله

فسال باسكو مضطرباً وهل نجح عملك

قال نعم

فصاح باسكو وعدت سالمًا . . احسنت احسنت . . كل شيء موفق والحمد لله وقد ربحنا تقريبًا نصف المشروع عجل ياصديقي دي كرول وقص علينا ما حدث حيث لا يخفاك اهمية ذلك بالنظر الينا

قال دي كرول ان جميع الافادات التي مددتني بها ياجوري كانت صادقة وبمنتهى الدقة والاصابة فكيف امكنك الاطلاع ياترى على كل هذه الحقائق

قال لا يهما ذلك

قال دي كرول من المرجح لديَّ انك خرجت باحثًا متفحصًا الى تلك النواحي حتى قدرت على جمع هذه الافادات الصادقة

اجاب لربما

قال ولولا ذلك لما علمت ان المركيز لا يمكن ان يمر بقرب بيت الحارس بدون ان يقف اعلم ياصديقي ان العمل تم كما تنبأت عنهُ

فسال امس او اليوم

قال في هذا الصباح حيث امس واول امس لم يكن ممكنًا النجاح وعند الطلق كنت لا ابعد عنهُ اكثر من خمس وعشرين او ثلاثين خطوة فصوبت عليهِ البندقية وقدحت النار فخرج الرصاص وسقط المركيز

قال قتيلاً في الحال

قال ان رأسهُ كان الغرض الذي صوبت اليهِ فم بندقيتي

فسال باسكو وهل سمع صوت الطلق

قال لا اعلم ولكن سائر الصيادين كانوا بعيدين عن ذلك المكان والكلاب كانت تنبح في الحرش باصوات جهنمية ولا يخفاك اني لم ابقَ للتفرج على ما يحدث بل ادرت ركضًا بين الاشجار

فسأل الم يتبعك احد

قال لا اظن

قال اذن ما نظرت من احد

قال هذا اعتقادي وانا بالطبع لم القِ نفسي كحيوان الى التهلكة بل بالعكس علمت من نباح الكلاب جهة وجود الصيد وابتعدت من الجهة المعارضة وقد رافقني الحظ فلم اصادف احدًا على الطريق وصدف انني مررت بقرب مستنقع تستقي منهُ المواعز والغزلان وكان مرادي

التخلص من شدفيتي حيث لم يعد لي فائدة بها ولربما اتضرر بوجودها معي فالقيتها في ذلك المستنقع وفعلت مثل ذلك بدرعتي بعد ان وضعت ضمنها حجرًا ثقيلاً

وبعد نحو من ربع ساعة وصلت الى منتهى الحرش فوقفت برهة للراحة والتنفس وكان بعض الفلاحين يشتغلون في الحقول فترددت برهة في الخروج من الحرش ولكن شعرت اخيرًا بضرورة الابتعاد عن تلك الناحية باسرع ما يكون فانطلقت بسمالة بين الاراضي المحروثة وبعد هنيهة وصلت الى طريق ضيقة بين سياجين ولدى مكاشفة الشمس اهتديت الى الجهة التي يلزمني المسير منها ثم واصلت الجد بسرعة وما زلت الى ان وصلت الى محطة باتولي الحقيرة في الوقت المعين لركوب قطار الظهر وكنت مرتاحًا على نوع ما ولكن افكاري غير مطمئنة ومن الامور التي لا توصف مقدار الخوف الذي كنت اشعر به كلما لاح لنظري على احدى المحطات قبعة رجل من رجال الشرطة وكنت قد قطعت ورقتي الى بوندي حتى لا اهمل شيئًا من مقتضيات الحكمة والحرص ونزلت في تلك المحطة بلا قلق واكملت طريقي ماشيًا الا اني وقفت في ناحيتين لان طعامي كان رديئًا في الايام الثلاثة الاخيرة وقد شعرت بلزوم الاغتذاء فدخلت عند احد الصاخير [illegible] غير دسم وهذا مجمل قصتي

قال جوري كل شيء [illegible] الناس [illegible] لا يعتقدون بالشياطين ولكن لا ريب عندي ان شيطانا ساهر علينا لحمايته عالمنا

قال دي كرول والان يا سوستين [illegible] لي [illegible] ثم [illegible] الوحشة وقال لقد اتممت عملاً هائلاً وانا في حاجة للتلهي

فسال سوستين هل تريد ايضًا قدح خمر

فصاح لا لا [illegible] اريد خمرًا لان لون الخمر قريب من لون [illegible] والذي طلبته منك اسفنت يا سوستين هل فهمت

قال سوستين لديك [illegible] الذي سكبته في قدحك

فسال دي كرول هذا اسمت

قال سوستين لا اراه

فوضع دي كرول يديه مرارًا عديدة على عينيه ثم [illegible] الى ما حوله نوع من الخوف وصاح ماذا الم يعني ان كل ما اراه احمر [illegible] احمر

فرفع البورتغالي اكتافه وقال عندما [illegible] [illegible] الى [illegible] حوله

فلا نعود ترى خلاف الاصر

الفصل التاسع

قتال

فلنترك الان الاشقياء الثلاثة على هذا الحال ولنعد الى كولانج فان الصيد كان قد ابتدأ منذ خمسة عشر يوماً وكانت الاعياد والولائم تتابع في القصر حينما يوجد جمهور من الاصحاب وقد اصاب الصيادون صيداً كثيراً فجعلت تلهج الالسن بتذكر نجاحهم وكان الكونت دي كولانج الشاب من الذين امتازوا بالمهارة والبسالة في ذلك وفي كل يوم كانت ترسل الى باريس قفاف مملوءة بالصيد الى اقارب الصيادين

ثم ارسل الكونت دي سيسترن الى كولانج يخبر المركيز بقرب قدومه ففارقت جبريلة بنزيد الاسف عائلة كولانج وسافرت الى قصر شيستيل وفي صباح اليوم الذي نظرنا فيه ارماند دي كرول عائداً الى باريس بعدما اجرى بحسب قوله عملاً هائلاً كانت مكسيمليان دي كولانج واميلين دي فالكور تتنزهان سوية في احد ممرات الجنينة المظللة بالاشجار الكثيفة اما المركيز وابنه واصدقاؤهم فكانوا قد نهضوا قبل شروق الفجر حيث كانوا متهيئين في ذلك اليوم لصيد عظيم في الحرش

وكان الفتاتان يسيران ببطء على الرمل الناعم فميلين متكئة على ذراع مكسيمليان وهي مستغرقة بالافكار تسمع بلا وعي لصديقتها التي تحاول استجلاب سرورها بالاقوال الكثيرة المتنوعة

وكانت اميلين تقل عمراً عن مكسيمليان بنحو سنتين تقريباً ولكنها بقامة كقامتها مستجمعة لكمال الظرف واللطف مثلها وكانتا تتشابهان بشعورهما وبان شعورهما المدبغة باسلوب واحد حتى يظن من يراهما انهما توأمان ربما توهم الناظر ان اميلين دي فالكور تكبر رفيقتها بنحو سنتين ايضاً نظراً الى هيأتها الجدية حقيقة الفكرة وكان من الصعب مع اختلاف تكاوينهما ونوع جمالها ان يعرف اينهما الاظرف فكلتاهما دالتان على ما يعجب ويسر ويسكر

وكان لاميلين كرفيقتها في حركاتها وقامتها ومجموع شخصها تمام الظرف والاحتياز الاسمى فان عينيها الزرقاوين الواسعتين المظللتين باهداب طويلة لهما جلاء لا توصف من البهاء وكان في وسط خديها المتوردين قليلاً بلون الورد تحصنان صغيرتان بديعتان

هما حشان حقيقيان للفلات ولها جبهة جميلة واذنان بهيأة دقيقة وفم صغير وشفتان قرمزيتان واستان فاخرة والابدع من كل ذلك انحدار كتفيها وامتلاء ساعديها ونعومة ايديها البيضاء وظرافة عنقها وحلقومها الآخذ بالنمو والامتلاء ولحظت مكسيمليان انه مضت مدة وهي تتكلم وحدها بلا جواب من رفيقتها فتوقفت فجأة عن الحديث ثم نظرت الى وجه اميلين وسألت ما بالك ولم لا تجاوبين

قالت لا شيء

فصاحت بلى. بلى انت حزينة ولا تستطيعين الاخفاء عني وقد لحظت ذلك

فسألت حزينة وما الداعي لحزني يا ترى

قالت لا اعلم فلربما تكونين متضجرة من الاقامة في كولانج

قالت انت تعلمين استحالة ذلك وتعلمين ايضاً انه يسرني كثيراً دوام اللقاء بجانبك

قالت مكسيمليان لا انكر ان هذا الفكر الذي فكرته غريب ولا سيما بعد فرحك كثيراً بالمجيء ولكن ما الذي كدرك يا ترى لان احوالك تغيرت تماماً منذ عدة ايام هل لك ما تشكينه من احد وهل يمكن ان اكون انا الجانية ولا اعلم صاحت اذا كان ذلك يا صديقتي اسألك الصفح

قالت اه يا حبيبتي مكسيمليان هل يمكن ان تفكري مثل ذلك انت التي لا تكف عن اظهار المودة والحب الدائم لي

قالت لديك شيء يا اميلين تريدين اخفاءه عني دعيني اشغلك وافهمك وعده قولي لي لماذا استغرقتك الافكار ولم تعودي تضحكين كالسابق ثم نعلن الستان نتشوق مريد وعاودت مكسيمليان الحديث فقالت ليس لي صديقة حقيقية الا انت ولو كنت شقيقتي لما امكن ان احبك اكثر من هذا الحب فاذا اشعر منك الاوجاع في تصيبك هل فهمت الان مقدار قلقي لتشاغل افكارك وزوال مسرتك اخبريني بحقك العلك تشتكين شيئاً من اخي

اجابت اميلين بحرارة لا لا لا تفكري هذا الفكر

قالت لو كان ذلك لما امكني الامساك عن اظهار العجب لانني قبل مجيئك بيوم امتنة شديداً

فسالت ابنت اخاك

قالت يسببك

فسالت بسببي

قالت نعم أبتة ولمة لانه يتخذ في اغلب الاحيان هياة عابسة غير ودادية ولا سيما معك

قالت اميلين هذا خطاء منك يا مكسيمليان وكان الاولى ان لا تخاطبيه بهذا الحديث

قالت لا بل بالعكس كنت محقة بهذا اللوم والدليل على ذلك ان كلماتي احدثت التأثيرات المأمولة الم تلاحظي كيف تغير ولم يعد كالاول ففي باريس كان لا ينظر اليك ويخاطبك الا نادرًا اما الان فبالعكس صار انيسًا بشوشًا كثير الاهتمام بك وعندما لا يجدك يبحث عنك ويعاملك بمزيد الملاطفة والعناية

قالت اميلين يفعل هذا يا حبيبتي لانني صديقتك ان اوجين كان يعاملني دائمًا بهذه الملاطفة

فسالت هلا ترين اذن شيئًا من التغيير في اساليبه

قالت ان الموسيو اوجين كان يعاملني دائمًا كما يعاملني الان

فاظهرت مكسيمليان الدهشة ولزمت السكوت برهة ثم عاودت الحديث وقالت هاك ملاحظة اخرى انتبهت اليها انك انت الان لم تعودي كالسابق

فسالت ما المعنى بهذا القول

قالت المعنى بهذا انه يوجد قبلك بعض اشياء لا استطيع ادراكها

قالت ما فهمت شيئًا

قالت انك تعاملين اخي ببرودة شبيهة بالاحتقار

فصاحت الفتاة لم يحصل ذلك وانت مخطئة بهذا الوهم

فهزت مكسيمليان رأسها وقالت لا لا لست مخطئة بل بصيرة نقادة والذي اراه انك تتجنبين اخي وتهربين منه بما في الامكان وعندما يخاطبك بشيء تتظاهرين كانك لا تسمعينه وكثيرًا ما حاول تقديم ذراعه اليك اثناء التنزه فكنت تأدرين لاخذ ذراع الموسيو دي ميابري او غيره من الحضور فرارًا منه وامس مساء في قاعة الصيف جلس على كرسي قربك بلا امهلته الى ان يخاطبك بل نهضت فجأة وجئت للجلوس بجانبي بحجة السوال مني عن اسم زهرة تعرفينها اكثر مني فبقي اوجين مبهوتًا وعيناه شاخصتان اليك بحزن ومن ذلك الحين لم يعد يجسر على الاقتراب منك واوكد لك انك سببت له كثيرًا من الاحزان في عدة ظروف

وكانت اميلين تسمع هذا الحديث ورأسها منحن على صدرها فسالتها مكسيمليان لماذا تعاملين اخي هذه المعاملة

فتمتمت اميلين دي فا لكور ولكن .. ولكن - . لا اعلم . .

وقد لفظت هذه الكلمات المتقطعة باسلوب مضحك فلم يسع مكسيمليان الامساك عن الضحك عند استماعها ثم سألتها هل تريدين ان ابسط لك فكري بهذا الخصوص اظن انك تتنعمين منهُ انتقامًا صغيرًا

فصاحت . مكسيمليان

قالت وتريدين ان تكبحي بتصوره السابق وانهُ لم يعاملك تمامًا بما يجب من الملاطفة والوداد الم احزر يا ترى

فظهر على اميلين مظاهر الاضطراب وقالت لا اعلم اجيبك بحقك لا تعودي الى سوالي في هذا الموضوع لان هذا الحديث يؤلمني كثيرًا واقتني لا تطلبين

فتبسمت السيدة دي كولانج تبسمًا لا يدرك وقالت بصوتها الوداي اذا كنت قد سببت لك يا عزيزتي اميلين بعض الالم والكدر عن غير قصد فجل الامل ان يقدر في الله على تعزيتك هلمي نتكلم عن شيء آخر

فصاحت اميلين بحرارة وهي تحاول الفرار نعم نعم فلنتكلم عن شيء آخر

قالت مكسيمليان اعلمي يا حبيبتي اني حلمت حلمًا مسرًا

فتبسمت اميلين لهذه الكلمات

قالت حلمت انك صرت شقيقتي

فسألت صحيح

قالت نعم لانك تزوجت اخي

فتلون خدا السيدة دي فا لكور بلون الحمرة الفجائية واستنبعت مكسيمليان حديثها قائلة لا حاجة للتكلم عن مقدار سروري وسعادتي بهذا الحلم والفرح العام الذي يشملنا جميعًا بسببهِ انني نظرت هذه الرؤيا في نومي منذ مدة ومن ذلك الحين كلما فكرت بها اقول في نفسي لا بد ان تتحقق

فلم تجاوب اميلين على هذا الحديث ولكن ارسلت تنهدًا محزنًا فسألتها مكسيمليان الا تقولين شيئًا

قالت وماذا تريدين ان اقول بخصوص حلم

فسألت هلا ترين امكان اسخالته الى حقيقة

اجابت متى اراد اوجين الزواج يجد بسهولة فتاة ذات اسم عظيم تمتاز عليَّ كثيرًا

بالغنى والجمال

قالت مكسيمليان ما هذا الاتضاع المزيد وماية عين نظرين الى نفسك يا عزيزتي اميلين فانت اجمل لديّ من جميع البنات وانا اعرف كثيرات من المتفردات بالظرف والافتخار غيورات من جمالك بجسدك على ظرفك وامتيازك وعينيك الكبيرتين الزرقاوين الجميلتين واسنانك المسكرة وشعرك البديع اما من جهة المال فانك تظلمين اخي اذا ظننت ان للزواج عنده علاقة بالدراهم انما حاصلون والحمد لله على ثروة عظيمة تخوله الحق ان لا يستشير خلاف قلبه في انتقاء شريكة حياته وانا اعرف افكاره ونياته في هذا الموضوع واعرف ان اوجين سيتزوج الفتاة التي يحبها والتي تحبه بصفات قلبها وان كانت فقيرة

قالت اميلين بصوت خائر صحيح ولكن هذه الفتاة هي غير اميلين دي فالكور

فسألت مكسيمليان ولماذا

ولما لم تجد اميلين ما تجاوب به على هذا السؤال ضمتها مكسيمليان اليها باحد ذراعيها وقالت لديّ امر لا تعلمينه اريد قوله لك ان امك وامي وحضرة الامبرال وابي يرغبون اقترانك من اخي

فارتعشت اميلين اما مكسيمليان فداومت حديثها قائلة انه منذ ثلاث عشرة او خمس عشرة سنة لما كنت صغيرة جدًا عند خالك وابي وهما يتكلمان عن مقاصدهما الاستقبالية خطبتكما

فتزايد اضطراب السيدة دي فالكور وسألتها مكسيمليان قائلة ما هو رأيك بذلك

قالت كل هذا لا يكفيني

قالت صدقت يلزمنا اشياء اخرى ايضًا ولكنها موجودة يا اميلين الآ ترين اهتمامي منذ هنيهة بالحصول على ثقتك حتى تصرحي لي بشيء من اسرار فؤادك فانت مضطربة يا عزيزتي وعيناك مطرقتان الى الارض وباطلاً تحاولين اخفاء اضطرابك فما الداعي يا ترى لكل هذا الاضطراب اني اسالك عن ذلك لانه معلوم مني وقد سهل عليّ كثيرًا الاكتشاف على سرك اني اطالع في افكارك وارى في قلبك يا حبيبتي اميلين وانا غائبة عن الوجود بسكرة الافراح لانني متأكدة الان انك تحبين اخي

فصاحت اميلين بنوع من الخوف اصمت ثم ملئت عيناها بالدموع فضمتها مكسيمليان بشدة الى صدرها وقالت اليس من المؤكد انك تحبينه

فتنهدت اميلين تنهدًا طويلاً عميقًا واسندت رأسها على كتف صديقتها فهمست السيدة

دي كولانج ياعزيزتي اميلين وبقي الاثنتان برهة ملازمتين الصمت بلا حراك

ثم قوَّمت اميلين راسها بتمهل ونظرت الى مكسيمليان بملامح لا تدرك وقالت لقد نصبت لي شركًا وخانتني ظواهري فاكتشفت على سري وكنت اظنني قادرة على اخفائهِ فنعم فنعم يا صديقتي احب اوجين ولكن من اين لي ان احب لا اعلم ولا ريب ان السبب في ذلك كونهُ اخاك . . . اه يا مكسيمليان ما اشد تفحصي وخجلي بقلك لا تقولي شيئًا واياكي ان لا يعلم اوجين ابدًا . .

فسألت ماذا هلا تريدين ان يعلم اخي انك تحبينه

فصاحت عدتني يا مكسيمليان

قالت ان لا اقول شيئًا لاخي

اجابت نعم

فتبسمت السيدة دي كولانج تبسمًا معتمدًا وقالت ان اوجين عندي احدثك عنه الان وحتى سألتني في هذا المساء اوعدني كان من اللازم ان اجيبهُ وانت لا ترضين ابدًا ان اخفي الحقيقة واتكلم بالكذب ان اوجين لا يخبر منك كل هذا الدرس بل بالعكس فالمعني على اسرار فؤاده ولم يطلب مني ان اخفي عنك الشيء

فاضطربت اميلين بغتة وصاحت ماذا تقولين

قالت اقول ان صديقتي اميلين دي فالكور ستصير قريبًا شقيقتي

فسألت هل صحيح ذلك .. هل صحيح ذلك

قالت نعم ان اخي يحبك .. ستقترنين به قريبًا

فانتعش نظر اميلين لهذه الكلمات فمدت يديها على قلبها وصمتت هنيهة . .

هو يحبني

فسألتها مكسيمليان الم تلاحظي ذلك

اجابت لا

قالت يالله ما اقصر نظر العاشقين

اما اميلين فاسندت ذراعيها على عنق صديقتها وقالت ما اسعدني ما اسعدني

قالت مكسيمليان وانا ايضًا كثيرة السعادة ثم نعانقت الاثنتان واستمعت مكسيمليان حديثها قائلة كنت لا اعلم ان بعض الكلمات يصعب لفظها الى هذه الدرجة وان قرب سعادة اثنين تستلزم كل هذا العناء

الفصل العاشر

الاعتداء

وكان البنتان يتشاوران بالرجوع على اعقابهما بالاقتراب من النصر واذ سمع فجأة صوت حديث فوقفتا للاصغاء

قالت اميلين هذا صوت رجال

اجابت مكسيمليان نعم وهم عديدون

ثم انقطع الصوت وبعد هنيهة سمع وقع اقدام فاطلق البنتان نظرهما ولكن كثافة الاشجار حاولت دون المشاهدة وكان الرجال المذكورون يتقدمون الهوينا بالجهة الستين فسألت مكسيمليان من ياترى هولاء الرجال

اجابت اميلين من المحتمل ان يكونوا بعض الصيادين

قالت مكسيمليان ان الصيادين لا يرجعون من هذه الجهة وفضلاً عن ذلك فان الساعة الان لا تبلغ العاشرة وقد قالوا امس انهم لا يرجعون الا الظهر او بعد الظهر بساعة

اجابت اميلين صحيح

قالت مكسيمليان عما قريب نعلم من يكونون لان المسافة بيننا قريبة جدًّا وهم متجهون لناحيتنا . علينا بالانتظار

فسألت اميلين الا تخافين اذن

فاظهرت مكسيمليان العجب وقالت نخاف هنا في جنينة كولانج ممن ياترى

قالت الحق معك

وبعد هنيهة ظهر في الممر على نحو خمسين خطوة من البنتين مقدار خمسة او ستة رجال فارسلت مكسيمليان صوت الدهشة لانها عرفت بينهم اباها واخاها وركضت مذعورة لمقابلتهما فتبعتها اميلين

ولدى وصول مكسيمليان الى قرب الرجال المذكورين وكانوا يسيرون بتمهل مزيد ارسلت صوتًا حزينًا يفتت الاكباد لانها وجدت اباها مصفرًّا كالموتى وهو بثياب مغبرة ملوثة بالدماء وكان اوجين ورجل آخر من اصحابه يسندان المركيز ويساعدانه على المسير

وعند هذا المشهد اصفرت الفتاة بما يرعب القلوب ونقست الصعداء وخارت ارجلها تحت ثقل جسدها فسقطت بلا وعيٍ تقريباً بين ساعدي احد الصيادين الذي بادر

لاسنادها حتى يمنعها من السقوط الى الارض ولكن ما لبثت ان عادت الى نفسها لان ما اصابها كان ضعفًا ناشئًا عن شدة الخوف وحدة الهياج فصاحت يا ابي يا ابي ماذا اصابك

اجاب المركيز بصوت ضعيف لا تخافي يا ابنتي لم يصبني شيء

فصاحت لا تحاول الاخفاء انت مجروح

قال جرحًا طفيفًا لا يذكر

قال اوجين هل مقعد يا ابي هل تريد الجلوس للاستراحة

قال نعم اريد الجلوس برهة الى ان تعالت قواي قليلاً حتى اتمكن من مداومة السير الى القصر

فساعده اوجين على الجلوس ثم جثت مكسيميليان امامه على ركبتيها بوجه غارق بالدموع وجعلت تنظر اليه بحنو لا يوصف وكانت جميلة جدًا فلم يسع المركيز وقتئذ الا ان يعجب بها فقال في نفسه ما اعظم المشابهة بينها وبين امها ثم مال عليها وقبلها من جبينها

فسألت الفتاة اين جرحت يا والدي العزيز

اجاب في كتفي

فسألت برصاص

اجاب نعم

فصاحت يا للخوف كان من الممكن ان تقتل

قال صحيح

فسألت وكيف الم بك هذا الحادث الهائل

قال لا اقدر على المحاورة الآن وسوف تعلمين ذلك فيما بعد

قالت هل تتألم كثيرًا يا ابي

اجاب منذ هنيهة كنت اتألم كثيرًا الآن وجودك يخفف آلامي يا ابنتي حبيبة ان نظرك حاصل على نفس القوة التي لامك هيا اجلسي بجانبي لئلا تتعبي وامسحي عينيك من الدموع ولا تعودي الى البكاء لان جرحي طفيف كما قلت لك وانما اشعر بقليل من الضعف الآن لاني خسرت كثيرًا من الدماء

وكانت اميليا واقفة على مسافة بضع خطوات وهي تنظر باكية الى المركيز وابنته فاقترب منها اوجين بعد برهة من التردد وقال انت تبكين يا سيدة اميليا وتشاركيننا في احزاننا اشكر فضلك على هذه الاحساسات الشريفة

فرقعت عينا الكسيرتين الملآنتين بالدموع وتحول لونها الى الصفرة الشديدة وصاحت اه

يا الهي هل انت مجروح ايضاً

قال لا ياسيدتي لست مجروحا

فسألت ولكن من اين لك كل هذا الدماء على ثيابك . . .

قال من دماء ابي [illegible] علي

[illegible] الفتاة وارسلت [illegible] طويلا

قال الشاب هل يهمك امري

فاحدقت [illegible] فيه [illegible] لا توصف اما هو فقبض على يدها وبقي الاثنان [illegible]

حديث يعثران [illegible] [illegible] وحينئذ [illegible] عن شقيقتي

قالت نعم

فسألها هل قالت لك . . . [illegible] اتمام العبارة فاحمرت على [illegible]

قالت ان مكسيمليان حدثني بكل شيء

[illegible] الشاب [illegible] السؤال [illegible] .

قالت [illegible] ذلك لا يكون [illegible] مثل هذا اليوم

[illegible] لا [illegible] اليوم بخلاف الى

قالت [illegible]

[illegible]

قالت هل كنت معه عندما جرح

اجاب لا ياسيدتي كان وحده

فسالت [illegible] جرحه

[illegible] وحنى رأسه وقال [illegible] على هذا السؤال لان الى لم يجاوب بعد على

شيء [illegible] لا [illegible] شيئاً على الاطلاق فهو يحبني

كثيراً [illegible] الحقيقة طالما ولا يبدي كلمة

بخصوص [illegible] عندما كم كان فرحا عندما اتى في هذا الصباح

[illegible] وكم هي حزينة الآن

[illegible]

وفي [illegible] المركيز [illegible] قال اشعر اني حصلت على القوة الكافية للمسير الى

القصر [illegible] ويجدان

لقدومنا ويهيئان المركيزة واصحابها لاستقبالنا

فقصت مكسيمليان على دراع حد يقيها واسعد الاثنان بسرعة وكان المركيز قد نهض مسالة اوجيس كيف انت الان

قال المركيز وهو يحاول التبسم معانقًا في الامكان وقدر الخطر

ثم عادوا الى السير بتمهل حتى لا يرجعوا الجريح وكان المركيز قد شعر بتمالك قواه فاراد الرجوع ماشيًا على الاقدام حتى لا يعظم اضطراب المركيزة والماصنى وانه قادمًا على هذه الصورة لانه كان عالمًا قوة شعور منيلدا امراته وشدة تأثرها وان الم كدر كان لمس صحتها فكان ساهرًا دائمًا حتى لا يصيبها شيئًا من الاكدر

وكانت مكسيمليان لحسن الحظ قد سبقت امها بأحسن الاساليب والطفها فانها اخبرتها بجرح ابيها ثم سارعت الى تسكين [illegible] حتى تلطف اضطرابها ومع ذلك لم يسع المركيزة الا الخروج ركضًا من القصر لملاقاة زوجها وهي غارقة بالدموع وعاد المركيز متوكئًا عليها وعلى اوجين الى القصر حينما [illegible] حالًا الى غرفته وحمل الى فراشه

ثم وسعت ارقة [illegible] على الجرح فانقطع بذلك سيلان الدماء ولما [illegible] الطبيب

[illegible] هيئة حضر الطبيب المذكور دخل [illegible] المركيز وكان [illegible] يفحص الجرح بعض القلق

ولدى الفحص ظهرت للمركيز ضرب رصاصة وان الرصاصة لم تستقر بالجسم بل نفذت الى الداخل على عرض اثني عشر سنتيمتر [illegible] على لوح الكتف والخلاصة ان الجرح لم يكن خطيرًا

وكانت المركيزة تلاحظ بقلق جميع حركات الطبيب وتحاول معرفة افكاره من ملامح وجهه [illegible] ثم [illegible] الطبيب لافكار بعض كلمات واعد [illegible] الرباطات [illegible] مجرح [illegible] فصرح المركيز انه يشعر [illegible] الراحة وقال هل رأيتم كيف كنت [illegible] الميكم ان لا تخافوا وقالت ان جرحك [illegible]

قال [illegible] خواطركم من هذا القبيل [illegible] ايام يستطيع

الخروج ولكن ما دامت الحمى عليهِ يلزمهُ التمتع بالراحة التامة

ثم دلهم الطبيب على الوسائط اللازم استعمالها للجريح وذهب بعد ان وعد المركيزة بالرجوع مساء

وحدث تأثير عظيم في كولانج عندما ذاع ان المركيز حمل جريحًا الى القصر برصاصة اطلقت عليهِ في الحرش وكان لا يعلم كيف اطلقت هذه الرصاصة وليس من يقدر على ايضاح سر هذه المسألة الاَّ المركيز وحده وقد تقدم معنا انهُ رفض المجاوبة على الاسئلات التي وجهت اليهِ بهذا الخصوص

وكان من المستحيل على قول الحراس الذين يتبعون الصيادين ان تكون الرصاصة التي اصابت المركيز من احد ارفاقهِ لانهم كانوا جميعًا على مسافة بعيدة جدًّا من المكان الذي جرح فيهِ وهي لا يمكن ان تكون منهُ ايضًا لان بندقيتهُ وجدت محشوة فما الذي يسعنا استنتاجهُ يا ترى من هاتين الملاحظتين هل وجود من تعمد الاعتداء على حياتهِ ان هذا الافتراض ايضًا كان لا يقبل التصديق لان المركز دي كولانج كان محبوبًا جدًّا من الاهالي في تلك البلاد وليس لهُ فيها عدو على الاطلاق

وكان يرى كثير من الناس ولا سيما ملازم الجندرمة وجود معتدٍ على حياة المركيز وهذا الراي هو راي الحراس واصدقاء الموسيو دي كولانج ايضًا ولكنهم لم يتجاسروا على التكلم بشيء لما تبين لهم من اصرار المركيز على السكوت

ورأى ملازم الجندرمة ان من واجباتهِ الابتداء حالاً بالفحص فذهب مع انفاره وواحد حراس المركيز الى الحرش حيثما ثبت لهم من التحقيقات ان المركيز اصيب بالرصاص وسقط على نحو ثلاثمائة خطوة من منزل الحارس بيارلجنم وجدوا حشوة البندقية وعلموا ان الرصاصة اطلقت من شخص كان مختبئًا خلف سدياتة في وسط اعشاب مغصة واكتشفوا على مسافة من ذلك المحل في اجمة كثيفة على شيء آخر جديد حيث تبين لهم من مظاهر الاحوال ان رجلاً رقد في ذلك المكان ولا ريب انهُ بقي ثمة عدة ساعات وربما يكون قضى الليل بتمامهِ وعلى كل حال فانهُ تناول الطعام هنالك كما يستدل من فتات الخبز والبيض وقنينة الخمر الفارغة المطروحة على الارض

فلم يعد والحالة هذه من ارتياب ان شقيًا اراد قتل المركيز دي كولانج وان كل شيء يدل على تعمد الجناية وان الجاني انتظر فريستهُ وترصدها وان المركيز تخلص باعجوبة من الموت

ولدى السؤال من زوجة الحارس بيارلجي اجابت ان المركيز لا يمكن ان يمر من هذه الجهة

بدون ان يزورنا ويقبل ابني الصغير ويحادثني مرة في هذا المساء دخل كالعادة وجلس مقدار ربع ساعة ثم تركني قائلاً انى ذاهب للاجتماع بنية الصيادين وبعد خروجه بهنيهة سمعت صوت طلق بندقية فلم اعر انتباهي الى ذلك ولدى مرور عشرين دقيقة سمعت صوتاً يقول لجرح المركيز ولو كان لي علم بهذا المصاب الذي حدث لركضت على الفور لمساعدة سيدي المركيز ولم انتظر الصوت اما من جهة الجناية والجاني فلست اعلم شيئاً على الاطلاق لاني لم ار احداً بهيأة مستنكرة وحظاً هرسيئة في هذه الجهة من الحرش لا اليوم ولا امس

وكان من المقرر الثابت ان هذه الجناية لا بد لها من جان ولم يعد على الجندرمة والحالة هذه الا البحث والتفتيش لايجاد هذا المعتدي الخبيث

الفصل الحادي عشر

لص صيد

فوقعت شبهة الجندرمة على لص صيد هائل من قرية اللوش على بعد فرسخ من كولانج ورجح في الذهن انه هو مرتكب هذا الاعتداء وكان الفكر العام مجمعاً على الظن ان هذا اللص هو الشخص الوحيد الذي يقدم على ارتكاب مثل هذه الجناية في تلك الناحية ثم لفظ بعضهم هذه الكلمات ان من اطلق الرصاص على المركيز ليس الا سونات لص الصيد الشهير وفضلاً عن ذلك فان سوابق هذا اللص المستنكرة كانت داعية لتأبيد هذه الشكوى ضده

وكان سونات المذكور رجلاً من اهل العسف عبوساً خشناً كوحش كاسر ومنذ اقامته في اللوش اي منذ اثني عشرة سنة حكم عليه احكام كثيرة من اجل سرقة الصيد ثم حكم عليه مرة بخمسة عشر يوماً بدعوى ضرب وجرح ومرة بسجن شهرين لارتكابه السرقة في بعض الجنينات

وكان قوياً كهرقل وعائشاً كما يقال في وسط الاحراش حتى استولى خوفه على جميع القلوب وهو لا ينقطع ابداً عن سرقة الصيد في جميع الاوقات ولولا حراس المركيز والجندرمة وسهرهم على ملاحظته بدقة لتمكن بواسطة بندقيته واشراكه ان يبيد الصيد من تلك المقاطعة في بضع سنوات

وكان عمره نحو اربعين سنة وهو متزوج وله اربعة اولاد يكاد لا يبلغ اكبرهم التاسعة من السن اما امرأته واولاده فكانوا يعيشون من الشحاذة لانه كسلان سكير لا يهتم بامرهم وكان المركيز دي كولانج يخفف شقاء هذه العائلة بحسناته الكثيرة المتواصلة

والذي اعتقده ملازم الجندرمة ان سوفات المذكور هو بلا ريب نفس الرجل الجاني الذي اطلق الرصاص على المركيز ولا بد من ايقافه فذهب مصحوبًا باحد انفار الجندرمة الى اللوش وكان لص الصيد في مسكنه فوجده ملازمًا فراشه ومصابًا بحمى شديدة فظن الملازم في اول الامر انه متمارض ولكن امرأته اكدت انه لم يفارق فراشه منذ اربعة ايام ولدى السؤال من الجيران صرحوا ان سوفات مريض حقيقة وان الطبيب حضر صباحًا لمشاهدته ولما ارادت امرأته الذهاب الى النهر لتغسيل الثياب كانت احدى الجيران بالبقاء عنده من الساعة السابعة الى الساعة العاشرة

فالتزم الملازم ان يسلم للحقيقة الظاهرة ويعترف لنفسه انه مخطئ وانه تهم بريئًا وان سوفات ليس الجاني الذي يبحث عنه وظهرت عليه مظاهر الخيبة والخجل يفتل شاربه بحرارة

وعندما علم لص الصيد من فم الملازم نفسه انه متهم باطلاق الرصاص على المركيز دي كولانج وثب واقفًا على فراشه واتقدت عيناه بنار الغضب ثم صاحت امرأته يا الابلاء كيف امكن تصور مثل هذا الفكر

وكان سوفات قد وقف منتصبًا على فراشه كما قلنا وتقدحت عيناه شرار الغيظ فقال انا عالم اني شقي لا اصلح لشيء وان جميع الناس يدعونني دنيًا سافلًا ويخشونني ويجتنبونني ويلعنونني ولا انكر اني دخلت السجن ومن المحتمل ان ادخل اليه ايضًا والخلاصة اني انكلم بما في ضميري ولا احاول الادعاء بالشرف والفضيلة كغيري لاني لست مرائيًا فانا والحق يقال لص وكلب وكل ما تريدون ولكنني لست قتالًا ثم صاح ابدًا . . . . ابدًا لا ارتكب هذه الجريمة . نعم اذا كنت في الحرش ومعي بندقيتي ونظرت صيدًا اطلق عليه النار ولكن لا اطلق ابدًا على رجل وصار لي ستة شهور بلا بندقية لان احد انفار الجندرمة جردني من بندقيتي الطويلة الحمراء التي تعرفها ومع هذا كله اتهم بمحاولة قتل المركيز وينسب الي مثل هذا العار والشر . لا انكر ان حراس حضرة المركيز يطاردونني على الدوام كذئب ولكن لا لوم عليهم بذلك ولا ريب لانني لص صيد وهم لا يفعلون خلاف واجباتهم بمطاردتي ثم سأل لماذا يا ترى اريد قتل المركيز دي كولانج افضل رجل في العالم هل جزاء له على الحسنات التي يعطيها بكثرة هو والمركيزة او مقابلة لها على جميلها علينا واعمال الخير التي عملاها ويعملانها لي ولامرأتي ولاولادي هاك ثلاثة من هولاء

الصغار والرابع عند بعض المزارعين بحرس الاغنام فاذا كنت لا نجدهم عرايا كدود الارض فالفضل بذلك للمركيزة لانها تكسوهم ولولا هذه الصالحة التي لا تهملهم بلا خبز لماتوا جميعاً من شدة الجوع ثم اخيرًا عند ما كنت في السجن من كان يعول امراتي واولادي ومن اين كان يأتيهم القوت اليس من القصر ان الرجل الذي حاول قتل المركيز يا سيدي الملازم هو اشقى مني انني ما خفت في حياتي لا من الحراس ولا من الجندرمة ولا من العدلية لان القضاة يحكمون على الجاني ويرسلونه الى السجن وهذا لا يصلح اللصوص الاشقياء من امثالنا بل يوجد غير من هذه الوسائط لاصلاح الناس فانا اليوم لم اعد كالاول والذي احدث في هذا التغيير ليس السجن ولا الخوف من الرجوع اليه وسوف اصرح لك بالسبب الحقيقي يا حضرة الملازم بالسبب الحقيقي الذي ارجعني الى التوبة حتى نعيده على سمع من حضرة المركيزة

انني منذ خمسة عشر يوماً صادفت المركيزة عند شط النهر فعرفتني ولم تخف وتذعر مني كبقية النساء بل بالعكس اقتربت مني هذا السفل سوفات وكلمته بصوتها العذب ونظرها الملاطف فاثرت اقوال المركيزة الصالحة في قلبي مزيد تاثير فوعدتها بالتوبة وسأقوم بوعدي يا حضرة الملازم اذا امد الله في حياتي ونجوت من هذا المرض فسوف امتنع عن سرقة الصيد واشتغل ولا اعود اسكر لانني وعدت بذلك وكان يعنيني اعلامكم بهذه الحقيقة

قال الملازم حسن حسن يا سوفات انني اعتمد على وعدك للمركيزة

فصاحت امرأته باكية فليباركها الرب لانها ودت لي زوجي ولهؤلاء الصغار اباهم

ثم امتطى الملازم ورفيقه جواديهما وانطلقا الى كولانج وكان الملازم قاطباً حاجبيه وهو عابس تظهر عليه ملامح اشتغال البال وفي كل برهة كان يفتل شاربه بغضب فقال رفيقه في نفسه وهو يركض بجانبه ان حضرة الملازم غير مرتض وبالحقيقة ان الملازم المذكور لم يكن لديه ما يوجب ارتضاءه لانه كان يرى امامه مصاعب كثيرة كيف لا وقد ارتكبت جناية عظيمة بالاعتداء على حياة المركيز وهو يسأل بقلق عما اذا كان ممكناً التوصل لمعرفة المعتدي ولا يجد اقل اثر للمساعدة على هذا الاكتشاف فالان من بهم وابن يبحث على الجاني وبعد التفكر طويلاً قال في نفسه لربما اطلع من المركيز على اثاره الا ان املة كان ضعيفاً بذلك ومع هذا اراد التجربة فذهب الى القصر نحو الساعة الخامسة مساء وكان المركيز قد رقد براحة مدة ساعتين ونهض من رقاده ولدى اعلامه بزيارة الملازم اجاب انه مستعد لقبوله فادخلوا الزائر الى الغرفة وكان هنالك المركيزة والوجين فنهضا للخروج

فقال المركيز لا لا ابقيا مكانكما ثم وجه الحديث الى الملازم وقال انك حضرت باامل الحصول

على بعض افادات ثمينة عما حدث في هذا الصباح ولكن لسوء الحظ ولربما لحسن الحظ لا اقدر ان افيدك شيئاً تستدل منه على معرفة الحقيقة اني لا اشكو احداً ولا اشك باحد

ثم اوقف نظره على المركيزة وقال كان بودي ان اخفي عنك واقعة الحال يا عزيزتي متيلدة حرصاً على راحتك ولكن ارى جيداً انني لا اقدر على منع الحقيقة عنك ولو مهما فعلت فاعلمي اذن ان شقياً مجهولاً حاول قتلي في هذا الصباح

فصاحت المركيزة اذن صحيح ما سمعته كنت لا اريد ان اصدق بامكان ذلك هل لنا اعداء اذن

ثم تحول لونها الى البياض الناصع كرتبقة

قال المركيز يظهر ان لي عدواً

فصاحت المركيزة بصوت تختلج فيه الدموع ما عدت تذهب الى الصيد ولا تخرج من القصر بدون رفقاء

قال هذا كثير يا عزيزتي متيلدة ولكن اعدك انني اتخذ من الان فصاعداً بعض التحرسات

قال الملازم وفضلاً عن ذلك فاننا نأمل القبض على المعتدي ومتى وضع في الكريك لا يقدر على معاودة الاعتداء

فسألت هل تظن انك تجده

قال من اللازم ان اجده يا حضرة المركيزة

فسألت هل انت مرتاب باحد

قال في الوقت الحاضر لا وكنت ظننت ان المعتدي هو سوفات لص الصيد في اللوش

فسألت المركيزة بتعجب هو . . . هو . .

قال الملازم انني اعرف هذا الخاسر واعلم من صفاته انه اهل لارتكاب مثل هذه الجرائم

قال المركيز ان هذا الفكر خطر على بالي برهة ولكنني اهملته سريعاً لدى التفكر بامرأة هذا التعيس واولاده الاربعة

قال الملازم فذهبت الى اللوش واذا سوفات مريض وطريح الفراش ولدى الفحص تأكدت حالاً انه ليس المرتكب

فصاحت المركيزة اذا كان سوفات هو محاول قتل زوجي لا يكون انساناً

قال الملازم ان سوفات لص هائل ولكن يظهر من الكلمات التي لفظها امامي انه لا يبغض المركيز بل بالعكس لكنا في قلبه نوع من الاحترام ثم قص الملازم على المركيز والمركيزة بالاختصار كل ما حدث في كوخ اللص المذكور وقال اظن يا حضرة المركيزة انك وضعت هذا الوحش الكاسر وهذه اعجوبة تحسب لك لانك قدرت على تليين تلك الاخلاق القاسية

قالت المركيزة فليسبح الرب يا صاحبي من اجل امرأته المسكينة واولاده

قال الملازم والان يا حضرة المركيز اريد ان اعلم كيف وبأية الظروف حدث الاعتداء اذ ربما نكون نظرت المعتدي وعلى فرض ذلك ارجوك ان تتكرم عليَّ بسماته وان تدقق لي عنها بما في الامكان

قال المركيز انك تسأ لني كثيرًا ولا شيء عندي كما قلت لك يساعدك على كشف الحقيقة ولكن يلزمني مع ذلك الا ارفض التكلم الان واجابتي تأمرني بايضاح ما حدث وهذه صورته

اردت الذهاب لافتقاد امرأة حارسي بارلي فانفصلت عن ابني واصحابي واتجهت لناحية مسكنها لان بيار لي المذكور خادم نشيط وقد اتيت لي اخلاصه مرارًا عديدة ببراهين كثيرة ولا يمكن ان امر يومًا بجانب مسكنه بدون ان ادخل اليه وبعد ان تحادثت برهة مع امرأة الحارس خرجت من عندها وكانت الكلاب تنبح بشدة وقد صارت الساعة الثامنة ونصف تقريبًا فانطلقت في ممر بقصد الذهاب الى مكان ارتقب منه مرور بعض الصيد لاقتناصه وكنت اسير بسرعة فما بعدت كثيرًا عن مسكن الحارس الا سمعت طلقًا ناريًا وشعرت بالم شديد في كتفي وصدف ان رجلي عثرت بالسير على غصن يابس في نفس تلك الثانية التي اطلقت فيها النار ولولا هذه العثرة لما نجت حياتي حيث من المؤكد لديَّ ان الجاني كان مصوبًا رصاصة على راسي فسقطت على وجهي الى الارض ومع كثرة الدماء التي سالت بغزارة من جسدي قويت على النهوض وحولت نظري الى الجهة التي صدرت منها النار فنظرت رجلاً راكضًا بين الاشجار ثم أغمضت عيناي وفقدت الوعي ولما رجعت الى الصواب وجدت نفسي بين ذراعي ولدي وكان المسبب في ذلك ان احدا لحراس نظرني غارقًا بدمائي فصاح مستغيثًا وطلب النجدة ثم اعانني من حصر على النهوض فشعرت انني قادر على المسير واردت الرجوع الى القصر ماشيًا على قدمي وقد نجحت بذلك فوصلت الى هنا متوكئًا على ولدي واحد اصدقائه وهذا يا سيدي تفصيل الحادث المشوم الذي اصابني

فسأل الملازم اذن ما عرفت الجاني يا حضرة المركيز

قال قلت لك انني لم اعرفهُ

اجاب الملازم وليس لك ارتياب باحد

قال ابداً

قال الملازم انك نظرت الرجل فهل لك ان تفيدني كيف هو هل قصير او طويل شاب او شيخ وماذا كانت ملابسه

قال ترآى لي وقتئذٍ انهُ بقامة طويلة وانهُ يلبس مدرعة زرقاء وقد لحظت انهُ بلحية كاملة ولكن لا اعلم اذا كان شابًا او شيخًا ومع هذا فان نظري كان مضطربًا وكنت اشعر كأن اعيني مغطاة بحجاب فلربما يكون نظري غير صائب وخلاصة القول انني لا اقدر على تاكيد شيءٍ

ولما لم يعد للملازم الجندرمة ما يسأل عنهُ المركيز انسحب غير مرتضٍ تمام الرضاء من الافادات التي اعطيت لهُ ثم بدأ بالبحث والتحقيق من نفس ذلك المساء فارسلت الجندرمة الى جميع النواحي واستمرت نحوًا من ثمانية ايام وهي تجوب البلاد متقطعة للفحص والبحث المدققين لا تعرف الراحة ولا تأخذ اجفانها سنة الرقاد ثم قبض على ثلاثة او اربعة من المشهورين بالشقاوة واودعوا السجن ولكن علمت اخيرًا براءتهم وانهم غير مشتركين بهذا الاعتداء على حياة المركيز والخلاصة ان جميع المباحث ذهبت عبثًا لان الرجل الذي يبحثون عنهُ كان قد اختفى ولم يترك خلفهُ اثرًا وفضلاً عن ذلك فان رجال العدلية لم يكن لديهم شبه دليل يساعدهم على نجاح مسعاهم لان المركيز كان محبوبًا جدًا من الجميع وليس لهُ عدو على الاطلاق ومن المصعب الاكتشاف على سر هذا الاعتداء



الفصل الثاني عشر

مقصد زواج

وكان قد صدق كلام الطبيب فلم يجد على المركيز ما يؤخر صحتهُ بل بالعكس تقدم بسرعة الى الشفاء وبعد ثمانية ايام من الراحة ترك الفراش وصار يمكنهُ الخروج للتنزه في الجنائن والبساتين لان الجرح كان قد ضمد على صحة ولم يعد بقصة لتمام الشفاء الا ان تزول عنهُ بعض تخذلات كان يشعر بها في كتفهِ من وقت الى آخر وكان من ضيوف القصر بعد الدهشة الاولى

التي اصابتهم بسبب الاعتداء على حياة المركيز اون تأثروا كثيرًا فاخلف الفرح حزن فجائي ونوقفوا بغتة عن الصيد ومن ذلك الحين اخذ المدعوون بالرجوع الى باريس ولم يبق في القصر الا السيدة دي فالكور واستهانم وصل بعد ذلك الاميرال دي سيسترون فارتفعت الكلفة والمعاملات الرسمية وصار الباقون في القصر احرارًا يعيشون فيما بينهم بمزيد المودة والحرية كالعائلة الواحدة

ولولا التذكر الدائم بما كان من محاولة قتل المركيز لامكنهم التمتع بلا قلق بمسرات الايام الاخيرة الجميلة من الفصل ولكنهم استمروا رغمًا عنهم عرضة للخوف فان المركيزة كانت تجهد قواها للتظاهر بالسكينة ومع ذلك كان للقلق وشاغل الافكار مظاهر بينة على وجهها ولم يكن بينهم من تُشف مظاهرهُ عن عدم الاهتمام بالاخطار التي اصابته خلاف المركيز وحده

وعندما كانوا يتحدثون عن الشقي الذي يبحثون عنه في كل مكان ولا يهتدون الى معرفة اثاره كان يهزو راسه ويجيب دعونا من ذلك فقد ثبت لديَّ بعد التأمل ان من اراد قتلي مجنون ولا ريب انهُ لا يعرفني ولو وجد شخصًا غيري لاطلق عليهِ الرصاص كما اطلقه عليَّ لانهُ لا ينوي قتل رجل مخصوص

ثم يضيف على ذلك بشاشة قوله من يعلم لربما نوهني صيدًا نافرًا

وكانت هذه الاساليب التي يختارها المركيز للتعبير عن ذلك الاعتداء لا تكفي لراحة افكار المركيزة لان كثيرًا من العلامات السوداء المشومة كانت تتأثرها وهي لا تستطيع الفرار منها وتهتم باخفاء اوجاعها القاسية مع تسلط الخوف على قلبها وداخل افكارها ان حياة المركيز مهددة فتصورت ان الخطر ينتظره في كل مكان ولم يعد يمكنها الابتعاد عنه بدون ان تقلق على حياته فكانت تقول في نفسها لنا عدو يريد قتل المركيز وباطلًا يحاولون اقناعي بخلاف ذلك ولكن من يكون هذا العدو ولاي سبب هو وماذا فعلنا ضده وعن اي شيء يريد الانتقام لقد نجت فريسته منه هذه المرة ولكن لا يلبث ان يعاود الاعتداء آه والسفي انني مضطربة مرتعشة خائفة

ثم تغمض عينيها بالعبرات ولا تعتقد الا ان زوجها له عدو وكانت لا تنقطع عن تكرار هذا السؤال من يكون هذا العدو وبعد ان اشغلت افكارها طويلًا في حل هذه المعضلة سلمت اخيرًا ان اخاها عاد الى فرنسا وان عدو المركيز هو سوستين دي بيرني وان هذا الرجل وحده هو مرتكب هذه الجناية او متولي ادارتها ولا ريب ان ذنوبه السابقة كانت تخول المركيزة الحق بشكواه وتصور ارتكابه لهذا الجرم

وكان قد وصل المركيز منذ بضعة اشهر تحرير من اميركا ينبئه بوفاة شنيق امراته الا ان هذا التحرير كان ممضياً باسم مجهول وليس له صفة رسمية ولم يكن لدى المركيزة ما يقنعها بصحة هذا النبإ فجعلت تقول في نفسها لا لا ان ذلك الشقي لم يمت واني متاكدة ذلك من الخوف والرعب المتسلطين عليَّ نعم هذا هو عدونا وليس اناعد وخلافه ان هذا العمل لا يقدم عليه غير ذلك اللعين فهو يتبعني دائمًا والى النهاية ببغضهِ وحتى يكون على ثقة من ضرباتهِ ولا يعرض نفسهُ للخطر اختبأ في الظلمة كحشرة تترصد فريستها واأسفي ان جميع الاوجاع التي تحملتها لم تكفني وما زالت ينتظرني عذابات عظيمة انهُ قال لي يومًا سوف انتقم منكِ ومن المؤكد لديَّ انهُ يخلف جميع وعوده ولكنهُ لا يخلف وعيدًا . ان يد العدالة كانت مزمعة ان تضربهُ للاقتصاص منهُ فحولت عنهُ تلك اليد وانقذتهُ من الكريك واشفقت عليهِ لانهُ شقيقي وبالرغم عن كل شيء حميتهُ ممن يريد ضياعهُ وحاولت المدافعة عنهُ ضد نفسهِ ورفعتهُ مرتين الى حال تمكنهُ من تغيير حياتهِ والعود الى الصلاح . . اما هو فلم ينظر الى عظم ذنوبهِ ولم يبكتهُ ضميره وابى المسير في طريق التوبة انني لاجلهِ وحده تحملت الاوجاع الشديدة ومع هذا اردت مسامحتهُ فلزمت السكوت المشوم واظهرت كوني ضعيفة جبانة ولا ريب انهُ لا يتأثر في الان بحقدهِ وبغضهِ الا لانني عاملتهُ بكثير من الطيبة وسترت ذنوبهُ وهو يحاول الانتقام مني عن هذه الحسنات لان ما عملتهُ لا يريدهُ الرب اه واأسفي ان الله ولا ريب قد استعظم ذنبي كثيرًا حتى سمح بقصاصي على هذه الصورة

ولكن اذا كان اخي حقيقة هو مرتكب هذه الجناية وهو الذي سلح يد المعتدي ودلهُ على الفريسة التي يريد اعدامها فما قصدهُ يا ترى بهذا العمل . . نعم ماذا يريد . . وماذا يأمل . . لماذا يهمهُ قتل المركيز دي كولانج أليس من اللازم ان يصرف همهُ الى قتلي انا ما دمت انا الشخص الذي يبغضهُ

والذي يظهر مما تقدم ان المركيزة كانت معتقدة تقريبًا ان الشقي الذي حاول قتل زوجها هو مستأجر من اخيها حيث لا يمكن ان يحاول رجل قتل آخر بلا سبب لمجرد كونهِ يريد القتل فجعلت تبحث عبثًا للكشف عن السبب المحرك لهذا الاعتداء ولكن اتعابها ذهبت ضياعًا ولم تقف على شيء فاصابتها الحيرة واستمرت على خوفها وعذابها

وكان الكونت دي سيسترن يحب ابنة اخيهِ كاب ومن اعظم شواغل افكاره الاهتمام بما يضمن سعادة اميلين وهو الذي فكر منذ ثلاث عشرة سنة بامكان زواجها بابن اوجين دي كولانج ثم بلغت اميلين سن الزواج وبقي الكونت مصرًّا على هذا الفكر لانهُ ادرك منذ زمن طويل

صفات اوجين الساطعة الثابتة وكان متأكداً ان هذا الزواج الذي يرغبه يكون ضامناً لمستقبل وسعادة ابنة اخته المحبوبة فكاشف اخته بهذه الافكار ولم يتعب كثيراً لحمل السيدة دي فالكور التي لا تفكر الا بسعادة ابنتها على مشاركته بهذا الامل - ومع تقريب الصداقة الحصرية بين العائلتين ولا سيما بين الكونت دي سيستري والمركيز دي كولانج لم يجسر الاميرال على تذكير صديقه بمقصده القديم لان بعض الاحساسات الدقيقة التي يجهلها كانت تمسكه عن التصريح بمثل ذلك وكان الكونت على يقين من كرم المركيز وخلو غرضه ولكنه متيقن ايضاً ان ثروته وثروة اخته معاً لا يبلغان ربع ثروة المركيز وهذا الفرق العظيم بين الثروتين كان حاجزاً منيعاً دون اتمام رغبته فكان يخشى ان ينسب اليه الطمع وان يتهم هو واخته بحب اكتساب المال وكيف كان الحال فان الكونت خبي باعتناء افكاره السرية المذكورة

ففي احد الايام بعد الغذاء قال المركيز للاميرال هل تريد يا حبيبي اوكتاف ان نذهب سوية للتنزه

اجاب الاميرال بمزيد المسرة

قال هلم بنا الآن حيث لدي شيء اريد قوله لك

ثم خرج الاثنان من قاعة الاكل وانحدرا الى الجنينة فادخل المركيز ذراعه تحت ذراع الكونت وتقدما بتمهل نحو البركة وبينما هما يسيران قال المركيز هل تذكر يا صديقي العزيز النزهة التي اجريناها سوية في نفس هذا المكان منذ ثلاث عشرة سنة

قال الكونت من اللازم ان اكون شديد النسيان حتى لا اتذكر ذلك كنا نسير سوية في هذا الممر واذكر انني تناولت ذراعك وان ابنك كان معنا وكأني اراه الآن امامي راكضاً من جميع الجهات لاجتناء الزهور وقد جمع منها ضمة كبيرة لامه

قال المركيز حسناً ان ذاكرتك جيدة ولا ريب انك متذكر بعد كل ما قلناه في ذلك الحين

قال نعم اتذكر المسارة بطلب الاعتراف الغريب الذي اعترفت به اليك عقيب مصادفة غريبة على شط الماء

قال المركيز ان تذكار هذه الحوادث محفوظ في فؤادي وكل ما حدثتني به وقتئذ يا اوكتاف يمكنني ان اعيده الآن بحرفه على مسامعك

قال ولا ريب انك تممت بوعدك ولم تطلع السيدة دي كولانج على شيء بهذا الخصوص

اجاب ابداً ثم سأل هل مازلت تفكر بهذه الفتاة

قال اقلّ قليلاً مما قبل ولكن لم اقدر بعد على نسيانها حقّاً ان تبكيت ضميري تخففت حدتهُ لان ابلغ الجروح تشفى مع الوقت وقد عادت السكينة تدريجاً الى فؤادي اما التأسفات فلم تفارقهُ

فسأل المركيز هل ما زلت تحبها

قال ان دوام الحب لرجل في سني بعد فراق عشرين سنة من المبالغات لان الحب زائل كبقية الاشياء فهو اشبه بنار تنطفئ وتخمد متى انقطع عنها الوقيد والذي احبهُ الان انما هو التذكار الذي حفظتهُ وساحفظهُ لهذه الفتاة ان قلبي والحمد لله لم يبق خالياً لان الزمان اسعدني بالحصول على اصدقاء كرام مثلك يشتغل بهم ثم عندي ايضاً لاحتياجات فؤادي الودادية اختي وابنة اختي ولكلتيهما نصيب من حنوي

قال المركيز هل ما وصلك خبر على الاطلاق عن تلك التعيسة جبريلة

اجاب ابداً

فسال وانت ماذا فعلت بعد ذلك الم تجدد البحث عنها لايجادها

قال بلى ولكن مباحثي الجديدة بقيت بلا فائدة كالسابقة فاين هي يا ترى وما الذي اصابها لا اعلم ان في ذلك من الاسرار والغرائب ما يلقيني في الحيرة حيث من الغوامض التي لا تحل ولا تدرك ان تختفي ام وابنها على هذه الصورة وان لا يتركا خلفهما اقل اثر للاستدلال عليهما والمرجح في يقيني اليوم ان جبريلة المسكينة تركت مسكنها في شارع كليشي لاتمام عمل من اعمال اليأس ولا ريب ان هذه التعيسة لدى مشاهدة ضياعها سئمت الحياة وانتحرت قبل ان تضع ولدها الى العالم

فبقي المركيز ساكتاً وقد صرفت منهُ الحواس الى التفكر بهذبة مكسيمليان حيث داخلهُ الشك منذ زمن طويل ان هذه المهذبة هي جبريلة لينار وانها متنكرة تحت اسم السيدة لوبز ولكنهُ حتم على نفسهِ كواجب عليهِ ان لا يسعى بالاكتشاف على الاسرار التي تحدق بهذه المرأة وان لا يُطلع يالتابع الكونت دي سيسترن على امور لا يمكنهُ الاخبار عنها الاَّ كافتراضات محضة لا تخلو من الجسارة

وبعد هنيهة من التأمل قال المركيز اذكر انك عقيب اخباري بقصتك الموجعة يا عزيزي اوكتاف حدثتني عن شيء آخر بقي محفوظاً في ذاكرتي

فسأل بماذا حدثتك

قال بفكر خطر على بالك فجأة

فسال بفكر

قال نعم ان تعاستك و يأسك لم يتعاك وتمتنع عن التفكر بالمستقبل والنظر الى بعيد واظن انني قادر على اعادة كلماتك بلفظها الحرفي فقد قلت لي انه اذا تحقق املي وبلغت ابنة اختي يوماً درجة الكمال المنتظر منها تصير زوجة لابنك

اجاب الكونت متاثراً صحيح قلت ذلك

قال واضفت على ذلك قولك صرت انثر اليوم مقاصد السعادة على رؤوس الاطفال

قال نعم اذكر ذلك

قال المركيز وقد اجئتك حينئذ ان ابنة اختك وابني سيحصلان على فرص كثيرة للاجتماع فاذا احبا بعضهما لا اعارض في هذا الزواج

فسأل الكونت والآن يا ادوار

قال الخلاصة يا صديقي ان السيدة دي فالكور ابنة اختك هي الان بمنتهى الكمال والظرف وقد بلغت فوق المنتظر منها في حال الطفولية وكذلك ابني صار رجلاً من آل الاستحقاق الحقيقي ولست اخشى من التصريح بذلك ولو كنت اياه انا فاقررنا زواج اوجين واميلين من بعضهما في حال الصغر وقد كبرا منذ سنتين ونظرا بعضهما كثيراً ثم حدث بينهما ما تنبأت عنه قبل الجميع فان ابني اثرت فيه محاسن السيدة دي فالكور وظرفها وما لبثت الفتاة ان شعرت ايضاً من نحو اوجين باحساسات الحب

قال الموسيو دي سيسترن هما يحبان بعضهما

قال نعم يا صديقي الكونت يحبان بعضهما وهو ما يمكننا من تاريخ هذا اليوم ان نتكلم جدياً عن مقصدك السابق

فصاح الكونت اه يا ادوار ان فرحي عظيم بهذه البشرى

قال المركيز اذن لا مانع من قبلك في اتمام هذا الزواج

قال ان الممانعة لا يمكن ان تكون من قبلي بل من قبلك

فسأل من قبلي انا ولماذا

قال بالنظر الى عظم ثروتك ...

فصاح ارجوك ان لا تخاطبني بمثل هذا الحديث عند الاهتمام بسعادة ولدينا

فقبض الموسيو دي سيسترن على احدى يدي المركيز وشد عليها بقوة وقال اعذرني

قال المركيز ان اميلين واوجين يحبان بعضهما وقد اجل ما نرغب فيه اليس كذلك

قال نعم

قال هذا هو الموضوع الذي صرفت اليه افكارنا بجرأة انا والمركيزة منذ اكثر من سنة لان ابنة اختك سلبتنا جميعاً بظرفها فهي شقيقة لمكسيمليان ولابنة لي وللمركيزة واظن ان السيدة دي فالكور تكون افكارها في ذلك كافكارك وافكارنا

قال ان شقيقتي لا يمكن ان تتمنى خلاف سعادة ابنتها

قال المركيز اني اترك لك الاعتناء باطلاعها على مقصدنا

قال سوف ابادر من تاريخ هذا المساء لاعلامها بما كان ولكن اوكد لك من الان يا عزيزي ادولف انها تشاركني بفرحي

قال المركيز سنتكلم فيما بعد عن تعيين زمن الزواج فان اوجين واميلين في سن الصبوة ومع فروغ صبرهما يمكنهما الانتظار مدة سنة شهوراً وسنة وعلى كل فعند رجوعنا الى باريس سانقدم رسمياً لك وللسيدة دي فالكور بطلب يد اميلين لابني

وفي اليوم الثاني بعد الظهر اجتمع في الجنينة كل من في القصر وكان الاميرال والمركيز يتمشيان حول بركة الماء واوجين جالساً على مقعد بقرب اميلين ومكسيمليان تركت صديقتها وذهبت لاقتطاف شيئاً من الورد ثم على مسافة من اوجين واميلين كان جالساً على مقعد من الخشب المركيزة والسيدة دي فالكور وهما يتحادثان عن اولادهما

وكان اوجين قابضاً على يد اميلين يشد عليها بلطف وكلاهما متاثران يشخصان الى بعضهما وقد تلون خدا الفتاة بحمرة بديعة فقال اوجين لا ريب يا عزيزتي اميلين ان السيدة دي فالكور اخبرتك انني انا وانت كنا امس موضوعاً لمحادثة مهمة بين خالك وابي .. ..

فاخفضت اميلين عينيها وقالت حدثتني امي عن ذلك في هذا الصباح

قال ان ما يريده اقاربنا انما هو سعادتي وسعادتك

قالت نعم سعادتنا

قال والان يا حبيبتي اميلين صار يحق لي ان احدثك عن مودتي والحب الصادق الحار الذي توحيني به الي اقول لك واكرر لك القول نحو الف مرة انني احبك وان سعادتي جميعها محصورة في حبي والاخلاص التام الذي اقدمه لك ولكن انيدي عن سعادتك . عن سعادتك انت هل تظنين انها تتم بزواجنا

قالت نعم يا سيدي اظن ذلك

قال فاذن انت تحبينني . . انت تحبينني . قولي لي ذلك يا اميلين دعيني اسمع هذه الكلمات العذبة من فمك المعبود

فتزايد احمرارها شديداً واجابت نعم احبك

فصاح اوجين وقد انورت جبهته باشعة السرور الآن طفح قلبي باللذات ثم احاط بذراعيه قامتها وهمس بلازم لا توصف باعزيزتي اميلين ـ باعزيزتي اميلين وكانت الفتاة قد اسندت رأسها البديعة على كتفه فضمها بشوق اليه واستحال الاثنان بذلك الى مظهر مسكر

فقالت اميلين بصوت عذب يهتز بمفاعيل الاضطراب هل تحبني دائماً يا اوجين

اجاب دائماً . . دائماً ولو مهما حدث يا حبيبتي اميلين ولا شيء في العالم يقدر على فسخ اتحادنا لان سعادتك ستكون الغاية التي اقف لها حياتي بتمامها هانذا اعدك واحلف لك انني سابقى مقيماً على حبك ولكن انت يا اميلين انت . .

فسألت بصوت يعبد انا ـ هل من حاجة يا ترى لان احلف لك يميناً . احبك . . احبك يا اوجين وانا على يقين من قلبي

وكان رأساهما قد تماسا فاختلس اوجين قبلة من جبهتها وهمس عاشق ومعشوق ما هذه السعادة الالهية

وكانت مكسيمليان قد جاءت ووقفت امامهما وهي نابهة على خمس اوست وردات فقالت بصوت يشف عن المسرة والكدر ما احلى وما اشهى ولكن يحق لي ان اغار قليلاً لانكما نسيتماني في كل النسيان . بالله ما اشد حب العشاق لذواتهم كيف لا و لم تفكرا بعد بالتشكر مني عما بذلته من الهمة لتقريب زواجكما وضمانة سعادتكما

وكانت اميلين قد نهضت منتصبة على قدميها فقالت صحيح يامكسيمليان الحق معك انني ناكرة للجميل فسامحيني ثم القت نفسها على عنقها وقبلتها

قالت مكسيمليان . جاء نوبتك يا اوجين يلزمك ان تقبلني قبلتين من خدي

قال اوجين متهللاً ما أعذب هذا القصاص ثم قبلها اربع قبلات بدل الاثنتين

قالت مكسيمليان الآن صفحت لكما بقي علي ان اوزع هذا الورد فهذه لشعرك يا اميلين وهذه لصدرك انظري كيف جرحت عند قطعها ثم ارتها في طرف احد اصابعها البيضاء نقطة صغيرة من الدماء الوردي وقالت بهباة جدية مضحكة من اللازم ان لا يسهو الانسان عن امكان وجود الشوك في كل مكان

الفصل الثالث عشر

بارونة شقراء

وفي مساء احد الايام نحو الساعة التاسعة جاء جوزي باسكو لزيارة شريكيهِ وكان الاثنان المذكوران لا يفارقان المسكن مساء من الساعة الثامنة الى العاشرة بحيث يكون البورتغالي عند حدوث جديد غير منتظر ان يكون على يقين من الاجتماع بهما في ساعة معينة

وكان جوزي المذكور لا يحب الذهاب الى مونمارتر بين شروق الشمس ومغيبها وينتظر دائمًا دخول الليل لصعود تلك الربوة وهو لا يستعمل كل هذا التحرس لخوفهِ من استجلاب الانظار للملاحظتهِ بقدر خوفهِ من مس رفيقيهِ

وقد مر معنا ذكر الغاية التي يركض وراءها هولاء الرجال الثلاثة واطلعنا على قسم من مقاصدهم وكانوا جميعًا بآمال واحدة يريدون نجاح مشروعهم اما رابطة الاشتراك بينهم فيمين معظمة لانهم حلفوا انهم يشتغلون جميعًا للعمل المشترك وان يتم كل مأمورية بامانة والى الان لم يحدث بينهم اختلاف فانهم اشتركوا سوية ولهم مصالح واحدة وهم معرضون لاخطار واحدة كل منهم لهُ ثقة بالاثنين الاخرين ولا يمكن ان يسلم بامكان ارتكابهما للخيانة والخلاصة انهم يلعبون ادوارهم بامانة اذا صح وجود الامانة بين الاشقياء

وكان جوزي باسكو يمثل في ذلك المساء باسلوب تام الرجل الشريف البورتغالي الذي نسمي باسمهِ وهو مجمل والحق يقال باساليب بديعة وهيأة ممتازة فكان لابسًا ثوبًا للسهرة مصنوعًا من امهر الخياطين بحسب الزي الاخير وعلى ذلك الثوب المزينة عروتهُ بعلامة شرف كثيرة الالوان برنس رفيع من الجوخ الرمادي ثم ثلاثة ازرار من الالماس الفاخر تزرر قميصهُ وربطة رقبة بيضاء وقفازان جديدان وفي رجليهِ حذاء من جلد الماعز الناعم ملمع من اطرافهِ

وكان قد حضر الى مونمارتر في عربة للاجرة ولكن ترك عربتهُ المذكورة في شارع ليبيك واوصى السائق ان ينتظرهُ

فسألهُ سوستين دي بيرني متبسماً العلك مدعو الى عرس في هذا اليوم

قال لا ولكنني ذاهب للسهرة عند البارونة دي والدريك وهي امرأة شقراء المانية بعينين زرقاوين مسقط رأسها شطوط الدانوب

قال سوستين وهي شابة وجميلة اليس كذلك

اجاب كانت جميلة ولربما لا تزال ايضاً اما من جهة الشبوبية فقد طوتها الايام لانها تجاوزت الاربعين من العمر ولكن عندها عينان لامعتان بسن الثامنة عشرة والعشرين شعرا لمن كامها طريفتان كغزارة المياه ساهيتان اغرافيتان كاغلب البنات الجرمانيات

فسأل والبارون

اجاب يقال عنه انه مات اما البارونة فيزورها كثيرون وهي تحتفل دائماً بسهرات عظيمة ..

قال يظهر انها مهتمة بتزويج بنيها

اجاب لربما ولكن من المؤكد ان اجمل نساء باريس تنظر عندها

فهمس سوستين انت سعيد . اتفق ..

فسأل جوزي ولماذا يا ترى لانني ذاهب في هذا المساء الى جمعية من النساء الجميلات اعلم يا عزيزي انني خبير بالنساء وبمواضع الحب بالنظر الي في الوقت الحاضر من يطلب زهرة او ثمرة لا يقدر على قطفها كانه يطلب التشبه بثعالة الذي قال لمنظر العنقود ثم قال عنه انه حامض عندما رأى انه لا ينتاله . ان نار الحب خمدت مني وايس من يقدر على معاودة اشعالها فما عدت افكر بالنظر الى امرأة جميلة ولم يعد لي وقت للاعجاب بها اما ترددي على قاعة البارونة الالمانية فليس لسمراء ولا لشقراء ولا لعيون سود ولا لزرق ولربما يكون ذهابي عندها في هذا المساء للمرة الاخيرة حيث من الثابت لدي انني ساجتمع هنالك بالشاب الذي حدثتكم عنه مراراً

فسأل سوستين الكونت دي موتكارين

اجاب هو نفسه

قال فاذن يوجد اشياء جديدة

اجاب نعم ان ساعة الاستيلاء عليه قد آنت

فسال وهل يقبل

قال آمل بذلك ولي ثقة بهذا الامل

قال سوستين انه شديد التمسك بالشرف والواجب

قال سوف نرى وعلى كل لا بد من العمل لازالة هذه العوائق

قال يظهر انه في حال اليأس

اجاب نعم ان هذا الشاب المجنون بالرغم عن ذكائهِ وصفاتهِ النادرة قد وضع هو نفسهُ الحبل في عنقهِ والذي تنبأت عنهُ حدث فانهُ سقط الى اسفل الحدرولم يعد يمكنهُ الصعود وهو الان على شفير الهاوية ولا بد من سقوطهِ الى الحضيض اذا لم نمسكهُ بيد قوية في الوقت المناسب لمنع سقوطهِ ولا ريب ان الكونت دي مونتكاربن من الان الى ثلاثة ايام يكون لنا روحًا وجسدًا وحينئذٍ نباشر العمل بجد ويلعب كل منا دوره في هذه الرواية ومن اللازم ان لا نهمل شيئًا لتقرير نجاحها

ثم سكت برهة والتفت فجاة الى ناحية دي كرول وسال هل ما زلت ترى كل شيء احمر

اجاب ان ذلك الاَّ عرض وقد زال الان

قال كنت مريضًا يادي كرول المسكين

اجاب نعم بقيت نحو خمسة او ستة ايام كمجنون

قال جوزي ساخرًا من اللازم ان لا يعود اليك هذا الجنون لان صحتك لا تهمن عندنا ويهمني ان تسكن افكارك لقد بحثوا وربما يبحثون طويلاً ايضًا على الشخص الذي اطلق الرصاص على المركيز دي كولانج ولا يمكن ان يظنوا ابدًا بامكان اختبائهِ في راس ربوة مونتمارتر وان صديقهُ ورفيقهُ هو سوستين دي بيرني ثم اعلما خبرًا ان المركيز دي كولانج وامرأتهُ وولديهِ على وشك العود الى باريس في بضعة ايام

فنظر دي كرول مذعورًا الى البورتغالي ووثب سوستين منتصبًا على قدميهِ وصاح ماذا تقول ياجوزي لم يمت المركيز

قال باسكو انهُ بصحة تامة كصحتي وصحتك

فنظر سوستين الى دي كرول شزرًا وقال فاذن . . .

فصاح دي كرول مستحيل ذلك انهُ سقط على مرأى مني قتيلاً على الارض قال باسكو قتيلاً هذا غلوٌ يادي كرول والصحيح انهُ سقط متاثرًا بجرح طفيف في كتفهِ

فسال متعجبًا في كتفهِ لا يمكن ابدًا لاني صوبت الرصاص الى راسهِ

قال يستدل من ذلك انك لم تعد تحسن اطلاق النار كالسابق ان قلة الاستعمال ياعزيزي تنتهي بالنسيان وانت في حاجة لتمرين يدك

فهمس سوستين المركيز في قيد الحياة . . في قيد الحياة

قال جوزي انهُ شفي في بضعة ايام وصار يلزمنا ان نعاود العمل الذي يهمنا نجاحهُ ان الذنب بخيبة هذا المسعى عليك يادي كرول لان يدك ارتجفت عند اطلاق النار وفي

المرة الثانية اسمك من نسبك يا صديقي حقاً ان الفرصة كانت حسنة وارتاب بامكان الحصول على فرصة مثلها . من اللازم ان يموت . من اللازم ان يموت . والا لا شيء

وعند هذه الكلمات نظر المسيو تولي الى ساعته وقال صارت الساعة التاسعة ونصف ينبغي ان افارقكم حيث لا احب الوصول متأخراً عند البارونة . اذا جدَّ عليَّ حوادث موافقة يهمكم معرفتها احضر غداً مساءً

ثم سلم بالايدي على شريكيه وفتح الباب وخرج فالتفت سوسنين بسرعة الى دي كرول وقال بصوت خشن حقاً انك اهوج

قال دي كرول لا ذنب عليَّ بذلك

قال كيف كان الامر صار يلزمنا معاودة العمل

اجاب دي كرول بنظر مخيف لا باس نعاوده

فتمتم سوسنين هذه علامة رديئة

وكان جوزي ياسكو قد وجد عربته في المكان الذي تركها فيه فركبها وامر السائق ان يقوده الى شارع ملك وبيه حيث تسكن البارونة دي والدربك في منزل جميل صغير له دار وجنينة

وكان يظهر من لهجة هذه المرأة انها الالمانية ولكنها كانت تقول عن نفسها انها نمساوية وانها حضرت للسكنى في باريس بعد ان فجعت بفقد زوجها وليس في معيشتها ما يحمل على الشك بهذه الدعوى فانها حضرت الى باريس منذ سنتين فقط ولم تلبث لدى وصولها ان كثر تردد الناس عليها وكانت تعامل الزائرين بمنتهى الظرف والملاطفة بحيث ترتاح نفس الزائر كثيراً بوجوده عندها ويسره معاودة الرجوع لزيارتها

وكانت البارونة الشقراء المذكورة هي غاية باللطف والموانسة ولها اقتدار عظيم على استمالة الناس اليها وفضلاً عن ذلك فان الزائرين كانوا يحصلون في قاعاتها على منتهى الراحة والمسرة فكانوا يتكلمون فيها عن كل شيء بتمام الحرية ويضحكون بلا خوف من تكدير احساسات احد ثم يرقصون ويلعبون في كل يوم تقريباً من الساعة الحادية عشرة الى انفلاق الفجر

والخلاصة ان منزل البارونة كان للمترددين عليها كفردوس يجتمع فيه يومياً من الذكور والاناث جمعية حافلة بمزيد الاختلاط والتمازج وكان يسمع هنالك من الاسماء الرنانة ما يدعو الى التعجب ولسنا ننكر امكان وجود بعض البارونات والفيكونتيسات الحقيقيات في ذلك الجمع ولكن الاغلب كانوا من اصحاب الالقاب والمراتب الكاذبة ولا ريب ان ابناء

بعض العائلات الكريمة كانوا يخرجون من ذلك المنزل صفر الايدي بجيوب فارغة ولكن لا باس حيث لا بد للشبوبية من اوقات تتصبها ثم من يفكر بمثل ذلك وهو جالس في الاشعة المنتشرة من الاعين اللامعة الجميلة

وكان الناس في منزل البارونة من كبار وصغار ونساء وبنات بتمام الائتلاف والاختلاط والكلفة مرفوعة من بينهم وهم جميعاً مع صاحبة المنزل متفقون على ذلك وكانوا في اليوم الاول من حضورهم يتبادلون هذه الالفاظ يا عزيزي ويا عزيزتي ويرفع من بينهم الحجاب اما النساء هنالك فكن لا يعرفن التمنع والنفور ويخولن الرجال الحق بالتكلم معهن من قريب وكثيراً ما يضعن المراوح امام وجوههن لاخفاء اشياء اخرى كثيرة خلاف الاحمرار وقد بلغ بنتا المنزل الغاية القصوى بتمثيل الدور المخصص بهما فكانتا تتظاهران بالسذاجة عند الحاجة الى ذلك وتحسنان التمثيل والنظر والتبسم بمزيد التفنن والمهارة

ولا بد لمن يدخل جديداً الى ذلك المنزل ان يصيبه بعض التعجب لهذه المشاهد الغريبة ولكن شيئاً يحاول الوقوف في مقام التحذر والدفاع حيث لا يلبث ان يسحروا ألفها سريعاً

وهنا نسأل قائلين هل البارونة المذكورة هي غنية يا ترى وهل هي ارملة حقيقة ثم البنتان الظريفتان الشقراوان العائشتان معها هل هما بنتاها كما تدعي ان البعض كانوا يصدقون ذلك والبعض الآخر يرتابون بصحته والصحيح الثابت ان المرأة المذكورة لم تكن بارونة وهي لا تملك شيئاً من الثروة ولم تتزوج في حياتها ولا يمكن ان تكون ارملة اما البنتان الجميلتان اللتان تدعي انهما بنتاها فقد احضرتهما من بعض البيوت القبيحة قبل المجيء الى باريس للمباشرة بهذا النوع من معيشة الكسب التي استعملتها ولا ريب في اماكن اخرى كثيرة قبل ان تقودها الاقدار الى باريس

وبالحقيقة ان البنتين المذكورتين وبقية النساء الفتيات اللواتي يترددن على ذلك المنزل كن كفريسة يقصد بها جلب الصيد الى الفخ المنصوب وهكذا حصلت البارونة الكاذبة بواسطة شركائها واعمالها الشائنة على منزل فاخر مفتوح الابواب لقبول الزائرين وعمل الولائم وتتمتع بمعيشة البذخ المفرط حتى صار يمكنها ان تصرف سنوياً نحو خمسين او ستين الف فرنك

ولما دخل جوزي باسكو الى قاعة المركيزة المضيئة بما يبهر المنظر كانت الجمعية قد تكامل التئامها تقريباً فقوبل باصوات الفرح والتأهل وصدا ليو كثير من الايدي واقترب منه بنتا المنزل اليزابيت وشارلوت تحيانه بتودد وقالت له البارونة وقد حركت شفتيها بما كشف عن اسنانها البيضاء كنا عالمين بمجيئك فانتظرناك بفروغ صبر

قال ان هذه الآن كثير من التمليق والملاطفة بحضرة البارونة

قال يظهر لي انك لا تصدقني اسأل الكونت دي مونتكاربن عن صحة ذلك

وفي ذلك الحين انفصل عن الجمع شاب طويل جميل اسمر بوجه مصفر انهكته المتاعب وهو بهيأة ممتازة كثير الزهو واتعرب من البورتغالي وقال صدقت البارونة ياسيدي دي روكاس انا اخبرت بقدومك وكنا في انتظارك

قالت البارونة ومن اجل ذلك يا عزيزي الكونت امتنع جميع السادة الحاضرين عن الاقتراب من طاولة اللعب قبل وصولك

فانحنى جوزي وقال اذا كان الامر كذلك ياسادتي فقد ساءني كثيرًا انني كنت السبب

البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

الهواء الاصفر في ايطاليا

اصدر الموسيو كريسبي بمناسبة انتشار الوباء في ايطاليا منشورًا الى جميع الحكام يبين فيه الوسائط الضرورية التي يلزم اتخاذها من الحكومة في مثل هذه الظروف وقد صرح فيه بلزوم هجر المنازل التي يدخلها الوباء ومع شحن الخرق القديمة من الاماكن المصابة به ثم عدل الاحتياطات الصحية السابقة التي لا تنطبق على الحقائق العلمية المكتشف عليها اخيرًا وانكر بشدة اجراء الحصر والتضييق على اماكن الوباء ودحض الحجر الصحي الذي تضرية المجالس البلدية وغير ذلك من الاحتياطات التي تاكد بطلان فائدتها

لغة الفولا بوك

انتشرت حديثًا هذه اللغة بقصد ان تكون اللغة العمومية في العالم تسهيلًا للاتصالات والمعاملات بين الامم المختلفي الاجناس واللغات وهي سهلة المأخذ يمكن تحصيلها بمدة وجيزة جدًا بالنسبة الى بقية اللغات وقد صرفت اليها اخيرًا افكار العلماء فعقد مؤتمر في مونيخ للسعي بتسهيل انتشارها وتعميمها وتقرر انشاء مجمع علمي جديد في باريس لهذه الغاية ينصرف اعماله على النظر فيما يتعلق بهذه اللغة دون سواها وسيعهد بادارة هذا المجمع الى الموسيو كيرشوف كاتم الاسرار العام لجمعية انتشار لغة الفولا بوك الفرنساوية

وصية

اوصت احدى السيدات التي توفيت اخيرًا في باريس للمجمع العلمي الفرنساوي بمبلغ اربعين الف فرنك يشترى بها اوراق على الحكومة الفرنساوية بفائض ٣ بالمائة وان تعطى مداخيل هذا المبلغ في كل سنة جائزة لصاحب افضل عمل او مؤلف يتعلق بشفاء الامراض

سير شاق

افادت الجرائد الاجنبية ان بعض الطوافين المتازين الموسيو تانور قطع اخيرًا مسافة الفي كيلومتر في مدة خمسة عشر يومًا

السكر في المانيا

يستفاد من الاحصاآت الاخيرة ان معاطاة الكحول في المانيا على ازدياد عظيم فان عدد المقبوض عليهم في العاصمة الالمانية المرسلين الى دائرة البوليس لانهم وجدوا سكارى في الطرقات العامة بلغ سنة ١٧٨٣ ثمانية الاف وخمسة وعشرين نفسًا وسنة ١٨٨٣ سبعة الاف وسبعمائة وخمسة وعشرين وسنة ١٨٨٤ ثمانية الاف وثمانمائة وثلاثة وسنة ١٨٨٥ تسعة الاف وثمانمائة وسبعة وكذلك المرضى بامراض الكحول المزمنة الذين يمرضون في مستشفيات برلين فقد بلغ عددهم سنة ١٨٨٣ خمسمائة وسبعة وثلاثين مريضًا وسنة ١٨٨٣ ستمائة وواحد وسنة ١٨٨٤ سبعمائة وتسعة وسنة ١٨٨٥ تسعمائة وثمانية وثلاثين

عدوى السل

اجرى بعض الاطباء امتحانات عديدة ليعلموا هل ينقل مرض الصدر من المريض الى غيره بواسطة تنفس الهواء فوضعوا بعض الارانب في هواء تنفسه المصابون بهذا المرض وثبت بعد التجاريب ان المرض لا ينتقل بهذه الطريقة الى الاجسام الصحيحة ثم وضعوا حيوانات مصدورة مع حيوانات اخرى سليمة في مكان واحد بدون ان يخلطوا بينها لمدة طويلة فلم تحصل العدوى ايضًا الَّا انه تاكد سهولة سريان المرض الى الاصحاء متى اختلطوا بالمريض وكان ينتقل المرض مع الهواء الى الحيوانات التي وضعت في قاعة المسلولين في المستشفى تسع مرات في الاثنتي عشرة مرة وخلاصة ما ثبت من التجارب المذكورة ان خطر العدوى باستنشاق الهواء المنبعث من رئة المصدور قليل جدًّا ولكن الخطر العظيم الحقيقي انما هو بمعيشة الاختلاط مع المريض

السباحة

ان المدوقة دي شارترهي اشهر امرأة امتازت بالسباحة في فرنسا وقد ذاع صيتها في ذلك حتى ملأ الاسماع ولكن ظهر الان في انكلترا سباحة اعظم وهي السيدة انسل بكويت فان هذه الفتاة عندما كانت في الرابعة عشرة من العمر كانت تقطع سابحة في ساعة واحدة المسافة الفاصلة بين جسر لندرا وكرينوش

وفي السنة الماضية ارادت المتطوح الى اكثر من ذلك فقطعت من النيص مسافة عشرة اميال في عشر ساعات وقد داومت السباحة اخيرًا مقدار مئة ساعة متواصلة فكانت تاكل في المياه ولا تخرج منها الا للرقاد قليلاً ويقال ان السيدة نفس المذكورة وشقيقها ويلي مستعدان للمراهنة مع اي اراد على قطع المانش سباحة من بولونيه سورمير الى فولكيستون

السيغبيون

اكتشف المعلم ميكيل مارتزا في وادي رياس من اسبانيا على جماعة من الحجاتر بمظاهر غريبة جدًا لا يزيد طول الواحد منهم على متر و١٠ الى متر و١٥ ولكنهم بتراكيب قوية وعضلات ضخمة ولهم شعر احمر ووجوه مربعة وخدود بارزة فكوك قوية وانوف فطس واعين زائغة قليلاً شبيهة باعين المونغوليين ووجوههم خالية من الشعر تقريبًا

حمام الرسائل والجبال

ذكرنا فيما تقدم من اعداد الصفاء ان الفرنساويين يربون الحمام على حمل الرسائل للاستفادة بذلك في اوقات الحرب وقد زعم البعض ان هذا الحمام لا يقدر على قطع اماكن الجليد والجبال المرتفعة ولكن ثبت اخيرًا لدى الاختبار فساد هذا الزعم فان الموسيو اميل بلوك اخذ الى طولوز نحو خمسين حمامة واطلقها على جبال البيرينه نحو الساعة الثامنة صباحًا فعادت جميعها الى احشاشها قرب الظهر بعد ان مرت في زوبعة من الثلج وقطعت اماكن كثيرة من الجليد وحلقت رؤوس جبال ترتفع الى ثلاثة الاف متر

تأثير الافكار في الاحساسات الجسدية

لقد ظهر اخيرًا من التجارب العديدة التي استعملها العلماء في فرنسا وبلجكا منذ عشرين سنة الى الان بالتنويم والتوهيم ما للافكار من قوة النفوذ على الاحساسات الجسدية ففي سنة ١٨٨٥ احدث الموسيو فوكاشون في بعض المرضى تأثير الحراقة بواسطة الوهم وذلك بوضعه على ذراع المريض اوراقًا مغراة وايهامه ان تلك الاوراق هي حراقة وبعد ذلك باشهر احدث بعض العلماء حرقًا في ذراع فتاة بمجرد اقناعها ان شمعًا ملتهبًا صب على ذراعها وقد اخبر الموسيو ديلبوف بخصوص التجارب التي اجراها في هذا الموضوع انه ثقب لسان فتاة بديبوس مرارًا عديدة بدون ان يظهر من هيئتها ما يشف عن الالم او تحاول سحبه وظهر اخيرًا انها لم تشعر بالم على الاطلاق لا في حال التجربة ولا بعدها ثم جرحها بنصل في يدها فلم تشعر بشيء ايضًا وزالت اثار الجرح في بضع دقائق بينما امثال هذه الجروح لو فتحت في خلاف هذه الظروف لما امكن ان تزول اثارها مدى الحياة وفي احد الايام بينما كانت الفتاة المذكورة تشتغل في الجنينة سقط حجر كبير على يدها وهرس احد اصابعها

فنومها وللحال سكن الوجع فعاودت الشغل وشفي اصبعها وكان لاحد الفلاحين معشوقة تشاجر معها فاطلق عليها النار واصاب الرصاص ظهرها فسقطت جريحة في حال الخطر ولدى تنويمها انقطع عنها الالم وتماسكت صحتها وعادت الى الشغل في مدة خمسة ايام وفي اليوم العاشر زال من ظهرها تماماً اثار الجرح

الزوابع في اميركا

اذاع الموسيو فينلي من مشاهير العلماء في اميركا الشمالية كتاباً بخصوص الزوابع في الولايات المتحدة ولا يخفى ان الزوابع المذكورة هي ويل عظيم على العالم الجديد حيث يتكرر حدوثها في العام الواحد نحو ماتين مرة وقد تعدلت الخسائر التي تنشأ عنها في كل سنة فبلغ القتلى ٨٠٠ والجرحى ٢٠٠٠ والمنازل التي تدمر نحو ١٠٠٠٠ ومما ذكره الموسيو فينلي لمواطنيه في كتابه المذكور لزوم الالتجاء الى ادارات السيكورتاه لضمانة انفسهم من الدمار الذي يتهددهم يومياً بمرور الزوابع ثم دعاهم الى بناء سراديب تحت الارض متصلة بالمنازل ليلجئوا اليها عندما يشعرون بنزول البلية واشار على الذين لا يكون لهم مثل هذه السراديب ان ينحدروا لاقل اشارة منذرة بالخطر الى الطوابق السفلى من منازلهم ويسندوا ظهورهم الى الجدران الغربية والاصوب عنده لزيادة الامن ان يخرج الناس الى الفضاء ويتمددوا على بطونهم فوق الارض مشبكين اذرعهم على رؤوسهم لحمايتها

﷽ الجلوس المأنوس ﷽

كان يوم الاربعا الواقع في ٣١ الماضي موافقاً لعيد الجلوس الهمايوني المأنوس فاستبشرت الامة العثمانية عموماً بدخول هذا العيد السعيد وترطبت الالسن بالدعاء لحضرة ولي النعم مولانا ومليكنا السلطان ابن السلطان السلطان عبد الحميد خان ابد الله ملكه مدى الدوران وقد احتفل بهذا العيد الحميد بمنتهى ما يمكن من مظاهر الاجلال والتعظيم فرفعت اعلام الدول واقتبل حضرة سعادتلو قصوحي بك متصرفنا الاكرم مراسم التبريك والتهاني في سراي الحكومة بملابسه الرسمية وكانت الموسيقى العسكرية تصدح بانغام السرور فوفد على سعادته المأمورون والامراء العسكرية ووجوه الاهالي وتراجم القناصل وتكررت الدعوات الخيرية للحضرة العلية السلطانية وفي مساء ذلك اليوم السعيد ظهرت المدينة في حلة من النور

وزينت المواقع الرسمية ومنازل كثيرين من المأمورين والاعيان وتجلت الحديقة
الحميدية امام سراي الحكومة بمظهر بديع يأخذ بالابصار فكانت تنبعث منها
الالعاب النارية المتنوعة بزيد البهاء والرونق والناس من حولها فرحون
مستبشرون اطال الله عمر الذات الشاهانية وايد ملكها وابد شوكتها اللهم امين

طبيب

قدم ثغرنا في هذا الشهر عائدًا من لندرا جناب الدكتور الماهر حبيب افندي جبور حتين بعد ان قضى فيها سبع سنوات تلقى في خمس منها فن الطب والجراحة ونال الشهادة المسجلة وشهادة الامتياز وجائزتها ثم صرف السنتين الباقيتين بمارسة صنعته في لندرا وقد تقدم لاخذ الشهادة عند الاحتفال بذلك لابسًا الطربوش لاظهار كونه شرقيًا والذي يسرنا ويسر جميع الشرقيين انه امتاز على اقرانه الاجانب وتقدمهم لاخذ الشهادات كما يستفاد من اقوال الجرائد الانكليزية وهو معتمد على الاقامة في مدينتنا لمعاطاة مصلحته فيها فنهنئه بهذا النجاح ونترحب بقدومه

المدرسة الاسرائيلية

بلغنا ان المدرسة الاسرائيلية اجرت في الاسبوع الماضي فحصها السنوي فاجاب التلامذة بما يدل على النجابة والتقدم ثم احتفلت بعد ظهر الخميس بتوزيع الجوائز على مستحقيها ومثلت رواية فرنساوية سر بها الحاضرون ويقال ان بعض المدعوين من السوريين القى خطابًا في اللغة الفرنساوية ونحن نستغرب كل الاستغراب وقوف رجل وطني في حفلة وطنية لمخاطبة جمهور وطني عربي بلغة اعجمية ولا نجد عذرًا يشفع في مثل هذا التصرف الا ان يكون القصد بذلك اظهار البراعة واكتساب المدح من المتفرنجين والاغرب انه كثيرًا ما يكون الخطيب المتفرنج غير عارف من اللغة التي يخطب بها الا بعض ضروريات ابتدائية تكاد لا تساعده على القراءة والفهم فضلًا عن الخطابة وهذا من تمام الغرور الذي يحمل على الاسف الشديد

حديقة الورد

اهدى الينا جناب المصدين الاديب نقولا افندي اسكندر طراد نسخة من ديوان حديقة

الورد نظم الاديبة الفاضلة السيدة وردة كريمة العالم العلامة الفاضل والشاعر البليغ المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني وهو ديوان مفيد يحتوي على منتخبات الاشعار النفيسة التي نظمتها مطبوع طبعة ثانية ومضافاً اليه عدة قصائد خلت منها الطبعة الاولى وقد تصفحنا بعضه فاذا هو غاية في رقة الاساليب وبلاغة المعاني وانسجام الالفاظ وجودة النظم ما يشهد لصاحبته الفاضلة بمزيد البراعة والذكاء وجودة القريحة فنثني عليها من اجل ذلك مزيد الثناء ونحض محبي المطالعة والتفكه على اقتنائه

الصادح والباغم

اهدانا جناب الكتبي الاديب يوحنا افندي عصاعيصو نسخة من كتاب الصادح والباغم تأليف السيد الشريف نظام الدين ابي يعلى وهو عبارة عن مجموع حكايات مفيدة تتضمن الحكم والمواعظ على نسق حكايات لافونتين ولكنه منظوم بالاشعار الرائقة النفيسة التي يطربها السمع والذوق وهو يباع في مكتبة طابعه المعروفة بالمكتبة البيروتية

والموت نقَّادٌ على كفهِ جواهرٌ يختارُ منها الجياد

فجعتنا المنون بالبر الفاضل التقي نخبة ادباء لبنان واعيانها المرحوم الشيخ حسين ناصر الدين عم جناب علي بك صاحب امتياز مجلتنا توفي في الثالث والعشرين من شهر آب فانتشر نعيهُ في بيروت ولبنان وغيرهما من مدن سورية وقراها فازدحم الشرفاء والاعيان في كثير منى وطن الفقيد فجرت دموع الاسف عليهِ من كل عين - وكان رحمهُ الله من ارباب الرأي والحزم واللطف والدراية والرواية وطيب الحديث يحب مجالسة الادباء والعلماء وكان ممن احكموا الآداب العربية وحفظوا الامثال والاصول الحكمية حتى كان في ذلك نادرة الزمان ومورد الحجة والبرهان فنسأله تعالى ان يعزي قلب ولده الاديب البارع جناب الشيخ رشيد وجميع آلهِ واصدقائهِ ويهب لهم الصبر الجميل على ذلك الخطب العظيم -

زائر اديب

تقدم ثغرنا في غرة هذا الشهر جناب صديقنا الحميم ووطنينا الكريم الاديب الفاضل والاستاذ الكامل ابرهيم افندي بشاره الشويري نزيل طرابلس الشام ومدير مدارس طائفة الروم الارثوذكس بها ينبها فلقيناه مسرورين برؤياه مبتهجين بحديثه ولطفه حيثين انفسنا بوفوده علينا سالمًا بعد غيبة ثلاثة اعوام صرفها في خدمة العلم وتهذيب الاحداث فنال بين جماعة الطرابلسيين الافاضل شهرة واسعة وصيتًا حسنًا لقاء ما بذله من الهمة العالية التي لا تعرف الملل في تثقيف من اتُمن عليهم مهدًا بتهذيبه لهم القويم سبل نجاح الاوطان وعمرانها كيف لا وهم رجال الغد وعليهم يتوقف تحسين الهيئة في الايام المستقبلة

وانا نثني على وجهاء تلك المدينة الاماثل الذين عُرفوا بحبتهم للعلم والعلماء فسهلوا باعمالهم المشكورة وادابهم المشهورة طرق التعليم وخوّلوا المعلمين وسائل الراحة والاجتهاد بما يبثونه في افئدة اولادهم من الرغبة في التحصيل والميل للاشتهار وقد شاهد احدنا ذلك عيانًا من سنتين حين مروره بطرابلس فرجع شاكرًا مسرورًا اما حضرة الاستاذ ابرهيم افندي فسيصرف في مدينتنا ولبنان شهرًا كاملاً يشفي به غليل اشتياقه برؤية احبائه ثم يعود راجعًا ليقوم باعباء منصبه راقته السلامة وصاحبه الهناء في الصفاء والحل والترحال

مدرسة كفتين

هي مدرسة انشأها بجوار مدينة طرابلس نخبة من افاضل ووجهاء الطرابلسيين الباذلين الهمة في رفع لواء العلوم والمعارف وتوسيع نطاق التمدن والتهذيب فسالوا على ما اتوهُ شكر العموم وثناءهم العميم وقد بلغنا عن نجاح طلبتها في هذه السنة ما يسرفؤاد كل وطنيٍّ غيور واملنا انها تدوم راقية معارج التقدم والفلاح بسعي واجتهاد صديقنا الفاضل حضرة رئيسها داود افندي عيسى وكبير اساتذتها في العام القادم جناب الاديب الاريب انطون افندي شحيبر

قدوم

عاد الينا من القطر المصري جناب اللبيب المكرم سليمان افندي قرداحي فنصد تبديل الهواء فنهنئهُ بسلامة الوصول ورجوعه في ديارنا هناءً وصفاءً

سفر

سافر في اوائل هذا الشهر الى برلين حضرة الدكتور الفاضل واللغوي الشهير المسيو

هرتمن كشلير قصلاتو دولة المانيا في ثغرنا وهو من المتضلعين باللغة العربية وقد تعين مدرس هذه اللغة في مدارس برلين الشرقية

المرسلون الاميركان

تسوءنا مطالعة ما ينشره مراسلو بشير اليسوعيين في كل اسبوع من الطعن على المرسلين الاميركان الافاضل وكنا نود ان نذكر لقراء الصفاء طرفاً من اعمال اولئك الدعاة الودعاء المشكورة والمبرورة لولا ضيق المقام وختم الباب المخصوص بذلك فموعدنا اذاً العدد التالي وليس مرادنا نفي ما ربما ارتكبه هولاء الاقوام من الخطإ قولاً وعملاً بل كاناس وطنيين محبين للامة والبلاد نشهر على رؤوس الاشهاد شكرنا لخدماتهم الكبيرة العائدة على الوطن بالخير والفلاح ونحث ابناء سورية الكرام على الاقتداء بهم والاخذ عنهم كل ما هو مفيد حتى اذا ما ادركوا الغاية المطلوبة امكنهم الاستغناء عن الاجانب وعن كل ما هو اجنبيّ

وانا قد عجبنا من سكوت النشرة الاسبوعية وتغاضيها عما يذيعه مكاتبوا البشير ولعلنا انها تبادر الى المحامة من تحامل على اصحابها عداوة وعدوانا

اغلاط طبع

ورد في الصفحة ٢٨٦ بالسطر ١٢ واصل بالوزن والصواب واصل الوزن وبالسطر ٢٤ من الصفحة نفسها لم نصيبهُ والصواب لم نصبهُ وفي الصفحة ٤١٢ بالسطر ٢٥ لما معناه والصواب بما معناه .

اعلان

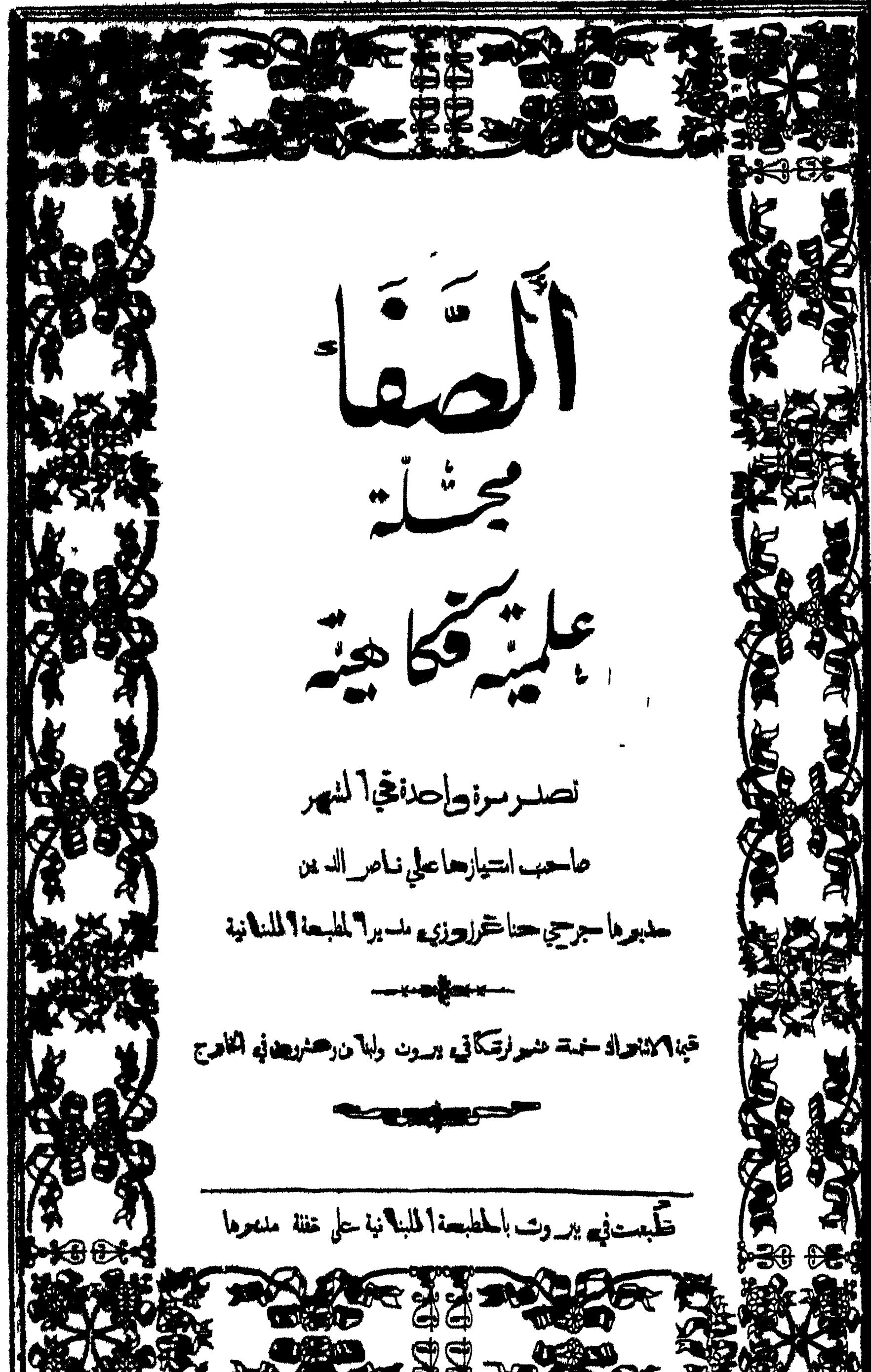
المرجو من حضرة مشتركي الصفاء في بيروت والجهات ان يدفعوا لمدير الادارة او لحضرة وكلائها الكرام ما عليهم من قيم الاشتراك في هذه السنة وان لا يعتمدوا عند الدفع الا على الوصولات المطبوعة وعليها اسم ادارة الصفاء والمضاة باسم وختم مدير المجلة المذكورة

كاتبه

جرجي حنا

غرزوزي

الجزء السادس　　تموز (اوغسطس) سنة ١٨٨٦　　السنة الثانية



الصَّفَا

مجلّة علميّة فكاهيّة

تصدر مرة واحدة في الشهر

صاحب امتيازها علي ناصر الدين

مديرها جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

قيمة الاشتراك خمسة عشر فرنكاً في بيروت ولبنان وعشرون في الخارج

طُبعت في بيروت بالمطبعة اللبنانية على نفقة مديرها

اعلان

المرجو من حضرة مشتركي الصفاء في بيروت ولبنان وسائر الجهات ان يدفعوا قيمة الاشتراك الى ادارة او لحضرة وكلائها الكرام ما عليهم من قيم الاشتراك في هذه السنة وان لا يعتمدوا عند الدفع الا على الوصولات المطبوعة وعليها اسم ادارة الصفاء والممضاة باسم وخط مدير المجلة المذكورة كاتبه

جرجي حنا

عزار وزي

المطبعة اللبنانية في بيروت

مستعدة لطبع الكتب العربية والافرنجية والجرائد ومن كمبيالات وحوالات واعلانات وغير ذلك باسعار مهاودة . وهذا بيان بعض مطبوعاتها ومؤلفاتها وهي تطلب في بيروت من ادارتها ومن بقية المكاتب وفي الجهات من وكلاء هذه المجلة

تاريخ الرومانيين

من بناء رومية الى حين تلاشي الحكومة الجمهورية

هذا الكتاب المفيد قد وضعه في اللغة العربية نجيب افندي ابرهيم طراد واودعه بعبارات منسجمة رشيقة انتقادًا ادبيًا وملاحظات تاريخية عديدة ولا ريب ان المتفكهين ومحبي درس التاريخ ومعرفة آثار واعمال مشاهير رجال الاقدمين يسرون بمطالعته لانهم يرون فيه اصل اكبر ممالك العالم واشهرها في الزمان القديم والحديث مدينة صغيرة نمت وارتقت الى اوج المجد والفخار بفضائل بعض رجالها العظام وملكت بشجاعتهم اكثر الاقطار المعروفة ومن المؤكد ان درس تاريخ الرومانيين فيه لوازم للاحداث الاولى يقتبسون منه محبة الوطن والفضيلة سبب تقدم كل بلاد وعمرانها . ثمنه ٥ اغرشًا

تاريخ

الدولة المكدونية والممالك التي انفصلت عنها

قد الف هذا الكتاب نجيب افندي ابرهيم طراد وذكر فيه اولاً كيفية تقدم الممالك وتاخرها واوجز المقال بتاريخ اجداد فيلبس لجهل المورخين حقيقة حالهم ثم اخذ في قص اخبار فيلبس فشرح وفصل وابان اجتهاد ذمستينوس خطيب اثينا البليغ في اضرام نار الشجاعة بقلوب مواطنيه واثبت بعده تاريخ اسكندر ذي القرنين ضاربًا صفحًا عن خرافات كثيرة رواها الاقدمون وذاكرًا غيرها مع التنبيه عليها واظهر بعد موت هذا البطل حالة سلطنته الواسعة وانقسامها وختمه بخضوع جميع الممالك المنفصلة عنها لسلطة الرومانيين ثمنه ١٠ غروش



الجزء السادس من السنة الثانية

في ١ و١٣ آب ١٨٨٧ الموافق ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٠٤

قيفاوس

هو صورة نجوم ترسم على الخرائط والكرات الفلكية بهيئة ملك متشح بالثوب الملكي على رأسه تاجٌ من النجوم وفي يده اليمنى صولجان موجهة الى ذات الكرسي عند الاقدمين وهي زوجة الملكة كسيوبا يدفع به عنها . ورجله اليسرى على القطب الشمالي وهو على الشمال الغربي من ذات الكرسي وعلى امد خمس وعشرين درجة منها قرب لوى التنين الثاني

وفي هذه الصورة خمسة وثلاثون كوكبًا ظاهرة لمجرد العين ثلاثة لامعة منها على الكتف اليسرى وهناك الفا وهو كوكب من القدر الثالث اضوأ نجوم الصورة يسمى الذراع اليمنى يتكون منه ومن نجمين آخرين بيتة وبعد اقربهما ثماني درجات وبين هذا والا بعد اثنتا عشرة درجة خط منحنٍ قليلاً تقعرهُ الى الشمال الشرقي ابعدهما غما على الركبة اليمنى ويسمى الراعي على امد تسع عشرة درجة من الكتف الخضيب وهو نجم منير في ذات الكرسي والاقرب بينا وهو على المنطقة ويسمى القرق وهذا النجم على ثلثي البعد بين الذراع اليمنى والقطب الشمالي ويكاد يكون معهما على خط مستقيم . ويعرف راس الصورة بثلاثة كواكب من القدر الرابع على حاشية المجرة على هيئة مثلث صغير حاد الزوايا على امد سبع درجات الى الذراع اليمنى والى شرق هذه الذراع كوكب صغير على الصدر يسمى الفرحه

وصعود هذه الصورة المستقيم ٣٢٨ درجة . فعلى ذلك يكون على امد اثنتين وعشرين درجة من الاعتدال المداربة

وفي اساطير الاولين قيفاوس ان احد ملوك الحبش اسم زوجته كسيوبيا وهي ذات الكرسي وابنتها اندروميدا وهي المرأة المسلسلة خطبها منها فرساوس وذهب قيفاوس في طلب السلخ الذهبي

والذراع اليمني نجم مضيء على الكتف اليسرى كما سبق صعوده المستقيم اثنتا عشرة ساعة وخمس عشرة دقيقة وميله احدى وستون درجة واربع وخمسون دقيقة

والفرق نجم مزدوج على الجانب الايسر من منطقة قيفاوس .

والراعي نجم مزدوج ايضاً صعوده المستقيم ثلاث وعشرون ساعة واثنتان وثلاثون دقيقة وسبع واربعون ثانية وميله ست وسبعون درجة واربع واربعون دقيقة وسبع ثوانٍ شمالاً وسوف يكون نجم القطب بعد ٢٣٦٠ سنة

ودلتا نجم مزدوج في التاج صعوده المستقيم اثنتان وعشرون ساعة وثلاث وعشرون دقيقة واربع عشرة ثانية وميله سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وتسع ثوانٍ شمالاً .

وهذا النجم متغير ومدة تغيره خمسة ايام وثماني ساعات وثلاثون دقيقة

وعلى مرفق قيفاوس الايسر قنو عظيم كثير النجوم صعوده المستقيم عشرون ساعة وثمانٍ وعشرون دقيقة وسبع عشرة ثانية وميله ستون درجة وست دقائق وثماني ثوانٍ شمالاً

وبين راس قيفاوس وسلسلة المرأة المسلسلة قنو غير نياسي صعوده المستقيم ثلاث وعشرون ساعة وسبع عشرة دقيقة وعشر ثوانٍ وميله ستون درجة وثلاث واربعون دقيقة وثانية واحدة وهو على ثلث البعد بين قيفاوس والمرأة المسلسلة



رطوبة الهواء

(تابع ما قبله)

وقد لوحظ ان مقدار المطر السنوي يختلف اختلافاً عظيماً في محالّ كثيرة على سطح الارض . ففي المناطق الحارة حيث يعظم انتشار البخار كثيرًا ويصعد بلا انقطاع الى الجوّ يكثر المطر ويستمر بهذا المقدار حتى تسمى منطقة سطح الارض هذه بمنطقة المطل الدائم كما سيأتي في الكلام على حركات الهواء . وهذه المنطقة مع ما هي عليه من وفرة الامطار يزداد وقوع

المطر عليها ان عارض فيها يرتفع عظيم من الارض مجاري الهواء الرطبة الحارة . فسلسلة جبال خاسي يعارض امتدادها مجرى الرياح المسماة بالارياح الموسمية الآتية من الجنوب الغربي حاملة البخار من خليج بنكالا . ولنتيجة تلك الارياح بعلوها على تلك السلسلة الى الهواء البارد تتحول رطوبتها الى مطر حالاً فيبلغ معدل المطر السنوي النازل هناك من ٥٠٠ قيراط الى ٦٠٠

وبناء على ما تقدم يعدم المطر او يقل في كل صقع وقع خلف سلسلة من الجبال التي تحجب عنه الرياح حاملة البخار . فيكثر المطر في سلسلة جبال غاس الغربية في الهند الواقعة على ممر الريح الموسمية الحارة التي تأتي بالبخار من الاوقيانوس الهندي حتى يبلغ على قننها ٢٦٠ قيراطاً سنوياً . واما البلاد التي الى الجانب الشرقي من تلك السلسلة فقليلة الامطار جداً بالنسبة اليها ومعدلها السنوي ستة وعشرون قيراطاً ونصف قيراط فقط

وسلسلة جبال انتدز العالية في اميركا لا تبقي من رطوبة الرياح الهابة من الشرق الى القارة ولا تذر . وحينئذٍ تهب الرياح الجافة الى بيرو التي يكاد المطر يكون مجهولاً فيها . واقل من ذلك مطراً الاصقاع التي تمتد من شمالي افريقية الى العربية ومن هناك الى اواسط اسيا . وكلها تحمى فيها التربة الرملية الجافة مدة النهار كثيراً جداً . ولا ماء هناك فيتبخر فيصعد الهواء الحار الجاف . والرياح الآتية على الصحراء لا يمكنها ان تلقي من رطوبتها شيئاً لانها عوضاً عن تبردها بسيرها تزداد حرارة وتساق الى الجو بالمجاري الصاعدة

وفي بعض البلدان تهب الرياح بعض السنة الى جهة وما بقي من السنة الى جهة خلافها ويصحب هذه الرياح الدورية مطر على الاغلب حين تسير من اصقاع حارة الى ابرد منها . ويكون الاقليم جافاً اذا اتته الرياح من الاصقاع الحارة . ويكون في مثل هذه الحال بعض الفصول ماطراً وبعضها جافاً . فمن الجهة الواحدة ترى الريح الجنوبية مثلاً تأتي بالامطار الى الهند مدة حزيران وتموز وتروبها بعد حرارة نيسان وايار المحرقة . ومن الجهة الاخرى نرى الريح الباردة تجري من الجبال الشمالية الى سهول هندستان مدة تشرين الثاني وكانون الاول وكانون الثاني ويكون الشتاء حينئذٍ بارداً جافاً . وفي اوربا الشمالية الغربية وعلى الغالب يكون وقوع المطر في اجزاء الارض الواقعة في الاقاليم المتجمدة والمعتدلة على غير انتظام فيبتدئ يزيد في نهاية الخريف ويستمر كذلك مدة الشتاء الى الربيع . ولكن يعظم مقداره وتطول مدته احياناً في الصيف ايضاً

ويظهر ان المطر الذي يقع على الارض نقي تقريباً كأنه ماء طبيعي مقطر والحق انه ليس

بنقيٍ مطلقًا لانهُ يشتمل احيانًا على مقدارٍ ليس بقليل من الاقذار على ما ذكرناهُ في غير هذا المقام . فيصحبهُ بعض الهواء مع الحامض الكربونيك وغيرهِ من الحوامض وبعض الغازات والابخرة الموجودة قليلاً في الهواء بجدرها المطر بنزولهِ مع دقائق أُخرى عائمة بكثرةٍ في الهواء. هذا ومقدار عظيم من دقائق المادة الالية المتناهية في الصغر ينشأُ عن اندثار الحيوانات والنباتات وفوق هذا ملايين من الآليات الحية المجهرية العائمة في كل انحاء الجو السفلي - ولكن في الهواء الجيد العادي يقل مقدار الاقذار المختلفة جدًّا بلا ريب . فاقلها في هواء الجبال النقي واكثرها في هواء المدن الفاسد . فالمطر يغسل الهواء من الاقذار وينقيهِ ويجعلهُ صحيًّا كما ذكرنا سابقًا وفي الوقت عينهِ يأتي التربة بموادٍ تفيد في نمو النبات كالامونيا المنتشر في الهواء . وعلاوةً على كل ما يفيدنا بهِ المطر من المنافع يجعل التربة ريًّا خصبة يملأُ مصادر الانهار والينابيع وينظف الهواء الذي نتنفس فيهِ

الثلج

اذا بلغ برد الماء درجة ٣٢ ف باي علةٍ كانت واي محلٍ كان سواء كان على البر او على البحر او في الهواء لا يمكن ان يبقى على حال السيولة بل يجمد كما مرَّ

ويتكوَّن الثلج في الهواء بتجمد الدقائق المتكاثفة من بخار الماء فتقع على الارض كذلك او تقع بَرَدًا او كليهما مع الماء على مقتضى الاحوال التي يتكوَّن فيها او مقتضى حال طبقات الهواء المتوالية التي لا بدَّ له ان يجتازها بنزولهِ - فبعد ان تهبط درجة الحرارة بنسبة صعود الهواء من سطح الارض لا تكون نقطة الجليد عالية فوق سطح الارض كثيرًا . فيمكننا ان نتصوَّر خطًّا فوق رؤوسنا في الهواء مارًّا من قطبٍ الى قطب قصد اظهار الاجزاء الهوائية التي درجتها ٣٢ ف اي الحد الذي لا بدَّ من ان يتحوَّل الماء عندهُ جمدًا . وتحت هذا الخط يتحوَّل الجمد الى سائل بلا ريب . فمثل هذا الخط معرض الى تعاريج كثيرة صاعدة ونازلة بحسب العرض وفصل السنة ومجاري الهواء المختلفة . ففي اتكلترا مثلاً يسفل في الشتاء حتى يبلغ سطح الارض ولذا ترى سطوح البرك والسواقي هنالك مغطاة بقشرة جليدية مدة الفصل البارد واما في الصيف فيعلو الارض ميلاً ونصف ميل وفي الهند ثلاثة اميال

فلنتصور اذن هذا الخط المتعرج او الحد غير المستقيم ونتأمل في الاشكال التي يوجد فيها الجمد هناك او الصور التي ينزل بها على الارض . فقد ترجح اعظم ترجيح ان الغيوم البيضاء

الرقيقة التي نراها في اعالي الهواء صيفاً مؤلفة من الثلج . واما النثرات الثلجية التي تتكوّن في اسافله فتقع على الارض وهي تساق بكل ريح او نسيم مهما كان ضعيفاً لخفتها التي تضاهي خفة الريش

فاذا نظرنا في نثرة ثلجية تكوَّنت في هواء ساكن وجدنا لها هيئة منتظمة والواقع انها مبنية من بلورات جليدية كأنها ابر صغيرة محكمة الترتيب مجتمعة بهيئة نجمية ذات ستة اشعة سطح كل منها ريشي الشكل من وفرة البلورات الجليدية الصغيرة المصطفة على جوانبها . واشكال تلك النثرات كثيرة متنوعة الا انها لا تخرج عن كونها بشكل نجم مسدس الاشعة . وما تلك الاشكال الا تغيرات تطرأ على ذلك الشكل النجمي . وكل من تلك الاشعة يبعد عن الآخر زاوية هي ٦٠° ولا عبرة لما يعتري شكل النثرة الثلجية من التشويش فانك ترى دائماً ان هذه الزاوية محفوظة بين كل الاشعة . فكل الجليد مركب من دقائق فيها خاصة الترتيب على شكل بلورات مسدسة حتى في الصفائح الصلدة التي تتكون على سطوح الانهار والبحيرات في الاقاليم الباردة ايام الشتاء ولو ظهر ان هذا التركيب يغلب وجوده في النثرة الثلجية فقط

ولون الثلج ابيض ولكن اذا نُظر في كل نثرة وحدها ظهر انها بلورة صغيرة او مجموع بلورات من جليد شفاف متلألئة بالوان متشوشة . فينشأ لون الثلج الابيض عن اتحاد هذه الالوان المنعكسة عن سطوح الجليد الصغيرة وافرة العدد . ومثل ذلك يظهر بياض لون الملح المجتمع في اناء واحد مع ان كلاً من بلوراته التي تتركب منها شفافة لا لون لها

وحين يكون الهواء شديد البرد جدًّا اي تحت نقطة الجمد كثيرًا يظهر ان شكل الثلج الواقع نثرات صغيرة جدًّا اشبه بسحوق ابيض . واعظم النثرات تقع حين تكون درجة البرد نقطة الجمد تقريباً . ولا يقع الثلج الاعظم في شدة الصقيع الشديد بل يحدث قبلهُ او بعدهُ لان الهواء يخسر من قابليته لبخار الماء بنسبة تبرده فمتى بلغ معظم البرد اصبح جافاً

والثلج لا يقع على قسم عظيم من الكرة ولا يظهر الا متى هبط الحد الذي درجته ٣٢ الى سطح الارض او قربه بل يقع على البلدان التي هبطت درجة حرارتها الى ٣٢ ف وكلُّ مرتفعٍ من الارض علا ذلك الحد وقعت الرطوبة عليهِ ثلجاً . فجبال حملايا لفرط علوها في اعالي الهواء البارد يستمر الثلج على رؤوسها طول السنة ولو كانت في محلٍّ من احرّ انحاء الكرة . فحد الثلج الاسفل يهبط على الجانب الجنوبي من تلك السلسلة العالية الى حد ١٦٢٠٠ فوق سطح البحر او اسفل من الجانب الشمالي منها بنحو ٣٠٠٠ قدم لانه على الجانب الاول من ذلك الجبل البارد تتكاثف الرطوبة التي تأتي بها الريح من الاوقيانوس الهندي وتتحول الى ثلج فيهبط

الريح منها جافًا الى الجانب الشمالي . ولأن الهواء الجاف الآتي من سهول تيبت الحارة يمنع الثلج من على الجانب الشمالي

فخط الثلج او حدهُ الدائم هو الخط الذي تحتهُ حرارة الصيف كافية لان تذيب كل الثلج وفوقهُ يزيد وقوع الثلج على ما تذيبهُ حرارة اشهر الصيف . ويمكننا ان نشخص ذلك الخط كقنطرة عظيمة منظورة مركزها يرتفع كثيرًا على الاصقاع الاستوائية ويسفل طرفاها الى موازاة سطح البحر قرب القطبين او ضمن الدائرتين الشمالية والجنوبية . وتحت مركزها الحرارة عظيمة جدًّا حتى لا يُرى الثلج الا على اعلى الجبال التي علوها من نحو ١٥٠٠٠ قدم الى ٢٠٠٠٠ قدم عن سطح البحر وتحت طرفيها حيث درجة الحرارة واطئة كثيرًا يستمرّ الثلج دون ذوبان حتى في ساحل البحر

والثلج يفيد كثيرًا في الشتاء بوقايته النبات من الصقيع الشديد لانهُ موصل غير حسن للحرارة فيحفظ التربة والنبات من سرعة انتشار الحرارة عنهما

فالنبات والتربة التي هي تحت قرار بطيء قليلة من الثلج تبقى ناعمة غير مضرورة زمن الصقيع واما في المحال التي يذري الريح ثلجها عنها فتجمد التربة وتتصلب حتى تبلغ في بعض الاحيان الى عمق ١٨ قدمًا

ومتى تراكم الثلج فوق الحد الثلجي المعين انضغط فصار جليدًا وزحف الى الاودية جبالاً من الجمد

الرَّدهة

حين يسوق الريحُ الثلجَ بعنفٍ تتكسر بلوراتهُ المتقنة التركيب فاذا حدث ذلك عند ارتفاع درجة الحرارة او وقوع الثلج المقذوف في طبقةٍ حارة من الهواء اخذت تلك البلورات في ان تذوب بعض الذوبان فتصل الى الارض رَدْهةً اي ثلجًا ذائبًا

البَرَد

هو قطع الثلج وكرياتهُ واجزاء الجليد التي تقع من السحاب . وكريات البرد تكون في الغالب صغيرة بيضاء الا انها تختلف في الحجم والشكل فتارةً تكون مستديرة وطورًا مخروطة واونة غير قياسية . واحيانًا تتخذ اشكالاً متبلورة ولو كان ذلك نادرًا وتكبر احيانًا فتصير كجوز البيض . واذا التقى ونزل عدةٌ منها في الهواء معًا اتحدت وجمدت وبلغت الارض كتلاً كبيرة من الجليد غير قياسية . والبرد في الصيف اكثر حدوثًا منهُ في الشتاء وفي الاقليم الحار

منه في البارد . وقد ظُنَّ في الغالب انه يحدث من التقاء مجاري الهواء الباردة بالحارة الرطبة على ان كيفية حدوث هذا التغيير لم نعرف تماماً الى الآن . ويصحب البرد غالباً العواصف وقوات الرعود ويقترن بتغييرات كهربائية في الجو . والعواصف البردية تكون احياناً شديدة الاتلاف فان قطعها الكبيرة تحطم اغصان الاشجار وتتلف النبات . وتضرب الحيوان والانسان وتقتلهما في بعض الاحيان وتؤذي الابنية ايضاً .

والخلاصة ان الهواء يترطب بالبخار الصاعد من كل سطح الارض من الانسان والحيوان والجماد ولا سيما المياه بواسطة حرارة الشمس . وان معظم البخار يكون عند هبوب الرياح الحارة الجافة في احرّ ساعات النهار ولا سيما في الاقاليم الاستوائية . وان فاعلي التبخر والتكاثف يوازن احدهما الآخر اي ان ما يصعد من الارض بخاراً يرجع اليها ماء . وان البخار يتوسط بين اشعة الشمس والارض فيمنعها عن ان تشع حرارتها الى الفضاء بسرعة ويقيها من الاحتراق بتلك الاشعة نهاراً ومن القرس الشديد ليلاً ولانه يسحب حرارة من الجسم الباخر تسمى بالحرارة الخفية لا يشعر بها الا متى رجع الى اصله المائي . وان اشكاله تختلف باختلاف درجة الحرارة فيظهر تارة بشكل الضباب او السحاب او الغيوم وطوراً بشكل الصقيع او كريات الندى او قطرات الماء ولكنه بشكل ذرات الثلج او حبوب البرد او قطع الجليد . وانه يبقى بخاراً عند ٢١٢° ف درجة الغليان وجامداً كالجليد والثلج والبرد عند ٣٢° ف درجة الجليد وسائلاً كالماء فيما بينهما . وان الندى يحدث في صفاء الجو ليلاً بواسطة تشعع الارض حرارتها بحيث تصير ابرد مما عليها من الهواء فتبرده فيتحول بعض بخاره الى قطرات الندى على سطح الارض . وان السحاب والضباب يتكوّن من التقاء الهواء الرطب الحار بهواء ابرد منه او بارض او بغيرها كذلك بحيث يزيد بردهُ على درجة الندى فيتكاثف ما به من البخار ويتحول الى كريات صغيرة هي السحاب والضباب فوق سطح الارض . وان الغيم هو نفس السحاب والضباب الا انه اعلى منهما في الهواء واشد كثافة احياناً يتكوّن اعظمه نهاراً ويتحلل ليلاً . وان حركات الهواء على نوعين احدهما عمودية تصعد بها وتنزل والثاني افقية تسير بها من جهات الى اخرى حتى يضاد بعضها بعضاً على ما يظهر من حركات الغيوم المتخالفة التي تسوقها تلك المجاري التي بعضها حار فيحل بعض الغيوم وبعضها بارد يكوّن بعضها الآخر . وان الغيوم تتكوّن في اعالي الهواء بواسطة صعود البخار اليها وليس ذلك فقط بل يتكوّن بعضه على قنن الجبال العالية التي يصطدم بها الهواء الرطب الحار فيبرد . وانه تتكوّن باشكال كثيرة كل منها يتكوّن باحوال مخصوصة في الجو ولكل اسم خاص به بعضه صفائح متناهية في الرقة وبعضه طبقات ضخمة تمتد احياناً فتغطي وجه

السماء . وكلها تنعل فعل آلات الاستنطار يتكاثف بها البخار وتنزل منها الامطار - وان المطر آخر درجة من درجات تكاثف البخار الذي يصير حينئذٍ سائلاً ثقيلاً يعجز الهواء عن حمله . وان وقوعه يتوقف على مقدار البخر ولذلك يكثر في الاقاليم الاستوائية ويقل او يعدم في القطبية ويعتدل فيما بينهما . على ان هذا لا يطرد بسبب اتساع البر والبحر والتقائهما واختلاف سير المجاري الهوائية فيطرأ عليه التغييرات المذكورة وهذا علة قلة المطر في بعض انحاء السكرة كالارض الخالية من الجبال والاشجار كالصحاري ولا سيما الموافقة خلف الجبال العالية التي تحول ما في الهواء من البخار مطرًا فيجتازها الهواء جافًا . وبالعكس بالعكس . وان مياه المطر مشوبة بالاقذار كبعض الحوامض والغازات والدقائق الالية والاحيات الحية الى غير ذلك مما يعوم في الهواء فبنزلة المطر معهُ فينقي الهواء ويمد التربة بما يفيدها كالامونيا . وان الثلج مؤلف من دقائق جامدة تترتب على شكل مسدس ونثراتهُ لا تحول عن اشكال النجوم مسدسة الاشعة ولو طرأ عليها بعض التغيير - ولونهُ الابيض ليس الا انعكاس الالوان بلوراته المتشوربة الشفافة خالية اللون . وانهُ يفيد التربة والنبات فيقيها من الصقيع الشديد ويصد انتشار ما فيها من الحرارة فيحفظها سالمة بخلاف ما اذا ذرى الريح ثلجها عنها - وانهُ متى تراكم اصبح جليدًا . واذا قذف الريح نثراتهُ في هواء قليل الحرارة تكسرت بلوراتهُ المتنة فذابت قليلاً ونزلت الى الارض رذمة (ثلجًا ذائبًا) . وان البرد قطع ثلج او كرياتهُ وعلتهُ لا تزال غير معروفة ولكن قد رُجح انهُ ينشأ عن اصطدام مجرى هوائيّ بارد بآخر حار رطب . وان حبوبهُ مختلفة الاشكال بعضها مستديرة او مخروطة قياسيًا وبعضها غير ذلك تارة تكون صغيرة وطورًا كبيرة كالبيض . وانهُ في ما حرّ من الزمان والمكان اكثر منهُ في ما برد منهما وبصحبهُ غالبًا بعض العواصف والرعود فيضرّ بالحيوان والنبات والجماد فسبحان الخلاق الحكيم

البراكين

من قلم جناب الاديب البارع الياس افندي بهنا

اشارت مجلة الصناعة الى البراكين في كلامها على الزلازل وذكرت بعض صفاتها في بحثها عن بنية الارض وقصدتُ الان بهذه الرسالة شرح ذلك بالتفصيل فاقول

البركان او جبل النار تعريب كلمة (فولكانوس) اللاتينية وهي في الاصل اسم اله النار الروماني الذي ظُنَّ أنَّ لهُ أكوارًا او مجامر تحت الارض في اسافل جبل اتنا . ويطلق البركان على كل مرتفع من الارض مخروط الشكل يقذف بالمواد النارية من باطنهِ سواء كان رابية او جبلاً . وكل فعل ينشأ عن البركان يسمى بالهيجان البركاني . فمتى كان البركان هائجاً انبعث من قنتهِ او من شقوقٍ او منافذٍ على سفوحهِ غازات او بخار او ماء او غِرْيَل (وحل) او غبار او حجارة او ذوب الصخور . ومن البراكين ما هو ساكن وهو الذي يستمر زمانًا طويلاً دون ان يبدي ما يدل على الفعل البركاني العادي . ومنها ما هو خامد او منطفئ وهو الذي لم يُعرف انهُ هاج منذ قرون كثيرة ولو كان باطنهُ مستمرًا على الحركة ومنها ما هو هائج وهو ما استمر على هيجانهِ كما سنبينهُ

ويختلف حجم البراكين من اكمة صغيرة قطرها اذرع قليلة كبعض البراكين حول بحر قزوين الى جبل عظيم كجبل كوتو باكسي في سلسلة جبال اندز الذي علوهُ نحو ١٨٨٨٧ قدمًا فوق سطح البحر من ذلك . . . ٤٠قدم في اعلاهُ مغطاة بالثلج وفي قنتهِ منفذ ينقذف منهُ الرماد الحار والحجارة الحامية الى كل الجهات وتتطاير على ما حولهُ من البلاد الى حدٍ بعيد

وفي قمةِ كل بركانٍ تجويف على شكل حوض يقال لهُ فوهة يمتد الى قعر الجبل ومنهُ تصعد المقذوفات البركانية الى السطح . وينقذف من اكثر الفوهات البركانية مقادير عظيمة من دقيق الغبار والحصى على الدوام وتقع على منحدر ذلك المخروط كشآبيب المطر فتزيد اتساعهُ وعلوهُ الخارجيين تدريجًا . وعلى هذا النسق يندفع ذوب الصخور المسمى بالصهارات البركانية اما من قعر تجويف فوهة البركان او من شقٍ او منفذٍ على سفح ذلك المخروط وبعد ان يسيل يبرد ويتصلب وهذا ايضًا يزيد في حجم البراكين اتساعًا

فلما كان البركان يزداد حجمًا وكانت اجزاؤهُ الواهنة تتشقق تراكمت مخاريط صغيرة على جوانبهِ مما ينقذف من تلك الشقوق من الغبار والحجارة وذوب الصخور . وبناء عليهِ قد يكون على جبلٍ بركانيٍ عظيم كجبل اتنا او نتارف براكين صغيرة يبلغ علوها غالبًا خمس مئة قدم او ست مئة قدم

وفي بداءة الانقذاف البركاني تطرق الاسماع اصوات كهزيم الرعد البعيد ويشعر باهتزاز قليل في الارض ثم تشتد هذه الاصوات والاهتزازات وتحدث طلقات قوية متوالية في تجويف البركان . واخيرًا تندفع سحب الغبار والبخار بقوة شديدة الى حدٍ بعيدٍ في اعالي الهواء فيتكاثف البخار سريعًا ويتحول ماء ويقع على ظاهر الجبل مدرارًا . وهذا الغبار الدقيق يندفع الى

الجو احياناً مقادير عظيمة حتى انهُ لكثافتهِ يحجب السماء عما حول ذلك البركان مسافة اميال كثيرة . وفي هيجان بركان بزوف المشهور الذي هدم مدن الرومانيين الثلاث اي هركلانيوم وبمباي وستابيا سنة ١٨٧٩ كان الجو مظلماً كظلمة نصف الليل الى امد اثني عشر او خمسة عشر ميلاً حولهُ وقد نشأ على كل تلك النُّحية قشرة غليظة من الرماد والحصباء . وقد عُرف مقدار انقذاف هذا الرماد وتغطيته الارض تماماً ما ظهر الآن من احد شوارع مدينة بمباي التي انجلى عن بعضها ما كان قد طمرها من المقذوفات البركانية مدة سنة عشر قرناً وعرف غلظ الرماد البركاني على حائطٍ في نهاية ذلك الشارع . واما دقيق الرماد وغيره من المواد فينقلهُ العاصف احياناً الى امد مئات من الاميال قيل ان يسقط على الارض على ما ستبينهُ في الكلام على حركات الهواء

ويتقذف من الفوهة غير هذا الغبار عدد عظيم من الحجارة الكبيرة والصغيرة الحامية الى درجة البياض وكثير منها يصادم بعضهُ بعضاً بصعودهِ ونزولهِ فيكون بها مشهد عجيب في الليل لانارة شرارها ووميضها في الظلام . وقد عرف بعضهم القوة التي بها تندفع تلك الحجارة من ملاحظة ما حدث من الغرائب في بركان كوتوباكسي . قيل انهُ قد انقذف من فوهتهِ صخر قُدِّر ان وزنهُ مئتا وسق او ٨٠٠ قنطار واندفع الى امد تسعة اميال عنهُ . وقد تطايرت الحجارة من بركان انتاكو في شيلي الى امد ٣٦ ميلاً

ويسهل علينا ان نفهم علة ضرورة انقذاف المقدار العظيم من حطام المواد في اوائل الانقذاف العنيف من انهُ في مدة الانفجارات الاولى تتحطم جدران الفوهة وركام الحمم وغيرها من المقذوفات البركانية التي سدت جوف البركان على التمادي الى ان يخرج الكل حطاماً واما الماء الذي تحت ضغط عظيم يبقى في حال السيولة ولو كانت درجة حرارتهِ اعلى من درجة الغليان كثيراً . وهو في حالهِ هذه ربما روّى الصخور الجامدة والذائبة . واذا غلب بصعودهِ قوة الضغط الشديد تحول الى بخارٍ حالاً واندفع بقوة عظيمة جدًّا . ويكون تحول هذا الماء الحامي الى درجة الحمرة او البياض الى بخار شديدًا جدًّا حتى ان الصهارات البركانية تنقذف كفقاقيع كبيرة وتتطاير غالباً كالهباء . وعلة هذه الانفجارات التي تسبب قسماً عظيماً في انقذاف بركان عظيم هي بلوغ اجزاء الماء درجة عالية من الحرارة على التوالي وتملصها من تحت الضغط الشديد واندفاعها غازًا . فيندفع في كل انفجار كرة عظيمة من البخار الى الهواء فتتكاثف حالاً وتصير غيوماً بيضاء . وتلك الغيوم اما ان تنحل وتنتشر عائمة في اعالي الجو واما ان تزداد تكاثفاً فتقع مطرًا

ونستطيع ان ندرك ايضاً علة زوال النسم الاعلى من مخروط بركاني في اوائل الانقذاف الشديد من أنَّ المواد المتدفعة من جوف البركان تدفع تلك القنة فتكسرها وترفعها حطاماً ثم تسقط اما على الفوهة نفسها واما على منحدر ذلك الجبل . وافصح نوع الاتلاف هذا ما ظهر من بركان بزوف . فانهُ في اول القرن الاول من التاريخ المسيحي كان بركاناً ساكناً لم يعرف انهُ هاج وانقذف منهُ شيء ولكن كان لهُ فوهة عظيمة على قنتهِ نبت عليها النجم ودوالي نظير فوهة جبل اوسترونو وغيره من البراكين المنطفئة الآن قرب نابولي . وفي سنة ٧٩ هاج ذلك الهيجان الهائل العظيم وطمر بومباي بمدفونه وفطار منهُ جانبهُ الجنوبي الغربي وتكوّن مخروط جديد اصغر من الاول كثيراً ضمن دائرة الفوهة السابقة

ولا ريب في ان قوة تمدد الماء والبخار المحصورين العظيمة تدفع الصهارات صعداً في جوف البركان . وبعد الانفجار الاول نرى المواد البركانية المصهورة جارية اما من قنة المخروط او من مركز او اكثر على جوانبه . فاذا كانت جوانب الجبل صلدة حتى تقاوم قوة الضغط العظيمة الناشئة عن عمود ذوب الصخور الصاعد المحصر يلاوب هناك دون ان يجد منفذاً حتى يلاً الفوهة الى مساحة اوطاء جزء من طرفها الذي من فوقهِ ينصب على الجبل . ويوجد في الجبل غالباً بعض محال واهنة لا تحمل الضغط الشديد كالشقوق التي احدثتها الانفجارات السابقة فتنصدع وتصير مخرجاً للمواد الذائبة الى منحدرات المخروط الظاهرة

ويندر من مناظر الطبيعة ما هو اشد هولاً من تجيج المواد البركانية الذائبة حين تنفجر وتنصب على أحضة الجبل . فانها تكون حال خروجها ساخنة جداً بنور ابيض وجارية بغزارة اشبه بالحديد المصهور فيتغير لونها بسرعة الى الحمرة وتظلم فيكون ظاهرها حينئذ قد تصلب واصبح قشرة سوداء ثم تتشقق تلك القشرة وتتحطم فتصير قطعاً رمادية خشنة . واما الجسم العظيم الذي ضمنها فلا يزال حامياً الى درجة الحمرة يرى من خلال تلك الشقوق . ويرى مجرى ذوب الصخور وسائر المواد البركانية على بعد قليل من نقطة بروزها مثل نهر مؤلف من قطع كثيرة من رغوة المعادن بالاطم بعضها بعضاً وينقلب بعضها على بعض بصوت معدني اجش مظهرة هنا وهناك لمعان الطوفان الناري الذي تحتها والذي تعوم عليهِ . ويتصاعد من كل اجزاء ذلك الجسم المتحرك سحب من الابخرة الحامية . وسرعة سير ذلك السائل تختلف باختلاف انحدار الارض والبعد عن مركز الخروج وغير ذلك من العلل . ففي سنة ١٨٠٥ قطعت الصهارات الثلاثة الاميال الاولى من بركان بزوف في اربع دقائق مع انها شغلت ثلاث ساعات حتى بلغت ابعد نقطة وصلت اليها ولم تكن على ابعد سوى ستة اميال . وفي

سنة ١٨٤٠ قطعت صهارات بركان مونولوا في جزائر صندوج ١٨ ميلاً في ساعتين

باقيه فيما يليه

كتاب العرف الطيب

من قلم جناب العالم الفاضل الدكتور بشاره افندي زلزل

(تابع ما قبله)

قد ذكرت فيما مضى شيئًا مما جلى به صاحب العرف الطيب في حلبة شرح ديوان ابي الطيب منوهًا بما اتاهُ من حسن البيان ورصانة التعبير وما كوشف به في استنباط دقائق معاني هذا الديوان بما توفر له من اسباب التنقيب والتنقير وساجل التبريز بين اصحاب الكشف والتفسير موردًا على ذلك من اوابد الشواهد ما احتمله الكلام وسعة المقام وقد بقي ثمَّ اشياء جليلة لا يجمل الاغضاء عنها ومباحث طويلة اجتزئ بذكر طرف منها فمن ذلك تحقيقاته في اللغة والاعراب وغيرهما من الاحكام اللسانية مما بلغ فيه مبلغًا دلَّ على شدة تبحره في أسرار العربية على انه ولا مراء طلاع ثناياها الذي لا يجارى وكشاف دفائنها وخفاياها الذي لا يبارى فهو على قوة ضلعه فيها وما له من سعة الاطلاع وتوقد الذهن ومضاء اليراع لم يعمد الى النقل والاتباع ولكنه تولى تحرير كل مسئلة بنفسه وتدبرها بما اوتيه من سداد العلم بموارد اللفظ ومصادره وثقوب النظر في مواقع الخطاء والصواب مما صير هذا الشرح كتاب علم بالحقيقة كما قال جديرًا بان تُتلقى عنه دقائق المسائل ويتخرج عليه في اللغة والنحو وسائر علوم الادب وانا اورد ههنا بعض ما اتفق لي العثور عليه من الامثلة على ذلك في الكتاب لتكون انموذجًا لغيرها مما لا يتسع المقام لذكره ولا تكاد تخلو صفحة عن شيء من مثله وذلك نحو قول صاحب الديوان

انتِ الغريبةُ في زمانٍ اهلهُ ... وُلدت مكارمهم لغير تمامِ

قال ابن جني « انتِ الغريبةُ لانه اراد الحال او الخصلة او السمة » قال الواحدي « واخطأ في هذا لانه لا يقال للرجل انت الحال الغريبة والصحيح ان يقال الهاء للمبالغة لا للتأنيث كما يقال راوية وعلامة او يقال انت الفائدة الغريبة ». اه وهذا القول الاخير فيه رجوع الى قول

ابن جني وانما الفرق في التمثيل وقال ابو العلاء « انت الغريبة اي الخصلة الغريبة او الحالة الغريبة وقبل ادخل الهاء للمبالغة كقولهم فلان كريمة قومه » وهو بين القولين وفي هذه الاقوال كلها من التلفيق والتكلف ما يغني تأملة عن التنبيه عليه . على ان الهاء للمبالغة لا تأتي الا سماعًا لانك لا تقول زيد فاضلة ولا عمر وفصيحة كما تقول رجل علامة . واظهر من ذلك كله ما جاء في العرف الطيب ونص عبارته « الغريبة اسم لما يستغرب والتاء فيها للاسمية كما في عجيبة ونحوها » . اه . وهو القول الفصل الذي لا حزازة فيه واحسب ان هذا هو المعنى الذي حام عليه الشراح الا انه لم يتهيأ لهم وجهة بما يصيب شاكلة المراد . ومن ذلك قوله

لنوره في سماء المجد مخترقٌ لو صاعد الفكر فيه الدهرَ ما نزلا

وقد فسر الشراح لفظ صاعد بمعنى صعد وجعلوا الفكر فاعلاً له ولم يأتِ صاعد في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكروه ولا يساعد عليه القياس ولذلك ردهُ في العرف الطيب الى معنى المشاركة اخذًا بالقياس المشهور في هذه الصيغة ونصب الفكر مفعولاً به على ان فاعل صاعد ضمير المجد فجاء البيت سديدًا في اللفظ والمعنى كما ترى . ومن ذلك قوله في رثاء ام سيف الدولة

بعللها نطاسيٌّ الشكايا وواحدها نطاسيٌّ المعالي

وقد فسر الواحدي يعللها بقوله « اي يمرضها ويزيد علتها طبيب الامراض » اه . وهو عكس المقصود اذ ليس من غرض الشاعر ان يذم طبيبها ولا سيما انه يصفه بالنطاسي وهو الطبيب الحاذق فضلاً عن ان المقام لا يحتمل ذلك والصحيح في المعنى ما ذكرهُ في العرف الطيب قال « اراد يعللها يعالجها من علتها كما يقال مرّضهُ » . اه وهو مقصود المتنبي وبه يستقيم معنى البيت كما لا يخفى على ان هذه اللفظة لم تأتِ على ما اعلم في كتب اللغة لا بالمعنى الواحد ولا بالمعنى الآخر غير ان المتنبي اجراها قياسًا على مثلها كما تنبهُ عبارة العرف الطيب وقد اشار الى عدم ورودها بقوله « اراد بيعللها » الخ تنبيهًا على ان استعمالها بهذا المعنى من تصرفات الشاعر ولهذه اللفظة نظائر كثيرة في الديوان يشير اليها في الشرح مثل هذه الاشارة وهو مما ينبغي التنبه له . على ان استعمال علل بمعنى عالج مسموع في كلام المولدين ومنه قول ابي فراس الحمداني يذكر والدته حين كان في الاسر

عليلةٌ بالشآم مفردةٌ بات بايدي العدى معللها

يعني يعللها نفسه وهو في هذا المقام بمعنى الطبيب كما بعلة البصير بادنى تأمل . ومن ذلك قوله

اما تغلط الايام فيَّ بان ارى بغيضًا تنآي او حبيبًا تقرّبُ

وقد ذكر في شرح هذا البيت ما نصهُ «تنآي تفاعل من النأي وهو البعد يقال نأى وانأى ينة على افعل ولكنهُ نقلهُ الى فاعل كما يقال ابعدتهُ وباعدتهُ وروى الواحدي تنأّيه بالتشديد وهو غير منقول ايضاً» اه . ولا يخفى ما في هذا التنبيه من التبصرة للطالع بحيث انهُ اذا تعقب النقل عن المتنبي يكون على بينة مما ينقلهُ هل هو قديم او مولد وبدون ذلك يتسع باب الخطآء في اللغة كما هو الواقع اليوم في كلام كثير ممن يأخذون عن كلام المولدين من الشعراء وغيرهم ومن ذلك قولهُ في مدح سيف الدولة

وما كان ادناها لو ارادها ... وألطفها لو انهُ المتناولُ

الضمير في ادناها وارادها والطفها عائد الى النجوم المذكورة في البيت السابق قال الواحدي «وفي جميع النسخ والطفها برد الكناية الى النجوم ولا معنى له والصحيح والطفهُ برد الكناية الى الممدوح اي ما الطفهُ لو تناول النجوم على معنى ما احذقهُ وارفقهُ بذلك التناول من قولهم فلان لطيف بهذا الامر اي رفيق يعني انهُ يحسنهُ وليس باخرق» اه . وفسر ابو العلآء البيت بما نصهُ «يقول ان النجوم تقرب له اذا ارادها غاية القرب ولو اراد ان يتناولها لكانت اقرب الاشياء اليهِ» اه . والظاهر ان الواحدي اخذ معنى الطفها من لطف بهِ اي رفق وابا العلآء اخذهُ من لطف الشيء دنا ولا شيء من ذلك بمفيد غرض المتنبي ويوضح حقيقة معنى البيت . على انهما قد نفضا عليهِ غبار الخطآء والتكلف وقد نفضهُ عنهُ صاحب العرف الطيب بتفسيره معنى الطفها «باخفها» من لطُف الشيء يلطف لطفًا ولطافة اي صغر ودق ضد ضخم وكثف فهو لطيف فرد بذلك حقيقة المعنى الى نصابها ودخل البيت من بابها . ومن تلك الامثلة قولهُ

لا افتخارٌ الاّ لمن لا يضامُ ... مدركٍ او محاربٍ لا ينامُ

قال الواحدي في شرح هذا البيت «كان الوجه ان يقول لا افتخارَ بالفتح كما يقال لا رجلَ في الدار وانما يجوز الرفع مع النفي بلا اذا عطف عليهِ ولكنهُ اجازهُ بغير عطف لضرورة الشعر» اه . فجعل الرفع في البيت ضرورة بناء على ان لا هي النافية للجنس وفيهِ تقصير لا يخفى والوجه ما ذكرهُ في العرف الطيب بقولهِ «لا هنا مشبهة بليس ولكن لا عمل لها لانتقاض نفي خبرها فالرفع بعدها للتجرد» اه . فانظر الى هذا البيان الشافي الذي لا يترك في النفس حاجة مع ما فيهِ من الايجاز والوضوح . ومثلهُ قولهُ

وما عشت ما ماتوا ولا ابواهمُ ... تميم بن مرٍّ وابن طابخة أدُّ

وقد ذكر هنا الواحدي ما نصهُ «كان الوجه ان يقول لا ماتوا كما تقول ما دمت حيًّا لا احزن ولكنهُ حذف الفاء ضرورة كقولهِ من يفعل الحسنات الله يشكرها» اه . ولم يتعرض في العرف

الطيب لشيء من هذا لان كلام المتنبي صحيح لا غبار عليه ووجه ان جواب ما ماضي فلا تدخله الفاء كما تقول ان قام زيد قمنا او لم نقم بخلاف المثالين اللذين ذكرهما فان الجواب في الاول مستقبل وفي الثاني جملة اسمية فلا تؤثر فيهما اداة الشرط ولذلك تلزمهما الفاء على ما هو منصل في كتب النحاة . وعكس ما في هذا البيت قوله

يعضد الدولة امتنعت وعزت وليس لغير ذي عضد يدان

فان الشراح فسروا هذا البيت ولم يتعرضوا فيه لشيء وذكر صاحب العرف الطيب في شرحه ما نصه « قال الواحدي يقول الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلمن لا عضد له . . . وعليه فالضمير من قوله امتنعت عائد على المضاف اليه من قوله بعضد الدولة فهو على حد قولك بغلام هند مررت اي مررت هند بغلامها وهو كما تراه » اه . قلت ولا يرد على كلام الشارح جواز عود الضمير الى المضاف اليه في نحو قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا الا ان ما تضمن ضمير المضاف اليه في الآية غير عامل في المضاف كما هو في بيت المتنبي . وقوله

ذي الارض عما اتاها الاس خالية وغيرها كان محتاجا الى المطر

وقد رأيت له هنا كلاما دقيقا يقول فيه « وقوله وغيرها الى آخره من التراكيب التي ظاهرها اثبات امر للغير والقصد فيها الى نفي ذلك الامر عمن لم يثبت له سواء ثبت لغيره ام لا وذلك كما تقول وغيري يفعل هذا اي انا لا افعله وهو كثير الاستعمال ومن اظهر الامثلة عليه قول المهذ اني يخاطب ابن اخيه وان قصرت ولا خالك فغيري خالك وهذا ما يتعرض له اصحاب البديع » اه . ولا جرم ان هذا من بديع استنباطه الذي استخرجه بسعة رويته وحدة ذهنه وهو لعمري من لطيف انواع البديع الحقيقة بان تضاف الى ركنه . وتزداد محاسنها على حسنه . ومثل ذلك ما ورد له في نقد قول ابي الطيب وهو ما جاء في تذييل الكتاب

فتى الف جزء رأيه في زمانه اقل جزيء بعضه الراي اجمع

فانه بعد ان تكلم على ما في هذا البيت من التعقيد والابهام ذكر علة هذا التعقيد بما نصه « وانما ورد عليه ذلك من قبل ما فيه من تداخل المعنى وطول سلسلة الاجزاء بسرد اربعة ابتداءات فيه فقد اخذ بعضها برقاب بعض وصارت كالشيء الواحد وهذا ما لم ينبه عليه علماء المعاني » الى اخرما اورده مما لم يتقدمه فيه سابق . ولا يدرك غايته فيه لاحق . وبهذا ومثله يعرف المنفضل . ويستدل على النجابة والنبل

وكل طريق اتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخطى

ويلحق بما تقدم تحقيقه المسائل العلمية وتتبعه الوقائع التاريخية حال يخبط فيه الشراح الى ما هو

ابعد من اللغة والاعراب وفي الديوان شيءٌ كثير من ذلك اذكرنا بعضاً من انموذجاته بياناً لمنزلة هذا الشرح وتنويهاً بموضعهِ من الصحة واصابة شواكل الحقيقة عن بحث دقيق وتروٍ عميق فمن الشواهد على ذلك انهُ لما انتهى الى قصيدته في سيف الدولة التي يقول في مطلعها

ذكر الصبى ومراتع الآرامِ جلبت حمامي قبل وقت حمامي

وجد رواة الديوان يذكرون في جملتها هذا البيت

ياسيف دولة هاشمٍ من رام ان يلقى منالك رام غير مرامِ

فاسقطهُ من متن القصيدة واشار اليهِ في الشرح ثم قال بعد تفسيره ما نصهُ «والبيت منحول في الصحيح لان سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب الاَّ سنة ثلاثين وثلاث مئة لقبهُ بهِ المتقي العباسي كما ذكرهُ ابو الفداء والقصيدة نظمت سنة احدى وعشرين وثلاث مئة» اه . وهذا مما لم ينتبه لهُ غيرهُ وكفى بهِ دليلاً على سعة اطلاعهِ ودقة تنقيبهِ . ومن ذلك تحديدهُ مملكة كافور الاخشيدي في شرح قول المتنبي فيهِ

يدبر الملك من مصر الى عدنٍ الى العراق فارض الروم فالنوبِ

فان الظاهر من هذا البيت ان هذه الاماكن كلها داخلة في مملكة كافور وهو ما نصرهُ بهِ الشراح ولا يخفى ما فيهِ ولذلك عدل في العرف الطيب عما قالوهُ وعاد بالمسئلة الى التاريخ فاثبت منهُ عن ابن خلكان ان حدود ملك كافور تنتهي الى هذه الاطراف لا انها داخلة في مملكتهِ لان مملكة كافور كانت على ما يستفاد من كلام هذا المؤرخ الشهير من مصر الى الحجاز وما اليهما من الديار الشامية وموقعها بين البلاد المذكورة وهي من حولها . وكذلك ما ذكرهُ في شرح معنى قولهِ

وقلنا لها اين ارض العراق فقالت ونحن بتربان ها

يخاطب النياق في رجوعهِ من مصر الى الكوفة وقد ذكر الشراح في تفسير هذا البيت ان تربان من ارض العراق ومن الغريب ان اول من قال ذلك ابن جني وقد كان معاصراً للمتنبي متتبعاً لحوادثهِ في حلهِ وترحالهِ مشافهاً لهُ في شرح كثير من اشعاره ونقل عن ابن جني من جاء بعدهُ من الشراح بغير نكير ولم نجد من حاد عن قولهِ الاَّ صاحب العرف الطيب فانهُ رسم طريق المتنبي في سفرته تلك فذكر ان تربان موضع بقرب المدينة يبعد عنها نحو خمسة فراسخ على ما هو في لسان العرب واستدل عليهِ بقول المتنبي قبل هذا البيت

وامست تخبرنا بالنقا ب وادي المياه ووادي القرى

والتقاب موضع قرب المدينة يتشعب منه طريقان احدهما الى وادي المياه والآخر الى وادي القرى فيكون تربان هو الموضع المنصوص عليه في لسان العرب ثم استظهر على كون المراد هنا الموضع لا موضع اخر من ارض العراق بانه لو كان كذلك لم يكن للبيت معنى ولم تظهر نكتة في سؤالهم عن ارض العراق وهم فيها. وبيان نكتة السؤال في محلها من الديوان فلا نطيل باستيفاء الكلام عليها. ولعمري ان هذا منتهى التحقيق البالغ الى ابعد غاية من التمحيص والتدقيق وبهذا وامثاله يعلم قدر هذا الشرح ومزيته على سائر الشروح

ومن بدائع تحقيقاته ما اورده من الكلام على تفسير لفظة الثلام في قوله

سهاد اتانا منك في العين عندنا رقادٌ وقلامٌ رعى سربكم وردُ

فانه رجع في بيان كنهه الى نص ابن البيطار في مفرداته فاستخرج منه الكلام اللائق بالشرح ما يدل على صفات هذا النبت وخواصه وبحقق مراد الشاعر بذكره في البيت ومعلوم ان الشارح ليس نباتيًا ولكن ترى لو سئل نباتي عن معنى القلام ولم يعرفه هل كان يجتهد بالبحث عنه هذا الاجتهاد ولم يبلغ من ذلك تفسيره لقوله من القصيدة التي ودع بها عضد الدولة عند انصرافه من عنده

فلو سرنا وفي تشرين خمسٌ رأوني قبل ان يرو السماكا

فانه اتى فيه من البحث الدقيق بما لم يسبقه اليه احد ولا يصدر مثله الا عن ذكاء بصيرة وغزارة مادة وذلك انه لما لم يجد في كلام الشراح ما ينطبق على الصحة ويقرب من اصابة الواقع رجع في بيان مقصود المتنبي الى حساب مبادرة الاعتدالين حتى علم منه زمان طلوع السماك للعهد الذي قال فيه هذا البيت على ما بين ذلك في تذييل الكتاب ثم تتبع حساب خلل السنة القيصرية اي اليوليوسية ومقدار ما كان عليه حينئذ حتى تأتى له تعيين يوم طلوعه من السنة الشمسية لذلك التاريخ وذلك بعد ان قدر المسافة التي بين شيراز والكوفة اميالا الى ما يتصل بتحقيق هذه المسئلة مما كشف عن المعنى كشفًا لا يحتمل مغالطة ولا يعرض عليه ريب وابرز هذه الحقيقة الى عالم الظهور بعد ان مضى عليها نحو من تسع مئة سنة من السنين الشمسية وهي تحت ظلمات الجهالة والخفاء ولا يخفى ان هذه المسئلة من المسائل الفلكية الجليلة التي تشهد له بطول الباع عند علماء هذا الفن ومن المطالب الخارجة عن حدود التفسير واللغة وبيان المعاني الشعرية الى ما يدخل في العمليات المحضة على ما فيها من دقة العمل وصعوبة المعاناة في مزاولة المطلوب واستخراجه مما يشهد له بسعة التبحر وقوة الثبات

وهنا لا بدَّ لي ان اذكر شيئًا عن التذييل الذي ختم به هذا الكتاب وقفى به على اثر ذلك

العمل الكبير بمنزلة فذلكة لما مرّ به في اثنائه من الاعتبارات ومواضع النقد والتنبيه وما يتصل بذلك من الكلام على دواعي هذا التأليف أولاً وفي تمهيد طريق التحصيل في وجوه طلبة العلوم الادبية من ابناء لغتنا العربية وتلبية دعوة الدارسين والمتأدبين الى نشر هذا الشرح وتمكين الطالبين من فوائده الكثيرة فلم تجزله نفسه الكريمة الآن تجرد لهذا العمل الطويل على ما فيه من المشقة والنصب قضاء لحق الطلب وبرًّا بوالده الطيب الذكر استاذي العلّامة الشهير فانه أبقى هذا الشرح منسوبًا اليه اعتبارًا لكونه هو الواضع الاول له مع انه كان قد اقتصر فيه على تفسير بعض الابيات المعضلة واعراب بعض المسائل المشكلة مما عنّ له في اثناء مطالعاته وتدريسه ولعله كان ينوي ان يتمه على تراخي الايام ثم حيل بينه وبين هذه الامنية بفراغ الاجل ولذلك بقي هذا الاثر الكريم غُفلاً حتى قيض الله له ابن بجدته اعني به ابن استاذنا المشار اليه ناسج برد هذا الشرح الذي احيا رسمه واوضح رسومه واكبّ عليه اناء الليل واطراف النهار بما اوتيه من الفكرة الوقادة والبصيرة النقادة يسدّ خلله ويعدل منآده حتى اذا فرغ منه اذ هو كتاب من اجل ما انتجه المعصر بل ذخيرة من اكرم ما خبأت خزائن الدهر ولا غرو فان كتابًا بنى متنه مثل ابي الطيب ونسج شرحه مثل صاحبي العرف الطيب لخليق بان يبرز من بين هولاء الثلاثة آية تشهد بمعجزها الايام وتتلعثم عن استيفاء وصفها السنة الاقلام

ولقد احسن وايم الله غاية الاحسان في تهذيبه لهذا الديوان بطرح بعض ابياته وان هي الا عدد يسير مما تمجه ادب النفس ولا يجوز التأنق في حلقات الدرس فانه بذلك اصبح حريًا بان يكون مرجعًا للتهذيب والتثقيف املاً لان يتخرج عليه كل طالب في علوم اللغة والادب ومذاهب الشعر على غير غشاثة ولا نكير على انه ان كان قد احسن بطرحه من الديوان تلك الابيات المستهجنة فلقد زاد في الاحسان بان زاد على المروي منه في سائر النسخ اكثر من مئة بيت مما تفرّق في كتب شتى ولا يتفق الظفر به مجموعًا في غير هذا الكتاب وقد أتمّ صنيعته بان شرح تلك المرويات من القصائد والمقطعات على نحو ما شرح به سائر الديوان على حين لم يتعرض احد لشرحها قبله فصار الكتاب بذلك متمًا كامل الفوائد متوفر العوائد ولضيق المقام اجتزئ بذكر بعض من تلك الابيات صنيعًا المطالع الى مراجعة شرحها في موضعه من التذييل ليعلم فضل المؤلف وتظهر مزية المولف فمن ذلك ما يروى للناظم من قصيدة وقد كثر المطر بآمد

تغضبت الشموسُ بها علينا ... وماجت فوق أروسنا البحارُ

حنينَ النجبِ ودّعها حجيجٌ   كأنّ خباءنا لهمُ جمارُ

فان البيت الثاني من مشكل الكلام الذي لا يعقل له معنى ولا يهتدى الى مخرجه وقد شرحه هناك شرحاً كشف عويصه وجلى ظلماته بما دلّ على ثقوب ذهنه وتبحره في اسرار المعاني ومن ذلك قوله من قصيدة اخرى يمدح جعفر بن الحسن

أظعن بالقلب مع من ظعن   حبيبين اندب نفسي اذن
ولم لا اصاب وحرب البسوس   بين جفوني وبين الوسن

وقوله من هذه القصيدة ايضاً

فما للفراق وما للجميع   وما للرياح وما للدمن
كأن لم يكن بعد ما كان لي   كما كان لي بعد ان لم يكن

وقوله معاتباً معاذاً الصيداني

قل لي بحرمة من ضيعت حرمته   أكان قدرك ذا ام كان مقداري
لا عشتُ ان رضيت نفسي ولا ركبت   رجلٌ سعيتُ بها في مثل دينارِ

وقوله من قصيدة في هجاء كافور

قضاءٌ من الله العلي اراده   ألا ربما كانت ارادته شرّا
وأكفرنا كافور حين تلوح لي   ففارقت مذ زانك الشرك والكفرا

وقد اطلق بعد ذلك قلمه في نقد الديوان وبيان منزلة شعر المتنبي فنفى ما يتوهمه كثيرون حتى من خاصة اهل العلم بالشعر من ان مزية المتنبي على غيره من الشعراء قائمة باستغلاق كلامه وخفاء معانيه واثبت ان ما كان كذلك من شعره فمردوده الضعف وخفة البضاعة ثم اثبت ان المتنبي في ذلك متحد لابي تمام ومذهب ابي تمام في ذلك مشهور متعارف وانه انما كان يتعمد هذا التحدي في اوائل امره وحين يقصد الاحتفال وأيده لقوله وهذا نظر بين شعر الشاعرين مما تفننا فيه على ذلك وهو مما لم اجد فيه كلاماً لغيره

ولقد تكلم بعد ذلك على عامة شعر المتنبي في كل طور من اطواره وتتبعه في كل حال من احواله ثم وصفه وصفاً مدققاً اذا طالعته وجدته اشبه بمرآة تمثل لك خواطر المتنبي في ريعان امره وعند استفحال شعره وفي اواخر عمره وترسم لك حركات نفسه في اوقات استرساله وفي آونة تعمله واحتفاله وما كان يبدو من ارتياح يزيد نشاطه ويصده من مهابة تزيل انبساطه مما اختلفت فيه صور كلامه وتباينت طرق نظامه اذ الكلام صادر عن النفس فهو صورة احوالها واثر ما يطبعه الوجدان في خيالها ثم توسط بينه وبين الشراح

فيما قصروا فيه عن ادراك معاني كلامه فبيّن ما كان التقصير فيه من جهته لما فيه من لبس التعبير وابهامه وما كان التقصير فيه من جهتهم لغفلتهم عن اصابة غرضه مع وضوح بيانه وظهور مكانه ولقد اطاعه القول في هذا المقام فقال وجال في هذه الحلبة احسن مجال فتبسط في البحث تبسطاً عجيباً وشعّب الكلام فيه تشعيباً غريباً حتى كان هذا الذيل تأليفاً قائماً بنفسه من اجلّ ما أُلف في النقد قد حوى ابكار افكار تعزّ على الخطاب ولو بذلوا فيها اغلى النقد ومنه يعلم ما كان له من طول الباع في استنباط معانٍ للمتنبي لم يلمّ بها من تقدمه من الشراح ورياضة صعاب طالما جمحت على كبراء فرسان البلاغة فلم يردّ لها جماح وهو مع ذلك كله محافظ على حسن الادب مع اولئك الائمة العظام غير متجاوز معهم خطة الاجلال والاحترام سجيةٌ لا تصدر الا عن اعراق في الكمال وشأنٌ لا يرى الا في الاخلاق الكرام من الرجال

قلت ومن غريب الاتفاق في هذا المقام انني كنت مرة اقرأ هذا الديوان على استاذي الطيب الذكر والد المحدَّث عنه في النسخة التي بنى عليها ولده هذا الشرح فوجدت في اخرها نبذة نقلتها من خطه ذكر فيها اسماء الذين تكلموا على شعر المتنبي من الشراح وغيرهم ثم ذكر بعد ذلك ما نصه « وهذا دليل قاطع على شرف هذا الديوان وفضله على غيره من دواوين الشعراء لان اعظمها لم يتجاوز شرحاً واحداً وذلك يستلزم كون الشارح قد استوفى شرح كل ما في ذلك الديوان فلم يبقَ شيءٌ لغيره بخلاف هذا الديوان الذي تشعبت فيه الطرق على الشراح فذهب كلٌّ منهم مذهباً غير مذهب صاحبه اوكوشف عالم بما لم يكاشف به الاخرون حتى احتمل ان يشرحه ما فوق الاربعين من افاضل العلماء ولعلّ من تعرّض ايضاً لشرحه يجد فيه شيئاً قد اغفله هولاء الشراح لما فيه من سعة المعاني واختلاف الجهات فتبارك الله احسن الخالقين » اه . قلت وهذا الكلام الاخير من عجيب ما جرى به قلمه وكأنه قد نطق به عن تلقين الغيب واومأ الى صنيع ولده المشار اليه لانه حقق هذا القول بما تداركه من معاني الديوان التي غفل عن تعقبها المتقدمون ووجد فيه بدل الشيء اشياء تفوت ما كان يتخيل في الظنون واحسب انه لو عاد اليوم وتصفح هذا الشرح لم يجد بعده مساغاً لتكرار هذا القول فسبحان الواهب الذي لا تفرغ نعمة ولا يحصيها عدد — وان هذا الشبل من ذاك الاسد ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والا فلا لا

المناظرة والمراسلة

سعادة الانسان

وردت الينا هذه الرسالة من حضرة الاديب الفاضل محمد افندي توفيق بمصر القاهرة

كما ان علماء الفلسفة المادية يصعدون كل يوم بمنظار الافكار الى اوج الدائرة العليا من فلك الاثير وينزلون بمسبار البحث الى حضيض تلك الدائرة ليقفوا على حقيقة يوردونها مورد الظهور في هذه الهيئة الاجتماعية كذلك نجد علماء الفلسفة العملية يضعون تلسكوب القياس ومنظار القول الشارح ويرقون على مدارج الاشكال الى دائرة فلك السعادة الابدية ويسبرون كل غور من اغوار النتائج التصورية والتصديقية ليظهروا لهذه الهيئة حقائق سعادتها الابدية التي بدونها لا يتمكن هذا النوع المتقوم لهذه الهيئة من التسلط على بقية الانواع او انه يتسلط عليها تسلطاً مضراً بهيئته غير جار على قاعدة وجوده الاولى

وقد ارتفع الى طود جو الحقيقة طائف وراء الظاهر ما عمد اليه ارباب الماديات مائلاً بحسب غريزة كل موجود الى العمليات ونبغ في طريقه الباحث المدقق في الوقت الحاضر وان كان العصر خادمة واتفقا على تزيين صحائف (الآداب) بغرائب المعقولات وبدائع المنقولات فاورد من محاسن اعمالها ما اعجب به وناريخ هذا العصر التوفيقي دام مجد موفقها لما شاء ولكني اجعل لجواد القلم مجالاً في هذا الميدان ولحسام اللسان صولة في هذا المضمار تخطيت مراحل البعد الشاسع الذي بيني وبين هذين الفارسين اللذين انتصرا على الظواهر بحقيقة المحبة الوطنية وانتهجا سبيل الاخلاص لهذه الامة المصرية وخططت بقلم المعترف بالتقصير عن هذا السباق وعديم اسباب التساوي والا لحاق عبارة اقتطفتها من بديع انشائها وعلقتها من لطيف حديثها ليكون كاملاً لسعادة الانسان ما بقي من الحديث اليها الا وهما ابواه ومنشأ صدوره الى هذا الوجود

لقد علم كل عاقل ان للانسان كمالاً تقتضيه الصورة النوعية وكمالاً يقتضيه موضوع النوع

من الجنس القريب والبعيد وسعادته التي يضره فقدها ويقصدها اهل العقول المستنيرة قصدا مؤكدا اختلف فيها فان كانت الاول وذلك انه قد يمدح في العادة بصفات يشارك فيها الاجسام المعدنية كالطول وعظم القامة فان كانت السعادة بهذه فالجبال اتم سعادة من الانسان وان كانت بصفات يشارك فيها النبات كالنمو المناسب والخروج الى مخاطط جميلة وهيئات ناضرة فالشقائق والورد اتم سعادة من الانسان وان كانت بصفات يشارك فيها الحيوان كشدة البطش وجهورية الصوت وزيادة الشبق وكثرة الاكل والشرب ووفور الغضب والحدة فالاسد اتم سعادة من الانسان فثبت ان الكمال الذي تنتصب الصورة ليس هو الكمال الذي به تتم سعادة الانسان كما انه لو كان الثاني متمم السعادة الابدية لما امكننا ان نتمم سعادة الانسان كما يرام

وقد يمدح في العادة لصفات يختص بها الانسان كالاخلاق المهذبة والارتفاقات الصالحة والصنائع الرفيعة والجاه العظيم ومن علم ذلك قال ان هذا الكمال عين السعادة لبادىء بدء ولكنه ان نظر بعين الحقيقة رأى ان هذه الظاهرة نطوي حقيقة الفساد وضياع السعادة في سبيل اقتناء السعادة اذ الاخلاق المحمودة المهذبة تخالف عادة عند كمالها الارتفاقات الصالحة وكلتاهما تخالف عادة الصنائع الرفيعة فضلاً عن مخالفة كل نوع من الثلاث لافراده فان الاخلاق المهذبة تشمل الحلم وكمال الحلم جبن

ولا خير في حلمٍ اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوهُ ان يكدرا

وتشمل الشجاعة وكمال الشجاعة تهور

الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو اول وهي المحل الثاني

وتشمل الكرم وكمال الكرم اسراف

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندا

وتشمل كتمان السر وكمال كتمان السر ضياعه

ولا بدّ من شكوى الى ذي مروّة يواسيك او يسليك او يتوجعُ

وهكذا لو اقتفينا الكمالات من الاخلاق لوجدناها تنطبق على قاعدة كل شيء فان حده عاد الى ضده

ومع هذا فاننا نجد الشجاعة تخالف الارتفاقات الصالحة كما انها تخالف الكرم كما اننا نرى الكرم يخالف الصنائع واذا اردنا اقتناء آثار هذه المخالفات لما وفى بحقوق الاقتناء الا المجلدات الضخمة وحينئذٍ نقول ان الكمال المطلوب لهذا القسم لا يسلك من هذا السبيل ونصرفه بعد

هذا الاستقراء الى لزوم الاعتماد على حقيقة تكشفها الفلسفة العملية والا فلا ظهور لسعادة الانسان

والفلسفة العملية كما اسلفنا اكتشفت حقيقة هي اعلى اقسام المكتشفات قيمة وذلك ان الانسان مادة ظاهرة حقيقة العقل او هيكل مبني للنفس الناطقة وعلماء الفلسفة العملية اختلفوا في هذه الحقيقة فوحّدها بعضهم قائلاً ان العقل والروح والنفس واحد والبعض الاخر ثلثها بقوله ان كلاً منها غير الاخر واستدل على تعددها بتعدد اعمالها وفرّع من ذلك الملكات المتعددة التي ترجع حيناً الى العقل تارة الى النفس وتارة الى الروح وليس من السهل استقصاء ذلك في هذه الرسالة التي لم تفرد لاظهار هذه التراتيب المستعصبة على الكتب المطولة

وقد ظهر لنا ان هذا الهيكل الذي نسميه انساناً ما هو الا محل تجلي تلك الحقيقة المثلثة على رأي البعض تثليثاً لا ينفي الانفراد والافتراق او التعدد وانما هو للحد والتعريف نقول

ان الكمال المشار اليه في الحد بقولهم بتقضيه موضوع النوع من الجنس القريب والبعيد هو هذه الحقيقة التي تسامت عن ان يشار اليها او تحد او تعد فانها لا كم ولا كمية ولا تاتي لها من نوعها وما نقوله عنها في الحدود والتعاريف ما هو الا محض افتراض والا فنحن ومن تقدمنا نعجز عن ادراك ماهية النفس لان الحكماء قالوا ان من عرف نفسه عرف ربه وحاشا ان نرى شخصاً من هذا النوع عرف نفسه بطهر الانسانية قبل التجرد من عالم الظلمة الى عالم النور القاضي على هذه الظاهرة الجسمانية الحائلة بينه وبين تلك الحقيقة النورانية الا الفناء كما حصل للانبياء والصالحين وهذا معنى قولهم (العارف بالله) اي المتجرد عن هذا العالم الى ما هو ارقى وابهى وازهى وابهج واروج . . . ومن هنا نتفق على تسمية تلك الحقيقة النفس الناطقة بالنسبة لما يمتاز به الانسان عن الحيوان حساً كان او نبيحاً والروح بالنسبة لما شارك فيه الانسان الحيوان والعقل بالنسبة لما تفرد به الانسان حساً صالحاً بعيداً عن كل قبح وان كنا لا نجهل اقسام الروح فنفترض ان هذه الروح هي الروح الحيوانية البهيمية ونقول الكمال الذي يقتضيه موضوع النوع الخ هو الكمال العقلي الذي انيط به الثواب والعقاب والتكليف ومن هنا نعلم ان هذا هو السعادة المقدرة اذلا بسي الانسان

ولذلك ترى كل امة من الامم تتمدح بأنها عقلاً واسد هاراً حتى انها تتغالى فيه بحسب درجتها فمنهم من جعله الهاً كاليونان في بادىء امرهم ومنهم من جعله نبياً ومنهم من جعله ولياً ومنهم من جعله عالماً فيلسوفاً ونبيهاً وذكياً وخاصلاً فمنشأ هذه المراتب المتفق عليها وجرثومة هذه الدرجات ما هو الا العقل الذي بكماله يتم للانسان ما اراد وبه يسود على من هو دونه من

السذج البسطاء. فالعقل هو الميدان المظهر للاعتدال المطلوب الفارق بين الجبن والتهور والاسراف والامساك وغير ذلك لان اصل هذه موجود في افراد الحيوان فالشجاعة اصلها الغضب وحب الانتقام والثبات في الشدائد والاقدام على المهالك وهذه كلها متوفرة في الفحول من البهائم ولكن لا تسمى شجاعة الا بعد ان يهذبها فيض النفس الناطقة فتصير منقادة للمصلحة الكلية منبعثة من راعية معقولة وكذلك اصل الصناعات موجود في الحيوان كالعنكبوت التي تنسج بيتها في الزوايا مثلث الشكل وربما كان هذا البيت الواهي ادق وارق من صناعة الانسان الكامل بل ربما عجز الانسان عن الاتيان بمثله وهل تجد الكستور يبني في البحار جسورًا وقناطر لو كلف بها انسان لتبهر وظهر من عجزه ما اظهرته العناكب كما اننا نجد المرجانات على الاعماق المعلومة من البحار بصنع الجزر التي يسكنها الانسان بعد تمام صنعها — ولو كلف بناءها من اول الامر لما وجدت مسكونة فهذه الحيوانات تفعل من طبعها ما لا يتمكن منه الانسان وان تجشم الاهوال والمصاعب الا ان هذه الصناعات لازمة لاماكن دون اخرى ولاحوال دون غيرها فهي مضطرة غير مختارة ان تكون كذا ولذلك لا يقال عنها صناعات الا اذا امكن اصطناع المعروف بها للنوع الانساني وليست كذلك وانما تكون كذلك بعد تهذيب الانسان لها بالعقل المدرك لمنافع النوع فانه اخذ من نسج العناكب لنسج القز والصوف وغيرها ومن التبأ الضعيف الواهي هذه القصور الشاهقة الشائقة وانا لسنا في بحث اظهار التاريخ الطبيعي وفضائل الانسان على الحيوان حتى نسنو في ما نوجه التوجيهات الكلامية ولكن نحن في مقام اظهار السعادة الحقيقية التي هي انقياد البهيمية للنفس الناطقة وانقياد الهوى للعقل وكون النفس الناطقة قاهرة للبهيمية والعقل غالبًا على الهوى وسائر الخصوصيات ملغاة وبيان ذلك — ان الامور التي تشمل السعادة الحقيقية على قسمين — قسم هو من باب ظهور فيض النفس الناطقة في المعاش بحكم الجبلة ولا يمكن ان يحصل الخلق المطلوب بهذا القسم — بل ربما يكون الغوص في تلك الافعال بزينتها لا سيما بفكر جزئي كما هو شان الناقص ضد الكمال المطلوب كالذي يطلب تحصيل الشجاعة باثارة الغضب والمصارعة وقطع الطرق ونحو ذلك او الفصاحة بمعرفة اشعار العرب وخطبهم من غير معرفة ما يبنيت عليه والاخلاق لا تظهر الا عند مزاحمات من بني النوع والارتفاقات لا تقتنص الا بحاجات طارئة والصناعات لا تتم الا بآلات مضادة وهذه كلها منقضية بانقضاء هذه الحياة الدنيا فان مات الناقص في تلك الحالة وكان شبحًا بقي عاريًا من الكمال وان لزق بنفسه صور هذه العلاقات كان الضرر عليه اشد من النفع — وقسم انما هو روح ازعان البهيمية للملكية بان تنصرف حسب رحيها وتنصبغ بصبغها

فتمتنع من قبول المواد البهيمية الدنيئة ولا تطبع فيها نفوسها الخسيسة ولا سهل الى ذلك الا ان تقضي الملكية شيئاً من ذاتها وتوحيها الى البهيمية وتفترحه عليها فتنقاد لها ولا تبغي عليها ولا تتنح منها ثم تقضي ايضاً فتنقاد منه ايضاً ثم وثم حتى تثبت العادة بالاستمرار فتعتاد ما يتم بالتمرين وهذه الاشياء التي تقتضيها هذه من ذاتها وتفسرها تلك على رغم انها يجب ان تكون من جنس ما قيدوا نشراح لهذه وانقباض لتلك وذلك كالتشبه بالملكوت والتطلع الى الجبروت فانها خاصة الملكية بعيدة عنها البهيمية غاية البعد او يترك ما تقتضيه البهيمية وتستلذه وتشتاق اليه في غلوائها وهذا هو الحب المجرد للاصلاح بدون انتظار للثواب المعبر عنه بحب صلاح النوع الدال على تمام الكمال العقلي فاذا انتهى بطالب السعادة الحقيقية المسير الى هذه النقطة الشريفة رأى ان يتصف بني جنسه من نفسه ورأى بني جنسه انصافهم من انفسهم للاذعان المطبوع في بني الانسان لكامل العقل فيحصل المساواة المنظور اليها وتتوثق رابطة المحبة بها الى درجة ارقى واكمل ومقام اشرف واعظم من مقام الاخاء . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . ويهاتين الحالتين الملكيتين تنتصر النفوس عن الطمع في مال الاخ وتحجم عن حب الاضرار به وتود ان لو ملكت الدنيا فتتشاركه فيها وتقل الاطماع عما فوق الحاجة فلا يصدر من هذه النفوس المهذبة ما تصادر به سواها ولا يحصل لها بما تضمنه الاخوة معارضة من الغير فتظهر حينئذ الحرية بظهرها الحقيقي لاستعداد الزمان والمكان لها الا وهي السعادة المطلوبة ومن هنا يظهر لك ان السعادة الابدية الحقيقية لا تتم الا بالتربية والرياضات المنتضبة قيام شركات لتحصيل الفائت من الخلق المطلوب فال تحقيق المقام الى ان السعادة الحقيقية لا تنتص الا بالرياضات المودية الى المساواة والاخاء والحرية وهذا معنى الحقيقة المثلثة فالروح المساواة والنفس الناطقة الاخاء والعقل المدبر الحرية ولذلك كانت مصلحة الكلية تنادي افراد الانسان من كوة الصورة النوعية وتأمرها امراً مؤكداً ان تجعل اصلاح الصفات التي هي كمال ثان بقدر الضرورة وان تجعل غاية همتها ومطمح بصرها تهذيب النفس وتحليتها بهيئات تجعلها شبيهة بما فوقها من الملأ الاعلى مستعدة لنزول اكوان الجبروت والملكوت عليها وان تجعل البهيمية مذعنة للملكية مطيعة لها متصنة لظهور احكامها وافراد الانسان عند الصحة النوعية وتمكين المادة لظهور احكام النوع كاملة وافرة تشتاق الى هذه السعادة وتنجذب اليها انجذاب الحديد الى المغاطيس وذلك خلق خلق الله الناس عليه وفطرة فطرهم عليها ولهذا ما كانت في بني ادم امة من اهل المزاج السليم المعتدل الا وفيها قوم من عظمائهم يهتمون بتكميل هذا الخلق ويروية السعادة القصوى ويرام الملوك والحكماء فمن دونهم فائزين بما يخل عن كل شهوات هذه الدنيا ونعيمها ملتحقين بالملأ الاعلى

منخرطين في سلك الملك ونالوا ما لم ينلهُ غيرهم من باني الافراد الا بسلوك سبيلهم ودون ذلك خرط القتاد فهل يمكن ان يتفق عرب الناس وعجمهم على اختلاف عاداتهم وادابهم وتباعد مساكنهم وبلدانهم على شيء واحد وحدة نوعية الا لمناسبة فطرية فكيف لا وقد عرفت ان الملكية موجودة في اصل فطرة الانسان وعرفت افاضل الناس واساطينهم من ذهبت اليهم فنالوا بها درجات عالية في السعادة الابدية الحقيقية متعنا الله بها وادام علينا خدمتها فاننا لا نرجو لها ثوابًا غير المساعدة على اتمام واجباتنا له على ما يشاء فدبر نعم المولى ونعم النصير امين

حل المعمى المدرج في الجزء الرابع

(من قلم المكرم الاريب بشاره افندي اقطون عكاوي)

الغزتَ في غادةٍ كالسهم مقلتها   غدا فؤادك يوم البين مرماها
لا تنطعنْ رأسها عينًا فجنتها   يبين في قلبها سورٌ لاعضاها

لغز

وربَّ فتى ما شيَّب الدهرُ رأسهُ   ويا عجبا كم شيَّب الدهرُ من روسِ
واعورُ ما عاقتهُ نقطة عينهِ   يرى كلَّ شيء وهو يندرُ بالبوسِ
كثير بهِ الاعرابُ كم قد تمثلت   ولم ترهُ عيناي قط بقاموسِ
فمن لي بنحريرٍ مصحف قلبهِ   يجود بحلٍّ رائق اللفظ مأنوسِ

احد قراء الصفا

معمى

من قلم جناب الفتى اللبيب سليم افندي شاهين سركيس

لي في ربوع الصبا قوم اذا ذكروا   بهم قلبي لذكراهم وينفطرُ
ارى جمال محيّاهم واسمهمُ   يرون بالقلب مالا يدرك البصرُ

لدينا رسائل اخرى اجّلنا نشرها لضيق المقام

الرياضيّات

حل المسئلة الرياضية المدرجة في العدد الاول من هذه السنة

(بقلم الاستاذ الماهر المعلم اندراوس عون المحترم من طرابلس)

صورة الشكل المربع

١	٣	٥	٦	٢	٤	٧٢٠
٤	٢	٦	٥	٣	١	«
٦	٤	٣	٢	١	٥	«
٣	٥	١	٤	٦	٢	«
٢	٦	٤	١	٥	٣	«
٥	١	٢	٣	٤	٦	«

٧٢٠ ٧٢٠ الخ

فالستة اعداد التي توضع مكررة ست مرات في الشكل هي كل ستة اعداد مختلفة مطلقاً وقد جعلنا الاعداد هنا ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ لقرب تناولها

والقاعدة لترتيب الاعداد وتكريرها ستاً كما في الشكل هي

ان نضع العدد الاول اي الاصغر كمية من الاعداد الستة في البيت الاول من الصف الاول العرضي والثاني في الخامس منه والثالث في الثاني منه والرابع في السادس منه والخامس في الثالث منه والسادس في الرابع منه . ونرتب هذه الاعداد في الصف الثاني عكس ترتيبها في الاول ثم ننتقل الى الصف الثالث فنضع العدد الاول منها في البيت الخامس منه والثاني في الرابع منه والثالث في الثالث منه والرابع في الثاني منه والخامس في السادس منه والسادس في الاول منه . وفي الصف الرابع ضع العدد الاول منها في البيت الثالث منه والثاني في السادس والثالث في الاول منه والرابع في الرابع منه والخامس في الثاني منه والسادس في

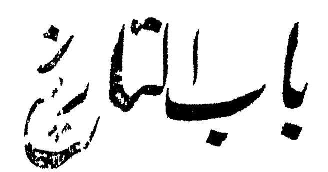
الخامس منهُ وترتب الاعداد في الصف الخامس عكس ترتيبها في الرابع وفي السادس عكس ترتيبها في الثالث فبذلك يتكرر كل عدد ستاً كما يتضح من الشكل المرسوم اعلاه . واذا امتحن يرى ستة اعداد مختلفة وكل عددٍ مكرّر ستاً وحواصل ضروب اعداد كل صف من الصفوف العرضية والعمودية والقطرية بعضها في بعض متساوية وفضلاً عن ذلك اذا جمعت اعداد كل صف من الصفوف المذكورة تكون المجموعات متساوية ولا يوجد عدد مكرر في صف ما واذا شئت ان ترتب غير هذه الاعداد في الشكل المذكور مثل «١٣ و١٤ و١٥ و٣٠ و٣٤ و٣٦» ام غيرها فاعمل كما تقدم جاعلاً الـ ١٣ العدد الاول منها والـ ١٤ الثاني وهلم جرًّا واعلم ان لحل هذه المسئلة قواعد مختلفة غيرا ن هذه ابسطهنَّ

وورد بعد ذلك حلها من جناب صديقنا اللبيب المعلم نابليون الحاربجي في بغداد ذكر بهِ بعض ايضاحات وقواعد للمسئلة فاكتفينا بالاشارة اليهِ لضيق المقام

مسئلة حسابية

من قلم جناب الاديب تامر افندي داود عون من معلقة الداعور

١٦٧٢٨ غرشاً اعطي نصفها لفريق من المنسوبات واعطي النصف الآخر لفريق آخر كان يزيد عن الفريق الاول ٢٤٢ رجلاً واصاب الواحد من الفريق الاول اكثر من الواحد من الفريق الثاني بتسعة غروش فكم كان عدد الانفار في كل فريق وكم اصاب الواحد من كل فريق



باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما قبلهُ)

الى بلاد فلسطين فاقامت افدوكيا بالاراضي المقدسة ستة عشر حولاً كان شغلها الشاغل في اثنائها عبادة الله والتقوى ولما كانت هذه الملكة قد قرأت على ابيها العالم العلامة والحكيم المعلم جميع العلوم العقلية واللغوية واضطلعت بها قدرت ان تنتظم عدة قصائد دينية بليغة وسنة ٤٦٠

مانت باورشليم وعمرها سبعة وسبعون عاماً

وحدث ان احد الاساقفة الانقياء في بلاد فارس ثارت به الغيرة الدينية ودفعته محبة الحق والحقيقة الى حرق هيكل للمجوس في مدينة سوزا فهاج المشعب وماج وطلب عباد النار اضطهاد الفرس المسيحيين شفاء لغليلهم وعقاباً لاولئك ايراياً فلما صدر يزدجرد في آخر سنة من حياته اوامر بقصاصهم الشديد وزاد خلفه بهرام في عذابهم حتى ملوا الحياة وفر كثيرون منهم الى اراضي مملكة القسطنطينية فاستقبلوا بالمحبة والاكرام ورفض الولاة الروماويون تسليمهم للمرازبة الذين طلبوا ذلك فانتشبت الحرب سنة ٤٢١ على قدم وساق بين الفريقين وامتلأت جبال ارمينيا وسهول الجزيرة بجنود المتحاربين وجرت وقائع كثيرة ومعارك دموية بلا نتيجة مهمة او معروفة ومع ذلك فقد روى بعض محبي المبالغة قصصاً وحكايات غريبة وبعيدة عن التصديق كموت عشرة آلاف نفس من الجنود المدعوة بالخالدة عند هجومها على معسكر الروماويين وسقوط مائة الف رجل عربي في نهر الفرات فراراً من الاعداء وخوفاً من المنون والمعلوم او المؤكد ان هذه الحرب انتهت بامضاء عهد صلح لمدة مائة سنة حافظ عليها ومشى بموجبها نحو ثمانين عاماً خلفاء قسطنطين والاكاسرة الساسانيون

وكانت قبائل الهون التي اشرنا اليها مراراً قد قويت شوكتها واشتهر اسمها واخضعت لسلطتها بلاد جرمانيا وروسيا شجاعة وحكمة رئيسها اتيلا الذي يعده المجريون احد ملوكهم الوطنيين وتقدمت جنودها المظفرة الى اراضي الفرس واصلتهم حرباً عواناً من سنة ٤٢٠ الى سنة ٤٤٠ وظن وزراء دولة القسطنطينية ان هذه الحرب تضعف الفريقين وترغم انف الملوك الساسانيين ولكنهم جهلوا ما وراء هذه الامانى من الاخطار والاضرار بمصالحهم اذ الفرس والمادبون غير قادرين على محاربة هولاء المتوحشين الذين متى طغوا عليهم يتشامخون وتزداد اطماعهم بازدياد فتوحاتهم ويستعبدون الروماويين ويملكون اراضيهم المحيطة بها مملكتهم احاطة الاسورة بالمعاصم . وكان في جهة الدانوب الشمالية سوق يجتمع بها التجار للبيع والشراء ويحرسها قلعة رومانية اسمها قسطنطيا فعلى هذه القلعة هجمت فرقة من جيوش البرابرة وقتلت او شتت شمل التجار المجتمعين وهدمت الحصن ودكت اسواره وكانت الهون راضية عن هذا العمل مسرورة به تطلب الى الحكومة تسليم اسقف مدينة مارغس لدعوى انه دخل الى بلادهم ليكشف ويأخذ كنزاً اخفاه احد ملوكهم فرفض بلاط القسطنطينية تسليمه واشتهرت الحرب وانتشرت جنود الاعداء سنة ٤٤١ في بلغاريا وطبريا وكل قسم المملكة الادريني من سواحل بحر الاسود الى شواطئ الادرياتيك وانهزمت جيوش تيودوسيوس ثلاثاً واكتفت راجعة الى شبه جزيرة

ثراكة واخذ اتيلا ورجالة يتهبون ويجرمون ويتمتعون بطيبات بلاد متمدنة طالما تاقت انفسهم الى ولوجها والتجول بها

اما اتيلا ملكهم المدعو بضربة الله فقد خلف عمهُ رجلاس سنة ٤٣٤ واسم ابيهِ موندزك وكان رجلاً قصير القامة معوجاً كبير الراس ملوحاً سفعتهُ الشمس ولهُ عريض الانف وعيناه صغيرتان غائرتان وشعرهُ قليل وكتفاهُ عريضان وكان ذكياً فطيناً شجاعاً يحب الحرب ويؤثرها على كل شيء في العالم قد ولد ليكون داهية متصلة على التمدن والبشر وسيفاً مشهراً لخرب الممالك وقلبها وكانت مملكتهُ ممتدة من بحر البلطيك الى بحر الاسود ومن حدود جرمانيا الغربية الى بلاد الصين

وفي سنة ٤٤٦ صدّق الملك ومملكة القسطنطينية على عهدة اهم شروطها اعطاء اتيلا الاراضي الواقعة الى الجهة الجنوبية من الدانوب من مدينة بلغراد المدعوة قديماً ستغيدونم الى نوفي في ولاية ثراكة وهي اراضٍ واسعة لم يحدد المؤرخون مساحتها ولكنهم قالوا على وجه التقريب انهُ يقتضي لاجتيازها من الطرف الواحد الى الطرف الآخر سفر خمسة عشر يوماً ونقد ملك الهون عاجلاً ستة الاف اوقية ذهب والفين ومائة اوقية في كل سنة واعتاق اسرى الهون الذين اسرهم الرومانيون حالاً وبلا فداء ودفع اثني عشر دينارا عن كل اسير وما في اراد الهرب وتسليم كل رجل صيني او بربري فرّ هارباً من جيش اتيلا بلا مقابلة او تأمين او وعد بالعفو وعقب هذه العهدة مخابرات بين الملكين كانت نتيجتها عاراً وخسارة على ثيودوسيوس وشرفاً وربحاً على خصمهِ البربري

وحدث سنة ٤٥٠ انهُ بينما كان ثيودوسيوس ممتطياً صهوة جواده ومنهمكاً بالرياضة والقنص سقط عن فرسهِ في نهر ليكوس المعروف عند العرب بالخليج ولعلهُ لم يكن بارعاً بركوب الخيل فحدث ما حدث وانكسرت فقارهُ وبعد بضعة ايام مات في السنة الخمسين من عمرهِ والثالثة والاربعين من ملكهِ وخلفتهُ اختهُ بلخاريا التي كانت قابضة على زمام الاحكام كما ذكرت الا انها اتخذت لها رفيقاً ومساعداً ماركيان احد اعضاء المجلس العالي ودعتهُ زوجها بالاسم فقط لانها حافظت على طهارتها وبكارتها الى آخر يوم من حياتها

الفصل الثاني

في ملك ماركيان ومن خلفه الى حين موت انسطاسيوس الاول

من سنة ٤٥٠ الى سنة ٥١٨

ويظهر ان ماركيان كان بارعًا في السياسة والقتال عالمًا ان الحرب مشؤومة تكون نتيجتها على البلاد وبالاً فيجب على الملك الحكيم اجتنابها ما استطاع وهو مستعد لها حتى اذا دعته اليها الاحوال ولم يرَ منها مناصًا شمّر عن ساعد الهمة والشجاعة والاقدام وبادر الى ساحة الوغى غير طالبٍ صلحًا او راغبٍ في سلام ما دام الخوف محيطًا به وجيوش الاعداءِ ساخرة منه وراشقة وعابثة بسهام التهديد والاحتقار وعليه فقد رفض تسمية الدراهم التي تنقلها مملكة القسطنطينية للهون جزية وقال إنْ هي الا هدية يجود بها ملوك الرومانيين على حلفائهم الراغبين في السلام ولم يكن سفيره ابولونيوس لدى الهون اقل شجاعة وشهامة منه فاظهر بمحادثته هؤلاء البرابرة جسارة لائقة به وبشرف الملك العظيم الذي ارسله وهاج فعله وكلام مولاه ماركيان غضب اتيلا حتى انه صمم على محاربته والتنكيل برجال نسل ذلهم وقهرهم ونصراتهم السابقة فارسل الى القسطنطينية رسولاً دخل على الملك وخاطبه قائلاً «ان سيدي وسيدك اتيلا يأمرك ان تهيئ له قصرًا في هذه المدينة لاستقباله» ولم يحارب الهون المملكة الشرقية كما اشار الرسول بل زحفوا الى الغرب ونازلوا البسفوث زمانًا وارتدوا عنهم خاسئين وسنة ٤٥٢ دخلوا الديار الايطالية واخذوا مدينة اكيليا وارادوا محاصرة رومية فمنعهم من ذلك على ما قيل البابا لاون الكبير بنصائحه وارشاده وانصحهم بالعود الى بلادهم فانقلبوا اذ ذاك راجعين وفي السنة التالية مات اتيلا ليلة عرسه واقترانه بصبية بديعة في الحسن والجمال لم يعرف او لم يتأكد المؤرخون اسمها وبعد موته انقرضت مملكته ودولته لاقتسام اولاده ومحاربة بعضهم بعضًا

ولم تنجُ المملكة الغربية بموت اتيلا من بلايا الحروب وويلات القتال وهجمات البرابرة بل كانت في حالةٍ يرثى لها تتنازعها عوامل انقسام الرؤساء وضعف الشعب وخموله وكانت جنودها مقهورة في كل جهة ومخذولة لدى جيوش الامم الكثيرة التي خضعت لها قبلاً فطلبت وهي على شفا الخراب مساعدة شقيقتها الشرقية فاعارتها هذه اذنًا صمّاء ولم تجب طلبها بغير الوعود الكاذبة والحق يقال انها كانت غير قادرة على مساعدتها لضعفها هي ايضًا وانهما كانا في

نزع الفتن الداخلية واجتهادها بتعزيز قوتها وتحصين حدودها ردًّا لهجمات واعتداء اعدائها الاقوياء الكثيرين

وماتت بلخاريا اخت ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٢ وبعد اربع سنوات توفي زوجها ماركيان وخلفهُ ليون الملقب بالكبير وهو قائد عسكري كان خادم احد الشرفاء المدعو اسبار ومدبر منزلهِ فارتقى هذا الرجل عرش القياصرة وتلك الخطة الخطيرة السامية بهمة وسعي مولاه واظهر بعد ارتقائهِ ثباتًا عظيمًا يليق بالملوك وقاوم المحسن اليهِ بكل قدرتهِ دفاعًا عن حقوقهِ الملكية وصونًا لشرفهِ وتوطيدًا لشوكتهِ وراحة شعبهِ فحجب اسبار منهُ واراد توبيخهُ وعذلهُ بكونهِ اخلف الوعد فنفض ثوبهُ الارجواني وقال لهُ لا يليق بلابس هذا الثوب ان يكون كاذبًا فاجابهُ ليون ولا يليق ايضًا بامبراطور يخضع لارادة احد رعاياه ويترك لهُ حقوق الامر والنهي فحنق اسبار حنقًا عظيمًا وجهز فرقة رجال اسوريين وادخلهم القسطنطينية فعرف ليون تلك المكيدة وقدر بتدبيره وحكمتهِ ان يخفض جناح كبرياء اسبار وانسبائهِ ويمنع اعتداءهم والاضرار التي ستلحق بهم وباعد آثهم لو تمت مكيدتهم وحققوا امانيهم ونالوا ما كانوا فيهِ يرغبون

وكان ليون عازمًا ان يبذل الجهد في مساعدة الغربيين فجهز سنة ٤٦٨ جنودًا من جميع اقطار المملكة بلغ عددها نحو مائة الف جندي وجمع الفًا ومائة سفينة حربية وارسل كل ذلك الى افريقيا لمحاربة الفاندال وملكهم جنسرك المعتدي على رومية واملاكها ظلمًا وعدوانًا غير ان جهل القائد باسلسكس المسلمة اليهِ قيادة هذه الجيوش الجرارة حال دون النجاح واوقع اولئك العساكر الابطال بالارتباك واعدّ لكثيرين منهم موتًا شريفًا او اسرًا مهينًا . اما هو ففرّ هاربًا مع من بقي معهُ من الجيش ورجع مسرعًا الى القسطنطينية ودخل واختبأ في كنيسة القديسة صوفيا واقام فيها حتى تمكنت اختهُ امرأة ليون الملك من استرضاء زوجها واستعطافهِ فعطف عليهِ وعفا عنهُ واصبح جنسرك ملك الفاندال بعد نصرتهِ هذه سلطان البحار فعاد الى الاغارة والاعتداء على سواحل بلاد اليونان واسيا واستولى على طرابلس المغرب وسردينيا وعاش عزيز الجانب مكرمًا ونظر قبل موتهِ في سنة ٤٧٦ خراب المملكة الرومانية الغربية التام على يد اودواكر ملك قبيلة الاربلي

ومات ليون سنة ٤٧٤ مخلفًا عرش القسطنطينية لحفيدهِ ابن بنتهِ المدعو ايضًا ليون وبما ان هذا الصبي كان طفلاً اقام وصيًا لهُ او مشاركًا في الملك بربتهِ ناظية صهرهُ زوج بنتهِ اريادن ابا الغلام وكان هذا الرجل طمعًا ماكرًا اسوريًا او ارمنيًا غريبًا يدعى تراسكالسس فابدل هذا الاسم الوحشي والقبيح باسم آخر يوناني جميل وسمى نفسهُ زنو ولما مضى ليون الاكبر لسبيلهِ

بادر كالذئب الخاطف وسلب ابنه حنيد وخليقة جهير السلطة والحماة واستبد بعده بالملك عاتياً ظالماً

وكانت نساء البلاط في ذلك الزمان قابضات على زمام الاحكام ومشاركات في السلطة وتدبير المملكة ازواجهن واقاربهن الملكيين فاغضب نكبر تزنو وافعاله حماته فرينا زوجة لبسون فادعت السيادة وقالت إن العرش لا املكها وهو في نبضة يدها تعطيه لمن تشاء واصدرت في الحال امراً بعزل خادم رفعت رتبته فنسي احسانها اليه وحقوقها ولما بلغ زنو ما حدث فرّ هارباً الى جبال اسوريا (هي بلاد في آسيا الصغرى بالمغرب من جبال طورس) واختبأ بها مغادراً سرير الملك لباسيلسكس اخي الملكة حماته الذي حارب جنسرك امير الفاندال وعاد الى القسطنطينية كما ذكر بالذل والخيبة والفشل

ولم تكن ايام باسلسكس طويلة سعيدة لان الذي يسلب حقوق السوى قهراً وغدراً لا بد من ان يفقد ما سلبه عاجلاً وآجلاً انما لم يبد حكمة وتدبيراً ونشاطاً واحساناً لاستمالة الشعب وارضاء اوقمع اعداء الحاقدين عليه وكان هذا الملك الجديد خاملاً ضعيفاً فلم يحسن السياسة وغيوراً على شرفه بجهل وبلا تروٍ فاغضب عاشق اخته وحبيب امرأته المشهور بزمانه فزاد عدد المتكدرين والساعين في ثل عرشه وعلم ذلك زنو الملك السابق وبادر من منفاه واستلم قيادة الجيوش وقهر خصمه واماته وعائلته جوعاً وبرداً غير ان حماته فرينا حافظت على عداوته حتى الممات وحاربته مراراً ولكن بلا فائدة اما امرأته اريادن فكانت ابنة لطيفة فاضلة فثابرت على حب زوجها وتبعته الى منفاه واحتملت مشقات الحرب ولغوب السفر وعند موته سنة ٤٩١ اقترنت بانسطاسيوس احد خدام القصر وتصبته ملكاً على سرير القسطنطينية فملك سبعة وعشرين حولاً كان بها مثال الضعف والخمول كما تشهد بذلك مناداة الشعب له «تسلط كما عشت ايها الملك»

ان قبائل المغوثيين الذين اغاروا على المملكة الرومانية وزعزعوا اركانها قد انقسموا كما ذكرت مراراً الى فئتين شرقية وغربية فالامة الشرقية حافظت على استقلالها ما استطاعت وامتدت سلطتها طولاً وعرضاً الى ان خضعت لاتيلا ملك الهون وكانت له صاغرة ولما قضى المزمان بقهر ذلك الملك العظيم ورجوعه من ايطاليا وموته سرت روح الانقسام في صدور قلتا ثم تحارب بعضهم بعضاً ونقضوا بايديهم اساس مملكة واسعة وشاسعة الارجاء جهد ابوهم المشهور في افتتاحها وتوطيدها فانتبهت اذ ذاك قبيلة الاوستروغوث او الامة الغوثية الشرقية الى نفسها وتطلبت الاستقلال ففازت بهمة وعناية ثلاثة اخوة نبضوا على زمام احكامها

وعاشوا متمتعين بالنجاح ولذة الاتحاد والتعاضد الاخوي ·

وكان لاحدهم ثيودومير ولد نشيط اسمهُ ثيودوريك ارسلهُ في الثامنة من عمره الى القسطنطينية رهينة تضمن للبيون ملكها محالفتهُ ورغبتهُ في المحافظة على السلام مقابلة لما يأخذهُ في كل سنة من الدراهم والدنانير اجرة على صداقتهِ ووفاقهِ فاقام ثيودوريك بعاصمة الشرق زماناً طويلاً وتردد الى الكتاتيب والمدارس المشادة للتعليم والتهذيب وعاشر العلماء والمعلمين ولكنهُ بقي جاهلاً سائر العلوم وجمع ما يُعلم ويدرَّس في تلك المنازل العلمية حتى انهُ لما استولى على ايطاليا وارتقى سرير ملكها كان يمضي الاوامر والاوراق التي يصدرها بعلامة اصطلح عليها وبقي في القسطنطينية عشر سنوات وحينما بلغ الثامنة عشرة من عمره ارجعهُ الملك الى الاوستروغوث املاً ان ينال بوساطتهِ صداقة امتهِ ومساعدتها عند الاحتياج فاظهر هذا الفتى في الحروب التي باشرها شجاعة سامية احلتهُ بين اقوامهِ محلاً عالياً فنصبوهُ ملكاً عليهم بعد موت ابيهِ وعميهِ واحسن السياسة والنظام فسمي الملك الروماني باسم التهِ واعطاهُ اجرة معلومة في كل سنة واراضي واسعة وفوض اليهِ امر المحافظة على ضفات الدانوب السفلى

وجاد زنو ملك القسطنطينية الروماني على ثيودوريك الغوتي بالالقاب الشريفة والرتب المنيفة وولاهُ قيادة فرق من الجنود ونصب لهُ تمثالاً واعطاهُ قناطير مقنطرة من الفضة والذهب ودعاهُ ابنهُ ووعدهُ بتزويجهِ بابنة غنية شريفة والحق يقال ان ثيودوريك خدم المحسن اليهِ بصداقة وامانة وانتصر لهُ على اعدائهِ الغرباء والوطنيين ومهد لهُ سبيل ارتقاء سرير الملك مرة ثانية بعد ما عزلتهُ حماتهُ فرينا ولكن تلك الصداقة الصادقة تبدلت اخيراً بالعداوة واصلى هذا الملك الشجاع نار الحرب المحرقة من عاصمة الشرق الى بحر الادرياتيك ودمر مدناً كثيرة وخرب حقولاً مزهرة ومنع الاهلين وسائل العمل والنجاح بنطعهِ بين كل فلاح ينفع في قبضة يدهِ ولم يأتِ ثيودوريك ما اتاهُ اختياراً ولكن للضرورة احكاماً والحاجة رزية كبرى تلجئ الانسان الى ركوب الاسنة والاخطار اذا لم يكن غيرها مركباً نعم قد فعل ما فعلهُ على رغمهِ لانهُ لم يكن بين اقوامهِ ملكاً مطلقاً بل رئيساً يجري ما يريدهُ الشعب ووزيراً خاضعاً لسلطة الجمهور

هذه هي حالة ملك الغوتيين الفقراء الشجعان المتوحشين العائشين دائماً بالحروب والكروب لا يملّون القتال ولا يتركون السلاح الا بعد الانتصار وسلب اعدائهم واقامة الولائم والافراح فعطايا ملوك القسطنطينية وان كثرت لم تكن كافية لسد احتياجات شعب لا يعرف الزراعة ما هي بل ينهب الزرع ويحتقر الزارعين

وكان ثيودوريك راغباً في الاقامة عند حدود بلاد روسيا لخدعة البلاط بالوعود الكاذبة وحمله على قتال قبيلة غوثية نهضت وزحفت لتحارب اعداء باسيليسكس الراغب في الملك فتنهض ثيودوريك ملبياً دعوة الداعين وآملاً ان يلقى حسب الوعد بالقرب من مدينة ادرنة القوت والمؤن المرسلة لاعالته واعالة جنوده الغفيرة الكثيرين وان يصادف النجدات التي ترسل لاعانته وهي ثمانية آلاف فارس وثلاثون الف راجل وان يرى الكتائب الاسيوية المنظمة معسكرة بالقرب من اراكليا ومنتظرة مجيئه لتباشر الحرب وتساعده فخاب امله ولم يبصر شيئاً من كل ذلك بل ضل والادلاء في الجبال وبين العقاب ولما التقى بالقبيلة التي رام قتالها وقف رئيسها المدعو ثيودوريك بن تريار يوس وخاطب جنوده واتهمه بالجبن والخيانة الى ان قال هل تجهلون ايها الابطال ان سياسة الرومانيين محصورة دائماً في ايجاد الوسائل الآيلة الى خرابنا كاشعال نار العداوة في قلوبنا وتحريضنا على محاربة بعضنا بعضاً ألستم تعلمون انهم سيبادرون الى الظفر منا مشهرين عليه سيف الانتقام فاين اولئك الجنود قربائنا واقرباؤكم الذين تبكيهم نساؤكم في الليل والنهار والذين ماتوا ضحية جهلنا وراحوا طعاماً لطيور السماء ووحوش الفلا اين ثروتكم الاولى ومقتنياتكم اذ كل واحد منكم كان صاحب ثلاثة او اربعة افراس والان اراكم تزحفون مشاة كالعبيد أهؤلاء هم حقيقة الرجال الذين املوا اكتساب الفضة والذهب

وهاج هذا الخطاب غضب العسكر وحملهم على العصيان فصالحوا اخوانهم الذين اتوا لقتالهم والجأوا ثيودوريك ملكهم الى مسالمة اصدقائه ومحالفيه

ولم يعش تريار يوس بعد هذه الحادثة زماناً طويلاً فخلفه ثيودوريك وقبض وحده على عنان احكام امته وصالح الرومانيين ونال من ملكهم احساناً وانعاماً غير انه رأى رأي العين اشمئزازهم منه وكره الغوثيين له فاراد ان يرضي الفريقين بالابتعاد عن اولئك وتسهيل سبل الفخار والكسب لهؤلاء فجهز جنوده وجمع قواته وارسل رسولاً يقول لزينون قد غمرني ايها الملك احسانك وانعامك واراني مجبراً على اسداء يدي الشكر لك وتقديم واجبات الخضوع وانزال النقمة باعدائك فايطاليا مملكة اسلافك ورومية عاصمة العالم وسيدة الامم قد انتابتها صروف الزمان وخضعنا لادوكر الغريب واحتملنا جوره وفجوره فارسلني مع جنودي لمحاربته فاذا قهرت وقتلت تنجو اسعد ومملكتك من صديق لا فائدة منه سوى الخسارة والتعب واذا نجحت سانسلط باسمك على تلك الارجاء وارفع شأنك وشأن الرومانيين والفخر بتخليصي من العبودية والعار قسماً من الجمهورية الرومانية

فقبل بلاط القسطنطينية بطلب ثيودوريك وسُرَّ بابعاده وسمح لهُ بالذهاب الى بلاد ايطاليا وافتتاحها والتسلط عليها كنائب تابع او صديق

وعلم البرابرة بعزم ثيودوريك على افتتاح بلاد ايطاليا الغنية المخصبة فانوهُ منطوعين من كل فج عميق وساروا جميعهم بنسائهم واولادهم واطفالهم نازحين من ديار حسنة التربة كافية بغلالها لسد احتياجاتهم لو كانوا متمدنين يحسنون الزراعة ويرغبون في الشغل وانما خربوها باهمالهم وجهلهم فلم تنبت لهم سوى شوك وعوسج جزاء الكسل والتوحش والتنقل وما زال ثيودوريك يجد في السير مع كتائبهِ واتباعهِ وهو يحارب كل من يعترض لهُ او يمنع تقدمهُ حتى اجتاز جبال الالب ولج وجنودهُ المظفرة حدود ايطاليا ونازل اودواكر الملك ثلاث مرار وقهرهُ واستولى على تلك الاقطار فاستقبلهُ الرومانيون ساكنو رومية بالاكرام والابتهاج وادخلوهُ الى مدينتهم كمخلص ظافر خلصهم من الشدائد وفي سنة ٤٩٣ استولى على مدينة رافنا التي التجأ اليها خصمهُ فافتتحها وقتلهُ امام الشعب والعساكر في محفل حافل ومادبة شائقة فاخرة

ونسي ثيودوريك وعودهُ لملك القسطنطينية وقولهُ انهُ يفتح البلاد باسمهِ ويكون خاضعًا لهُ نائبًا عنهُ فجلس على العرش وقضى ونهى وامر واستبد بالاحكام والجأ ملك المشرق الى الاعتراف بحقوقهِ الملكية وقسم اراضي ايطاليا واعطى ثلثها لجنودهِ الكثيرين الذين تفرقوا في البلاد مع نسائهم واولادهم وتخلقوا باخلاق الوطنيين واقتبسوا نظامهم وعوائدهم الا انهم حافظوا على لغتهم الاصلية واهملوا المدارس واحتقروا المدرسين ودارسي لغة وآداب اللاتين وكان ثيودوريك نفسهُ يبغض تعليم الاولاد وتهذيبهم بدعواهِ ان الغلام الذي يعتاد الخوف من قضيب استاذهِ لا يجسر ابدًا على النظر الى حسام حتى انهُ كان مسرورًا من اميال رعاياهُ ومواطنيهِ ومبادئهم مشجعًا لهم باتباع عاداتهم والتحرس من اهمالها ونسيانها بسكناهم بين الايطاليين ومعاشرتهم ثم صرف هذا الامير الشجاع النشيط همهُ في توسيع نطاق املاكهِ وتعزيز سلطتهِ وبعد سنوات قلائل اصبح ملك مملكة واسعة مشتملة على ايطاليا والاقاليم المجاورة من حدود الدانوب الى جزيرة سيسيليا ومن مدينة بلغراد الى الاوقيانوس الاتلانتيكي

ونظر انسطاسيوس ملك القسطنطينية الى عظمة ثيودوريك ومجدهِ فهاج غضبهُ وحسدهُ

البقية تأتي

باب الفكاهات

رواية الكونت دي كولانج

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي قصيري

(تابع ما قبله)

اليهودي في الطابق الاعلى والاستيلاء على الاحجار الكريمة بدون ان يشعر بنا الشيخ الخادم الذي يرقد في الطابق الاسفل ثم من الضروري لزيادة التحرس منا الخادم المذكور اذ لربما يكون مستيقظاً او نومه خفيفاً ان يدخل اثنان منا الى المنزل وها كما الخطة التي قررتها بهذا الخصوص تبقى انت ياسوستين دي بيرني بقرب باب الجنينة لحماية خط رجوعنا وتنبهها عن كل خطر يتهددنا باشارة نتفق عليها اما انا ودي كرول فنتسلق الشجرة ثم نزحف على بعض الاغصان الى احدى الكوى وننزل منها الى الطارمة وحينئذ اشعل قنديلاً صغيراً ولا حاجة للقول بوجود الآلات اللازمة معي لفتح الاقفال ثم ننحدر من الطارمة بتمام السكينة الى الطابق الاعلى حيثما يقف دي كرول حارساً على السلم لمصادمة الخادم اذا ظهر وأنسل انا الى غرفة الشيخ فيرت وبعد الاستيلاء على علبة الجوهرات نعجل بالرجوع الى الجنينة من نفس الطريق التي حضرنا منها ألا تريان ان هذه الخطة بسيطة وسهلة التنفيذ

قال دي كرول واذا شعر الخادم بنا ونهض من رقاده وحضر الينا

قال يجدك واقفاً للحراسة على السلم وانت قوي شديد العزيمة لا تخشى شيئاً

فسأل هل يناسب حينئذ ان نقتله

فرفع جوزي باسكولا كتافه لانه كان معتاداً على هذه الاشارة وقال ما الفائدة من قتله من اللازم ان لا يقتل المرء الا عند الحاجة القصوى اي عندما لا يستطيع عملاً آخر

فسأل دي كرول واذا صاح واستغاث

قال باسكولا يجب من يسمعه الآن اقرب المساكن الى منزل هذا اليهودي لا يبعد عنه اقل من اربعين متراً — ثم قال انفسنا في ذلك من اللازم ان نقضي كل ما التهيئة بعدت السهر وفي ليلة الاحد . . .

فاكمل سوستين عنه الحديث وقال قسنولي على جواهر ذلك الشيخ

فنهض البورتغالي قائلاً اذا تحقق املي وتسهلت امورنا فشاهد فرنسا باسرع ما يمكن

وفي يوم الاثنين عند رجوع فيرت الشيخ اليهودي الى مسكنه تقدم منه الخادم المسن مصفراً مضطرباً منحنياً الى الارض ككلاب ارتكب هفوة وهو عالم بخطائه وانه مستحق الضرب من سيده

ولدى السؤال منه عن اسباب هذا الاضطراب والانكسار لم يجاوب بشيء ولكن ارى سيده الجدار وباب الجنينة والسطح والشجرة ثم اشار اليه ان يتبعه وما زال سائراً الى ان بلغ غرفته

وعند ذلك علم الشيخ اليهودي سر هذا السكوت والاضطراب لان باب الخزانة التي اقفل فيها على مجوهراته كان مفتوحاً مكسراً فتحول لونه الى صفرة الموت وارسل صوتاً غريباً ثم رفع يديه الى العلى وانزلها بعنف على قمة راسه اما الخادم فارسل انيناً طويلاً وجثا على ركبتيه امام سيده وقال بصوت مستكين سامحني ياسيدي فانا عملاً في هالك ملعون .. غير متيقظ وقد نزل لص على منزلك في الساعات الاولى من رقادي وكنت مستغرقاً في النوم فما رأيت شيئاً وما سمعت شيئاً . . . واسفي ياسيدي ما عدت اصلح لشيء وكثير عليَّ ان تفترسني الكلاب كايزابل ارملة اخاب ام عثلية زوجة يورام ابي يواش

وكان الشيخ فيرت قد علا صوته ايضاً كخادمه بالتنهدات العميقة والانين الطويل فلم يسمع شيئاً ثم جثا على ركبتيه مستغيثاً بالله ابرهيم واسحق ويعقوب وانطرح مأيوساً على البلاط يزق ثيابه وينتف شعره

وكان الشيخان المسكينان لا يقدران على خلاف البكاء والانين لان الجوهرات فقدت وهما لا يعلمان ماذا يفعلان والى اين يذهبان وخلف من يركضان وعلى من يشتكيان واين يجدان السارق او السارقين . . . .

. . . .

وفي اثناء ذلك كانت الباخرة الفرنساوية فيراكوس تمخر في البحر منطلقة بمنتهى السرعة الى جهات فرنسا وكان في جملة المسافرين عليها سوستين دي برني وارمائد دي كرول وجوزي باسكو وعلبة المجوهرات الثمينة في اسفل الصندوق المختص بهذا الرجل الاخير

ثم وصلت الباخرة المذكورة الى الهافر يوم الخميس بعد الظهر وفي صباح اليوم الثاني كان الشركاء الثلاثة في باريس فعينوا مكاناً للاجتماع ثم انفصلوا عن بعضهم وذهب كل منهم للسكن موقتاً في فندق من الفنادق ومن تاريخ ذلك اليوم اهتم جوزي باسكو ببيع الاحجار

المفاخرة فتسهل له بيعها باسعار مرتفعة الى عدة تجار وبلغ مجموع الثمن الذي قبضه ثلاثمائة واثنين وثلاثين الف فرنك

وكان جوزي باسكو رئيس الشركة فاراد ان يسلم صندوقها ايضاً ولم يصادف معارضة من احد وحيث انه حصل الان على الدراهم اعني ذلك الحمل القدير الذي يمكن ان يزعزع به العالم وان يحسر على كل شيء ويعمل كل شيء من خير وشر صار من المنتظر ان يهتم جدياً بتحقيق مقاصده فيرتب مدافعة ويهيئ وسائط دفاعه ونحن نعلم الغاية التي يحاول بلوغها ولكن باية الدسائس الشيطانية يأمل انجاح مساعيه المشوسة الخفية فمن الواضح انه قرّر خطة في افكاره لهذا المشروع ولكن هذه الخطة كانت لا تزال مجهولة من سوستين دي بيرني ثم استأجر جوزي باسكو مكاناً للسكنى في ضاحية سين ونوري ولانه اثاثاً فاخراً واقام فيه تحت اسم جوزي كونت دي روكاس وكذلك سوستين دي بيرني وارماند دي كرول فانهما بعد البحث الطويل على مسكن موافق امين معتزل يمكنهما الاختفاء ضمنه استأجرا في مونمارتر المسكن الحقير الذي تقدم ذكره

وكان الرجال الثلاثة المذكورون بصفات واحدة شريرة وانهم اقداماً على الاثم لا يحجمهم عن ارتكاب اعظم الجنايات وكانت اسباب ذهابهم الى اميركا مختلفة ولكن اينما وجد الاشقياء لا بد من اجتماعهم فان باسكو ودي كرول كانا مدفوعين نحو دي بيرني كأن بين الاشقياء جاذباً خفياً يجاذبهم اليه وخلاصة القول ان الاقدار المشومة سهلت اجتماعهم ولم يكن لهم في باريس الا شهران فقط عندما اجتمعوا سوية في منزل مونمارتر

الفصل السادس

المهذبة

كانت المركيزة دي كورلاي قد قالت لجبريلة لينار ان ابنك سيكون له امان يهتمان بحياته ويسهران على سعادته ولم تخلف وعدها بهذا الخصوص بل حافظت عليه بزيد الامانة والشرف حتى ان كدت جبريلة ان حنو المركيزة على ولدها لا يقل عن حنوها وقابلتها على هذا الجميل بان خصصت مكسيمليان ابنة المركيزة بقسم عظيم من محبتها الوالدية بل كان حبها لهذه الفتاة اشد

هياجاً وحرارة في الظاهر من حبها لولدها لان الظروف كانت تحكم عليها بلازمة التحرس الدائم وعندما يطفح قلبها بالحب الولدي كانت توجه عواطفها نحو مكسيمليان وتقصر عليها ذلك الحب والاخلاص مكثرة من ضمها وتقبيلها

وكانت جبريلة سعيدة بوجودها على مقربة من ولدها تراه وتسمع صوته وتستطيع محادثته الا ان هذا كله كان لا يلطف شيئاً من اكدار معيشتها حيث يلزمها كثير من القوى والارادة لمداومة تمثيل الدور الذي اتخذته لنفسها فكان مطلوباً منها ان تتغلب على قلبها وتلزمه السكوت وان تمتنع عن معانقة اوجين ولدها حتى لا تجعل سبيلاً للارتياب والتعجب

وفي بعض الاحيان عندما كانت تشعر بعذوبة الميل الى اخذه بين ذراعيها وضمه الى قلبها الخافق كانت تكره نفسها على الابتعاد عنه فجأة فتهرع ركضاً الى غرفتها حيثما تختفي في بعض الزوايا وتذرف الدموع وحينئذ كان يصيبها الم حقيقي وتحصل مكسيمليان على معانقاتها الجنونية وقبلاتها المحرقة لان الحب كان يشتعل اذ ذاك في فؤادها وينفجر على هذه الصورة بما يشفي اميالها الحية ويعيد الى قلبها السكينة

وكان يصدف في بعض الاحيان انها توجد منفردة مع ابنها وهي في مأمن من الرقباء فكانت تعوض اذ ذاك عن الاوقات الماضية التي تغلبت فيها بمرارة على نداء فؤادها وتسكرها خمرة الملذات فتكثر من تقبيله وهي شاخصة اليه بنظر مسلوب وتتأمله طويلاً بنوع من الاندهال وتقول في نفسها كم كان صغيراً عندما سرق مني وكم هو كبير وجميل الآن ثم تعاود جذبه اليها وتضمه بين ذراعيها المرتعشين وتقبل بعجلة شعره وجبهته وخديه وعينيه فكانما هي تريد الانتفاع بهذه الفرصة النادرة لتتزود بنسم وافر من الافراح

وكان اوجين يسألها احياناً قائلاً هل تحبينني يا سيدة لويز بقدر حبك لمكسيمليان فكانت تجيبه نعم احبك يا اكثر حياتي العزيز احبك دائماً انك لا تعلم واأسفي ولا يمكن ان تعلم ابداً ما لك في قلبي من الحب والحنو فانا احبك اكثر من كل شيء في العالم واكثر من حياتي

وفي بعض الاوقات كانت تخاطبه بالمفرد وبلا تكريم كعادة الام مع ولدها وتجد بذلك فرحاً عظيماً

وكان الغلام يجيبها على حديثها بقوله وانا ايضاً يا سيدة لويز احبك كثيراً ولدى السؤال منه كيف تحبني .. هل تحبني بقدر المركيزة امك كان يجيب لا اعلم ولكن انا ومكسيمليان نحبكما انتما الاثنتين ونعتبر انك امنا كالمركيزة

وعند هذا الجواب البديع كان لا يسع جبريلة الامساك عن اظهار سرورها فكانت تشعر كأن في قلبها فرح ساوي لا يحد خفيا ودخم ولدها وقبلهُ بهذيان وهي تبكي وتضحك معًا ولكن تبسماتها ودموعها كانت تختلف وتتلذذ بما لا يوصف من ثمل السعادة

وكانت جبريلة في زمن قصير قد اصبحت من المهذبات المتازات اللواتي تضرب بهن الامثال لانها وان تكن قد درست وتعلمت في صباها لم تكن دروسها كافية لاتمام التعليم ولكن تمكنت بواسطة الكتب العديدة الموجودة عندها من اتمام علمها حتى لا تحتاج عائلة كولانج الى احضار معلمة اخرى فيما بعد لاكمال علم كسيميليان وفضلاً عن ذلك فان هذه المرأة كانت مجملة بصفات اخرى عظيمة لا توجد دائمًا في بنية المهذبات وهي الاخلاص والاهتمام والحلاوة والصبر

ولا يخفى ان الدروس الابتدائية تكون دائمًا شاقة ومضجرة للاطفال ولكن جبريلة كانت تعلمها باسلوب ملذ يستجلب رضاء مكسيميليان ويجذبها اليها حتى صارت اوقات الشغل عندها نوعًا من المسرة ولم يعد يتعبها الدرس فنجحت بسرعة عظيمة وكانت تحب معلمتها وتعبدها عبادة وهي تنتظر دائمًا ساعات الدرس بتشوق ورغبة وتتحاشى اقل الاسباب الموجبة لتكديرها وتقابل حلاوتها وصبرها بمضاعفة الاصغاء وكانت كلمة واحدة من الفاظ الحنو او قبلة واحدة من جبهتها تقوي عزيمتها للتغلب على منتهى الصعوبات وقد لاحظت جبريلة غير مرة ان معاملات الملاطفة والتودد تنشط تلميذتها وتتضمن من ضروب النصاحة المؤثرة ما تقصر عنه المواعظ الطويلة

وكان المركيز يحترم جبريلة كثيرًا ويشكر من جميلها لاعتنائها بابنته ويظهر لها في جميع الظروف حبًا مخلصًا وهو لا يعتبرها كمهذبة فقط بل كعضو من عائلته وكان يقول في نفسه ان هذه المرأة مجملة بما لا يعلم كنهه من الاوصاف التي تبعث الناس على حبها فيا للفرط الحزن اذا فارقتنا لان ولدي وزوجتي وخدمي وجميع الناس يحبونها

وكان لا ينكر ابدًا بالتعجب من مودة المركيزة امرأته لهذه المهذبة مع زيادة هذه المودة وغرابتها وهو يقول غالبًا للمركيزة انه لا يسعني القيام بالواجب من شكرك لانك عرفتنا بالسيدة جوبز فقد كان من الممكن ان نفتش طويلاً لايجاد نظيرة مثلها ولربما لا نجد ابدًا مخلوقة بهذا الكمال ان هذه الجوهرة بل كنز حقيقي اكتشف عليه فتجيبه المركيزة بقولها ان ولدنا اوجين هو الذي اكتشف على هذا الكنز

وكانت جبريلة كما قلنا ملازمة التحرس التام في معاملاتها وهي لا تعرف من المركيز والخدم

وبقية اهل المنزل الا بصفة مهذبة لمكسيمليان وكانت تحسن المحافظة باحترام متزايد على مركزها الظاهر بالنظر الى المركيزة ولا يوجد في كلامها ومسلكها ما ينبه الافكار الى الروابط المحكمة التي تربطهما

ولكن عند الاختلاء ببعضهما كان ينفتح قلب الواحدة منهما يحنو الى الاخرى فيأخذان بالتكلم عن المستقبل ويفكران بمقاصد جميلة لسعادة الولدين وتجري بينهما معاملات الوداد الحصري الاتم فلا يخفيان شيئاً ويصرحان لبعضهما باسرارهما الخصوصية كأنهما شقيقتان

وكانت تسقط المركيزة غالباً في لجة القلق والاضطراب وتعلم جبريلة ذلك من مظاهر احزانها وجلها فتستعمل منتهى فصاحة فؤادها لتسكين افكارها واطمئنانها

وحصل مراراً لجبريلة اذا جست قبلاتها الدموع الجارية من اعين مولاتها وفي اثناء المحادثات السرية كانت تخاطبها المركيزة دائماً بالاساليب المستعملة بين افراد العائلة وترفع بذلك جبريلة اليها حيث لا يوجد في الحب لا مروة ولا مرتبة وحيثما يكون الحب تكون المساواة

وكانت المحادثة تدور غالباً بين الامين في غرفة جبريلة حيث يمكنهما الانفراد ثقة لبعضهما بلا خوف من رقيب وكان لا يمر يوم بدون ان تذهب المركيزة للاجتماع بجبريلة وهذه الساعة من الاجتماع هي منتهى السعادة ... لذة عند الاثنين فيكرران في النهار الاحاديث التي يتبادلانها في الليل ولا يملان من اعادة التكلم باشياء واحدة حيث يسرهما كثيراً مشاهدة بعضهما والاجتماع سوية

وكانت المركيزة تكرر لنفسها على الدوام هذه الكلمات حقاً ان جبريلة هي صديقتي وشقيقتي معاً

وكانت صحة جبريلة وقتئذ قد تحسنت بما لا يدع حاجة في نفس اصحابها فان جسمها عاود امتلاءه ورشاقته وتكاوينه الظريفة وخدها المجوريين برزا الى الامام ولم يعد لاعينها تلك الاشعة الغريبة السابقة ولا لوجهها تلك الخشونة والاصفرار الكامد الغريب التي حمل الناس على تلقيبها بذات الوجه الشمعي ثم انتعشت هيأتها وتلوّن خداها بلون الورد وظهر على شفتيها القرمزيتين نوع من التبسم العذب السوداوي والخلاصة ان قسماً من جمالها رد اليها مع الصحة فقالت لها يوماً المركيزة لا ادري ياحبيبتي جبريلة اذا كنت منتبهة الى مظاهرك انك ما عدت تعرفين . . فما هذا الانقلاب البديع

فاجابت المرأة بتلك التنبيهات المذبة المعتادة ان هذا الا نشر من القبور

وكانت الاشهر والسنون تمر بسرعة والولدان يكبران حتى بلغ اوجين الرابعة عشرة من العمر وكارلة وقتئذٍ سنتان بصفة تلميذ خارجي في كلية لويس الكبير والذي علمه في اول الامر الدروس الابتدائية هو نفس المركيز فكان يتعلم منه بسهولة مدهشة لان رغبة الاطلاع شديدة عنده وهو حريص على اعطاء المركيز جميع المرضيات التي ينتظرها منه فتقدم كثيرًا في دروسه وبالنظر الى ذكائه الغريب وجهاده في الاعمال واجتهاده المزيد كان نجاحه فوق العادة حتى دهش معلموه من استعداداته الفكرية

ثم عمد المركيز على ارساله الى الكلية المذكورة حتى يقيم داخليًا فيها فسألته المركيزة لِمَ هذا الاعتماد هل اوجين في حاجة لمن يحثه على المدرسة الست مرتضيًا من اعماله

قال بلى مرتضٍ جدًا ويسعني القول ايضًا ان ارتضائي فوق املي ان اوجين لم يتركنا بعد من حين ولادته ولهذا يسوءنا كثيرًا مفارقته ولكن هذه التضحية لا بد منها وهي ضرورية جدًا لصالحه ولا يخفاك ان الوالدين ينبغي ان يحبا اولادهما من اجلهم وليس من اجل نفسيهما فمن المناسب اذن ان يعيش ولدنا بالاختلاط ويتقرب من زملائه ان هذه هي افكاري بخصوص تربية الاولاد الذين سيصيرون فيما بعد رجالًا وحياة الانسان يبتدئ بدرس الحياة بين ارفاقه في المدرسة

وكان المركيز صادقًا في سيادته ولا يمكن ان يتحول عن عزمه متى تقرر فوضع اوجين والحالة هذه تلميذًا داخليًا في كلية لويس الكبير وبعد ذهابه من المنزل ذهب لمعانقة السيدة لوبترا او بالحري جبريلة فقالت له يجزعني ان المركيز ينتظر منك اعمالًا كبيرة وهو عالم انك ستحقق الثقة التي وضعها فيك فانت مطالب والحالة هذه باشغال كثيرة وسوف تنقطع بكليتك للعلم والمدرس ومن الآن فصاعدًا ساعدت ارائك الا نادرًا اه يا اوجين افتكر بي احيانًا ولا تنسني فانت لم تعد صغيرًا يا ولدي وفي بضع سنوات تصير رجلًا وكل خوفي ان تمنع وقتئذٍ عن حبي

فاجاب اوجين بصوت خطير نبي احفظ الامن ساداوف الى الابد على تذكرات صوتي ولا اكف ابدًا عن حبك كام ثانية وستكونين دائمًا صديقتي الصالحة

فنفذت هذه الكلمات الوداعية الى قلب جبريلة كرمح نافذ فجرحتها الا انها عند المساء جعلت تبكي بدموع حارة ورأتها المركيزة دي مول تبكي هكذا فقال نسألتها لِمَ هذا البكاء هل لانقطاعنا عن مشاهدة اوجين في كل يوم الا ان مدرسته بعيدة عن هنا وسوف

يحصل في اغلب الاحيان على كثير من ايام الفرص ولا يكون انفصالنا عنه حقيقياً الاَّ في شهر ايار فقط عندما نترك باريس للذهاب الى كولانج ولكن الفرصة السنوية لا تلبث ان تحضر وحينئذٍ نضمهُ الينا مقدار شهرين فتصبري وتعزي يا حبيبتي ان هذه الانجرة صغيرة لقليك بالنسبة الى الاخرين

فارسلت جبريلة تنهداً عميقاً وقالت صحيح من اللازم ان اكون قوية ولا اظهر مثل هذا الوجل ثم مسحت عينيها

ومن ذلك الحين تضاعف حنو جبريلة وحبها لمكسيمليان ووقفت جميع قواها واوقاتها لتعليمها وتهذيبها

ثم استمر الامان بجانب بعضها يقضيان الحياة بما يمكن من السكينة الى الان ورد فجأة في احد الايام تحرير الى المركيز

وكان الوقت وقتئذٍ شهر آب والكونت اوجين دي كولانج قد نال باجتهاده ودرسه خمس جوائز اولية وحضر الى المنزل منذ ثمانية ايام بمناسبة الفرصة السنوية

ففي صباح يوم قال المركيز لزوجته منيلدة ان صديقي الكونت دي سيسترن بعث اليّ رسالة

فسألت المركيزة واين هو الان

قال في باريس

فارتعشت المركيزة ولم يسعها التغلب على اضطرابها وكررت قوله في باريس

قال نعم وهو يقول في رسالته انهُ اتماماً للوعد الذي وعد بهِ منذ سنوات سيحضر لقضاء خمسة عشر يوماً معنا في كولانج

فالتزمت المركيزة عند هذه العبارة ان تستنجد بكل قواها للامساك من اضطرابها وقالت اهلاً بهِ يا صديقي ان الكونت دي سيسترن سيصادف منا قلوباً رحبة لاستقباله

قال المركيز مرادي ان احرر اليهِ اننا بانتظاره واقدم لهُ خالص امتناني لانهُ ترقى الى رتبة اميرال ويسرني ان اخبرك بذلك

قالت المركيزة وهي مشوشة الافكار نعم نعم وانا اشترك معك بهذه التهاني

وكانت تفتكر وقتئذٍ بالخطر العظيم الذي يتهددها وتبحث في افكارها على امكان ما تنبه فان الكونت دي سيسترن لم يرَ المركيز والمركيزة منذ سبع سنوات الاَّ مرتين فقط في باريس وكانت زيارتهُ في كل مرة لا تزيد على بضع ساعات بحيث يسهل لجبريلة مجانبة الحضور معهُ اما في

صار يمكنك الحضور لان الكونت دي سيسترن تركنا في هذا الصباح

وبعد ذلك بيوم بن اثنين عادت جبريلة الى قصر كولانج وبدخولها سالت المركيزة ماذا حصل

اجابت لم يحصل الا الخير

قالت والاولاد هل لفظوا اسمي او تكلموا بشيء عني

قالت اوصيتهم بالسكوت عن ذلك

فسالت وحضرة المركيز

قالت هو ايضاً لزم السكوت ولكن لا ريب ان اخفي عنك شيئاً ياجبريلة فقد فهمت من بعض كلمات زلق بها لسانه انه يعرف سر الكونت دي سيسترن وعندما تصادفت مع الكونت المذكور على شط النهر كان زوجي حاضراً هنالك ولا ريب انه لحظ وقتئذٍ دهشتك وحيرتك ثم اضطراب وهلع صدريه ومن المؤكد لعدي الان ان المركيز ادرك وجود علاقة بينك وبين الكونت دي سيسترن

فارتعدت جبريلة لهذه الكلمات وارسلت صوتاً هائلاً يشف عن خوفها فقالت المركيزة لا تخافي ان زوجي شديد الحرص على اسرار الاخرين ولا يمكن ابداً بالنظر الى رقة احساساته ان يلفظ كلمة تظنين منها امكان اطلاعه على الحقيقة نهولم يخاطب الموسيو دي سيسترن بكلمة عنك مخافة ان ينطرف بحديثه الى تذكرات مؤلمة واذا كان عالماً حقيقة انك انت هي جبريلة لينا رفبالطبع لا يجفاه ايضاً انك لا تريدين ان تعرفي من الكونت دي سيسترن وهذا يكفي لراحة فكاورنا حيث لا يمكن ان يخونك

فصاحت جبريلة اه يا الهي ماذا يحل بنا اذا علم . . .

قالت المركيزة بالخوف اخذنا وبالاريبة ولكن هذا المصاب بعيد عنا وليس ما يحمل على الخوف من حلوله

ثم استولى عليهما السكوت برهة

وبعد هنيهة قالت المركيزة نسيت ان اخبرك ان الموسيو سيسترن حصل على رتبة جديدة فانه تعين اخيراً اميرالاً للبحر

قالت جبريلة كان من اللازم ان يتزوج

اجابت المركيزة ان الكونت دي سيسترن سيبقى عزباً لانه لا ينسى ابداً الفتاة التي خدعها وغشها ولا يمكنه ان يعتري على فقدها وقد حلف حتى يستمر امينا لتذكارها انه يقضي الحياة بلا حب وبلا زواج - اه ياعزيزتي جبريلة لقد ضحيت كل شيء من اجلنا

وانت قادرة ان تصبري اليوم ايضاً الكونتيسة دي سيسنر ن

فتبسمت جبريلة تبسماً غريباً ثم هزت رأسها واجابت من حبنا وضعته في هذا العالم صارت حياتي بكليتها لولدي وانا لا اعيش الا به وينبغي ان لا اعيش الا لاجله

ثم مضت على ذلك سنون جديدة وكان اوجين دي كولانج قد اتم دروسه بنجاح في كلية لويس الكبير ونال شهادة بكلوريوس في الاداب والعلوم وصار يحق للمركيز الافتخار بهذا الغلام الذي يظنه ولده وهو يحمل اسمه وشرفه فقال له يوماً يا ولدي العزيز انت تعلم افكاري منذ زمن طويل . ان كلاً في هذا العالم له مهمة وواجبات تتطلب منه اتمامها نحو نفسه ونحو الاخرين والثروة لا تغني عن العمل فمن اللازم ان تختار لك مركزاً في وسط هذه الحركة العالمية العظيمة ومن تاريخ هذا اليوم يلزمك التفكر بالطريق التي تختار سلوكها لافادة وطنك فقل اذن ماذا تريد ان تكون

اجاب اوجين لست اعلم يا ابي اذ ليس لي بعد ثقة كافية بنفسي لاجسر على اختيار الطريق اللازمة لمستقبلي ولكنني ارغب الدخول الى مدرسة الفنون

وبعد ذلك بقليل انتظم اوجين في سلك تلامذة هذه المدرسة التي انشئت سنة ١٧٩٤ وهي لا تزال الى الان بلا شبيه في كل اروبا وبعدما نادى الامتحان الاصولي في السنة الثانية من دخوله وضع اسمه بين الاولين الذين اكملوا دروسهم وخرج فائزاً من المدرسة ولم يكن عمره وقتئذٍ اكثر من تسع عشرة سنة فعاد المركيز الى السؤال منه قائلاً ماذا تريد ان تكون

فاجاب بلا تردد مهندساً للمعادن

فاستحسن المركيز طلبه وصادق عليه

وكانت المدة المعينة لدرس هندسة المعادن في المدرسة المخصصة لذلك هي ثلاث سنوات على الاقل فلم يبال اوجين بطول هذه المدة لان الاتضاع من الصفات الملازمة لاصحاب الاستحقاق الحقيقي وهذا الشاب من الذين يشعرون باحتياجهم الدائم الى العلم ولزوم التعلم فانخرط في سلك طلبة الهندسة في مدرسة المعادن

وكانت مكسيميليان في هذه المدة قد اكملت علمها وآدابها واجتمعت اوصاف الكمال من ظرف ولطف وامتياز وذكا وادب وكان في حلاوة نظرها وعذوبة تبسمها ما لا يوصف من البهاء وهي محبوبة من جميع الناس يعجب بها كل من رآها

ففي احد الايام قالت جبريلة للمركيزة اني ارد اليك مكسيميليان التي ائتمنتني عليها لانها استوفت علومها ولم يعد لديَّ ما اعلمه لها ان هذه المهمة التي انيطت بي صعبة مضجرة ولكنني

هذه المرة فمراده المجيء الى كولانج والاقامة مع عائلة المركيز في القصر اسبوعين اثنين ومن المحتمل على جبريلة الاحتباء مدة خمسة عشر يوماً بدون ان يتولد عن ذلك شكوك غريبة في افكار المركيز ينشأ عنها اختباطات هائلة ثم لا يمكن مجانبة هذه الاختباطات ايضاً انا عرف المركيز ان السيدة لوبز هي بعينها مكسيميليان هي جبريلة ليناز ولا ريب ان الخطر سيكون عظيماً على كلا الحالين ثم استولى الخوف على المركيزة فجعلت تسأل نفسها قائلة ما العمل واذ خطر على تصوراتها فجأة فكر اعاد جبريلة فالتفتت الى المركيز وقالت نسيت ان اخبرك امس ان السيدة لوبز استرخصت بالسفر

قال استرخصت بالسفر ولماذا

قالت انها ترغب الذهاب لقضاء بضعة ايام عند صديقتها السيدة مارلوت وليس في وسعي ان اقاوم رغبتها لان هذه هي المرة الاولى التي عزمت فيها على ترك مكسيميليان من حينما سلمت اليها

قال المركيز صدقت متى تسافر

اجابت غداً

قال ومتى ترجع

اجابت في مدة خمسة عشر يوماً او ثلاثة اسابيع حيث لا يحق لي ان ادقق كثيراً مع السيدة لوبز

وعندما انفرد المركيز بنفسه استغرقته الافكار لانه تذكر وقتئذٍ بعض احاديث سرية حدثه بها الكونت دي سبستر ن عندما صادف السيدة لويز في الطريق على شط المارن فانه ترجح في ذهنه وقتئذٍ ان هذه هي الفتاة التي احبها وخدعها ولا يزال تذكارها مرسوماً في فؤاده وكان المركيز حاضراً ذلك المشهد على شط المياه فتفطن اليه وقال في نفسه يا للعجب ان هذا السفر من السيدة لوبز ليس الا فراراً باصادقة المركيزة

وعند هذا الفكر ادرك المركيز الحقيقة ثم استمر على التأمل وقال في نفسه اذا كانت السيدة لوبز هي حقيقة نفس الفتاة الذي حدثني عنها الكونت دي سبسترن فلا ريب ان المقصود بسفرها الفرار منه حتى لا يعرفها ولا بد من اسباب لذلك ومهما كانت الاسباب فمن المؤكد ان المركيزة مصادقة عليها وانها مطلعة على اسرار السيدة لوبز بهذا الخصوص

ثم هز المركيز رأسه واكتأب لحظة وقال الداعي يا ترى لاهتمامي بما لا يعنيني ليس لي حق بالاطلاع على اسرار السيدة لوبز ولا بالحكم على مسلكها فهي فتاة حساسة لا يمكن

ان تعمل عملاً بلا بحث وتأمل وجميع اعمالها صادرة عن حكمة عظيمة

ثم تأكد المركيز صدق هذه الافكار فاخذ قلماً وكتب الى صديقه الكونت دي سيسترن انه هو والمركيزة ينتظرانه بفروغ صبر ويحسبان يوم تشريفه الى كولانج عيداً عظيماً

اما المركيزة فحالما تركت زوجها ركضت للاجتماع بجبريلة وقالت لها ان الكونت دي سيسترن في باريس

فاصفرت جبريلة شديداً واستتبعت المركيزة حديثها قائلة ان زوجي وصلة تحريرمنه في هذا الصباح وقريباً يحضر لقضاء خمسة عشر يوماً في كولانج

فسألت جبريلة بصوت مضطرب متى يصل

قالت في مدة يومين او ثلاثة ايام

فصاحت واأسفي كان من اللازم ان نتوقع ذلك وسوف يتكرر هذا الخطر فينبغي مجانبته باي ثمن كان لان سعادتنا جميعاً تتوقف على هذه المجانبة!

ثم حصل سكوت لبرهة وعاودت جبريلة اتمام الحديث فقالت من اللازم ان لا يراني الكونت دي سيسترن . من اللازم ان لا اوجد هنا عندما يحضر . من اللازم ان اسافر

قالت المركيزة ان نفس هذا الفكر خطر على بالي فاخبرت زوجي قبل ان استشيرك بانك سألتني الذهاب لقضاء بضعة ايام عند السيدة مارلوت واني رخصت لك بهذا السؤال

فسألت وماذا كان جوابه

قالت علم انه لا يسعني ان ابخل عليك بمدة خمسة عشر يوماً او ثلاثة اسابيع

فتنهدت جبريلة وقالت منذ بضعة ايام كنت سعيدة فرحة الا ان الله سبحانه وتعالى سمح بتكدير سعادتي وفرحي ان الفرصة المدرسية لا تتجاوز الشهرين وسوف اصرف خمسة عشر يوماً منها بعيدة عن ولدنا

ثم مسحت دمعتين كبيرتين انهملتا من عينيها فشدت المركيزة على يدها وهمست باصديقتي المسكينة

وفي صباح اليوم الثاني سافرت جبريلة الى قصر شيسيل الذي عهدت نظارته من قبل المركيز مع الاراضي المحيطة به الى الموسيو مارلوت مفتش البوليس السابق

ثم حضر الكونت دي سيسترن الى كولانج وبالرغم عن الحاحات المركيز الذي رغب اليه ان يطيل اقامته عنده لم يبق في كولانج الا خمسة عشر يوماً فقط وفي نفس يوم سفره كتبت المركيزة الى جبريلة هذه الكلمات

ولكن قامته قامية حسنة التركيب وتقاطيع وجهه تكاد تبلغ منتهى الضبط والانتظام والجمال وله شعر اسود ناعم كثيف وحواجب واضحة وجبهة عالية عريضة نافرة تدل على الذكاء واعين سود كبيرة بمنظر نافذ وحادي عذب وفم بديع وشارب في بدء ظهوره يظلل شفته العلياء.

ومن الغريب وجود بعض المشابهات التامة بين المركيز دي كولانج وابن جبريلة لينار فان وحين كان له هيآت المركيز العظيمة واساليبه الممتازة فهو يشبهه كثير في النظر والملامح والحركات الجسدية وانبساطات الطافحة بالمكارم والاعجب ان نغمة صوته ايضاً كانت كنغمة صوت المركيز

وكانت المركيزة قد لحظت ذلك منذ زمن طويل وحدثت عنه مرارًا جبريلة كامر عجيب

فنهض المركيز على ذراع اوجين وقال له تعال بني فان لدي كلام اريد ان احدثك به

وكانت الشمس قد بدأت تشعر بحرارتها فذهبا للجلوس على مقعد من خشب بظل اجمة من السماق ولما استقر بهما المقام قال المركيز ان هذا اليوم يا ولدي العزيز ١٣ آب هو تذكار ولادتك

قال صحيح

قال المركيز فقد دخلت اذن في السنة الحادية والعشرين من العمر ولا حاجة لان اكرر لك القول بسروري بك وانك اعطيتني جميع التعويضات التي يمكن ان يتمناها اب من ابنه وغمرتنا بالافراح فصار يحق لي ولامك ان نفتخر بك لانك انت وشقيقتك كل افراحنا وكبريائنا انني لا اعرف الطمع في حياتي ولكنني صرت الان طماعاً من اجلك نعم يا ولدي اني احلم لك بارفع المراتب واحسن الحظوظ فانت حاصل على اسم عظيم وسوف تحصل على ثروة عظيمة ايضاً وجميع الطرق من الان مفتوحة امامك فكل ما تتمناه لنفسك يكون لك

انني اعرفك جيداً يا ولدي واعرف ان الدماء التي تسيل في عروقك ويخفق بها قلبك هي دماء فرنساوية كريمة لا يمكن ان تنسى ابداً مقتضيات الشرف .. فانت تحب وطنك ومديون له باخلاصك واذا اردت ان ترفع نفسك فانما يكون ذلك بالخدامات التي يسمح لك ذكاؤك وثروتك ان تقدمها الى وطننا العزيز لقد احسنت التصرف اثناء حصار باريس فنعم البداية التي يستند لمثلها في الاحساسات الوطنية مستيقظة فيك وان روح فضائل اجدادنا السامية حي في قلبك

لا يخفاك يا ولدي تاريخ عائلتنا فاني حدثتك مرارًا عديدة عن اجدادنا ولا سيما عمي

جرت دماؤهم لاجل فرنسا وماتوا لاجلها ان الجميع كانوا عظماء لانهم كانوا جميعاً منطورين على حب الواجب وعمل الخير وحتى تكون مستحقاً لهم ياولدي يلزمك السير على اثرهم والجري على سننهم ان الاحوال تغيرت اليوم في فرنسا عما قبل ففي السابق كان اخلاص الوطني لابيه وكثيراً ما كان يقاتل ويموت من اجل رجل واحد اما الان فاخلاصه لبلاده ولخير الهيأة الاجتماعية على اختلاف مراتبها وانواعها اما قتاله فضد الشهوات والافكار الباطلة و بعض التقليدات القديمة المضرة فالحرب والحالة هذه ياولدي حرب قلم والابطال الحقيقيون اليوم هم انصار الانسانية

قال صدقت يا ابي . . آه كم يلذ لي استمرارك على التكلم بمثل هذا الحديث

فتبسم المركيز وقال لا يمكنني مع هذا ان استمر على التكلم في هذا الموضوع حيث لدي اشياء اخرى اريد قولها لك اني حدثتك مراراً عن الدوقة دي شيبسنيل تاكوي ان هذه الدوقة كانت عمة ابي وقد ماتت متقدمة بالسن في قصرها القديم في بيرشيه على مسافة بعض فراسخ من لو عن ثروة عظيمة جداً ونحن مديونون لهذه الدوقة بالقسم الاعظم من ثروتنا لانني انا وريثها الوحيد ولم يكن لها غيري وقبل وفاتها بخمسة عشر يوماً بلغها خبر ولادتك ففرحت بذلك فرحاً عظيماً لانها كانت تخشى من زوال اسم كولانج عن الارض بزواله ورأت من حين وجودك انك ستحمل اسم اجدادنا باستحقاق وشرف فارادت ان تعطيك برهاناً على حبها وتترك لك تذكاراً منها فاستدعت حالاً محرر المقاولات وزادت ملحقاً على وصيتها وهبتك فيه مبلغ مليون وخمسمائة الف فرنك ثم قصرها واملاك شيبسنيل على شط الالبه وكانت تساوي وقتئذٍ اكثر من مليون وطلبت ان يسلم اليك كل ذلك عندما تبلغ الواحدة والعشرين من العمر

وعند ذلك لم يسع الشاب الامساك عن اظهار الدهشة والتعجب واستمر المركيز على الحديث فقال ان اراضي شيبسنيل قد زادت قيمتها كثيراً من حين تولى الموسيو ماربوت مناظرتها فان هذا الرجل النشيط الجامع بين الذكاء والاستقامة اجرى فيها تحسينات كثيرة واحسن الانتفاع بكل شيء حتى اضحت اراضي شيبسنيل الان تساوي نحو مليون ونصف فتكون قيمة الهبة التي خصصتك بها الدوقة دي شيبسنيل تاكوي ثلاثة ملايين وقد خولتني هذه الدوقة في ملحق الوصية ان امسك هذه الاملاك عنك اذا رأيتك غير صالح لادارتها الا ان ظنها في هذا المعنى لم يصدق وصار يلزمني الان وقد اتممت السنة العشرين من عمرك ان انفذ ارادة الدوقة فمن تاريخ هذه الساعة اصبحت املاك شيبسنيل تخصك واليك مرجع حساباتها ومداخيلها اما من

وجدتها سهلة مسرة وقد فعلت كل ما في وسعي لاتمام ما نتظرينه مني وحففت ثقة المركيزة

فاجابت المركيزة انك كنت لاتستحي بعقام امٍ حقيقية ثم تعانق الاثنتان بحنو شديد ولما ظهرت جبريلة رغبتها بترك منزل كولانج ولكن المركيزة عارضت في ذلك معارضة شديدة وقال لها المركيزة بمناسبة هذا العزم اصحى من عائلتنا وتخصيصا وسنحافظ عليك فيما بيننا ولكن لا تقصد بهذا مس حريتك بل بالعكس ستكونين عندنا بتمام الحرية والاستقلال

فانقادت جبريلة لطلب المركيزة وحيّت وبقيت عندها وكان لها كالسابق غرفة في منزل كولانج في باريس وغرفة في القصر ولكنها كانت تقيم دائمًا في القصر لانها تحب الوحدة ويسرها الانفراد مدة الشهور الستة التي تقضيها عائلة كولانج في المنزل وكانت قد ادركت لزوم التغلب على اميال حبها الوالدي فحكمت على قلبها بالسكوت وتحملت بصبر الابتعاد عن ولدها الا ان المركيزة كانت تحرر اليها غالبًا وتطمئنها عن اوجين الذي يحرر لها احيانًا بما يخفف عليها مكاره وصدها وهي تحافظ على هذه التحارير وتعاود قراءتها نحوًا من عشرين مرة لان هذا هو منتهى سعادتها وافراحها وعندما يصلها تحرير من ولدها تضعه عدة مرار على شفتيها قبل قراءته وتقول في نفسها ان عينيه نظرتا الى هذه الورقة ويده خطت هذه السطور ولدى تقريبه من شفتيها كان يظهر لها انها تقبل شخص ولدها ومع هذا فان جبريلة كانت تجد الاشهر الستة التي تصرفها عائلة كولانج في باريس طويلة جدًا وعدما لا يعود لها اقتدار على مقاومة رغبتها بمشاهدة ولدها كانت تبادر فجأة للسفر الى باريس ولكن لا تبقى ثمة اكثر من يوم او يومين حيث لا تلبث حتى تشاهدت اوجين وعانقته مكسيمليان ان تعاود قلبها المسرة والافراح فتنقلب راجعة الى مكان عزلتها وكانت الاقامة في باريس من جهة ثانية خطرًا عليها لان الكونت دي سيسترون مقيم فيها ايضًا وهو يتردد غالبًا على منزل كولانج

وكانت شقيقة الكونت دي سيسترون السيدة دي خالكور قد فقدت زوجها ولم يعد مطلوبًا من الاميرال اخيها تلك الاسفار الطويلة في عرض البحر كالسابق فاستقر نهائيًا في باريس بقرب شقيقته ولا بنتها ابلين وهي فتاة في السادسة عشرة من العمر

وكان قد مضى نحو ثلاث عشرة سنة على جبريلة لينار من حين دخولها الى منزل كولانج بصفة مهذبة تحت اسم السيدة لويزو في كل هذه المدة بقي الوفاق الاتم مستمرًا بينها وبين المركيزة

وعندما حضرت ايام الصيف الجميلة خرجت عائلة كولانج الى القصر الصيفي الذي يفضلون

الاقامة فيهِ على بقية الاماكن وكانوا ينتظرون ثمة مجيء السيدة دي فالكور وابنتها اما الاميرال دي سيسترن فكان معهودًا اليهِ بمأمورية مهمة من وزارة البحرية ولا يمكنهُ الحضور لموافاة اختهِ وابنتها الى قصر كولانج الا في القسم الاخير من شهر ايلول وحصل الاتفاق انهُ متى حضر تسافر جميلة الى قصر شيسنيل كما التزمت ان تفعل مرارًا عديدة

وفي هذه السنة كبقية السنين كان منتظرًا ان يحضر الى القصر من حين الابتداء بالصيد عدد عظيم من الاصدقاء فانهُ فضلاً عن اصحاب المركيز كان الكونت اوجين الشاب قد دعا ايضًا البعض من ارفاقهِ في مدرسة الفنون ومدرسة المعادن

الفصل السابع

هبة المدوقة

في صباح يوم عند رجوع اوجين من التنزه الذي كان يباشره في كل يوم تفريجًا على ظهر الجواد في ضواحي كولانج وجد المركيز ينتظرهُ في دار القصر فترجل بخفة الى الارض ثم القى عنان الجواد الى احد الخدم واقترب منهُ فسألهُ المركيز هل انت مسرور من تنزهك

قال مسرور بالمسرة يا ابي وقد اشعر يوميًا بلذة عظمى عند التجول في اراضينا الجميلة ولا اسأم ابدًا من تكرار النظر الى بعض هذه المناظر فيالله ما ابدعها

قال المركيز وفضلاً عن هذا فان النهوض باكرًا مفيد للصحة والجري على ظهور الخيل مقدار ساعة او ساعتين من انفع الاشياء

قال صدقت يا ابي ان التمرن على ظهر الجواد افادني كثيرًا

قال اجهدت نفسك كثيرًا يا ولدي وتعبت كثيرًا ولا اخفي عليك ان صحتك سببت لي بعض القلق في هذه السنين الاخيرة اما الآن فقد زالت عني بالكلية تلك المخاوف السابقة وراق بالي وسكنت هواجسي وثبت لديَّ فرح نمو قواك الجسدية فلم يعد لاعينك تلك اللحظات الغاربة الناشئة عن ملازمة الشغل والتعب ثم برز خداك واخذت الوان الصحة النضرة تتغلب بالتدريج على اصفرار وجهك

وكان الكونت دي كولانج غاية في الشرف والحسن فهو طويل رشيق نحيل قليلاً

جهة المبلغ المالي وقدره مليون وخمسمائة الف فرنك فهو اوراق على المملكة واسهم في السكة الحديدية وقراطيس اخرى موضوعة في البنك الرنساوي وهي من الان تخصك ايضاً وتدفع اليك فوائضها

قال الشاب ان دهشتي عظيمة يا ابي وانا متأثر كثيراً لما ارادت الدوقة عمله لاجلي وساحفظ تذكاره في قلبي الى الابد ولكن لا اريد ان اقبله

فسأل المركيز ولماذا

قال حيث لا اعلم ما الذي افعله بهذه الثروة والاصوب ان تبقى بين يديك من ان يعهد بها اليّ

اجاب المركيز مبتسماً ان هذه هي ارادة الدوقة

قال صحيح يا ابي ولكنني صغير ولم اصر بعد صالحاً للاستيلاء على مثل هذه الثروة العظيمة

قال المركيز اني اعرفك ياولدي واتحقق من الان انك لا تسيء استعمالها ولا تصرفها الا في طرق الخير والصلاح ثم يسرني من جهة ثانية ان تتعود من صغرك على ادارة املاكك

فسأل الوجيه هل هذه هي ارادتك القطعية

اجاب نعم

قال امن الممكن ان اطلع بعد هذا على مقاصدك وعلى التغييرات التي يراد ادخالها على اساليب معيشتي

قال تحصل قبل كل شيء على منزل خصوصي لسكنك

فاجاب الشاب بحرارة لا لا يا ابي لا اريد الانفصال عنكم

قال كن مرتاحاً من هذا القبيل فسوف تداوم السكن بجانب فعسانا نسأل هل يسع قلبي الصبر على فراقك حتى ارضى بالانفصال عنك ان جل رغبتي بما قلت انما هو زيادة راحتك ولا يخفاك ان منزل دكولانج متسع وان الجناح الايمن منه خال من السكان فهناك يا ولدي يكون منزلك الخصوصي الذي اخبرتك عنه اي خدمك وعرباتك وخيلك وهكذا لا ننفصل عن بعضنا كما توهمت بل نبقى سوية كالسابق

قال اذا كان الامر كما ذكرت فلا اعلم كيف يمكن ان اصرف مداخيلي

قال المركيز ان فرص عمل الخير كثيرة يا ولدي فاذا تم بها ولي الرغبة بمجانبتها فاقتد بما لك التي لا تكف ابداً عن اعطاء الحسنات ان المساكين كثيرون في كل مكان ومن واجبات الاغنياء ان يأتوا لمساعدة الفقراء بما في الامكان ثم يمكنك من جهة ثانية يا ولدي ان تجري

بعض الاقتصاد حتى يسعك عند الزواج ان تقدم لعروسك ما يلزمها من الحلى الفاخرة بدون أن تمس رأسمالك

قال عندما وقت طويل بعد للتفكر بامرز واجي

قال الحق معك ولكن لا اجد مانعاً من التكلم بخصوصه الان فاني ارى الرجال في ايامنا هذه يقضون قسماً طويلاً من حياتهم بلا زواج

قال اوجبون من المحتمل انهم يفعلون ذلك لانهم لا يجدون بسهولة المرأة التي توافقهم

قال المركيز ومن المحتمل ايضاً ان يكون هذا تصعباً منهم اما انت فلا يسعك الاعتذار بمثل هذا العذر حيث لك ان تختار عروسك بين اجمل واشرف البنات

قال لا انكر ذلك يا ابي ولكن الزوجة لا تختار بمجرد النظر لجوهرة يراد شراؤها ومن اللازم قبل كل شيء ان أحب

قال انت حاصل على جميع الصفات اللازمة لذلك

اجاب من يعلم

قال كيف لا وانت غني ممتاز ذكي مهذب جامع بين الشبوبية والجمال ثم لك اسم عظيم وامامك مستقبل بديع وهذه جميعها امتيازات شخصية عظيمة كان من اللازم ان تحملك على الثقة بنفسك

قال اكيد يا ابي ولكن لا اريد الاعتماد كثيراً على هذه الصفات

فسأل المركيز ولماذا

قال مخافة ان اكون مغشوشاً بها

قال الشك من اصحاب الشك

قال لا يا ابي ولكن يهمني التشبه بك وان اكون مستحقاً لك

قال فاذن انت كثير الاتضاع

قال لا عجب بذلك لاني تلميذك وقد علمتني ان لا اكون معجباً بنفسي ولا متكبراً وعلى فرض اني مجمل بعض الصفات الحسنة فهي لا تزال محجوبة عن نظري لا اقوى على ادراكها اما من خصوص الزواج فلست مستعجلاً فانا حتى اهتم باختبار صفاتي الشخصية المذكورة

قال المركيز اني لا ارى رأيك في ذلك وجل ما ارغب فيه ان تتزوج في مدة سنة او سنتين على الكثير

فاستمر الشاب ساكتاً واستتبع المركيز حديثه قائلاً الم يقع اختيارك بعد على احدى الصبايا

البت يا عاهت الملواتي نعرفهن

فتمتم الشاب يا ابي . . .

قال اجبني بصراحة كصديق

قال نعم وقع اختياري على فتاة

فسأل وهل تحب هذه الفتاة

قال نعم احبها

قال [illegible] هي نعرف ذلك

اجاب [illegible] يا ابي نجهله

قال فاذن انت لا تعلم اذا كانت هذه الفتاة تحبك او لا

فاجاب اوجين ماشارة من رأسه وقد خطف لون خديه فجاءة رجل يضطرب

قال المركيز بصوت ودادي اذهب يا ولدي وثق ملك ان هذه الفتاة على فرض انها ما احبتك بعد لا تلبث ان تحبك وسوف تنتهي هذه الحادثة كقصة « رومان » بالزواج الذي ارغبه لك وهو زواج الحب بقي عليّ ان اسألك عن اسم هذه الفتاة

قال هي اعظم صديقات شقيقتي السيدة ميلين دي فالكور

فضغط المركيز على احدى يدي اوجين وشد عليها بيديه وقال لا اريد ان اخفي عنك سروري وارتياحي فانا لا اصادق فقط على هذا الاختيار بل اجد فيه منتهى السعادة التي اتمناها لك حب امبلين يا ولدي ولا تخش في حبها مانعاً فسوف تكون امرأتك لان الاميرال طالما يرغب مثلي بحرارة هذا الزواج وكان عمرك سبع سنوات وامبلين لا تتجاوز الثلاث عندما انا والكونت دي سبستري قررنا زواجكما

وفي ذلك الحين اقبلت مكسيميليان ركضاً من القصر الى قرب ابيها واخيها وكان في يدها ورقة فقال المركيز يظهر من هيأتك انك مسرورة

اجابت نعم يا ابي كثيرة السرور

فسأل وما هو الداعي لهذا السرور العظيم

قالت هذا التحرير الذي وصلني الآن

فسأل ممن

قالت من صديقتي الحبيبة امبلين دي فالكور ثم دفعته الى ابيها وقالت خذ واقرأ فترى ان فرح امبلين لا يقل عن فرحي وان كلاً منا تود لو تطير طيراناً لملاقاة الاخرى ثم صاحت

ياللسعادة انها ستصل بعد غد .. ولو سمعت السيدة دي فالكور لا مباين فكان الاثنان في كولانج منذ خمسة عشر يوماً . من اللازم يا ابي ان تلام السيدة دي فالكور على هذا التصور

قال المركيز اعدك بذلك ثم انكب على قراءة الورقة فقالت مكسيميليان لشقيقها لا يوجد شيء بخصوصك في هذا التحرير ولا تصعب عليك معرفة الاسباب لانك اعرضت منذ زمن عن مودة اميلين

فظهر على اوجين ملامح الحزن والكآبة وقال جرت عليّ يا شقيقتي

قالت نعم يا سيدي جرت عليك لانك تستحق هذا الجور فقد انقطعت للجير والموازنة وغير ذلك ونسيت اصحابك ولكن امل ان تحسن التصرف بعد الان بما يؤهلك للصفح ثم قدمت خديها اليه وقالت قبلني الان

قال المركيز والام

قالت هاك قبلة الصباح فيجب عليّ الذهاب لمعانقة امي ثم فرت هذه الفتاة البديعة بخفة كعصفور

وبعد ذهابها قال المركيز لولده اراك عابساً حزيناً فماذا تفتكر

قال نعم شقيقتي

قال المركيز يثبت مما قالته لك انها لا تعرف الحقيقة لاني قرأت التحرير المرسل من السيدة اميلين دي فالكور فاذا هو عناية بالمودة نعم انها لا تشير فيه اليك مع علمها بوجودك معنا في التصر فلماذا يا ترى كل هذه التحرس هل تريد ان تعرف افكاري بهذا الخصوص انه لا يصعب على من يحسن القراءة بين الاسطر ان يعلم بان السيدة اميلين دي فالكور لم تغفل في تحريرها كل ما تريد قوله وهي لم تكثر من توجيه القبلات الى مكسيميليان الا بقصد ان ينوبك منها قبلة على الاقل فدع يا ولدي هذه الهيأة الحزينة وكن فرحاً كشقيقتك وثق اني لست مخطئاً بقولي لك انه لا يلزمك من السعي الا قليلاً لتحب

الفصل الثامن

ابتداء العمل

كان سوستين دي بيرني وجوري باسكو في نحو الساعة الثامنة مساء يتحادثان سوية في منزل مونتمارتر وبهما بشاغل قوية وعلى وجهيهما ملامح القلق الشديد

وكانت جبهة البورنغالي تقطب من وقت الى آخر بنوع من الانقباض العصبي وسوستين دي بيرني في حال شديدة من الاضطراب والهياج يصير آذنًا صاغية الى اقل صوت او حركة تأتيهما من الخارج وهما يتكلمان باشياء غير مهمة كأنهما يخشيان الابتداء بالموضوع الخطير الذي يشغل افكارهما وبعد برهة من السكوت قال سوستين فجأة:

بدأت اخشى يا جوزي ان يكون رأيك مشومًا

فاظلمت اعين البورنغالي وترأيدت نناض جبهته وقال بصوته النحاسي اذا لم ينجح يكون مشومًا والّا فبالعكس يكون حسنًا

قال سوستين انَّنا على كل مخاطرون بالاخطار ونحن نعمل الان عملاً هائلاً

قال البورتغالي من اللازم على المرء ان يكون جسورًا حتى يكسب كثيرًا

اجاب صحيح ولكن من المحتمل ان يخفق كل شيء

قال البورتغالي من لا يخاطر بشيءٍ يا صديقي لا يحصل على شيء

قال لا اخفي عنك يا جوزي اني قلق مضطرب

قال وانا ايضًا لست على شيء من الراحة ومع هذا فنحن لا نعلم شيئًا الان ومن اللازم ان ننتظر

قال مضى على سفره الان نحو ثلاثة ايام

قال اعلم يا صديقي ان الانسان لا يقدر على عمل شيء بالسرعة التي يريدها

قال سوستين ان اخطارًا كثيرة تتهدده

قال اظن انه ماهر بما يكفي لمجانبة هذه الاخطار

فسأل سوستين واذا بالرغم عن حكمته ومهارته قبض عليه

فاظلمت اعين جوزي وقال بصوت خشن هذا ممكن ولكن الم تقل لي انك مطمئن اليه

اجاب نعم

قال الم يحلف لنا في معقا المكان انه يحافظ على السكوت وانه لا يبوح بكلمة ولو مهما حدث

قال صحيح

فسأل هل يمكن ان يحنث بيمينه

قال لا اظن

قال ما دام الامر كذلك فلا نكن عجولاً باظهار الخوف ياصديقي

قال سواء لديّ حدث ببينة او لم يحدث والمهم عندي انك تطرفت كثيراً بالمخاطرة

قال من يريد الغاية يريد الواسطة ولو اصابنا التردد في نيويورك ونقصتنا الجسارة لباع الشيخ اليهودي مجوهراته ونحن في اميركا انه يوجد بين المضرورات ما لا يحسن الوقوف تجاهها على الاطلاق كن متيقناً حيلا تصرف بطيش بل بالعكس انكر واقتش واتجسس الارض التي نسير عليها واهيئ الطريق واحص واهتم بكل شيء وارتن بقسطاس التهي ما يوافق وما لا يوافق وادرس واحسب ولست افعل الا ما اراه حسناً وموافقاً للغاية التي نريد بلوغها ولا ريب ان امامنا كثيراً من الصعوبات والعوائق من جميع الانواع ويلزمنا تذليلها وابادتها جميعاً وفي جملة هذه العوائق التي تحول دون مرغوبنا شخص المركيز دي كولانج فمتى مات يزول من طريقنا العائق الاعظم فلا يعود لنا عمل معه وهكذا يضمحل شاغل من شواغل افكارنا ويتقدم مشروعنا خطوة نحو النجاح نعم ان الاحوال الان لا تقضي بضرورة التخلص منه حالاً ولكن فكرت مرحومة ثبتة انه لا يمكن الاستيلاء على ملايينه في مدة حياته وانا سنأخذ بالعمل عن قريب حريثما شرط وتجتمع جميع دواعي وحتى لا يبقى امامنا ما يعرقل مسيرنا وسرعة عملنا حكمت بضرورة التخلص من المركيز قبل كل شيء ما دام ولا بد من التخلص منه

قال دي سيربي لكن بعد موته تبقى المركيزة

فسأل باسكو واذاً بقيت

قال تكون عثرة اخرى في سبيلنا

قال صحيح ولكن هذه العائق سهل محقه

قال لا اظن ان محقه سهل كما اظن

فصاح باسكو بحرارة انه لا نستطيع شيئاً ضدها والنظر الى استمرار السكوت الذي نحافظ عليه منذ عشرين سنة لا اظن انه تحول المقاومة ثم يوجد الان بين ايدينا كل ما يلزمنا لاجبارها على التنازل عن ثروة المركيز دون ريب انها لا تدعي شيئاً وتترك كل شيء لان هذه المركيزة تخاف في المستقبل كالماضي من اكتشاف السر وتفضل الانسحاب من العالم وهي لا تطلب خلاف الاعتزال الى مكان منفرد وتقنع بمعاش سنوي يدفع اليها من ابنتها وهكذا يتقرر كل شيء قلت لك فلا وكرر لك الان انه يجب ان نقبض على اعنة الامور

قال سوستين واين جبريئة لبنار الكونت دي كولانج

قال باسكو هذه لا يخشى منه اكثر من المركيزة لان الافادات التي بلغتني عنه موافقة

كثيراً لمقاصدنا فهو بخلاف العادة شديد الحرص على الآداب له احساسات شريفة سامية ثابت في مبادئه والشرف عنده يقام كل شيء حتى لو وجد في الزمن القديم لحسب من الابطال ان هذا الشاب متى علم انه يحمل اسماً ولقباً لا يحق له وانه غريب عن عائلة كولانج لا يصبر الى ان يقال له اذهب من هنا بل يترك عاجلاً هذه العائلة ثباتاً لمبادئه ويبارح المنزل بدون ان يمس شيئاً

فسأل سوسنين ساخراً هل تصدق ذلك

قال نعم اصدقه وانت يا دي بيرني لا يسعك ان تدرك امكان التصرف على هذه الصورة لانك لا تفعل هذا العمل وكذلك انا لا افعله ولكن نحن لا ندري نعلم انه يوجد ايضاً في نفس هذا الجيل الذي اصبح فيه الذهب الا له التقدير اله كل شيء اناس تحملهم العظمة على التطرف بمبادئ الشرف والشهامة الى هذا الحد

قال هلا يمكن ان تكون مخطئاً

اجاب بلى يمكن ذلك

قال وحينئذ ماذا تفعل

قال انا حاصلون على كراس المركيزة وبقوة هذه الاوراق التي تحول هذا الكونت دي كولانج الى هباء منثور

قال دي بيرني ان هذا يستدعي قيام دعوى

اجاب بلا ريب

قال وما العمل حينئذ ان الدخول في الدعوى يكشف عن كل شيء ويقضي بالحكم علي

فقال باسكو هل نسيت يا عزيزي انك لم تعد حياً واني ارسلت تحريراً من نيويورك الى فرنسا علم منه المركيز والمركيزة انك مت ولا ينقصنا الآن لاثبات موتك حقيقة خلاف الحصول على ورقة رسمية تؤيد وفاتك واذا تم ما حسب املي بدون الاحتياج الى الوسائط المتطرفة ينشر سوسنين دي بيرني من القبر ويعود الى الحياة ولا تبقى اسمك كالان جاك البول وانت لا يهمك كثيراً التمسك باسم دي بيرني لان هذا الاسم لا يعد في باريس معنى القداسة والصلاح ثم ما الذي تريده بالحرى خلاف احراز الثروة والحصول على نحو مليونين او ثلاثة ملايين للتمتع بعيشة المدح والسعادة انك ستحصل على ذلك ونحن نشتغل لهذه الغاية ان ثروة المركيز تعدل الان بنحو خمسة وعشرين مليوناً واظن ان حصة كل منا تكون كافية لضمانة سعادته فاذا كنت لا تقدر ان لا تريد الاقامة في باريس يسهل عليك وقتئذ

الذهاب الى حيثما تريد حيث لا يجناك ان الانسان مع الثروة يحصل في كل مكان على جميع الافراح والنعم والملذات ففي انكلترا تصير لوردًا وفي الروسية غراندوقًا وفي ايطاليا اميرًا وفي الشرق باشا وفي الهند سوامًا وفي الصين حاكمًا واذا لم نسرك كل هذه الاشياء فاسمح لي ان اقول لك انك صعب لا يعجبك عجب

قال سوستين بصوت عميق علينا بالنجاح اولاً وبعده نرى

ثم تبع هذه الكلمات سكوت طويل وكان جوزي باسكو قد اشعل سيكارة فنهض للذهاب وهمّ الى فتح الباب واذا سوستين يقول له بحرارة انتظر

فالتفت جوزي اليه وسأل ماذا

البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

القوى العقلية والفوسفور

ان كثيرًا من الناس يعتقدون ان مادة الفوسفور لها تأثير عظيم في القوى العقلية وان قوى العقل تزيد بزيادة هذه المادة في الدماغ وتنقص بنقصها وان الاغذية والمأكولات الشائع عنها انها كثيرة الفوسفور كالسمك مثلاً يعيد الى العقل ما يخسره من القوى باجهاده على الاعمال الشاقة وقد تفرغ اخيرًا لدرس هذه المسألة المستر اتوار تراحد الفسيولوجيين الاميركان وثبت لديه بعد الفحص ان لا صحة لهذا الاعتقاد وان تأثير الفوسفور في قوة العقل لا يختلف عن تأثير الازوت والكربون وبقية العناصر التي يتألف منها الحيوان والنبات اما دعوى وجود المادة الفوسفورية بكثرة في السمك وفائدة الاغتذاء به لنمو العقل فقد رأى هذا الفسيولوجي انها فاسدة ايضًا وان مادة الفوسفور في لحم السمك ليست ازيد منها في بقية اللحوم وان السمك لا يوصف غالبًا لاصحاب الاشغال العقلية الذين قلما يستعملون التمرينات الجسدية لان المادة الدهنية فيه اقل منها في غيره ولا يخفى ان هذه المادة لا يكون هضمها تامًا والانتفاع بها الا بالاشغال الجسدية

كسوف الشمس

في اليوم التاسع عشر من هذا الشهر آب

تكسف الشمس كسوفاً تاماً في الروسية والصين واليابان وبولونيا وجبال الورال وروسيا وقد سافر كثير من الفلكيين الى الروسية الحرانية لهذا الكسوف ودرسوه اما في فرنسا فالمرة الاولى التي يشاهد فيها مثل هذا الكسوف التام تكون في ٢٨ ايار سنة ١٩٠٠ ثم في ١١ آب سنة ١٩٩٩

المنطاد

زعم احد الروسيين الموسيو كوسلوفيتش انه وجد الآلة المطلوبة لادارة المنطاد حسب رغبة المسافر فيه وهو يصطنع الآن الاجزاء التي تتألف منها هذه المركبة الهوائية في بلاد مختلفة من اوربا حتى لا يفتشوا سر هذا الاختراع ويقال في بطرسبرج ان هذه المركبة سيكون طولها اثني قدم

الدكتور غراست بك

كتب الينا حضرة مدير مجلتنا من القاهرة ان جناب العلامة المحقق الدكتور غراست بك قد رحل الى اميركا لحضور جلسات المجمع الطبي الاميركي ثم التطوف بعد ذلك حول الارض والعود الى القطر المصري من جهة الشرق ولا يخفى على احد شهرة هذا العالم الفاضل وما له من غزارة العلم وسعة الاطلاع وكثرة الاختبار وعلو الهمة وكرم الاخلاق وحرية الضمير التي تشف عن صدق المبدأ وسلامة القصد ونحن نذكر القراء مسألته المشهورة التي نصها بخصوص الهواء الاصفر الذي ظهر في القطر المصري سنة ١٨٨٣ فانه ذكر فيها بحرية تليق بامثاله من كبار العلماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم والانسانية ان تلك العلة وفدت الى ذلك القطر من الهند وليست موضعية كما ذكر الانكليز واراد ان ثلاثة وحضرة الدكتور المومأ اليه مآثر فضل كثيرة في بلادنا الشرقية وغيرها لا تحصى تعدادها فنرجو ان ترافقه السلامة في ذهابه وايابه وان يبقي الله سبحانه وتعالى للعلم والحقيقة مثل هؤلاء الانصار الذين لا يكلون ولا يملون في خدمتها حرصاً على خير الانسانية

الثلج

ثبت بعد الفحص المدقق امكان وجود بعض الهوام السامة في الثلج وان مداولته مع الماء لا يبعد ان يتأتى عنها مضار عظيمة للاجسام وقد حصل عن هذا الاكتشاف جزع شديد في اميركا بالنظر الى كثرة استعماله في هذه البلاد وليس المراد بهذا ان جميع الهوام التي توجد في الثلج تكون سامة مضرة بل بالعكس قد يوجد فيه هوام كثيرة لا تحدث ضرراً ولكن لا بأس لزيادة التحرس من الخطر ان يستعمل الثلج من الخارج لتبريد الماء واذا تعذر وجود الثلج يمكن الاستعاضة عنه بوضع قبضتين من ملح الامونياك في قسم من الماء في وعاء معدني ثم توضع زجاجة الماء المراد تبريده في وسط هذا الوعاء فلا تلبث ان تبرد بما يغني عن الثلج

قدوم

قدم الى مدينتنا من القطر المصري في اواسط الشهر الماضي جناب العلامة الفاضل يعقوب افندي صروف احد منشئي جريدة المقتطف الاغر ثم حضر في هذا الاسبوع ايضاً جناب الاديب المتمدن شاهين افندي مكاريوس مدير الجريدة المذكورة ومحرر اللطائف فنهنئهما بالسلامة ونرحب بهما

باكورة نظم

اهدى اليه سليل القوم السراة وفرع دوحة المجد والكرم جناب الشاب الالمعيّ الامير شكيب ارسلان نسخة من باكورة نظمه فتلوناها واذا هي مجموع شتات افكار باهرة نادرة وعقد معانٍ بديعة فوائدها ومصادرها ظاهرة وقد راعنا ما بها من الابيات الرقيقة والالفاظ الرشيقة والاساليب الدقيقة المسرودة في الصنائع الاستعارة والاقتباس والتضمين فنشكر همة الامير الموما اليه وسعيهُ في نشر الفوائد ونرجو لهُ مع تقدمهِ في السن تقدماً في المعارف ومراتب الحكمة والفطنة والكمال

اما الكتاب المذكور فقد اهداهُ لحضرة العالم العامل والاستاذ الكامل الشيخ محمد عبده المصري الشهير وافتتحهُ بقصيدة ثناء عليه

مرفأ بيروت

ذكرت اخبار الاستانة مفاد بعض شروط الامتياز الممنوح الى وطنينا المكرّم يوسف افندي مطران لانشاء المرفأ فاخترنا اثبات ذلك بما صورتهُ

ان مدة الامتياز الممنوحة ستون عاماً ويشترط على صاحب الامتياز ان يدفع للبنك العثماني مبلغ ستة آلاف ليرا عثمانية في مدة ثلاثة اشهر من تاريخ عمل فرمان الامتياز وهذا المبلغ يبقى في البنك على وجه الضمان ولا يسلم فرمان الامتياز الا عند الدفع ثم لصاحب الامتياز فرصة سنتين ونصف من تاريخ الفرمان لتقديم رسم المرفأ والتصديق عليهِ من لدن الدولة العلية

والشروع في العمل وله خمس سنوات ايضًا لنهاية عمل المرفا فتكون المدة المعطاة لعمل المرفأ سبع سنوات واذا لم يتم باتمام العمل في هذه المدة المعينة يخسر التأمين المدفوع منه للبنك العثماني ويشترط على شركة المرفأ ان تكون عثمانية من نوع الانونيم وان تدفع سنويًا لخزينة الحكومة ثلاثمائة ليرا عثمانية واذا شاءت الدولة العلية جعل بيروت مركزًا حربيًا تتوقف اعمال المرفأ اما المخصصات الممنوحة لصاحب الامتياز فهي هذه يحق له نقل الامتياز من اسم الى اسم آخر مع مراعاة الشروط المطابقة كما يحق له ان يتعاطى عمل المرفأ مع شركة وطنية او اجنبية تحت اسم عثمانية وعليه ان يقوم بانشاء مكان للجمرك والكورنتينة والقبان والخفر بمقدار ارض معينة مساحتها في الامتياز ويأخذ الاماكن الحالية التي فيها هذه المحلات ملكًا شرعيًا له ثم له جميع الاراضي التي تطم في البحر البالغ قدرها مائتين وخمسين الف ذراع وهذه الاراضي تكون معافاة من رسم الويركو مدة الامتياز اي ستين سنة ويحق لاصحاب العقارات المجاورين لهذه الاراضي مشترى قسم منها بالاثمان التي تثمن بها وتشترى في مدة ستة اشهر لا غير وبعد ذلك يحرمون من المشترى ولصاحب الامتياز دون سواه ان يقيم مخازن على شطوط المرفأ لخزن البضائع وله من ضمن امتياز المرفأ امتياز آخر بمد سكة ترموي على المرفا وداخل المدينة اما الرسومات التي وضعت لهذا المشروع فهي على جميع البضائع والاصناف والاشياء والحيوانات الصادرة والواردة اي الداخلة الى بيروت والخارجة منها وعلى عموم البواخر التجارية والحربية وجميع المراكب الشراعية ثم يوجد غير ذلك ايضًا من المخصصات والرسومات لم تأت اخبار الاستانة على ايضاحها وقد ذكرت الجرائد المحلية ان حضرة وطنينا صاحب الامتياز اتفق في باريس مع شركة طريق الشام وانها ستباشر قريبًا بهذا المشروع

موسم المعارف

كانت بيوت العلم عقدت في اواخر الشهر الماضي محافل ادبية تعرض فيها الطلبة صنوفًا للامتحان بمناسبة نهاية السنة المدرسية وتسمع منهم الاجوبة بما يدل على الذكاء والنجابة ويبشر القلوب الوطنية بعصر جديد من العلم والنور

وفي مساء يوم الثلاثاء الواقع في ١٤ منه الماضي حفلت مدرسة الحكمة الزاهرة بعد الفراغ من امتحانات تلامذتها بتمثيل رواية يوسف بن يعقوب نسج بردها ونظم عقدها بنحو من الف وخمسمائة بيت من الشعر الرائق البليغ صديقنا الاديب البارع اللغوي والشاعر المفلق عبد الله افندي

المستنبي مدرس البيان في المدرسة المذكورة فاجاد الممثلون منتهى الاجادة واثرت مشاهد الرواية في الحضور كثير تأثير فصفقوا مستحسنًا مرارًا عديدة ثم وزعت صباح الاربعاء الجوائز على مستحقيها من التلامذة وانصرف الجميع لاهجًا بالشكر والثناء على سيادة الحبر الكامل والعلامة الفاضل المطران يوسف الدبس مؤسس هذه المدرسة وعلى حضرة رئيسها واساتذتها ونحن نشارك الجميع بهذا الثناء والشكر ونتمنى لها مزيد العمران والنماء والترقي لاسيما على مثل هذه المدارس الوطنية نكل ترقية شؤون بلادنا

وفي صباح الاربعاء المذكور احتفلت المدرسة البطريركية بعد نهاية الامتحان بتوزيع الجوائز على تلامذتها وقد تخلل ذلك تلاوة بعض الخطب والنصائح في لغات مختلفة فسر الحاضرون وانصرفوا شاكرين لادارة المدرسة المذكورة

وفي مساء الاربعاء احتفلت المدرسة الكلية الاميركية باعطاء الشهادات (دبلومات) لمستحقيها من الصنف فتحت الحفلة بخطاب من حضرة رئيس المدرسة الدكتور بلس ثم تلاه خطاب الاديب محمد افندي عز الدين ثم الاديب نعوم افندي مغبغب ثم الاديب الياس افندي ... وختم الحفلة خطاب الاديب داود افندي سليم بخطاب وداعي اثر في النفوس وكانت الخطب مشكورة بمواضيع محسنة تدل على براعة الخطباء وسعة اطلاعهم فانصرف الجميع مسرورًا شاكرًا

جلاء الشمع

عاد في الاسبوع الماضي من ... حضرة ... افندي الصائغ بعد ان تجول في الاقطار الاوربية وبعض المدن العربية والمصرية واخذ عن اشهر صناع الافرنج صناعة جلاء النحاس الاصفر فاصبح قادرًا ان يعيده كما كان معدن بعد استعماله لونه الاصلي فنهنئه بعوده سالمًا ونتمنى له ... ونرجو له نجاحًا يقرن بما احتمله من المشقات في هذا السبيل

اعلان

نرجو من حضرة مشتركي الصفاء في بيروت والجهات ان يدفعوا لهذه الادارة او لحضرة وكلائها الكرام ما عليهم من قيم الاشتراك في هذه السنة وان لا يعتمدوا عند الدفع الا على الوصولات المطبوعة وعليها اسم ادارة الصفاء والمصادقة باسم وخط مدير المجلة المذكورة

كاتبه
جرجي حنا
غرزوزي

وكلاء الصفا ومحلات الاشتراك

في بيروت ادارة المطبعة اللبنانية في الطابق العلوي من سوق الخواجات رعد وهاني

مركز متصرفية لبنان . ابرهيم بك الاسود
مركز قضاء الشوف . حسن افندي الخطيب
بغداد . الخواجه نابوليون الماريني
حمص . سليمان افندي يوسف نعمه
حماه . الدكتور امين افندي الحلبي
حوران . الشيخ علي القاضي
راشيا . عبدالله افندي مالك
زحله . شاهين افندي عازار
المعلقه . ابرهيم افندي فريجه
بعبدا . الدكتور فارس افندي ملاط
دير القمر . سليم افندي الجاهل
بعلبك . نقولا افندي الخوري
طرابلس الشام . المعلم ابراهيم بشاره الشويري
اللاذقية . اسعد افندي داغر
غزه . منيب افندي طنوس
دمشق . مخايل افندي مصور
والخواجه يوسف الخواجه

الاستانة العلية . عبد الله افندي خياط
حلب . مخايل افندي صقال
الاسكندرونة . ديمتري افندي زريق
القدس . ملحم افندي صالح قصر
يافا . القس مراد الحداد والمعلم سليم ابو قادر
حيفا . الدكتور شكري ابو طاجي
عكاء . نعمان افندي ابي شعر
الناصرة . القس ساروفيم ابو طاجي
صفد . رشيد افندي حبيب
جديدة مرجعيون . يعقوب افندي قده
صيدا . قيصر افندي برزلان
الاسكندرية . حبيب افندي غرزوزي
طنطا . اسعد افندي دياب
دمياط . نخله افندي قصيري
اسيوط . جورج افندي خياط
عموم الارياف المصرية . رشيد افندي سعاده
وكيل جريدة الاهرام البهية

وكالة الصفاء العامة في القطر المصري

وكيلنا العام في مصر المحروسة وسائر القطر المصري فضل الله افندي غرزوزي فمن رغب الاشتراك في محل ليس لنا به وكيل خصوصي فعليه ان يخابره ويشترك على يده



الجزء الخامس من السنة الثانية

في ١ و ١٣ تموز ١٨٨٧ الموافق ٢٢ شوال سنة ١٣٠٤

الألفة الكيمية

الألفة الكيمية قوة تتحد بها الاجسام. وهي تختلف عن قوة جاذبية الثقل التي تجذب الاجسام الى مركز الارض وتقوّى ترقيها على كل بعد معلوم. وتختلف عن قوة جاذبية الالتصاق التي ترتبط بها دقائق المادة. والفعل الكيمي لا يفعل في الاجسام الا اذا تماست مع ان الحرارة والكهربائية تفعلان فيها وهما منفصلتان عنها كما يظهر بالامتحان

(١) ضع قطعة صغيرة من الفوصفور على قطعة من الخزف او الآجر وامسك فوقها على بعد بضعة قراريط منها حديدة محمية الى درجة الحمرة فيشتعل الفوصفور

(٢) علق تبنة جافة بخيط من الحرير واحمِ قضيبًا من الزجاج بافراكه بمنديل حرير جاف وامسكه على بعد بضعة قراريط من طرف التبنة فيجذبها

(٣) اسحق قدرًا من كلورات البوتاسيوم ومثله من السكر واخلطهما جيدًا وضعهما على قطعة من الفخار واغمس طرف قضيب من زجاج في الحامض الكبريتيك القوي وقرّبه من الخليط حتى يكون بينهما اقرب ما يمكن من المسافة فلا يعتري الخليط شيء من التغير ثم مس الخليط بذلك الطرف فيلتهب الخليط حالاً. فهذا الامتحان يبين ان التركيب الكيمي لا يحدث الا اذا تماست الاجسام التي بينها الالفة الكيمية. فالمطر يقع على الارض بجاذبية الثقل واجزاء الحديد يمسك بعضها بعضًا بجاذبية الالتصاق ولكن صدأ الحديد هو الاكسجين متحد بالحديد بقوة الالفة الكيمية. والتركيب الكيمي يتميز عن الخلط والامتزاج الميكانيكي لان لمركبه

حواص تختلف كثيرًا عن خواص الاجسام التي دخلت في ذلك المركب . وعلى هذا يمكن ان تعتبر الالفة الكيمية قوة تتحد بها الاجسام فتكون مركبات لها خواص تختلف بالكلية عن خواص المواد التي تركبت منها

والتركيب يصحب عادةً بارتفاع درجة الحرارة كما يتبين بالتجربة الآتية

مزج قدرين متساويين حجمًا من الماء والحامض الكبريتيك القوي فيصير المزيج للحال احرّ من الماء الغالي

وكثيرًا ما تتغير صورة المادة وحالها الطبيعية بذلك التركيب كل التغيير كما يتضح مما يأتي

(١) صب قليلًا من الحامض الكبريتيك القوي على قدرٍ من مذوب كلوريد الكلس القوي في انبوبة لامتحان واضرب المزيج بقضيب من الزجاج فيبيض المزيج ويجمد حتى اذا قلبت الانبوبة لا ينصب منها . ويحصل على مذوب كلوريد الكلس بتذويب الطباشير في الحامض هيدروكلوريك

(٢) صب قليلًا من الحامض هيدروكلوريك في اسطوانة من زجاج وغطها بصفيحة من زجاج بقرب فم الاسطوانة وصب الحامض الهيدروكلوريك سريعًا وارفع الغطاء بسرعةٍ وصب الامونيا القوي في اسطوانة اخرى حجمها كحجم الاولى وافعل كما فعلت اولًا تمتلئ الاولى بغاز الحامض هيدروكلوريك والثانية بغاز الامونيا ثم ضع فوهة احدى الاسطوانتين على فوهة الاخرى وارفع الصفيحتين عن الفوهتين حتى يمتزج الغازان فيتولد ملح الامونياك او كلوريد الامونيوم وهو جامد ابيض

(٣) اسكب قليلًا من الحامض الكبريتيك في انبوبة امتحان فيها قليل من مذوب كلوريد الباريك فيتولد من هذين السائلين جسم جامد

وتخضع العناصر في التركيب لدرجات مختلفة من القوة . فالنحاس يعزل الزئبق من مركبه مع الكلور والحديد يعزل النحاس كذلك . ومن هذا يتبين ان للكلور ألفةً للنحاس اكثر من التي للزئبق وللحديد اكثر من التي للنحاس

(٤) امسك قطعة سلك من البلاتين في الجزء الاحرّ من مصباح بنسن او لهيب مصباح الكحول يشتعل حتى تكن لا يحدث تغير فيه ثم امسك قطعة سلك من المغنيسيوم كذلك يحترق ويصير مسحوقًا ابيض هو المغنيسيا فيظهر من ذلك ان البلاتين لا يتحد بأكسجين الهواء ولو على درجة عالية من الحرارة بخلاف المغنيسيوم

وللحرارة تأثير عظيم في قوة الألفة الكيمية فتحل بعض المركبات الكيمية كل الحل . والظاهر انها تدفع الدقائق حتى تبعدها عن دائرة الفعل الكيمي وبي تتلف كل المواد الالية لكنه يتولد على اثر هذا الاتلاف مركبات جديدة انسب من الاولى . والنور ايضاً يغير قوة الألفة . فاذا مزجنا قدرين متساويين حجماً من الكلورين والهدروجين في الظلام لم يتحدا ولكن اذا مزجناهما في ضوء الشمس اتحدا بعنف . والمظنون ان اجزاء المادة التي تتحد تكون في احوال كهربائية مختلفة وعدّ ذلك اساس كل عمل كيمي . والمجاري الكهربائية من جملة اقوى اسباب الحل الكيمي - ولان التركيب الكيمي لا يحدث الا متى كان الاجزاء في دائرة العمل الكيمي الذي يفعل على ابعاد لا يشعر بها وجب ان تغلب جاذبية الالتصاق اولاً وهذا يتم غالباً بتذويب المادة بالماء حتى تزداد الدقائق تقارباً رتقلما تتحد المواد وهي جامدة ولو كانت سحونة

ثم ان الالفة الكيمية لا تفعل الا في المواد المختلفة فلا يتحد جزء من الحديد بجزء من الحديد ولا جزء من الكبريت بجزء من الكبريت ولا مقدار من الاكسجين بمقدار من الاكسجين وقس على ذلك

وكان الكيميون يسمون الالفة الكيمية بالجذب الكيمي لأنها قوة ميكانيكية لاعتقادهم انها تقرّب بعض دقائق الاجسام من بعض . ولا ريب انها تفعل كذلك في كثير من الاحوال ومن امثلته انك اذا مزجت حجمين من الهدروجين بحجم من الاكسجين واطلقت على المزيج شرارة كهربائية اتحد الاكسجين بالهدروجين وتولد بخار الماء وشغل البخار ثلثي المكان الذي شغله المزيج قبل الاتحاد . وذلك دليل قاطع على تقارب دقائق العنصرين ولكن قد يتحد بعض العناصر ويشغل المركب عين المكان الذي شغلته وهو مزيج كما هو الواقع من اتحاد حجم من الكلور بمثله من الهدروجين فانه يتولد من اتحادهما مثل حجميهما من الحامض الهدروكلوريك

والخلاصة ان حقيقة الالفة الكيمية لا تزال وراء حجب الاسرار ولا نعلم من امرها الا انها قوة تتحد بها المواد المختلفة اتحاداً تتغير به خواصها ويحدث فيها خواص جديدة تختلف عن الخواص الاولى اختلافاً بعيداً . فتلك القوة معلومة الوجود مجهولة الحقيقة

التنين

التنين صورة نجوم طويلة منتشرة في افق الحدثان في اقالم السماء الشمالية فيه كواكب كثيرة تسهل مشاهدتها . رأسه تحت رجل الجاثي ومن ثم يمتد شرقاً الى احد وسبع عشر درجة شمالي

النسر الواقع ويكون لواؤه الاول عند هاجرة ذلك النسر ثم ينعطف شمالاً الى امد اربع عشرة درجة ويتكوّن لواؤه الثاني تجاه الشرق وهو كوكب مزدوج على الجانب الايسر من منطقة قيفاوس ومن هنالك يذهب غربًا ويتكوّن لواؤه الثالث تحت قوائم الدب الاصغر ثم يهبط على طريق القصد ويمرّ بين راس الدب الاصغر وذنب الدب الاكبر

وفي التنين ثمانون كوكبًا تظهر لمجرد العين اثنان من القدر الثاني وثلاثة من القدر الثالث وستة من القدر الرابع وقيل اربعة من القدر الثاني وسبعة من القدر الثالث واثنا عشر من القدر الرابع . وعلة ذلك اختلاف الانظار ومثل هذا الاختلاف كثير بين علماء تخطيط السماء

ويعرف راس التنين باربعة انجم بينها ثلاث درجات واربع درجات وخمس درجات كهيئة ذي اربع اضلاع غير قياسيّ الاعليان اضوأ من الاسفليين وكلّ منهما من القدر الثاني وشرقيهما نجم يسمى التنين صعوده المستقيم سبع عشرة ساعة وستّ وعشرون دقيقة وثلاث وخمسون ثانية وميلة احدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وستّ ثوانٍ شمالاً بصحة عدة نجوم مرقبية . واشتهر هذا النجم كثيرًا بأن اكتشف به برادلي انحراف النور وانكساره سنة ١٧٢٥ وهو نجم السمت في مرصد غرونيج . والى غربيه راس الثعبان صعوده المستقيم سبع عشرة ساعة وست وعشرون دقيقة وثمانٍ واربعون ثانية وميله اثنتان وخمسون درجة وخمس وعشرون دقيقة وثانيتان شمالاً . وغربي راس الثعبان وعلى امد اربع درجات منه نجم صغير اسمه الرافض والراقص . واسم الكواكب الاربعة في راس التنين العِوَذة جمع العود وهو المسن من الابل وسماها بعضهم العوائذ . وفي وسطها نجم صغير جدًّا اسمه الرُّبَع وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو اول النتاج . وجنوبي راس الثعبان على امد خمس درجات او ستّ نجمان صغيران في رجل الجاثي اليسرى ويكون راس الثعبان على الهاجرة في نفس الدقيقة التي يكون عليها راس الحوّاء او الحاوي تقريبًا . ويكون التنين على الهاجرة في نحو الرابع من شهر آب في حين يكون ثلاثة الكواكب الغربية في وجه ثور بنيا قمّسكي عليها

والى شرقي العوذة او العوائذ ثمانية كواكب من القدر الخامس وواحد من القدر الرابع في اللوى الاوّل . ويعرف اللوى الثاني باربعة كواكب من القدر الثالث والقدر الرابع يتكوّن منه شكل مساحته نحو نصف مساحة الشكل في الراس واضوأ هذه الاربعة غربيها صعوده المستقيم تسع عشرة ساعة واثنتا عشرة دقيقة وثلاثون ثانية وميله سبع وستون درجة واثنتان وعشرون دقيقة وثماني ثوانٍ شمالاً

ومن نجوم هذه الصورة الذئبان والضبع (وهو ذكر الضباع) والثعبان وهو نجم لامع من القدر الثالث على امتداد احدى عشرة درجة من القطب في منتصف الخط بين العناق في ذنب الدب الاكبر وراس الدب الاصغر يسميه الملاحون ذنب التنين. واشتهر هذا النجم بانه كان نجم القطب نحو سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد وكان بينه وبين القطب الحقيقي نحو عشر دقائق اي كان اقرب من الجُدَيّ الذي هو نجم القطب الآن الى القطب الحقيقي بنحو عشر مرات

جاء في اساطير الاولين ان التنين كان يحرس تفاح الذهب في جنة الهسبريديس المشهورة قرب جبل اطلس في افريقية فقتله هركلس وهو الذي صار صورة النجوم المعروفة بصورة الجاثي اهدت يونو ذلك التفاح لزفس او جوبتر يوم زفافها اليه فسرّ به كثيرًا واثاب التنين بان رفعه الى السماء. وقال آخرون انه حارب منيرفا في حرب الجبابرة فتغلبت عليه وخطفته بيدها وقذفت به الى السماء حول محور العالم فنام هنالك وبقي نائمًا الى هذا اليوم. وقال غيرهم هو التنين الذي قتله قدموس ايام رحلته ليبحث عن اخته اوربا التي خطفها زفس ونهاهُ عن الرجوع الى فينيقية بدونها. فاستفرغ ما في وسعهِ في التفتيش عنها ثم يئس من وجدانها فاستشار وحي ابولون فامرهُ ان يبني مدينة حيث يشاهد بقرة تربض في العشب ويسمي البلاد بيوطيا. فرأى البقرة كما اوحى اليهِ ابولون فرغب في ان يقدم له ذبيحة فارسل اصحابه ليأتوه بماء من اجمة قريبة من تلك الارض وكانت تلك المياه وقفًا للاله مرس اي المريخ يحرسها تنين هائل فافترس كل اولئك الرسل. ولما طال غيابهم جرى قدموس يفتش عنهم فوجد التنين ياكل لحومهم فثارت فيهِ نار الانتقام فحمل على التنين بالقلاع والسهام وقتله بعون منرفا ثم قلع اسنانه وزرعها بامر الالهة في سهل هنالك فنبتت كتيبة فخاف لذلك وحار ثم طرح امامهم فقتل بعضهم بعضًا ولم يسلم سوى خمسة ساعدوا قدموس على بناء المدينة

وفي هذه الصورة نجم مثلث في اللوى الاول صعودهُ المستقيم ثماني عشرة ساعة واحدى وعشرون دقيقة وست وثلاثون ثانية وميله ثمانٍ وخمسون درجة واثنتان واربعون دقيقة وخمس ثوانٍ

وفيهِ نجم آخر مثلث حسن جدًا في الانف على خط يصل بين التنين والثعبان صعودهُ المستقيم ست عشرة ساعة واثنتان وثلاثون دقيقة وثمانٍ وعشرون ثانية. وميله ثلاث وخمسون درجة واربع عشرة دقيقة وتسع ثوانٍ شمالًا وفيهِ سديم بيضي لامع صعودهُ المستقيم خمس عشرة ساعة ودقيقتان وثلاث ثوانٍ وميله ست وخمسون درجة وثلاث وعشرون دقيقة شمالًا فيهِ اربعة كواكب. وفيهِ سديم آخر بين اللوى الثاني واللوى الثالث صعودهُ المستقيم سبع عشرة

بموسى الكيميا لانه على ما تتعلمه من التأريخ كان اول من أتى الامتحانات المفيدة في هذا الفن وقد شرح في مؤلفاته كثيرًا من الطرق التي يستعملها كيماويو هذا العصر منها قوله اذا اغليت الماء فتصاعد بخاره «روحه» فاجمع هذا البخار في زجاجة اخرى حتى اذا ما بردت يتحول البخار الى ماء قراح وذلك لان المواد الجامدة كالملح وغيره التي لا تتحول الى بخار بسرعة تبقى راسبة في الوعاء الاول . وقال ايضًا اذا غليّ العرق يتصاعد منه غاز «روح» اذا جمع في قارورة ثم بردت حصل ما يسمونه بالكحول وما ذلك الا لان الكحول يتحول الى غار اسرع من بقية المواد التي في العرق وهذه الطريقة التي استنبطها هذا العالم تعرف الان بالتقطير و يتم ذلك باستعمال القرعة والانبيق يستعملها جميع كيماويو هذا العصر لفصل المواد السريعة التحول الى بخار عما سواها وقد استنبط علاوة على هذه طريقة التصعيد التي لها اهمية عظيمة في الامتحانات الكيمية ومثالًا لذلك قال اذا اخذت الزنجفر واحميته ثم جمعت الغاز المتصاعد منه في زجاجة و بردتها يتحول هذا الغاز الى عدة قطرات من الزئبق وله ايضًا ان الحديد او النحاس اذا أحمي في وعاء مكشوف زاد ثقله غيرانه لم يعلم سبب ذلك ولما ادرك حقيقته . ونسب اليه ايضًا استقطار الحامض الكبريتيك من الشب . ومما جعل هذا الكيماوي الحاذق مستحقًا ان يدعى موسى الكيميا اكتشافه الحامض النتريك الذي هو اقوى الحوامض وهو المستعمل الان في اكثر الامتحانات الكيمية . وكان الكيماويون قبل جابر يعدون الخل اقوى الحوامض . اما هو فوجد انه باحماء كبريتات الحديد وملح البارود والشب يستقطر هذا الحامض القوي وقد استعمله جابر لحل الفضة وكان ايضًا يمزجه بملح النشادر و يحل فيه الذهب . وله امتحانات اخرى لا محل لذكرها وهذه المبادئ التي ذكرناها عنه كانت الاساس الذي بنيت عليه أهم القضايا الكيمية فلله دره

اما الذين اشتهروا بعلم الهيئة والرياضيات من العرب فكثيرون غير انهم استندوا في هذا كثيرًا على مؤلفات اليونانيين ومنهم الخليفة عبد الله المأمون الذي اتقن علم الفلك اي اتقان وقد ذكرنا بعض اعماله فيه سبق . ومنهم محمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني الذي ولد في شان ما بين النهرين سنة ٨٧٩ للمسيح واشتهر جدًّا في علم الهيئة ووضع زيجًا تفضله العلماء على زيج بطليموس وهو الذي ضبط حساب السنة بالضبط فقال ان السنة ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية والحساب الذي لا ينقص الا دقيقتين فقط عما هو الحقيقة وصحح كثيرًا من رصود بطليموس وله اكتشافات كثيرة مذكورة في كتابه المترجم الى اللغة اللاتينية ومنهم ابو الحسن علي ابن ابي سعيد بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس عاش سنة ١٠٠٨ للبلاد وهو

صاحب الزيج المشهور المعروف بزيج ابن يونس. قال ابن خلكان انه لم يرَ في الازياج على كثرتها اطول منه. وكان في سنة .. للميلاد نبغ ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي الذي لم يسبقه احد في علم الجبر من علماء اليونان والعرب وهو اول من استعمل الارقام الهندية وخفف عن الناس اتعاب الارقام اليونانية الضخمة ووضع اساساً متيناً بنى عليه الرياضيون الاوربيون اكثر معارفهم الرياضية وما زالت العرب تستعمل الارقام الهندية حتى صارت اخيراً تدعى بالارقام العربية واول من ادخلها اوربا رجل فرنساوي اسمه غربرت (رئيس اساقفة الرَيمس) الذي تعلم في مدرسة العرب الاندلسية وبعده البابا سلفستر الثاني واستعملوا مع هذه الارقام كلمة سيفر من الصفر العربي. ومن اعمال ابن موسى حسابه دورة كرة الارض بعد ان ندبه المأمون الى ذلك. ثم قام في اواخر القرن العاشر خازن الاندلسي وصرف اكثر حياته في اسبانيا ولهذا العالم الشهير كتابات كثيرة في البصريات يشهد بصدقها جميع علماء عصرنا ويستندون عليها كل الاستناد ولا سيما كتاب صنفه في سبعة مجلدات ما سنة الى واحد ومن ذلك قوله انما نرى الاجسام بواسطة اشعة النور التي تقع عليها ثم تنعكس عنها الى العين فتبصرها (هذا اذا كانت الاجسام مظلمة واما الاجسام المنيرة فتنبعث الاشعة منها الى العين رأساً) وبرهن براهين سديدة على ان البصر انما يتم بشعور الدماغ بالمحسوسات الظاهرة بواسطة العصب البصري وله تعليلٌ ذو شأن عن رؤية الاشباح مفردةً مع اننا ننظرها بكلتا العينين وفيه قال ان تأثير الاشعة يكون على قسمين متواخيين من الشبكية فيؤديان صورة واحدة الى الدماغ وهذا اصح تعليل عرفه العلماء لحد الان وقد فاق جميع اقرانه بما اكتشفه من تأثيرات انكسار اشعة النور في رؤية الاجسام فقال اننا بالانكسار نشاهد الاجسام فوق الافق وهي بالحقيقة تحته ثم ذكر سبب اضاءة الجلد من الشرق قبل شروق الشمس واضاءته من الغرب بعد غروبها وذلك من انكسار اشعة الشمس بمرورها من طبقة لطيفة في الهواء الى طبقة اخرى اكثف منها ولولا الهواء لاستولى الظلام حال غروب الشمس ولم نعلم بقدوم الصباح الا حال شروقها. ولما كان نور الشمس ينكسر في صعوده الهواء كان يظهر انه آتٍ من مصدرٍ اعلى من مصدره ولذلك نرى الشمس تشرق قبل شروقها وتغرب بعد غروبها. ومما اشتهر فيه الخازن ايضاً انه لبث كتاب يبحث في الجو والشفق واكتشافه العظيم للزجاجة المكبرة المعروفة الان بالعدسية المحدبة الامر الذي ادى الى اختراع النظارتين (العوينات) والمرقب (التلسكوب) والمجهر (الميكروسكوب) وغيرها وله اكتشافات اخرى كثيرة بعضها صحيح وبعضها فاسد ولكن كيفما كانت الحال يجب ان نحسب ان ما افاده هذا الشارع ذو قيمة عظيمة لانه فتح باباً عظيماً

للاكتشافات والاختراعات الحديثة . وللعرب تآليف كثيرة في علوم اللغة والطب والهيئة والفلك والجغرافيا الى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤهُ في هذا المقام ‐

رطوبة الهواء

قد استوفينا الكلام في الاجزاء الماضية على تركيب الهواء وعلوهِ وضغطهِ وحرارتهِ وسنتكلم الان على رطوبتهِ فنقول

بخار الماء من المواد الداخلة في الهواء على ما اوردناهُ في الجزء الثاني في الكلام على تركيب الهواء . وقد رأينا في الجزء الثالث في الكلام على ضغط الهواء اهمية هذا الجزء البخاري في اختلافات ذلك الضغط وما ينتج عنهُ من تغيرات احوال الهواء (الطقس) وبقي علينا ان نصرّح بما هو كثير الاهمية في البحث عن ذلك البخار من جهة اصلهِ وصورهِ المختلفة التي بها يخرج من الهواء ويرجع الى البر والبحر ايضاً

فان قيل من اين يأتي كل ذلك البخار المنتشر في الهواء قلنا انهُ يصعد غير منظور من سطح كل بحر وبحيرة ونهر وينبوع وعلى الجملة من كل سطح مائي على وجه الارض حتى الجليد والثلج . فلا شيء يُعادل القوم ويعرفهُ كثيرون من السرعة التي بها تجف الازقة والشوارع بعد المطر . فكل مجموع من المياه المعرضة للهواء لم تتجدد المياه فيهِ تنقص مياههُ شيئًا فشيئًا حتى تزول اخيرًا . وهذه المياه لا تغور كلها في الارض وانما يغيض جزء منها على ما مرّ في بعض الاجزاء السالفة

والهواء لا يمسك يقبل البخار . وحين يبلغ الحد الذي لا يستطيع عندهُ قبول شيء منهُ يقال انهُ مشبع او بالغ حد الاشباع وحينئذٍ ينقطع التبخر . ويختلف مقدار البخار في الهواء باختلاف درجة الحرارة وهو في الحار كثر منهُ في الهواء البارد على ما بيناهُ في الجزء الثالث . وهبوب الرياح يساعد التبخر كثيرًا . فالاماكن الرطبة وبرك المياه مثلاً تجف بواسطة الرياح قبل ان تجف بالهواء الساكن لان الريح ينقل البخار حال حدوثهِ معهُ الى محل آخر ويأتي بهواء جاف يرتشف البخار الجديد ويبقيهِ كذلك وهلم جرا

والتبخر يحدث عمومًا في النهار ولا سيما حرّ ساعاتهِ وهو في الصيف اعظم منهُ في الشتاء . فيضعف التبخر حين يكون الهواء رطبًا ساكنًا ويشتد حين يكون جافًا هائجًا . وهو في الاقاليم الاستوائية اكثر منهُ في المعتدلة والقطبية كثيرًا

قيل انهُ لو جمع مقدار الماء السنوي الذي ينزل من الهواء الى سطح الارض لبلغ سمكهُ ميلاً واحدًا ومساحتهُ نحو ٢٠٠٠٠٠ ميل مربع او امتد مسافة تساوي مساحة كل بلاد فرنسا تقريبًا. وكل هذا المقدار المائي العظيم يخرج من البحر وسائر مياه الارض بواسطة حرارة الشمس. ويعرف مقدار الماء الصاعد بخارًا الى الجو بمراعاة القدر المائي العظيم الذي تصبهُ الانهار في البحار. فان الانهار كبيرة كانت ام صغيرة تصب مياهها في الاوقيانوس بلا انقطاع في كل انحاء العالم. وتستمد الانهار كل تلك المياه من الجو اما مطرًا او ثلجًا او بواسطة الينابيع. على ان مياه الانهار في مخارجها اعظم منها عند مصابّها لانها بعد سيرها من الجبال الى البحار لا ينفك البخار يتصاعد من على سطوحها. وبالنتيجة ينقص مقدار الماء فيها تدريجًا

فيظهر ان البخر والتكاثف الفاعلين العظيمين في تلك البلاد يوازن احدهما الآخر اي انهُ قد ظهر من ملاحظة نظام سطح الارض انهُ بقدر ما يأخذ الجو مياهًا من البحر والبر بقدر ما يرجعهُ اليهما تقريبًا. فينتج عن هذه الدائرة المائية العظيمة الظواهر الكثيرة كالغيوم والامطار والثلوج والانهار والجبال الجليدية والبحيرات. وعلاوة على هذا اننا اذا تأملنا في تغيير احوال البخر والتكاثف وتغلب الواحد على الآخر من وقت الى وقت في اي محل كان علمنا شدة تأثير هذه الفواعل في ضغط الهواء وحكمنا بان حركات الهواء المختلفة ناجمة عن تغيرات هذا الضغط فقد انبنا الى معرفة اهمية هذا البخار المائي في نظام كرتنا الارضية الحاضر فنقول

ان مقدار البخار من الجهة الواحدة لا يزول كلهُ من الهواء في اي محل كان مطلقًا ولو نقص احيانًا نقصًا عظيمًا. ومن الجهة الاخرى يندر ان يُشبع الهواء حولنا بالرطوبة حتى لا يمكنهُ قبول اكثر مما فيهِ ولو بان احيانًا انهُ في بعض الحال نبقى رطبة على انها تجف جفافًا بطيئًا لا نشعر بهِ لان قابلية الهواء حينئذٍ لارتشاف البخار طفيفة جدًّا

ومن وظائف البخار في الجو ان يحفظ الارض ذات حرارة اكثر مما لو كان الهواء جافًا لانهُ يتوسط حاجزًا غير منظور بينها وبين اشعة الشمس ولولا ذلك لكانت الارض حارة جدًّا. وهذا الحاجز هو الذي يتكاثف ويصير بهيئة منظورة كالغيوم التي تمنع الارض من ان تشع حرارتها ليلاً في الفضاء البارد بسرعة. فلو أزيل كل البخار من حولنا لاحترقنا نهارًا وجمدنا ليلاً وانقطعت الغيوم وزالت الامطار وعدمت الانهار وبطلت ان تكون الارض كرة مأهولة

فمن الجهة الواحدة حين يتبخر الماء يسحب البخار حرارة السطح الذي عليهِ الماء الباخر. فاذا بسط احد نقطة ماء على ظاهر يدهِ شعر ببرد الجلد قليلاً لان الماء يتحول بخارًا بسحب حرارة

من البرد . ومن الاعمال المألوفة وضع بعض منسوجات رطبة حول الاواني لحفظ ما فيها من السوائل باردًا فان رطوبة تلك المنسوجات تبخر وتُخرج بهذه الواسطة بعض ما في الآنية من الحرارة . فقد اتضح الآن ان البخار غير المنظور الذي يصعد بكثرة الى الهواء يحمل معهُ حرارة ولكن لا يشعر بهذه الحرارة ما دام البخار غير متكاثف وهذه الحرارة تعرف بالحرارة الخفية

ومن الجهة الاُخرى حين يحدث التكاثف تخرج الحرارة المختفية في البخار ويشعر بها حالما يتحول البخار ماء. وقد بين بعضهم ان كل اوقية من الماء المتحول عن البخار يخرج منها حرارة كافية لان تصهر خمسة اواقٍ من الحديد المصبوب . وبناء عليهِ نستطيع ان ندرك جليًا انهُ حيثما يحدث فعل التكاثف في الطبيعة كثيرًا يكون تحول البخار الى الحالة المائية سببًا لجعل الهواء حارًا حرارة ذات شان

ففعل التكاثف يحدث دائمًا حين يبرد الهواء الى ان يبلغ حد الندى كما سيأْتي . ولكن لا يحدث ذلك دائمًا في درجة واحدة من الحرارة ولا يظهر في شكل واحد . فاحيانًا يظهر بشكل الضباب الرقيق او كريات الندى او قطرات الماء . واذا كانت درجة الحرارة منخفضة جدًا ظهر بشكل الثلج او حبوب البرد

فالمادة التي نسميها ماء تظهر بشكلٍ هو على ثلاثة انواع بحسب درجة الحرارة . ففي الدرجات العادية اي من ٣٢° ف الى ٢١٢° ف يكون الماء سائلاً ومعلوم ان هذه اعظم حالاته المألوفة . واذا ارتفعت درجة الحرارة الى ٢١٢° ف غلى الماء وتحول الى بخار غير منظور . واذا انخفضت درجتهُ الى ٣٢° ف اشتد يجمد ويتحول الى مادةٍ متبلورة قصفة لا لون لها نسمي جليدًا . وفعل التبلور هذا نسمي التجمد ونرسم بدرجة ٣٢° ف وهي الدرجة التي يتكوَّن عندها وتسمى نقطة الجليد او حده . فبحسب درجة الحرارة التي يحدث التكاثف عندها يكون البخار اما سائلاً او جامدًا . ولنذكر كلاً من اشكاله بالتفصيل

الندى

يحدث التكاثف على اوراق النبات والحجارة وغيرها من المواد حين يكون الجو صافيًا في بعض ليالي الصيف فتغطى كل تلك المواد بقطرات نقية من الماء تُعرف بالندى . قيل في المحيط « ان ما وقع منهُ آخر الليل فهو الندى وما وقع في اولهِ فهو السَدَى » . فاذا كان الجو مغيمًا انقطع الندى او قلَّ لان الهواء في الليالي ذوات الغيوم لا يكون باردًا كما لو كان الجو صافيًا . فعلة ظهور هذه الرطوبة الندية هي نفس علة الغشاء الضبابي على ظاهر زجاجةٍ مملوءة من المياه الباردة جدًا موضوعةٍ في غرفةٍ حارة . فالندى يحدث من بخار الجو لا من المواد

الظاهر عليها . ومتى كان الجو بلا غيوم يحدث التشعع السريع من الارض فيبرد السطح فتصير تلك المواد ما لاً ابرد من الهواء كثيرًا . فالعشب مثلاً يبرد بمثل ضعفي برد التربة العادية وبعد استمرار العمل على هذا النمط يبرد الهواء المباشر تلك المواد بحيث لا يستطيع ان يحفظ كل ما فيه من البخار فيتكاثف بعضه ويظهر كالندى وبناء عليه يترطب العشب سريعًا بفرط الندى المتجمع عليه . والدرجة التي يحدث فيها هي نقطة الاشباع او نقطة الندى او حدّه

وقد تقدم ان بخار الجو يشتمل على مقدار عظيم من الحرارة الخفية التي لا يشعر بها الاّ متى تكاثف البخار . فتكوُّن هذا الضباب او الندى على سطح الارض يرجع الحرارة الى الهواء ايضًا ولكن متى اخذت الارض بالتشعع بتحدّد الهواء يبرد الى ان يبلغ نقطة الندى . فكلّ ما كثر وقوع الندى على سطح الارض كل ما كثر خروج الحرارة منه . وبهذه الطريقة تحفظ الليالي من ازدياد بردها على درجة الندى على انه احيانًا تنخفض درجة الحرارة كما في الشتاء او يتعاظم فعل التشعع ببرد سطح الارض كثيرًا فيجمد الندى حال تكونه ويظهر بهيئة الصقيع الابيض الذي نراه على العشب باكرًا . والغيوم تمنع تكوُّن الندى لانها تصدّ مرور الحرارة من الارض الى الفضاء مع انها ايضًا تشعّ حرارة الى الارض . فبناء على ما تقدم تكون الليالي الغائمة احرّ منها وقت صفاء الجو وظهور النجوم

السحاب والضباب

اذا التقى قدرٌ من الهواء الرطب الحار مقدارًا ردبسة او اذا لامس ارضًا باردةً او غيرها وزادت برودة على درجة الندى . تكاثف ما فيه من البخار الزائد الذي لا يمكنه ان يبقى على حالته البخارية وتحول الى كريات صغيرة وظهر بشكل سحاب او ضباب . ومن امثلة هذا الحادث الجلية المعروفة تكاثف انفاسنا في الشتاء وتحولها الى ضباب حال خروجها من افواهنا الى الهواء البارد . وفي الصيف يتكوّن الضباب دائمًا فوق الماء فوق الانهار ومناقع الماء الساكن وذلك لانه بفعل التشعع تصير الارض حول الماء ابرد من الماء نفسه بعدة درجات فيبرد البخار الصاعد من الماء بواسطة الهواء ويتكاثف الى ان يصير مناقع ضبابية . واذا صدمت الريح الروابي او الجبال وتوقعت عن صعودها استدأت درجة حرارتها تنخفض واخذت في التمدد فاذا استمرّ ذلك التمدد حتى انخفض عن الدرجة التي يحفظ البخار فيها تحول البخار الزائد الى شكل الضباب

الغيوم

يتكوّن الندى على الارض والضباب قرب الارض اما على السهول الواطئة او على الجبال

العالية . ولكن حيثما صعد البخار الى ما برد من اجزاء الجوّ العالية تكاثف وظهر بشكل آخر هو الغيوم . وما الغيوم الاّ ضباب معلق في الجوّ عوض استقراره على الارض . واذا ارتفعت الارض الى الهواء العالي كالجبال العالية بلغت طبقات الجو التي يتكوّن الغيم فيها ولذلك نرى قمم الجبال مكللة بالغيوم فاذا علونا تلك الجبال رأينا تلك الغيوم ضباباً كالضباب الذي يتكون في الوهاد وغيرها .

فبسبب التغييرات العظيمة التي تحدث على الدوام في درجة الحرارة والبخر على وجه الارض تصعد مجاري الهواء الى الجو تماماً بلا ريب وتحمل معها بخاراً . ولكن علاوة على هذه الحركات العمودية قد لوحظ في اعالي الجو طبقات مختلفة او مجاري هوائية افقية تعلو احداها الاخرى تتحرك الى جهات مختلفة حتى يصادم بعضها الآخر بسيره . ويمكننا ان نلاحظ مثل المجاري الهوائية بملاحظة حركات الغيوم فانا نرى الطبقة السفلية من الغيوم الكثيفة يسوقها الهواء الى جهة خلاف الجهة التي يسوق الغيوم العالية الرقيقة اليها . والذين صعدوا في المناطيد وجدوا ادلة كثيرة على وفرة الحركات المختلفة في هذه المجاري الجوية

ويسهل علينا مراقبة كيفية تكون الغيوم واختفائها . ففي الصيف مثلاً حين يكون الجوّ صافياً في الصباح نرى الغيوم تظهر بادئ بدء ابيضاء رقيقة وصغيرة الحجم وكل ما تقدم النهار كل ما رأيناها تزداد حجماً على التوالي حتى تمسي طبقات عظيمة وحين يأتي المساء عليها تأخذ في النقص شيئاً فشيئاً . فاذا كان عند غروب الشمس غيوم قليلة في الجو انقشعت في نهاية الليل وصفا الجو . وسبب تلك الغيوم في مثل هذه الاحوال هو حرّ الارض بواسطة اشعة الشمس في النهار وصعود الهواء المرطب بالبخار الى الجو على الدوام فينتشر هنالك ويبرد بصعوده الى ان يبلغ اخيراً حداً لا يترك عنده سبيلاً لحفظ ما فيه من البخار وهنالك يبتدئ الغيم يتكوّن ولكن بعد ان تنتهي حرارة النهار ويتوقف الهواء الرطب عن صعوده يكف الغيم عن الزيادة ويبتدئ يهبط نحو الارض وهي مستمرة على التشعع فيصل الى الهواء الحار فيتحلل ويصبح الجو صافياً

وبما ان المجاري الهوائية مع ما هي عليه من اختلاف درجات حرارتها ومقادير رطوبتها تجتاز في كل جهات الجو ينشأ عن التقائها بعض الغيوم ويتحلل البعض الآخر . فالهواء المرطب الحار مثلاً اذا لامس الهواء البارد مدة فاسم الثاني الاول بعض بخاره وحوله الى غيم ومن الجهة الاخرى اذا لاقى الهواء الحار الجاف طبقة من الغيم بخرت واختفت فينتج عن ذلك هذه القاعدة وهي انه يعظم حجم الغيوم بزيادة ارتفاعها في الهواء ويصغر بهبوطه كذلك لان الهواء

الذي هي فيه يبرد في حالةٍ ويسخن في اخرى . ومن الحركات الدائمة في الجو هي علة تولد الغيوم في العالم وانحلالها بلا نهاية

واذا بلغ الغيم احدى طبقات الهواء العليا دائمة السير حمل عليها وسيق احياناً الى حد بعيد بسرعة عظيمة . ففي نسيم احد ايام الربيع ترى الغيوم سائرة عابرة الجو بسرعة تظهر للناظر انها بطيئة مع انهُ قد يعرف انها تسير في الغالب اكثر من ثمانين او تسعين ميلاً في الساعة ويعرف ذلك من سير ظلها السريع على الروابي والسهول . ولدى المراقبة بتدقيق يظهر ان الغيم يتغير في مسيره حجماً وشكلاً فتنقلب طبقاته الواحدة فوق الاخرى تصغر تارةً وتعظم أخرى وكل هذه الحركات تشهد باضطراب الجو الذي هي فيه

هذا ويوجد في الغالب مشهد آخر عجيب لتكوّن الغيم في البلدان ذوات المرتفعات . فانهُ حين تهب الرياح القوية وتبعث جبالاً وراق والغبار الى اعالي الهواء يظهر ان الغيم مستقرٌّ على راس جبل الا انهُ يكبر حجماً سار تفاع الرياح الى العلو . وكثيراً ما يزرق الريح السحاب ويحمل بعضاً الى جهة مسيره . وبعد ان يقطع مسافة صغيرة يحل تدريجاً ويختفي . ففي مثل هذه الاحوال يسير الريح ببخاره الحار غير المنظور الى ان يصطدم باحد جوانب الجبل الذي هو امامه فيندفع صعداً نحو القمة الى ان يبلغ محلاً في اعاليه هواؤهُ بارد فيبرد ويتحول بخارهُ الى ضباب رقيق يرى عن بعد بشكل سحابة تغطي قمة ذلك الجبل . واما ذلك الغيم فيظهر للناظر انهُ ساكن مع ان دقائقه متحركة . وكثيراً ما تهب الريح الى راس الجبل وفوقه فيتحول ما فيه من البخار الى هيئة منظورة في الضباب او السحاب بواسطة مرورها على الاراضي الباردة وبعد ان يعبر الريح الجبل ويمتزج بغيره من الهواء الحار خلف ذلك الجبل يحل البخار الذي صار منظوراً وتذوب الغيوم في تلك الجهة بسرعة تكونها في الجهة الاخرى على ما يظن واذا انفق وانفصل بعض الغيوم عن قمة الجبل وحملته الريح الحل بمسيره ايضاً وارتشفه الهواء بخاراً وغاب عن العيان

ان الاشكال التي يظهر السحاب فيها كثيرة متنوعة تختلف من حيث الرقة والغلاظة والعلو والهبوط كثيراً . فتارةً تكون صفائح شفافة في الرقة تظهر في اعالي الهواء وطوراً تكون طبقات ضخمة قاتمة ينزل منها المطر مدراراً تسعل الى رؤس الروابي والجبال واحياناً تمتد فتغطي كل وجه السماء . وقد اعطي لاشكال الغيم المختلفة اسماء مخصوصة لا محل لاستيفائها هنا . فان كل شكل منها يتكوّن في احوال مخصوصة في الجو . ولذلك كان البحث في الغيوم من الامور ذات الشأن بالنظر الى احوال الهواء (الطقس) وهذا من مباحث علم الميتيورولوجيا

فعمل الغيوم الميكانيكي العظيم هو امدادها الارض بالماء قاًت مقدار الماء العظيم الذي يرتفع في الجو بخارًا غير منظور يرجع الى سطحها - بامَّا منظورة فتملأ الينابيع والانهار ويستعيض البحر عما خسره من مياهه. فمثل الغيوم في هذه الدائرة الدائمة مثل عمل الات الاستقطار فانها تأتي بالبخار الدائم في الهواء بهيئة منظورة وتنتج له سبيلاً ليرجع الى سطح الارض ايضًا

المطر

اعظم قسم من بخار الجو يقع على الارض مطرًا . فان دقائق الماء الصغيرة التي تألف الغيم منها تنضم معًا باستمرار فعل التكاثف حتى تصير نقطات مائية يتعذر حملها على الهواء لثقلها وحينئذٍ تأخذ في النزول الى الارض . فاذا اتفق وكنا على جبل وقت تحول الضباب الى سحب ماطرة علمنا ان هذه النقطات تكون صغيرة اول نزولها وا[illegible] [illegible] تكبر حجمًا حتى تبلغ الارض بشكلها المعلوم

فالمطر درجة أُخرى من درجات تكاثف البخار الى ضباب او سحاب - فاذا اشتد برد الغيم وقع منه المطر وذلك بطرقٍ كثيرةٍ - منها اذا صدمت الريح الحارة المرطبة بالبخار سلسلة من الجبال العالية واستمرت على الارتفاع صعدًا ما انحصرت رطوبتها على التكاثف الى ضبابٍ فقط كما مرَّ بل وقعت مطرًا لاستمرارها على التبرد الزائد على ذلك الحد . ومنها اذا كانت الريح شديدة واستمرت مباشرة الارض وكان فوقها طبقة من الهواء الرطب الحار ربما نفذت الأُولى الثانية وبردتها فتكاثفت سحابًا ووقعت رطوبتها مطرًا ايضًا

ولما كان وقوع المطر متوقفًا على مقدار البخار كان اعظمه في الاصقاع الاستوائية حيث يصعد الى الهواء المقدار الاعظم من البخار ومن هناك يقلُّ بنسبة نقصان درجة الحرارة التدريجي بالتقدم الى القطبين على ان هذا الناموس العام خاضع لبعض تغييرات ذات شأنٍ تحدث من اتساع البر والبحر والجهة التي تسير فيها مجاري الهواء العظيمة وهي اربعة

(١) ان التكاثف اشد فعلاً على البر منه على البحر ولو كان البخر من سطح الثاني اعظم منه من الاول . فوقوع المطر على البر اعظم منه على البحر وعلى نصف الكرة الشمالي الذي اعظمه برًّا منه على النصف الجنوبي الذي اكثره بحرًا

(٢) ان تكاثف البخار ووقوعه مطرًا على البر يكون اعظمه قرب الشواطئ وان يكن اعظم البخار صادرًا عن البحار . وقد يكون شاطئ البلاد كثير الامطار مع ان داخلها تام الجفاف

(٣) ان وقوع المطر على البر يختلف باختلاف هيئة ذلك البر. فالجبال وسيلة لتكاثف

البحار فتكون رطبة اكثر من السهول كثيرًا

(٤) ان الاماكن التي تعترض اي مجرى كان من المجاري الهوائية المشبعة برطبها ان بردتها وجمعها ان سخنتها . وعلى هذا لا تكون الرياح الآتية نحو خط الاستواء رطبة في الغالب لانها تنتقل من عروض باردة الى اخرى احرّ وعكسها الآتية الى القطبين فانها بسيرها على عروض الواحد ابرد من الآخر تبرد على التوالي فتمطر

ويتضح بعض هذه النواميس في الجزائر البريطانية التي اكثر امطارها صادرة عن الرياح الجنوبية الغربية التي تأتيها عابرة الاوقيانوس الاتلانتيكي . فامطار الشاطئ المقابل ذلك الاوقيانوس الفسيح اكثر منها في الشاطئ المشرف على البحر الشمالي الضيق . فاذا جمع ما نزل من الامطار في السنة على الشاطئ الاول البعيد عن الجبال بلغ عمقه من ثلاثين الى خمسة وثلاثين قيراطًا . واما معدل امطار الشاطئ الثاني فلا يتجاوز الثمانية والعشرين . ولو كان الشاطئ الاول الغربي ذا جبال لزادت امطاره عامًّا . ولذا ترى شاطئ اسكوتلاندا الشمالي الغربي وقطيعة البحيرات في انكلترا رطبة الاقليم ويختلف معدل المطر السنوي الواقع عليها من ثمانين الى مئة وخمسين قيراطًا واحيانًا يتجاوز المئتين باقيه فيما يليه

المناظرة والمراسلة

كتاب العرف الطيب

(من قلم جناب العالم الفاضل الدكتور بشاره افندي زلزل)

عنى نشر العرف الطيب نتعطرت به الارجاء ونمت بصحائفنا على ما لها من اختلاف المنازع وتباين الاهواء والآراء تهادى نسمات الثناء على ناشره طيبًا ونختال في تقريظه بمقالات كستها الفصاحة ثوبًا قشيبًا

وقد وجدت سكان القول ذا سعة فان وجدت لسانًا قائلاً فقل

الا انها لم تنسح في مجال التقريظ محلاً لبنان مزية هذا الكتاب ولم تتخط حدود الثناء على

مؤلفه الغني بشهرته عن كثرة النعوت والالقاب جريًا وراء ما تحرّاه من التحقيق والتدقيق في تأليفه حتى جاء آية لذوي الالباب

واني كنت من المولعين بديوان ابي الطيب حينًا من الدهر وقد وقفت له على بعض شروح أئمة العلماء وجلة الادباء والفضلاء فكثيرًا ما كنت التجئ اليها في فهم معانيه المغلقة واخص منها شرح الامام الواحدي لانه زبدة ما تقدمه من الشروح وقد اطلع على جملتها فاخذ منها الراجح من الاقوال وترك المرجوح فان جل كلامه منقول عن اكابر اولئك الشراح كابي الفتح ابن جني وهو اول من شرح هذا الديوان وكابي العلاء المعري وابي زكرياء التبريزي وابن فورجة البروجردي وابن وكيع والعروضي وغيرهم من العلماء الافاضل وقد ظفرت بعد مدة بنسخة من شرح المعري وهو من امتن شروح هذا الديوان وابدعها . الا اني رأيت اولئك الشراح كثيرًا ما يتفقون على معنى لبيت فيثبتونه والمقصود سواه او يختلفون على معنى بيت فلا يأتون فيه بمقنع ولا تبين لهم حقيقة مغزاه فلا يجد المطالع في كلامهم ما يروي الغلة بل ربما زاد بعضهم في طينة الاشكال بلة حتى برز الشرح المنوه بذكره فسرحت فيه سوائم الفكر والنظر واعملت في تلك المواضع المشكلة عوامل القلب والبصر الى ان تبين لي صحة القول السائر كم ترك الاول للآخر وايقنت ان كثيرًا من ابيات هذا الشاعر قد بقي معلقًا على ما فيه مئات من السنين لا يفتح بابه ولا يرفع حجابه حتى قيض الله من استفتح في هذا العصر مغالقه واوضح لسالكين طرائقه وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

واني لذاكرٌ في هذه المقالة اليسيرة بعضًا من انموذجات هذا الشرح مما جلى فيه الشارح في مضمار البيان مبينٌ بعض ما امتاز به على من تقدمه من شراح الديوان وليس من قصدي ومعاذ الله الغض من شان احد من اولئك الائمة الاكابر ولا التعرض لغمط احسانهم الذي لا يجحده الا معاند او مكابر انما هي حكاية الحق احق ان تذكر . واقل ما في جزاء الاحسان ان يذاع ويشهر

وان تكن محكماتُ الشكل تمنعني ظهورَ جريٍ فلي فيهنَّ تصهالُ
لكن رأيت قبيحًا ان يجادَ لنا وانتا بقضاء الحق بخّالُ

ولست ازيد المطالع علمًا بما أوتيه ابو الطيب من الحظ مما لم يؤتَ شاعر قبله ولن يُتيح لشاعر بعدهُ وما وصل اليه شعرهُ من الشهرة في الاقطار حتى وثب الجبال وخاض البحار وحتى لا تكاد ترى متأدبًا الا عكف على مطالعته واستظهاره ولا اميًا الا جرى على لسانه شيء من اشعاره فضلًا عما يجدهُ من نفعه كل كاتب ومنشئ وخطيب ومترجم من الميل

الى الاستشهاد بشعره في كل مقام كأنّ النفوس أشربت حب كلامه فجرى معها وراءه كل غاية من مورد حكمة ومضرب مثل ومظهر حماسة وبيان اعتذار وموقف تهنئة او تعزية او عتاب الى غير ذلك مما انطبع في الخواطر ورسم في الدفاتر وجرت به الالسنة في المحافل والاندية في الرسائل حتى كأنه كان يتكلم بكل لسان ويترجم عن عواطف كل انسان.
ولقد تنبأ عن نفسه اذ قال

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلتُ شعرًا اصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمّرًا وغنّى به من لا يغني مغردا

وانت تعلم ان قوة ضلعه باللغة وسعة تخيله الشعري بما على كبر نفسه ومطامعه واختلاف الشؤون التي عرضت عليه من حيث مراتب ممدوحيه ووقائعهم واحواله معهم وما كان يتعلل به من الحصول على خطة السيادة وكثرة مناصبيه وحساده الى غير ذلك من الامور التي ذكرها صاحب العرف الطيب في ذيل الكتاب كل ذلك مما اعانه على ابتداع المعاني الدقيقة واختراع الاساليب الغريبة الانيقة والابعاد في مذهب التصور والخيال والتفنن في وجوه الاغراض الى ما لم يُسبق له مثال بحيث لم يكن ليقوى على كشف غوامض اسراره وتحقيق خبايا اثاره الا من كان لغويًا مدققًا وشاعرًا مفلقًا وعالمًا محققًا وكفى بذلك تنويهًا بفضل العرف الطيب ومزيته

واذا كان التفسير على ما اتفق اهل التحصيل موازنة ما في الكلام المفسَّر من اللبس والخفاء بلفظ اسهل وابين فيما من الاصل فتفسير صاحب العرف الطيب معاني نظم ابي الطيب حريّ بان يتخذه الباحثون مثالًا على صحة هذا التعريف وعنوانًا على فضل المؤلف وطول باعه في التأليف حيث نرى شهب الافكار منقضة من سماء معانيه ولآلئ الكلام منظومة في سلك مبانيه فلقد ابدع في انتقاء اسهل الكلام واعذبه مقالا واجاد في اختياره افضل اسلوب واقربه منالا مبالغًا في التهذيب والتقريب متأنيًا في التعبير والتفسير مع رصانة الكلام ومتانة تركيبه وجزالة لفظه وسهولة اسلوبه حتى لا تكاد تجد لفظًا يعجم فرض اطراحه ولا محلًّا يفتقر الى الزيادة لاستتمام ايضاحه وحتى كسى كل بيت بحسن بيانه حلة المعنوية فازداد بها بهاء وجمالا وزين كل معنى بوشي بلاغته فبرز من خدر لفظه يتيه اختيالا

ولست احب ان اطيل الكلام في الشواهد على ما ذكر فانه لا تكاد تخلو صفحة من الديوان عن شيء من مثل ذلك ولكن لا باس ان اورد هنا بعضًا من امثلته مما عنّ لي في اثناء مطالعتي هذا الشرح تنبيهًا على مزيته وتصديقًا لما اقول وذلك نحو قول صاحب الديوان

يذكر بعض قبائل العرب وكانوا قد تغاوروا على سيف الدولة وتآمروا على نبذ طاعته فناجاهم عند تدمر واوقع بهم

ارادوا ان يديروا الرأي فيها فصبّحهم برأي لا يدارُ

وهو ولا ريب من الابيات التي تستلزم دقة نظر في استنباط معناها وقد رأيت الواحدي يقول في تفسير هذا البيت ما نصهُ «يقول ارادوا ان يديروا الرأي بينهم في تدمر فاتاهم سيف الدولة برأي لا يدار على الامور لانهُ باول بديهة يرى الصواب» اه وقال ابو العلاء «اجتمعوا بتدمر ليديروا رأيهم فصبحهم سيف الدولة برأي لا يتوقف فيهِ لانهُ لا يرى الا ما يكون صوابًا في اول وهلة» اه ومقتضى القولين ان الادارة المفهومة من قولهِ «لا يدار» هي من فعل سيف الدولة وظاهر انهُ لا تلاقي بين كونهم ارادوا ان يديروا رأيهم في النجاة منهُ وكونهِ لا يدير رأيهُ على الامور ولا من غرض الشاعر هنا ان يصف حزم سيف الدولة وسداد بديهتهِ اذ ليس في المقام ما يقتضي ذلك وانما المعنى على ما ذكرهُ صاحب العرف الطيب حيث قال «اي ارادوا ان يقلبوا آراءهم هناك (اي في تدمر) فاتاهم سيف الدولة برأي لا سبيل لهم الى تقليبهِ يعني انزال نقمتهِ بهم» اه ولا حاجة الى ايضاح صحة هذا القول وبيان مطابقتهِ لغرض الناظم وللفظ البيت . ومن ذلك قولهُ

حاشاك مسؤولاً ولبيك داعيًا وحسبي موهوبًا وحسبك واهبا

والاشكال كل الاشكال في الشطر الثاني من هذا البيت فانهُ لا يتبين لهُ معنى ولا يتأتى تفسيرهُ الا بعد تقدير محذوف لان كلاً من قولهِ حسبي موهوبًا وقولهِ حسبك واهبًا جزء كلام لا كلام لان الكلام لا ينعقد بغير اسناد وحينئذٍ يتعين ان يكون في كلٍّ من الموضعين لفظ محذوف كأن يكون مبتدأ مثلاً يُخترع بلفظ حسب مع ما اضيف اليهِ كما تقول حسبي زيدٌ صديقًا وهذا ما صرح بهِ في العرف الطيب حيث قال «وانت حسبي اذا كنتُ موهوبًا اي لا افتقر بعد هبتك الى واهب آخر واما حسبك اذا كنتَ واهبًا اي في شكر هبتك والقيام بحق الثناء عليك» والمعنى على هذا كما تراهُ واضح مطبوع لا اشكال فيهِ ولا اضطراب وهو مقصود المتنبي بلا ريب مع ما ترى من صحة التركيب وسداد الاعراب . وقصّت عبارة المعري «يقول وحسبي موهوبًا اي حسبي من جميع هباتك ان تهب لي نفسي وقيل يكفيني ما وهبت من المال وحسبك واهبًا اي كملت في هذه الصفة فالكفاية واقعة في كونك واهبًا لا يراد معك انسان آخر يكون واهبًا وقيل حسبك من جميع المناقب ان تكون واهبًا نفسي مني» اه وقال الواحدي «وكفى بي موهوبًا اي انا اشكر من يهب لي وانشر ذكرهُ وكفى بك واهبًا اي انك اشرف الواهبين» اه وفي كليهما في

المعنى والاعراب ما لا يخفى على المتأمل . ومن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر فرار الدمستق واسر ابنه قسطنطين

نجوتَ باحدى مهجتيك جريحةً ... وخلّفتَ احدى مهجتيك تسيلُ

يخاطب الدمستق وكان قد جُرح في الوقعة فهرب واراد بمهجتيه نفسه وولده والمعنى على ما في العرف الطيب انه هرب ناجيا بنفسه وترك ابنه في قبضة الهلاك فهو ان نجا باحدى مهجتيه فقد هلكت الاخرى لان ما ادرك ابنه فكأنه قد ادركه . ونحو ما في سائر الشروح الا انهم لم يحسنوا تفسير لفظة تسيل في هذا البيت قال ابن جني « اي تذوب في القيد همًّا وهزالًا » ونقله المعري وغيره بحرفه وقال الواحدي « وليس ما قاله ابن جني شيئا ولكن المعنى انه يقتل فيسيل دمه » اه والحق ان كليهما ليس بالتفسير الصحيح وانما المعنى ما ذكره في العرف الطيب قال « وكنى بسيلان مهجته الاخرى عن الهلكة كما يقال فاضت نفسه قال السموأل

تسيلُ على حدّ الظُّبات نفوسنا ... وليس على غير الظُّبات تسيلُ »

ومن ذلك قوله من هذه القصيدة

يطارد فيه موجَه كلُّ سابحٍ ... سواءٌ عليه غمرةٌ ومسيلُ »

الضمير في فيه وموجه راجع الى الفرات يصف عبور خيل سيف الدولة لهذا النهر ولم يفهم المعري معنى هذا البيت فجعل الغمرة كناية عن معظم الحرب قال « يقول ان الخيل لما عبرته كان يدافعها موجه فكأنها تطارده اي تحاربه وسواء على كل فرس منها خوض الماء وغمرة الحرب » اه وهو غريب وقال الواحدي « ان الخيل كانت تسبح في الغمرة وتجري في المسيل » اه وهو ليس باقرب من قول المعري وان قارب من جهة اخرى في تفسيره لغمرة الا انه لم يصب في تفسير المعنى التركيبي اذ ليس من قصد الشاعر ذكر سير الخيل في المسيل اي مجرى الماء ولا مسيل هناك لانه يصف عبورها الفرات والمعنى الصحيح لهذا البيت ما نصّ عليه في العرف الطيب بقوله « اي ان الخيل كانت تتبع الموج وهو يجري امامها فجعل ذلك مطاردة ثم قال ان هذه الخيل لا تبالي بغمرة الماء لقوتها فتقطع معظم السيل كما تقطع المسيل الذي لا ماء فيه » اه وهو بيّن بنفسه وفيه من الموافقة للفظ البيت ما يدلّ على انه هو مراد الشاعر كما يستدركه البصير بادنى لمحة . ومن ذلك قوله يصف شعب بوان وهو المنتزه المشهور بفارس

ولكنّ الفتى العربيّ فيها ... غريبُ الوجه واليد واللسانِ

قال صاحب العرف الطيب في شرح هذا البيت ما نصه « يقول انا غريب الوجه في عيون اهلها (اي في مغاني الشعب) لانه لا يعرفني احد هناك غريب اليد اي لا ملك لي في هذه الاماكن

فيدي اجنبية فيها غريب اللسان لان لغتي عربية وهم اعاجم» اه وهو التفسير المطبوع لهذا البيت الذي لا غبار عليه ولقد تكلف غيرهُ من الشراح في تفسير قوله غريب اليد اقوالاً غريبة قد اخذ منها التكلف والتمحل كل مأخذ قال ابو العلاء «غريب اليد يعني ان سلاحهُ السيف والرمح وسلاح من بالشعب الحربة» وقال الواحدي «غريب اليد لان سلاحي الرمح ويدي تستعمل الرمح واسلحة اهلها الرايات (كذا) والمزاريق لانهم يستعملون هذه الاسلحة ثم قال ويجوز ان يريد بغربة الوجه انه احمر اللون وغالب الوان العرب السمرة واهل الشعب شقر الوجوه وغريب اليد لانه يكتب بالعربية وهم يكتبون بالفارسية» اه وفي جميع ذلك ما فيه مما لا يخفى على البصير . وقوله

يموت راعي الضان في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ

وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سربهِ

وقد فسر البيت الثاني بما نصهُ «الضمير من عمره لجالينوس ومن سربه اي نفسه للراعي اي وربما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه من الهلاك لان الطبيب يقدر ورآء كل سبب آفة فلا يزال خائفاً مضطرب البال» اه فانظر الى هذا التعليل الذي ظهرت به حكمة قول الشاعر من حيث زيادة امن الراعي على نفسه وبان السبب في قلة امن الطبيب على ما في الكلام من الجزالة والايجاز . ومن العجب ان ابا العلاء يقول في هذا الموضع ما نصهُ «الهاء في عمره وسربه ضمير جالينوس يقول ربما عاش الجاهل الخابط اكثر من العالم المنتهي وربما زاد امن الجاهل في نفسه الى وقت موته على امن العالم فيها» اه ومقتضى هذا التفسير ان الضمير في الموضعين للراعي لا لجالينوس كما قاله اولاً وفي المقابلة بين التفسيرين غنى عن الايضاح

ولهذا البيت امثلة كثيرة في الديوان مما تخطى فيه مناد لفظ الشاعر واوسع في بيان كنه المعنى بما يقع به على الصحة والسداد بعد ان كان ظاهرهُ مبهماً او غير مستقيم في بادي الرأي بحيث لا يشك المطالع بعد الوقوف على كلامه فيه ان هذا هو مراد الشاعر وهذا مما ابدع فيه غاية الابداع وتجاوز مسافة الشرح حتى لحق صنيعهُ بالاختراع واكثر ما ترى ذلك في ربطه بعض ابيات المتنبي ببعض فان كثيراً منها يرى لاول وهلة منقطع الصلة لكثرة ما كان المتنبي يتوسع في المعاني ويتورك بين الابيات حتى يظن ان كل بيت من واد ولذلك فانك تراهُ في هذا الشرح كثيراً ما يتعمل في توجيه المعاني وتسديدها اوسد خللها وتقييمها حتى تنطبق على قرائن الحال ويتمم بعض اطرافها ببعض بما يزيل من بينها الغرابة والتقطيع ولا تكاد ترى هذا المذهب لغيره من الشراح فانهم على الغالب يكتفون بتفسير اللفظ وبيان معنى البيت بما يحتمله

في خاصة نفسه دون النظر الى ما يرتبط به من سائر القصيدة وفي ذلك من بعد الشقة وصعوبة المركب ما لا يتبينه الا من عانى تفهم معاني هذا الديوان وكشف نفسه شرح مضامينه وقد اشار الشارح الى هذا المعنى في تذييل الكتاب وذكر انموذجاً منه يقيس به الصبير غيره مما لم يذكره ومعلوم ان هذا من المقامات التي تخص الشاعر دون الشارح كما اشار الى ذلك في خاتمة كلامه وناهيك من يتولى مقام مثل المتنبي و يتولى الكشف عن مضمر معانيه وسد مواضع الخلل في مغازيه ما لا يضطلع به الا من تعمق في مذاهب الشعر حاطة باسرار المعاني

البقية تاتي

حل المعمى المدرج في الجزء الرابع من الصفاء

يا ملغزاً في غادةٍ عربيةٍ   يبدو لها من بعد قطع الرأس روس

فكرتُ فيها مدةً فرأيتها   وعلمتُ ان الحلَّ في «تاج العروس»

المدرسة الكلية   محمد ابي عز الدين

حل اللغز المدرج في الجزء الرابع

(بقلم الشاب الاديب الاريب سليم افندي طنوس مأمور تلغراف غزة)

يا رشيداً غدا اليف المعالي   وله بالنهى ترى الالوف

قد بدا سر لغزك اليوم جهراً   فهو عكساً قول وبالطرد لوف

الرياضيّات

حل المسئلة الجبرية الواردة في الجزء الرابع

لنفرض ان ك يعادل عدد الثواني التي بها يدور الدولاب المقدّم دورةً واحدة ثم اذا كان الدولاب الذي محيطه ٨ اذرع يقتضي له ك ثواني ليدور دورة واحدة فالذي قطره ١٠ اذرع يقتضي له $\frac{١٠ ك}{٨}$ او $\frac{٥ك}{٤}$ من الثواني

فمن ثم يكون معدل سير المركبة في ثانية واحدة $\frac{٨}{ك}$ اذرع لان محيط الدولاب المقدم كما هو منطوق المسئلة ٨ اذرع اي يدور الدولاب المقدم دورةً يقطع مسافة ٨ اذرع . كذلك اذا اخذنا الوقت الذي به يدور الدولاب المؤخر دورةً واحدة ونصها ١٠ اذرع عليه التي هي محيط الدولاب المؤخر يكون الخارج ايضاً معدل سير المركبة في الثانية فنضرب احد الخارجين في ٣٦٠٠ يحصل معدل سير المركبة الاصلي في الساعة . وذكر ايضاً ان عند تاخر المركبة ثانية

بدورة دولابها المقدم يصبح معدل سيرها في الساعة اقل منه اذا تأخرت بدورة دولابها المؤخر بنصف ميل هاشمي . فيحصل معنا مما تقدم من المعادلة

$$\frac{٢٨٨٠٠}{ك+١} + ٣٠٠٠ = \frac{١٤٤٠٠٠}{٥ك+٤}$$

بالجبر ١٠٠٠٠ $ك^٢$ + ١٨٠٠٠ ك = ٣٠٨٠٠

بالقسمة على مئة

١٠٠ $ك^٢$ + ١٨٠ ك = ٣٠٨

ولاجل تتمة المربع نزيد لكلا الجانبين ٨١

١٠٠ $ك^٢$ + ١٨٠ ك + ٨١ = ٣٨٩

باخذ الجذر المالي

١٠ ك + ٩ = ١٧

ك = $\frac{٤}{٥}$ اي عدد الدقائق اللازمة للدولاب المقدم ليدور دورة واحدة

فمعدل سير المركبة الاصلي يكون $\frac{٢٨٨٠٠}{\frac{٤}{٥}}$ اي ٣٦٠٠٠ ذراع او ١٢ ميال ومعدل سيرها عند تأخر الدولاب المقدم ثانية كل دورة = $\frac{٢٨٨٠٠}{\frac{٤}{٥}+١}$ اي ١٦٠٠٠ ذراع او ١٤ اميال وعند تأخر الدولاب المؤخر ثانية = $\frac{١٤٤٠٠٠}{٤+\frac{٢٠}{٥}}$ اي ١٨٠٠٠ ذراع او $\frac{١}{٢}$ ٤ اميال

المدرسة الكلية علي سليمان

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما تقدم)

الاقرار بوجود علة العلل السرمدية التي اوجدت العالم وما فيه والمتصفة باحسن الصفات الابدية الازلية المحجوبة عن الابصار والبصائر وهي الاله العظيم الذي خلق او حسب عبارة افلاطون الذي ولد الكائنات العديدة والمتنوعة الاجناس والمراتب بين آلهة وارواح وابالسة وبشر

وكل كاهن وولد ورأساً من تلك العلة كان في عداد الخالدين والالهة الصغيرة التي فوض اليها تكوين الجسد البشري وترتيب مراتب الحيوان والمعادن والنبات والماسكة باكنها عنان احكام الدنيا منسوبة الى انواع شتى فمنها مَن ملك البحر ومنها مَن ملك الجبال ومنها مَن حاز غير ذلك كما هو معلوم ومذكور في كتب خرافات اليونان والرومان وكان يعتقد بوجوب تقديم القرابين والذبائح لهذه الالهة لترضى عن الناس وتصونهم من الشرور والعوادي وقال ان الشمس والقمر والكواكب جميعها خالدة لان نظامها ثابت لا يتغير ابداً وان هيئة العالم المنظور تدل على هيئة العالم غير المنظور وان الاجرام السماوية خليقة بالاكرام والشمس التي تحفظ وتنعش الكائنات تتطلب بحق عبادة البشر لها لانها صورة المعبود الاول .

وكان يليانوس يعتقد ان ينبوعات الالهة تزوره وتحادثه لتحذره مما يلم به او تبشره بما سيجوزه بقوتها وعنايتها وتعهد زهادته وسياسته حتى ادعى انه اصبح في درجة ان يميز ويعرف كل واحد منها يزوره باليقظة او المنام من صوته فقط واعطى ذلك الملك الحرية لجميع رعاياه ان يمارسوا الديانة التي يريدونها ولعل له في ذلك سياسة وحكمة لانه علم علم اليقين ان الاقوام المضطهدين يحافظون على معتقداتهم التي اضطهدوا لاجلها ولو ذاقوا بسببها الموت والعذاب الا انه امر المسيحيين ان يكفوا عن تسمية اسماء الديانة الرومانية واليونانية القديمة وتعيين واراقة وفتح الهياكل المغلقة واكرم الكهنة الكثيرين ومنحهم اموالاً وافرة لتقدمة الذبائح العديدة للالهة في الغدو والآصال والليل والنهار قيل انه لو رجع عائداً ظافراً من بلاد فارس لمحا عن وجه الارض نوعي الكباش والبقر لكثرة الذبائح والقرابين التي كان ناوياً ان يقدمها ولما نظر اهمال وفساد اقوام الوثنيين استولى عليه الغيظ والقنوط ونظر الى كهنة المسيحيين وترتيبهم وعنايتهم بالشعب المسيحي وتعاضدهم على الصلاح والصدقة والاحسان لامر قلبه الحسد ورأى لزوم اصلاح فساد ناحيته فاصدر اوامر عديدة يحظر بها على الكهنة الوثنيين حضور الالعاب العمومية وقراءة القصص الغرامية ويحرضهم على اتباع جادة العدل والمحبة والاحسان غير ان تعبه ذهب ادراج الرياح ومن المؤكد انه كان جاهداً في تكثير عدد المرتدين بديوي بلا اضطهاد ظاهر بل بوسائل اخرى لا فقة نحو التقوى عن المذهب ولا نعلم على التقبير اذا تحداً وحرم المسيحيين حقوق الخدمة في الجيش والمناصب الملكية وتعليم علوم وآداب اليونانيين القدماء .

ولما كان يليانوس راغباً في مضادة ونقض التعاليم المسيحية امر ببناء هيكل بني اسرائيل بالمكان القديم شادهُ فيه سليمان بن داود فتلقى اليهود الساكنون في جميع اقطار المملكة هذا الخبر بالاستبشار والسرور وتقاطروا الى اورشليم من كل فج عميق وجادوا بالاموال الوافرة

والجواهر الثمينة للاشتراك بهذا العمل العظيم واثاموسي كل مقامه ورتبته فكنت ترى شيوخاً واحداثاً نساء ورجالاً موسرين وفقراء يتبارون في الشغل والبشر يلوح على وجوههم ويزدرون بالاتعاب ولا يبالون بالمشقات لان الامل والفرح قد قويا عزائمهم واكسباهم همماً لم يعرفوها قبلاً غير انه خاب املهم واحبط مسعاهم وعادوا من هناك بالفشل ويعتقد المسيحيون كافة ان زلازل قوية وكرات نار مهلكة خرجت من الارض والاساس وابعدت الفعلة حتى لم يجسروا على الدنو من تلك البقعة .

اما الملوك الذين خلفوا يليانوس ولا سيما ثيودوسيوس فكانوا مسيحيين وجهدوا في نشر تعاليم المسيح في سائر الاقطار على رغم مضادة العلماء الوثنيين والحكماء الذين ما فتئوا يندددون بهذه التعاليم التي ذللت كل صعوبة لقيتها في سبيل سيرها وظلت منتصرة على الجميع .

وفي هذا القرن اي القرن الرابع دخلت الديانة المسيحية بلاد ارمينيا واعتمد ملكها تريدانس واعوانه وتنصر ملك الحبش ووزراؤه وكثيرون من رعاياه وتنصر ايضاً ملك ومملكة الكرج وغوتيون كثيرون قبلوا تعاليم المسيحيين واعتمدوا وكذلك فعل عدد عديد من العائشين ساكني فرنسا وترجمت الكتب المقدسة الى لغات مختلفة ليطالعها اولئك المتنصرون المختلفو الاجناس واللغات وتمتع المسيحيون براحة تامة في جميع اقطار المملكة الرومانية ولم يضطهدوا الا في بعض الديار التي حافظت ملوكها على عباداتهم الباطلة وفي بلاد فارس دام الاضطهاد اربعين سنة اي من سنة ٣٣٠ الى سنة ٣٧٠ .

الحوادث الداخلية

ان الغرض من الالمام في هذا المقام بتاريخ الكنيسة هو السير في النهج الذي اختطه سائر مؤرخي الدولة الرومانية الشرقية لان تاريخي هذه المملكة السياسي والكنسي هما بالحقيقة تاريخ واحد فلا يجد احد الى فصلهما سبيلاً غير ان دائرة الخطة التي رسمتها لنفسي واشرت اليها في صدر الكتاب تحملني الى الاعراض عن المباحث الدينية تاركاً الاهتمام بذلك للسادة اللاهوتيين الذين يهمهم هذا الامر فهم المكلفون بشرح مسائله العويصة والافصاح عن حالة الطقوس والعوائد الكنسية في تلك الاعصار مقتصراً في كل حال على سرد الحوادث التي لا تضاد ولا تمس اعتقادات الطوائف المسيحية السورية واذا احوجتني الاحوال والقواعد التاريخية الى مخالفة هذه الخطة فيكون ذلك نادراً والنادر لا يبنى عليه حكم اما الكنيسة فكانت في هذه الايام واحدة في الديار الشرقية والغربية ما عدا الاراتقة والمنشقين الذين كانوا منفصلين عنها وكان لها اربعة رؤساء لقبوا بالبطاركة وهم اساقفة رومية والقسطنطينية وانطاكية والاسكندرية

فهؤلاء الاربعة كانوا متفقين ومتعاضدين على رعاية جماهير المؤمنين تجمعهم في كل حال صلات الاخوة وتتجاذبهم عرى الاتحاد لنزع الشقاق ومحاربة المبتدعين.

وكانت اشياع الاراطقة والمبتدعين الذين ظهروا في الاعصر السابقة لم تزل آثارها ظاهرة في هذا العصر واشهرهم تابعو بدعة ماني الفارسي المجوسي الذي اراد ان يوفق بين التعاليم المسيحية وتعاليم المجوس مدعياً ان المسيح لم يكمل عمل الفداء وانه هو نفسه المعزي الذي وعد به يسوع تلاميذه. غير ان العقوبات والاوامر القاسية التي اصدرها سلاطين الرومانيين لقصاص هؤلاء الاقوام ردت كثيرين منهم عن غيهم واراحت البلاد من الشرور والفساد وسنة ٣١١ توفي اسقف قرطجنة فوقع الخلاف بين اساقفة المدن الافريقية في تعيين خلف له وانقسموا الى حزبين انتخب كل فريق اسقفاً فطال اللجاج والشقاق مدة مديدة ولم ينته الا بقتال قسطانس بن قسطنطين حزب الدوناتيين وهم تابعو دوناتوس اسقف كازا نكري فاخضعهم قسراً للاوامر ولاوامر الاسقف الشرعي ونفى من البلاد الرؤساء ومن كان عاصياً عاتياً ولما تولى يليانوس عرش القسطنطينية ارجع المنفيين فثارت الضغائن والاحزاب القديمة الا ان انقسام الدوناتيين ومحاربة القديس اغسطينوس لهم بكتاباته وخطبه البليغة نقض اضعافهم وسبب سقوطهم.

وفي اوائل هذا القرن ظهرت بدعة اريوس الكاهن الاسكندري وهي قوله ان الابن منفصل عن الآب كلياً وجوهرياً وانه اول واشرف كائن اوجده الله من العدم وجعله كآلة لخلق العالم فيكون والحالة هذه منحطاً عن الآب في الجوهر والرتبة وكان يعتقد اعتقادات اخرى اشار اليها المؤرخون ولم يسهبوها فانتشرت حالاً تعاليمه في مصر والاقطار الاخرى وزاد عدد المتمسكين بها فطرده اسكندر بطريرك الاسكندرية من الكنيسة واشهر كفره ولما تفاقم الخطب استشار قسطنطين الملك الاساقفة وجمع سنة ٣٢٥ مجمعاً في مدينة نيقية من اعمال بثينية لفحص هذه المسألة وغيرها فاجمع اعضاء المجمع بعد جدال عنيف ومباحثات طويلة على ان الابن مساوٍ للآب في الجوهر وحرم اريوس اذ ذاك ونفي الى بلاد ايلريا واعترف الجميع بدستور الايمان الذي وضعه المجمع وعين يوم عيد الفصح الاحد الواقع بعد ليلة البدر وا ١٢ آذار اي الاعتدال الربيعي واراد بعض الاساقفة في هذا المجمع ان يحرم زواج الكهنة فعارضه بفنوتيوس اسقف الصعيد وتغلب عليه

ولم تمت تعاليم اريوس وبدعته بحرمه ونفيه بل بقي اناس كثيرون يعتقدون اعتقاده حتى انهم اغروا الملك بارجاعه من الغربة واضطهاد مضاديه تابعي المجمع النيقاوي لا سيما اثناسيوس اسقف الاسكندرية الذي تحاملوا عليه تعسفاً وعدواناً وعزلوه في مجمع صور

سنة ٣٣٥ ونفوهُ الى بلاد فرنسا اما اريوس فلم يمكنهُ العود الى كنيسته الاصلية لمجاهرة الاسكندر بين
له بالعداوة بل ذهب الى القسطنطينية وهناك مات شر ميتة بسقوط امعائهِ وهو يتغوّط فقال
الكنيسة القدمآء ان الله قد اماتهُ شر ميتة اجابة لطلب الاتقيآء وقصاصاً له على كفرهِ الفظيع
وبقيت تعاليمهُ محفوظة عند اقوام كثيرين الى ايام تيودوسيوس الكبير وكان عدد المؤمنين
بها يختلف باختلاف اعتقاد الملوك المتسلطين فاذا كان الملك اريوسياً كان اكثر الناس
اريوسيين والعكس بالعكس ودامت الحال هكذا الى ان قام ثيودوسيوس وفعل ما فعلهُ
لتعزيز ونشر تعاليم مجمع نيقية والكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية وكان كثيرون من الاساقفة
والعلمآء الاعلام قد ضلوا سوآء السبيل بمحاجتهم الاريوسيين وردودهم عليهم لانهم ارادوا
هدايتهم وهم معتسفون طريق الهدى فما لبثوا زماناً طويلاً حتى حسبوا هم انفسهم في عداد
الضالين .

الباب الثاني

من حين انقسام السلطنة الرومانية انقساماً نهائياً سنة ٣٩٥
الى ابتدآء حروب العرب الاسلام سنة ٦٣٢

الفصل الاول

في ملك اركاديوس من سنة ٣٩٥ الى سنة ٤٠٨ وملك ابنهِ ثيودوسيوس الثاني من
سنة ٤٠٨ الى سنة ٤٥٠

اركاديوس

قد مات ثيودوسيوس الكبير آخر سلاطين رومية العظام الذين تسلطوا على العالم
الروماني باسره ورجعوا بسطوتهم وصولتهم قلوب ساكني القارات الثلاث القديمة فانطفأت بموتهِ
نار شجاعة الشعب الروماني الشهير الذي فقد قوتهُ ورغبتهُ في امتداد سلطتهِ والفتوحات واقام
مدة يدافع عن استقلاله ويحارب جيوش البرابرة المندفعة عليهِ من اقاصي الدنيا حتى وهن
وسقط فاصبحت رومية ام المدائن وسيدة سائر الاقطار عدة ممالك متوحش غريب وذلك

بعد وفاة ثيودوسيوس الكبير بثمانين عامًا اما المملكة الشرقية فعاشت نحو الف سنة اكثر من
شقيقتها الا ان دواعي الانقراض لم تأتها فجأة بل على مهل فاشبهت حالتها حالة مصدور يطول
داؤه ولا دواء له سوى الموت والفناء.

وكان عمر اركاديوس ملك القسطنطينية ثماني عشرة سنة حين تسميته وكانت مملكته
تشتمل على تراكة وآسيا الصغرى ومصر وذلك من حدود نهر الدانوب السفلى الى بلاد الحبش
وفارس وحاز اخوه انوريوس ما بقي من السلطنة الرومانية اي ايطاليا وافريقيا واسبانيا
وفرنسا وبريطانيا وكان الفتيان صبيين خاملين فلم يحسنا السياسة والاحكام ولكن الشعوب
الخاضعة لهما احبتهما حبًا شديدًا تذكارًا لابيهما ولم تنثلم امرهما وان يكن ساءها افعال وزرائهما
المحتقرة بحقوق الجميع وكان روفينوس وزير اركاديوس الاكبر رجلًا شريرًا ظالمًا حقودًا بخيلًا
يعتبر الناس بهائم خلقت لخدمته فلا يناصر المسيئين اليه والذين يغصبونه بغير القتل والعذاب
وهو الذي هاج ثيودوسيوس لذبح اهل سالونيك وكان مستوليًا على عقل الملك الضعيف
وناويًا تزويجه بابنته لكن اركاديوس خالفه واقترن بابدوكسيا الباهرة الحسن والجمال وبعد
بضعة اشهر اغتر به رئيس الخصيان وستيليكو وصي ملك الغرب وتواطآ مع غاس قائد
الجيوش القوطية على قتله فقتلوه في ٢٧ تشرين الثاني سنة ٣٩٥

ولم يكف القوطيون غاراتهم على المدن الرومانية ومحاربتهم للرومان الا خوفًا من
ثيودوسيوس العظيم ولكنه لما مات وارتقى ابنه الضعيف عرش الملك طمع هؤلاء البرابرة
بمملكته وجهز ملكهم ألاريك في اواخر سنة ٣٩٥ جيشًا جرارًا وتقدم للحرب والغزو والنهب
فعبر بجنوده مضيق ترموبيلي وسار مسرعًا حتى وصل الى اثينا وهو يقتل ويسلب ويسبي البنات
والنساء ويحرق المنازل ويخرب الحقول فدخلها وعاهد اهلها واخذ منهم فضة وذهبًا وسار
الى بلاد المكدونية وفعل بها كما فعل بغيرها وفتحت له كورنثوس وسبارطا وارغوس ابوابها بلا
حرب ولا قتال فنهب اموالها وسبى حريمها ورجالها والقوم لديه وهم صابرون ساكتون
ناظرون ناسين هؤلاء من اجدادهم الذين لما اغار عليهم سيرس بخمسة وعشرين الف راجل
والفي فارس واربعة وعشرين فيلًا قالوا له اذا كنت الهًا فلست تؤذي اناسًا لم يسيئوا قط
اليك واذا كنت انسانًا فتقدم لترى رجالًا لا يبعدون عنك بالشجاعة والبأس قال بعض الوثنيين ان
الاريك لم يجسر على خراب اثينا لان مينرفا الاهة الحكمة وحامية هذه المدينة قد صانتها منه
والصحيح ان الاريك كان مسيحيًا فبغزوته تلك ابادالوثنيين الباقين في بلاد اليونان وابطل الى
الابد احتفالاتهم واعيادهم.

وكانت القسطنطينية بهذه الايام ملأى بالقصور الجميلة والمنازل البديعة والمدارس الكثيرة اليها تسير ركاب الفلاسفة والعلماء من كل الاقطار وقد ادعى سكانها الذين انتحلوا عوائد ولغة اليونانيين انهم اعظم الناس تمدنًا وذكاءً وكان اركاديوس ملكهم ترفًا مسرفًا يلبس كما قال القديس يوحنا الذهبي الفم اكليلاً او تاج ذهب مرصعًا بالجواهر الكبيرة والنادرة الوجود ورداءً ارجوانيًا فاخرًا وثيابًا حريرية مزركشة بالذهب وكان عرشه من الذهب الابريز وثياب واسلحة اعوانه موشاة ومزركشة بالذهب وكانت مركبته الذهبية يدفعها بجرها فرسان ابيضان مكسوان بالذهب واذا سارت تحركت ستورها الارجوانية الذهبية فادهشت الابصار بحسنها وبريقها .

ولما مات روفينوس اكبر وزراء الملك واظلمهم خلفه الخصي اتروبيوس في منصبه وطمعه ومكره وجوره وزاد عليه بان جعل لكل وظيفة في الحكومة ثمنًا وكان متكبرًا لا يجسر احد على الدنو منه وظالمًا حقودًا لا يعفو عن انسان اغضبه فملّ الشعب منه وكرهه الجميع وعزمت الملكة ايدوكسيا على ارداته مدعية انه اهانها وما زالت ملحة على زوجها حتى امر بقتله فعلم بذلك الخصي وفرّ هاربًا الى الكنيسة وطلب الى الذهبي الفم مساعدته فشمر هذا الحبر الفاضل عن ساعد الهمة وابان للملك والشعب ضرورة وفضيلة العفو فعفا عنه اركاديوس ونفاه الى جزيرة قبرس ولكنه رجع منها حين وصوله اليها وأرسل الى خلكيدون الان قاضي كوي وهي احدى قرى القسطنطينية وقتل فيها سنة ٣٩٩ بحجة انه استخدم لجر مركبته فرسي الملك الابيضين وخلفه في التسلط على عقل اركاديوس غناس الغوثي الذي قتل روفينوس وكان هذا الرجل اريوسيًا فاراد ان يعطي لاشياعه الحقوق التي أعطيت لابناء الكنيسة الكاثوليكية الارثوذكسية فهاج الشعب وقتل في ليلة ١٢ تموز سنة ٤٠٠ عددًا عديدًا من عساكره فاضطر غناس ان يرحل بمن بقي معه فالتقاه عند نهر الدانوب اولدن ملك الهون واصلاه حربًا عوانًا فقهره وقتله في ٣ كانون الثاني سنة ٤٠١ .

وكان بطريرك القسطنطينية في ذلك الاوان القديس يوحنا الذهبي الفم الذي طار صيته في الافاق واصبح مثال العفة والبلاغة والزهد والصلاح وكان هذا الحبر الفضال ابن رجل شريف انطاكي فدرس في انطاكية قصبة سورية العلوم والآداب وبرع في كل شيء درسه ثم هجر الناس وتجرد للعبادة والتقوى مدة ست سنوات وبعد ذلك رجع الى انطاكية واقام في الكنيسة واعظًا فملك القلوب بفصاحته وبلاغته وردّ بمواعظه الشهيرة كثيرين الى الايمان المسيحي ولم تزل كتاباته واقواله تعرفنا عن سعة اطلاعه واضطلاعه بالمباحث الدينية

اللاهوتية مظهرًا اقتداره على الخطابة وحجته القوية وذكاءه وكان لا يراعي احدًا ولا
يعرف المحاباة بل يتكلم الصدق غير مبالٍ بالعواقب ولطالما ارتقى المنبر واخذ يخطب ويعظ
مبينًا فساد بعض الكهنة والرهبان والشعب. وربما تعرّض لنساء البلاط فهاج اولئك الاشخاص
وسعوا فيه ويتقدمهم الملكة ايدوكسيا وثاوفيلس بطريرك الاسكندرية الذي اتى القسطنطينية
واجتمع بالاساقفة والكهنة الحاقدين عليه واجمع اولئك المجتمعون على نفيه وسبيه ورفعوا
خلاصة اعمالهم الى الملك فصدّق عليها ونفي القديس الى مكان قريب غير ان الشعب اضطرب
وهاج وطلب بالحاح رجوع البطريرك الى كرسيه واتفق انه حدثت زلزلة فظُن ما حدث دليل
غضب الله وبعدما نفي البطريرك يومين رجع الى منزله بالتجلة والاكرام فمشى في الشوارع بين
صفين من الناس والجميع فرحون ومستبشرون بلقائه ورجوعه ولما وصل الى الكنيسة رقي
المنبر وخطب كعادته فقال الوشاة الذين سعوا فيه اولاً مستفزين الملكة انه يشبهها بايزابل امرأة
آخاب ملك اسرائيل جدًّا واسابتهم واخبروها انه قال وهو يخطب قد عادت هيروديا ثائرة
وراقصة وطالبة راس يوحنا فهاج غضب الملكة بعد ان كاد يسكن وجمعت مجمعًا وحكمت
بوجوب نفيه مرة ثانية فنفي في ٢٠ حزيران سنة ٤٠٤ الى مدينة كوكوسس الواقعة بين جبال
طورس في بلاد ارمينيا الصغرى فوصل اليها سالمًا بعد سير سبعين يومًا واقام فيها ثلاث سنوات
صرفها في العبادة والتقوى وتحريض المؤمنين في جميع الاقطار بكتاباته ورسائله ان يستأصلوا
البدع والفساد وفي سنة ٤٠٧ صدر امر بنقله الى برية بنتس فقاد ليذهب اليها غير ان المنية
اغتالته في الطريق قبل وصوله الى شاطئ بحر الاسود وبعد ثلاثين سنة من وفاته نقلت بقايا
جثته الى القسطنطينية وسار الملك ثيودوسيوس الثاني للقائها ولما نظرها جثا على ركبتيه وقبّل
النعش طالبًا المغفرة لابويه اركاديوس واودكسيا -

وكان اركاديوس ملكًا ضعيفًا واميرًا خاملاً فجلس على العرش وقضى ونهى وتسلط مدة
ثلاث عشرة سنة وهو بالحقيقة لا يملك شيئًا من مملكة لم يكن خاضعًا الا لاوامر وآراء
وارادة وزرائه وامرائه الذين كانوا يسوسون الشعب ويحلون ويربطون فهو ملك باسم ملك
جاهل ولا معارض لهم ولا مانع ومات مستريب ويكاد يكون مستحيلاً رواية احد المؤرخين ان
الملك قبل وفاته سنة ٤٠٨ اقام وصيًا لابنه ثيودوسيوس الثاني يزدجرد ملك الفرس واكثر من
هذه الرواية غرابة سكوت المؤرخين عن ذلك والمعروف انه لا صحة لهذه الاشاعة اذ لم
يحدث قط مثلها في العالم واعانه لك عدم ورودها في تاريخ بروكوبيوس الذي اتهم بروايتها

ثيودوسيوس الثاني أو الصغير

كان عمر ثيودوسيوس الثاني او الصغير سبع سنوات حين موت ابيهِ وتنصيبهِ ملكاً فاستلم زمام الاحكام وسياسة الشعب مدة بضعة اعوام وزيرهُ الاكبر انثميوس ولما ترعرع الملك وبلغ سن الارشاد خلفت اختهُ بلخاريا ذلك الوزير في تدبير المملكة وترتيب احوالها وكانت بلخاريا هذه فتاة عذراء وتقية فاضلة عاقلة لا تعرف الاسراف ولا الترف بل كانت تقضي قسماً كبيراً من اوقاتها في العبادة والتقشف والشغل اليدوي غير ان تلك الاعمال المبرورة والمشكورة لم تصرف انظارها عن السياسة والاحكام بل كانت ساهرة بعين لا تنام على مصالح اخيها ورعاياه وكانت بارعة بلغتي الرومان واليونان فلم تجد والحالة هذه صعوبة في التكلم جهاراً لدى المجلس والشعب او في كتابة كل ما يتعلق بها وبتنميقها من الرسائل والاوامر اما ثيودوسيوس فكان ضعيفاً خاملاً لا يعتني بغير الصيد والتصوير والخط وكان شديد التمسك بعرى الايمان المسيحي وتقياً زاهداً حتى انهُ ذات يوم امتنع عن الاكل لان راهباً تكدر منهُ وحرمهُ

ان أثينيس الفتاة الشهيرة المدعوة افدوكيا بعد اقترانها بالملك ثيودوسيوس الصغير كانت ابنة ليونتيوس الفيلسوف اليوناني الذي هذبها وثقفها وعلمها العدد وعلوم اليونانيين القدماء فبرعت بكل ما تعلمتهُ وكان ابوها واثقاً انها بحسنها الباهر وقدها الفتان وعلومها وذكائها ستنال مقاماً عظيماً في العالم لذلك لم يعطها من ميراثهِ سوى مائة دينار حافظاً امواله وعقاراته سالمة لاخويها اللذين لم يكتفيا بما نالا بل حرما شقيقتهما بجهلها وطمعهما كل مساعدة فاضطرت هذه الفتاة الجميلة ان تذهب الى القسطنطينية واستغاثت ببلخاريا اخت الملك فترحبت بها تلك الاميرة واحلتها محلاً عالياً وروحتها باخيها ثيودوسيوس بعد ان عمدتها ودعتها افدوكيا وبقيت بلخاريا محبة لامرأة اخيها راغبة في راحتها وعظمتها الى ان نطلت هذه الحسد والافتخار وسولت لها نفسها الارتفاع على المحسنة اليها وادارة المملكة بدلها فنهضت بلخاريا اذ ذاك نهضة القصر الرئبال وما زالت ملحة على اخيها حتى نفى امرأتهُ من بلاطهِ وعاصمتهِ

البقية تأتي

باب الفكاهات

رواية

الكونت دي كولانج

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي قصيري

القسم الاول

الثلاثة

الفصل الاول

حرش فنسان

في صباح يوم من شهر آب سنة ١٨٦٢ انسلت عربة للاجرة من داخل باريس ووقفت على باب فنسان امام ادارة الرسومات ثم نزل منها اثنان الى الطريق وقال احدهما للسائق لنا شخص نريد مشاهدته في فنسان انتظرنا هنا الى ان نرجع

فالقى السائق نظرًا مرتابًا على الشخصين المذكورين ثم ابدى اشارة مجهولة ونظر الى ساعته وقال صارت الساعة السادسة

فسأل احد الرجلين ما المعنى بهذا

قال من اللازم ان اكون الساعة السابعة في طرف مونمارتر

اجاب الرجل بصوت خشن لا بد من الانتظار

فزاد تحمس السائق بهذه الكلمات وقال لا بد من دفع مالي ثم وثب عن مقعده الى الارض وقال لم تستأجراني بالساعة ادفعا لي حالاً اجرتي

فاتقدت اعين الرجل لذلك وبرزت الغضب الا ان رفيقه سارع للمداخلة بين الاثنين وقال لنبق لنا وقت نضيعه بالجدال ان العربات كثيرة وسوف نجد غيرها ثم دفع الى السائق

اجرته فاستوى على مقعده مع بدء وانسل الانسان الى خارج باريس

وكانت السماء صافية بلا غيوم والشمس بازغة من فوق المنازل المرتفعة التي تشرف على الطريق العريضة الملأى باصوات العربات والغسالات والمزارعين القادمين من السوق العام وكانت الحانات مفتوحة والمقاعد من حول الموائد بنا ولون اقداح الخمر والعرق قبل الذهاب لاشغالهم ثم النساء والبنات مزودات بطعامهن يتقدمن لناحية باريس بخطوات مستعجلة وكان الهواء لا يزال معطرًا بروائح الحرش والامواج النور تتدفق على التلال والاماكن المرتفعة من الارض وزجاج النوافذ يبرق باشعة الشمس المحرقة وقد يظهر للرائي من بعيد كأنها تضع اكاليل من ذهب على راس البرج القديم القائم من مجموع احجار كبيرة مدهشة هي رمز عن الماضي

فتقدم الرجلان بسرعة الى مدخل الحرش وهما يسيران جنبًا لجنب بلا محادثة لان كلاً منهما كان متلهيًا بشاغل افكاره الخصوصية وكانا يلبسان مدرعتين خشنتين جديدتين من القماش الابيض وعلى رأسيهما قبعتان من الجوخ الاسود الخفيف حتى يتوهم الناظر للوهلة الاولى انهما فاعلان ولكن لا يلبث ان يعرف من هيأتهما ولا سيما ايديهما البيضاء الناعمة انه مخطئ بهذا الوهم ومن المؤكد انهما لبسا هذه الملابس المختصة بالفعلة حتى لا يستلفتا انظار الناس اليهما فما ذلك الثوب وتلك القبعة والحالة هذه الا واسطة للتنكر

وكان الرجلان المذكوران قد تجاوزا سن الشباب فالواحد منهما وهو الكبير يزيد عمره على الخمسين والثاني لا يقل عمره عن الآخر باكثر من ثلاث او اربع سنوات ثم يظهر ان للاول بعض السلطان على الثاني وان الاصغر ملازم الانضاع امام نظرات الاكبر السامية المتعظمة والخلاصة ان ارادة رفيقه كانت متسلطة على ارادته ولسان حاله يعترف بسموه عليه

وكان الاثنان ملتحيين اصلعين وكبرهما سنًا بلحية بيضاء وشعر ابيض اما شعر الثاني فجميل اسود ولحيته بدء يوخطها الشيب وهما بجبهتين مجعدتين ووجهين محزونين بهيئة مستنكرة ولا ريب انهما احتملا كثيرًا من التجارب الخشنة التي تعجل اعمال السنين فما السبب يا ترى بهذه الشيخوخة قبل الاوان هل حياة معذبة بالمصائب ومرارة الحزن والاسف او معيشة الشر والعار وما هو ماضي هذين الرجلين ان ايامهما ولا ريب قد تخللها مصائب هائلة فمن يكونان يا ترى هل بريئان او اثيمان مغلوبان او ثائران

ثم انسل الاثنان الى داخل الحرش وكانت اشعة الشمس تنفذ من خلال الاغصان وتنتشر خطوطًا تحت مظلات الاشجار الخضراء والعصافير تغرد والحشرات تدندن كأنها فرحة بفجر

ذلك اليوم الجميل والذي يترنم في جمال هذه الاصوات حفيف الاشجار المتحركة بنسمات الصباح اما الرجلان فاستمرا على المسير بسكوت الا ان الاكبر لم يخف بما يشف عن هياجه وفروغ صبره

وعند وصولهما الى وراء القلعة وقفا وكان مشيدًا على يسارهما فوق الحفرة التي اعدم فيها باطلاق الرصاص الدوق دانجين ذلك البرج العظيم والسجن الهائل المهجور كأنه وحش كاسر مكسر الانياب استمر حيًا وهو دائس بقدميه على رمم الماضي اما على يمينهما فكانت تنبسط ساحة استعراض العساكر المعروفة بساحة بوليغون وفيها حامية فينسان تباشر التمرينات العسكرية والجنود الجديدة تتعلم نقل المارودة واستعمالها والالتفات الى ذات اليمين وذات اليسار والمسير والانتظام في الصفوف ولكن الرجلان المذكوران لم يحضرا من باريس الى فينسان لمشاهدة استعراض العساكر بل بالعكس كان لهما غاية اخرى فالقى اكبرهما نظرًا سريعًا الى ما حوله وسأل من اية جهة نتوجه الان فلم يجب رفيقه بشيء بل اتجه الى جهة الشرق ومد ذراعه فدلت يده على خط في ساحة بوليغون ثم تقدم كلاهما الى الجهة المشار اليها وعندما صارا على بعد ثلاثين خطوة من العسكري الاخير ابتدأ الاكبر بالحديث وقال هل انت متأكد وجود المكان الذي اخبئته فيه

اجاب نعم حيث لا اظن مطلقًا انهم اقتلعوا الاشجار الكبيرة من ثلاث عشرة سنة الى الان واحتفروا انهرًا وبحيرات في كل مكان

قال سوف نرى اذا لم تكن مغرورًا بهذا الاعتماد اجبرني على ذاكرتك ولكن اخبرني الان ماذا كان قصدك عندما دفنت الصندوق تحت شجرة

قال انك لم تستصوب وقتئذٍ اخباري بما في ذلك الصندوق ولكن فهمت من القرائن انه يشتمل على اوراق مهمة

فارسل الاكبر صوتًا يعني التعجب اما الاخر فاستمر على حديثه وقال اني فكرت وقتئذٍ ان هذه الاوراق يمكن ان تفيدك يومًا ومن اللازم المحافظة عليها حيث اذا عدلنا قيمتها بمقدار ما فعلته سابقًا وتحملته من العناء للحصول عليها تكون ثمينة جدًا بالنظر اليك

قال الاكبر كان هذا وقتئذٍ فيه عصبية فقدتها الان ولكن لا باس يمكن ان تعيدنا ايضًا

قال اذن فكري بالتحفظ عليها كان حسنًا

اجاب جدًا حيث لا يعلم . . .

ثم امسك عن اتمام عبارته واضطربت شفتاه بظاهر التبسم المروس فقال الم تفتح الصندوق المذكور قبل دفنه

قال لم اجد من نفسي ميلاً الى ذلك ثم على فرض حصولي على هذا الميل لم يكن لي وقت للعمل لان الصندوق المذكور من النحاس الاصفر وغطاؤه ملحوم بالقصدير

اجاب نعم اعرف ذلك

قال اكرر لك القول انه لم يكن لي وقتئذٍ الا فكر واحد وهو اخفاء هذا الصندوق لسببين اثنين الاول كون هذا الاحتياط احسن واسطة لحجبه عن اعين اللاحقين وحفظه سليماً حتى اسلمه لك يوماً والثاني التخلص من شيء يمكن استخدامه كاقوى برهان على اثبات جريمتي لاني كنت شاعراً حينئذٍ بالخطر وكان ضميري ينبهني الى ما ينتظرني وقد اصابت افكاري لان البوليس قبض عليّ بعد ثلاثة ايام من ذلك التاريخ

قال احسنت عملاً باخفاء هذا الصندوق اذ لو وجد معك لكشف عن حادثة قصر كولانج وكان حكم عليك بالاشغال الشاقة مدة عشرين او خمس عشرة سنة بدلاً من السنوات الخمس التي قضيتها في السجن انك اظهرت والحق يقال كثيراً من الذكاء والشطارة بهذا الاحتياط ولا اخفي عليك ان هذا الصندوق لو سقط في ايدي الحكومة لتأتى عنه نتائج هائلة ولو علم السر الذي يتضمنه لبطل انتفاعنا به لان هذا السر المحفوظ منذ عشرين سنة هو مصدر قوتنا المحاضرة وان يكن خطراً عليّ

قال عليك وعلى اخرين ايضاً

فسأل ما المعنى بذلك

قال ان اشخاصاً اخرين يهمهم المحافظة على هذا السر

قال فاذن انت تعلم ....

قال اعلم ان المركيزة دي كولانج تعطي كثيراً ولربما ثروة برمتها لمعاودة الحصول على صندوقها والاوراق الموجودة فيه

فسأل ومن اين لك علم ذلك

قال اسمع لاخبرك بواقعة الحال اني لم احدثك بعد عن زيارة حصلت عليها عندما كنت مسجوناً في مازاس ....

قال تكلم فاني صاغ اليك

قال حضر عندي في احد الايام رجل وطلب مني هذا الصندوق

فسأل ومن كان هذا الرجل

قال لا اعلم لانه امتنع عن التصريح باسمه وصفاته ولكن ادركت بسهولة انه مرسل من قبل المركيزة دي كولانج وكان عالماً بحادثة القصر ولقد ارانى سكيناً عرفته في الحال وهو سكيني الذي اخذته مني ثم اخبرني انك اردت استخدامه لذبح المركيزة شقيقتك

قال اذا قابلت هذا الرجل هل تعرفه

قال لا اعلم لانه ولا ريب قد شاخ وكبر مثلنا الآن الا ان الهيئة التي كانت له وقتئذ بقيت محفورة في مخيلتي فهو رجل في الاربعين من العمر قامته طويلة معتدلة واكتاف طويلة قليلة الامتلاء وهيأة خشنة ووجه طويل مصفر وانف كبير وجبهة عريضة وبصر نافذ حاد وحاجب ثخين اسود وشارب طويل مفتول

فصاح رفيقه كيف . . كيف . عرفته ثم لفظ بصوت منخفض هذا الاسم «برلوت» وقال الحق معك ان هذا الرجل مرسل من قبل المركيزة لاخذ الصندوق

قال الرجل فقلت لنفسي يظهر ان المركيزة دي كولانج يهمها كثيراً الحصول على صندوقها او بالحري على اوراقها حتى تنازلت من اجلها لمخاطبة شيطان خبير مثلي لا بد ان يقاد للمحاكمة بعد بضعة ايام امام مجلس التمييز

اجاب نعم يحق لك ان تفكر هذا الفكر وربما افكاراً اخرى كثيرة لا اسألك عنها ولكن اخبرني بماذا اجبت رسول المركيزة

قال لا يخفاك اني لست جبولاً لانه لما اني دفنت الصندوق المذكور تحت شجرة في حرش فينسان بيل اجبته بالعكس اي لما تضايقت واصابتني الحيرة اردت التخلص منه فرميته الى الماء في مكان دللته عليه

قال وهل صدق بذلك

اجاب نعم

قال هل انت واثق بما تقول

قال قليل من المهارة يمكن الناس الكذب بسهولة ثوب الحقيقة

قال فاخذ الرسول المذكور ذهب من عندك للبحث على الصندوق في الماء

قال لا يبعد ذلك

قال ولا ريب انه فتش كثيراً في اعماق النهر ولم يجده وحيث مضى على ذلك نحو ثلاث عشرة سنة فمن المؤكد ان المركيزة لم تعد تفكر بهذه الاوراق وهي تظن انها فقدت

وبعد هذا الكلام بعث اعين الرجل المذكور فتبسم تبسماً غريباً وعاود الحديث بصوت مرهب فقال هيا يا صديقي كل شيء بقي مخفياً والامور جارية بطريق حسن . . .

ثم وقف فجأة وقبض على يدي روبقة وشد عليهما بحرارة بت يده وقال بصوت خشن انا منذ ثلاث عشرة سنة قهرنا واخذلنا وتجردنا من اسلحتنا .. لان الاقدار كانت ضدنا ولكنني بقيت محافظاً على قوتي في صدري وارني الان متحفزاً ومستعداً للانتقام

قال الاخر وانا هنا بجانبك مستعد لان اتبعك واخدمك واخضع لاوامرك

قال سوف نأخذ ثارنا اذن حيث لا شيء يمنعنا عن المسير رأساً الى الغاية فنحن في حاجة لثروة الملايين والمدخ الباهر وانمتع بسنين من الخيرات والراحة بعد تلك المشاق والاوجاع التي تحملناها طويلاً ومن اللازم لذلك الوطر ان نزيد على جسارتنا السابقة صفات المهارة والتعقل فنحتفي في العطلة ثم نضرب نارح حتى تكون ضرباتنا هائلة فتالة

وبعد هذه الكلمات التهديدية نظر الرجلان الى بعضهما باعين تنبعث منها اشعة وحشية وكان الاكبر فيهم يسمى سوستين دي برجي والاخر ارماند دي كرول

الفصل الثاني

فتح الصدوق

وبعد ان تجاوز الرجلان ساحة ويبفور وصلا الى طريق جميلة عريضة مظللة بالاشجار الكبيرة فقال دي كرول بصوت منخفض لنذهب

قال الاخر اذن الصندوق مدفون في هذا القسم من الحرش

اجاب نعم صرحية هل نحن وحدنا وهل يوجد من يستطيع مشاهدتنا

قال لا خوف علينا من ... جنا في مثل هذه الساعة من الصباح ولكن الحق معك من الضروري ان نتخذ المرء التحرسات اللازمة

ثم ارسل الاثنان انظارهما الى مكان الى آخر بين الاشجار ولما لم يجدا محلاً للاشتباه فيما رأيا بلا حركة عداق منتصبون ولا ... في اسماعهما الا تغريد الطيور ودندنة الحشرات وحفيف الاوراق

فسكنت افكارهم لذلك وعادوا التقدم ثم عدا دي كرول عن يساره وهو ماش تسع

عشرة شجرة ولدى وصوله الى العشرين وقف وانه مدة الشجرة علامة يستدل منها على راس زاوية مقابلة لها ثم تقدم في الحرش وسوستين يتبعه وبعد ان قطع خمسين خطوة على خط مستقيم من الشجرة المذكورة عاود الوقوف وفحص الارض ثم تقدم خطوتين ايضاً والتفت الى جهة سوستين وقال هنا

فنظر اليه دي بير في مظاهر التعجب وقال انا مصدق لك في تحديدك ولكن كيف تمكنت من معرفة المكان

اجاب دي كرول متبسماً عندما كنت في المدرسة سابقاً تعلمت بعض رسوم الهندسة ألا ترى هذه الشجرة التي اعرفها من سالف العهد منذ خمس عشرة او عشرين سنة باحدى الزوايا ثم انظر الى هذه المسافة الكبيرة الاخرى التي رسمت خطاً مستقيماً بين الشجرتين وجعلت المكان الذي دفنت فيه الصندوق في وسط هذا الخط تماماً

ثم اخرج دي كرول وهو يتكلم آلة للحفر كانت مخبئة تحت مدرعته وهي نوع من الفاس له يد من خشب يبلغ طولها نحو خمسة وعشرين او ثلاثين سنتيمتراً

وكان الرجلان قد اصبحا في وسط دائرة يحيط بها سياج كثيف من الخضرة فاطلق دي كرول نظره يتبنظ الى الجهات الاربع حتى يتأكد خلو المكان من مراقب ولما لم يجد في تلك الجهة من الحرش الا صور ورفيقه تيقن انه في مكان لا يوجد احد ثم قرفص بين تلك الاعشاب المرتفعة وجعل يحفر ففتح حفرة عميقة في الارض بوقت قريب

وكان سوستين في اثناء ذلك متقصياً بلا حراك واعينه اللامعة شاخصة الى الحفرة وهو يتتبع عمل دي كرول بضجر وقد استولى عليه فروغ الصبر فقال لم تجد شيئاً

فلم يجاوب دي كرول على هذه الكلمات واستمر يحفر واذ سمع فجأة رنيناً من داخل الحفرة لان الفاس صادف في طريقه جسماً صلباً مستعصياً فانتصب دي كرول على قامته ونظر الى سوستين بملامح الفوز

وكان سوستين قد سمع ذلك الصوت فجثا على حافة الحفرة باعين يتطاير منها الشرار وبعد ذلك اخرج دي كرول منها التراب فظهر لاعينهما من اعماق الحفرة صندوق النحاس الاصفر الذي يبحثان عنه

فمد سوستين يديه بتلهف واخرجه من الحفرة ثم اخفاه تحت مدرعته وقال سر بنا سريعاً الان

ولم يكن كلمح البصر الا انتهد الانسان سعاة فتجاوزا الحرش في نحو من عشرين دقيقة

ودخلا الى المدينة بدون ان ينتبه اليهما احد من مأموري الرسومات ثم انطلقا من هنالك الى ساحة العرش حينما استأجرا عربة وامرا السائق ان يذهب بهما الى طريق كلينانكور امام القصر الاحمر حتى اذا وصلا الى هنالك ترجلا الى الارض ودفعا للسائق اجرة عربته وجعلا يصعدان مرتفعات مونمارتر وبعد برهة ابتعدا في طريق ضيقة مقفرة مظلمة تمتد بين البساتين والجنائن المسيجة بالاخشاب والاشواك ثم اخرج سوستين مفتاحاً من جيبه وفتح باباً صغيراً دخل منه الاثنان الى ارض مغطاة بالقتاد فيها بعض اشجار مثمرة وكان قائماً في وسط ذلك المكان مسكن صغير بجدران سوداء مشققة متداعية للسقوط وداخله خرب حقير كخارجه وكان في الطابق الارضي مطبخ وقاعة للطعام فوقها غرفتان باثاث حسن في كل واحدة منهما سرير للنوم وطاولة للزينة وكرسيان ومقعد كبير وطاولة مستديرة ثم مرآة وساعة على الموقدة اما بقية الاثاث فحقير قذر وكان سوستين دي بري وارماند دي كرول يقطنان هذا المسكن منذ مدة وقد قضيا نحو خمسة عشر يوماً وهما يبحثان في مونمارتر والشابيل والباتينول على منزل يوافقهما الى ان اكتشفا خيراً على هذا المسكن المنفرد ولم يتمضا لمشهده الحقير المشوم بل بالعكس وافق مرغوبهما وقصدا على تقية مسكن الاخرى لعلمهما انهما يختبئان جيداً في ذلك المكان المنحرف المقفر المجهول من باريس لا يخشيان مراقبة الجيران من اصحاب الفضول ويقرران براحة وسكينة مقاصدهما الخفية وهما يستطيعان الذهاب والاياب وتغيير ملابسهما والخروج والدخول في كل ساعة من ساعات النهار والليل بلا خوف من ملاحظة الناس ثم احضار من يريدان الى المسكن وهما في مأمن من استلفات الانظار اليهما

وبعد دخولهما الى المسكن المذكور اقفلا الباب جيداً ووصداه بالسكرة ثم انطلق دي كرول للاجتماع ببري في غرفته وكان قد وضع الصندوق على الطاولة المستديرة في وسط الغرفة فقال دي كرول من اللازم ان نفتحه الان

قال بري كان يمكننا الاستغناء عن ذلك لاني عالم بما فيه ولكن حيث لا بد من فتحه سواء كان ذلك اليوم او فيما بعد . .

وكان دي كرول مستعجلاً للاطلاع على سر هذا الصندوق فقاطعه بحدة وقال دعنا نغنم الاذن في العمل

قال بري لا بأس فيكون ما تريد ولكن فتح هذا الصندوق يستلزم تعباً حيث من اللازم ان يعلك خرء الغطاء ثم سأل ابن فأسك

فاظهر دي كرول الياس وقال هكذا

قال دي بيرني لنا قصيب بالانتفاع بحرز اخرى لاننا في حاجة للنار فبل كل شيء

فادرك دي كرول المراد وقال فهمت ثم خرج ركضاً من الغرفة ورجع بعد هنيهة بحطب وفحم واشعل ناراً قوية في الموقدة حتى ملئت بالجمر المتأجج ثم احيا صديد الناس في تلك النار الى ان احمر واستعملاه لتلك الخاتم ففتح عملها ولم يصرفا اقل من ساعة على هذه المهمة الى ان تمم لهما اخيراً رفع الغطاء

فارسل دي كرول صوت التعجب وانحنى على الصندوق محملقاً اعينه

قال دي بيرني هل تأكدت صدقي هذه هي الاوراق التي اخبرتك عنها ثم اخرج من الصندوق المذكور كراساً يشتمل على خمسين صفحة مغلفاً فالازرق فصاح دي كرول مندهشاً وهذه وهذه ما هي متى باترى

اجاب دي بيرني بيرودة من ملابس طفل

فظهرت على دي كرول فجأة مظاهر الاضطراب اما دي بيرني فجعل يخرج الملابس المذكورة من الصندوق قطعة فقطعة وقال هاك اولاً الطربوش الصغير فهو وان قدم وجرد لا تزال عليه سمات اللطف والترهو انظر كيف انه مطرز اليد ومزين بالزراكش البديعة ثم هذا قميص صغير وهذه لفافة من قماش مع لفافة اخرى لف بهما الطفل ثم هذا غطاء صغير من الصوف مشغول بالزراكش

ولدى اخراج هذه القطعة الاخيرة لم يبق شيء في الصندوق فجعل دي كرول ينظر الى هذه الاشياء المختلفة المبسوطة على الطاولة فسأله دي بيرني هل فهمت

اجاب نعم نعم فهمت ان هذه هي ثياب الغلام

قال الثياب التي كانت عليه يوم انتشالو عن امو

فتمتم دي كرول لاعطائه لبس كوست وثروة واسعة هذا مخلوق خدمة التوفيق

فتظاهر دي بيرني بالتبسم واستنتج دي كرول حديثه قائلاً انظر .. انظر . ان القميص الصغير مرسوم عليه هذان الحرفان ج ل وربما يكونان الحرفين الاولين من اسمو ولقبو

اجاب نعم من اسم ولقب امو

قال الحق معك لانك اعلم مني بهذه الحقائق

قال لا بل بالعكس لا اعرف شيئاً بهذا الخصوص

قال الا تعرف امة على الاقل

اجاب لم ارها في حياتي وقد اختفى عني اسمها وغاية ما اعرفه عنها انها كانت فتاة في

الثامنة عشرة من العمر اغربت من بعض الناس وتركت عليب تسليم نفسها من مغربها بحالما صارت امًا ويوجد كل سنة في باريس شلت من هولاء التعيسات ثم لا يخفاك من جهة ثانية انه لم يكن لي دخل مهم في انتشال الغلام

قال هلا تعلم اذن ماذا اصاب امه

اجاب يقال انها ماتت بعد ولادة ابنها بقليل

قال حسنًا فعلت

ثم تبع هذه الكلمات برهة من السكوت فارجع سوسنين الاشياء الى الصندوق وقال دي كرول يوجد شيء واحد لم افهمه بعد جيدًا

فسال دي بيرني وما هو

قال لماذا يا ترى احتفظت المركيزة دي كولانج كل هذه الاحتفاظ على هذه الاشياء وكان حقها ان تعدمها في الحال

فلمعت لهذا السوال اعين سوسنين كالبرق واجاب ساطلعك على كل شيء ببضع كلمات مختصرة ان من بد عونة الان الكونت دي كولانج قد ادخل بالغش والخداع الى منزل المركيزة دي كولانج رغماً عن المركيزة وبلا مصادقتها

فضرب دي كرول بيده على جبهته وقال الان فهمت كل شيء

قال دي بيرني مقريبًا ثم عاود اتمام حديثه وقال كنت شريكي منذ ثلاث عشرة سنة ونحن الان مرتبطان بروابط لا يفصلها الا الموت ومن اللازم لمصلحة مقاصدنا والغاية التي نجد وراها ان لا اخفي عنك شيئًا وان تعلم كل شيء ومتى قرات هذا الكراس المكتوب بخط يد المركيزة دي كولانج فحينئذٍ تطلع على كل شيء وتعلم كيف عاملتني اختي وباي مقصد كتبت هذه الصفحات التي بقيت معلقة على راسي كسيف ديموكليه حينئذٍ تعلم قدر مصلحتي وفشلي بالاستيلاء على هذا الصدوق فمنذ ثلاث عشرة سنة كان بهمتي تمزيق هذا الكراس واخفاء هذه الاشياء اما الان فبالعكس اريد المحافظة عليها وسوف تدير فيها بحسب عملة فان شريكنا وصديقنا جوزي باسكو عرض عليّ خطة استحسنتها وعما قريب تطلع عليها ولا يخفاك ان جوزي لا يلزمه مثلنا الاخفاء وقد صار له شهران وهو يشتغل فعلينا بانتظار الحوادث

قال هل تسمح لي بقراءة هذا الكراس الان

اجاب في الساعة الثانية من هذا النهار يحضر جوزي الى هنا فنقراه سوية

قال اذا كان كذلك فلا بد من اطلاعه بامر نصوصي فلا يمكنني ان انظر فيه قبلا

أبينما يحضر

قال بلى عكذلك

فتناول دي كرول الكراس وفتح الغلاف الازرق وقرأ في رأس الوجه الاول من الكلمات « الى زوجي » ثم قرأ تحتها باحرف كبيرة هذا هو عنوانه ثم بعدها باحرف اصغر امضاء السر الذي يعذب حياتي

الفصل الثالث

الشركاء

وفي نفس ذلك اليوم بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر اجتمع الشركاء الثلاثة ارماند دي كرول وجوزي باسكو وسوستين دي بيرقي في غرفة الرجل الاخير

وكان جوزي دي باسكو من عمر سوستين دي بيرقي تقريباً اي في نحو الثامنة والخمسين او الرابعة والخمسين من العمر وهو رجل خشن طويل القامة نحاسي الوجه له نظرة السر متأن كثير الدقة والتحسب بسلك مستنكر يتكلم قليلاً ولا يضحك ابداً وشعر رأسه الكثيف اسود جميل لامع كشعر الجيتو وكان لوجهه واساليبه بعض مظاهر حمنارية وقد ساعدته هذه المظاهر على تسمية نفسه في الجمعيات التي يخالطها باسم الكونت دي روكاس وكان قد ولد في البورتغال ولكن لا تعرف له جنسية او الحري مشترك بين الجنسيات بالنظر الى كثرة اسفاره وانتقاله في العالم باسره وطنه وهو يرى منذ عشرين سنة في كل مكان تقريباً نطوراً يرى في باريز وتارة في بطرسبرج والاخرى في بيرو وحيناً في لندرا وويانه ومصر واميركا والهند والخلاصة ان جوزي باسكو لم يترك قرية من الارض بدون ان يزورها

وكان ارماند دي كرول لا يزال قابضاً بين يديه على كراس المركيزة دي كولانج بعد ان قرأه بصوت عال على رفيقيه واطلع منه هو وجوزي باسكو على امور جديدة لا يعلمانها الا ان هذا الكراس كان لا يشتمل على شيء من الحوادث الكثيرة الاهمية التي حدثت في منزل المركيز دي كولانج بعد سفر سوستين من فرنسا الى اميركا

ومن المحتمل ان يكون اخو المركيزة سوستين دي بير في ندا اطلع يافادات جوزي باسكو

الذي يذهب دائمًا لتنسم الاخبار على قليل من هذه الحوادث ولكن من الامور التي خفيت على الاثنين معًا ولم نعلم من احد ان مهذبة مكسيمليان ابنة المركيز دي كولانج المعروفة في منزل المركيز تحت اسم لويزا هي نفس ام الغلام الذي اختلسه سوستين دي بيرني منذ عشرين سنة

وكان الشركاء الثلاثة يجهلون ايضًا ان مارلوت مفتش البوليس تعين من قبل المركيز ناظرًا على قطعة من احسن املاكه وذلك جزاء للخدامات العظيمة التي قدمها لهذه العائلة

فبعد تلاوة الكراس حصل سكوت طويل وكان جوزي باسكو قد اصغى لقراءته بمزيد الانتباه ولم يترجم وجهه عن شيء من تأثيراته ثم وجه خطابه الى سوستين وقال ان ما قرأه دي كرول مطابق تمام المطابقة للحوادث التي قصصتها عليَّ في نيويورك وهو يشتمل فضلاً عن هذا على افكار شقيقتك وملحوظاتها التي لا تخلو من الفائدة ان اهمية هذه الكتابة لا يختلف فيها اثنان فهي عظيمة الثمن وسوف نحتاجها فحافظ عليها بدقة مع بقية الاشياء الموجودة في الصندوق

قال سوستين هذه هي افكاري

قال جوزي بصوت ساخر يمكنني الان اذا اردت ان احدثك باخبار اختك وصهرك

وعند ذلك اظلم وجه سوستين دي بيرني فجأة بمظاهر العبوسة فقال باسكو كلاهما بصحة حسنة ان المركيز والمركيزة والكونت دي كولانج والسيدة مكسيمليان او بالحري جميع افراد العائلة موجودون الان في قصر كولانج وسوف يبدأ بالصيد بعد بضعة ايام اي في اول ايلول لان المركيزة وزعت اوراق الدعوة وسيحصل في هذين الشهرين كالسنين الماضية عدة اجتماعات في القصر والذي يظهر ان المركيز والكونت اوجيين من مهرة الصيادين ويقال ايضًا ان الصيد كثير في اراضي المركيز ولكن انت اعلم من غيرك في هذه القضية

ثم اخبرك ايضًا ان المركيز وامرأته نسياك كل النسيان كانك لم توجد في هذا العالم والسيدة مكسيمليان تجهل ان لها خالاً يسمى سوستين وعما قليل تبلغ هذه الفتاة الثامنة عشرة من العمر وهي كثيرة الظرف بارعة في الجمال كانها نفس امها عندما اقترنت من المركيز وهذه الابنة تشبه امها بالقلب والعقل والصفات الداخلية كما تشبهها بالمحاسن الخارجية ذات جمال كامل تقي وظرف تام وذكاء ومكارم وسذاجة بديعة واحساس رقيق في كل شيء فهي ازكي لذيذ كعروس المحاسن التخيلية

فتحركت شفتا سوستين بتبسم لا يدرك اما جوزي فالتفت الى دي كرول وسأله هل تحب الصيد

قال كان لي فيما مضى مزيد ولع به
قال المعنى بهذا انك كنت قبلاً صياداً ماهراً
قال لا تزح يا باسكو فانا خبير من غيري
قال لا انوي مزاحاً وقد سررت جداً اعتدنا علمت انك تحسن اطلاق الرصاص
قال مضى عليَّ سنون ولم اطلق بندقية ولا اعلم اذا كانت نظري الان سريعاً صائباً كالسابق. ولكن عند ما كنت صياداً يا جوزي كنت ارمي الطريدة على بعد خمسين او ستين متراً ولا اخطيها
قال حسن ياصديقي دي كرول اعبد لك القول اني مسرور بذلك
فسأل ولماذا
قال لاقتناصرنا على يقين من الفوز متى ذهبنا سوية الى الصيد
فنظر اليه دي كرول بدهشة وسأل هل في نيتك الذهاب الى الصيد
قال لربما وسوف نتكلم عن ذلك فيما بعد
فتمتم سوستين امه بفكر ببعض اعمال عسيبة ثم تكلم بصوت عال وقال سأ لك يا باسكو اين نحن الان من مشروعنا
اجاب ان خطتي تقررت قطعياً كما قلت لك منذ بضعة ايام ولكن لربما اجبر على تعديلها ببعض الحوادث انه لم يصعب عليَّ الا ايجاد رجل شريف مستخدمة لمصالحنا الى ان وجدته اليوم وصار لي مدة وانا اتاثر خطواته والاحظه واراقبه وادرسه وهو لا ينتبه اليّ ان هذا الرجل في الحق بنال الغاية بالمناسبة ويحسن بلا ريب تمثيل الدور الذي خصصته به وقد علمت بالتدقيق ماذا كان ومن هو وكيف يكون وما الذي نعمله ويعمله لاني مداوم البحث في كل مكان ولا يوقفني شيء على الاطلاق وكل يوم يقوى فيَّ الاعتقاد انه وثق من الجميع لهذه المهمة ومن المستحيل ايجاد رجل انسب منه فهو لي بحلق ويوضع في هذا العالم الا لهذه المصلحة لانه حاصل على جميع الصفات او بالحري على جميع المعائب المطلوبة وخلاصة القول ان هذا الرجل لو كان تلميذك يا سيرتي لما امكن وصوله الى درجة من الكمال خير من هذه الدرجة لا اقول هذا تمليقك يا صديقي حيث لا يوجد بيننا مثل هذا التملق والمدح ،
فالتقى سوستين هذا السهم بلا كدر اما جوزي باسكو فاستمر على حديثه وقال ان عائلة كولانج ستعود الى باريس كالعادة في اواخر تشرين الاول او اوائل تشرين الثاني وساجد لكما بلا ريب ما تشتغلان به الى ذلك التاريخ وعلى كل نستانف جميع الاحتياطات لانمكن من مباشرة العمل

بعد من اول تشرين الثاني وحينئذٍ يكون الرحل التي اخبرتكا عنه قد اخذ باشراككا وخمسة عشر يوماً تكفينا لادخاله الى الملعب

قال سوستين اذن كل شيء على قدم التوفيق

اجاب كن مرتضياً من الاعمال لاني مرتضٍ منها

قال ما اخبرتنا شيئاً لا انا ولا دي كرول عن الاعمال التي ستعهد بها الينا

قال انا نسي اجهل ذلك لان هذه الاعمال ستوقف على الحوادث ثم اظهر كانه تذكر شيئاً وقال احضرت لكم الدراهم . . . ان وصاياي لا تزال على حالها اصرفا بما يمكن من الاقتصاد واكثرا من الرزانة والتعقل

ثم وضع على الطاولة صبين من الذهب

قال سوستين لا تخف من كثرة الاسراف يا باسكولا انك حظرت عليَّ الظهور في الشوارع والدخول الى الاوبرات ومشاهدة اصحابي القدماء والتردد على القاعات والزمتني ان ابقى هنا مختبئاً في هذا الحي المقفر منقطعاً عن العالم كابرص او مطعون

قال باسكو ان ذلك يا صديقي من الضروريات التي يمكن الاضراب عنها حيث اذا علم المركيز دي كولانج رجوعك الى باريس يتعرقل مشروعنا ولا يعود لنا امل بالنجاح

قال سوستين ولكن فؤادي تمرمر من الضجر وقد اسال نفسي احياناً بخوف عما اذا كان هذا الحكم عليَّ بمعيشة الاعتزال كل يوم يمتد لسنة او سنتين

واجهد البورغنالي نفسه على التبسم بمظاهرًا التعزية وقال من الملازم ان تكون كذلك او لا تكون على الاطلاق حيث من يريد الغاية لا يرفض الواسطة ثم غير لهجته وقال ان سوستين دي بيرني سيترك باريس الساني واسمه بنويورك الرفساوي سيظهر الى العالم بمنتهى البذخ والعظمة في نفس اليوم الذي تتزوج به السيدة اكسيليان دي كولانج

الفصل الرابع

المصادفة

كان سوستين دي بيرني قد فارق فرنسا منذ ثلاث عشرة سنة وتوجه الى اميركا والوراد

بعد وصوله الى نيويورك ان يتوب عن شروره الماضية ويسلك طريق الصلاح ويهتم بزيادة اموالهِ القليلة بالاشغال لتمكن بسهولة من الحصول على مركز مستقل معروف وكان قادرًا على النهوض من سقطتهِ وان يكفر عن ماضيهِ بحياة جديدة من الشغل والشهامة ولربما استحق يومًا ما يمثل من المعيشة سماحة المركيزة دي كولانج الا ان هذا الرجل كان لسوء الحظ من الغلاة فاسدي الاخلاق الذين يولدون بافكار الشر ليس فيهم شيء من مبادئ الخير فقد ماتت منهُ الضمير ولم يعد اهلاً للتفكر بامكان الرجوع الى التوبة وكان دائمًا عبدًا لشهواتهِ فتاصلت فيهِ الرذيلة وتجرد من الاحساسات الادبية والخلاصة ان هذا الشقي قصرت حياتهُ على الفساد فداوم في نيويورك الحياة الشائنة التي قضاها في باريس ووجد ثمة بسهولة اصدقاء جديرين بمثلهِ من بطالي الاشغال المكبين على الرذائل والمفاسد حيث يوجد في اميركا كما يوجد كثيرون من اصحاب الدناءة والغش وسوستيين يعرف جيدًا هذا الجنس من الناس فتظاهر بينهم وأتى هولاء الاسافل المجمعين من كافة الامم والاحساس بالزهو وحسن الاساليب واللهجة المصطلح عليها في القاعات الرسمية وسنقلوه مرح ومدت نحوهُ جميع الايدي وازدحمت من حولهِ الاقدام لملاقاتهِ وصار واسطة عند شهرة لاسمه الارستقراطي

وكان معروفًا بالميل الى المسرات لا يحذر شيئًا منها ولكنه يفضل الذهاب الى قاعات اللعب مجذوبًا اليها بمشهد الريالات المحبوبة على البساط الاخضر ويقضي الليل بتمامهِ قابضًا على الورق ومواصلاً اللعب فثابت سعادتهُ مستنيدًا بقوة الصناعة التي اكتسبها ولا يمكن ان يخسر بها على الاطلاق او بالحري لا يخسر بها عند ما يجد ضرورة لذلك حتى لا يبقي محلاً لارتياب الناس بان هذه المكاسب ناشئة عن الشطارة والمهارة التين يحرك بهما الورق بخفة بين اصابعهِ وكان يصرف كثيرًا ولكن الاموال التي يكسبها او بالحري يسرقها باللعب كانت تساعده على مصاريفهِ ولذا بقيت معهُ الدراهم التي احضرها معهُ من فرنسا وقدرها مئتا الف فرنك مدة طويلة ولم يمس الدرهم الاخير منها الا بعد مرور تسع سنوات كاملات ولو تبع احد غيره هذا المسلك في المعيشة لما امكن ان يكسبهُ كثر من ربع السنوات فيستدل من هذا ان اساليب اللعب التي استعملها اكسبتهُ مالاً كثيرًا

ولما لم يعد معهُ شيء اعتمد على المعيشة باموال الاخرين وكان اللعب هو مصدر الموارد ولكن لا يخفى ان اللاعبين من اصحاب الثروة لا تتيسر وجودهم في كل يوم فصعبت من ذلك الحين معيشتهُ وكان يتشيش احيانًا جمع حيوتهُ البارعة على ربح مال واحد ولا بدع فيلتزم بالاقدام على وسائط اخرى لان الرجل المجرد عن الشرف يستعمل الغش والسرقة

بحسب الظروف

ففي مساء احد الايام وجد سوستين وجهاً لوجه امام جوزي باسكو في احد بيوت المقامرة التي يحضر اليها اسياد العائلات من الشبان وكثيرون من الكهول وتعدل فيها الخسائر بكميات وافرة

ولدى مشاهدة بعضهما ارتعش الاثنان لانهما تصادفا مرة قبل هذه في باريس عند امرأة كان يلعب عندها بمبالغ عظيمة وقد لحظ سوستين وقتئذٍ ان جوزي باسكو يمتاز عليه كثيراً بصناعة غش الورق

وعندما زالت مفاعيل الدهشة الاولى تبسم جوزي باسكو وحيا سوستين فرد له التحية ثم ادخل باسكو ذراعه تحت ذراعه وانفرد به على حدة في احدى زوايا القاعة وقال له انت فرنساوي وتسمى سوستين دي برني

قال سوستين وانت بورتغالي وتسمي نفسك الدوق جوزي كوست دي ر وكاس

قال فاذن انت تعرفني

اجاب تمام المعرفة

قال لا اظن بوجود سبب بينا يحملنا على العداوة

قال ابداً وانا اعترف بذلك

قال اني اقدم لك صداقتي

قال وانا اقبل هذه الصداقة واقابلك بمثلها

قال اذن صار يمكننا الاتفاق

اجاب سوستين ان الذئاب لا تاكل بعضها

وبعد مبادلة هذا الحديث شد كل منهما على يد الاخر ومن ذلك الحين صار الاثنان لا يفارقان بعضهما لا ليلاً ولا نهاراً واتفقا سوية على كسب الاموال بالغش من اللاعبين السذج الاغرار وكانا يقتسمان الكسب والخسارة كالاخوة وقد طفح قلبهما بالسرور لهذه المصادفة ولا يخفى ان الحب منشأ الثقة فقص باسكو يوماً على رفيقه سيرة حياته ورأى سوستين ان يقابله بالمثل فحدثه بقصته ايضاً واخبره كيف ولماذا اجبر على ترك باريس والالتجاء الى اميركا التي يعيش فيها منفياً على نوع ما وانه يفكر دائماً بباريس ويروي في اغلب الاحيان الرجوع الى فرنسا ولكن الخوف يحوله دائماً عن هذا العزم لانه يحب الحرية ولا يريد العود الى التمرمر مع المجالس والضابطة

فسمع له جوزي باسكو بريد السكوت والاصغاء وقال اظن انك لا تستطيع الابتعاد طويلاً عن ملايين المركيز دي كولانج صهرك

قال سوستين ولكن لسوء الحظ يقتضي للرجوع الى باريس والمعيشة في باريس كثير من الاموال

قال باسكو صحيح كم تبلغ يا ترى ثروة المركيز

قال ان هذه الثروة على ازدياد في كل سنة لان المركيز لا يصرف جميع ايراداته واظن اني لا ابالغ اذا قلت انه يملك اليوم عشرين مليوناً على الاقل

فكرر باسكو مندهشاً عشرين مليوناً . عشرين مليوناً . . ما هذا الحلم العظيم المدهش . . عشرين مليوناً ثم بقي برهة ساكناً باعين متقدة وقال اخيراً انك على ما يظهر لي انك اطلعتني الان على سر يعود بعشرة ملايين فرنك الى من تكون ثروة صهرك على من يحسن الانتفاع به

فرفع سوستين فجأة رأسه ونظر الى البورتغالي ... وادرك باسكو الى مراجعة نفسه وقال ليس هذا الا فكر خطر على تصوراتي

قال الطامعي عليه

قال سوف افعل ذلك عندما اتدبر وادرسه جيداً اما الان فحسبك ان تعرف هذه الحقيقة وهي ان قسماً مهماً من ثروة المركيز دي كولانج يكون لنا اذا احسنا الادارة

قال هذا حلم يا عزيزي جوزي

قال نعم في الوقت الحاضر حيث لا نستطيع شيئاً ما دمنا خارج باريس ومن اللازم ان نسير اليها بملح كاف حتى يتيسر لنا النجاح

قال اذا كان ذلك فسنبقى هنا الى الابد

فاستمع البورتغالي الحديث بحرارة وقال ان الارادة عند الشخص هي الاقتدار فمن الان نبتدئ بالاقتصاد وعندما يصير معنا مائة الف فرنك نسافر الى فرنسا

فهز سوستين رأسه وقال سيطول انتظارنا

اجاب سوف ترى لا انكر ان الدهر يعاكسنا منذ زمن ولكن الليالي والايام تتابع ولا تتشابه

ومن ذلك الحين صرفت العصابة المتألفة من جوزي وسوستين لجمع الاموال اللازمة للسفر ولكن باطلاً كان يكثر الاثنان من الجد والمهارة للاكتساب لان اكياسهما كانت تملأ بغطاً يحمل على اليأس وسئم سوستين فجعل يكرر هذه العبارة انا لا نبلغ ابداً الغاية وباسكو يوقفه

بالمستقبل ويقتصر احيانًا على المجاوبة برفع اكتافهِ

ففي احد الايام بينما كان سوستين جالسًا وحدهُ على طاولة امام احدى القهاوي يشرب كأسًا من المسكر واذ وقف فجأة رجل من المارة وبعد ان تأمل سوستين برهة لتحقيق نظرهِ تقدم نحوه ووضع يدهُ على كتفهِ فالتفت دي بيرني بحدة ثم رفع نظرهُ لمشاهدة الشخص المذكور وفي الحال وقف منتصبًا على قدميهِ وصاح بدون ان يحاول اخفاء دهشتهِ هل هذا انت

قال الآخر اري بسرور انك عرفتني وانك تتذكر اصحابك القدما. ولكنك متعجب كثيرًا لمشاهدتي

قال صدقت ما كنت اتوقع ابدًا مشاهدتك هنا في نيويورك

قال واما كذلك لم يخطر على بالي الاجتماع بك في هذا المكان

قال سوستين من اللازم ان نتحادث سوية لانك ولا ريب حاصل على اشياء كثيرة خطيرة تهمني معرفتها

ثم نادى صاحب القهوة ودفع ثمن المسكر وتأبط ذراع صديقهِ القديم وابتعد واياهُ بسرعة وبعد هنيهة وصلا الى مكان من المدينة مقفر تقريبًا فقال سوستين لا يوجد هنا من يضايقنا او يسمع كلامنا هل صار لك زمان في اميركا

اجاب منذ ست سنوات تقريبًا

قال كيف حالك في نيويورك

اجاب اني متضجر كثيرًا

قال لا عجب بذلك ولكن كيف تعيش فيها

قال كما استطيع ان نكد الطالع لا يكف عن ملاحقتي ولولا تعود المرء على كل شيء لاماتني اليأس اني تعاطيت جميع المصالح فصرت حمالًا في المينا وغسالًا للصحون وخادمًا للغرف ومستخدمًا تجاريًا حتى بلغت المهن التي تعاطيتها ثلاث عشرة مهنة وتحملت ثلاثة عشر شقاء واما الان في جوق تمثيل الروايات

فقهقه سوستين ضاحكًا وقال صرت ممثلاً

قال نعم وسافعل كل شيء حيث من اللازم ان اعيش اني شديد التمسك بالحياة ولو مهما كانت مشؤمة وصعبة ولا اعلم لماذا ولا ريب ان هذه حماقة ولكنني مصاب بها على ان هذه الحياة التي اقضيها بالتمثيل لا توافقني على الاطلاق اني معجب بروابك حيث لا تزال زاهيًا مشرقًا فانت سعيد يا صديقي وقد يمكن ان يعرض عليك الدهر برهة ولكن لا بد من رجوعه اليك

صاغراً مطيعاً طالما من حاجة يا ترى للنزول الآن شفائي بعد ما أكون بجانبك ويتركني لي كالآن الأمل يتجدد في ثم صاح أخاً كنت في حاجة كالآبن لمرافقتك دي كرول وكنت منهم لحدثتك بأية صفة كانت فإنه ثم أه باي مقدار من الفرح ابادر لاتباعك

قال سوفيستوس ولكن يوجد شيء الآن أريد أن اعرفه - اخبرني ماذا أصابك بعد نزولنا لبلاً على قصر كولانج

قال الآن أخباري بهذا الخصوص ليست طويلة

قال لا بأس ولكن الحذار من التمويه ومحاولة الاخفاء

قال ان هذا العمل الذي توفقت في بدايته كان مشؤوماً علينا نحن الاثنين حيث لا يخفى في الحال التعيسة التي وجدت فيها وقتئذٍ ولكن لحسن الحظ كان لم صالح سابقاً من أيدي الحكومة . . .

فقطب سوستين حاجبيه وقاطعه بصوت خشن قائلاً دعنا من هذا اريد ان تحدثني عنك لا عني

قال دي كرول لا بأس فلنكن اردتك اني في ذلك اليوم توقفت أكثر منك على غير عادة حيث أمكنني الرجوع براحة الى باريس ولكن هذا التوفيق لم يدم طويلاً وبعد عدة أيام شدوا وثاقي مع أناس آخرين وقضيت في السجن مدة خمس سنوات وهكذا وفيت دفعة واحدة ديني الحديث والدين الآخر الذي عقدته سابقاً واست تعرفه

قال سوستين ساخراً ان نرقيتنا المديون من علامات الثروة

فضحك دي كرول وقال ان حالتي تكذب هذا المثل لاني رقيت دبوني وانا في حال الفقر المدقع

قال فلنتكلم الآن حسن لديك عن الشيء الذي يهمني

اجاب العبو باصديقي قضت ان يجيء خمس سنوات مكملاً بالاغلال يستوجب اهتمامك

فاضطرب سوستين بما يشف عن فروغ الصبر ثم سأل والصندوق

قال هه . . هه . . الصندوق المعلوم . . صندوق المركيزة

قال سوستين ماذا فعلت به

اجاب كن براحة وضعته في مكان أمين

فسأل أين

قال في أعماق حفرة حفرتها في حرش فنسان

فنظر سوسنين شاخصاً الى دي كرول وسالهُ هل صحيح ذلك

قال ليس لي صالح بالكذب لاكذب

قال فاذن دفنت الصندوق في حرش فينسان

اجاب نعم ان الحكمة قضت عليَّ ونشتذ ان ابذل الجهد للتخلص منهُ

قال اذا احتجنا يوماً ما الى هذا الصندوق او بالحري الى ما فيهِ هل تقدر ان تجده

قال نعم ولكن ....

فسال ولكن ماذا

قال لا اعد بشيء ما دمت منفياً في نيويورك

قال كفى كفى فهمت . والان ماذا فعلت بعد خروجك من السجن

قال كل ما قدرت عليهِ وليس كل ما اردتهُ فان مناطقة السين كان محظوراً عليَّ الدخول اليها فتحرست جداً من ملاصقة باريس حتى لا اعود الى المكان الذي خرجت منهُ حيث لا يوافقني السجن ان الحرية لا تقدر حق قدرها الا متى ذيقت مرارة الضيق والحصر فانا مولع بمعيشة التنقل ضمن هذا الفضاء الواسع احب استنشاق الهواء المنتشر وارتاح الى مشاهدة الشمس عند شروقها ومغيبها والطيور السابحة في الجو ولهذا رضيت صاغراً بحياة الاسعار فكنت اسير الى اية جهة قادتني ارجلي واشتغل احيانا عندما اجد اشغالاً لساعديَّ وقد التزمت عالنَ ان امد يديَّ للشحاذة ثم صاح لا تتعجب كان ممكنًا ان افعل ما هو شر من ذلك اني حصلت على القوة ونغلبت على التجارب التي تدفعني الى سرقة اموال الغير الممنوعة عني لاني كنت اخاف من الجدران الشاهقة المظلمة والسجون المحجرة التي تضيق الارواح ففي احد الايام حضرت الى الهافر ولا اعلم كيف ولا لماذا تم خدمت في حانة وكانت الحانة على الشط فنظرت المراكب مواصلة الذهاب والاياب وبعد ذلك فكرت باميركا وخطر على بالي ان اشاهد العالم الجديد

في صباح يوم حسبت الدراهم التي في كيسي فوجدت اني قادر على دفع اجرة السفر واذ ذاك قطعت بعزمي فتركت الحانة وبعد ساعتين كنت في عرض البحر منتصباً على ظهر المركب وظهري لفرنسا وها انذا الان حزين غريب منفي على هذه الارض ولم يبعد لي يا سوسنين الا ان اخاطبك بهذه الكلمات كن نصيري ولا تتركني فبقي دي بيرتي برهة ساكتاً مفكراً ثم قال لربما احتاجك قريباً

قال دي كرول ان احساساتي لا تزال على حالها فانا لك روحاً وجسداً

قال حسن سوف تشتاق لا اقول لك اكثر من هذا الان ثم دفع اليه رقعة وقال هاك عنوان محلي تعال لتراني في هذه الساعة الثانية لاعرفك باحد اصدقائي

قال سوف احضر في الوقت المعين

اجابه الى الغد اذن ثم افترق الاثنان على هذا الوعد

الفصل الخامس

ثلاثة اشياء

في الساعة الثانية تماماً من اليوم الثاني دخل ارمان دي كرول الى غرفة سوستين دي بيرفي الذي قابله بالترحاب

فسأل دي كرول هل كنت بانتظاري

قال دقت الساعة الثانية وبدأت انتظرك

قال اين صديقك الذي تريد ان تعرفني به

قال سوف يحضر

وفي تلك الساعة سمع وقع خطوات ثم فتح الباب وظهر جوزي باسكو فمد يده الى سوستين وتفرس بنظره الحاد النافذ الى دي كرول ثم ظهر من حركاته انه احاط علماً بصفات الرجل وانه مرتاض من نتيجة فحصه

قال سوستين اعرفك يا صديقي جوزي بمواطني ارمان دي كرول الذي اخبرتك عنه امس مساء

فانحنى دي كرول امام باسكو فاتخذ هيأة خطيرة وقال نعم ان صديقي دي بيرفي حدثني عنك طويلاً وقد اكثر من مدحك والثناء عليك

فحملق دي كرول اعينه ونظر الى سوستين كأنه يستفهم منه عن هذا الرجل العظيم الذي يخاطبه واذا هو بمظاهر العظمة ايضاً فبقي مبهوتاً اما جوزي باسكو فداوم حديثه قائلاً لقد حدثني دي بيرفي عن اوقات الشدة والفقر التي قضيتماها ومحن كلها من حوادث الحياة المعرض اليها جميع البشر لان الاوقات نائبة والاشغال صعبة ومنشأ هذا البلاء التمدن والترقي ففي هذه

الايام يا سيدي يلزم المرء للنجاح في هذا العالم ان يسير بطريق التجارب لان التجارب هي التي تشدد عزائم الرجال وتجعلهم اقوياء ولا يمكن ان يصير الانسان عالمًا بلا تعلم فانت تعلمت واختبرت الايام ولا يحق لك الشكوى من هذه التجارب

فبقي دي كرول مضطربًا لا يعلم هل سمع حنا ثقة او المراد بهذا الحديث السخر منه

اما جوزي باسكو فاستمر مواصلا حديثه وقال انت ذكي همام عزوم وهذه هي الصفات التي لا بد منها ثم عندك اميال الطمع ورغبة الوصول الى النتيجة وانا متاكد انه متى حانت الساعة يظهر اقتدارك واقدامك على العمل لانك وضعت نفسك تحت امر صديقي دي بيرني وعرضت عليه خدماتك وقد اخبر في سوسين انك رجل امين يعتمد عليه فما اجبته بشيء في اول الامر واردت الحصول على وقت للتامل والان انا ودي بيرني اشتركنا سوية لاننا ذو مقصد عظيم لم نتكلم عنه بعد ولكننا في حاجة لشريك ثالث وانت الرجل الذي نحتاجه فهل تشترك معنا

قال دي كرول بحرارة هذا جل ما ارغبه وقد قلت لسوسين فيما مضى وامس ايضًا اني اخصه روحًا وجسدًا قال باسكو ان دي بيرني يعرفك وهو مسئول عنك ولهذا اسالتك الاشتراك معنا

وكان الاصحاب الثلاثة قد استمروا واقفين الى ذلك الحين فقبض البورتغالي على كرسي وقال اظن ان لنا حقًا بالجلوس وجلس فاقتدى به الاثنان الاخران ثم عاود توجيه الحديث الى دي كرول وقال لقد عمدنا على مفارقة اميركا قريبًا اذ لا بد من الرجوع الى فرنسا او بالحري الى باريس واظن انه لا يوجد ما يحملك على البقاء في نيويورك وانك مستعد للسفر

قال في هذا المساء اذا اقتضت الحال

قال حسن ولكن في باريس كنيويورك وغيرها لا نقدر على عمل شيء بلا دراهم

قال دي كرول بانكسار صحيح

قال باسكو انه يوجد الان اذا لم اخطئ اثنان وعشرون الف فرنك في صندوق شراكتنا

قال سوسين نعم اثنان وعشرون الف فرنك

قال باسكو ومع هذا فنحن تقريبًا لا نملك شيئًا لان هذا المبلغ لا يتجاوز عشر الاموال الضرورية لاتمام مشروعنا فمن اللازم اذن ان نكمل راس مالنا وان نستعمل جميع الوسائط لبلوغ هذه الغاية

وعند ذلك اقترب سوستين من البورتغالي وقال صرح هل لديك شيء نعمله في هذا المساء

قال لا شيء عندي لهذا المساء ولكن عندي للاحد القادم اي بعد خمسة ايام من هذا النهار الثلاثا

فقال سوستين هل انت متاكد . . .

قال نعم متاكد وجود شيء نعمله ولكن يلزمنا التوفيق

فقال وما هو هذا الشيء

قال سوف اكشف لكما عن ذلك لانه من اللازم حتى لا يضيق علينا الوقت ان نتصرف كان الفوز مضمون لنا ونستعد مسبقًا للسفر فان الباخرة الفرنساوية المسماة فيراكوس ستقلع الساعة السادسة من صباح الاثنين القادم فعلى كل منا من تاريخ هذا النهار ان يقطع ورقة السفر و يقيد اسمه في دفتر المسافرين و يوم الاثنين نتوجه واحدًا فواحدًا الى الباخرة كانّنا لا نعرف بعضنا اذ يحسن بالمرء على الدوام ان يستعمل الحكمة والتعقل

فسال سوستين واذا لم ينجح العمل الذي اشرت اليه

قال جوزي اذا لم ينجح نبقى في نيويورك والباخرة يراكوس تسافر بدوننا

ثم استولى السكوت على الجميع برهة من الزمان وعاود باسكو الحديث فقال اسمعا الي الان

وعند ذلك اقترب دي كرول ايضًا من البورتغالي اما هو فنظر الى شريكيه وجعل يلعب بذقنه

قال سوستين تكلم فكلنا اذان لاستماعك

فاخفض جوزي صوته وقال هاكما العمل المراد انه يوجد في نيويورك شيخ يهودي يملك على اكثر من ثلاثة ملايين وهو يتجر بجميع انواع البضائع والمصنوعات وفي جملتها الالماس وغيره من الاحجار الكريمة وقد انسحب عن الاشغال منذ بضعة شهور ولكن لا يزال عنده مجوهرات قيمتها ثلاثماية الف فرنك يريد التخلص منها

فسال سوستين وكيف علمت ذلك

قال علمته من محادثة دارت بهذا الخصوص بين الشيخ اليهودي المذكور ورجل اخر من ابناء دينه وقد سمعتهما ولم يرياني لانهما كانا منفردين في جنينة لا يظنان بوجود احد غيرهما ثم جعلا يتكلمان بالعربية حتى لا يفهمان من احد ولكنني افهم الامر بينه وانكلمها بسهولة كبقية لغات

اوربا ولا حاجة للقول ان هذه الحادثة حركت اهتمامي بحرارة فاردت ان اعلم بمكان سكن اليهودي واجمع بخصوصه بعض الافادات التي لا تخلو من النفع ومن ذلك اليوم بدأت بالعمل وعرفت عنه سريعًا كل ما يهمني معرفته فان هذا اليهودي يقطن في اقصى المدينة مسكنًا وضيعًا بخصة تظللة الاشجار وهو قائم في وسط جنينة مربعة منفردة وليس لهذه الجنينة الا باب واحد يشرف على طريق ضيقة يعرفيها قليلون في النهار وتقفر تمامًا في الليل ثم لا يوجد عند هذا الرجل الا خادم واحد يهودي من سنه تقريبًا كثير التعلق بسيده فهو مدبر منزله وخادم غرفته وطباخه وحارس بيته وقد علمت ايضًا ان هذا اليهودي صاحب الملايين المدعو فبرت يعيش معتزلاً عن الناس تقل من يعرفه في نيويورك وقد يوجد نادرًا على مائدته بعض اليهود من اصحابه القدماء وفي كل يوم سبت يترك منزله ويذهب ماشيًا لزيارة احد اصدقائه في قرية تبعد ستة وثمانية فراسخ عن نيويورك فيقضي ثمة الاحد ويعود الاثنين الظهر الى المدينة هذه مجمل الافادات التي حصلت عليها بالتتابع عن هذا الرجل وحيث ان هذا اليهودي الان منكره من الاحجار الكريمة ولا يريد المحافظة عليها أ لا تريان انا نقدم خدمة له ولانفسنا اذا ارحناه منها

قال سوستين وقد قدحت اعينه نارًا لا ريب بذلك بقي علينا ان نعرف هل يمكن النجاح

قال جوزي لا يدمنة

قال دي كرول ان النجاح يتوقف على اهمية المصاعب التي نصادفها

فعاود جوزي الحديث وقال اظن انكما فهمتما ان النجاح لربما لا يكون مضمونًا لاثنين ولكنه مقرر لثلاثة

قال سوستين فاذن انت راسم خطتك ومستعد للعمل

قال نعم اذا اردتما الاجراء ولم يبعدكما الخوف

قال سوستين ان الفرصة حسنة ولا يمكن ان تفلت من ايدينا

قال دي كرول لا محل للتردد لان العمل عظيم

قال جوزي اذن اتفقنا في ليلة الاحد نقبض على منزل الشيخ فبرت وانا اعلم ان الاحجار الكريمة مقفل عليها في علبة وان العلبة مقفل عليها ضمن خزانة في غرفة نومه

قال سوستين حسن ولكن كيف الدخول الى الجنينة

اجاب لا يصعب علينا فتح الباب

قال سوستين من المحتمل ان يكون لهذا الباب عدة اقفال مكينة

قال اذا كان ذلك يتسلق احدنا الجدار ومتى وثب الى الجنينة يقتلع الاقفال بسكينة ثم يفتح الباب لدخول الاخرين

قال سوستين ان ابواب المنزل مقفلة ايضاً

اجاب بلا ريب ولكن لا غرض لنا بفتحها

قال كيف العمل اذن

اجاب قلت لكما ان المنزل مظلل بالاشجار وقد لحظت ان احدها لها اغصان قوية تبلغ السطح فيلزمنا والحالة هذه الانحدار الى ذلك المنزل من احدى الكوى المفتوحة في اعالي الجدران وربما تكون الطريق خطرة ولكن يمكن الوصول منها الى غرفة

البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

المعرض الفرنساوي

تخصص لمصاريف المعرض الفرنساوي سنة ١٨٨٩ مبلغ اربعين مليون فرنك ثم يضاف الى ذلك مبلغ احتياطي قدره ثلاثة ملايين فيكون مجموع المصاريف المراد انفاقها على هذا المعرض ثلاثة واربعين مليون فرنك

اثر مجيد

اكتشف الموسيو كوغولنيسانو في اناضول كوي قرب كوستانجه من الحجر وجه على قبر الشاعر اللاتيني الشهير بوبليوس اوفيديوس نازو وهو من اعظم رجال الافكار الذين ظهروا في عهد اوغسطوس ولد قبل المسيح بثلاث واربعين سنة وتوفي منفياً في توم قرب البحر الاسود بعد المسيح بثماني عشرة سنة

الة لحدر التوابيت الى الحفر

اخترع احدهم نمساوي الة لحدر توابيت الموتى الى الحفر وهي ملبسة بالجوخ الاسود متساوية الزوايا لها سطح من المخمل الاسود يعلوه خيمة من الحرير قائمة على اربعة عمد فعند الدفن توضع الالة المذكورة على فم الحفرة ثم يوضع التابوت على السطح المخملي ويكبس على زر محرك صغير فيهبط السطح مع التابوت بتأن الى اسفل اللحد ونخفض الخيمة من فوق لستر الحفرة وهذه الالة مصطلح على استعمالها الان في وينا وبرلين وغيرهما اما في باريس فقد طلبت الحكومة من المخترع اجراء تحسينها قبل تقرير

استعمالها

طول العمر

افادت اخبار كاركوي عن وفاة امرأة في المئة والثانية والعشرين من العمر وقد بقيت الى يوم وفاتها الاخير تحسن السير على ارجلها وهي صحيحة العقل والمذاكرة

جنون بعض الكتبة

اصيب ادولف راكو احد كتبة الفرنسا ويين باختلال الشعور ثم توفي على اثر ذلك وقد ذكرنا هذا الحادث بجنون اثنين من مشاهير الادباء في هذا العصر وهما كيوموبسان وهنري ديديه وكان الاول عضوًا في مجلس النواب ايام الامبراطورية فعينه الموسيو تيرس سنة ١٨٧١ سفيرًا لفرنسا في بست ثم تولى ادارة التحرير في جريدة الكلوب ولكن اساليب انشائه لم تشتهر وتنتشر حسب المأمول من شهرته وقد ابتدأ جنونه بمحاولة الكتابة بثلاثة اقلام وفي زعمه انه يقدر بهذه الواسطة على كتابة ثلاثة اسطر مختلفة في آن واحد وكان يجادل الناس لاقناعهم بصحة هذا الوهم ثم نشر في احد الايام فصلاً في جريدته قال فيه انه اشترى الالزاس واللورين من البرنس دي بسمارك بمبلغ مليار فرنك وانه يقدمها هبة منه لفرنسا ومن ذلك الحين ثبت جنونه وادخل المستشفى اما هنري ديديه فكان نائبًا ايضًا وقد ابتدأ جنونه سنة ١٨٦٢ ولكن لم يثبت الا سنة ١٨٨١ فانه حضر وقتئذ عند الموسيو الموبسكي رئيس مجلس النواب للابسانجية وعامة وقرأ له صورة خطاب هيأه ضد حزب الشمال فتأكد الرئيس جنونه ونبه النواب الى ذلك حتى لا يتعرضوا له عند تلاوة الخطاب ثم ذهب ديديه في مساء ذلك اليوم الى ادارة بعض الجرائد يطلب مسودة الخطاب والرولفير في يده متهددًا مدير الجريدة باطلاق الرصاص

الموت حرقًا

اذا نال الجسد لهيب النار والجمر المتأجج قاسى قبل الموت بسببه ألمًا شديدًا وبالعكس من يموت خنقًا بالدخان فتكون اوجاعه قليلة ولهذه قرر الاقدمون ان تتنوع اساليب حرق المجرمين بتنوع ذنوبهم فكان يفرش للبعض ممن يراد تلطيف اوجاعهم على الخشب المراد حرقها فراش من القش المبلل حتى اذا اشعل الخشب يخنقهم الدخان قبل ان تمسهم النار بوقت طويل وعلى هذه الصورة حرقت جان دارك سنة ١٤٣١ اما اخصام الدين والسحرة فكانوا يحرقون بنار صافية وكان القضاة يتخذون اصواتهم الشديدة الصادرة عن مزيد التألم والعذاب كبرهان على اشتراكهم مع الشياطين

الانسان والحرارة

ان الانسان اذا لم تمسه النار مباشرة ولم ينقصه الهواء الصالح للتنفس يمكنه ان يحتمل ... على احتمال منتهى درجات الحرارة وقد قرر اكثر الفسيولوجيين ان خادمة احد

الخبازين اقفل عليها بالصدفة باب الفرن
فجالدت على الحرارة المحرقة الى ان شوي بجانبها
الخبز ولكن كان بقربها وعاء ماء شربت منه
ويقال ان مناولة الماء هي التي انقذتها من الحريق
وقد ادعى احد الاسبانيول انه خالد لا
يموت ولدى معارضته في هذه الدعوى قبل ان يحجر
عليه في فرن يحمى جدًّا لاجل معين وعند حلول
الاجل فتح الفرن فوجد ميتًا وجثته مشوية من
شدة الحرارة غير ان هذا لا ينفي الحقيقة الثابتة
وهي اقتدار الانسان على البقاء مدة في وسط
الحرارة كما ثبت من اختبار بعض الفسيولوجيين
ولا سيما الانكليز والفرنساويين منهم وفي جملتهم
الدكتور سالابرتا انه دخل الى مكان بلغت
حرارته درجة المئة فاستمر جسده على حرارته
العادية وكان يشعر ان نسمة ثلج من شدة
البرد عندما ينفخ على اصابعه ثم وضع يده على
جسمه فوجده باردًا وبخلاف ذلك القطع
المعدنية التي مسها كانت تحرقها بحرارة محرقة
وكان الترمومتر الموضوع تحت لسانه يدل
على ٢٦ درجة ثم تيسر لرجل آخر انكليزي ان
يبقى مقدار ست دقائق في مكان حرارته مئة
وثماني درجات وقد جمد البيض في ذلك
المكان بمدة عشرين دقيقة واستوت قطعة من
اللحم في ثلاث وثلاثين ولاحظ كثيرون ان
خدمة الخبازين كثيرًا ما يجالدون مقدار
عشر دقائق على حرارة تختلف من ١١٠
الى ١١٥ درجة ويؤكدون ان بعض العملة
يدخلون احيانًا الى اماكن تبلغ حرارتها ١٤٠
درجة وحتى يتأكد القراء اقتدار الانسان على
الثبات في الحرارة المرتفعة نلفت انظارهم
الى وجود شعوب في كرونيلاند من لا يزالون
يعيشون في محل يسقط فيه الترمومتر الى درجة
خمسين بعد العصر

آلة هوائية لتسيير المراكب

قدم الموسيو مبسلي والموسيو بكر الى جمعية
العلماء في باريس آلة هوائية جديدة من
اختراعهما لتسيير المراكب وهي تتألف من
دولابين واقفين على محاور مختلفة ولكل منهما
اجنحة ثلاثة تتأثر بالهواء متى دار الدولاب
ثلث دورته ثم تنحرف حتى لا يبقى معرضًا
منها للهواء الا جزؤها فتبطل بذلك مقاومته وقد
اختبرت هذه الآلة في احدى المراكب فاقتضى
لتحريكها قوة اربعة رجال ونجحت نجاحًا عظيمًا
في صعود السين ورولو فان المركب تغلبت
بواسطتها على تيار النهر وسارت سيرًا سريعًا
وفوائد هذه الآلة لا تنكر لادارة المطاحن

البغميون

نحو من الناس قصار القامة جدًّا
يقال انهم وجدوا في الازمنة الخالية وقد حدث
عنهم كثيرون من الكتاب الاقدمين فقال
اوميروس انهم يسكنون اطراف الارض وقال
هيرودوتس انهم يقطنون المستنقعات المجاورة
لينابيع النيل وروى اريستوت وستيزياس
وبلين وبومبونيوس ميلا انهم يشغلون الاراضي

الممتدة جنوبي الحبشة اي الاواسط المجهولة من قارة افريقيا وقد صرفت الافكار في الايام الاخيرة للبحث عن هذا الشعب وهل وجد حقيقة او لم يوجد فاثبت السائحون انه وجد قديمًا وانه لا يزال موجودًا الى الان ولكن طرأ عليه بعض التغيير فطالت قامته قليلاً كما قصرت قامات البتاغون وهكذا انتست بالملاحظات العلمية المبالغات القديمة ونست ان الواحد من هذا الجنس يختلف طوله من متر و. ٣٠ الى متر و. ٥٠ وقد رفع الموسيو دي كاترياج تقريرًا في هذا المعنى الى المجمع العلمي الفرنساوي قال فيه ان البيغميين هم نفس شعوب اكاس الموجودين الان في افريقيا

غرائب الجنون

لا يخفى ان اوثون الثاني ملك بفاريا الحالي مختل الشعور ومحجور عليه الان في قصر نيفاميير وقد افادت الجرائد الاخيرة ان هذا الملك يجد لذة كبرى باطلاق الرصاص على الفلاحين المارين من تحت نافذته وقد رأى وزراؤه لعدم تكدير ان يقدم له في كل يوم بنادق محشوة بمواد لا تؤذي حتى اذا اطلقت النار يتظاهر الفلاح المار بالسقوط متاثرًا بالرصاص ارضاء للملك الذي يطفح قلبه سرورًا لهذا المشهد

الصم يسمعون والخرس يتكلمون

ذكر في الجرائد الفرنساوية انه حدث اخيرًا في مجلس المعاينة العسكرية في مناطقة السين حادث غريب فان رئيس المجلس دعا احد الانفار بذكر اسمه فتقدم منه شاب طويل القامة وقال اظن ياسيدي الرئيس ان لا فائدة من فحصي حيث لا استطيع الدخول الى العسكرية فسال الرئيس وما هي الاعذار التي تمنعك من ذلك قال اني اصم اخرس ياسيدي فتعجب الرئيس وقال كيف يصح ذلك وانت تحادثني الان كبقية الناس وقد لبيتني عندما دعوتك باسمك قال اني افهم حديثك من حركة شفتيك فقط ولدى الفحص ثبت حقيقة ان الشاب المذكور اصم اخرس وانه تعلم التكلم بطريقة حديثة اصطلح على استعمالها منذ بضع سنوات

سائل لتنوية النبات

ان هذا السائل يتركب من الملح العادي محلولاً بماء الشتاء وممزوجًا بكلورات وكبريتات البوتاس ثم يضاف الى ذلك ملح الترتير وحامض الكبريتيك وهذا المزيج له تاثير فعال في الاشجار المثمرة والزهور والحبوب فانه يزيد في نموها ويطرد عنها الحشرات المضرة كالدود وخلافه ويقيها من امراض كثيرة معرض اليها النبات ثم يمكن استعماله في مخازن المؤنة لطرد الحشرات

واسطة لتنظيف الواح التصوير القديمة من الجلاتين

تغطس الالواح المذكورة في مزيج يولف من جزئين من حامض الكلورهيدريك في

مائة جزء من الماء ولا يلزم حينئذٍ لتنظيف هذه الالواح من الجلاتين الا ان تفرك قليلاً باليد

طريقة لازالة آثار نترات الفضة عن الجلد والثياب

افرك الآثار المذكورة بمحلول مركب من ١١٠ غرامات من يودور البوتاسيوم و ١٠٠ غرام من الماء وغرام واحد من اليود ثم اغسلها بمزيج من الحامض الكلوروهيدريك وفتات النحاس الاصفر

طيارة عجيبة

توصل المسيو ماليوت الى اصطناع طيارة متسعة عجيبة تبلغ مساحة سطحها اثنين وسبعين متراً مربعاً وقد اجرى اختبارها في مولبتون من فنسان فارتفعت بمخترعها الى علو مائتي متر في الجو وظهر من هذا الاختبار امكان الانتفاع بمثل هذه الطيارات في اوقات الحرب وفي درس الهواء ويرجح البعض ان هذا الاكتشاف سيكون له شأن مهم في المستقبل

يوبيل ملكة الانكليز

هو تذكار السنة الخمسين من ملكها احتفل به في ٢١ الماضي ومما يجدر ذكره عن هذا الاحتفال ان اجرة النافذة في لندرا بلغت الف فرنك ويقال ان بعضهم استأجر بلا نقد احدى النوافذ المشرفة على طريق مرور الحفلة باثني عشر الف ليرا ثم اجرها باضعاف هذا المبلغ ونحن نذكر هنا لتفكهة القراء تفاضل اجرة النوافذ في الاحتفالات التي سبق حدوثها في لندرا للملوك الانكليز ففي تتويج ادوارد الثالث كانت تؤجر النافذة بثلاث بارات وفي تتويج ريشارد الثاني ستة بارات وفي تتويج هنري السابع بخمس بارات ولدى مسح اليزابيت باثني عشرة بارة وفي مسح جاك الاول بخمس وعشرين بارة ثم ازدحمت الاقدام كثيراً في حفلة شارل الاول حتى اجرت النافذة بنصف ليرا وفي حفلة جورج الثاني باثني عشر فرنكاً وخمسين سنتيماً وفي حفلة جورج الرابع طرحت الجرائد منتهى الدهشة والاستغراب لان نوافذ بعض الدكاكين اجرت بمائة فرنك اما في هذا الاحتفال فكيس مملوء بالذهب كان لا يكفي لاستئجار كوة حقيرة في بعض الفنادق

وقد استعمل في الولائم التي اعدت اثناء هذه العيد آنية السفرة الملكية المحفوظة في وندسور وتعدل قيمتها بخمسين مليون فرنك اما الامراء والملوك الذين جاءوا للاشتراك بهذا الاحتفال فتنحصر مصاريفهم اثناء اقامتهم في لندرا بالعطايا والهدايا التي يكرمون بها الحجاب والخدم وهي تختلف بحسب سخاء اصحابها ومراكزهم ويقال ان الامبراطور نقولا الروسي كان اسخى الملوك والامراء في مثل هذه الظروف فانه عند زيارته لقصر وندسور سنة ١٨٤٤ ترك خمسين الف فرنك للخدم وقدم لامرأة ناظر القصر العام من الحلي ما

قيمتهُ ٥٢ الف فرنك ثم اعطى لكل من الاشراف السنة المخصصين لخدمة الغرفة علبة من ذهب وصورتهُ محجرة بالالماس وكذلك الحجاب ولكن اعطاهم بدل الصورة رسم العلامات الامبراطورية بالاحجار الكريمة وقد وزع على الجمعيات الخيرية ٧٠ الف فرنك هذا فضلاً عن الخواتم والساعات وانواع الحلى الكثيرة التي تعطف بها على نية المأمورين والخدم

الة للطيران

اصطنع احد الاميركان الة بسيطة للطيران يستعملها الانسان لسير في الجو والتنقل كالطيور من مكان الى آخر ومن الالة تربط الى الجسم بسيور معدنية تحت الاذرع ولها الة كهربائية تحت الصدر تتصل بقلوع صغيرة ثم يكتفي لادارتها ان يشد بالاصبع على زنبرك كهربائي مخصص لذلك وقد اخبر المخترع هذه الالة على مشهد من العموم في ضواحي كريسايل من اميركا الشمالية فارتفع في الجو الى مائة متر وطار مقدار ساعة من الزمان وكانت سرعة السير وعدمها موقوفة على ارادته فقطع مسافة ستة اميال في الساعة المذكورة

طريقة لحفظ الزهور

ذكرت الكرونيك اندسترييل عن وجود طريقة لحفظ الزهور بعد قطفها بتمام الزهو والنضارة وهي ان يحل في قنينة تسد جيداً ٣ - ٤ غراماً من صمغ كوبال وشلها من الزجاج المكسر في خمسمائة غرام من الاثير الكبريتيك المقطر ثم تغطس الزهور في هذا السائل وتخرج منه بسرعة وتعرض للهواء مقدار عشر دقائق ويكرر العمل على هذه الصورة نحو اربع او خمس مرات فتحفظ بذلك نضارتها الى اجل طويل

اثار صيدا

ارسل جناب عطوفتلو حمدي بك مدير متحف الاثار في الاستانة صورة الكتابة الفنيقية التي وجدت على الناووس المكتشف عليه اخيراً الى الموسيو ارنست رينان الفرنساوي مع صورة تقرير مفصل عن جميع الاثار التي وجدت في صيدا وطلب اليه بتحرير لطيف ان يبلغ ذلك الى المجمع العلمي الفرنساوي فبادر الموسيو رينان الى تقديم التهاني برسالة رقيقة الى حمدي بك الموما اليه على هذا الاكتشاف الثمين مع ترجمة الكتابة الفنيقية المذكورة وهذه صورتها الحرفية نشرها بحسبما قدمها الموسيو رينان الى المجمع العلمي الفرنساوي

انا الراقد في هذا الناووس هو تبنيت كاهن عشترت ملك الصيدونيين ابن اشمنعزر كاهن عشترت ملك الصيدونيين يامن يكتشف على هذا الناووس لا تفتح قبري ولا تقلقني حيث لا يوجد بجانبي لا ذهب ولا فضة وانا راقد وحدي في هذا الناووس لا تفتح هذا القبر لان هذا

العمل مستفيح في اعيت عشيرت اخا لتحت قبري واقلقت رقادي الا يكون لك ذرية بين الاحياء تحت الشمس ولا فراش بين الموتى

ويرى الموسيو رينان ان هذا الناووس هو للملك نيسمن او اشمعزر الذي نقل تابوته الى فرنسا ابن اشمعزر الاول حيث يوجد مشابهة تامة بين الناووسين فيهما من حجر واحد ولهما [illegible] واحدة مصرية والمرجح انهما مصنوعان في مصر ومنقولان الى فينيقيا

وقد ارسلت جميع هذه الآثار من صيدا على الباخرة العثمانية عبر الى الاستانة العلية

الصابون السلطاني السوري ممتاز

وصلنا منشور من الخواجات حجي وعبد الملك وصابونجي يستفاد منه انهم اسسوا محلاً لعمل وبيع نوعاً من الصابون اخترعه حديثاً جناب المتفنن البارع جرجي افندي صابونجي وقد عرضه في الاستانة العلية على نظارة الصنائع الجليلة وبعد فحصه الكيماوي صدقت عليه وانعمت الدولة العلية بمنح المخترع المومأ اليه امتيازاً خصوصياً باصطناعه لمدة خمس عشرة سنة وقد ذكر في هذا المنشور ان الصابون المذكور طاهر خالٍ من الغش لا يضر يغسل به بالماء البارد وتستغني به الغسالات عن الماء السخن والرماد وانه يوجد منه جنس آخر مطبوخ بالدهن مفيد لتنعيم البشرة ذو رائحة زكية يستعمل لكل شيء

الصيدلة

عاد من الاستانة العلية الشاب الذكي المتفنن الصيدلي الماهر اسبريدون افندي رزق الله بعد ان ادى هنالك الامتحان القانوني في صناعة الصيدلة بما شهد له بالبراعة والسبق ونال الشهادة القانونية الاصولية الناطقة بمهارته واختباره والمومأ اليه متولٍ الآن ادارة الصيدلة الحميدية بالاشتراك مع اللبيب المكرم ايوب افندي حداد فنحن نحض الناس على الثقة بهذه الصيدلة ونهدي لجنابه الاديب صاحب الشهادة واجبات التهنئة بهذا النجاح

المندى الرطيب في الغزل والنسيب

اهدانا جناب الشاب الذكي الاديب سليم افندي شاهين سركيس نسخة من كتاب الندى

الرطيب في الغزل والنسيب وهو يحتوي على كل ما رق لفظهُ وطاب عرفهُ من اشعار العرب والمولدين وشعراء العصر وقد جعلهُ هدية لجناب زميلنا الفاضل خليل افندي سركيس صاحب امتياز جريدة لسان الحال الاغر والكتاب المذكور بما فيهِ من نبس الشعر روضة غناء تنتعش بنفح شذاها الارواح وثمنهُ سبعة غروش ونصف فنحض على اقتنائهِ تفكهًا للمنس ونثني على همة جامعهِ عاطر الثناء وهو يطلب في بيروت من ادارة المطبعة الادبية وفي الجهات من حضرات وكلاء جريدة لسان الحال الكرام

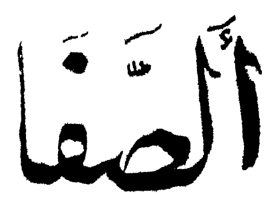
مرفأ بيروت

تعطفت الارادة السنية بمنح امتياز هذا المرفأ الى جناب وطنينا السري المكرم يوسف افندي مطران وقد استفدنا من اخبار الاستانة ان الافندي المومأ اليهِ توجه الى باريز والمظنون ان القصد من سفرهِ انما هو السعي بتأليف شركة للتعاون في هذا المشروع وقد بلغنا انهُ لم يستلم بعد الفرمان العالي لانهُ موقوف على دفع التامين اللازم حسب الاصول ولا حاجة لحث اصحاب الثروة من المواطنين على مد يد المساعدة المالية لانجاح هذا المسعى العائد على مدينتهم واملاكهم بالفوائد الجمة حيث لا يخفى ان هذا المرفأ يزيد في تحسين المدينة ويميزها على بقية الاساكل السورية لمد السكة الحديدية منها يومًا ما الى داخلية البلاد

انارة بيروت بالغاز

حضر في الاسبوع الماضي على الباخرة الفرنساوية جميع الادوات اللازمة للشروع المباشر بهِ منذ امد لانارة بيروت بالغاز والاشغال جارية بهمة نشر بقرب تجار العمل

لدينا رسائل والغاز وحل الغاز اجلنا نشرها لضيق المقام وموعدنا بها العدد التالي



الجزء الرابع من السنة الثانية

في ١ و١٣ حزيران ١٨٨٧ الموافق ٢٢ رمضان سنة ١٣٠٤

قياس الارض وتخطيطها

يستحيل النجاح في علم الجغرافية ما لم تضبط الأدوات التي بها تحقق مواقع الاماكن على سطح الارض. فاننا نقدر ان نقيس في مساحة صغيرة بواسطة سلاسل محكمة التركيب وقياسات بعد المكان عن الآخر بغاية الضبط. على انه واضح ان مثل هذا الاسلوب المتعب للقياس يكون قليل الفائدة في معرفة وضع اجزاء وجه الارض العظيمة كالقارات والجزائر والبحور وغيرها او في التوصل الى مساحة كرة الارض نفسها. فنفتقر الى اسلوب آخر يسهل استعماله ويكون واسطة لتحقيق موضع كل قسم على وجه الارض. ولا يتهيأ لنا مثل هذا الاسلوب الا بمراقبة موقع الشمس ونجوم مختلفة

فاذا راقبنا الشمس عند الظهيرة رأيناها بعد ساعة قد انتقلت بحسب الظاهر مسافة معلومة الى جهة الغرب وبعد ساعة أخرى قطعت مثل تلك المسافة وهكذا ساعة بعد ساعة الى الليل واذا راقبناها في الصباح التالي رأيناها تقطع تلك المسافة عينها كل ساعة الى الظهيرة فتصير في نفس المركز الذي راقبناها فيه ظهيرة اليوم السابق والحق ان الارض في هذه المدة وهي اربع وعشرون ساعة تكون قد دارت دورة كاملة على محورها

وكل دورة من دورات الارض مقسومة الى ٣٦٠ قسماً متساوياً تسمى حسب الاصطلاح درجات وحين تدور الارض دورتها في مدة اربع وعشرين ساعة تقطع خمس عشرة درجة كل ساعة لان ٣٦٠ — ٢٤ — ١٥ . فاذا عيّنا مكاناً كبيروت مثلاً نسبة بحسب تلك الدرجات انتج

لدينا ان كل الاماكن الواقعة الى الشرق منهُ تكون ظهيرتها قبل ظهيرتهِ وكل الاماكن الواقعة الى الغرب منهُ تتأخر ظهيرتها عن ظهيرتهِ. واذ ان الشمس تقطع من الدائرة خمس عشرة درجة كل ساعة حسب الظاهر كان بعد كل مكان عن بيروت ظهرهُ بعد ظهرها بساعة=١٥ درجة الى الغرب . واذا كان ظهرهُ قبل ظهرها بساعة كان بعدهُ عنها ١٥ درجة الى الشرق

فيتوقف بعد مكان عن آخر شرقًا او غربًا على معرفة الوقت بين ظهري ذينك المكانين ويتوصل اليها في الاماكن القريبة برفع علامةٍ لوقت الظهر كلمعان مرآةٍ واطلاق مدفع او غيرها . وفي الاماكن البعيدة بسلك الانباء ان كان والاَّ فبساعةٍ موقعة على ظهر المكان الذي يراد معرفة الابعاد عنهُ تسمى بالكرونومتر - فيعرف البعد من معرفة الفرق بين وقت الساعة ووقت المكان المطلوب . ولكن احسن الساعات احكامًا معرضة للخلل . فمن اراد الاحكام في ذلك فعليهِ بمراقبة ما عُيّن وقت هجوهِ من الكواكب للمكان المراد اخذ الابعاد عنهُ في جداول على ايام السنة . ومن معرفة الفرق بين وقت هجوهِ في الجداول يُعرف البعد المطلوب وهذا البعد يعرف في اصطلاح الجغرافيين وعلماء الفلك بطول المكان

فاذا صوَّرنا الارض ورسمنا خطوطًا من احدى قطبيها الى الأُخرى على درجات محيطها كان لنا خطوط الطول وتسمى بالهواجر لانهُ اذا كان الظهر في موضع تحت احدها كان الظهر في كل المواضع التي يمرّ عليها . فاذا جعلنا بيروت مبدأ الطول رقمنا على هاجرتها صفرًا وكانت الاماكن على شرقيها في طول شرقي والتي على غربيها في طول غربي الى ان يلتقي الطولان في الجانب الآخر من الكرة المقابل بيروت او الذي في طول ١٨٠ درجة شرقًا او غربًا . وحينئذٍ يسهل اخذ اطوال كل الاماكن بعضها عن بعض - ويجعل الانكليز مبدأ الطول مرصد كرينونش والفرنسيون مرصد باريس

وكل درجة من درجات الارض منقسمة الى ستين دقيقة وكل دقيقة الى ستين ثانية فكل مكان على خمس درجات شرقي كرينيونش هو في طول خمس درجات شرقًا وهلم جرا . فباريس تبعد عن كرينونش درجتين وعشرين دقيقة وتسع ثوانٍ شرقًا . وللاختصار نكتب هكذا ٩ً ٢٠َ ٢° ش

وكل درجة من الطول تعدل اربع دقائق من الوقت . فاذا سافرنا الى الشرق ظهر ان ساعاتنا تبطئ في دورانها اربع دقائق في كل درجة وذلك لاننا نصل الى اطوال وقتها اكبر من محل سفرنا . وبعكس ذلك اذا سافرنا الى الغرب ظهر ان ساعاتنا تسرع في دورانها على تلك النسبة

فالسلك البرقي احسن اسلوب لمعرفة تأثير الفرق في طول الاماكن المتباعدة ولو كان البعد بينها الوفًا من الاميال . لان النبأ بواسطة ذلك السلك يصل من المكان الواحد الى المكان الآخر بلحظة من الزمان . فاذا أُرسل النبأ عند الظهيرة من لندن الى كلكتا الواقعة على ثمانٍ وثمانين درجة وثلاثين دقيقة في طول شرقي وصل الى الهند نحو الساعة السادسة مساء او الساعة الخامسة والدقيقة الرابعة والخمسين بحسب الوقت هناك مع ان النبأ يسير بسرعة البرق . واذا أُرسل في الوقت عينهِ الى نيويورك الواقعة على ٧٤ درجة في طول غربي وصل الساعة السابعة والدقيقة الثالثة صباحًا بحسب وقت تلك المدينة

على ان معرفة الطول لا تعيّن موقع المكان على سطح الارض فيقتضي معها معرفة وقوعهِ على ما جاورهُ ويعرف هذا البعد بعرض المكان . ولا يتم ذلك بتعيين نقطة غير محدودة نقيس منها كما فعلنا بطريقة معرفة الطول . وتمهيدًا لذلك نقول . قد سبق الكلام في الجزء الثالث صفحة ١٤٣ على ان محور الارض ينتهي بقطبين محدودين في كلا القطبين بينهما خط الاستواء على بعد واحدٍ منهما . فنتوصل الى معرفة عرض المكان بمعرفة بعدهِ عن خط الاستواء شمالاً وجنوبًا وهنا علينا ان نستعين بالاجرام السموية

فلو اخرجنا محور الارض من النقطة الشمالية لوصل الى نقطة في السماء تلاصق نجم القطب وتسمى القطب السموي الذي يظهر ان النجوم التي فوق نصف الكرة الشمالي تدور حوله . والحق ان علة ذلك دوران الارض على محورها . فنعرف عرض المكان بمعرفة بعد سمت الراس عن نجم القطب او القطب السموي

ومثل ذلك لو مُدّ خط الاستواء لقطع السموات بدائرة عظيمة . فاذا تحققنا موضعهُ في السماء او بعد اي جرمٍ كان من الاجرام السموية عنهُ تهيأ لنا ان نعرف مقدار بعد سمت الراس عنهُ وبناء عليهِ نعرف بعدنا عن خط الاستواء الارضي

فبعد كلٍ من القطبين عن خط الاستواء ربع دائرة او ٩٠ درجة . فاذا رسمنا خطوطًا على تلك الدرجات كان لنا دوائر مرسومة حول الارض يوازي بعضها بعضًا وتوازي خط الاستواء ولكنها تصغر باقترابها من القطبين وتسمى هذه الخطوط بخطوط العرض . فيحسب العرض من خط الاستواء وهو عليهِ صفر ابدًا . وكما قسمنا درجات الطول الى دقائق والدقائق الى ثوانٍ هكذا نقسم درجات العرض

فاذا علمنا ان موقع مكان يبعد عن خط الاستواء خمس عشرة درجة شمالاً مثلاً قلنا انهُ في عرض ١٥° ش واذا كان بعدهُ عنهُ عشرين درجة يقال انهُ في عرض ٢٠° ج وقس على ذلك

سائر الاماكن . واما كل قطعة فهي في عرض ٠١ درجة

فلكل من الطول والعرض خطوط الاولى من الشمال الى الجنوب والثانية من الشرق الى الغرب فتتقطع الاولى الثانية على شكة مضبوطة الحبك وبذلك نعرف موقع كل مكان على سطح الارض بكل سهولة. على ان من اللازم ان نعرف كم ميلاً في الدرجة لكي نعرف البعد الحقيقي بين الاماكن ومساحة البلدان والقارات والبحار . فاذا عرفنا ذلك قسنا مقدار جرم الارض ومساحة سطحها في غاية الدقة والاحكام. واذا ان خطوط الطول تتقارب بعضها الى بعض باقترابها من القطبين يختلف بعد احدها عن الآخر باختلاف العرض بلا ريب وخطوط العرض المتوازية يصغر محيطها كلما ابتعدت عن خط الاستواء ضرورة . فلو كانت الارض تامة الكروية لتساوت اطوال الهواجر من خط الاستواء الى القطب وانتظمت اطوال كل من درجاتها التسعين . فقياس طول احدى هذه الدرجات بضبط يكون وسيلة لتعديل اطوال الكل بسهولة ومن ثم تحقق جرم الكرة الصحيح

ودقق بعضهم باخذ قياس درجة من درجات الهواجر في انحاء العالم المختلفة . فكان طولها في الهند ٩٥٦ ٣٦٣ قدماً انكليزياً او اكثر من ثمانية وستين ميلاً وثلاثة ارباع الميل . وقد قيست الدرجة في اسوج فبلغت ٧٤٤ ٣٦٥ قدماً او تسعة وستين ميلاً وربع ميل

وقد وُجد ان طول الدرجات يزداد بالتتابع لجهة القطبين كما ظهر من قياس الدرجة في الهند واسوج هذا ما عدا شواذات قليلة تُظهران شكل الارض منحرف انحرافاً زهيداً . فلو لم تكن الارض مسطحة في القطبين لما حدث ذلك

فنستدل من مجموع هذه الملاحظات ان طول قطر الكرة القطبي ١٧ ٩ ٨٩٩ ٧ من الميل ومعظم طول قطرها الاستوائي ٦٥ ٥ ٩٢٥ ٧ من الميل . فبما ان الفرق يبلغ نحو ستة وعشرين ميلاً ونصف ميل لا بد من ان تكون كل قطبية مضغوطة الى امد ثلاثة عشر ميلاً وربع ميل

ولزيادة الايضاح نقول انه ان كان معدل سرعة سير قطار ثلاثين ميلاً في الساعة اقتضى شهراً كاملاً ليدور حول الارض على خط الاستواء ولو امكن ان يسير في باطن الارض من قطب الى قطب لاقتضى له احد عشر يوماً . فاذا قابلنا كرة ذات مساحة مثل هذه ببرتقالة كان اعلى جبالها واعمق اوقيانوساتها اقل كثيراً من خشونة قشرة الليمونة

ولم يقتصر علم الفلك على افادتنا معرفة مساحة كرتنا السيارة بل افادنا معرفة مساحة السيارات الأُخر بعد ان عرفنا موقع الارض القياسي في العالم الشمسي . فحجم المشتري مثلاً

يساوي حجم ١٤٠٠ كرة مثل كرتنا الارضية. ومن الجهة الاخرى نعلم ان ارضنا اكبر من عطارد بسبع عشرة مرة واعظم كثيرًا من عدة اجرام صغيرة تسمى النجيمات. ثم ان الارض ليست اقرب جرم الى الشمس ولا هي ابعد جرم عنها وقد تقرر ان معدل معظم بعدها عن الشمس اكثر من واحد وتسعين مليونًا من الاميال لعلمنا ان معظم بعد عطارد عنها نحو اربعة واربعين ميلاً ونصف ميل مع ان غاية ما يبعد نبتون عنها [illegible] مليونًا من الاميال. فالشمس ذاتها مركز حركات العالم الشمسي العظيم تعدل مثل ١٤٠٠٠ كرة مثل كرتنا الارضية

ومع اننا حصلنا على ذرائع تعيين موقع كل مكان على سطح الارض بالضبط والقطع بعد كل مكان عن الآخر لم تزل مواقع الاماكن على سطح الارض مبهمة في عقول الناس فاخترعوا طريقة لوضع هذه الاماكن على الورق حتى يبينوا مواقعها النسبية واشكالها. فتخطيط كل الارض او رسم اي قسم كان منها على ورق او نسيج يسمى خريطة. فاذا نظرنا الى خريطة اي بلاد كانت او اي قارة كانت رأيناها منقاطعة بشكبين من الخطوط احدها مارٌ من اعلاها الى اسفلها ويعين درجات الطول والآخر مارٌ من جانب الى آخر ويبين خطوط العرض المتوازية. وهذه الخرائط تشخص منظر الارض المطلوب انه يظهر لنا لو استطعنا ان نعلو في الجو الى علوّ عظيم وامكننا ان نرى مساحتها دفعة واحدة ووجوهنا متجهة نحو الشمال وبناء عليه جعلوا اعلى الخارطة شمالاً واسفلها جنوبًا ويسارها غربًا ويمينها شرقًا

حرارة الهواء

تكلمنا في الجزء الثاني على ما تركب منه الهواء وما خالطه عرضًا. وفي الجزء الثالث على ما عُرِف من امر علوه وضغطه واتينا الآن الى الكلام على حرارته فنقول

لا يبتدا البحث عن ضغط الهواء وحرارته كثيرًا ما لم تنبهنا بعض الذرائع التي نقاس بها تغيرات الهواء قياسًا مضبوطًا. لاننا لا نعي من تلك التغيرات الا ما نشعر به من الراحة وعدمها بسبب ذلك. ولحسن الحظ قد اخترعت آلة لذلك هي غاية في بساطة تركيبها وسهولة استعمالها تسمى مقياس الحرارة او الترمومتر وهي مؤلفة من انبوبة زجاجية صغيرة مسدودة من كلا طرفيها اسفلها متسع يسمى البصلة. وبعد ان فرغت من الهواء ما امكن مُلِئ بعضها من الزئبق او غيره من السوائل ووضعت ضمن قطعة مسطحة من العاج او خشب او غيرهما رُسم عليها درجات متوالية ظاهرة بواسطة ارقام مكتوبة عليها. فبسبب قوة الحرارة يتمدد السائل في الانبوبة ويرتفع. وبقلتها ينقبض ويهبط ويُعبَّر عن درجة الحرارة بالرقم الذي وقف عنده

سطح عمود السائل في الاسونة . ومن الآلات المستعملة لقياس الحرارة ما سميت باسم مخترعها فارنهيت ولذلك بعد وضع كل درجة ترى اول حرف من اسمهِ على ما بيناهُ في الجزء الثالث صفحة ١٢٢ . وهي اذا وُضعت في جليد ذائب او في ماء على وشك التجمد كانت درجتها (٣٢) وهي نقطة الجليد على اصطلاحهِ اي نقطة الصفر (٠) فحين تهبط الدرجة عن الصفر وتبلغ خمس درجات او عشر يُعبَّر عنها بتلك الارقام مسلوبة هكذا (−٥ او −١٠) فتقرأ خمس درجات او عشر درجات تحت الصفر في انكلترا في احد ايام الصيف المعتدلة يعين الزئبق درجة السبعين . وفي لمد عند الظهيرة تتجاوز درجة الحرارة التسعين . فعلى مقتضى الاحوال العادية تكون درجة حرارة الماء الغالي في ذلك المقياس ٢١٢°. فهبوط الزئبق في الاسونة دليل على البرد او انخفاض درجة حرارة وارتفاعهُ دليل على اشتداد الحرارة

فيمكن بواسطة مقياس الحرارة ان نقيس اقل تغيير في درجتها ونقابل معدلها في اماكن مختلفة . وقد جرى ملاحظات كثيرة بهذا الشان سنين عديدة في كل انحاء العالم وكانت النتيجة من كل ذلك معرفة كيفية انتشار الحرارة العام على وجه الكرة . ولايضاح ذلك قد تُبسط خرائط ذات خطوط تمر على كل الاماكن التي درجة حرارتها واحدة . وتسمى هذه الخطوط ذوات الحرارة المتساوية يُعبَّر عن كلٍ منها بدرجة الترمومتر الدالة عليهِ . مثال ذلك الخط الذي درجة حرارتهِ ٦٠ درجة يظهر ان معدل حرارة كل الاماكن على الخارطة التي يمرّ عليها ذلك الخط ٦٠°

فان قيل من اين اتت الارض بحرارتها . ولماذا تختلف درجة الحرارة في قسمٍ من سطحها عنهُ في الآخر . قلنا قد ورد في الجزء الثاني في الارض والشمس على سبيل الترجيح ان الارض السيارة كانت كرة ذائبة وان في باطنها الان مقدارًا عظيمًا من الحرارة ولكن هذه الحرارة الداخلية لا تؤثر في سطحها . فلو تركت الارض لحرارتها الذاتية بدون مصدر اخر للحرارة لاصبح سطحها شديد البرد جدًّا وامسى غير صالحٍ للسكن بالكلية وباد ما هو عائش عليهِ الان من النبات والحيوان

فلا ريب في ان حرارة الارض مستمدة من الشمس . فانّا نشعر بحرارة اشعة الشمس عند الظهر ولكنها باردة في الليل ولا سيما اذا كان الجو صافيًا . لان تلك الاشعة لم تقع على الارض ليلاً . وما وقع عليها من الحرارة نهارًا انتشر في الفضاء البارد . فالشمس على الدوام تشع حرارة من جرمها المتأجج على اجزاء مختلفة من سطح الارض فيكثر مقدار هذه الحرارة تارةً ويقل طورًا وهذا هو علة اختلاف درجة حرارة المكان الواحد عنها في الآخر

ومما يجب ذكره هنا هو ان مرور اشعة الشمس الحارة في الهواء لا تؤثر في حرارته الا قليلاً جداً فمهما كانت تلك الاشعة حارة لا تجعل الهواء حاراً من ذاتها بل انها متى صيرت قسماً من سطح الارض حاراً صار الهواء الملاشر لذلك القسم حاراً ايضاً

وقد تحقق ان قوة اشعة الشمس تتوقف حرارتها على الزاوية التي تقع بها على سطح الارض فما وقع منها عمودياً عليه تكون حرارته اشد ومن ثم تنقص تدريجاً بنسبة انحراف تلك الاشعة عن كونها عمودية حتى تصبح افقية فتبلغ اوطأ درجة من حرارتها . فتقابل شدة حرارتها عند الظهر بضعفها عند الصباح والمساء

ويجب لكي نعرف الحال الذي به تنتشر حرارة الهواء على وجه الكرة ان نراعي اولاً انه لا بدّ من ان البلدان التي تقع الاشعة الشمسية عمودية عليها تكون احرّ البلدان والتي تقع عليها في معظم انحرافها تكون اردها . فعلى نصف المنطقة الحارة تقع الشمس عمودية مرتين في السنة فتكون بالضرورة درجة حرارة تلك المنطقة اعلى على وجه الكرة . واما حول القطبين لا تشرق مدة ستة اشهر ولا تعلو في الجو هنالك ابداً ولو كان في نصف الصيف . وبناء عليه تكون اصقاع القطبين ابرد اصقاع الارض . واول نتيجة نستنتجها اذا نظرنا الى حرارة الهواء هي انها تتوقف على البعد عن خط الاستواء او هي نتيجة يعبَّر عنها بالاختصار هكذا "درجة الحرارة تضبط بواسطة العرض"

قد تقدم ان الحرارة عند خط الاستواء اعظم حرارة . فاذا ما عرض تلك الحرارة قوة كان تنقصها من خط الاستواء الى القطبين قانونياً متناسباً وكان لكل عرض درجة حرارة خاصة به وعليه فاذا تحققنا معدل درجة حرارة مكان ما علمنا ماهية عرضه واذا عرفنا العرض تحققنا درجة الحرارة بلا ريب

ولكن هذه المناسبة غير مطردة اذ ان الاماكن الواقعة على موازاة واحدة لا تكون درجة حرارتها واحدة في الكل . فلندن مثلاً تقع لبرادور في عرضها الا ان صيف انكلترا ليس حاراً وشتاءها غير مفرط في برده مع ان صيف لبرادور معتدل وشتاءه شديد البرد جداً . فلا بدّ اذن من وجود علة اخرى تفعل في تغيير العرض . بما في هذه المسئلة ترى

اذا رُسمت الخطوط ذوات الدرجة المتساوية في الحرارة بحيث تربط كل الاماكن التي درجة حرارتها العامة متساوية كانت تلك الخطوط ذوات تعاريج كثيرة بعضها صاعد وبعضها نازل بدلاً من ان تكون موازية للعرض . وقد لحظ ان هذه التعاريج علاقة شديدة بالحال التي يلتقي فيها البر بالبحر . فيمكننا ان نسمي اي درجة كانت على الترمومتر كالدرجة الثانية

والثلاثين من مقياس فارنهيت مثلاً او الاربعين او الخمسين او الستين. فكل خط له درجة من هذه الدرجات يمرّ على كل الاماكن التي علم بالاختبار الطويل ان درجة حرارتها العامة متساوية وبهذه الطريقة يتبين معدل حرارة الشتاء والصيف او كل السنة

واذا نظرنا في الخرائط المبسطة لاظهار توزيع الحرارة على وجه الكرة السيارة لشهر كانون الثاني وتموز ولكل السنة رأينا كيفية رسم هذه الخطوط وبساطة اظهارها انتظام الحرارة على وجه الارض . ففي نصف الكرة الجنوبي فوق الاوقيانوس العظيم تكون خطوط الحرارة فياسية تقريباً . واما في اميركا الشمالية والاتلانتيكي واوربا واسيا فتظهر معظم تعاريجها . وعلى هذا المنوال تدل الخطوط على ان الحرارة المتوقفة على العرض تكون اكثر استقامة وانتظاماً في اجزاء الارض الاوقيانوسية منها في القارية ولا سيما عند اختلاط البر بالبحر كما يظهر في الاوقيانوس الاتلانتيكي

فلكي نرى تمام فائدة هذه الخطوط المتساوية الحرارة ونفهم معناها نأخذ على سبيل الايضاح الخط الذي معدل درجة حرارته السنوي خمسون من درجات فارنهيت في نصف الكرة الشمالي . فهو بمعناه في بريطانيا العظمى يمرّ في جهة المدن مارًّا في وسط انكلترا او شمالي ويلس اي ان كل المحلات التي يمرّ عليها في تلك البلاد يكون معدل درجة حرارتها خمسين درجة مع ان القطائع الواقعة في الشمال الشرقي اقل بردًا والواقعة في الجنوب الغربي اقل حرًّا . وذلك الخط ينحرف الى الجنوب الغربي ويمرّ بشواطي ارلندا الغربية . واذا التفتنا الى الجهة المقابلة الاتلانتيكي لكي نرى اين موقع الاماكن التي معدل حرارتها واحد طول السنة لم نلتق بها على موازاة العرض كما في جزائر بريطانيا بل رأيناها واقعة ابعد كثيرًا الى الجنوب . وهكذا الخط الذي درجة حرارته ستون درجة مارًّا منحرفًا في جهات الاوقيانوس الى شط اميركا قرب مدينة نيويورك . ومعدل درجة الحرارة في لندن نفس معدل نيويورك مع ان موقع نيويورك الى الجنوب الغربي يقابل مادريد

فنرى بغاية الوضوح من الخط الذي درجة حرارته خمسون بين اوربا واميركا وغيره من الخطوط الواقعة الى شماليه كيفية اختلاف الاماكن التي تساوت درجة حرارتها عن مطابقة خطوط العرض . ونتعلم من تلك الخرائط ان علة هذه الاختلافات التفاعل بين البر والبحر ولبيان ذلك نقول

ان البر يصير حارًّا بسبب اشعة الشمس قبل البحر ويشع حرارته قبله . ومع ان البحر لا يكون حارًّا كالبر يحفظ الحرارة مدة اطول من مدة حفظ البر اياها وهو قادر على ان

يورعها في المياه بواسطة قابلية سيولته وحركته . فللبحر نفوذ على تقليص حرارة البر وبرده ايضاً . فاذا كانت امواجه حارة جعلت ما عليها من الهواء حاراً انتهب الى البر الرياح الحارة . واذا كانت مياهه باردة يبرد الهواء كذلك وجرت السيالات الباردة الى البر وصيرت هواءه بارداً واوصلت اليه الضباب - ومما عليه يرى في الاتلانتيكي الشمالي ان المجرى الاوقيانوسي الحار المسمى المجرى الخليجي الصادر من خليج مكسيكو والجاري على سطح الاوقيانوس الى شواطئ بريطانيا ومنها الى شواطئ سكندينافيا يزداد حرارة بواسطة اندفاع المياه السطحية الحارة التي تسوقها الرياح الشمالية الغربية العامة . وهذه التيارات الاوقيانوسية تأتي بحرارة كافية وتقلل البرد الطبيعي في اقليم غربي اوربا كثيراً . ومن الجهة الاخرى نرى ان التيارات الباردة الخارجة من بوغاز دافيز تأتي بالفرس الى شواطئ لبرادور ونيوفوندلند . فنعلم من هذا ان تيارات الاوقيانوس الباردة تخفض الحرارة في اميركا جنوباً والحارة تربي الحرارة في اوربا اي في الاماكن التي عرضها مثل عرض الاماكن في اميركا

فالبر المتسع الواقع في العروض العالية تخفض فيه درجة الحرارة كثيراً لتراكم الثلج والجليد عليه ومر مثله في العروض الواطئة ترتفع درجة الحرارة فيه لتعرضه لأشعة الشمس الحارة وتزداد تلك الحرارة ايضاً في الاقاليم المبتعدة عن البحار عنها في المقتربة منها . وتتضح هذه الحقيقة من النظر الى الخريطة التي يظهر فيها رسم عليها من الخطوط المتساوية الحرارة لشهر كانون الثاني ان درجاتها تحت الصفر وتمتد تلك الخطوط مسافة طويلة الى جهة الجنوب عند مرورها على آسيا الشمالية وعلى كريلاند واميركا الشمالية مع انها في مرورها على المياه بين هذه الاقاليم تمتد مسافة طويلة جهة الشمال

ثم يظهر من خريطة حرارة شهر تموز ان المسافة المحصورة بين الخطوط التي درجة حرارتها ثمانون تتسع كثيراً في اجزاء اميركا الاستوائية وبعض قسم من افريقية وآسيا الجنوبية وتضيق عند مرورها على الاوقيانوسات

فينتج على كل حال ان الاماكن التي ليس معدل حرارتها واحداً نسبتها واحدة ايضاً . فريكيافيك مثلاً الواقعة في جنوبي ايسلاندا في عرض ٦٤° و ٤ شمالاً معدل حرارتها السنوي نحو ٣٨° في حين ان المعدل في مدينة كويبك نحو ٤٠ ولكن معدل حرارة الاول في تموز ٥١° وفي الثاني ٧٠° وفي الشتاء تكون كويبك شديدة البرد عادياً حتى ان درجتها ٢ تحت الصفر حال كون جنوبي ايسلاندا خالياً من الصقيع . وفي الصيف تربي حرارة كويبك ١٦° عنها في جنوبي ايسلاندا . وكذا يجد ما ومثل برد البحر والبر الواقعين الى الشمال والشمال الشرقي منها . وايسلاندا حارة شتاء والاوقيانوس المار على شواطئها صيفاً وشتاء

فلكي نقابل بين اقاليم مكانيين علينا ان نعلم ضرورة كيفية توزيع الحرارة في فصول مختلفة ولا تتهيأ تلك المقابلات ما لم تستعن بخرائط عدة فلذلك فانها تظهر معدل انتشار الحرارة لكل شهر وللصيف او للشتاء وضع بعض تلك الخرائط لاظهار معدل الحرارة لكل السنة في كل محل على وجه الكرة

ومن الحقائق المرسومة في تلك الخرائط على ما شوهد في كل اجزاء العالم نستنتج النتيجة الثانية وهي ان الحرارة تطّرد باتساع البر والبحر

ولكن بقي علة أخرى تتوقف عليها حرارة كل محل على سطح الارض . والقوتان المذكورتان اي العرض واتساع البر والبحر فعلهما افقي على الكرة واما هذه القوة الثالثة فتفعل عموديًا عليه ومن المعلوم عندنا ان الهواء في الاراضي الواطئة احرّ منه في المرتفعة كقمم الآكام والجبال حتى ان الثلج يستمرّ في الصيف على القنن المحجوبة عن الشمس والهواء في كثير من جبال بريطانيا التي يقال انها واطئة بالنسبة الى غيرها من الجبال . فيستمرّ البرد في اعالي جبال الألب وحملايا واندس وغيرها من الجبال العالية في الكرة الارضية حتى ان ثلوج الشتاء لا تزول عنها وعليه نشعر بزيادة برد الهواء تدرجًا كلما علونا على مساحة سطح البحر في كل محل في العالم فانحفاض هذه الحرارة يختلف كثيرًا ولكن معدلة العادي درجة واحدة من مقياس فارنهيت لكل ٣٠٠ قدم . واذا ارتفعت الجبال في الاقطار الاستوائية المنخفضة الواقعة تحت حرارة الشمس المحرقة وبلغ ارتفاعها الى الهواء البارد استمرت قممها مغطاة بالثلوج . ونعلم ان ارتفاع محل على مساحة سطح البحر الوفًا قليلة من الاقدام يؤدي الى تغيير في درجة الحرارة كمسافة الوف كثيرة من الاميال من خط الاستواء . فمن هذه الامثلة نعلم نتيجة ثالثة وهي ان الحرارة تطّرد بالارتفاع عن سطح البحر

فان قيل ان كانت الارض تستمد على الدوام مقادير عظيمة من حرارة الشمس فلماذا لا تزيد حرارتها عما هي قلنا ان الملاحظة في شان الحرارة لم تدل على زيادة او نقصان يشعر بهما لان الظاهر ان الارض تشع حرارة في الفضاء بقدر ما تستمد من الشمس . فمقدار الحرارة المستمد من الشمس يظهر اليوم كأنه باق على ما هو من سنة الى سنة . مع ان ملاحظات دقيقة في وجه الشمس ولا سيما البقع السوداء التي نشاهد عليه وهي المسماة بالكلف الشمسية تبين ان ذلك المقدار يتغير من وقت الى آخر وان ذلك التغيير يؤثر في حرارة كرتنا الارضية واقليمها وقد نبرهن بما يقنع انه يوجد اتفاق بين شآبيب المطر العظيمة المصحوبة بالعواصف وبين تلك المدات التي تظهر بها تلك الكلف السوداء على وجه الشمس

فتشع الارض حرارتها بشعر بان معظمة يكون في الليل ولا سيما حين يكون الجو صافيًا ففي مثل هذه الاوقات نعلم كيفية انتشار حرارة النهار من الارض الى الفضاء الجمي البارد بسرعة ونعرف كيف ان حرارة الارض السطحية الحاضرة تتوقف بالكلية على الشمس . فالمواد الحارة في النهار تبرد شيئًا فشيئًا الى ان تُصقع. والهواء بملامسة الارض يأخذ في التبرُّد ومثل ذلك الاجساد فانها تشع حرارتها وتشعر بالبرد

وخلاصة ما تقدم ان درجة الحرارة نعرف بقياسها . وذلك انه اذا كثرت الحرارة تمدَّد السائل وارتفع في انبوبة تلك المقياس وان قلت تقلص وهبط . وانتشار الحرارة على وجه الارض يعرف بواسطة الخرائط ذوات الخطوط الدالة على الاماكن التي تساوت درجة حرارتها . واما تعاريج تلك الخطوط فبسبب البر والبحر والتقائهما . وان الاماكن التي تقع عليها اشعة الشمس عمودية تكون حرارتها اعظم والتي تقع عليها افقية اقل فالاولى الاستوائية والثانية القطبية وقد ذكرنا لتأثير حرارة الهواء ثلاث علل سنتجنا منها ثلاث نتائج الاولى تطَّرد درجة الحرارة بالعرض . والثانية ان الحرارة تطرد باتساع البر والبحر . والثالثة ان الحرارة تطرد بالارتفاع عن سطح البحر . وان حرارة الارض المستمدة من الشمس لا تزيد ولا تنقص لان الارض تشع حرارة الى الفضاء بقدر ما تستمد من الشمس . وان للكَلَف الشمسية علاقة بشأن سبب الامطار المصحوبة بالعواصف . وان الارض تشع حرارة في الليل اكثر منه في النهار ولذلك يبرد الهواء في الليل ونشعر بالبرد

الدب الاكبر

الدب الاكبر صورة تشغل مساحة عظيمة من السماء وهي جنوبي الدب الاصغر وشمالي الاسد الاصغر توجهت اليها انظار الناس في كل عصورهم

قال بعض العلماء "ومن غريب الامور ان كلاً من سكان اميركا الاصليين والاركواس وقدماء العرب في آسيا سموه بالدب الاكبر مع انهم لم يخالط بعضهم بعضاً على ما هو المرجح" قلت لماذا لا يكون ذلك دليلاً على ان المخالطة وقعت قديمًا ثم انقطعت قرونًا كثيرة لاسباب لم تعلن لنا . فان تلك الصورة لا تشبه لا بالدب ولا بغيره من الحيوانات . ونعرف هذه الصورة بسبعة كواكب لامعة تسمى اربعة منها بالنعش الاكبر وهي الفا وبيتا وغما ودلتا والثلاثة الباقية بنات النعش الاكبر وهي ابسلون وزيتا وايتا وهي متفرقة كثيرًا وعلى ذلك قال الشاعر

وكنا في اجتماع كالثريا خصيرنا الزمان بنات نعش

ويتألف من هذه السبعة ما يشبه المغرفة ولهذا سماها بعض الرعاة بها وسماها بعض عامة

الانكليز بمركبة كارلوس لانهم تصوروا الانجم الاربعة كهيئة المركبة والانجم الثلاثة كثلاث افراس متقاطرة وبعضهم سماها المحراث ولا بأس بتسمية المرماة لها بالمغرفة لان انجم النعش الاربعة تشبه قدح المغرفة والثلاثة الاخرى ذنبها. ومتى كانت هذه المغرفة على الهاجرة فوق القطب كان القدح الينا والذنب الى اليمين

وايتا نجم لامع في طرف الذنب المؤلف من الانجم الثلاثة التي هي بنات نعش كما ذكر وهو من القدر الثاني ويسمى القائد. وزيتا في الوسط ويسمى بالعَناق وهو على امد سبع درجات من القائد وبلصقه نجم صغير خفي اسمه الصيدق والسُّهى يمتحن الناس به ابصارهم وفي المثل «اريها السهى وتريني القمر» وعلى قربه نجم يسمى الحَوَر. وأبسلون النجم الثالث من الذنب وهو غربي العناق وعلى أمد نحو اربع درجات ونصف درجة منه ويسمى الجون والالية - ودلتا غربي الجون وعلى امد نحو خمس درجات ونصف درجة منه هو النجم الاول من قدح المغرفة او النعش عند مغرز الذنب ويسمى المغرز وهو اصغر النجوم السبعة. ويراقب هذا النجم كثيرًا في البر والبحر لما له من الاهمية ومن ذلك انه اذا كان هو والكف الخضيب (وهو احد نجوم ذات الكرسي كما سيأتي) على ارتفاع واحد وشوهدا في خط افقي بين المشرق والمغرب كان الجدي اي نجم القطب وهو في ذنب الدب الاصغر كما عرفت في بعده الابعد عن قطب السماء الحقيقي وهو الوقت المناسب للرصد لمعرفة زاوية الارتفاع وزاوية الميل وتعيين الاختلاف المغنطيسي. وغما في الجنوب الغربي من المغرز وعلى غاية نحو اربع درجات ونصف درجة منه ويسمى الفخذ. وبيتا غربي الفخذ وعلى بعد ثماني درجات منه ويسمى المَراق. والفا اضوأ نجم في النعش او قدح المغرفة وهو شمالي المراق نحو القطب وعلى مسافة خمس درجات منه واسمه الدُّبة وظهر الدب الاكبر ويسمى المراق والدبة بالدليلين لدلالتهما على نجم القطب لانك اذا تصورت بينهما خطًّا مستقيماً واخرجته على استقامته مرّ بالقطب. ومتى كان المغرز فوق القطب يكون نجم القطب تحت القطب وبالعكس. والكواكب التي على حاجب الدب الاكبر وعينيه واذنه وخطمه تسمى الظباء. والستة التي على ارجله الثلاث على كل رجل اثنان تسمى قفزات الظباء والقفزة الاولى التي هي على الرجل اليمنى اقربها الى الصرفة في صورة الاسد تقول العرب «ضرب الاسد بذنبه الارض فقفزت الظباء» والكواكب المجتمعة فوق الصرفة تسمى بالهلبة وبالحزمة. والكواكب السبعة التي على عنقه وصدره وركبته كأنها نصف دائرة تسمى بسرير بنات نعش والحوض. تقول العرب «ان الظباء لما نفرت من الاسد وردت الحوض». وبين الهلبة والقائد نير اسمه كبد الاسد. واذا وصل بين المغرز والفخذ بخط مستقيم

الى بسي وهو نجم من المقدر الثالث او الرابع في الرجل اليسرى . وبينه وبين الفخذ اثنتا عشرة درجة ونصف درجة . وكواكب هذه الصورة الظاهرة سبعة وثمانون واحد منها من القدر الاول وثلاثة او خمسة من القدر الثاني وسبعة من القدر الثالث ونحو عشرين من القدر الرابع والباقي دون ذلك

وجاء في اساطير الاولين ان الدب الاكبر هو كالستو ابنة ليكاون ملك اركاديا كانت من حاشية ديانا بنت جوبتر الآلهة الصيد وكانت ايضاً ام اركاس ابن جوبتر غارت منها يونو امرأة جوبتر وشقيقته فمسختها دبة فوضعها جوبتر بين النجوم وجعل ابنها صورة العواء وقيل الدب الاصغر كما سبق في الكلام عليه

وظن بعضهم ان قدماء المصريين حسبوا النجوم التي قرب القطب الشمالي احد الدبين لان الاقاليم القطبية مصادر الحيوانات ولان الدب لا يسرع ولا يبعد كثيراً . وفي اي زمن اخذ الناس يهتدون بهذه النجوم في الملاحة واسفار البر ذلك لم يحقق . والمحقق ان الفينيقيين كانوا يهتدون بها وكان اليونانيون كذلك في زمن حرب تروادا وذلك منذ نحو ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد

وجاء في كلام هوميروس على اليسيس يوم سار على وجهه ما ترجمته

جاور السكان في ليل الدجى بمرصد الافلاك مثل الحرس
يهتدي بالنجم لا يهوي الكرى خيفة من وثبات الغلس

ومن المعقول ان الناس اهتدوا بالنجوم براً قبل اهتدائهم بها بحراً لان الانسان يحكم بالبديهة ان الناس لا يتجاسرون على السير في البحر قبل ان يكتشفوا ما يهديهم في البر ليلاً والذي وقفنا عليه من كلام ديودورس سيكولوس ان المتأخرين في رمال بلاد العرب اعتادوا ان يهتدوا بنجوم الدبين

والدبة اي ظهر الدب نجم لامع صعوده المستقيم عشر ساعات وثلاث وخمسون دقيقة وثمان واربعون ثانية . وميله اثنتان وستون درجة وست وثلاثون دقيقة وثماني ثوان شمالاً . والمراق نجم لامع ايضاً صعوده المستقيم عشر ساعات واثنتان وخمسون دقيقة وثماني ثوانٍ وميله سبع وخمسون درجة واربع عشرة دقيقة وثمانيتان شمالاً . والفخذ صعوده المستقيم احدى عشرة ساعة وخمس واربعون دقيقة وثلاث وعشرون ثانية وميله اربع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وثانية واحدة شمالاً وحوله مجموع من النجوم الصغيرة . والمغرز صعوده المستقيم اثنتا عشرة ساعة وسبع دقائق وثماني وعشرون ثانية وميله سبع وخمسون درجة وخمس وخمسون

دقيقة وثلاث ثوانٍ شمالاً . والعناق نجم جميل مزدوج صعوده المستقيم ثلاث عشرة ساعة وسبع عشرة دقيقة وثمانٍ وعشرون ثانية وميله خمس وخمسون درجة وخمس واربعون دقيقة وثماني ثوانٍ شمالاً . وعلى القرب منه الحور وغيره من النجوم . والقائد نجم مزدوج في طرف الذنب صعوده المستقيم ثلاث عشرة ساعة واحدى واربعون دقيقة واربع عشرة ثانية وميله خمسون درجة وست دقائق وخمس ثوانٍ شمالاً . ويونا ويسمى الكفعة نجم مزدوج في اليد اليمنى صعوده المستقيم ثماني ساعات وثمانٍ واربعون دقيقة واربع عشرة ثانية وميله ثمانٍ واربعون درجة وتسع وثلاثون دقيقة وتسع ثوانٍ شمالاً . ظنه السرجون هرشل سيار؟ يتغير بنور مقتبس . وإسلون نجم مزدوج في الرجل اليسرى صعوده المستقيم احدى عشرة ساعة وتسع دقائق وتسع واربعون ثانية وميله ثلاثون درجة وثمانٍ وخمسون دقيقة شمالاً . وفي هذه الصورة سديم حسن جداً جنوبي المراق صعوده المستقيم عشر ساعات وثمانٍ وعشرون دقيقة وخمس واربعون ثانية وميله ربع وخمسون درجة وعشرون دقيقة واربع ثوانٍ شمالاً لونه ابيض يضرب الى الزرقة وهو لامع في المركز . وفي الساق اليمنى سديم لامع صعوده المستقيم تسع ساعات وعشر دقائق واربع وخمسون ثانية وميله احدى وخمسون درجة واربعون دقيقة وخمس ثوانٍ شمالاً لونه ابيض يضرب الى الصفرة وهو سديم كبير اهليلجي ذو نواة وفيه ايضاً سديم حسن مستدير فوق الاذن صعوده المستقيم تسع ساعات واربع وثلاثون دقيقة واثنتان وثلاثون ثانية وميله ثلاث وسبعون درجة ودقيقة واحدة وثانيتان شمالاً . وفيه عدة نجوم مختلفة الاقدار من القدر التاسع الى القدر الثاني عشر . وفيه ايضاً سديم بيضي في الاذن صعوده المستقيم تسع ساعات واثنتان واربعون دقيقة وعشر ثوانٍ وميله تسع وستون درجة واحدى وخمسون دقيقة وثماني ثوانٍ . وفي بدنه سديم كبير ابيض كاللحن على امتداد نحو درجة من شمالي المراق صعوده المستقيم احدى عشرة ساعة ودقيقتان وثانيتان وميله ست وخمسون درجة واحدى وثلاثون دقيقة وثماني ثوانٍ . وعلى خاصرته فوق كبد وقرب وركه سديم ابيض كبير له نواة لامعة

علوم المصريين القدماء

(بقلم جناب الاديب محمد افندي ابي عز الدين)

لم يقم للمصريين القدماء قبل قيام الرومانيين واليونان منازع او مضارع في علومهم فقد برعوا في الحساب والهندسة وعلم الهيئة والطب والهندسة العملية

والحساب من ضروريات كل امة استخدمت راحتها لتمدنها لاسيما عند البيع والشراء والاخذ والعطاء خلافاً للقبائل المتوحشة فان منها من لا يستطيع ان يعد العشرة والاربعة كقوم في جزيرة سيلان فانهم لا يستطيعون ان يعدوا فوق الثلاثة . ووضع المصريون ارقاماً غير ان الطريقة التي استعملوها في الاعداد الكبيرة كانت اشبه بالطريقة الرومانية وهي كما لا يخفى طريقة عسرة جداً لكنهم بواسطة الممارسة تمكنوا من حل المسائل العويصة بسهولة

ثم نشطوا الى درس الهندسة والاحساب وقد اضطرتهم اليه التغيرات في اراضيهم الناجمة عن فيضان النيل السنوي فاقتضى لهم معرفة المساحة ومن ثم معرفة شيء من حساب وانساب المثلثات . وبرهن هناك فيثاغوروس الفيلسوف الشهير النسبة المعروفة بكشف العروس وقد اقتضى بهم ضرب الهندسة الى درس الجغرافيا ورسم الخرائط الذي بحسب مذهب الاكثرين انهم اول من ابتدعوه

اما علم الهيئة وهم السابقون اليه [illegible] لم يغادر . و[illegible] فقد علموا من مكنوناته ما يحير العقول ويدهش الالباب مع انه لم يكن لهم بعض الوسائط التي لاهل عصرنا كالتلسكوب (المرقب) وغيره . وكان معظم افكارهم موجهة الى معرفة الامور الآتية الاول مراقبة الكسوف والخسوف الثاني الاحتجاب الثالث حركات السيارات . الرابع تهيئة جداول للثوابت ورسمها في [illegible] . [illegible] بتدقيق

ولا عجب اذا انتبهوا الى الخسوف والكسوف فانهما من الظواهر التي تستدعي الالتفات وكثيرون يتشاءمون بها ويتطيرون منها . فقد رأوا فيها [illegible] هيئة تدل على غضب الآلهة عليهم فيتوقعون بعدها حلول المحن والدهر وخصوصاً [illegible] قاطعة تبين انهم كانوا يسجلونها تسجيلاً علمياً عالمين اسبابها مثبتين حدوثها . وزعم البعض ان [illegible] غوروس اخذ عنهم ان الشمس جسم ثابت في وسط السيارات والارض جسم كروي يدور حولها فاذا كان ذلك كذلك لزم ان يعرفوا حقيقة الكسوف والخسوف . وقيل [illegible] الفلكي اليوناني احد الذين درسوا في مصر قال [illegible] كسوف الشمس على انه ربما تمكن منه بنظره الى الجداول [illegible] في كل ١٨ سنة و ١١ اياماً وعددها ٢٢٣ دورة فاذا حسب هذه المدة من وقت خسوف معلوم [illegible] ويصدق ذلك الى حد معلوم على استعلام الكسوف

وقد انتبهوا غاية الانتباه الى احتجاب السيارات [illegible] ويؤيد ذلك قول ارسطو في سياق كلامه على احتجاب المريخ حيث يقول ولاحظ المصريون والبابليون احتجابات شبيهة

بهذا ووصلوا بها اليونان الا انهم لم يتنبهوا الى اهميته من حيث يستعان به على استعلام طول اماكن مختلفة بل كانوا يكتفون بتدوينها مع وقت حدوثها فقط .

واما مراقبة السيارات وحركاتها التي لم يتنبه اليها علماء الهيئة عند قدماء اليونان لزعمهم انها من الشهب او ذوات الاذناب فقد بلغ المصريون في درسها درجة عالية مكنتهم من تعيين مدة الدوران النجمي (وهو دوران سيار من نجم ثابت حتى يعود اليه ايضًا) لبعض السيارات تمامًا وبعضها بالتقريب فقالوا ان زحل يتم دورانه النجمي في ٣٠ سنة والمشتري في ١٢ سنة والمريخ في سنتين والزهرة وعطارد في سنة واحدة وهي عند علماء الهيئة المحدثين كما يأتي

	سنة	يوم	ساعة
يتم زحل دورانه النجمي في	٢٩	١٧٤	١
« المشتري « «	١١	٣١٥	١٤
« المريخ « «	١	٣٢١	٢٣
« الزهرة « «		٢٢٤	١٦
« عطارد « «		٨٧	٢٣

فالفرق في زحل والمشتري والمريخ ليس بفرق يؤاخذون عليه وعذرهم في عطارد قربه من الشمس واما في الزهرة فالفرق عظيم ولعل رأيهم ان السيارين الاخيرين يتمان دورانهما في اثناء سنة والله اعلم

وقد وافقوا المحدثين في تعيين مدة الدوران القانوني (اي من اقتران الى اقتران من نجم واحد) ويتبين ذلك مما يأتي

	وقتهم	الوقت الحقيقي	زيادة	نقصان
	يوم	يوم		
زحل	٣٩٠	٣٧٨	٣/٦٥	—
المشتري	٣٩٠	٣٩٩	—	٣/١٣٠
المريخ	٧٧٠	٧٨٠	—	١/٧٧
الزهرة	٥٧٠	٥٨٤	—	٧/٢٨٥
عطارد	١١٠	١١٦	—	٣/٥٥

وهو فرق زهيد كما لا يخفى . ولم يعلموا شيئًا عن اورانوس ونبتون لان الاول اكتشفه السير وليم هرشل سنة ١٧٨١ والثاني اكتشفه لفريير وأدمس سنة ١٨٤٦ . واجتهدوا في معرفة تنظيم

جداول للثوابت ورسمها في جوامع او صور وكانت معرفتها مقصورة على بعض الكهنة.

وكانت السنة عندهم كما هي عندنا الآن ٣٦٥ يوماً لكنهم كانوا يقسمونها الى ١٢ شهراً وكل شهر ٣٠ يوماً ثم يضيفون اليها في نهاية كل سنة ٥ ايام لتتميمها وكانت الاعياد تتبع هذا الحساب ولكن على توالي الايام اختلفت فصارت تتقدم وتتأخر فيقع عيد الحصاد مثلاً في الربيع او الخريف او الشتاء وذلك بسبب ترك ربع اليوم الذي تزيد به السنة الشمسية عن ٣٦٥ يوماً ولم يجهلوا كما يظن تلك الزيادة فان المدة الشعرية (نسبة الى الشعرى) التي هي ١٤٦٠ سنة كانت مبنية عليها. فلاحظوها سنة ٢٧٨٢ ق.م و١٣٢٢ و١٣٩ ب.م وعرفوا طول السنة تماماً لكنهم لم يراعوا جانب التدقيق في حسابهم كما يراعى في الحساب الغربي الآن. وزعم قوم انهم عرفوا مبادرة الاعتدالين ولكن زعمهم هذا يفتقر الى ما يؤيده. ومحصل القول ان ما توصلوا اليه في علم الهيئة ذو شأن يذكر الا انه لا يصح ان يقال انه كان علماً رياضياً قائماً بذاته مربوطاً بقواعد بل مجموع مراقبات حشوها قليل من التنجيم كما كان عند كثير من الشعوب القديمة وكانوا يشرحون طوالع كثيرين من مراقبة النجوم عند ولادتهم ويقولون ان بعض الايام نحوس وبعضها سعود لكن لم يكن للتنجيم عندهم ذلك المقام الرفيع الذي كان له عند البابليين

وقد اقر لهم معاصروهم بالسبق في ميدان الطب فانهم تضلعوا به قبلهم بزمن طويل وكان لهم فيه عدة تآليف الفها اطباؤهم القدماء وتطرفوا الى ان قالوا ان بعضها تأليف احد الآلهة ولم يسمح للذين درسوها ان يستعملوا سوى العلاجات المدونة بها الا اذا كان الكتاب يفيد ان ذاك العلاج الموضوع لا يعتمد عليه وعلموا علم اليقين ان الدواء الموضوع له لا ينجع فيه وان من تجاسر فاستنبط دواء جديداً عوقب عقاباً شديداً. ولما استولى الفرس على القسم الغربي من آسيا رفع ملوكهم شأن اطباء المصريين وقربوهم منهم واجزلوا لهم من العطايا. ويستفاد من كلام هيرودوتس المؤرخ المشهور انه كان لكل فرع من الامراض طبيب يخصه فهو كامراض العين والاسنان وغيرها ويروى انه كان يؤذن لهم بتشريح جثث الموتى خلافاً لغيرهم من الامم الذين لم يسمحوا لطبيب ان يشرح جثة لكنهم كانوا يجرون في تشخيص الامراض ووصفهم العلاج حسبما يتخيل لهم

وفاخر المصريون معاصريهم في مبانيهم الفخيمة وقصورهم البديعة فسبقوا من جاراهم وعلوا من ساماهم وفي الاهرام عبرة للمحدثين ومثال للمهندسين الحاذقين اذا تأملوا في احكام بنائها وصقل حجارتها الكبيرة وما كانوا يتجشمونه من صعوبة نقلها ورفعها اللذين يستلزمان قوة الجبار

والبارود . وقد يتبادر للذهن الناظر اليها انهم بلغوا الغاية العليا في الميكانيكيات ولكن من اطلع على كتاباتهم وآثارهم رأى بعكس ذلك فكانوا ينقلون الصخور بان يربطوها بحبال ويجرها طائفة من الرجال على انهم تكبدوا مشاق عظيمة في نقلها وهلك كثيرون بسببها . اما الاهرام فلا بد من ان يكونوا قد استعملوا في بنائها الوسائط الميكانيكية كما يستنتج من كتابات أرودتس وملاحظات بعض المحدثين بيد انها كانت قاصرة عن ان تفي بالمطلوب . والخلاصة ان المصريين بلغوا مقاماً رفيعاً في علومهم وفنونهم بل للشأو شأواً لا ادركوه . او على الجهد مزيداً لبلغوه .

في حجر عين الشمس

(هذه المقالات الثلاث مأخوذة من كتاب اليواقيت البتيمة في الحجارة الكريمة)

للاديب المعلم نابليون الماربني مدير ومعلم اللغة العربية في مدرسة القديس يوسف ببغداد والكتاب المذكور غير مطبوع

في ماهيته — هذا الحجر مؤلف من الحامض السيليسك الهدراتي وهو كالخلكيدوني اي انه اذا وضع في النار يبيض فيزداد ابانئذٍ بياضاً ورونقاً . وقد يلمه احياناً البوناس المحرق وقصارى الكلام انه كالرواسب الجيلاتينية الهيدراتي . وهو لا يعرض لناظره اثر التبلور وانعكاسة للنور . واما لزوجه فاقل بكثير من لزوج الخلكيدوني ولكنه اذا اقتدح بالزند صار قليل اللمعان . كثير الظلام

في شكله — ان حجر عين الشمس له شكل الرسب الكلسي او الفلك الرائق والصدفي اكثره له شكل الكلية والافنان التجربة ولا بدع ان بعضاً من الينابيع المعدنية المحتوية على سليس التي تدعه هنا وهناك تستخرج منه حجر عين الشمس مرصعاً كثيراً وقليل الضخامة

في الوانه — ان هذا الحجر متفاوت الالوان . لكلٍ منها قيم واثمان تراه تارة صرفاً فيعرض حينئذٍ لعاشقه اما قليل الشفوف والكثافة . وتارة يحدث فيه بعض التباينات القليلة الشفوف فتعرض في داخلها الوان قزحية حادة جداً ولذا تودعها القيم العالية . وطوراً يتلون بامتزاجات مواد اجنبية

هذا وقد يصادف ايضاً هذا الحجر في حالة جيلاتينية وعجينية حتى انه احياناً يصبح قابل الذوبان في الماء . ووجدت مواضع يبين منها انه كان قد تغير فيها كل التغيير . وذلك مما يرى على سطحها أن كلياته ونطعه قد امست بيضاء وترابياً . واما تغيره فهو خسارة ضيائه ورونقه

في معادنهِ — ان هذا الحجر في مواضع مختلفة وقد يوجد القسم العظيم من توابعهِ في خرب الاراضي التراشيتية مثلاً في سبنجبرج من اعمال مقربة حول بون دور وفي جبال أُ... التي بعكسيك الخ . هذا وان الصخور التراشيتية قد تتضمن حجر عين الشمس وتوجد كُلي منهُ ايضاً في الرسوب التوفوي وفي الصخور اللوزية لكنهُ صرف قليلاً كما يشاهد خصوصاً في جزيرة فيرو . ثم ان ما عدا هذه الركزات التي ذكرناها آنفاً يوجد ايضاً من هذا الحجر في الاقسام العليا من الاراضي الروسوبية . اما في الاراضي الكلسية النهرية كما في أرلياني التي بأ مرفونية واما في الطبقات المرنية حيث توجد المادة على سطحها ضاربة الى الزرقة وسمراء في داخلها . ومراراً بهي مشوطاً بالمرون الذي يجعلهُ ابيض ومظلماً بالكلية . ونلتقي حوارات حجر عين الشمس التي تكونها مياه بعض العيون مثلاً حمائم ارلسندا التي قد ألبست اعكاراً ثخنها ثلاثة او اربعة امتار ممتدة على قسم عظيمة ومثلها في جزيرة سار ميخائيل احدى جزائر اصورس وفي غيرها من الضواحي المعدنية التي تكون منها مقداراً يسيراً كما وجد منها في سيول المياه المعدنية في مون دور

في الخلكيدوني

في ماهيتهِ — الخلكيدوني والعقيق والمرو احجار كريمة مركبة كلها من مواد معروفة الطبيعة بل ...ل بكلة واحدة انها صوانية (اي سيليسية) بالكلية . ومن خاصياتها انها تبيض وتحل في النار واذا صقلت ما تظهر ابداً اثر التبلور الخارج والباطن ولا عكسها النور . فما هي الا سوى ركام ميكانيكي من حُبيبات صوانية . ولكنها اصلب من دُبّ الملح (اي الكوارتز) فتهيج ناراً اذا اقتدحت بالزند . كيف والحالة هذه ان بعضاً من نباتات ضيائهِ يقرب من ضياء حجر عين الشمس وذلك ضياء راتينجي فهو اذاً على ما يبين كهذا الاخير اي ان جزءاً منهُ اذا يرد بشكل البوناس المحرق

في شكلهِ — اعلم ان لهذا الحجر احياناً اشكالاً مستعارة نادرة عرضع بلورات الكوارتز فيعرض شكلهُ ولغيرها من البلورات الكلسية ومرة بينهم بشكل افنان الخشب او الاخطوط واحياناً يصب في قالب تجاريف الاصداف وذوات الاجساد المنقطة . واخيراً تلفيهُ رسوباً كلسياً وكتلة صغيرة كانت او كبيرة الحجم تصنع مراراً محفورة الباطن مفروشة او ملآنة من بلورات الكوارتز او مشتملة على مواد ترابية

اما الخلكيدوني الشبيه بالشفاف او المظلم فهو تارةً عديم اللون وطوراً يتلوّن بامتزاجهِ ببعض مواد اجنبية . ولذا نسمي المتباينات الشبيهة بالشفاف بالعقيق الباقي والحمراء بالعقيق

في معادنهِ — هذا الحجر قليل الوجود في الاراضي المتبلورة وفي بعض الصخور كلى منهُ متوسطة الحجم واعكار وهذه الاخيرة تسمى بالصخور اللوزية لان كليات المواد المختلفة تعترض كاللوز الكائن في العجين . هذا وكثيرًا ما نسمى كلياتهُ المظلمة بالمرو وهي عديدة في طبقات الكلس المتفاوتة او المرن من جميع العصور . وخصوصًا في كربونات الكلس (اي الطباشير) حيث توجد هذه الكليات ضخمة بعدد عديد واحيانًا عريضة جدًا . وهذه قد تتراكم طبقات افقية كثيرة الثنيات فيبلغ حينئذٍ عمقها الى نحو مترين او ثلاثة لا غير كما تشاهد الان على حدود قناة بحر المانش

في الكورندو ن

في ماهيتهِ — هذا الحجر مادة زجاجية او ترابية . قابل التبلور ثقلهُ النوعي ٣٫٨ و٤ وصلابتهُ تعادل صلابة الالماس وهو مؤلف جوهريًا من الالومين. وقد يختلط مرارًا بمواد اخرى مختلفة اجنبية

اما البلورات التي تعرضها هذه المادة فهي تارةً معينات اما بسيطة او ناقصة واخرى منشورات مسدسة الزوايا . واما لونهُ فيكون رائقًا او اصفر او ازرق او احمر ويكون اخضر قليلاً

في معادنهِ — محل هذا الحجر مستقرهُ الاراضي المتبلورة حيث قد تفرّق فيها شذر منهُ وخصوصًا في الغرانيت ويوجد مع ذلك في القوناة (وهو البازلت) والدولوميا ومرارًا يلتقي بلورات في الرمال المستخرجة من هدم الصخور وفتاتها فينفردها الماء في سبولهِ وثغانهِ

هذا ولا يخفى ان اكثر ما يوجد هذا الحجر في آسيا الجنوبية اي في سلان وتيبت والصين التي منها تذهب احجار مثراة الى بلاد اوروبا حيث يحصل في بعض اماكنها ايضًا منها في غرانيت الألب وفي دلوميات سان غوثرد وسيل آكسبلي الذي على مقربة من بوي في ولي حيث يتولد فيها اعكار بركانية وهلم جرًا

ومن جل تبايناتهِ وألطفها الاصفر والازرق والاحمر خصوصًا هذان الاخيران وكل من الثلثة تستعمل وتزداد في الجوهرية ولها فيها الشان الخطير والقدر الكبير . وقد لقب كل منها بلقب وذلك لامتيازه عن اخيهِ فنشا بين الناس ذكرهُ وطار صيتهُ واعتبارهُ . فسمي الاول وهو الاصفر بالياقوت الاصفر الشرقي والثاني وهو الازرق بالصفير (او الياقوت الازرق) والثالث وهو الاحمر بالكبريت (اي الياقوت الاحمر) ويندر اللون الاخضر اذا كان ذا لون جيد وهو معروف بالزمرد الشرقي

في تفصيل كلٍ من الالوان الثلثة الاتية الذكر — ات الكبريت (اي الياقوت الاحمر) انا

كان ذا لون ناري فاخر تفوق قيمته قيمة الالماس كما هو معلوم لدى جميع الجوهريين. ثم انه اذا
اردت الصغير (وهو الياقوت الازرق) فقيمته ما لم يتصف بلون الازرق الجلي واما الاخير
وهو الياقوت الاصفر فقد تقدم الكلام عليه بالتفصيل فاطلبه في محله.

الانسان بعد الولادة

(من قلم الاديب الماهر رشيد افندي حداد في العريش)

جئت صفاكم الزاهي بهذه الرسالة مبينا بها ما ذهبت اليه فكرتي الجامدة بغية ان احول الانظار نحوها اما لانتقادها او للاتيان بافضل منها فنهتدي اخيرا لصدق المقال وحقيقته

اما الغاية التي نبغي التوصل اليها فهي هذه «هل يولد الانسان بفطرة طبيعية تجذبه لفعل الخير او الشر او الى الامرين يتغلب عليه ويكون اشد تأثيرا به» وقبل ان نبتدي بسرد ما لدينا نرى من الضرورة ان نحدد الانسان ونصفه في كلمات يظهر لنا منها ماهيته ورتبته بين المخلوقات وذلك تقريرا للحال وتمهيدا لما سيأتي فنقول ان الانسان هو الحيوان الناطق خلقه الخالق عز وجل وميزه عن جميع ما صنع وابدع بعقل ساطع ولسان ناطق وزينه بهيئة جميلة شريفة تفوق هيئات سائر الحيوان الموجود على وجه هذه البسيطة حسنا وجمالا والا لم يكن ثم فرق بينه وبين الحيوانات المتوحشة او الداجنة والانسان بعد ولادته نراه في حالة يرثى لها من الضعف والانحطاط الكلي والعوز الشديد للاعتناء به اعتناء تاما خلافا للحيوانات التي بعد ولادة صغارها بزمن وجيز لا تهتم بها كثيرا بل الغالب عندها ان تتركها تعول نفسها مندرجة في اطوار الحياة كأنها بلغت اشدها واستغنت عن اعتناء امهاتها معتاضة عن كل ذلك بالسليقة وبما اكتسبته من القوة المجبولة التي تلهمها عمل ما تحتاج اليه اجسامها في ذلك السن وهي في كل حال عندها مقام العقل والتمييز والادراك والتدبير وهكذا تقضي ايامها تعمل ما لا تفهم وتعلم ما لا تعقل

واما الانسان فلا يحوز بعد ولادته شيئا من هذه الامور بل يكون خاليا منها وقاصرا عن ادراكها مدة اعوام عديدة وما يكتسبه من العقل والادراك والقوة لا يكون الا تدريجيا على توالي الليالي والايام مقتبسا ما يعلمه والداه ومربياه الحنونات واخذا عنهما الصفات الحسنة ومبادئ التهذيب والتمدن لانه لا يتم اصلاح شأنه الا بعد بذل الجهد زمانا طويلا

واذا تحققت هذه الامور الظاهرة جليا لدينا وعلمناها بل اذا علمناها فلماذا نرى ذلك الطفل والولد الصغير راقيا معارج الحياة والشوق شديد وميل كلي يجذبه دائما لفعل الشرور وان كانت طفيفة وارتكاب المآثم وان كانت حقيرة والاخلاق تتغلب عليه تماما تلك المبادئ

الحسنة التي لم يدرب الا بطرقها او من اعلة باترى وجوب مخالفتها هل وجود جانب طبيعي يدفعة اعمل ما لا يناسب المبادي الحسنة التي غرست بو فان انكرنا الثاني نلم لالف باكورة تصرفاته وسلوكه لا تخلو من العصيان بعد الطاعة والاعوجاج بعد الاستقامة يلي تحكم اتها فطرة طبيعية ولدت معه ومال وجبل اليها من يوم الولادة الى نهاية الايام ولولا حسن التربية وبث روح الفضيلة اللذان هما افضل حاجز يمنعة عن المسير بموجب اميال فطرته الطبيعية وعدم اتباع طرقها لما رأيناه يتوصل يوماً ما الى ابداع ما يحير الافكار واختراع ما يذلل المصاعب والاشكال ويرجف الجبابرة والابطال ٠٠ او لا ترى كيف ان اللقطاء فلما ينبغ منهم من يصلح بان يكن عضواً في الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لعدم بث روح الآداب في عقولهم عن صغر ووجود الوسائل الكافية لغرس مبادئ التمدن في اذهانهم قبل الكبر وبالعكس نرى اولاد المتمدين الذين تموت فيهم تلك الفطرة بالتدريج بواسطة ما ذكر يبلغون اشدهم ويدخلون العالم رجالاً يفتخر بهم الوالدون وينتفع بافعالهم وآثارهم العالمون واذا حولنا النظر الى الامم المتوحشة والقبائل المتبربرة نرى ان فطرتها هذه الغريزية قد ثبتت بها واستأسرت عقولها فلا تعمل الا باوامرها ولا تخضع الا لاميالها ومشيئتها تقضي زهرة الحياة بالحروب والكروب وتضيع اثمار افعالها بالمخاطر والخطوب ولا تستقيم ولا تصلح الا بعد اخذ كل الوسائل لاصلاحها تارة باللين والتهديد وطوراً بالوعد والوعيد وان هذه الفطرة ليست مختصة بشعب دون الآخر بل انما هي عامة على بني الانسان في كل آن وزمان تربح حينما تجد وسائل المطامع والشهوات وتثبت اينما تصادف طرق المكاره والخصومات وبناء على ذلك تبرهن لنا ان هذه الفطرة قد خلقت مع الانسان تجذبه لفعل الشر اكثر من الخير وتزداد او تتلاشى بقدر ما تصادف من التسهيلات ام الصعوبات

فيا بني الانسان ها قد شرحنا الحالتين والمرء مخير بين الامرين فان اردتم نجاحاً وفلاحاً وابتغيتم خيراً وصلاحاً فقاوموا هذه الفطرة الطبيعية بسيف ذي حدين فتبلغوا بالغنى خير الامرين

حل المعمى المدرج في الجزء الثالث بمعمى مع التضمين

(من قلم جناب الاديب الياس افندي بهنا)

ياظبيةً انشدتها والطرفُ للاشواق ساهرْ
باللهِ ما لكَ آخرٌ يرجى ولا للشوق آخرْ

حل المعمى المدرج في الجزء الثالث

(نظم جناب الاديب الياس افندي مسلم احد طلبة اللاهوت في بيروت)

لقد ابدعت بابحر المعاني ... بنظم دونه عقد الجمان
وقد عميت في اسم عامري ... بوجه اللوح وابو عان
فكان الاسم لبلا والمعمى ... سهار ثان فيه البيان

معمى

(من قلم الشاب البارع الياس افندي صالح كنعان)

وغادة لا عطر من بعدها ... رشقت فؤادي بسهام امقل
حاولت قطع راسها عنوه ... فان لي روس بهذ العمل

ورد منه ما رأى الحماة الافاضل من جواب «لما» في هذين البيتين فقد وقع خلاف في تعبيره

لما رأى الشر قد ابدى نواجده ... والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى النبي امانا عن خيفتها ... نصاها واستشار الصارم الذكرا

لغز

(من قلم جناب الاديب رشيد افندي حداد)

ما اسم شيء دأبه ان يتصاعد وعن طلب المعالي لا يتباعد. ان صحفته وعكسته فهت هذا القول البديع. او علمته بالرفع معكوساً وجدته مستولياً على عقل الخاطر الوضيع. وان حذفت آخره اولاً وقلبته آخراً تراه من اصاغر الحيوان. او عكسته وصحفته هكذا صح رماد بلا امتحان. وهو ثلاثي الحروف ان عكسته تراه من النبات. وان لم تعكسه ايضاً وجدته بين المزروعات. وبعد قطع احدى قوائمه وقلبه تراه في الرياض والجنات. او ان حذفت فؤاده معنى وجدته يلاطم الابدان. يخرج منه زاد ولباس للانسان وطعام وعلف للحيوان. وهو فضحت آخره لظهر لك منه انه قاتل. فهمت مضمون السوال وانا سائل.

وورد منا ايضاً حل لغز جناب كامل بك نكدو بما ان هذا اللغز قد ورد حله في الجزء الثالث اقتضى التنبيه

الرياضيات

فستلفت انظار العلماء الرياضيين الى المسئلة الرياضية المدرجة في الجزء الاول

مسألة رياضية

(من قلم جناب الاديب خليل افندي سبدي)

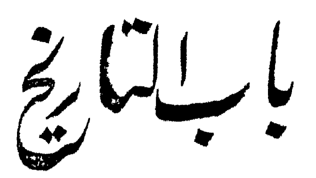
مركبة محيط دولابها المقدّم ١٨ اذرع ومحيط المؤخر ١٠ اذرع فاذا تأخرت ثانيةً في دورة دولابها المقدم اصبح معدل سيرها في الساعة اقل منهُ اذا تأخرت ثانيةً في دورة الدولاب المؤخر بنصف ميل هاشمي فكم يكون معدل سيرها الاصلي في الساعة وكم يكون عندما تأخر دولاباها المقدّم والمؤخر

مسألتان حسابيتان

(بقلم جناب الاديب المعلم ماليون الماريني مدير ومعلم اللغة العربية في مدرسة القديس يوسف الكرملية في بغداد)

(١) رجلان مسافران الى مدينة ليبتاعا سمناً وكان معهما ثلثة زقاق يسع الاكبر عشرة أرطال والثاني سبعة والثالث ثلثة فلما وصلا الى القرية ابتاعا عشرة أرطال سمناً وعند رجوعهما تخاصما في منتصف الطريق على قسم السمن بالقسط المدقق بدون ميزان فكيف يجب ان يقسم السمن بينهما لكي يرتضي كل منهما .

(٢) توفي رجل ولهُ ثلثة اولاد . فاوصى ان يعطى للكبير نصف تركتهِ وللأوسط (اي الاصغر في العمر) ربعها . وللاخير ثمنها . واما تركتهُ فكانت سبعة آبال فكيف اقسمها الثلاثة بينهم



تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد

(تابع ما قبلهُ)

ومن يعتقد هذا الاعتقاد فلا محبوبة بتعساء لا يعرفون ذنباً سوى خضوعهم اوامر وتهم الناس وخضب سيف جلاديه ارض الدانيكة وغيرها بدماء ابرار تنديهم الانسانية وتشفق عليهم ما دام العالم موجوداً والتاريخ قائماً يثبت تلك الاعمال المنكرة

وفي سنة ٤٧٥ ظهرت قبائل الهون وهم اقوام متوحشون قد اشتهروا في الزمان القديم بالشجاعة والبأس وعدم التقدم كمعظم سائر الرعاة فانهم كانوا يسكنون الخيام ويطوفون الاقطار المترامية طلباً للكلأ والرزق ويقضون الاوقات على صهوات الجياد ما لتمرينات الحربية والقنص فيعيشون ابطالاً يصطلي نارهم وجبابرة لا يلحقون بغبار الغارات ولا يحبون سوى رمي السهام والضرب والطعن قيل انهم كانوا قباح الصورة خطساً يشبهون القرود واعينهم السوداء كانت صغيرة وغائرة تحت جباههم واكتافهم عريضة دلالة على قوة الجسم والتركيب اما وطنهم الاصلي فهو الارض الجدبية الواقعة الى شمال السور الصيني حيث يقطن الآن قبائل المغول الا انهم لم يلبثوا زماناً طويلاً حتى امتدت سلطتهم على اراضٍ كثيرة واسعة شاسعة واغاروا في قبل المسيح على بلاد الصين ونكلوا باهلها واجبروا ملوكها ان يستدروهم بالجزية اثواب حرير ونقوداً وعدداً معلوماً من البنات الصينيات وقد نظمت احدى تلك البنات وهي اميرة قصائد ذكرت فيها حالتها التعيسة وعذابها المهول مع اقوام شرابهم الحليب الخاثر وكلهم اللحوم النيئة وقصورهم الخيام القبيحة وتمنت باشعارها لو كان لها جناحان فتطير الى بلادها المحبوبة ومساكن احبابها النائين عنها اقول وذلك على حد قول الشاعر

بكيت على سرب القطا اذ مررن بي وقلت ومثلي بالبكاء جديرُ
أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي الى من قد هويت اطيرُ

غير ان الصينيين تعلموا اخيراً على مولاة البرابرة ولكي يردوا هجماتهم بنوا سورهم الشهير الذي يبلغ طوله الفاً وخمسمائة ميل ولما رأى الهون انكسارهم وتضعضع احوالهم في الشرق توجهوا الى الجهات الغربية ودخلوا البلاد الروسية وقاتلوا قبيلة الالاني او الجبلية واتحدوا مع قسم عظيم منها واغاروا سنة ٣٧٥ ح تحت ذكرنا على الاوستروغوث وهم القوط الشرقيون الساكنون وراء نهر الدانوب او الطونة وبعد حروب عديدة فيها انهزم سكان الاوستروغوث ذرعاً واستنصروا فالتمس ملك القسطنطينية الذي كان يومئذ فالنس فاشفق عليهم ونسي عداوتهم وقتالهم وسمح لهم ان يعبروا نهر الدانوب ويسكنوا في بلاد صاسيا اي السمار بشرط ان يسلموا سلاحهم واولادهم فتسلموا بذلك غير ان القواد الرومانيين المسلط بهم تنفيذ هذه الشروط خانوا بلادهم وملكهم واخذوا لمولاة الاثرة بان يسلموا لمد جميعهم بالسلاح كما كانوا وذلك طمعاً بالكسب والرشوة ولم يلبثوا البرابرة ان شاروا وثاروا بقوة كافية لاخضاعهم ولا حسناً واحساناً لمصادقتهم فهاجتهم اشتعالهم واتحد وامع اخوانهم الفيسغوث الذين رحلوا لنصرتهم مسرعين وحاربوا الجيوش الرومانية وبددوا شملها وتسلطوا على زمام احكام البلاد وقاتلوا بعد ذلك في معمعة مهولة الجيوش

الكثيرة التي ارسلها فالنس لمحاربتهم وقتلوا منها عدداً عديداً وردوا الباقين بالخيبة والفشل

وانتشرت تلك الاخبار المحزنة في سائر الانطار وملأت قلوب الوطنيين رعباً وغضباً ولقد زاد المصاب مصاباً اتحاد جميع البرابرة وهم الهين والغوتيون وعزمهم على محاربة الرومانيين والانتفاع من انكسارهم وان يتمتعوا بطيبات بلادهم المخصبة الغنية فبادر فالنس بجيوشه وعسكر سنة ٣٧٨ في مدينة ادرنة ونازل الاعداء في ٩ آب واصلاهم حرباً عواناً فجرت موقعة مهولة انجلت عن تقهقر جنوده وقتله في كوخ حقير لجأ اليه للاستراحة من العناء وضمد جراحه فاحاط الغوتيون بذلك الكوخ ولما لم يمكنهم الدخول اليه حرقوه بمن به ومضوا مسرعين يذيعون الخبر

وكان الغوتيون قبل الموقعة راضين بالسلام بشرط ان يأذن لهم الملك ان يسكنوا بامان في تلك الاقاليم لكنهم لما رأوا فوزهم المبين وتضعضع احوال سادتهم الرومانيين شعروا بقوة عظيمة لم يظنوها قط لانفسهم ومع علمهم ان مجال الحرب واسع وان اتعابها كثيرة تأكدوا حسن النتيجة وذاقوا بمخيلتهم حلاوة الظفر فابوا كل الاباء ان يرضخوا للشرط او للعهدة وانتشروا حول مدينة ادرنة انتشار الجراد فالتقاهم من بقي من جيش فالنس بشجاعة وثبات واخذت الاسوار ترميهم بالحجارة وقطع الصخور فادهشتهم قوة تلك الآلات الحربية والجأتهم الى التأخر فرفعوا الحصار ورحلوا الى ضواحي القسطنطينية فاعجبهم واذهلهم منظر عاصمة الشرق البديع وشاهدوا بحيرة اسوارها العالية والجماهير المجمهرة عليها واذ كانوا شاخصين اليها فاكرين بحسنها وزخرفة مساكنها فتح باب من ابواب السور وانقضت عليهم منه فرقة فرسان عربية كان فالنس قد استأجرها قبلاً وهي من قبائل العرب المتنصرة فلم يطق الغوتيون ومحازبوهم لقاء هؤلاء الفرسان الابطال بل تقهقروا وقد دهشوا لقوة وسرعة جيادهم العربية وخبرتهم بمواقع الضرب والطعن وحدث ان فارساً عربياً ذبح غوتياً بسيفه البتار فتقدم اليه وطفق يمص دمه ويشربه بسرور كأنه آخذ بارتشاف كؤوس الراح فارتد اذ ذاك الغوتيون راجعين ولما كانت الجيوش الرومانية غير قادرة على لقائهم في ساحات القتال سكنوا تلك البلاد المخصبة وانتشروا فيها الى حدود ايطاليا وبحر الادريانيك وهم ينهبون ويقتلون ويستولون على الكنائس والاماكن المقدسة ويجعلونها حضائر ومعالف وذكر بعضهم ان الاقاليم التي احتلها الغوتيون اصبحت قفراً يباباً لا ينظر فيها سوى ارض وسماء واظن كما يظن مؤرخون كثيرون ان في هذه الرواية مبالغة عظيمة

واظهر اولاد الغوتيين الذين اخذهم الرومانيون رهائن عند اجتيازهم نهر الدانوب نفاراً واستعداداً لمقاومة مهذبيهم وبالجملة اوجس الولاة وارباب السياسة خوفاً منهم وخشوا

ان يونعوا المداير الشرقية في اضطراب كما ونعي آباؤهم الديار الغربية فاصدر بولبوس رئيس الجيوش العام سنة ٣٧٨ اوامر بقتلهم وذلك انهم في كل ولاية جمعوهم في ساحة قصبة الولاية العمومية بحجة انهم يريدون مكافاتهم ولما اجتمعوا احاطت بهم العساكر من كل جانب واخذت تذبحهم وتقتلهم بالسهام حتى افنتهم جميعًا . وحيما كان الداعي الى ارتكاب هذا الذنب الفظيع اوكد ان مقترفيه وحوش ضارية يقولون للاقوام الذين يدعونهم برابرة بالخشونة والقساوة والشراسة لان القتك اغتيالاً باناس مستأمنين لا سيما باولاد واحداث كهولاء بعد خيانة لا يأتيها من بني الانسان الا من اعمى الجهل بصيرته وفقد كل احساس انساني ولو فرض ان الاولاد الموما اليهم اظهروا ما يستدل منه انهم يرغبون في العصيان متى اشتد ساعدهم فكان الاجدر بالحكام ان يقاصوهم بالارهاب ويقتل من برونه مذنبًا حقيقة ويوجد طريقة اخرى وهي تهذيبهم والاحسان اليهم ومعاملتهم باللين ومنع كل ما من شأنه ان يثير في صدورهم حاسات وحزازات البغض والغضب فذلك يجعلهم بلا ريب ينسون ما مضى ويقبلون على المستقبل بسرور واجتهاد في منفعة مواطنيهم المحسنين اليهم

الفصل الخامس

في ملك ثيودوسيوس الاول او الكبير من سنة ٣٧٨ الى سنة ٣٩٥

وكان غراسيان ملك الغرب غير قادر على نجدة المملكة الشرقية لاشتغاله في محاربة ورد هجمات الالمان ومن يليهم من البرابرة القاطنين في جهات اوربا الشمالية وعلم علم اليقين انه لا يستطيع سياسة المملكتين لاتساع ارجائها وتعدد الاعداء الاقوياء المحيطة بهما فاقام رفيقًا له وملكًا على عرش القسطنطينية ثيودوسيوس الشهير المعروف بثيودوسيوس الاول او الكبير .

ولد ثيودوسيوس في اسبانيا من عائلة اسبانية وكان رجلاً مهذبًا عالمًا وقائدًا خبيرًا خدم مدة مديدة مع ابيه في اعظم الحروب التي جرت بايامه وارتقى بمهارته وجسارته الى درجة سامية في قيادة الجيوش الا ان الحسد المذميم القتال قلما ينجو منه رجل شهير في العالم ادرك اباه وسبب موته والجأ ثيودوسيوس ان يعتزل المعظمة والفخر العالي وان يعيش منفردًا في وطنه لكنه لم يلبث زمانًا طويلاً حتى دعي الى الجلوس على عرش الشرق فنهض على زمام الاحكام وعمره وقتئذ ثلاث وثلاثون سنة فسرّ به الشعب سرورًا عظيمًا لحسن وجهه وجمال قده واستقامة مبادئه وكان الغوتيون بعد نصرتهم الاخيرة قد انتشروا في البلاد وانقسموا الى فرق واحزاب فشرع ثيودوسيوس مدة اربع سنوات اي من سنة ٣٧٩ الى سنة ٣٨٣ باخضاعهم جميعًا فتمكن

من ذلك تارة بالحرب والكفاح وتارة بالمداهنة والوعود وسنة ٢٨٦ اراد الاوسنر وغوث الاغارة مرة ثانية على المملكة فلقوا صعوبات عظيمة ومات رئيسهم وعدد عديد منهم قتلاً

وكان غراسيان ملك الغرب هادئاً يحب الراحة والسلام فاغضب ذلك جنودهُ ومهد لمكسيموس قائدٌ في بريطانيا سبل العصيان فاستولى هذا القائد على تلك الجزيرة واجتاز الى غاليا (فرنسا) وحارب عساكر غراسيان وقتلهُ سنة ٣٨٣ ولما بلغت ثيودوسيوس هذه الاخبار اراد ملافاة الخطب بالتي هي احسن فاذن لمكسيموس ان يملك على بريطانيا وفرنسا واسبانيا وثبت سلطة فالنتينيان الثاني اخي غراسيان على ايطاليا وافريقيا وايليريا غير ان المغتصب لم يرتضِ بما حدث بل جهز سنة ٣٨٧ جيوشاً جرارة وتقدم بها الى ايطاليا فاستولى عليها والجأ فالنتينيان ان يهرب الى ثيودوسيوس مستجيراً فاخذ ثيودوسيوس بيده وعزم على الحرب انتصاراً لامير مظلوم ضعيف وتأديباً لرجل ظالم لم يعرف للطمع حداً ينتهي عنده فزحف بجنوده وسار مسرعاً حتى لقي الاعداء فنازلهم وكسرهم وقبض على المغتصب وقتله وبعد ان مكث مدة في ميلان لاصلاح احوال المملكة المختلة سار الى رومية العاصمة القديمة ودخل اليها باحتفال عظيم كما فعل قسطنطين وقسطنطيوس قبلاً

ان سجايا الملوك العظام واعمالهم الحسنة تسر القارئ اللبيب اكثر جداً من اخبار وتفصيل الحروب التي يخوضون عجاجها والانتصارات التي ينالونها بباًسهم وشجاعة جنودهم لان تلك الصفات تشير الى راحة الشعب وسعادته تحت ظل سلطة امير حكيم فطين وهذه الانباء تفصح عن مصائب واحوال لا بد من حدوثها مدة الحروب وعقباها وعليهِ فثيودوسيوس الكبير يحق لهُ اعتبار ومديح الناس في كل اين وآن لانهُ قد تحلى بالحكمة والكرم ورأى الشعب منهُ اميراً عفيفاً حليماً يحب الجميع والجميع يحبونهُ ولقد جهد طول حياتهِ في تشجيع ومكافأة العلماء الاعلام ومجازاة الصناع البارعين ولم يبغض قط سوى الاراتقة الاريوسيين وكان مولعاً بالمطالعة وتلاوة التواريخ قيل انهُ لما كان يقرأ اعمال سنا وماريوس وسيلا كان يتكدر جداً كأن هولاء الرجال الاشرار قد ارتكبوا تلك المحارم حديثاً او انهم لم يزالوا في قيد الحيوة وبمكنة الانتقام منهم ومما يشهد لهُ بالجود والحلم اعطاؤهُ الاهالي يعد حرب مكسيموس تعويضاً مما خسروهُ واعتناؤهُ بام المغتصب واولادهِ خلافاً لعوائد من تقدمهُ من الملوك فقال بعض الخطباء وقد بالغ بما قال انهُ لو عاد برونس الاول الى الارض ونظر ثيودوسيوس لكان ينكر مبادئهُ الجمهورية حباً بملك اراح الرومانيين وأيد شوكتهم في المشرقين

وفي ذلك العام ابدى الانطاكيون سكان انطاكية عاصمة آسيا ضجراً من كثرة المكوس

والضرائب قياماً بنفقات الحروب التي باشرها الملك وطلبوا بالحاح ان يعفوا منها فلم يسمعوا لصوت شكواهم صدى بل اجبروا بتأدية ما فرض عليهم فهاجوا وماجوا وثاروا على الحكومة المحلية واخذوا تماثيل ثيودوسيوس وعائلته المنصوبة في ساحات المدينة وشرعوا يجرونها في الشوارع ويلوثونها بالاوحال والاقذار ودامت الحال هكذا الى ان اتت العساكر المنظمة وفرقت شملهم فانكفأ كل الى منزله ينتظر بوجل ما يستحقه من العقاب وبعد اربعة وعشرين يوماً اصدر الملك امراً بحرم تلك المدينة العظيمة حقوق التقدم بين المدائن الشرقية واعطائها رتبة قرية وجعلها تابعة في احكامها واعمالها لمدينة اللاذقية الواقعة على ساحل البحر وعلى بعد خمسة وستين ميلاً منها واغلقت في ذلك الحين الحمامات والملاعب واجتمع نواب الملك لمحاكمة المذنبين فغص النادي بجماهير الاغنياء المكبلين بالسلاسل والقيود واصبح كل ينتظر القتل كامر لا بد منه ولما كان الرعب عاماً والاضطراب شاملاً والناس في هرج ومرج ينادون بالويل والحرب قال القديس يوحنا الذهبي الفم ان تلك الحالة وذلك اليوم يشبهان حالة الناس في يوم الحشر وكانت النساك والرهبان قد هرعت الى انطاكية من كل اوب وصوب والتمست من الحكام تأخير عقاب المذنبين حتى يأتي من الملك امر آخر وارسل الشعب وفداً يستعطفون ثيودوسيوس من جملتهم فلابيوس اسقف المدينة فقيل انه استأذن الملك في الدخول عليه فاذن له ولما مثل لديه وقف بعيداً عنه صامتاً ومطرقاً فتقدم اليه ثيودوسيوس وطفق يعدد ذنوب الانطاكيين وكفرهم بالنعمة فلم ينكر فلابيوس شيئاً من ذلك بل اظهر بقوة وبلاغة ندم مواطنيه وفضيلة العفو حتى ان ثيودوسيوس لم يمكنه ان يمنع نفسه من البكاء فاجابه على الفور انني اصفح عن الانطاكيين كما صفح يسوع المسيح عن الذين صلبوه

وبعد مضي ثلاثة اعوام حدث في تسالونيكي وهي سالونيك حادث غريب كانت نتيجته على اهل المدينة ويلاً ووبالاً وذلك ان قائداً اسمه بوترك كان له غلام بديع في الحسن والجمال فتنت احد المشخصين به واحتال عليه حتى تمكن منه فامر القائد اذ ذاك بسجن المشخص واهمله ورفض اطلاق سراحه في يوم عيد جرت فيه العاب عمومية في الملعب الكبير وكان الجمهور يحب المشخص حباً شديداً فتكدر لغيابه وثار الرعاع على القائد واعوانه فقتلوهم جميعاً بلا شفقة واخرجوا محبوبهم من السجن قوة واقتداراً ولما بلغت الملك تلك الاخبار امر بقصاص الاهلين كافة فجمع القواد عدداً عديداً في الملعب بحجة ان الملك ارسل اليهم بعض اوامر وريثما استقر بهم القرار احاطت الجنود بهم من كل جانب واخذت تذبحهم ذبح الخراف وقد اختلف المؤرخون في عدد المذبوحين فقيل سبعة آلاف نفس وقيل عشرة آلاف وقيل اكثر وكان

امبروسيوس اسقف مدينة ميلان رجلاً فاضلاً عادلاً فكتب الى الملك يوبخهُ على صنعهِ ويندرهُ بانفصالهِ عن جماعة المؤمنين ووجوب ابتعاده عن مذبح المسيح وامتناعهِ عن تناول جسدهِ المقدس بيديهِ الملوثتين بدم شعب بري فحزن الملك حزناً شديداً وندم على ما فعل وذهب في الحال الى الكنيسة ليقدم كفارة عن ذنبهِ وقبل دخولهِ اليها ملاقاة امبروسيوس في الرواق وكلمهُ قائلاً ان الخشوع والانضاع غير كافيين لمحو ذنب كبير كهذا اجابهُ الملك اذا كنت قائلاً فداود النبي الذي قلبهُ كقلب الرب قد ارتكب خطيئتي القتل والزنا قال لهُ اذا كان ذنبك كذنب داود فاندم كندامتهِ فبقي ثيودوسيوس بعد ذلك ثمانية اشهر لا يلبس اللباس الملوكي ولا يتناول الاسرار المقدسة

وصرف ثيودوسيوس بعد نصرتهِ على مكسيموس المغتصب ثلاثة اعوام في البلاد الغربية لاصلاح شؤونها وتحسين احوالها ثم احضر والتنبيان اخا غراسيان وملكهُ عليها وارتد هو راجعاً الى مملكتهِ الشرقية ودخل القسطنطينية عاصمتهُ بالاحتفال والاكرام اما والتنبيان فقتلهُ في ١٥ ايار سنة ٣٩٢ احد قوادهِ المدعو اربوغستس الافرنجي وملك عوضاً عنهُ رجلاً رومانياً عالماً اسمهُ اجانيوس فزحف ثيودوسيوس سنة ٣٩٤ بجنودهِ وقاتل الاعداء وراء الالب وكاد يرتد بالخيبة والفشل لولا خيانة قواد العاصي وتواطئهم معهُ على الاستسلام لهُ وهبوب الرياح الشرقية عاصفة في وجوه الاعداء وحاملة غباراً يعمي الابصار فانكسر اربوغستس الوثني وانتصر ثيودوسيوس وجنودهُ المسيحيون فقتلوا اوجانيوس واستولى ملك المشرق على الديار الغربية واضافها الى مملكتهِ الواسعة اما اربوغستس فهام على وجههِ مدة بضعة ايام في تلك الجبال ولما تاكد ان خلاصهُ مستحيل اخترط حسامهُ وانتحر كما كان الرومانيون المقدماء يفعلون ساعة اليأس واوان الخطر وفي اوائل السنة التالية اي في ١٧ كانون الثاني سنة ٣٩٥ توفي ثيودوسيوس في الخمسين من عمرهِ والثامنة عشرة من ملكهِ وكان قسم المملكة قبيل وفاتهِ بين ابنيهِ فملك اونوريوس على الغرب واركاديوس على الشرق وهذه هي المرة الاخيرة التي قسمت فيها المملكة الرومانية انقساماً نهائياً

الفصل السادس

تاريخ الكنيسة في القرن الرابع بعد المسيح

الحوادث الخارجية

قد ذكرت في المقدمة ان ملوك العالم الروماني كانوا اربعة في اوائل هذا القرن

فذكلسيانوس وهو وثني بسيم كان وثنياً كثير الحزازات الا انه كان معتدلاً في مشربه وطباعه ولا يحب اضطهاد احد لاجل دينه ولكن الكهنة الوثنيين رأوا بعيون مضطربة نجاح المسيحيين وتكاثر عددهم وعلموا ان دولتهم قريبة السقوط تحت اقدام شوكة الديانة المسيحية ينبوع المحبة والرحمة والاخاء والسلام فتعاونوا عليهم وشكوهم الى الملك وسعوا بهم لديه انهم يدعون انهم فئة مضرة بالهيئة الاجتماعية فلم يعرهم دكلسيانوس بادئ بدء اذناً صاغية ولكن غلاريوس ربيبه وصهره انتصر للوثنيين انتصاراً مبيناً وما زال يلحّ عليه حتى اصدر سنة ٣٠٣ منشوراً مآله هدم الكنائس المسيحية وحرق كتبهم وحرمهم جميع الحقوق والاعتبارات وطردهم من مناصب الحكومة وعدم قبولهم فيها فيما بعد وذاق كثيرون من المسيحيين ورعاتهم الموت الزؤام لانهم رفضوا تسليم الكتب المأمور بحرقها وكان هؤلاء التعساء يحتملون كل هذه الاهانات بصبر عجيب ولما عُلِّق المنشور المشار اليه في قصر نيكوميديا بمرأى الشعب احتقره فتى مسيحي ومزقه علناً لدى الجمهور فصدر الامر حالاً بقصاصه وحرقه حياً وهذا الفتى مجهول الاسم واللقب وقيل لا بل اسمه يوحنا

وحدث بعد ذلك ان النار شبت مرتين متواليتين في قصر نيكوميديا حيث كان الملكان ساكنين فخافا خوفاً شديداً واتهما المسيحيين بتواطئهم على حرق القصر واهلاك الامبراطورين بغضاً بهم وببغضهما واصدر دكلسيانوس في الحال امراً بقتل من يسبب وتعذيبهم وطرح الاساقفة في السجن موعزاً اليهم ان يجحدوا دينهم ويقدموا ذبائح للالهة فرفض اولئك الاتقياء ان يضلوا الشعب ويكفروا واستشهد مسيحيون كثيرون في جميع انحاء المملكة ما خلا فرنسا وما يجاورها حيث كان حاكماً ابو قسطنطين الكبير وذلك بعد عنايات قسطنس بها الا ان. اما سبب الحريق فمجهول قال احد المؤرخين ان صاعقة اصابت القصر فاشعلته وقال آخر ان غلاريوس نفسه امر بحرقه لينسب هذا الذنب الى المسيحيين ويتشفى بقتلهم وتعذيبهم غليلاً نفسه لهم ورغبة في الانتقام منهم ودام الاضطهاد مدة ثماني سنوات حتى امر غلاريوس قبيل موته بكفه عن كنيسة المسيح ولم تذق هذه الكنيسة راحة تامة الا بعد انتصار قسطنطين الاول على ارفاقه واعتناقه وتنصره فاصبحت اذ ذاك الديانة المسيحية ديانة الملك والرؤساء والشعب وشيدت الكنائس الشرقية والغربية ان نصر قسطنطين كان بامداد الهي ومعجزة ظاهرة لانه بينما كان يتقدم سنة ٣١٢ لمحاربة مكسنتيوس ملك رومية رأى في نحو عند الظهيرة صليباً من النور بهياً مكتوب حوله بهذه العلامة اظفر فعمل رايته الشهيرة المدعوة «لاباروم» وهي مؤلفة من قناة مذهبة في رأسها صليب وراية ارجوانية مرصعة بالحجارة الثمينة وفي طرفها اكليل ذهب

موضوع في وسطهِ الحرفان الاولان من كلمة مسيح في اللغة اليونانية وزينت خوذ العساكر ايضًا بهذين الحرفين وبعلامة الصليب اما علماء الطوائف الانجيلية فيترددون بصحة هذه الآية ويفضلون تأويلها بانها ظهرت لهُ في حلم وذهب بعض المؤرخين في هذا الامر مذاهب اخرى لا فائدة باستيفائها ومن قسطنطين موعوظًا اي دخيلاً الى آخر سنة من حياتهِ الا انهُ أُعطي امتيازات لم تعطَ لغيره من الدخلاء وذلك انهُ اذن لهُ في البقاء بالكنيسة بعد تصريح الشماس للدخلاء بالخروج ولم يعتمد الا قبيل وفاتهِ ببضعة ايام لان ذلك عادة كانت جارية بايامهِ خلافًا لظن اقوام انهُ كان مشككًا وان اعمالهُ لا تنطبق على آداب الديانة المسيحية وان ايمانهُ كان بالظاهر لا حقيقيًا وعندي ان هذا القول اقرب الى الافتراء منهُ الى الحقيقة اذ لم يكن ثمَّ مانع يمنعهُ من المحافظة على دين اجدادهِ ولو اكتفى باعطائهِ الحرية للمسيحيين كالوثنيين لفضل اسلافهُ بالانسانية وحق لهُ ان يدعى فاضلاً عادلاً ولكنهُ مع انحطاط شأن المسيحيين وضعفهم قد اعتنق دينهم علنًا واتخذ علامة الصليب راية لجنودهِ وزينة لاسلحتهم نعم ان هذا الملك العظيم قد ارتكب بعض غلطات اتخذها اعداؤهُ الوثنيون وسيلة للطعن عليهِ والحق لو فقه اولئك الكتبة لعلموا ان قسطنطين انسان والانسان ضعيف في كل حال لا سيما اذا كان ملكًا يحيط بهِ المتملقون الماكرون ومع ذلك لا ارى احدًا من سلاطين الرومانيين الذين تقدموهُ يفوقهُ بالحزم والعزم وحسن الخلال. ولم يكتفِ قسطنطين بجحد دين الوثنيين بل جهد في اذاعة الايمان المسيحي وكذا فعل اولادهُ الثلاثة اما يليانوس ابن اخي قسطنطين وخليفة اولاده فقد ربي مع المسيحيين وتعلم قواعد ايمانهم وآدابهم ولكنهُ حفظ في قلبهِ للوثنيين ودينهم حبًا صادقًا ثابتًا لا تغيرهُ صروف الزمان واذ كان عالمًا ومتيقنًا ان اشهار افكاره هذه وهو حدث يسبب هلاكهُ تربص اعوامًا حتى ملك فباد نفسهِ وامن كل عدو فاعلن للناس ما طالما جهد في كتمهِ والمظنون ان قساوة اولاد قسطنطين بقتلهم انسباءهُ قد ولدت في قلبهِ بغضة لهم وكرهة لكل ما يحبون ويحترمون ولما كان ايضًا مولعًا بعلوم اليونانيين القدماء وتعاليم علمائهم وحكمائهم تجلت لهُ اعتقاداتهم الوثنية بصورة بديعة سلبت لبهُ وخامرتهُ شديد التمسك بعراها لا يذكر غيرها ولا يلذ لهُ الا ذكراها وحيث ان الديانة الوثنية لم تكن عقيدة مفروزة بوحي بل كانت مجموع آراء تبيح لكل الحرية في الانتخاب منها ما يراهُ موافقًا لنفسهِ فاعتقاد يليانوس كان

باب الفكاهات

رواية الاختفاء الغريب

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي نصري

(تابع ما قبله)

حيث كان يهمني كثيراً القبض على هذين الشقيين لاقف بما في الامكان على احوال معيشتهما وكنت اعلم من جهة ثابتة ان تقدمي وشهرتي في دائرة البوليس يتقرران اذا تمكنت من ارجاع هذين الشقيين الى الكريك وكانت جميع اعيننا دائماً مصروفة من وجه آخر لادارة العمل وبته بطريقة سرية حتى يتوفر على زوجة الموسيو فلاك عار الافتضاح الذي لا يمكن مجانبته اذا قبضنا عليهما بطريقة علانية

وبعد ثلاثة ايام وقفت على الحقائق الآتية

اولاً ان الفتاة كانت لا تخرج ابداً وحدها وكان يصحبها دائماً احد اللصين لحراستها

ثانياً كان مسموحاً لها ان تتمشى في الرواق احياناً تحت الملاحظة

ثالثاً ان الصليب الاحمر المرسوم على الباب بقلم الرصاص كان له معنى سري يتعلق بوجودهم في المنزل لانه محي عقبه في احدى الليالي بمناسبة خروجهم سوية هم الثلاثة ثم اعيد رسمه بعد ساعة او ساعتين وذلك عند رجوع الفتاة وابيها وحدهما الى المسكن

رابعاً ان الاب كان يشتري اللوازم الضرورية للمعيشة اما الابن فكان مشتغلاً باعمال خفية وهكذا فان الواحد منهما كان يخرج بعد المغيب والثاني بعد نصف الليل وكان يخرج الابن ايضاً بعد الظهر لمعاطاة الاقداح لانه معتاد على شرب العرق ولا يمكنه الاستغناء عن ذلك

خامساً ان هذين الرجلين كان لهما قوة عظيمة واجسام كالجبابرة ولكنهما بطيئا الحركة وهذا ما يمكن استخدامه لمصلحتنا وكانت كل العناية مصروفة لاختيار احسن الوسائط الموافقة للاستفادة بجميع هذه الحوادث بقدر الامكان ففي احد الايام تراءى لي اني وجدت الحل المناسب لهذه المشكلة فاعتمدت على ترك مسكني والذهاب الى دائرة البوليس لاخبار رؤسائي بكل ما حصل فجمعت بعناية في قفة جميع المرسوم والتماثيل الصغيرة التي اصطنعتها في الايام الاخيرة

وأكثرت من السعال المتتابع المعنيف حتى امطرت عليّ اللعنات كالسيول في الغرفة المجاورة ثم حضرت اخيرًا لوترا الى بابي وعلى وجهها من ملامح الشفقة والوداد ما يعشني دائمًا على الاحمرار رغمًا عني وقالت اه ياسيدي ما اشد سعالك في هذا النهار هل است مزمع على الذهاب . . .

وإذ ذاك سمع صوت عظيم من الغرفة التي خرجت منها يقول ارجعي الى هنا ما الذي يحملك يا ترى على الذهاب للمحادثة مع هذا الشيخ الخاسر كل ما سمعت سعاله الجهنمي

فاستنار وجهها بسمة جارحة وقالت ان ابي ضيق الخلق وهو بمنتهى الغيظ في هذا النهار فحسنًا تفعل بذهابك ثم القت نظرًا حزنًا على نفثتي وقالت آمل ان تتوفقوا

وعند ذلك تجدد الصوت الخشن من الداخل وصاح آمل ان تتوفق ما المعنى يا ترى بهذا الحديث وعلى م تتآمران هنالك ثم سمعت وقع اقدام ثقيلة تقترب الينا

اما الفتاة فاستتمت حديثها وقالت اذهب . . اذهب لانك شيخ ضعيف وعندما تعود حاول تقليل السعال ثم دفعتني بلطف لناحية الباب

فاجبتها على حديثها بقولي عندما اعود . . . ولم اكمل لان كبير اللصين ظهر وقف على باب الغرفة وجعل ينظر الينا نظرة التهديد بما اخافني شديدًا على رفيقتي ثم دنا منا يقدم ارنج من تحته البلاط وسأل عن اي شيء تتكلمان انتما الاثنان واست ما الذي معك في هذه القفة

فاجابت الفتاة بسكينة معة بعض تماثيل صغيرة اصطنعها امس وهو ذاهب لبيعها

فسال الرجل بالالمانية وقد انقدت اعينه بما يشبه الجمر هلا يوجد شيء آخر

اجابتة الفتاة بنفس هذه اللغة لا يوجد وإذ ذاك انقلب راجعًا وهو يقول انت تعلمين ماذا كنت افعل لو وجدت خلاف ذلك ثم وضع يدهُ الثقيلة على كتفها غير مبالٍ بارتعاشها وقادها معهُ الى غرفتهِ

اما انا فلعبت دوري بنزول السلم مرتعشًا كالعادة ثم دخلت عند صاحبة المنزل وقلت لها اصعدي واجلسي على السلم لبينما ارجع وإذا سمعت اقل صوت يدل على التوجع او حصول شيء من العراك في غرفة الفتاة ارسلي اصوات الاستغاثة لاقي سآمر احد معاوني البوليس ان يقف في هذا الشارع حذاء المنزل

فاشارت المرأة بالايجاب ثم تناولت سلة جواربها ونمت بوجد نافذة بوق وسامكنت من ملاحظة الفتاة وتتميم اعمالي لان الوقت ضيق واعمالي كثيرة

وبالرغم عن هذا الاحتياط بقيت قلقًا اثناء غيابي الذي طال اكثر من المنتظر لاني بعد

تقديم تقريري الى رئيس البوليس جعلت افتش على الموسيو كريس حتى اتاكد مساعدته عند توقيف اللصين فوجدته في منزله ولدى اخباره بما جد علي من الحوادث طار قلبه سرورًا وقال احسنت . احسنت ان الآلهة على ما يظهر ساعدتك بانجاح مهمتك امامًا فما وقعت على شيء منذ اجتماعنا الاخير عند الموسيو بلاك والآن اخبرك بمناسبة ذكره اني شاهدته في هذا الصباح وغاية ما يمكن قوله عنه ان هذا الرجل بلا ريب سيظهر امتنانه لنا بمكارم الملوك متى نجحنا بايجاد زوجته

قلت هذا هو الامل واري من المناسب ان يعلم ان امرأته وجدت وانا ساهرون على حراستها ولكن لا يلزم في مذهبي ان نعلمه بمكان وجودها ولانها في مسكن مقابل لمسكنه لئلا تحبط اعمالنا بشراسته كرجل عاشق وكيف كان الحال فلنهيء الآن خطة العمل انه من الممكن بل من المحتمل ايضًا ان نحتاج مساعدة الموسيو بلاك لاتمام هذه المهمة واجد من الموافق والحالة هذه ان نحصل من السيدة دانيال على تذكرة محررة باللغة الروسية تؤكد فيها المرأة المذكورة ان الموسيو بلاك يحبها حيث بدون هذه التذكرة لا يكون الوثوق بنا ولا بضرورة انقيادها الينا في كل شيء ومن اللازم ان لا يذكر في هذه التذكرة اسم احد ولا تذييل بتوقيع واذا كانت السيدة دانيال لا تعرف اللغة الروسية فلا مانع من تكليف احد معارفها بانشائها بشرط ان تنسخ الجميع بخط يدها

فاعترف الموسيو كريس باصابة هذا الرأي ووعدني انه يرسل الي التذكرة المذكورة في صباح الغد نحو الساعة العاشرة ثم صرحت له بتفاصيل مقاصدي الاخرى فشرف انوالي بالمصادقة التي اوجبت افتخاري حتى اعتقدت نسياني تمامًا من الجرح الذي جرح به عزة نفسي في اول البحث ثم قال لي

اجر بمقتضى هذه الخطة التي رسمتها وانا الضامن انا نحرز نورًا عظيمًا يعود علينا بالمجد العظيم وكن على الدوام متحذرًا اذ قد يحصل عالمًا في الساعة الاخيرة ما لا يخطر على قلب بشر من المصاعب والمشاكل وانا اختبرت هذا كثيرًا بنفسي

قلت فليسهر الرب على توفيق مساعينا

قال احلف لك ان جميع هذه المساعي ستصادف النجاح وسوف افعل من جهة ثانية كل ما من شأنه ان يضمن لك جميع فوائد هذه المهمة فاذهب يا صديقي الى الغد

فثارت حرارتي بهذا الحديث واسرعت بالذهاب الى غرفتي فوجدت صاحبة المنزل على السلم ساهرة على مأموريتها وكانت قد انتهت من ترقيع نحو ثلاثة وعشرين جوربًا فقالت لي ان

اثني عشر زوجًا من هذه الجوارب كبيرة للرجال وثلاثة منها للاولاد الصغار الا ان هذا الجورب انعتني اكثر من البقية ثم ارتني جوربًا بالبًا بخرق منسح

وبعد ان تبادلت واياها بعض الالفاظ سالتها عن اخبار الطابق الثاني فقالت لم يجد شيء منذ خروجك

فصفقت لها بلطف على ذقنها وان تكن هذه الملاطفة ما لا ينطبق وفتشت على ظواهر عجزي ومرضي ثم اتجهت بعناء الى غرفتي

الفصل السابع عشر

التوقيف

وفي صباح اليوم الثاني وصلني من الموسيو كريس التذكرة المتفق عليها فان صاحبة المنزل دفعتها اليّ واصحبتها ببعض الاشارات والغمز ولا ريب ان هذه المرأة كانت حاصلة على كثير من الصفات الممتازة المستلزم وجودها في البوليس وهي تميل بلا اعتدال الى كل ما له علاقة بالدسائس والاسرار وقد ظهر لي للوهلة الاولى ان هذه التذكرة محررة بالعبراني فوضعتها على حدة وبقيت منتظرًا ان تسهل لي الصدفة او الحيلة الاجتماع بالسيدة بلاك فمضى ساعة والابواب مقفلة الا اني سمعت فقط بعض كلمات غير مفهومة يتبادلها الاب والابن ثم شبه امر موجه الى الفتاة بصوت منخفض قصير وكان يتخلل كل ذلك عزير خشن ولما لم يعد يسعني الجالدة على الصبر قطعت بعزمي واعتمدت ببسالة ان اذهب اليهم فاخذت التحرير بيدي وتقدمت بسكينة الى جهة الباب المرسوم عليه الصليب الاحمر ثم قرعته بلطف واذا صوت خشن يدل على الدهشة تبعه وقع اقدام ثقيلة ادركت منها ان الرجلين نهضا سوية بعجلة فتحذرت لنفسي ولا ريب اني كنت على وشك الاجتماع باناس في حال الحذر ولربما في حال الغضب ايضًا فخفق قلبي للوهلة الاولى ولكن ما لبث ان زال عني ذلك الاضطراب عند استماعي لوقع اقدام لطيفة تتقدم لجهة الباب فتظاهرت بما يمكن من السذاجة وعدم الاهتمام ووقفت مستعدًا لجميع الطوارئ

ثم شق الباب وظهر من بين الدرفتين وجه مصفر مضطرب فجعلت اسعل سعالًا مزعجًا وقلت العفو يا سيدتي عن جسارتي بتكدير راحتك ولكنني شيخ مسكين وقد كنت اعتني بكثرة الاشغال فما عدت قادرًا على تمييز احرف هذا التحرير الذي وصلني الان من احد اصدقائي هل لك ان تتكرمي عليّ بقراءته وعند ذلك ارسل من خلفها صوت خشن يعني النمرمر

فقالت فتح اللاب ثم تناولت التحرير من يدي وقالت لبيك سوف اقرأه لك بزيد المسرة الا ان اخاها تداخل عاجلاً بيني وبينها وصاح اعطيني هذه الرقعة حالاً

فنظرت اليه الفتاة بظاهر العزم والسكينة الذين صورها الموسيو بلاك بفصاحة تامة وقالت ما اسوأ ظنونك اعد الي هذه التذكرة يا كارلس فصاح اصمتي ثم حاول قراءة الاسطر القليلة المحررة على الرقعة المذكورة ولكنه اظهر بغتة الاستغراب وقال يا للشيطان انها محررة بالفرنساوية فقطر بالحي

فقاطعته الفتاة بسالة وقالت لا ريب انها فرنساوية لان هذا الصانع فرنساوي والصناعة مثله فرنساويون يكتبون بالفرنساوية ولك شاهد على ذلك من نسك هل يمكن ان تكتب لابيك بخلاف الالمانية

قال الاب حسن خذي هذه التذكرة واقرئيها بصوت عال حيث لا اسمح ابداً ان يحصل بحضورنا امور لا نستطيع فهمها

قلت اقرئيها اولاً باللغة الفرنساوية ياسيدتي لان هذا التحرير مرسل اليّ واما باشتياق مزيد لمعرفة مضمونه

فابدت الفتاة اشارة وداعة وقرأت ما يأتي

سكني روعك ياصديقتي فهو يحبك ويبحث عنك وسوف نغشاك السعادة بعد اربع ساعات فتشجعي واملكي نفسك

ثم لحظت وقتئذٍ انها تضطرب لانها عرفت الخط وادركت ان هذا الخطاب موجه اليها فصحت بلا اكتراث اشكر فضلك ان صديقي يعلمني بهذه التذكرة انه قادم لمشاهدتي ولانه سيدفع اجر غرفتي ثم نظرت الى اللصين بسذاجة لو اظهرتها في ملعب المرويات لاجمع الحضور على استحسانها وتصويبها

فسأل الاب وما هي ترجمة هذه الاسطر

فتظاهرت الفتاة بعدم التأثر حتى خفي على الجميع ما عداي وحدي سر الفرح الذي انعش فؤادها وقالت هاك ترجمتها كلمة بكلمة

سكن روعك ياصديقي وانف عن قلبك الخوف فهو يحبك ويبحث عنك ولم ينقطع ابداً عن مودتك وسوف تغشاك السعادة بعد اربع ساعات وتحصل على الرغبة باسرع ما يمكن فتشجع اذن واملك نفسك لا تيأس ابداً وكن جلوداً

ثم قالت اني ترجمتها ببعض الابدال لان اساليب اللغة الفرنساوية تختلف عن الاساليب

الانكليزية ولكنها ترجمة صحيحة مدققة وهنا التفتت اليّ منيسة وقالت لقد سرني عزم صديقك على المجيء لمساعدتك حيث من الموكد لديّ انك في احتياج شديد اليه

وردت اليّ التحرير فضوينة وانا لاهج بالتشكرات ورجعت جاراً ارجلي بعجز الى غرفتي

وكنت قد استغربت منها كثيراً هذه الجسارة وقلت في نفسي ان قراءة هذه الاسطر امام هذين الرجلين ضرب من الجنون الا انها نجت والحق يقال من اخطار هذا التهور بكثير من الذكاء والمهارة وذلك باعطائها لمجموع هذه العبارات معنى عاديا مألوفا لا يحتمل الارتياب وظهر لي كأني مديون لها بالجميل فبنيت انتظر بفروغ صبر ساعة الاجتماع بها لاعتقادي ان آمالها الجديدة المقرونة بالخوف تدفعها الى طلب مواجهتي عند سنوح الفرصة

وقد صدقت افكاري في هذا الموضوع حيث ما لبثت الفتاة المذكورة ان خرجت الى الرواق بعد مدة بحجة استنشاق الهواء وتقدمت بجرارة اليّ واصبعها على شفتيها فنهضت لمقابلتها ودفعت اليها رقعة كنت قد هيأتها من قبل ثم اشرت اليها بلزوم السكوت وعدت الى اشتغالي اما هي فجعلت تقرأ بعجلة الاسطر الآتية

متى خرج ابوك اسرعي بالمجيء الى غرفتي واحضري معك فسطاناً آخر خلاف فسطانك العادي ولفي رأسك جيداً بشالك ثم اتركي هنا الشال والفسطان وانسحبي الى الغرفة المواجهة للسلم ومن اللازم ان تحافظي على هذا السر ولا تخالفي شيئاً من هذه التعليمات حيث لا بد من ايقاف ابيك واخيك ولو مهما حصل الا انك متى تصرفت بحسب اقوالي تحقن الدماء ويتوفر على من تعرفينه العار والفضيحة

ومن المستحيل استيفاء الشرح عن ملامح وجهها عندما علمت المراد بهذه المتذكرة فسقطت الرقعة من يديها الى الارض وارسلت اليّ نظراً مستكيناً مستفهماً فاجبتها على ذلك بالاشارة الى الاسطر المنفية عند اقدامها فاحنت رأسها بحزن وانسلت الى خارج الغرفة اما انا فتناولت الرقعة المذكورة سريعاً واعدمتها ثم اقفلت باب غرفتي للمرة الاولى منذ دخولي اليها متنكراً لان المصور الفرنساوي انهى مهمته وصار من اللازم ان يتحول من الآن فصاعداً الى الموسيو بوركول معاون البوليس

وفي نحو الساعة الثانية بدأ رجال البوليس يتوافدون فوصل اولاً الموسيو كريس وذهب للاختباء في دائرة متسعة مقابلة لغرفتي وبعد منية حضر انسان من اقوى البوليس واشدهم نشاطاً وكانا قد خلعا احذيتهما عند اسفل السلم فصعدا بلا احذية وتمكنا من الدخول الى الدائرة

المذكورة بدون ان ينتبه اليها احد من اللصين ثم دخلت اخيرًا صاحبة المنزل الى الغرفة الصغيرة التي تعينت لاخفاء السيدة بلانك بعد ان تركت لي قسمًا من ثيابها

ولم يبق عليّ بعد نهاية استعدادي الا ان انتظر ذهاب هاتين اللصين شوقًا كبيرًا فجعلت اسأل نفسي قائلًا هل يمكن ان لا يتغيب عن المسكن بعد ظهر ذلك اليوم وهل انتهي يا ترى الى شيء من مقاصدي ولكن شاء لحسن الحظ خلاف ذلك حيث لم تدق الساعة الثانية بعد الظهر الا فتح الباب وسمع وقع اقدام ثقيلة فان ذلك الجبار تجاوز المشي وهو يضرب بعصاه على جدار غرفة الموسيو كريس واصحابه ثم وقف برهة لاشعال غليونه امام الغرفة التي فيها صاحبة المنزل مع ابنة جارتها وانطلق بعد ذلك الى خارج الدار وكانت السكينة سائدة على ذلك المكان ففتحت بابًا دخلت منه الى غرفة صغيرة متصلة بغرفتي وبقيت هنالك انتظر قدوم السيدة بلانك واذا بها قد حضرت بعد قليل ثم تركت سكوت المصطاد والشال الذين خرجت بهما من غرفة ابيها وانسلت الى الدائرة التي عينتها لها

فلبست سريعًا الثياب المذكورة ولبست رأسي جيدًا بذلك الشال واخفيت بمحرمة الجهة السفلى من وجهي واتجهت لناحية الغرفة التي خرجت منها

وكان الباب مشقوقًا فتفقدت بما في الامكان مايسبب الثقة الى اريد اننا ذهبا ودفعته بلطف واذا الاب قائم على مقعد من خشب المذكور وهو منهمك بالعمل على الطاحونة ما احببت تقريبًا الى الارض وانهضت بما يقرب كثيرًا من تلهف الساحر ثم تمكنت بسرعة من بلوغ مقعد واطئ بقرب النافذة اما الاب فصاح بصوت خشن يا الشيطان لا يستهلك الا ان تعوي كالكلاب بعد هذا اللهاث

فلم اقل كلمة وبقيت جالسًا مكاني ومحولًا وجهي الى جهة النافذة حتى استجب اشاهد واجبره على النهوض والدنو مني حيث من المستحيل معاكسته بالنظر الى عدم عصارته ما دام مواجهًا للباب اما هو فلم يتحرك من مكانه ولا اعلم هل نتج هذه السكينة عن كسل او عن بلادة

وفي ذلك الحين سمعت حركة اقدام الموسيو كريس واصحابه في الرواق بما دفعني الى المخاطرة فارسلت صوتًا مختنقًا وانحنيت الى الامام مسندًا جبهتي الى الزجاج كانما كان حاصلًا على العثر بق حادث غريب يستوجب اهتمامي الزائد

وعند ذلك تنبهت منه سريعًا الى الشكوك والمخاوف فوثب منتصبًا على قدميه ثم ارسل عزيرًا شديدًا واتجه نحوي قائلًا ماذا حصل وما هذا الذي تنظرينه

وما كاد يصل اليّ الا اندفع الى الغرفة الموسيو كريس ومعاونوه الاثنان وانقضوا عليه انقضاض البواشق وعصروه بين اذرعتهم فما امكنه المقاومة بالرغم عن قوته وباسه وسلم لهم وهو يئن انات الغيظ

ثم جاهد بعنف للتخلص من ايدي مستاسريه مندفعاً نحوي حتى امال معه البوليس الى الارض وصاح انت سبب كل هذا ايها الخاسر اه لو كنت قادراً ان اصل اليك ولو دقيقة واحدة ثم نادى لوترا وقال هل سمعتني ايها البنية للبيت اذهبي وامحي عن الباب الصليب الاحمر والا . . . انت تعلمين ماذا افعل سمعت

فنهضت مغطياً وجهي كالاول وانفذت امره الا اني ما لبثت بعد كم جيد ... وشد وثاقه ان اخذت قلم الرصاص الذي ابقيته معي ورجعت الى الباب رسم الصليب الذي محوته

وكان مرادنا وقتئذٍ الاستيلاء على اللص الثاني بنفس الوسائط التي استعملت للقبض على الاول فامر الموسيو كريس بنقله الى الغرفة الصغيرة المحاذية للغرفة التي اختبئت فيها ابتداء الى ذلك الحين ثم انسحب اليها هو واصحابه وتركني وحدي انتظر رجوع الابن

وبقيت انتظر نحو ساعة تقريباً كانت لديَّ بمقام الاجيال الطويلة واذ سمعت اخيراً وقع اقدام ثقيلة في الرواق وكان القادم المذكور صغير اللص فدفع الباب بضربة من قبضته دلالة على الغضب وفروغ الصبر لما ابديت حراكاً اما هو فوقف فجاءة عن التقدم وسال اين ابي

فاستمررت على النظر من النافذة وهززت راسي

قال ما المعنى يا ترى ببقائك جامدة بقرب هذه النافذة كمجنونة لا تجاوبين على سوالي

فلم اجب وبقيت ملازماً السكوت والسكينة

والذي يظهر انه استلمح بابهام وجود خطر عليه فارتعش ولبث مكانه بلا حراك يرسل اليَّ اعيناً متقدة بنار الوعيد ولما طال الوقت ولم يتحرك نهضت وابديت اشارة وانا منعطف الى جهة النافذة كاني اخاطب احداً بعلامة متفق عليها وقد توفقت كثيراً بهذه الحيلة لان الرجل المذكور ما لبث عند هذه الاشارة ان ارسل عريراً شديداً ما زال صوته في اذني ثم شد بعنف على عصاه الغليظة ووثب عليَّ باشداق يتدفق منها زبد الغيظ وفي الحال انقض عليه من خلفه رجال البوليس وسقط اسيراً في نفس الفخ الذي نصب لابيه الا انه تمكن مني قبل سقوطه بضربة من عصاه جندلتني عند اقدامه وكانت المسبب بالم شديد الم براسي منذ ذلك الحين ولم اشفَ منه الى الان

وفي ذلك الوقت لم اشعر بشدة اوجاع هذه الضربة وبما صدقت ان رجعت الى صوابي حتى نهضت وخلعت ثياب الفتاة التي لبستها للتنكر ثم ذهبت بزيد الارتقاء لاتمام مهمتي التي توفقت بدايتها بالنجاح

الفصل الثامن عشر

حب وواجب

وبعد ان صرفنا معاوني البوليس الاثنين الذين ساعدانا بتوقيف اللصين ذهبت انا والموسيو كريس الى اسيرينا المذكورين فنال لهما رئيس الرسالة السكينة وكنا عن هذا العرير فقد قبض عليكما والاصوب ان لا تفعلا ما من شأنه تجسيم الاحوال

قال الاب اه ثم اه لو قسط ابنتي بين اظافري ثم سال اين هي اريد ان اراها

قال الموسيو كريس سوف تراها ولكن عندما يحضر زوجها لحمايتها

فصاح الابن زوجها . هل لك علم بهذا القد سمعناه انه واسع الثروة عزيز الجانب فلماذا لا يحضر ويرانا على هذه الحال مطروحين كالكلاب هل يهون عليه يا ترى ان يساق ابو امرأته وشقيقها الى السجن

وكان الموسيو كريس قد نبه الموسيو بلاك باشارة متفق عليها الى ضرورة مجيئه فاجاب على كلام اللص بقوله قريباً يحضر وسوف يقول لكما بنفسه ان السجن هو المكان الوحيد الموافق لكما

فصاح اللص يا للعنة ولكن هو ...

قلت ماذا

وعند ذلك فتح الباب ودخل الموسيو بلاك مصفراً مضطرباً فلم يجاوب اللص على سؤال الموسيو كريس ثم اجهد الاب والابن نفسيهما على الجلوس بقدر ما مكنتهما القيود وجعلا يتاملان بتلك وجه الزائر الجديد

وبعد هنيهة عاود الابن امتلاك حواسه وقال بصوت وقح السلام لك يا صهري

فارتعش الموسيو بلاك وارسل نظراً مستفهماً الى ما حوله ولم ينتبه لامرأتي فبادر الموسيو كريس الى تسكين هواجسه وقال انها طيبة وهي بامان وسلام في الغرفة المجاورة واذا اردت احضرتها اليك

قال اخر ذلك الان ودعني اتحدث اولاً مع هذين اللصين واعلم لاي شيء معرضة امرأتي من قبلها

قال الاب ساخرًا امرأتك ليس لك ما تعرفه في هذا الشان والقضية الوحيدة التي يجب معرفتها هي كيف يحسن لديك ان تجري معاملتنا بهذه الصورة وما الذي تفعله لاخراجنا من هذه الورطة

قال الموسيو بلاك لا افعل شيئًا على الاطلاق لانكما مستحقان للعقاب وسوف تجري عليكما الحكامة بدون ان اهتم بذلك

فصاح الابن ان هذه المعاملة من قبلك يترتب عليها افتضاح امرك في الجرائد

فقاطعته وقلت ان سر هذه الحادثة سيبقى مخفيًا عن الجرائد حيث من اللازم ان يتبر هنا قبل مفارقة هذا المسكن كل تذكار قرابة لكما مع الموسيو بلاك وزوجته ومن تاريخ هذه الساعة لم يعد مسموحًا لكما التلفظ باسميهما . اني اعرض هذا كشرط وسوف تعملان بموجبه

قال الابن ومن تكون انت حتى تعرض شروطًا وما ادراك اننا نطيعك وامرك هل تقدر يا ترى على اكثر من ارسالنا الى السجن الذي فررنا منه

فاقتصرت من الجواب على اظهار حلقة جنزير الجانيين التي وجدتها بين الرماد في موقدة المطبخ عندما زرت الفندق القائم على مفرق كرامبي ثم حملقت نظري شاخصًا الى اللصين

فظهر على وجهيهما اشعة وحشية خمدت فجأة ثم استولى عليهما اصفرار ضارب الى الزرقة

وكان من هذا الجواب المعنوي ان نجحت به فوق امالي فقلت اني وجدت هذه الحلقة في الموقدة التي حرقت فيها ثياب سجنكما وهي حقيرة ولكنها تكفي اذا اردت استخدامها لارسالكما الى المشنقة هذا فضلاً عن اسرار الوادي القريب من منزلكما القديم وجثة احد الباعة . . . .

فصاح الاب بصوت مختنق يختلف بغرابة عن اللهجة التي تكلم بها الى ذلك الحين كفى كفى الق هذه الحلقة اللعينة من النافذة فاعدك بالسكوت عن كل ما تريده انا لست حيوانًا . . . .

فاعدت الحلقة الى جيبي وقلت ولا انا ايضًا واعلم اني ما دمت حاصلاً على هذه الحلقة وغيرها من الحقائق التي وقفت عليها اخيرًا بخصوص اعمالكما في الفندق تبقى حياتكما معلقة بخيط اطراقه في يدي والموسيو بلاك الموجود هنا توقف عندكما بضع ساعات وهو يعرف ذلك الوادي واذا كان قد نجا . . .

فارتعش الابن خوفاً وصاح ما بالك لا تتكلم يا ابي اذا كان مرادكم الحصول على سكوتنا صرحوا وكفى تذكروننا بالشبه . . .

فقاطعه الموسيو كريس وقال ما ك بلاغتا الاخير سوف ترجعان الى السجن انفاذاً للحكم الصادر عليكما وهذا من الامور المقررة التي لا مناص لكما منها ولكن اذا احسنتما سلوككما وبقيتما ساكتين عن قرابتكما لامرأة الموسيو بلاك يوضع لكما شهرياً في البنك مبلغ من المال فتستوليان عليه مع فوائده عند اطلاق سراحكما . ثم التفت الى الموسيو بلاك وقال الا تصادق على ذلك

فابدى الموسيو بلاك اشارة المصادقة اما الموسيو كريس فاستتبع الحديث كانه لم يلاحظ النظرات التي تبادلت وقتئذ بين الاب وابنه وقال لكن اذا اعلنتما انكما اخلفتما وعدكما ولفظتما اسم الموسيو بلاك فحينئذ لا تمحى عنكما الدراهم فقط بل يكشف ايضاً عن جنايات السرقة والقتل العديدة التي ارتكبتماها والمشنقة تضمن سكوتكما بسرعة فلما ترى فكما

وكان من هذه الكلمات القاسية ان ضعضعت هذين الشقيين فارسلا الينا نظرات الخوف الخالية من شبه الجسارة والقحة ثم شخص الاب ينظره الى جيبي وقال هل تعدون انتم الثلاثة بالمحافظة على سرنا اذا حافظنا على سركم

قلنا نعدكم بذلك

قال حسن ارجوكم ان تحضروا لوتراجيت مرادي ان اشاهدها المرة الاخيرة قبل ذهابنا الى السجن

فارتعش الموسيو بلاك وشاهد الاب ارتعاشه فقال انا لا اتسبب بكلمة لانها ابنتي على كل حال واني لم اودعها . . .

فسحب الموسيو بلاك العجلة التافهة وقال دعه يشاهد ابنته فانا . . انا . . اريد ذلك

وعند ذلك اسرعت بالخروج وقصدت رأساً الى الغرفة المختبئة فيها الفتاة ثم ضربت بلطف على الباب ودخلت واذا هي جاثية على ركبتيها تتمنى الاوجاع والعذاب كانها تصلي وراسها بين يديها فقلت لها بعد هنيهة من التامل لقد توفقنا يا سيدتي يابنا في الجانيين وابوك يريد ان يودعك قبل ذهابه الى السجن فهل تريدين الحضور معي لرؤياه

فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت زوجي . . زوجي . . الموسيو بلاك . . اني سمعت صوته في الرواق

قلت انه هنالك ايضاً ولم يحضر لاخذك الا اجابة لامره

فوقفت بلا حراك ولا اعلم عيانه افسر ملامح اعينها التي بقيت شاخصة الى الباب

بجهود غريب

قلت الا تريدين الذهاب اذن

قالت بلى اريد الذهاب الى مشاهدة ابي ولكن . . .

ثم وقفت فجأة عن اتمام الحديث وتاخرت مرتعشة الى صدر الغرفة وكان قد سمع وقع خطوات في الرواق ثم في المشى ثم في الغرفة وظهر بيننا الموسيو بلاك فصاحت بتعجب الموسيو بلاك

وقد شف ذلك الصوت المتأثر بعذابات الاشهر الاخيرة عن كثير من الالم والياس والرغبة الا ان لهجتها كانت خالية من التوسل والرجاء

اما الموسيو بلاك فمد اليها ذراعيه ثم احجم عن ذلك وقال بصوت حزين فهمت . . فهمت من اللازم اولاً ان اعترف لك بخطائي واستمد منك المغفرة

فصاحت الفتاة لا . . لا . . يكفيني مجيئك الي لا اريد اكثر من ذلك واذا كنت قد حكمت عليّ بقساوة . . .

قال بقساوة ثم اكمل حديثه باستعطاف عشقي وقال يالوترا اني سعيد بالاقتران منك وقد جئت اليك لاطرح على اقدامك احترام قلبي واخلاص حياتي باجمعها لان هذه السنة الطويلة المشومة عرفتني قيمة الملاك الذي تركته بجنون يوم زواجي . . اوترا . لوترا . الا تحسبين ما اسديت بصفح بعهد الي راحة افكاري واعتبارك الذي هو خير لديَّ من جميع خيرات الارض

ثم مد يده اليها فانار وجهها بسمة لا توصف ولكن امسكت عن اعطائه يدها وقالت فصرح لي بمثل هذا بيننا ابي واخي مقبوض عليهما ومشدود وثاقهما على بعض خطوات منا بحراسة وكلاء البوليس وهما من القتلة كما لا يخفاك

قال لا بل بالعكس اصرح بهذا في اليوم السعيد الذي وجدت فيه زوجتي التي ابحث عنها منذ زمن طويل ولا يمكنني ان اخاطبها بخلاف هذه الالفاظ احبك احبك احبك فاخفضت راسها منبسطة وتمتمت الان صرت في مأمن من التعاسة ثم تغيرت احوالها فجأة ورفعت راسها بافتخار وقالت بصوت ثابت خطير انت رجل طيب ياموسيو بلاك وانا التي سكنت مختبئة عندك مقدار سنة ولم يفتها شيء من اعمالك الخيرية منذ صغرك الى الان يمكنني ان اقدر هذه الطيبة اكثر من جميع الناس لا تدفع نفسك بقوة المكارم الى عمل يورثك الاسف والندامة الى يومك الاخير واعلم اني انا التي ربيت في مدرسة المصائب في شجاعة كافية وبسعني ان اقيك من بواعث العار والاوجاع ثم حدقت نظرها فيَّ وقالت قلت انك تريد اعتباري وحبي

بصفة كوني امرأتك هل فكرت جيداً بمعنى هذا القول

قال نعم والمعنى بهذا اني ما عدت اريد ان يسحق قلبي باليأس وتبكيت الضمير

فلم تقطب حاجبيها الا ان وجهها امتقع كأنها عرضة لفاعل الاوجاع الشديدة وقالت لا بل المعنى بهذا الحاق العار باعظم ما ثلات البلاد المعنى بهذا اشتراء السكوت لدفن ماض مدنس بالجناية والتنكر لمستقبل يكدره خيال السجن المعنى بهذا جبال من الغش كل منها اشد ايلاماً من الاخر المعنى بهذا — فليعطني الرب نعمة الاقتدار على اتمام الحديث — عيشة بلا تذكرات مقدسة وزوج فاقد الاحترام المعتاد عليه ثم امرأة تفترس قلبها المخاوف المستديمة ولربما اولاد ايضاً . . نعم اولاد لا يمكنهم ان يلفظوا بلسانهم ذلك الاسم المقدس «جدي» ولا تحمر وجوه والديهم حياء وخجلاً وسكون سؤالاتهم الطاهرة سبباً دائماً للخجل ومضايقة والديهم

قال ان اخاك واياك يا لوترا قد انصبا لمحو اسميهما من سر حياتنا فما عدت تسمعين ذكرهما وسوف يبقى الخيال الذي تخافينه مسكناً في اعماق قلبك لمدة من الزمان ولكن ابداً . . ابداً . . لا يستولي على معيشتنا الهنيئا توسل اليك يا حبيبتي العزيزة ان تتولي حراستها كملاك ان العالم سواء تبعتني او لا سيبقى جاهلاً على الدوام ان لوترا بلاك هي لوترا شوتماكير الا تريدين ان تنكرهي علي بسعادة التعويض عن الماضي حتى نصلي الآن ايضاً الى يوم نسمين فيه انك دعيت قبلاً بخلاف الاسم الذي شرفته بنورك

فاضطربت لوترا شديداً لهذا الحديث وقالت هذا كثير فانا امرأة يا موسيو بلاك وبالتابع ضعيفة وحساسة وما اظهره من الثبات والفرح مدفوعة اليه باحساسات الواجب علي للرجل الذي اليت على نفسي الآن شرفه وفي حنرمة اني تركتك منذ احد عشر شهراً لان شرفك ومسرتك استلزما ذلك والآن امنع عن جميع الافراح التي تعرضها علي لان مركزك في الهيأة الاجتماعية وسعادتك الشخصية يستلزمان هذا الامتناع

فصاح الموسيو بلاك سعادتي الشخصية آه لو كنت تحبينني يا لوترا كما احبك

اما الفتاة فاستتبعت حديثها وقالت نعم ينطبق لربما كنت اسلم معك لو لم احبك كفتاة نشأت بين اناس تجنبها العالم فانت الذي انار قبل الجميع الظلمات التي تحيطني بنور لامع ودلني على سبل الطهارة والشرف والمذكاء وساكون ادنى النساء اذا اتخذت منك هذه المكارم حقيقة و . . .

فعاود الموسيو بلاك مقاطعتها وقال عندما قبلت بالاقتران مني يا لوترا كنت لا تجهلين ان اباك واخاك يرتكبان الجرائم

قالت نعم ولكن كنت معمية وقتئذٍ بما يصيب الفتاة من الحب المقرون بالامتنان والتحمس وهو يختلف كثيرًا عن حب الزوجة التي شربت من كاس مرارة البشر وذاقت بمصائبها اقراح الضحايا المشومة واحلف لك اني ما ادركت وقتئذٍ فرق عملي و زد على هذا ان ابي واخي لم يكونا بعد من الجانين المحكوم عليهم او على الاقل كنت لا اعلم ذلك وكنت لا اظن اني اعود الى مصادفتهما في حياتي ولا يخفاك ان هذه الروابط لا تنقطع بسهولة وانت تعلم انهم وجدا في وسوف يجدانني ايضًا

فصاح زوجها ابدًا . . ابدًا . . . ومن الان فصاعدًا سيكونان بحكم الموتى بالنظر اليك لاني اتخذت جميع الاحتياطات الضرورية لهذه الغاية

فسألت والعار هل بسعك اتخاذ شيء من الاحتياط ضد العار . لا لعمري انه سيبقى دائمًا ومن اللازم ان احمله وحدي اني احبك حبًا لا تفي بايضاحه الالفاظ ولكن لا يمكن ابدًا ان اقاسمك حياتك ما دام جبيني ملطخًا بالعار فهذه هي اسباب امتناعي وليس لدي اسباب اخرى غيرها اني عازمة الان على الانسحاب الى احدى القرى الحقيرة وسوف ابرهن هنالك على حبي بالصلاة الى الرب صلاة حارة من اجل الرجل الذي سأستمر محافظة على عبادته الى النفس الاخير

ثم اتجهت متمهلة باشارة جامعة بين الحنو والسلطان الى جهة الغرفة الثانية حيثما ينتظرها هنالك ابوها واخوها

فصاح الموسيو بلاك انها لا تريد ان تفهم كلامي وهذا المقدر من الاوجاع فوق احتمالي ثم مزق ورقة من جزدانه وكتب عليها بحرارة بضعة سطور والتفت الي وقال هل تريد ان تكلف الخاطر ياسيدي بارسال هذه التذكرة الى منزلي وتسليمها الى السيد دانيال قدعون حالًا لاحد معاوني البوليس وارسلته سريعًا بهذه المهمة

اما الموسيو بلاك فجعل يتمشى بهياج وفروغ صبر على طول الغرفة وهو يقول لربما نسمع لنداء امرأة

ولما لم يعد لوجودي في ذلك المكان من فائدة اجبت داعي الفضول وذهبت الى الغرفة الثانية حيثما تودع لوترا اباها وكان الموسيو كربس في الشرفة فوافيته اليها

وقد انهت لوترا ذلك الوداع بقولها لا انسى ابدًا ان دمك جار في عروقي مع دم امي الحنونة الصالحة ومن اللازم كيف كان نصيبي ان اهتم باخفاء هذا الراس الذي اخفضته باعمالك الى التراب ثم تأكدا انتما الاثنان اني سأصلي بلا انقطاع من اجل ندامتكما وارتدادكما الى حياة شريفة عسى يتنازل الرب الى مباركة صلاتي ويلهمكما الخير ويسعني الحصول يومًا ما على

ركبتي

وعندما انتهيا من هذا الحديث كان الجواب الوحيد منهما على مثل الاقوال المؤثرة اصوات التذمر الخشنة التي لا تدل على استعداد ذات حسنة فاسرع الموسيو كريس واصحابه الى الاقتراب من هذين اللصين الغليظي القلوب وساقوهما الى السجون

ومع ان لوترا كانت تتوقع هذا الذهاب اضطرب وجهها المصفر بملامح الالم عندما خرج اللصان واقفل الباب من خلفهما

والذي يظهر انها فطنت بعد ذلك الى المناقشات العنيفة التي لا بد من حصولها بينها وبين الرجل الذي كانت وما زالت تحبه شديداً فشبكت يديها على صدرها وبقيت تنتظر بثبات مجيء زوجها

ولم يصل معاونا البوليس واسيراهم الى خارج المسكن الا دخل الموسيو بلاك تتبعه السيدة دانيال وامرأة اخرى يغطي وجهها حجاب نقاب تخبت وبرس كبير وكانت المرأة المذكورة هي الكونتيسة دي ميراك

فاحدثت هذه المفاجئة تأثيراً حساً جرح لوترا وقتياً من اسلحة الدفاع فمدت يدها بتودد الى مديرة المنزل وصاحت بتلهف السيدة دانيال

اجابت قلبنبارك اسم الرب ياسيدتي العزيزة الذي ردك علي وسمح لي برؤياك صحيحة سالمة

فنظرت الفتاة باضطراب الى اعين السيدة دانيال الطافحة بالدموع وقالت لقد رجح في ذهنك ولا ريب انني قليلة الاهتمام بما يصيبك من الحزن والقلق عقيب اختفائي ولكن الصحيح انه كان من المستحيل علي وقتئذ تنبيهك باقل الاشارات بدون ان اعرض للخطر حياة الرجل الذي احببته الى حد ان نوبت على مفارقة منزلي حتى لا يلحقه ضرر بسببي اريد حياة سيدك ياعزيزتي دانيال

فسأل الموسيو بلاك ماذا .. هل رضيت اذن بالذهاب معهما من اجل انقاذ حياتي

قالت نعم ولولا ذلك لما تصرفت هذا التصرف وكان في وسعهما ان يقتلاني ولا اطلب الرحمة ولكن عندما تهدداني ...

واذ ذاك قبضت السيدة دانيال على احدى يدي لوترا المرفوعة ثم دلت باصبعها على اثر جرح محيط بقبضتها وصاحت ما هذا ياسيدتي

فتلون خداها بحمرة طفيفة وظهر عليها كأنها مترددة بالجواب اما السيدة دانيال فداومت

كلامها وقالت عندما نظرتك للمرة الاخيرة كانت يدك خالية من هذا الاثر

اجابت بتأسف صحيح ان الظروف حكمت في تلك الليلة الماثلة ان اجرح نفسي جرحًا طفيفًا ولكن مالنا ولهذا الان ما عدنا نتكلم بخصوصه

قال الموسيو بلاك لا بل بالعكس يالوترا يجب ان تتكلمي عنه حيث مرادي ان اطلع على كل شيء حصل في ليلة اختناقك ثم اخبريني ايضًا كيف امكن الاكتشاف على مكان وجودك

فباشرت الفتاة الحديث بلهجة من الاوجاع بتحويل ايضاحها وقالت ان نزولها على منزلك في اول الامر لم يكن للبحث عني بل للسرقة فقد سمعا عنك انك من اصحاب الثروة العظيمة ومنظر السلم المنصوب على طول الجدار حركها للعمل وكانا قد استأجرا منذ بضعة ايام هذه الغرفة التي نحن فيها حتى براقبا منها مداخل منزلك ثم اضطرت ايديهما من الدراهم ولم يكن في وسعها الخروج من نيويورك للوصول الى الدراهم المدفونة في فبو الفندق بقرب فيرمونت الا ان اخي اجبرا اخيرًا على الذهاب الى ذلك المكان وعندما نظراني عندك اخذتهم الدهشة فانهما صعدا الى سطح البناية الجديدة ثم رفعا ستار النافذة الخارجي المتوحة وكان لي عادة ان افتح نافذتي في كل ليلة مقدار بضع دقائق قبل الرقاد وصدف في ذلك الحين اني اشعلت القنديل قرب طاولة التزين وهممت الى مشط شعري فعرفاني للنظرة الاولى وارسلا نوعًا من الصفير معروفًا مني ثم اتجها الى جهة محايدة وامراني ان اطفئ القنديل حتى يسعهما الدخول عليَّ بلا خوف وكان تصعضعي وقتئذٍ شديدًا الى حد ان اطعت حالاً بدون ان افكر بالنتائج الممكن حدوثها عن هذا العمل والذي ظننته اذ ذاك انهما اكتشفا على مكان وجودي وانهما قادمان يطلبان مساعدتي فقلت لهما ماذا تريدان ولماذا دخلتما الى غرفتي بطريق النافذة في وسط هذا الليل الم تخشيا وجود من يعرفكما ويسعى بارجاعكما الى السجن الذي قررتما منه

فاجاباني وقتئذٍ بما ارعب فوادي واعلمني بمقدار الجنون الذي ارتكبته بادخال اثنين من قطاع الطرق الفارين من السجن الى منزل الغير حيث انا لانا نريد دراهم ولم يعد لنا ما نخافه بوجودك

وعند ذلك ارسلت صوتًا مرتعبًا اما هما فلم يتأثرا لهذا الصوت واعلماني بسكينة انهما سينتظران عندي الى ان ترقد جميع الخدم ثم ادلها بعد ذلك على خزائن الامتعة الفضية وصندوق الحديد الموضوعة فيه اموال الموسيو بلاك ظنًا منهما اني خادمة في ذلك المسكن ولم يخطئا لاني كنت حقيقة خادمة وقد تحت تمثيل هذا الدور مدة مديدة فاصررت على المقاومة والرفض الى ان فرغ صبرهما فتركاني واعتمدا على النزول وحدهما الى الطابق الاسفل وعند ذلك تغلب فيَّ

الخوف على المتعقل فتوسلت اليهما ان لا يؤذيا احداً وقلت لهما ان هذا المسكن هو لزوجي فدهشا لهذا الخطاب واكثرا من سؤالي عن ذلك فكشفت لهما عن تمام الحقيقة ولكنني تأسفت بمرارة على هذه الخطاء لانهما ادركا الان الفوائد التي يقدران على الانتفاع بها بهذه المكاشفة وغيرا خطتهما فلم يعد للامتعة الفضية والصندوق الحديدي الا اهمية ثانوية بالنظر اليها اما الغاية التي انصرفت اليها افكارهما وقد اظهرا استعدادهما لجميع المخاطر من اجل انفاذها فهي انتشالي ثم الاهتمام بعدئذ للحصول على مبلغ عظيم من الرجل الشريف الذي اعطاني اسمه واعتبرني امرأته الشرعية ولكنني ابيت الانقياد الى مرغوبهما

وبعد ذلك اظهرا الاستغراب وتعذر عليهما ادراك المراد من امتناعي عن اشغال المركز العظيم والتمتع بالثروة الوافرة التي تمنحني اياها القانون فباطلاً توسلت اليهما باسم الحب وتهددتهما بالكشف عن مقاصدهما الشريرة لتحويلهما عن هذه الافكار واقناعهما ببطلان هذا الكنز الذهبي الذي تصورا ظهوره فقال الاب لا بد من اخذها بك معنا طوعاً او كرهاً ثم تقدم الاثنان نحوي بعد ان القيا كرسياً الى الارض ومزقا احدى ستائر النافذة التي تمسكت بها وعند ذلك جرحت نفسي هذا الجرح الصغير الذي نظرتم آثاره وكان قصدي بذلك ان اثبت لهما ان التهديد لا يخيفني واني لا اتقاعس عن سفك دمائي ولكنهما بصيحات وجعتها سدى بمحاولة اخذي بالقوة وكان من حزني وسكينتي ان احدثا فيهما بعض التأثير فتهدداني بقتل زوجي واذ ذاك اصابني كثير من المخاوف فتعذر علي اخفاؤها بالرغم عن الهامات الحكمة والتعقل فجمعت بعض الاشياء التي اعزها كثيراً كالخاتم خطبتي وصورتك يا موسيو بلاك التي تكرمت علي بها السيدة دانيال ثم لبست قبعتي وبرنسي واعتمدت على اتباعهما منقادة للقوة وفي تلك الساعة قرعت يا عزيزتي دانيال على الباب ولكن جميع قواي كانت قد نفذت وقتئذ وكنت متيقنة انك لا تقدرين على مساعدتي بشيء حيث ما الفائدة يا ترى من ايقاظ جميع اهالي المسكن خلاف افتضاح سري وتعريض حياة زوجي للخطر ثم لا يبرح عن بالك من جهة ثانية انهما اقرب اقربائي ولا يمكنني ان اعتمد على خيانتهما الا في الدرجة الاخيرة

وكان الفرار من النافذة صعباً على كثير من النساء اما انا فلم استصعبه لاني ربيت كما تعلمون على الاقدام وكنت معتادة على التمرينات الجسدية ومن السهل علي ان انزل سلماً علوه ٤٠ قدماً الا ان الفكر الوحيد الهائل الذي كان يوقف رجلي عن السير ويلقيني في جنون اليأس هو ترك حياة السلم والطهارة والعودة ثانية الى الجحيم

وعندما نزلنا الى الطريق بحثت عن بعد معاونا البوليس فاندفعت بيأس لمحاولة الفرار

وتمكنت من ذلك فركضت مذعورة الى جهة شعرية الدار واذ وجدت نفسي وجهاً لوجه امام الرجل الذي اخشى تكديره اكثر من كل شيء في العالم تنظر اليّ من خلف الشعرية باعين خشنة قاسية وكنت لا اقدر على احتمال هذه الصدمة بالنظر الى ضعفي فنفدت صوابي ورجعت على اعقابي راكضة الى ابي واخي وكانا بانتظاري عند عطفة الممر ولست اعلم كيف تصادف وجودك هنالك ياموسيو بلاك ولا لماذا اصررت على البناء مكانك ولم تلحق بي

اجاب زوجها ان الباب كان مقفلاً جيداً ولم يكن مفتاحه معي وزد على هذا ان القفل كان قوياً جداً ومن المستحيل امكان كسره او فتحه

فتممت الفتاة ان المفتاح المذكور كان مع ابي لانه بقي مقدار اسبوع كامل يترقب الفرص للاستيلاء عليه الى ان نجح بمشروعه في نفس ذلك المساء وفي صباح اليوم الثاني صرحا يعطا ليبهما وقالا لي اني حرة بالرجوع حالاً الى المنزل بشرط ان اتقدم اليك بصفة كوني امراتك الشرعية لتخصيصها بمبلغ من المال واكدا لي انهما لا يريدان الا راسمالاً معتدلاً ثم الوسائط اللازمة لترك اميركا وانهما يتعهدان اذا اتممت لهما هذه الرغبة بعدم العود الى هذه البلاد وكان لا يمكنني ان اتساهل معهما بهذا الطلب فرفضته ونالني في عن هذا الرفض اسابيع عديدة من السجن والعذاب ولكنني مع هذا لست متكدرة من ايام العذاب المذكورة لاني حصلت منها على تاكيدات اعتبارك وتيقنت اني اينما ذهبت يتبعني فكرك طافحاً بالحنو اذا لم اقل بالحب

وعندما انتهت من قصتها عاودتها مظاهر التحرس والعظمة كانها تمنع الرجل الذي تعبده عن التقدم اليها بشيء من المطالب



الفصل العشرون

لمدى الحياة

ولم يكن الموسيو بلاك من الذين يتاخرون بسهولة عن انفاذ رغائب فوادهم فقال لها يخصوت متناهٍ بالحنو هل تظنين بعد كل ما فعلته وتحملته من اجلي انه يحق لك ان تخالفي رغبة فوادي الوحيدة كيف تستطيعين توفيق ذلك بالموتر على انكار اخلاصك السامي

قالت اني احسب للمستقبل ولم ارد تكديرك بهذه الاوجاع الوقتية الا لاوفر عليك سنين عديدة من الحزن والقلق

فتقدم الموسيو بلاك خطوة الى الامام وقال انك لا تعلمين بعد ما هو قلب الزوج يا لوترا ان خسارتك الان لا تكسرني باوجاع وقتية كما تدعين ولكنها تطرحني في لجة من اليأس تقودني الى القبر

قالت فاذن انت . .

ثم وقفت محرجة عن اتمام الحديث وعند ذلك انبرت السيدة دانيال وقالت العفو ياسيدتي انت تعلمين اني اخدم هذه العائلة منذ سنين عديدة واحبها واحترمها فوق كل شيء وانا اقول لك الان ان واجباتك تحكم عليك بلزوم العود الى زوجك

وكانت الكونتيسة دي ميراك ملازمة الاعتزال الى ذلك الحين فتقدمت الى وسطهما وقالت اني انا ايضاً التي دعيت بهذا الاسم بلاك وتمكنت منها الكبرياء اكثر من جميع العائلة انا ابنة عم زوجك اصادق على قول هذه المرأة الصالحة دانيال وابسط يدي اليك راجية ان تسري سعادة ابن عمي وعائلته باتخاذك في منزله المقام الممنوح لك باحكام الحب والقانون

فنظرت اليها الفتاة بمظاهر التردد وقالت اشكر لك هذه المكارم ثم ارسلت نظراً متوجعاً الى الجهة التي كبل فيها ابوها واخوها بالقيود وهزت رأسها وقالت متنهدة لا اجسر على ذلك

وكانت السيدة دانيال قد تزايد اضطرابها اثناء هذه المحادثة فاخرجت من جيبها ورقة مطوية وقالت الا تذكرين مليّاً قبل القطع بعزمك ياسيدتي اذا قنعتك بالمضار العظيمة التي تسببينها لزوجك ومصالحك اذا اصررت على تركه

فتمتمت بصوت خائر . . بلى بدون ريب . ولكن لا اعلم كيف يمكن ذلك

قالت السيدة دانيال لربما تستنتجين من قراءة هذه التذكرة ثم التفتت الى جهة الموسيو بلاك وقالت ارجوك العفو ياسيدي فمن اللازم ان احمل واجباتي وان عزّ عليّ كثيراً اتمام هذا الواجب بالرغم عن السنين العديدة التي قضيتها في خدمة عائلتك . ان هذه الورقة . . .

وهنا وقفت عن اتمام الحديث وقالت من العدل ان تطلع عليها انت اولاً ثم مدتها اليه بيد مضطربة

فارسل الموسيو بلاك صوتاً ارتعشنا من هوله جميعاً وصاح خط ابي

قالت نعم وقد كتبها بحضوري

فسأل الموسيو بلاك ولماذا لم تطلعيني عليها قبل الان

قالت هذه هي ارادة ابيك فانه خاطبني وفتشني بهذه الالفاظ احفظي هذه الوصية المتضمنة

ارادتي الاخيرة سنة كاملة وعلي انها سر معهود به اليك من رجل على فراش الموت ففي هذه المدة اذا رجعت امرأة ابني الى زوجها وكانت سعيدة القي هذه الورقة الى النار والا اي اذا لم تعد الى هذا المنزل لاي سبب كان خلاف الموت سلمها الى ولدي ومره باسم الاحترام الواجب لتذكاري ان يجري انفاذ نص الرغائب المصرحة فيها

وعند ذلك اضطربت الورقة في يد الموسيو بلاك وسال هل انت مطلعة يا مدام نيال على هذه الرغائب

قالت كنت اسند يده عندما كتبها

فطالع الموسيو بلاك الورقة المذكورة بحرارة ثم التفت باحترام نحو امراته وقال اني منذ هنيهة يا سيدتي عندما سالتك ضم نصيبك الى نصيبي وان تكوني سيدة منزلي ظننت اني ادعوك لمقاسمة ثروتي وحبي الا انني علمت الان من هذه الورقة فساد ظني وان لوترا كنة ابتير بلاك وليس ولده كولمان هي التي ترث ملايينه وحق الامر والتصرف في منزله

فانتشلت لوترا من يده هذه الوصية التي ذكر مضمونها وبعد ان القت عليها نظرًا سريعًا ضمتها الى صدرها برعشة وصاحت كيف كتب هذه الم يعلم انه لا توجد اهانة عندي اعظم من هذه الاهانة

ثم صاحت بتهيجات الوجد الشاف عن انفجارها وصوت يختلج فيه الحنو والحب هل الثروة والدراهم يا ترى هي التي حكمت باتحادنا وسد الهاوية التي تفصلنا عن بعضنا لا لا ابدًا ابدًا يوجد امال اخرى اسمى من هذه واحلف بالقبلة التي قبلنيها ابوك على فراش موته ان الحب المقرون بالثقة والامانة المتولد بن عنه هو الرابط الوحيد الذي يتحدنا والنجم الذي نستضيء به من الان فصاعدًا على طريق السعادة

ثم مزقت الوصية شنعًا وانور وجهها باشعة الامل والقت نفسها بين ذراعي الرجل الذي يعبدها

. . . .

وقد حضرت حفلة الفرح التي احتفلت بها الكونتيسة دي ميرالك اكرامًا للعروسين في الدوائر البديعة التي تسكنها من منزل واندسور ولم اشاهد في حياتي سعادة تعادل سعادتهما فكانت لوترا مشعشعة بانوار الجمال والظرف والموسيو بلاك تحت سلطان الحب العميق الشديد

وكانت الناس تسأل من جميع الجهات قائلة من تكون هذه المرأة الفريدة ومن اين اتت ومتى تزوجت الى غير ذلك والكونتيسة تجيب على جميع هذه المسائل وتدفع عنها فضول

الناس من وجهاره يشهدان لها بسمو العقل والقلب ثم همت الى مفارقة هذه الحفلة وانا مسرور بهذه النهاية السعيدة واذ شعرت بيد تمس ذراعي فالتفت فاذا الموسيو بلاك وامرأته بجانبي وقد حضرا بقصد وداعي فقالت السيدة بلاك دعني اشكرك على الاخطار التي عرضت نفسك اليها من اجلي لاني عالمة انك خاطرت بحياتك من اجل حياتي فانا مدونة لك بالجميل الى الابد ويمكنك الاتكال على مساعدتي ثم اذا احتاجني في شيء من الاشياء ذلك المصور الشيخ المسكين الفرنساوي الكثير السؤال فله ان يخاطبني راسًا بلا خوف في جميع الاوقات لان ايام السرور والسعادة لا يمكن ان تقلل من قدر ما تحيي به في ايام الشقاء والمصائب

ثم نظرت اليّ نظرة تصاحب حديثها واخرجت زهرة من الخمة المزين بها صدرها وقدمتها اليّ متبسمة

انتهى

اخبار واكتشافات واختراعات

تجنيد الكلاب والطيور

ان الحكومة الالمانية توسعت كثيرًا في استعداداتها العسكرية الى درجة توجب الاستغراب ولم تقتصر على تجنيد الرجال فقط للدفاع عن الوطن بل ارادت الاستفادة ايضًا بذوات الاربع والطيور ففي ولايات الرين مأخوذ الان بتربية قسم عظيم من البيزان والبواشق لمطاردة الحمام المستخدم عادة لنقل التحارير في اوقات الحرب وحيث ان الحكومة الفرنساوية مهتمة منذ مدة بتربية هذا الحمام رأت المانيا ضرورة الاعتناء بالبيزان والبواشق المتقدم ذكرها لمحاربة الفرنساويين في الارض والسماء وقد اهتمت الحكومة الالمانية ايضًا بتربية الكلاب لارسالها بدلًا من الرجال في طلائع الجيش لاستكشاف الطرق والهمة مصروفة لتمرينها على كل شيء حتى يحسن استخدامها لاستطلاع الاخبار والتجسس ويقال ان المانيا ستجمع تحت الالوية جيشًا من الكلاب تنازل به الاعداء وتقسمه الى نظامي ورديف ومحافظ فاذا صح ذلك لا نلبث ان نرى فرقًا

من الكلاب بثياب الجند الرسمية مزينة الصدور بعلامات الشرف

دفن رجل حي

حدث في اوديسا حادث غريب اشغل الافكار ولا يزال موضوعاً للحديث في المحافل العمومية وذلك ان معاون حرب حاكم اوديسا الماجور ماجيروف وهو شاب من المدفعين في الخامسة والثلاثين من العمر توفي فجاة منذ سبعة عشر يوماً فاحتفل بجنازته واودع اللحد بحضور مأموري الملكية والعسكرية وجمع عظيم من الناس ثم ارسل اهل الفقيد من يرمم القبر منذ يومين واذا التابوت منتوح ولدى رفع الغطاء والكفن وجد الميت ملقياً على وجهه الى الارض وهو متأثر بالجروح البليغة ولحم ايديه منتف باسنانه والدماء تقطر من جسده وفي حال اخراجه من اللحد اسلم الروح فيكون قد بقي حياً تحت الارض مدة خمسة عشر يوماً

امراء الهند

حضر اخيراً الى فرنسا احد امراء الهند وهو يلبس ثوباً من الحرير مزركش بالذهب وفي اذنيه حلقتان كبيرتان وعلى رأسه قلنسوة يعلوها شعاع من الالماس الباهر البراق لا يستطيع احد ان ينظر اليه مواجهة ثم يزدان ثوبه بالالماس والياقوت على عرض عشرة سنتيمترات وقد غرق من هذا الامير في البحر المتوسط شيء كثير من هذه الجواهر التي لم يسمع بمثلها في حكايات الف ليلة وليلة وعندما ذهب البرنس دي غال ولي عهد انكلترا لزيارة الهند حضر لمقابلته نحو مائتين وخمسين من هولاء الامراء بمثل هذه الملابس وكانت ملابس اتباعهم لا تحط كثيراً عن ملابسهم وهم ينثرون على رؤوس الناس احتفالاً بزائرهم الكريم كثيراً من الاحجار الكريمة المتنوعة

البنات في مدينة نيونون

افادت الجرائد ان البنات في مدينة نيونون القن جمعية جديدة الغاية منها اصلاح الشبان ودفعهم الى مقاومة الرذائل والعوائد الرديئة ومن قوانين هذه الجمعية ان كل فتاة تريد الاشتراك بها تتعهد برفض الاقتران من كل رجل يتعاطى المسكر او التدخين والذي يظهر ان اكثر من خمسين فتاة امضين على هذا التعهد الا ان الشبان ابوا الخضوع الى هذا النظام بدعوى انه جائر ومخالف للحق والعدالة ثم طلبوا الانتقام بالبحث على زوجات لهم خارج المدينة المذكورة

جواهر الملك في فرنسا

لقد اخذت الحكومة الفرنساوية منذ مدة ببيع الجواهر المختصة بتاج الملك في فرنسا حتى لا تبقى اثراً لابهة الملوك القديمة وقد استفدنا من اخبار البريد الاخيرة ان المبيع انتهى وان مجموع قيمة هذه الجواهر بلغت سبعة ملايين ومائتين وسبعة الاف ومائتين واثنين وخمسين

ورنكا وليست هذه في كل الجواهر المختصة بتاج الملك بل يوجد جواهر اخرى نفيسة لم تبعها الحكومة ولا يعلم هل السبب في ذلك ارتفاع اثمانها وعدم وجود من يشتريها او الحرص على قيمتها التاريخية واهمها خاتم لا مثيل له من ايام بداية الملك في فرنسا يساوي من ٢ الى ١٥ مليون فرنك ثم بروش ثمنه ١٢٥٠ الف فرنك من عهد لويس الخامس عشر مرصع بجواهر ثمينة مثلثة الزوايا ثم الساعة المهداة من امير الجزائر الى لويس الرابع عشر ثم الماسة الوردية وهي من اندر الجواهر ويعدلون ثمنها بمائة وخمسين الف فرنك ثم السيف العسكري المرصع بالاحجار الكريمة التي اقتناها نابليون الاول من جميع جواهر المملكة وهو من عهد شارل العاشر وجميع ملوك فرنسا كانوا يتقلدون من ذلك التاريخ في الحفلات المهمة ويعدلون قيمته بمليونين اثنين وسوف تعرض جميع هذه الذخائر في متحف الآثار في مدرسة المعادن وفي اللوفر

تاريخ لنابليون الاول

بيع في هذا الاسبوع بمبلغ خمسة الاف وخمسمائة فرنك كراسة تاريخ كورسيكا تاليف نابليون الاول كتبها بخط يده في اوقات فراغه التي قضاها في اجاكسيو سنة ١٧٩٠ وهي تؤلف من ثمانية وجوه ومنها يظهر ان نابليون الاول كان حاصلاً في ذلك الوقت على افكار روسيو وغيره من رجال الثورة والاشتراكية ولكنها انحصرت فيه ضمن دائرة القول ولم تخرج ابداً الى حيز العمل

قامة الانسان

ان قامة الانسان تتغير من وقت الى آخر فتطول وتقصر وتخف وتثقل في كل ساعة من ساعات الحياة ولو عدلنا طول وثقل اجسامنا بدقة عند النهوض من الفراش وقبل الرقاد لوجدنا ان كل ما تقدمنا في النهار كل ما خفت اجسادنا وقصرت قاماتنا حتى لا يصير المساء الا ويبلغ النقص في كثير منا نحواً من سنتيمتر واكثر وقد رفع المعلم ماربال هذه الحقيقة المبنية على التجارب العديدة الى المؤتمر الجراحي الذي عقد في برلين سنة ١٨٩١ الا ان هذا النبأ لم يكن جديداً وكان معلوماً قبل ذلك ان كل فرد من افراد البشر تنقص قامته يومياً من ٢ الى ٤ مليمترات ثم يوجد من الناس ايضاً من ينقص من ٥ الى ٦ ولكنه يعوض هذا النقص صباحاً بعد الرقاد وقد قال الموسيو هنري دي بارفيل انه يعرف رجلاً من راكبي العجلات التي تدار بالارجل (فلوسبيد) تبلغ قامته صباحاً متر واحد و٧٢ سنتيمتراً ثم تنقص مساء بعد ان يجوب على عجلته اثناء النهار نحو اربعين كيلومتراً فيصير متراً واحداً و٧٠ سنتيمتراً فقط وقد يختلف النقص باختلاف التمرينات الجسدية ومدة الوقوف والمتعودون في القرى يعرفون هذا السر فتراهم يتصررون في بعض المقامات بوضع

اكياس ثقيلة على رأس واكتاف الرجل المراد تقصير قامته ويمشونه ساعات طويلة ويمنعون عنه النوم ثم يسندون قواه باعطائه كميات وافرة من العرق فتنتقص قامته بهذه المعاملة من ثلاثة الى اربعة سنتيمترات لان للتعب تأثيرًا عظيمًا في تصغير القامة وكل شخص لا يتعاطى التمرينات الجسدية الا نادرًا ويبقى جالسًا معظم اوقات النهار يكون نقص قامته طفيفًا جدًا وبعكس ذلك الذين يمشون كثيرًا ويقضون زمنًا طويلًا من اوقاتهم وقوفًا يمكن ان ينقصوا مقدار ٥ ميليمترات في اليوم ولا يخفى ان قامة الانسان تبقى مستمرة على النمو الى سن الخامسة والعشرين تقريبًا وقد يبلغ الولد نصف نموه في السنة الثالثة من عمره ويصل الى درجة النمو التامة النهائية في الثالثة والعشرين الى الثلاثين وحينئذٍ يزيد وزنه عشرين ضعفًا عن وزنه الاول وتصبح قامته اطول منها في حال الولادة باربعة اضعاف وربع ولكن يوجد من لا تستوفي قامته تمام النمو الا في الثانية والثلاثين من سنه ثم ان النمو لا يكون على نسق واحد في الذكور والاناث لان الذكور عمومًا يكونون في الحادية عشرة او الثانية عشرة من العمر اطول واثقل من الاناث الا ان الاناث من تاريخ هذا السن يزددن نموهن بسرعة الى الخامسة عشرة وبعد ذلك يتوقفن ويعود الذكور الى الزيادة عليهن بالوزن والطول وكيف كان الحال فان قامة الانسان تبقى تقريبًا على حال واحد بلا تغيير مهم من الخامسة والعشرين الى الخمسين ثم تبتدئ بالنقص من الستين فصاعدًا بحيث لا يبلغ المرء الثمانين الا وقد نقصت قامته نحو ستة او سبعة سنتيمترات

ارتفاع الشطوط

لقد تحقق العلماء عدم ثبات الشطوط على حال واحد ولاسيما شطوط بحر البلطيك ولكن لم تظهر بعد البراهين الحقيقية على اسباب ارتفاعها وانخفاضها وقد رفع الموسيو فينكوف الى المجمع العلمي خريطة فنلندة الاخيرة ولدى مقابلة هذا الرسم على الرسوم الاخرى التي اخذت سنة ١٨٠١ و١٨١٥ ظهر بجلاء ان شطوط بحر البلطيك مستمرة على الارتفاع فان كثيرًا من الجزائر تحولت الى شبه جزائر وكذلك سطوح الارض المغطاة بالمياه استحالت الى جزر وقد اخبر الموسيو يوسف ورق ان فلاحي فنلندة الجنوبية الغربية ومجموع الجزائر المجاورة لجزائر الاندا وه محلات كثيرة كانت منذ بضع سنوات مغمورة بالمياه وهي الان مراعٍ وجنائن وحقول وفي اعتقادهم ان المرافئ القليلة العمق لا تلبث عما قليل ان تصير شطوطًا وقد باشرت الحكومة هنالك بوضع حدود من الحجار حتى تتمكن فيما بعد من معرفة مقدار سرعة ارتفاع الشطوط بالتدقيق

حنان ثابت

كتب الموسيو جول لارميه الى جريدة الانال يوليتيك ليتير يرفصلاً غريبًا اخترنا تلخيصه بما صورته قال جاءني نحو برهن بوله رفيقة صباي وكان قد مضى عليّ نحو ثلاث سنوات طويلة ولم اصادقها وذلك من حينما تزوجت فريدريك ويرتز العالم الشهير الذي تفتخر مجامع العلم باعماله وتجله كثيرًا وعندما نظرت الى عنوان الكتاب استولى عليّ الاضطراب حيث تراءى لي كأن الاحرف مصفرة وانها تشف عن كثير من الاحزان والاوجاع ففضضته بحرارة واذا فيه هذه الكلمة . تعال

فلم اتردد ولا دقيقة واحدة عن انفاذ هذا الامر وكانت بوله وزوجها يسكنان وقتئذ املاكهما المتسعة على بعد ستة فراسخ تقريبًا من المدينة التي اسكنها انا فاسرعت بالمسير اليها وكان الوقت خريفًا فصادفتها في الممشى المظلل بالاشجار المفضي الى قصرها وعند رؤياها انحنيت مرتعشًا امامها وقبلت طرف ثوبها فلم تجاوب بشيء على هذا السكوت ووجهت اليّ اشارة فتبعتها ولدى وصولنا الى الباب الخارجي مالت عليه برقة واعارت اذنًا صاغية والظاهر انها لم تسمع شيئًا لانها دفعت الباب حالاً بما كشف عن دار مفروشة بالطنافس الفاخرة وانسللنا سوية نحن الاثنان الى قاعة صغيرة ولما استقر بنا المقام قالت اصغ اليّ وكانت هذه هي الكلمة الاولى التي لفظتها فاستلفت افكاري صوتها الحزين المضطرب وظهرت عليّ آثار الكدر ولا ريب انها لاحظت ذلك لانها استتبعت حديثها بسرعة وقالت اني دعوتك اليّ لانك صديق صبوتي ويوجد بين ارواحنا رابط استرخت ولكنها لم تصرم قل البس كذلك فصادقت على خطابها باشارة من اجفاني اما هي فاستمرت على الحديث وقالت منذ ثلاث سنوات صرت زوجة فريدريك وكانت افكاري الصبيانية تعتقد ان هذا الرجل العالم لا يمكن ان يعصاه شيء فاستولى عليّ بكلمة واملكني نظره حتى شعرت اني مستأسرة لارادته فكان يفتخر ضعفي بالتوكؤ على هذه القوة واخضع بكبرياء الى هذه العزيمة السائدة على كل شيء اقول لك هذا لعلمي انك احببتني وتحبني وستحبني دائمًا كما احببتك واحبك واسامحك تصحف بوله

فالمت لا تقربعني حديثي لانه مجرد عن كل تفكر اثيم ان رابطة الاتحاد بيننا ضعف الارادة وقد خلقنا للمسير سوية بجانب بعضنا حتى يسند كل منا الآخر بالتبادل ولا يمكن ان يكون لاحدنا سلطان على الآخر ولهذا دعوتك اليوم لمساعدتي لاني في حاجة للمساعدة

قلت ماذا حصل اذن لعل فريدريك

قالت فريدريك طيب كريم فريدريك يحبني فريدريك خير من جميع الازواج والآباء

قلت ما فهمت شيئاً

قالت ارجوك ان لا تقاطعني فان واقعة الحال تحصر بهذه العبارة وهي اني خائفة .. خائفة من كل شيء ومنه خصوصاً . . . ثم صاحت آه لو كنت عالمة باسباب هذا الخوف او قادرة على ايضاحه . . . حقاً انه لا يعذبني ويؤلمني الا لان اسبابه متعذر شرحها فشعرت رغماً عني اني منقبض الفؤاد وسألتها بصوت منخفض عن مجمل الاشياء التي دعت الى هذا الخوف فاخبرتني بما ياتي ان فريديريك منذ ستة شهور اي من حين ولادة ابنه استولت عليه فجأة الكآبة واستغرقت افكاره المشاغل فلازم السكوت وكان لا يجيب على مسائل امرأته بهذا الخصوص الا بنظرات حزينة كأنه يتوسل اليها ان تعفيه من بعض التذكرات المشومة وكانت تمر عليه ايام وليال طويلة وهو منفرد وحده كسجين في بيت النبات صرف على تشييده في اواخر الجنينة مبالغ عظيمة وكثيراً ما انقضت اسابيع برمتها ولم ينظر في القصر وكان يتسلل في بعض الليالي الى غرفة زوجته وهي نائمة الا انها راقبته مرة فوجدته جالساً واعينه شاخصة كانه مسحور بتصورات مرعبة وكانت هيأته المنقبضة تشف عن ملامح لا توصف من الخوف وايديه ترتجف برعشة عصبية كأنها تدفع عنه عدواً غير منظور ثم تأملته جيداً في تلك الساعة فاذا مظهره يدل على ثبات العزم والفوز وبعد هنيهة انتصب فجأة وركض مذعوراً فسارعت بوله الى النافذة فرأته راكضاً نحو بيت النبات وكان يشمشع كمارد لان النار لا تنطفئ منه على الاطلاق ولدى رؤياه للمرة الاولى بعد هذا الحادث سألته بجسارة وصراحة عما يوجد في ذلك البيت المنفرد ولماذا يصر بعناد على عدم السماح لاحد بالدخول اليه فدفعها عنه بخشونة وهو يرتعش كالعادة واذ ذاك حاولت الاكتشاف على الحقيقة واطلعت على امر غريب وهو ان فريدريك كان يشتري ارطال عديدة من اللحم في كل يوم ويأخذها مساء الى بيت النبات فما الذي كان يفعله ياترى بهذا الغذاء هل عنده حيوان هائل مجهول يحمل اليه ذلك اللحم كل يوم وينفرد معه في ذلك البيت من اجل متابعة بعض التحقيقات العلمية ثم ما الداعي ياترى لهذا التضعضع والاضطراب الذين يظهرهما في عزلاته هل اختل شعوره وقد احدث هذا الفكر تأثيراً عظيماً في نفس بوله فلم تعد تجسر على سؤاله انما هو فجعل يتحول من يوم الى آخر الى ان تحول وجهه وكان يتجنب الاجتماع بها ولم يعد يتحدث معها كالسابق في اوقات الاستراحة من اشغاله الا انها كانت تراه مراراً متضعضعاً مكشوف الراس يركض بين الاشجار الشاهقة وقبضتاه مرتفعتان نحو السماء

ثم دخل في احدى الليالي الى غرفتها بخطوات لطيفة وهي راقدة فشعرت بوجوده وفتحت

اعينها فجأة واذا هو يرسل الى سرير ابنه الطفل نظرات حنونة ويداه متشنجتان ومرتفعتان الى السماء كأنه يصلي بخضوع وحرارة فصاحت فريدريك فريدريك ما الذي تفعله عندك في مثل هذه الساعة فارسل صوتاً وحشياً واسرع بالفرار

وعندما انتهت بوليه من تفاصيل هذه الاخبار التي قصتها عليّ سكتت خاطرها بما في الامكان وانطلقت الى الجنينة ابحث على فريدريك وكنت صديقه وتلميذه فجعلت ادور بين الماشي وكان الليل على وشك الدخول الى ان نظرت بين الشجرات شخصاً لم اتبين ذكره وكان متمتعاً حسن البناء فقلت في نفسي هذا هو سكان السر ثم كدت اضحك من مخاوفي الصبيانية لاني كنت خبيراً بشغوف المباحث العلمية وتاثيراتها في العلماء وبينما انا في هذه الافكار واذ سمعت من خلفي وقع اقدام مستعجلة فالتفتّ حالاً واذا فريدريك مقبل فاطلقت اليه بجسارة وقلت له هل عرفتني يا صديقي فوقف فجأة قلت هذا انا يا فريدريك ما بالك ممسكاً عن اعطائي يدك والذي يظهر انه انتبه وتنبه الى صوتي فمال عليّ وقال بصوت ابح ما هو الذي تريده اذهب عني

قلت هل هذه هي مقابلتك لي بعد غيبتي الطويلة الا تذكر صداقتنا القديمة

فوقف متردداً يبحث بارجله الارض وعند ذلك نظرت على ذراعه فتنة يستدل من ظاهرها انها ثقيلة ثم صاح لا اقدر على الوقوف دعني الآن

قلنا انت حر وسوف تمر لكن لا اظنك ترفض استصحابي معك للمحادثة سوية بعد ذلك الفراق

فضحك ضحكاً غريباً وقال انت تسير بصحبتي ما هذا الحديث . . .

قلت هل عندك اذن في هذا البيت الزجاجي كنز يهمك اخفاؤه عن اعين الناس . . .

فقبض بيده على ذراعي ثم انحنى الى جهة الارض واعار اذناً صاغية وظهر لي كأنه يسمع صوتاً غريباً كحسيس الاشجار وقال بلهجة تشف عن الخوف الشديد انه ينتظرني ومن اللازم ان اذهب . . .

قلت فلنذهب سوية

فنظر عليّ كأنه متردد ابتسم ثم قال لا باس تعال فلربما تكون انت وحدك قادراً على المدافعة عني اذا . . .

ولم يتم الحديث ولكن مست يده يدي فشعرت انها ثلجية ثم قادني معه وعند وصولنا الى بيت النبات اخرج مفتاحاً من جيبه وفتح الباب فدخلت وتلمست بدون ان انتبه الى شيء واذا فريدريك قد امسكني بعنف وهمس في اذني قائلاً بجبانك لا تتحرك فضعضعت لذلك حواسي بالرغم عن ثباتي وكنت لا ازال اسمع ذلك الحسيس الغريب الذي سمعته قبلاً ثم ما شعرت الا

وقد انار المكان فجأة باشعة ساطعة تبهر المنظر فوقف شعر راسي خوفًا وارتميت على الجانب متمسكًا بقضبان الحديد وكان منتصبًا في وسط هذه القاعة المفروشة بالنبات شيء هائل في وسط حوض كبير على شكل قربة تحيط بها اذرع طويلة لا تحصى في اطرافها دوائر كالاعين وكان الجسم المذكور اخضر والاذرع مائلة الى الحمرة الارجوانية والاعين بلون الدم فاغمضت اعيني وانكمش قلبي ولكن بقيت اسمع الحسيس الذي اخبرت عنه وعلمت ان هذا الصوت صادر عن تحريك تلك الاذرع ثم تغلبت على خوفي وفتحت اعيني فاذا فريدريك اصفر كالموتى وقد اخرج من القفة التي احضرها معه قطعة من اللحم ووضعها بزيد التحرس على اطراف هذه الاذرع المتحركة كانه يخشي على يده ان تمسها وفي اسرع من لمح البصر عادت الاذرع المذكورة بقطعة اللحم ودفعتها الى اذرع اخرى اقصر منها انتبهت اليها وقتئذٍ ثم نقلتها هذه الى غيرها وما زالت الى ان اطبقت عليها اخيرًا جميع هذه الاذرع ولم اعد اراها

وعند ذلك شخصت بعينيّ مرتعشًا الى فريدريك فوجدت جبينه مكللاً بالعرق واسنانه تصطك . اما الحيوان فاستمر ساكنًا ومشتغلاً بابتلاع فريسته فصاح فريدريك انظر . انظر الى هذا الحيوان النابت كيف ياكل ويغتذي

فنظرت اليه مبهوتًا وقلت الحيوان النابت

قال يظهر انك لا تدرك شيئًا ولا تفهم شيئًا اما عرفته اذن انظر . انظر . ها هو ساكنًا ومتلهيًا بغذائه وعند ذلك استنار فكري فجأة بمعرفة هذا الحيوان فعلمت انه نوع من النبات الذي يغتذي بالحشرات نشأ وارتقى بطريقة غريبة حتى وصل الى هذه الدرجة الهائلة وسميته باسمه فقال لي فريدريك انه سيبقى على هذه الحال مقدار ساعة من الزمان ثم اردف ذلك بقوله اما عالم لماذا حضرت لقد ظن اني مجنون وهنا صاح قائلاً انا مجنون . . انا من قدر يا اعجوبة من النبات والتعقل على تكبير هذا النوع من النبات وتحويله الى هذا الحيوان الماثل الذي تراه امامك فعما قليل يمد ذراعيه اليّ طلبًا للطعام . ومن اللازم ان اقيته . من اللازم ان اشبعه والا . . ثم نظر الى ما حوله بخوف وقال اصغ اليّ لاخبرك بسري انه لا يخفاك باية حرارة انصببت على درس اكتشافات نيتشك ووارمنغ وداروين المتعلقة بتلك النباتات الغريبة المشتركة بين النبات والحيوان اعني انواع النبات التي تقبض على الحشرات وتغتذي بها فقلت في نفسي ان اصل هذا النبات حيوانات وحشية من التي لا تزال تراكيبها المخيفة في مخيلة الناس كالغول والعنقاء وخلاف ذلك فان جميع هذه المخلوقات وجدت حقيقة في العالم والمخيلة البشرية لم تبتدع شيئًا ولكن الانقلابات التي طرأت على الكرة الارضية وزوال القوت الضروري لمعيشتها

كل ذلك الجأ ها الى طلب القوت من قلب الارض فسكنت حركتها على تمادي القرون وامتد لها جذور في التراب وهكذا انحطت عن رتبتها وصارت نباتًا ولم يبق لها من مزاياها النفسية الا الاغتذاء بالحيوان فاردت والحالة هذه ان اعيد هذا المخلوق المنحط الى حالة السابقة واحول هذا النبات الى حيوان فانه كم من تجارب اجريتها في هذا السبيل ولم تنجح الا ان الصدفة اخيرًا -لان جميع علومنا ناتجة بالصدفة- القت بين يدي نباتة ممتازة من هذا النوع فسهرت عليها وغذيتها بعصارة الحيوان فنمت تدريجًا وانتهت الى هذه الحال ثم صاح الا تراها كيف تكسر عند الجوع ولا اقدر ان اشبعها وعند ذلك مد اليه بعض اذرعها فالقى على اطرافها قطعة ثانية من اللحم وقال بصوت منخفض لم نطلع احد على كل شيء ان هذا الحيوان النابت اذا اشتد عليه الجوع وهو في هذه الحال من النمو والقوة يقتلع جذوره من الارض وينطلق الى البراري مفترسًا فاجني بذلك جناية عظمى وتلعنني الناس ولا انا لا اريد ان يفر ويهمني استمرار المحافظة عليه ولهذا تراني ساهرًا على جوعه حيث لا يحيا في اني اذا تاخرت عنه بضع دقائق يندفع كاسرًا على العالم ويفترس زوجتي وولدي فمن اللازم ان ياكل اذن حتى لا يفر ثم القى الى ذلك الحيوان المائل القطعة الباقية من اللحم وبينا هو يفترسها كالعادة واذا في حال الاضطراب والدهشة واذ فتح الباب فجأة وظهرت بوله لانها شعرت بوجودي وجاءت للاطلاع على ذلك السر ثم صاحت فريدوريك

فارسل فريدبك صوتًا هائلاً وتاخر مذعورًا الى الوراء فاصابت يده الحيوان النابت وفي الحال اطبقت عليها تلك الاذرع وجذبت الجهة الاصابة من ساعده اليها فتمسكت بجسده احاول انقاذه ولكن الحيوان المذكور كان اشد مني

وفي ذلك الحين لاحت مني التفاتة الى فاس مطروح على الارض فصحت بوله اقطعيه. اقطعيه من الجذع . . من الجذع

ولا اعلم هل فهمت وتبتلي كلامي ام لم تفهمه الا انها اطاعت فقبضت بيديها على الفاس وضربت الحيوان المذكور في نفس المكان المعين فقطعته من جذعه والذي ظهر لي انه انتفض حينئذ كانه يحاول النهوض ولما لم يستطع سقط مجندلاً على الارض واسترخت اذرعه فسحبت بد فريدريك واذا هي قطعة مهروسة من اللحم والعظام وكانت بوله قد ضمته بين ذراعيها ففتح اعينه للمرة الاخيرة وقال قتلت الحيوان النابت باستئصال النساء ثم سقط على ظهره مائتًا واسلم الروح

اثار صيدا

ذكرنا قبلاً عن الاثار الفاخرة التي وجدت في صيدا وقد اتصل بنا الان انه وجد تابوت

اخر من اثار الفينيقيين على مثال التوابيت المصرية فيه جثة محنطة اما الغطاء فمحلى اللون من جنس التابوت ومرسوم عليه صورة راس ووجه وبدن غير تام الاعضاء . ولهذه الصورة ذقن تمتد الى منتصف الصدر وليس فيها اثار الشعر اما هيئة تقاطيع الوجه ففي غاية الحسن والصناعة ويبتدىء من كتفي الصورة شريط يسيل الى ما دون الابط ثم بين الكتفين من احد جانبي العنق الى الجانب الاخر صنوف من القلائد المختلفة وفي طرف الذقن صورة شخص راكع على ذراعيه جناحان طويلان وعلى راسه دائرة على مثال الشمس ثم يوجد بعد ذلك خطوط مصرية ممتدة الى قرب الكعبين من الصورة الكبيرة ثم خطوط فينيقية وعلى جانبي الصورة المذكورة لجهة الاكتاف صورة شخصين وسطح التابوت من جميع جهاته مشغول بالخطوط وقد اكتشف ايضاً على قبرين ولدى فتحها وجد احدها فارغاً ووجد في الثاني سوارات من ذهب لكل منهما مفصل من الياقوت ثم خلخالان واحد عشر زراً من ذهب

جمعية شمس البر

مساء يوم الجمعة احتفلت هذه الجمعية احتفالها السنوي في مدرسة الاحد الانجيلية فبعد ان غص النادي بجمهور السادة والسيدات نهض جناب رقعنلو سليمان افندي البستاني والقى خطاباً بليغاً موضوعه حالة البدو ففصل وابان بعبارات رشيقة فصيحة حالة العرب العرباء في الزمان القديم والحديث واظهر عوائدهم واصطلاحاتهم واماط القناع عن الفاظ كانت مستعملة عند تلك الامة الشهيرة ولم تزل مثبتة في كتب اللغة العربية ولكن الزمان وبعد المكان قد سدلا على تلك المفردات حجاباً فقل من يعرفها بقنا حقاً المعرفة مع اننا باحتياج الى كثير منها للتعبير عن ملابس ومعانٍ اقتبسناها على زعمنا من الاوربيين وهي كانت معروفة عند آبائنا الناطقين بالضاد كما صرح حضرة الخطيب المفوه البارع الاديب ولا نرى بعد ذلك جناب الباحثين انطون افندي شحيبر ويوسف افندي اقتيموس وتباحثا في هل انتيسنة سوريا من الثمن الاجتي يؤول الى نجاحها وقام بعدهما حضرة الرئيس سليم افندي كساب وابدى حكماً في هذه المسئلة التي هي بلا ريب من ادق المسائل واجلها وكنا نود لو حصر الباحثان والحكم كلامهم في هذا الموضوع ولم يتطرقوا الى غيره آخذين باطراف حديث طالما سمعناه وليس بالامكان اصلاحه ومنبهين على خلل ليس بالحقيقة خللاً ولا ضرر بوجوده ومما قال جناب الحكم انه من الواجب على السوريين ان ينبذوا وراءهم ظهرياً السلع الاجنبية ويقبلون على العبا والقطني متخذين هذه المنسوجات البديعة لباساً وفراشاً فينشطون بذلك الصناع السوريين الوطنيين و ينتفعون باموال كثيرة تذهب في كل سنة الى الخارج جزافاً تلك اقوال وتخيلات ليست مستحيلة ولكنها شبيهة بالمستحيل

لان ابناء البلاد محتاجون الى ادوات ومنسوجات عديدة لا يقوم القطني والديبا مقامها فايمكننا ان نلبس قمصاناً وسراويل وطرابيش ونساطين وجوارب من الديبا واذا كان هذا الامر ممكناً فلماذا حضرة الحكم لم يجره ليكون مثالاً ننشبط وغيرة لمواطنيه

ولنا كلام آخر في هذا الموضوع سنعود اليه في العدد الآتي ولا تظن الباحثين والحكم يتكدرون من ملاحظاتنا هذه بل يعدونها صادرة عن نية مخلصة وقلب سليم اذ الانتقاد واجب لتقرير حقيقة وتثبيت حكم ولولا ذلك لم يدخلوا هم انفسهم جمعية شمس البر المذكورة المؤسسة على هذه الغاية الشريفة اما دخل تلك الليلة فقد وزع على المحتاجين من كل الطوائف

الصيدلة

عاد من الاستانة صديقنا البارع الفاضل بطرس افندي شكر الله بعد ان ادى الامتحان القانوني في الصيدلة بما برهن على مهارته وسعة اطلاعه في هذا الفن واحرز الشهادة الاصولية الرسمية (ديبلومة) والوسام الذي تناله الدروس الاصولية في المدرسة الكلية الاميركية ثم تعاطى هذه الصناعة سنين عديدة حتى اشتهرت براعته ونال ثقة الجمهور فنهنئه بهذا الفوز ونرجو له دوام الترقي والنجاح

الدستور

اهدانا جناب الشاعر الفاضل المحقق عزتلو خليل افندي الخوري مدير الامور الاجنبية في ولاية سوريا المجلد الثاني من الدستور مترجم عن اللغة التركية بقلم الفاضل المتفنن نوفل افندي نوفل بمراجعة وتدقيق عزتلو خليل افندي المومأ اليه وهو يشتمل على فصول كثيرة من نظامات الدولة العلية ولا يخفى على احد فائدة انتشار القوانين بين العموم لمعرفة الحقوق والواجبات فنشكر لحضرة المترجم والمهدي سعيهما بنشر هذا الكتاب المفيد

رواية منبلدة

هي رواية غرامية ادبية تمثل عواطف النفس وخواطر الجنان والالباب بحديث لطيف يخلب العقول ويسلب القلوب قد وضعها في اللغة الفرنسوية القصاص الشهير الكاتب الناثر البليغ من احرز القدم الاولى في اتقان هذا الفن البديع والولوغ فيه مبلغ الكمال ومن تحدث امم الغرب والمشرق بتعريب رواياته العديدة الشهيرة لكثرة طالبيها وتهافتهم على مطالعتها تهافت العطاش على الماء القراح اما رواية منبلدة هذه فقد اختار ترجمتها الى لغتنا العربية صديقنا المصدوق وخلنا الوفي الاديب الفاضل سامي افندي نصيري فجاءت قصة بديعة لا نظير لها في القصص العربية القديمة والحديثة ومما يجمل ويجب ذكره اجتهاد حضرة

المعرب الكريم في ترجمتها المدققة حسب الاصل ولا يخفى ما في هذا العمل من المشقة والفائدة وبالجملة فهي خطة مثلى يا حبذا سائر المترجمين لو اتبعوها

وتنقسم الروايات والحكايات الى ضروب شتى اهمها الغرامية والحماسية والادبية والنوع الاخير الذي منه رواية متيلدة اهم الجميع فلا نبرح امة نبيها ما لم نبلغ الغاية القصوى من التمدن ولا يستطيع كاتب بها او يجود قلمه بكنايتها ما لم يترفع عن عامة الناس بحدة ملاحظاته ورقة احساساته وكرم نفسه نقول ذلك ونحن على ثقة ان الجمهور قد قدر ويقدر هذه الرواية الجميلة حق قدرها وانه سيتلقاها بالقبول والاقبال تنشيطاً لهم ومعربها المدقق الاديب الذي ما نتنى بشر الفوائد الجمة العائدة عليه بالثناء الطيب الجميل والذكر الحميد على تراخي السنين

شراكة

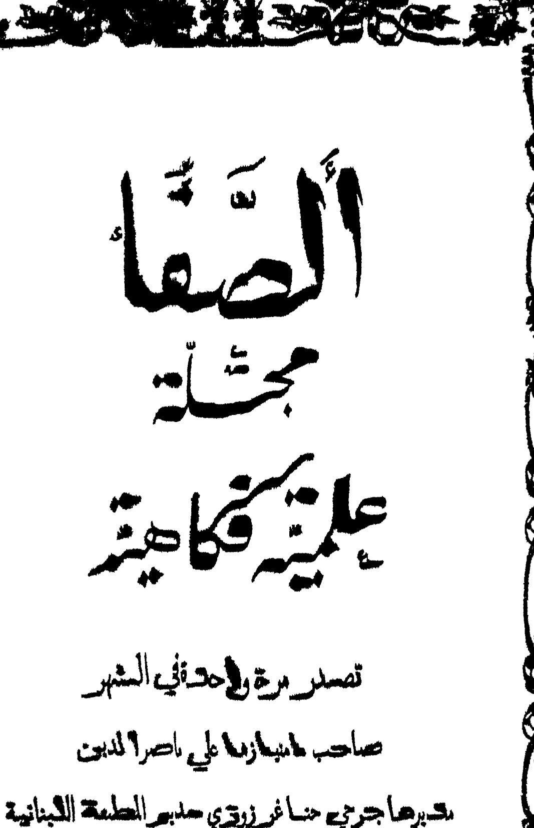
ارسل الينا جناب المحاميين المحققين القانونيين اسكندر افندي فرج الله طراد واحمد افندي نيازي اعلاناً يستفاد منه ان الافنديين الموما اليهما عقدا شراكة بينهما لمعاطاة فن الدعاوي صنعتهما ومن الان وصاعداً تكون جميع الاشغال مشتركة بينهما ما عدا الدعاوي الخالصة والمحتاجة فقط لاستحصال قراراتها النهائية فانها لحساب كل منهما الخاص وقد ابتدات هذه الشراكة من تاريخ ٢ نيسان سنة ٣٠٢ وهما مستعدان لقبول التوكيل في كل دعوى من اي نوع كان ومن اية محكمة كانت ضمن الاستانة وقبول كل شغل ايضاً يتعلق بالدوائر الاميرية وباجراء الترجمة في كل من اللغات التركية والعربية والفرنساوية والحاصل اجراء كل ما يطلب اليهما من حضرة الجمهور باجور مناسبة ولا حاجة للتكلم عن شهرة الافنديين الموما اليهما بالاستقامة والصدق وسعة الاطلاع فان خدماتهما السابقة تويد ذلك

اعلان

المرجو من حضرة وكلائنا ومشتركينا الكرام سرعة ارسال ما عندهم من قيم اشتراكات الصفاء عن سنة ٨٦ المنصرمة باول فرصة نقوداً او تحاويل او بوالص بوسطة اذ لم يعد لنا سبيل لتاخير ترصيد حسابات السنة المذكورة فلنا الامل الوافر بعزة رغبتهم بتنشيط هكذا مشروعات ان لا يكلفونا لتكرار هذا الاعلان ويضاعفون بذلك ممنونيتنا وبذكي غيرة اولي الالباب ما يغني عن مزيد الاسهاب

صاحب امتياز
الصفاء

الجزء الثالث ايار (مايو) السنة الثانية



الصفا

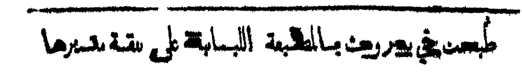
مجلة علمية فكاهية

تصدر مرة واحدة في الشهر

صاحب امتيازها علي ناصر الدين

مديرها جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

قيمة الاشتراك خمسة عشر فرنكاً في بيروت ولبنان وعشرون في الخارج



طبعت في بيروت بالمطبعة اللبنانية على نفقة مديرها

المطبعة اللبنانية في بيروت

مستعدة لطبع الكتب العربية وما يلزم التجار من كمبيالات وحوالات واعلانات وخلاف ذلك باسعار مهاودة . وهذا بيان بعض مطبوعاتها واثمانها وهي تطلب في بيروت من ادارتها ومن بقية المكاتب وفي الجهات من وكلاء هذه المجلة

تاريخ الرومانيين

من بناء رومية الى حين تلاشي الحكومة الجمهورية

هذا الكتاب المفيد قد وضعه في اللغة العربية نجيب افندي ابرهيم طراد واودعه بعبارات مسجعة رشيقة انتقادًا ادبيًا وملاحظات تاريخية عديدة ولا ريب ان المتفكهين ومحبي درس التاريخ ومعرفة آثار واعمال مشاهير رجال الاقدمين يسرون بتلاوته لانهم يرون فيه اصل اكبر ممالك العالم واشهرها في الزمان القديم والحديث مدينة صغيرة سمت وارتقت الى اوج المجد والفخار بفضائل بعض رجالها العظام وملكت بشجاعتهم اكثر الاقطار المعروفة ومن المؤكد ان درس تاريخ الرومانيين مفيد ولازم للاحداث الاولى يقتبسون منه محبة الوطن والفضيلة سببي تقدم كل بلاد وعمرانها . ثمنه ٥ غروشًا

تاريخ

الدولة المكدونية والممالك التي انفصلت عنها

قد الف هذا الكتاب نجيب افندي ابرهيم طراد وذكر فيه اولاً كيفية تقدم الممالك وتأخرها واوجز المقال بتاريخ اجداد فيلبس لجهل المؤرخين حقيقة حالهم ثم اخذ في قص اخبار فيلبس فشرح وفصل وابان اجتهاد دمستينوس خطيب آثينا البليغ في اضرام نار الشجاعة بقلوب مواطنيه واثبت بعده تاريخ اسكندر ذي القرنين ضاربًا صفحًا عن خرافات كثيرة رواها الاقدمون وذاكرًا غيرها مع التنبيه عليها واظهر بعد موت هذا البطل حالة سلطنته الواسعة وانقسامها وختمه بخضوع جميع الممالك المنفصلة عنها لسلطة الرومانيين ثمنه ٥ غروش



الجزء الثالث من السنة الثانية

في ١ و١٦ ايار ١٨٨٧ الموافق ٦٨ شعبان سنة ١٣٠٤

بنية الارض

من المسائل الجديرة بالبحث ماهية المواد التي تتقوم بها وتبنى منها الكرة الارضية وكيفية ترتيب هذه المواد على ان الانسان لا يستطيع سبيلاً الى اختراق قشرة الارض ليرى ما في قلبها ويعرف المواد المؤلفة منها معرفة حقيقية . ولكنه متى احاط علماً بكيفية بناء ظاهرها توفرت لديه اسباب معرفة ما وراء ذلك بقياس التمثيل — فمن المهم اذاً ان نبدأ في هذا البحث المفيد بالكلام على ظاهر الارض

فلا يخفى ان اول ما نراه من طبقات الارض قشرتها الظاهرة بعضها مكتسٍ بالنبات كالعشب والغياض والآجام . وبعضها جرداء كالرمال والجبال الصخرية . على انا كثيراً ما نرى في هذه الاماكن بعض نبتات برية تربط الرمال بعضها ببعض وتتخلل شقوق الصخور

فلو رفعنا الطبقة السطحية لرأينا تحتها طبقة ترابية يتأصل النبات فيها ويمتص منها المواد التي تتقوم بها اجسامها ونموها — وهذه الطبقة تختلف كثيراً في اللون والتركيب . فبعضها صلصال جاسئ رمادي اللون وبعضها رمل مختلفة الاصناف والاشكال . وبعضها حصباء وكلها مؤلفة من دقائق صغيرة وقطع كبيرة يظهر انها متحاتة عن الصخور الصلدة ويتضح ذلك اذا نظر اليها بالمجهر . ومما يزيد التربة تفتتاً تطرق المطر والهواء اليها على مسير اصول النبات فيها . وتساعد الخراطين في هذا العمل كثيراً فانها بمرورها في تلك التربة ترفع بعض اجزائها السفلى الى سطحها

وتشتمل ما عدا المواد المذكورة على مادَّة آليَّة ناشئة عن اندثار الحيوان والنبات يتوقف عليها الخصب لانها غذاء النبات الحي . فلو أُحرقت التربة لزالت منها المواد الاليَّة المذكورة فصارت قاحلة . فالتربة التي يجهدها الفلاح بزرع المنبات سنين متوالية ينزع منها تلك المادة اذ تكون قد امتصتها تلك المزروعات فتمسي عقيمة . ولهذا تراهُ يزبل ارضهُ على مرّ السنين من السماد المشتمل على كثير من هذه المواد الالية ليردّ اليها ما خسرتهُ من خصبها . واما البلدان التي تربتها عميقة كثيرة الخصب فلا تمحل الا بعد وقت طويل

وتختلف التربة في العمق كثيرًا . فما كان منها على صفائح الصخور قد لا يبلغ عمقهُ قيراطًا مع انهُ في السهول الخصبة يبلغ بضع اذرع مع ان عمق التربة العادي ثلاث او اربع اقدام . وتحت الطبقة السطحية المذكورة طبقة تشتمل على مواد الطبقة السطحية عينها على انها اقلّ تفتتًا منها وموادها الاليَّة اقل ايضًا لا يتطرَّق اليها الا ما طال من جذور النباتات الكبيرة . ومعلوم ان السيول تزيل تجرف مواد القشرة الظاهرة لهذه الطبقة فتكشف دونها التربة المتراصة وحينئذٍ تتعرض لفعل الاحداث المؤثرة في سطح الارض كالهواء والمطر وحرارة الاشعة الشمسيَّة ونموّ النبات وعمل الخراطين فتصير والحالة هذه الطبقة السفلى على التمادي طبقةً عليا

ثم تلي الطبقة المذكورة طبقة مؤلفة من صخور وصلصال ومواد أُخرى هي سحالة الصخر الذي تحتها . والحاصل ان قشرة الارض السطحية لا يزال التفتت عاملًا فيها بمقتضى العوامل المذكورة ولو كانت مؤلفة من اصلب الصخور . والتربة التي تغطي سطح الارض انما هي التربة التي نشأت من سحالة الصخور والانحلال بقايا النباتات والحيوانات التي عاشت في العصور الخالية وان نمو النبات وخصبهُ في التربة المذكورة يتوقفان على امتزاج تلك البقايا الالية بالسحالة المنوه عنها

وفي اسفل الطبقتين المذكورتين طبقة تؤلفها صخور غير متحللة تختلف من حيث تخنها وموادها ووضعها في انحاء العالم . ولما كان استيفاء الكلام عليها من خصوصيات الجيولوجيا اجتزأنا عنهُ ببيان بعض صفاتها المتعلقة بالبحث الذي نحن بصدده . وقد قسمنا كلامنا عليها الى قسمين . الاول في مواد الارض الرسوبيَّة او المائيَّة . والثاني في المواد المتبلورة او الناريَّة

اما المواد الرسوبية فمنها اكثر صخور الارض وهي مؤلفة من المواد المكوّنة منها التربة اي من دقائق متحاتة من صخور اقدم منها . فالحجر الرملي مثلًا الذي بني منهُ اعظم ما صلب من بنية السهول والآكام والجبال انما هو رمل تراصت اجزاؤُهُ فصار صخرًا . والصفائح الرقيقة وصفائح الالواح الحجريَّة صلصال او غرين متحجر . وركام الصخور انما هي كتل من الحصى المتصلبة

وبالجملة فالمواد التي تركبت الصخور منها قد انحلت من صخور قدم وتقاذفتها المياه وذلك كما يتكون الحصى والرمل والتراب وغيرها في هذه الايام

فالصخور المركبة من المواد المنحلة بفعل الماء قد تجمعت بعضها فوق بعض فبلغ عمقها الوفًا من الاقدام وتألفت منها سلاسل الجبال الشاهقة وهي ممتدة ايضًا فوق الهضاب. واكثر السهول الفيحاء ممتدة على صخور من هذا النوع. ومن اشكالها البديعة انها منضدة طبقات بعضها فوق بعض. فمنها ما غلظة قيراط ومنها ما يبلغ عدة اقدام واذرع. وبناء عليه كان مشهد هذه الصخور بديعًا في تخططه وتضليعه. وهذه الصخور هي المعروفة بالصخور ذوات الطبقات او الصخور المنضدة

ومع ذلك ترى غالبًا من الجهة الواحدة صخورًا تألفت كلها او اكبر قسم منها من بقايا النباتات والحيوانات. ففي ركام الحجر الرملي والصلصال الاسود نجد آثار اوراق السرخس وغيره من اجزاء النبات كبعض البزور والاثمار والجذور. وهذه البقايا النباتية قد تكون مجتمعة تجمعًا بليغًا حتى انها تألف منها طبقات ثخينة من الفحم الحجري كأن الطبيعة هيأته في هذه الحالة لانتفاع البشر في عصرنا تعويضًا عن الوقود بالنباتات الخشبية الآن

ومن الجهة الاخرى نجد صخورًا تركبت كلها او اكبر قسم منها من حطام الاصداف والمرجان وغيرها من بقايا الحيوانات. فكثير من الصخور الكلسية مركب على هذا النمط كما يظهر بالنظر الى قطعة منها والصخور الطباشيرية مكونة على النسق المذكور من حطام بقايا حيوانات بحرية صغيرة

ومعلوم ان الصخور الكلسية والطباشيرية وغيرها تشتمل على كل من جهات الارض الوفًا من الاميال المربعة ليس في اقسام السهول السفلية فقط بل في الجبال الشامخة ايضًا. كجبال الألب في اوربا وحملايا في آسيا والندس في اميركا المبني اكبر قسم منها من الحجر الكلسي مع بعض صخور أخرى مؤلف اكثرها او قسم منها من البقايا الحيوانية

نظهر مما تقدم ان اكبر قسم من الارض التي نعيش فيها مبني اما من الحصى والرمال والصلصال مما تصلب فصار صخرًا او من حطام النباتات والحيوانات مما عاش في الايام القديمة فاندثر بكرور الدهور وانضغط فصار صخورًا كذلك. وبناء عليه يستنتج ان ما هو برٌّ الآن لابد من انه كان مغمورًا بالمياه من قبل. وحيث ان الصخور الكلسية وغيرها من طبقات الصخور تشتمل خصوصًا على اجسام ذوات الحياة البحرية فلا بد من ان تلك المياه كانت بحارًا. والحاصل ان المواد التي تركب منها اكبر قسم من الارض كانت مغمورة بالبحار فارتفعت

لاسباب لا يسعنا بيانها فتكونت اليابسة

واما المواد المتبلورة او النارية فتكوّن صخورًا لم تترتب على شكل طبقات ولم تتركب من قطعٍ صدرت عن صخور تقدمتها بالوجود ومنها الصخر الاعبل والبورفير والبازلت وهي لا تمتد صفائح متسعة كالصخور الرسوبية ولكنها موضوعة على هيئة خطوط او مرصعة بساحات او متجمعة ركازًا وكثيرًا ما ترى منها قطعًا مستترة في الطبقات المنضدة كأنها قد انقذفت اليها من صدوع الارض او نفذت من جوف البراكين

اما كون الصخور البلورية منبعثة من الاسفل ومندفعة بحالة السيولة من بين الصخور الأُخر الى ظاهر الارض على شكل حمم بركانية فيكاد يقطع به والمدلول من ذلك انهُ لا بدَّ من ان توجد تحت الطبقة الخارجية ذات الصخور المنضدة طبقة داخلية ذات مواد بلورية تضغطها الصخور المنضدة من كل جانب كما ينضغط مركز سلاسل الجبال فتتصدع احيانًا بعض تلك الصخور فتنفذها تلك البلورات ولو كان غلظها بالغًا الوفًا من الاقدام او تجري الى السطح بواسطة فوهات البراكين

فهذا غاية ما امكن اختبارهُ بالعيان والاستدلال بهِ على حقائق تكاد تكون يقينية على اننا قد تحرينا معرفة المواد الصلبة المبنية منها قشرة الارض الظاهرة بما تشتمل عليهِ من الركام المؤلفة من صخور منضدة وصلصال وحجارة كلسية واتينا على بيان ما وراء ذلك من الصخر الاعبل والحمم وغيرها من الصخور المتبلورة . وذكرنا ان كثيرًا من مواد باطن الارض قد انتقلت الى ظاهرها بفواعل طبيعية وان قسمًا كبيرًا من اليابسة كان مغمورًا بالبحار . ولما كانت وسائط البحث قاصرة عن استقصاء ما وراء ذلك ولم يكن لنا مندوحة عن استيفاء الكلام في هذا الموضوع اجتزأنا بالقدر اليسير من الادلة الترجيحية في بيان المواد الموجودة في قلب الارض اتمامًا للفائدة

ان اكثر الصخور السطحية تزن من مثل وزن الماء الى ثلاثة امثالهِ . او بعبارة أُخرى اذا كان ثقل الماء النقي النوعي ١٠٠ كان ثقل اكثر الصخور النوعي من ٢ الى ٣. وقد أُجريت امتحانات كثيرة بواسطة رقاص الساعة وخيط الشاقول لمعرفة جاذبية الارض فاستُدلَّ بها على ان ثقل الارض نحو مثلَي ثقل الصخور السطحية اي ان كثافة الارض نحو ٥. وذلك لا يحمل على الاستدلال فورًا ان باطن الارض يحتوي على مواد ثقلها ضعفا ثقل المواد التي تركبت الارض منها اذ ان كثافة كل مادة تناط بزيادة الجاذبية الى مركز الارض ان لم تعارضها قوة ما فالهواء مثلاً يكون ثقلهُ كثقل الماء على عمق ٢٤ ميلاً . وثقل الماء كثقل الزئبق على عمق

٣٦٦٣ ميلاً . وبناء عليه تكون الارض اثقل كثيراً من اثقل الصخور العادية على سطحها لو لم توجد في قلب الارض قوة تعارض زيادة الكثافة المذكورة وهذه القوة انما هي الحرارة ولذلك يرجح ان مواد باطن الارض متمددة بفعل حرارة قوية تحت كثافة الكرة الارضية على قدر تمدد المواد بالحرارة الداخلية المشتملة عليها خلافاً لما يتوقع من انها تأخذ الزيادة بقدر ما تزداد عمقاً

وقد تقدم في صدر هذه المقالة ان الانسان لم يتهيأ له الوصول الى قلب الارض لمعرفة المواد المؤلف منها. فغاية ما وصل اليه في اعمق المناجم ميل ونصف ميل وهي $\frac{1}{2662}$ من البعد الواقع بين سطح الارض ومركزها على انه يستدل على شدة حرارتها الداخلية بدلائل على ثلاثة انواع وهي (١) المناجم والآبار والحفر (٢) الحمات او الينابيع ذوات الماء الحار (٣) البراكين

(١) قد عُلم منذ عهد بعيد ان الهواء في المناجم العميقة حار مع انه فوق الارض بارد. ووضعت لذلك هذه القاعدة. اعمق المناجم التي درست حرارتها [illegible] انكليزي في جوار مدينة مانشستر مثلاً على عمق ٢٠١٥ قدماً [illegible] ف [illegible] ان تكون [illegible] الحرف ف مقطوع من كلمة فهرنهيت وهو اسم عالم جرماني استعمل مقياس الحرارة المذكور) حالة كون معدلها على سطح المنجم نفسه ٥١° ف فقط. والماء النافذ من الآبار العميقة يكون حاراً فقد بلغت حرارة ماء البئر المحفورة في غرنلي بجوار باريس ٨١° وذلك على عمق ١٧٩٨ قدماً. والمأخوذ من ذلك ان درجة الحرارة لا تزال تتزايد بازدياد العمق . فتصعد درجة على عمق كل ٦٠ قدماً ولو اختلفت قليلاً بالنسبة الى نوعية الصخور

وعلى هذا النحو نبلغ على عمق معلوم درجة تذيب اصلب المواد. فحرارة الماء على عمق ١٢٠٠٠ قدم كحرارة الماء الغالي على سطح الارض . وحرارته على عمق ٣٠ ميلاً كحرارة الذهب المصهور ايضاً

(٢) ان الحمات التي تتفجر فيها المياه الحارة موجودة في كل انحاء العالم تقريباً . وفي الاصقاع البركانية تكون حرارة الماء على درجة الغليان وتبقى كذلك مستمرة على انها في بعض الاحوال ترتفع ارتفاعاً زائداً على تلك الدرجة فتبلغ ٢٦١° ف كما في ينابيع ايسلاندا وذلك ٤٩° فوق درجة غليان الماء العادي . فحين يقرب الماء من سطح الارض يندفع بخاراً بصوت قاصف وينفجر رشاشات من الماء الغالي والبخار

وموضع الحمات يكون غالباً غير بعيد من بركان هائج . فحمات باث مثلاً الواقعة في وهاد

شمالي انكلترا الغربي تبعد من الجهة الواحدة اكثر من ١٠٠٠ ميل عن براكين ايسلاندا ومن الجهة الثانية اكثر من ١١٠٠ ميل عن بركان بزوف . و بلغت درجة حرارة المياه في حمات بكستن في دربشير ٨٢° وبلغت ١٥٨° في آبار وبسبارن في جرمانيا و١٦٧° في آبار كارلسباد و١٩٢° في بعض الآبار الواقعة في الجنوب الغربي من سبانيا . وكل هذه الاماكن بعيدة عن البراكين الهائجة . وكثيرًا ما لوحظ ان الحمات تصعد في سلاسل الجبال وعلى الاقل في خطوط حيث تتفتت الصخور كثيرًا وتحمى الى درجة عظيمة من التفتت والبراكين الساكنة الباردة الان تمامًا التي لم يتذكر احد انها هاجت لم تزل بقاياها منتشرة هنا وهناك ومع كل ذلك لا تنفك مصحوبة بالحمات ففي الاصقاع البركانية القديمة في اواسط فرنسا حمات عديدة بلغت درجة حرارة بعضها ١٧٤°

فاعظم انواع الحمات التي تُظهر معظم حرارة بعض اجزاء الارض الداخلية هي التي تقذف مشتملاتها بقوة عظيمة وتوجد في الاماكن البركانية وتسمى فوارات الماء الغالي . وهي تشغل في جزيرة ايسلاندا مسافة نحو ميلين مربعين بين صخور بركانية في وادٍ منخفض فسيح تنفجر من ارضهِ رشاشات الماء الحار والبخار وهي تبلغ على ما قيل نحوًا من ١٠٠ عدًّا كلٌّ منها ينفذ من تجويف على شكل حوض رسبت على حوافيهِ قشرة من السلكا البيضاء او الحجارية محلولة بالماء الحار ويختلف قطر هذه التجاويف من بضعة قراريط الى عدة اقدام . فما كان منها كبيرًا تخترق مركزه قناة واسعة نازلة في الارض تصعد منها المياه الحارة على الدوام الى التجويف وتجري من حوافيهِ الواطئة الى ما حولها من السهول وفي مدة بضع ساعات يسمع خرير صاعد من هذه القناة فيبتدي الماء يفور في الحوض فتنفجر اسوقرات مصحوبة بالبخار على علو بضع اقدام وبعد هذه التهيجات التي تستمر نحو يوم تتوالى الانفجارات اشد منها فتهتز الارض اهتزازًا خفيفًا ويشتد صوت الخرير الى ان تنفجر نوفرات المياه الغالية بطلقات قوية وغيوم بخارية وترتفع في الجو الى علو ١٥٠ او ٢٠٠ قدم . وبهذه الطريقة يفرغ الحوض والقناة من الماء ولكنهما يعودان ويمتلآن ايضًا بالتدريج ويعود الخرير الى ما كان عليهِ وتنفجر نوفرات المياه والبخار حتى في اليوم التالي تنقذف المياه بانقذافها العجيب فتفرغ الفوهة من المياه من ثم تعود وهكذا الى ما شاء الله

وتشغل هذه الفوارات مسافة عظيمة في اصقاع الولايات المتحدة يتميز كثير منها بما يعلو احواضها وحوافيها المرتفعة عن الارض من الاغشية السلكية التي يستدل بها على محل فوران الماء الغالي بعضها يفوق فوارات ايسلاندا العظيمة في حجمهِ وعلوهِ ومقدار الماء المنقذف منهُ وقت الهيجان

وترى في تيبوز بلاد فوارات كثيرة مع براكين بعضها مالح وبعضها منطفئ . وفي اوراكيكوراكو تتفجر حمات كثيرة من جانبي نهر هناك . وفي نواراتا تنقذف المياه حاملة كمية عظيمة من السلكا ما رسب فتألف منه اجراض وعقد

(٣) البراكين تؤلف قسماً كبيراً من الارض فنكتفي الآن بذكر ما له علاقة ببنيتها . فهي فوهات ينقذف منها البخار حارة وصخور ذائبة يستدل بها على ان في باطن الارض كوم من صخور حامية الى درجة البياض وان حرارة جوفها شديدة جداً . وقد اختلف العلماء فيما اذا كان باطنها سائلاً او جامداً . فقال بعضهم ان الارض كرة مركبة من مواد ذائبة لها قشرة خارجية اختلف في تقدير ثخنها من ٢٦ الى ٨٠٠ ميل . وقال آخرون ان الارض لا بد من ان تكون صلبة من الظاهر الى المركز والا لما امكنها الدوران

وقد تقدم ان الحرارة تزداد بقدر البعد عن سطح الارض حتى تصير الى درجة تذيب اصلب المواد . ولكنه لا يستنتج من ذلك ان كل مواد باطن الارض في حالة السيولة دائماً لاننا نعلم ان للضغط تأثيراً شديداً في مقاومة ذوبان المواد التي تركبت منها كثير الصخور اي انه يحفظها من الذوبان حتى تجعل فيها حرارة اشد . والضغط لا بد من ان يكون شديداً جداً في اعماق قلب الارض . فاذاً كل طبقة من طبقات الارض المتوالية لا تكون في حالة الذوبان وهي في عمق بضعة اميال حيث تذيب الحرارة اكثر الصخور الصلبة . ولكن ذوبانها انما يكون موافقاً لمقدار عمقها . وعليه يحتم ان تكون الكرة كلها صلبة لو لم يكن اقل نقص في الضغط في اي جهة كانت مفضياً الى الذوبان سريعاً

ولما كانت حرارة الارض الداخلية عظيمة بهذا المقدار لم يكن ثم مانع من وجود مواد معدنية كالحديد والذهب في قلب هذه السيارة ولدينا من الاسباب ما هو كافٍ للدلالة على انها معدنية . فان الصخور التي تركبت الارض منها قد تشققت كثيراً ووجد في كثير من تلك الشقوق التبر المعدني . وذلك يحمل على الظن بانه صعد من قرار معدني . وقد انتهت مباحث العلماء في بنات الشمس وغيرها من السيارات الى ان اجزاء الارض المركزية مركبة تركيباً معدنياً

وخلاصة كل ما تقدم ان الطبقة العليا من الارض سواء كانت تحت الهواء او تحت الماء مؤلفة من حصى ورمال وطفال وغيرها من المتفتتة المتحولة وتحتها طبقة غليظة من صخور منضدة متولدة من مواد سائلة لها في الموجود ولا يعرف مقدار ما على انها صعدت في ازمن كثيرة الى الطبقات العليا وهي تتضمن لا محالة الكتلة المعدنية المركزية وان درجة الحرارة تزيد بمقدار

توغلنا بالنزول في طبقات الارض حتى تصير في باطنها عظيمة الى حد تذويب المواد المعروفة وتحويلها بخارًا الامر الذي كان لا بدّ منه لو لم يكن مانعًا له وكافلاً بقاء ضغط الجاذبية كتلة الارض بعمومها في حالة الجمود الاَّ في اماكن تقذف منها المواد السائلة من فوهات البراكين والله اعلم

علوّ الهواء وضغطهِ

اوردنا فيما مضى ما يتألف منهُ الهواء اصلاً وما يخالطهُ اعراضًا . واتينا الآن الى ايراد ما تحققهُ ارباب العلم من امر علوهِ وما عرفوهُ من ثقلهِ وشدة ضغطهِ فنقول

انهُ وان لم يُعرف للجوّ من حدٍّ حقيقي بالنسبة الى حد سطح البحر المعيَّن لا نظن ان علوّ الهواء عن الارض غير محدود . فغلاف الارض الجوّي متشبث بها دائر معها في كلتا دورتيها اليومية والسنوية ولولا ذاك لغلت حالاً من الارض ما على سطحها من المواد غير المتعلقة بها لانهُ من الواضح الجلي ان حركة الارض في الهواء اسرع كثيرًا من اعظم الزوابع التأثير غير ان جاذبية الارض تحفظ الجوّ في مكانهِ فيتحول مع سائر اجزائها في الفضاء

فلا [illegible] ان يكون للهواء حدٌّ ينتهي عندهُ ويبتدئ ما وراء ذلك الأثير الذي ظُنَّ انهُ مالئ كل الفضاء تتحرك فيهِ كل الاجرام السماوية والاشعة النورية الصادرة عنها . فكيف يمكننا ان نعرف الان الى اي حدٍّ يمتدُّ الهواء فوقنا

لنا للجواب على هذه المسألة طرق متنوعة نقتصر [illegible] واحدة منها فنقول . كثيرون [illegible] يرون [illegible] من [illegible] تتساقط في الجوّ فانها تظهر [illegible] وبعد ان [illegible] يستطلت على الارض والتقط [illegible] مراكز سقوطها وجهاتها [illegible] بطرق [illegible] الابعاد على سطح الارض [illegible] ترى من [illegible] ميل عن سطح الارض

[illegible] صغيرة لا [illegible] العادي ما اقل من الاواقي والارطال ولكنها تدور حول الشمس بسرعة السيارات وذوات الاذناب . وهي في حال استمرارها على تتبع مدارها [illegible] اجسام باردة [illegible] ان درجة حرارتها كدرجة الفضاء تقريبًا فقد ظُنَّت انها ٢٧١ تحت الصفر . واما السر [illegible] الذي يجعلها منظورة فاشئ عن جذبها من مراكزها بواسطة جاذبية الارض [illegible] سرعة شديدة جدًا في الهواء فتحمى حالاً لاحتكاكها بالهواء وبالحرارة الصادرة عن ضغط الهواء المتقدمة فتصبح حامية الى درجة البياض

وفي اكثر الاحوال ترتفع درجة حرارتها الى حدّ يصيرها بخارًا يظهر كخط من نور ويتلاشى في الجوّ تدريجًا. فيستدل من العلوّ الذي تبتدئ ان تتأجج عندهُ تلك النيازك ان الهواء يعلو عن سطح الارض من ٧٠ ميلاً الى .. ا ميل على الاقل وربما يزاد على ذلك او ينقص الى ٤٥

على ان الهواء في تلك الاعالي لعظيم اللطافة لا بدّ من انهُ يختلف من اوجهٍ كثيرة عن الهواء المباشر الارض فلا نقدر ان نتنسمهُ . قيل ان السياح الذين صعدوا على الجبال الشامخة وجدوا ان عسر التنفس يزداد بزيادة صعودهم . وهكذا الذين طفوا الاعالي في المناطيد غابوا عن الرشد وكادوا يموتون بسبب الفرق الكائن بين الهواء في تلك الاعالي وبينهُ على الارض والفرق بينهما بالكثافة . فان الهواء يزداد تلطفًا بازدياد ارتفاعهِ عن مساواة سطح البحر فاجسادنا لا تقدر ان تتحمل الفرق بين الهواء الكثيف الثقيل المباشر الارض الذي اعتدناهُ وبين الهواء اللطيف في العلوّ الذي لم نعتدهُ . فاذا جاوز العلوّ حد ستة او سبعة اميال اصبح التنفس مستحيلاً . وما وراء ذلك الحد يزداد الهواء رقةً ولطافةً شيئًا فشيئًا الى ان يبلغ غاية اللطف في انحاء الجوّ البعيدة

فاذ قد علمنا علوّ الهواء وتناقص كثافتهِ بازدياد ارتفاعهِ عن سطح الارض نعلم ايضًا انهُ وان كان الهواء غير منظور وشديد اللطف حتى يمكننا ان نحيا فيهِ ونتحرك دون ان نتكر بوجودهِ هو مع كل ذلك يضغط كل جزءٍ من اجزاء الارض لما لهُ من الثقل بواسطة عظم مقدارهِ وفرط علوّهِ وهذا هو الذي يعرف عمومًا بالضغط الهوائي الناجم عن ثقلهِ وعن خواص أُخرى في الغازات والابخرة التي تأتلف الهواء منها

واذا شئت بيان هذا الضغط فخذ قارورة صغيرة فارغة من الزجاج وضعها على فمك وامتص الهواء منها ما امكن ودع لسانك يضغط على فم القارورة بعد سحب الهواء منها تجد حينئذٍ لسانك يندفع الى داخل القارورة حتى تشعر بالالم من جرى ذلك وسببهُ ضغط الهواء من الخارج وعدم الضغط المقابل من الداخل . وقد قيس مقدار هذا الضغط وعلم بالملاحظة انهُ يبلغ في الاجزاء الموازية سطح البحر نحو ١٤¾ ليبرا على كل قيراط مربع . فكل منا حاملٌ ثقل ١٣ او ١٤ وسقًا من الهواء او ٤٨ او ٥٦ قنطارًا مثلًا ومع كل ذلك لا نشعر بهذا الضغط لانهُ متساوٍ على كل جهة ولان ضغطهُ داخل اجسادنا مثل ضغطهِ خارجها والضغط الخارجي مساوٍ الضغط الداخلي فلو امكن ان يسحب الهواء من فراغات الاجسام البشرية وتجاويفها لسحق الضغط الخارجي تلك الاجسام واماتها سريعًا

هذا ومما يجب ذكرهُ هو ان كل قسم من الجو يلزمهُ ان يحمل ثقل كل الهواء الذي فوقهُ

ومن هذا نقدر ان نفهم انه كلما ارتفعنا في الجو يقل مقدار الهواء فتقل كثافته شيئاً فشيئاً اي يقل ضغط الهواء في الارتفاع ضرورة . فاذا امكن بواسطة من الوسائط ان نطلع على مقدار الضغط على الاجزاء الموازية سطح البحر بغاية الضبط وامكن استنباط ذريعة ما لقياس درجة الضغط في الاجزاء التي يقل فيها بالنظر الى الارتفاع عن تلك الموازاة يسهل حينئذٍ قياس علو الجبال

فيمكن اجراء ذلك فعلاً بواسطة استعمال الآلة المعروفة بالبارومتر (اي الزجاجة المبيّنة باحوال الهواء . وهي آلة يُعرف بها تغييرات الهواء والسيما ضغطه وبها يقاس ارتفاع الجبال . وهي اربعة انواع مرجعها الى اصل واحد . اي البارومتر الابريد والبارومتر الزئبقي والبارومتر المائي والبارومتر المعدني) ومبدأ هذه الآلة هو ان ثقل الهواء يوازن ثقل عمود اي سائل كان وعلو ذلك العمود قد عرف بالتحقيق بواسطة الثقل المتبادل والثقل النوعي للسائل المستخدم في تلك الآلة . فاذا سُدَّ احد طرفي انبوبة من الزجاج طولها ٣٢ قيراطاً ومُلئت بالزئبق وقُلب طرفها المفتوح وغمس في اناء فيه زئبق ايضاً هبط الزئبق في الانبوبة . فاذا كان ذلك على مساواة سطح البحر بقي الزئبق مرتفعاً في الانبوبة ٣٠ قيراطاً عن سطح الزئبق في الاناء فعمود الزئبق المرتفع في الانبوبة الى هذا العلو يوازنه ضغط الهواء على زئبق الاناء فيمنعه عن الانصباب من الانبوبة الى الاناء فيزداد ارتفاع الزئبق في الانبوبة بزيادة ضغط الهواء على الزئبق في الاناء وبالعكس اي ينخفض بقلة الضغط كذلك

فيمكن ان يكتشف على تغييرات كثيرة في ضغط الهواء بواسطة مثل هذه الآلة ولو كانت تلك التغييرات بطيئة طفيفة حتى لا نشعر بها بدون تلك الآلة . فاذا لوحظ حد علو الزئبق في الانبوبة تماماً ونقل البارومتر الى مكان اعلى من سطح البحر رأينا الزئبق هبط بسبب نقص الضغط وبالعكس اذا رُدَّت الآلة الى محل اوطأ من تلك المساحة حيث يرتفع الزئبق بسبب شدة الضغط . فكثرة استخدام البارومتر لقياس المرتفعات من الاعمال القانونية المدققة فان لم يكن علة أُخرى للتغييرات في ضغط الهواء الاَّ الارتفاع فقط كان البارومتر افيد آلة لهذه الغاية ولكننا نرى حالاً انه لا يفيد بالطرق التي استخدم فيها الان غالباً

فان نقص الضغط الجوي بحسب العلو في الهواء قانون قي مستمر ولكنَّ هذا الضغط عرضة لتغييرات دائمة في كل محل علا سطح البحر. فاحياناً تكون فجائية عظيمة واحياناً طفيفة بطيئة فنشعر بهذه التغييرات حين يصحبها تغيرات الهواء ولكنها تقاس بحركات البارومتر على غاية الضبط فاذا قلَّ الضغط لعلةٍ ما هبط الزئبق واذا ازداد ارتفع وهلمَّ جرا . فسرعة الحركة في

عمود الزئبق او بطوء هاتين مرآة مقدارًا لتغير ودرجة في موازنة العمود الهوائي كما سبقت الاشارة الى ذلك

فلنفرض للايضاح انا نظرنا في البارومتر صباحًا فوجدنا الزئبق قد هبط قيراطًا كاملاً في الليل - فيدل ذلك على ان عمود الزئبق قد خسر جزءًا من ثلاثين جزءًا من طوله . وعليه لزم ان نتيقن ان عمود الهواء الضاغط على زئبق الالة قد خسر $\frac{1}{30}$ من ضغطه او ثقله عليه كذلك . فلا بدّ من ان بعض اجزاءه العليا قد انتقل الى محلات اخرى حواليه فقل الهواء فتنح نقص الضغط الى هذا الحد فيصدر عن هذا التغيير الجائي العظيم بعض العواصف الشديدة كما سنبينه في الكلام على حركات الهواء . فهبوط البارومتر في اي وقت كان ينذرنا بقدوم العاصف في كل الاحوال تقريبًا

واما انبوبة البارومتر فمقسمة الى قراريط والقراريط لاعشار ومئات فيُعرف هبوط الزئبق وارتفاعه الى حد جزء من المئة من القيراط . فحين يوازن ضغط الهواء عمود الزئبق الذي علوه ثلاثون قيراطًا يقال ان درجة البارومتر ٣٠ قيراطًا واذا هبط الزئبق نصف قيراط يقال انها ٢٩٫٥ من القيراط . واذا ارتفع عشر قيراط تكون درجته ٣٠٫٦ من القيراط . فمعدل علو الزئبق في البارومتر في كل المحلات التي على مساواة سطح البحر على كل وجه الكرة يقرب كثيرًا من ٣٠ قيراطًا . ومعدل ارتفاعه السنوي الحقيقي في بلدان متنوعة يختلف عن هذا المعدل كثيرًا - فمعدله في الاوقيانوس الباسيفيكي الى الغرب من كاليفورنيا ٣٠٫٢ من القيراط و ٢٩٫٦ من القيراط في الشمال الغربي من ايسلندا واوطأ من ذلك كثيرًا في الدائرة الجنوبية فهبوط الزئبق عن معدل ارتفاعه دليل على قلة الضغط وارتفاعه عنه دليل على شدته كما مرّ

فاهمية ملاحظة التغيرات في الضغط الهوائي باعتناء تظهر من الحقيقة التي تبرهنت الآن بالمراقبة في كل اقسام العالم اي ان اختلافات الضغط تسبب الارياح والعواصف وسائر حركات الهواء

فان قيل ما هي علة هذه التغيرات في الضغط وما هو سبب تعرض الهواء لزيادة التغيرات العظيمة التي تكون غالبًا فجائية . قلنا ان الجواب الوحيد المعلوم على هذه الاسئلة هو ان الضغط يتأثر بناءً على احدهما درجة الحرارة والثاني البخار المائي

(١) درجة الحرارة . وهي فاعل يسهل معرفة كيفية فعله حال كون الهواء يتمدد بالحرارة ويتقلص بالبرودة . وارتفاع الحار يقلل الضغط الهوائي بالضرورة . فحين نحمى الاراضي الواسعة

كاواسط آسيا مثلاً بسبب اشعة الشمس يعلو الهواء الحار الباشر الارض ويجري الى الاصقاع المجاورة فلذلك يقل الضغط الهوائي مدة الاشهر الحارة في السنة

(٢) البخار المائي . وهو اهم عامل يفعل في ضغط الهواء . ووجودهُ عام في الجوّ مع انهُ غير منظور وكيفية جعلهِ منظورًا سهلة بواسطة تبريد الهواء اذ يتحول بذلك الى ماء منظور حالاً وقد سبق الكلام قبلاً في تركيب الهواء على وجود البخار في الجوّ وعلى كيفية صعوده الدائم الى الهواء غير منظور ونزولهُ منهُ ماء منظورًا . واما الان فلنبحث عن كيفية تأثير ضغط الهواء بهذا الفعل المستمر فنقول

اذا اخذنا زجاجتين فارغتين يسع كل منهما قدمًا مكعبًا من اي مادةٍ كانت وفرغناهما من الهواء بالمفرغة ما امكن وملأنا احداهما بخارًا درجة حرارتهِ ٥٠ ف . وملأنا الاخرى هواء جافًا اي خاليًا من بخار الماء درجة حرارتهِ كدرجة حرارة البخار في الزجاجة الاولى ووزناهما رأينا ثقل ما في زجاجة البخار ٤١ من القمحة فنطمع ان ثقل ما في زجاجة الهواء ٥٤٦,٨ من القمحة

وهنا لا نتعرض الى البحث عن كيفية نسبة الضغط الهوائي الى مجرد الوزن او علل أُخرى بل نبحث عما ينبغي استخلاصهُ من هذا الامتحان . ومعلوم ان بخار الماء اخف كثيرًا من الهواء واقل انضغاطًا منهُ . فاذا كانت درجة الحرارة ٥٠ كان بخار الماء اخف من الهواء بنحو ١٣٣ مرة ويتعاظم هذا الفرق عند ارتفاع درجة الحرارة . على انهُ في اي درجة كانت من الحرارة المتسلطة على الهواء عاديًا يكون ثقل الهواء او ضغطهُ اعظم كثيرًا منهما في البخار دائمًا

واذا اخذنا ست زجاجات كل منهما يسع قدمًا مكعبًا لا غير وملأنا ثلاثًا منها من الهواء المشبع بالبخار ودرجة حرارة كل منها تختلف عن الاخرى . فلنفرض ان درجة الاولى درجة الجليد اي ٣٢ درجة من مقياس فارنهيت ودرجة الثانية درجة صباح الربيع في انكلترا اي ٥٠ درجة ودرجة الثالثة ظهيرة الصيف هنالك اي ٨٠ وملأنا الثلاث الباقية من الهواء الجاف ودرجات حرارتها كدرجات الثلاث الاولى . فهواء كلٍ من الاولى مشتمل على بخار بقدر درجة حرارتهِ التي تؤذن بضبطهِ . واذ قد رأينا ان الهواء البارد لا يستطيع ان يمسك بخارًا كالهواء الحار نعلم ان في احر الزجاجات بخارًا اكثر كثيرًا مما في أبردها بالضرورة . فاذا وزناها اعتناءً كما فعلنا قبلاً وجدنا ان الهواء الرطب البارد يزن نحو قمحة وربع اي هو اقل من الهواء الجاف تمامًا بنحو ١/٣٢٧ ولو كانت درجة حرارتها واحدة . وان الهواء الرطب الذي درجة حرارتهِ متوسطة اخف من الهواء الجاف عند تلك الدرجة بنحو قمحتين ونصف . وان الهواء الرطب

الاحرّ اخف من الهواء الجاف الاحرّ بخمس عشرة قمحات ونصف قمحة .

فالذي نستفيده من الامتحان المتقدم مع ما نعلمه من الوقائع ان اضافة بخار الماء يجعل الهواء اخف او يقلل ضغطه وهذا التغيير يتعاظم بتعاظم حرارة الهواء لان اكثر البخار يمكن حلّه في الهواء الحار اكثر مما يمكن في الهواء البارد

فالبخار الذي يصعد من البر والبحر الى الجوّ ينتشر في الهواء ويدفع دقائقه الى جانبيه بمروره حال كونه اخف من الهواء كثيرًا واكثر منه مرونة . وبالضرورة يقلل كثافة الهواء او بعبارة أخرى يخفض درجة ضغطه فيكون مزيج من الهواء والبخار اخف من مقداره من الهواء الجاف فقط . ومعلوم انه كلما كبر حجم البخار عظم هذا الفرق

ويختلف مقدار البخار في الجوّ على الدوام من يوم الى يوم ومن فصل الى آخر . فلا ريب في أنّ هذا سبب ذو شأن لحركات الضغط غير المنقطعة التي يعلنها البارومتر . فاضافة مقدار عظيم من البخار الى الجو يخفض الضغط الهوائي ولذلك يهبط الزئبق في البارومتر . فاذا نزع هذا البخار من الهواء اما بكثافته وسقوطه مطرًا او بغير ذلك رجع الضغط وارتفع الزئبق ايضًا . وهذه التغيرات تكون احيانًا بطيئة جدًا تستمر اياما او اسابيع واحيانًا يحدث تغير عظيم في مدة ساعات قليلة

واما كيفية حدوث هذه التغيرات العظيمة في حجم البخار في اي قسم كان من الجو فلم تزل مجهولة الى الآن . الّا ان المحقق انها تسبب حركات الهواء . فحين تكون فجائية متسعة يصحبها مطر كثير العواصف او الرياح . وحين تكون اضعف لا تزال تظهر تأثيرها في الرياح واحوال الهواء

فكل حركات الهواء ناشئة عن اختلافات الضغط الذي علته التغيرات في درجة الحرارة والبخار المائي على ما تقدم

هذا وقد أجري ملاحظات عديدة سنين كثيرة في كل انحاء العالم بواسطة البارومتر فتمكنت علماء الآثار الجوية من رسم خرائط تبين توزيع الضغط الهوائي العام على درجة الارض لكل شهر او فصل او للسنة كلها وذلك بواسطة خطوط الضغط المتساوي في انحاء مختلفة

مبادي فلكية

أنّا لما رأينا كثيرين في هذه الايام يرغبون في علم الفلك رأينا من المناسب ان نذكر في كل جزء من اجزاء الصفاء بعض ما يتعلق به تمهيدًا لسبل الوصول الى مطالبه السامية ولا بد قبل الشروع في ذلك من ذكر بعض المبادي فنقول

(١) الفلك علم الاجرام السموية وهي الشمس وسياراتها واقمارها وذوات الاذناب والثوابت ولا بدّ لطالب هذا العلم من معرفة صور الثوابت واوضاعها واسمائها . وقد قسم القدماء الثوابت الى مجاميع سموها صوراً وسموا كل صورة بشبهها من الحيوانات وغيرها ورسم الفلكيون تلك الصور على الخرائط والكرات كما رسموا صورة الارض كذلك . واشاروا الى كل نجم في الصورة بحرف من احرف الهجاء في اللغة اليونانية فاشاروا الى اضوئها بالالفا وما بعده بالبيتا وما بعد هذا بالغما وهلم جرا ومتى انتهت الاحرف اليونانية ابتدأوا باحرف اللغة اللاتينية وبعد هذه بغيرها وهلم جرا

(٢) محور الارض خط وهمي يمرّ بمركزها وينتهي طرفاه في شماليها وجنوبيها وهو الذي تدور عليه الارض

(٣) قطبا الارض طرفا محورها

(٤) محور الكرة السموية هو محور الارض اذا أُخرج من طرفيها الى المقعّر السموي

(٥) قطبا الكرة السموية طرفا محورها

(٦) خط الاستواء الارضي دائرة موهومة تحيط بالارض على بعدٍ واحدٍ من القطبين وتقسمها الى قسمين شمالي وجنوبي

(٧) خط الاستواء السموي ويسمى خط الاعتدال دائرة عظيمة تحدث من امتداد سطح دائرة خط الاستواء الارضي الى المقعّر السموي

(٨) الافق الحقيقي دائرة موهومة عظيمة تمر بمركز الارض وتقسم الكرة السموية الى قسمين يسمى الاعلى نصف الكرة السموية الظاهر والاسفل نصف الكرة السموية الخفي

(٩) الافق النظري دائرة صغيرة قطرها بالنسبة الى ارتفاع الناظر عن سطح الارض وتنتهي من كل الجهات بالتقاء الارض بالسماء حسب الظاهر . وهذه الدائرة للواقف على سهلٍ لا يكون قطرها الاَّ بضعة اميال . واذا كانت العين على مرتفع خمس اقدام كان نصف القطر الظاهر اقل من ميلين وثلاثة ارباع الميل . واذا كانت على مرتفع ست اقدام كان ثلاثة اميال

(١٠) قطبا الافق نقطتان احداهما فوق الراس وتسمى السمت او سمت الراس والاخرى تحت القدم وتسمى نظيرا لسمت او سمت القدم

(١١) الدوائر السمتية هي دوائر عظيمة مارة في السمت والنظير عمودية على الافق

(١٢) السمتية الاولى هي المارة بنقطتي الافق الشرقية والغربية

(١٣) دائرة البروج هي الدائرة التي ترسمها الارض في دورانها حول الشمس او الدائرة العظيمة التي تقطعها الشمس كل سنة بحسب الظاهر . وهي مائلة على سطح دائرة خط الاستواء نحو ثلاث وعشرين درجة ونصف درجة تقريباً وهي منسوبة اثني عشر قسماً كل قسم ثلاثون درجة ويسمى برجاً ستة منها شمالي خط الاستواء وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وستة جنوبية وهي الميزان والعقرب والرامي والجدي والدلو والحوتان . وتسمى الحمل والثور والجوزاء بالابراج الربيعية لمرور الشمس بها في فصل الربيع من الحادي والعشرين من آذار الى الحادي والعشرين من حزيران . وتسمى السرطان والاسد والسنبلة بابراج الصيف لمرور الشمس بها من الحادي والعشرين من حزيران الى الحادي والعشرين من ايلول . وتسمى الميزان والعقرب والرامي بابراج الخريف لمرور الشمس بها من الحادي والعشرين من ايلول الى الحادي والعشرين من كانون الاول وتسمى الجدي والدلو والحوتان بابراج الشتاء لمرور الشمس بها من الحادي والعشرين من كانون الاول الى الحادي والعشرين من آذار . وزاوية ميل سطح هذه الدائرة على سطح دائرة خط الاستواء لا تزال تنقص وقد كانت في بدء التاريخ المسيحي ثلاثاً وعشرين درجة وخمساً واربعين ثانية وصارت في بدء سنة ١٨٣٦ م ثلاثاً وعشرين درجة وسبعاً وعشرين دقيقة وثماني وثلاثين ثانية . وكان معدل نقصها في السنة نحو نصف ثانية تقريباً او خمس واربعين ثانية وسبعة اعشار الثانية في القرن . ولا بدّ من ان تبلغ منتهى نقصها ثم تزيد على تلك النسبة وقتاً طويلاً بين حدين معينين قبل ان بينهما عشرين درجة واثنتين واربعين دقيقة

(١٤) منطقة البروج . هي منطقة عرضها نحو ست عشرة درجة تمتد ثماني درجات على جانبي دائرة البروج وفيها كل مدارات السيارات ما عدا بعض النجيمات

(١٥) دوائر العرض دوائر صغيرة وهمية مرسومة على موازاة خط الاستواء شمالاً وجنوباً تصغر بالتقدم نحو القطبين حتى تتلاشى عندهما

(١٦) دوائر الميل هي دوائر صغيرة موهومة شمالي خط الاستواء السموي وجنوبيه موازية له او هي ما تحدث باخراج دوائر العرض الى الفلك السموي

(١٧) خط السرطان دائرة صغيرة على امتداد ثلاث وعشرين درجة وثمانٍ وعشرين دقيقة او نحو ثلاث وعشرين درجة ونصف درجة شمالي خط الاستواء وموازية له وخط الجدي دائرة صغيرة على امتداد نحو ثلاث وعشرين درجة ونصف درجة جنوبي خط الاستواء وعلى موازاته

(١٨) السمتيتان الاعتدالية والمدارية هما دائرتان عظيمتان تمران بقطبي السماء وتقسمان

دائرة البروج الى اربعة اقسام متساوية وتعينان فصول السنة الاربعة تمر احداها بالاعتداليين اول الحمل واول الميزان ولذلك سميت بالاعتدالية وتمر الاخرى بالمدارين اي بمنطقي ميل الشمس الابعد شمالاً وجنوباً ولذلك سميت بالمدارية

(٢٩) الدائرتان القطبيتان هما دائرتان صغيرتان على جانبي خط الاستواء كل منهما على امد نحو ست وستين درجة ونصف درجة عنه وعلى امد نحو ثلاث وعشرين درجة ونصف درجة عن القطب وتسمى ما على شمالي خط الاستواء بالشمالية وما على جنوبيه بالجنوبية

(٣٠) الهواجر دوائر عظام وهمية تمرّ بالقطبين عمودية على خط الاستواء وسميت هواجر لان الشمس متى بلغت احداها انحدرت آخذة في هجر الارض ولكل مكان على الارض ومقابلة في السماء هاجرة تمر به مع ان الفلكيين لم يستعملوا سوى اربع وعشرين هاجرة للسماء فقسموا كل المُقعَّر السموي الى اربعة وعشرين قسماً عرض كل منها خمس عشرة درجة . فالهواجر تعين المسافة التي تقطعها الاجرام السموية بحسب الظاهر في كل ساعة ولذلك سميت بالدوائر الساعيّة . وسميت بخطوط الطول ايضًا لانها تفصل من خط الاستواء ما يعدل طول المكان

(٣١) العرض الارضي هو البعد عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً ويقاس على الهاجرة

(٣٢) العرض السموي هو البعد عن دائرة البروج شمالاً او جنوباً ويقاس على دائرة عمودية عليها

(٣٣) الطول الارضي هو البعد شرقاً او غرباً من هاجرة معينة مقاساً على خط الاستواء

(٣٤) الطول السموي هو البعد عن الاعتدال الربيعي مُقاساً على دائرة البروج

(٣٥) الميل هو بعد الجرم شمالاً او جنوباً عن الاعتدال مقاساً على الهاجرة

(٣٦) الصعود المستقيم هو الزاوية عند جرم سموي بين خطين منه احدهما الاعتدال الربيعي والآخر عمودي على خط الاستواء

(٣٧) تقسم النجوم باعتبار انوارها الى اقدار فانورها القدر الاول وما دونه قليلاً القدر الثاني وما دون هذا القدر الثالث وهلم جراً الى ان تختفي عن البصر من ضعف نورها ولا يُرى بمجرد النظر ما دون القدر السادس

(٣٨) النجم المزدوج نجمان على استقامة واحدة يظهران للنظر نجماً واحداً

(٢٩) النجم المتعدد هو ثلاثة نجوم فاكثر تظهر للناظر نجماً واحداً

(٣٠) النجوم المتغيرة هي ما يزيد نورها تارةً ويقل اخرى

(٣١) النجوم الوقتية هي ما تظهر مدة وجيزة ثم تزول

(٣٢) القنو نجوم كثيرة متقاربة في مساحة صغيرة

(٣٣) السديم نجوم صغيرة بعيدة جداً ملزوزة حتى تُرى مثل سحابةٍ او ضباب او قطعة نيرة سحابية لا تنحل الى نجوم منفردة بالمراقب القوية او مجاميع غازات حامية الى درجة الانارة

(٣٤) ارتفاع الجرم هو علو مركزه فوق الافق مقاساً على دائرةٍ سمتية

(٣٥) الارتفاع السمتي هو متمم الارتفاع

(٣٦) المقنطرات دوائر صغيرة توازي الافق وتتلاشى عند سمت الراس

(٣٧) فلك السيار هو مداره او الطريق التي يسلكها

(٣٨) العقدة هي نقطة تقاطع فلك السيار ودائرة البروج ولكل فلك عقدتان الصاعدة والنازلة وبينهما ١٨٠ درجة

(٣٩) نقطة الراس هي اقرب نقطة من فلكه الى الشمس ونقطة الذنب هي ابعد نقطة كذلك

(٤٠) التربيع هو ان يكون بين الكوكبين تسعون درجة طولاً

(٤١) الاقتران هو ان يكون الجرمان في جهة واحدة من السماء اي على طولٍ واحد

(٤٢) الاستقبال ان يكون الكوكبان في جهتين متقابلتين من السماء وبينهما ١٨٠ درجة من الطول

(٤٣) الاوج ابعد نقطةٍ من مدار القمر عن الارض والحضيض اقرب نقطة من ذلك المدار اليها

الدب الاصغر

الدب الاصغر صورة نجوم تُرسم في الخرائط وعلى الكرات الفلكية كهيئة الدب وهي اقرب الصور الى القطب الشمالي ومع انها ليست من حسان الصور الكوكبية وانجمها الواضحة قليلة جداً اعتبرت اكثر من سواها عند اهل التحقيق من الاحبار وغيرهم من السراة ولقرب نجومها الى القطب الشمالي تظهر انها تدور حوله بسطوع في دائرة صغيرة وهي في قطرنا من الخُنَّس اي النجوم التي لا تغيب وفي طرف ذنبها نجم القطب الشمالي وهو علة الاهتمام بمراقبتها في العصور الخالية وما بعدها الى هذا اليوم لان من فوائده تعيين الجهة الشمالية وعروض الاماكن وتعيين

تلك العروض بمعرفة ارتفاعهِ وهو من القدر الثالث او بينهُ وبين القدر الثاني - وليس هو في قطب السماء تماماً بل على امد درجة وثلاث وعشرين دقيقة عنهُ و يظل يقرب الى القطب الحقيقي بمبادرة الاعتدالين حتى يكون البعد بينهما سنة ٢٠٩٥ م ستاً وعشرين دقيقة وثلاثين ثانية ثم يأخذ يبعد عنهُ وكان نجم القطب منذ اربعة الاف سنة المنير الثاني من صورة التنين وسوف يكون نجم القطب بعد اثني عشر الف سنة النسر الواقع ويكون بينهُ وبين القطب الحقيقي حينئذٍ خمس درجات . ويستدل على نجم القطب برسم خط بين نجمين في الدب الاكبر يسميان الدليلين او المشيرين ويسمى احدهما المراق والآخر الدبة كما سيأتي في الكلام على الدب الاكبر وتسميهِ العامة المسمار ومسمار الفلك لاعتقادهم انهُ لا يتحرك والصحيح انهُ متحرك حركة لا تظهر للمشاهد لقربهِ من القطب الحقيقي وهو يرسم دائرة صغيرة حولهُ ويقع على الهاجرة مرتين في كل اربع وعشرين ساعة مرة فوق القطب ومرة تحتهُ

ونجوم هذه الصورة الظاهرة لمجرد العين اربعةٌ وعشرون منها سبعةٌ ثلاثة من القدر الثالث واربعة من القدر الرابع يتألف منها النعش الاصغر وتشبه في هيئتها النعش في الدب الاكبر ومنها الفا اي نجم القطب ويسمى الجدي وجدي الفرقد والجدي وبيتا وغما ويسميان بالفرقدين وفيهما قول الشاعر

وكل أخٍ مفارقهُ اخوهُ لعمر ابيك الاَّ الفرقدان

ونجم القطب مزدوج صعودهُ المستقيم ساعةٌ ودقيقتان وعشر ثوانٍ وهو على ثمانٍ وثمانين درجة وسبعٍ وعشرين دقيقة واربع ثوانٍ من الميل الشمالي

وجاء في خرافات الرومانيين الاقدمين ان الدب الاكبر والدب الاصغر هما كالستو الاهة الماء وابنها اركاس غضبت عليهما يونو زوجة جوبتر وشقيقتهُ الاهة الزواج وحامية المتزوجات فمسختهما دبين فنقلهما جوبتر الى السماء وقاية لها من الصيادين

وادَّعى الصينيون ان الامبراطور هنغتي حفيد نوح هو الذي اكتشف نجم القطب واهتدى بهِ في الملاحة او سلك الابحر . ولا ريب في ان الناس كانوا يهتدون بنجم القطب منذ اقدم العصور الخالية . ونعلم من عدة تواريخ ان الفينيقيين كانوا يهتدون بهِ وكذلك ملاحو اليونان وغيرهم من الامم . وشاع ان طاليس المهندس البارع والفلكي الشهير احد حكماء اليونان السبعة الذي نبغ في القرن السادس قبل الميلاد هو الذي خطط الدب الاصغر وعلم الفينيقيين الاهتداء بهِ في اسفارهم البحرية . والمحقق انهُ اتى بتلك المعرفة من فنيقي الى بلاد اليونان مع غيرها من المكتشفات الكثيرة في الفلك والعلم الرياضي

السبكترسكوب

اظهر العلم في السنين الاخيرة ان كثيراً من المواد التي ظنت قبلاً عناصر بسيطة هي بالحقيقة مركبة كالماء الذي نشربه فانه مركب من الاوكسجين والهدروجين او مزيج من عدة مواد كالهواء الذي نتنفس فيه فانه مزيج من غازات مختلفة وقد اكتشف السر اسحق نيوتن ان ضوء الشمس مركب من انوار اخر ملونة وبرهن ذلك بوضعه منشوراً امام ثقب صغير يدخل منه الضوء الى غرفة مظلمة ووضعه ذا سطح مستوٍ اماماً مع المنشور بحيث يقع عليه الضوء فرأى ان الضوء الابيض الذي دخل من الثقب انحل الى سبعة الوان مختلفة كالوان قوس قدح وهي الاحمر والبرتقاني والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي وكلها منسوقة نسقاً بديعاً ومختلطة الاطراف حتى انه يصعب معرفة مبدإ كل لون ومنتهاهُ ولكي يتحقق ان هذه الالوان السبعة نتيجة انحلال الضوء الابيض الداخل من الثقب وضع منشوراً آخر امام الالوان السبعة فجمعت كلها الى لون واحد ابيض كاللون الاول

اما خاصة المنشور في تحليل الضوء فهي كسره اياه ويتضح ذلك من وضعنا عوداً مستقيماً في الماء فيظهر انه ملتوٍ الى فوق وكذلك اذا دخل الضوء في منشور من زجاج كسر وانحرف الى جهةٍ وتكسر ايضاً طرائقه المسح الملونة لكنها تتفاوت في الانكسار فالبنفسجي قابل لذلك اكثر من النيلي وهكذا الى الاحمر. ولنا في قوس السحاب اوضح مثال على ذلك فان النور ينكسر عند مروره في قطرات الماء الصغيرة في الجو فتتكون منها تلك القوس . ونرى ذلك ايضاً في ذرات الماء المنتثرة حول الشلالات عند شروق الشمس عليها

وسبكترسكوب نيوتن عبارة عن منشور زجاجي يوضع امام ثقب مستدير في حائط غرفة مظلمة واستعملت هذه الطريقة سنين كثيرة بدون ادنى تغيير الى ان قام الدكتور ولستن فبدل الثقب المستدير بشق صغير فكان لهذا التغيير فعل عظيم فان الالوان السبعة التي شوهدت في سبكترسكوب نيوتن متصلة ظهرت بعد اصلاح ولستن منفصلة بخطوط دقيقة سوداء متوالية وقد احصى عددها فرنهوفر الجرماني فكانت خمسمائة وستة عشر خطاً ولذلك دعوها بخطوط فرنهوفر وهذه الخطوط هي عبارة عن الوان اشعة في ضوء الشمس لا تصل الينا لاسباب

وقد اصلح السبكترسكوب كثيراً منذ زمان ولستن فصار اليوم ادق واكثر مناسبة منه قبلاً وهو يصنع غالباً من منشور زجاجي على قاعدة وعلى جانبيه انبوبة في طرفها شق يدخل منه النور وعلى الجانب الآخر تلسكوب فيدخل النور الذي يراد امتحانه بواسطة الشق ويمر بعدسية

ثم يقع على المنشور فينكسر ويراهُ الناظر كبيرًا بواسطة التلسكوب وتزاد قوة السبكترسكوب باستعمال مناشير كثيرة لهذه الغاية وقد يبلغ عددها في الآلات الكبيرة اربعة . وكبر السبكترسكوب ليس دليلاً على قوتهِ فانهُ يمكن ان يرى اغلب خطوط فرنهوفر في سبكترسكوب صغير يحمل في الجيب

قلنا سابقًا ان نتيجة الطيف الشمسي سوى ما فيهِ من الخطوط السوداء هو مجموع طرائق من الضوء متناسقة مختلفة الالوان وكل مادة جامدة او سيالة اذا احميت الى درجة البياض كان لها طيف مثل طيف الشمس ولو احمينا غازًا لشاهدنا خلاف ذلك فبدل الخطوط السوداء على السطح اللامع يُرى خطوط لامعة على سطح اسود فلو احرقنا الصوديوم او كلوريد الصوديوم وهو ملح الطعام او احد مركباتهِ في لهيب مصباح الغاز لصار لون اللهيب اصفر ولو فحص بالسبكترسكوب لشوهد طيفهُ خطًّا اصفر لامعًا على سطح اسود. ولو احرقنا الليثيوم بدل الصوديوم لصار لون اللهيب احمر دوديًا وطيفهُ طريقة حمراء لامعة واخرى برتقانية ضعيفة ولو احرق البوتاسا كذلك لصار لون اللهيب ارجوانيًا وطيفهُ طريقتين لامعتين الواحدة على اقصى الطرف الاحمر والاخرى على اقصى الطرف البنفسجي فاذًا السبكترسكوب آلة تميّز بها بين الجوامد والسوائل من الجهة الواحدة والغازات من الجهة الاخرى فالنور الذي يعطي في الطيف خطوطًا سوداء على سطح لامع ينتج من السوائل والجوامد والذي يعطي خطوطًا لامعة على سطح اسود ينتج من الغازات . وقد يقتضي اكثر المعادن حرارة اشد من حرارة لهيب الضوء الغازي لجعلها ابخرة منيرة لان المطلوب ليس طيف المعدن المحمى الى درجة البياض بل طيف البخار الذي يعطي نورًا خاصًا بهِ حينما يصير منيرًا بهِ يتميز عن غيره

والحرارة التي يقتضيها تحويل المعادن الى ابخرة مضيئة توجد في الشرارة الكهربائية وبهذا الطريق نفحص طيوف الذهب والفضة والحديد والبلاتينيوم غير ان طيوف هذه في اكثر اشتباكًا من طيوف تلك التي لا تزيد على خطين على سطح اسود مع ان للحديد ما ينيف على اربعمائة وستين خطًا لامعًا وكل عنصر يظهر عند فحصهِ خطوطًا تختص بهِ ابدًا ولا تتغير وبهذه الواسطة يقدر الكيماوي على معرفة كل العناصر التي تركب اي مادة كانت ولو كانت كميتها صغيرة تخفى عليهِ في بقية امتحاناتهِ . ومهما كان عدد العناصر في مادة ما اظهرهُ السبكترسكوب بواسطة طيفها فيرى الصوديوم ولو كانت كميتهُ ١ . . . . . . من القمحة بواسطة لونهِ الاصفر وترى بين التراب دقائق الملح التي حملتها الارياح من شواطئ الابحر وذرتها على وجه الارض . ويري الليثيوم ولو كانت كميتهُ ٦ . . . . . . من القمحة وقد تحققوا بواسطة السبكترسكوب وجودهُ في

اللبن والفحم والسكر وغيره مع انهم لم يروا قبل ذلك الا باربعة معادن ويستخرج منه اليوم نحو ثماني مئة رطل يوميًا من احد مناجم كونوال . وقد اكتشف العلماء بواسطة السبكترسكوب كثيرًا من المعادن النادرة كالسيزيوم والروبديوم والثاليوم والاندبوم والكاليوم و يكفينا الان ان نبين طريقة اكتشاف السيزيوم لمناسبة طرق اكتشاف بقية العناصر اليها

واكتشف السيزيوم بنصن الكيمي الجرماني عند فحصهِ بواسطة السبكترسكوب نتيجة تحليلهِ احدى المياه المعدنية في جرمانيا . فانهُ رأى خطوطًا غريبة لم يرها من قبل تختلف عن الخطوط التي تظهر من بقية العناصر فرآهُ عنصرًا جديدًا و بخر نحو اربعة واربعين وسقًا من هذه المياه وفصل من الاملاح الراسبة نحو مئتي قمحة ورأى خطوط نورها بعد فحصها بالسبكترسكوب تشابه الخطوط التي رآها قبلاً وهذه العناصر نادرة الوجود ولم يعثروا بعد على كميات كبيرة ليستعملوها في الصنائع الا الثاليوم فانهُ يستعمل في الالعاب النارية

وقد ظهرت حديثًا فائدة السبكترسكوب في تحويل الحديد المسبوك الى فولاذ حسب طريقة بسمر وهي ان يحمى الحديد ليخرج منهُ الكربون ويجب لاجل نجاح العمل ان يصب الحديد حالاً بعد طرد الكربون فان عاقة عشر ثوان كافية لاتلاف الحديد كلهِ . وهنا يظهر نفع السبكترسكوب فان حرارة المعدن والكربون يجعلان نورًا فوق المعدن فيراقب بواسطة السبكترسكوب خطوط الكربون وعندما تضمحل يصب الحديد سريعًا

وقد اظهر السبكترسكوب لنا كثيرًا من مركبات الاجرام السماوية بما عاد بالفائدة على الفلكي والكيمي ففي تحليل انوار الشمس والنجوم والسيارات والقمر التي تنار بانعكاس نور الشمس عنها يظهر ما يظهر تمامًا عند احماء الجوامد والغازات الى درجة البياض غير ان نور السدم يشبه نور الغازات فيظهر خطوطًا لامعة على سطح اسود . ومنذ استعمال السبكترسكوب لم يظهر نجم كبيرٌ من ذوات الاذناب غير انهم بفحصهم نوري نجمين صغيرين ظهر انوار كانوار الكربون

ويظهر في تحليل ضوء الشمس خطوط لامعة مقطوعة بخطوط سود وهي عبارة عن انوار لم تصل الينا لانها وهي في مسيرها نحو الارض امتصتها الجزَّ في جوّ الشمس كما تفعل قطعة زجاج حمراء في امتصاصها كل اجزاء النور الا الاحمر واكتشف ايضًا ان بعض الخطوط السود في تحليل ضوء الشمس توافق في الحجم بعض الخطوط التي تحصل عند تحليل نور الصوديوم وغيره من المعادن و برهن كرشوف من ذلك على وجود بعض هذه العناصر في جوّ الشمس وقبل الجميع رأيهُ هذا . واستعمل السبكترسكوب من ذلك الوقت لفحص المواد التي في الشمس

فعرف منها خمس عشرة مادة وهي الصوديوم والكلسيوم والباريوم والمغنيسيوم والحديد والكروميوم والنكل والنحاس والتوتيا والكاديوم والكوبلت والهدروجين والمنغنيس والقصدير والتوتانيوم

اما النجوم البعيدة التي يعجز عن فحصها اقوى المراقب فقد فحصت بهذا المنشور الصغير ووجد ان فيها كثيرًا من العناصر التي ترى في هذه الارض فاذا كانت هذه اعمال السبكترسكوب وهو في حداثته فمن يقدر ان يقدّر منافعه بعد هذا

المخترعات والمكتشفات بالبحث عن حجر الفلاسفة

عثر بونتشر وهو يبحث عن حجر الفلاسفة المعروف بالحجر الكريم على اختراع معمل درسدن للخزف الصيني وروجر باكون على تركيب البارود . وجابر بن حيان على خواص الحوامض وفان هلمونت على حقيقة الغاز . والدكتور كلوبر على الاملاح التي ذاع صيتها بها

وكان الكيميون يستفرغون الجهود في التجاريب بغية وجود تلك الضالة الوهمية فمزجوا كلاً من هذه المواد كالاملاح وغيرها مع كل ما عرفوه بطرق مختلفة ووضعوا هذه المزوجات بزجاجات صموها وعرضوها للحرارة فاكتشفوا مواد جديدة فعلها اعظم كثيرًا من كل ما عرفوه سابقًا . ومما اكتشفوه بذلك الحامض الكبريتيك والحامض النتريك والحامض الهيدروكلوريك . وبعد أن عرفت هذه الحوامض ذوبوا بها المعادن ومن ثم ادّت بهم تلك الاكتشافات شيئًا فشيئًا الى معرفة املاح ومستحضرات ذات فوائد عظيمة ادخلوها بين الادوية

وقد شبه اللورد باكون الكيميين باحداث بذلوا الهمة في حفر حقل ابيهم تفتيشًا عن كنز استحال عليهم وجدانه ولكن تعبهم الجزيل جوزي بازدياد خصب التربة مع انهم قلبوها لمآرب أخرى . على ان تلك المشابهة كانت في غير محلها لانهم وان كانوا قد صرفوا ثمين قسم من اوقاتهم بالتفتيش عن الحجر الكريم الذي ما اجداهم نفعاً فقد افادوا العالم فائدة عظيمة في النهاية فانهم اكتشفوا واخترعوا ما لم يخطر قبل علمهم على بال

المناظرة والمراسلة

دعوة علمية

كتب الينا بعض الافاضل

دعت عمدة مدرسة البنات العالية في طرابلس عدة من الافاضل في بيروت الى احتفالها السنوي فغص منتداها باعيان طرابلس وعلمائها وكان المنتدى على غاية من اتقان الزينة واحكام الترتيب وقد ناب عن الرئيسة في الاحتفال حضرة العلامة مستر مارش فدعا حضرة السيدة كريمة طرابلسي وهي احدى المنتهيات فتلت خطبة في هنري الثامن ملك انكلترا . ودعا السيدة هنري خشاب كذلك فتلت خطبة في ارز لبنان . ثم وقف جناب العلامة الفاضل والشاعر البليغ ابرهيم افندي حوراني وكان من جملة المدعوين من بيروت ليخطب في الاحتفال ولفظ خطابًا في «غاية الغايات» كشف الحجاب عن مناهج السعادة والارتقاء وبيّن به ترتب المسببات على الاسباب . وفوائد العلم والدين والآداب . وان اخصر الطرق الى تلك الغاية الالفة والاتحاد - وابان ان مبدأ الالفة طبيعي في الانسان . وادار رسالة معانيه في كؤوس من الجمان فارتشفتها النفوس والاذهان . وحلى اجياد البلاغة بقلائد العقيان . فصفق له السامعون استحسانًا مثنى وثلاث ورباع وخماس . فاهتز المنتدى طربًا ورقص عجبًا ثم نهض حضرة العلامة الالمعي المستر هردن ونطق للمنتهيات بنصائح عشقتها الاسماع . وصبت اليها الطباع . وأولعت بها النفوس . وودت القلوب لو كان لها بدلًا من الطروس . ثم تلت السيدة سليمة خوري وهي من الثلاث المنتهيات خطابًا في يد الله في الخليقة وجاءت في اثره بعبارات الوداع ثم قام نائب الرئيسة الموحى اليه وشكر للخطيب واثنى على ما جاء به من الفوائد الجمة وحمد الحاضرين على تشريفهم - فانفض الاحتفال وانصرف كل من حضر مسرورًا بما سمع ونظر (الصفاء) ونحن نتوقع ان يكرم علينا بذلك الخطاب لنزين به صفحات لطفنا . ونمتع به حضرات القراء .

حل لغز جناب كامل بك نكد المدرج في الصفحة ٢٥٦ من السنة الاولى من مجلة الصفاء

(بقلم الاديب الياس افندي جرجس طراد)

المغزت في اسم لموجدت باوضه لرأى اهالي الغرب فضل المشرق

صحفتة فوجدتُ قومًا فضلهم لا زالَ يذكرُ عند كل محقق
ولأنت افضلُ من اليهم ينتمي ياخيرمن اوج المعارف قد رقي
لا زلت تذكر عند اهل الغرب في فضل بتلب الشرق يبقى|ما بقي

ولهُ ايضاً هذا المعنى

وظبيةٍ تدَّعي باني مُلكتُ احشاءها محلا
وكلما قلتُ نصفها لي واحر قلبي تجيبني لا

وقد اسمعنا ايضاً هذين البيتين في عادةٍ تلثغ بالراء

والله ما التحريفُ في الفاظها مع لثغةٍ في الراء الا عن رضى
حتى اذا ما جاءَ عاشقها لكي يرجو الرضا منها تقول لك الغضا

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين
تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد
(تابع ما قبلهُ)

مالت رؤُسهم من خمر الانتقام والغضب فقتلوا بحدّ السيف من وجدوا فيها كهولاً واحداثاً شيوخاً واطفالاً نساء ورجالاً غير مستحيين احداً ولا مشفقين عليهِ ولما بلغت قسطنطيوس هذه الاخبار المحزنة سار مسرعاً حتى وصل الى تلك الارجاء ونظر طلولها الدارسة وبيوتها الخربة ففاضت عيناهُ بالعبرات واشتاق الى الكرّ والكفاح فنازل الفرس اياماً طوالاً وحاصر مدينة بزابد ولكنهُ لم يتمكن من قهر الاعداء واذلالهم بل ارتد في ابتداء الشتاء الى انطاكية عاصمة الشرق ليصرف ذلك الفصل البارد والممطر فيها

ان بلاد فرنسا الحالية المدعوة قديماً غاليا كانت في القرون الاولى بعد المسيح قد تهذبت بعض التهذيب واخذت مبادئ التمدن عن الرومانيين المتسلطين عليها فاعتنت لذلك المدائن الرحيبة وشادت الاسوار المرتفعة غيرانهُ في عهد قسطنطيوس زحف اليها الالمان وسكنوا في اقليمي الالزاس واللورين واغار عليها الفرنك او الفرنج واحتلوا اقاليم اخرى ومعلوم ان هولاء

الاقوام المتوحشين هم اعداء التمدن والسلام فاقتلعوا آثارها وعاثوا في البلاد مفسدين وكان يليانوس فبصر المغرب فتىً جاهلاً فنون القتال لم يألف في حياته سوى اسفار الفلسفة ومباحث العلماء والحكماء حتى انه في ابتداء ولايته حينما كان يتعلم ضرب السيف وطعن الرماح كثيراً ما كان يتأوه ويقول يا افلاطون يا افلاطون ان هذه الاعمال لشاقة على الرجل العالم الحكيم ولكنه اتقن بعد ذلك كل ما رآه صعباً وسرع فيه بصيرة وثباته وحارب البرابرة مراراً وكسر الالمان في ستراسبورج سنة ٣٥٧ كسرة مشهورة واسر ملكهم وشتت شملهم في تلك البطاح ثم قاتل قبائل الفرنج وهم اشد البرابرة بأساً واصعبهم مراساً فقد وصفهم بعض الخطباء قولهم انهم يحبون ثلوج الشتاء وزمهريره كما يحب المرء في البلاد المتمدنة زهور الرياض ايام الربيع وفي اوائل سنة ٣٥٨ انتصر عليهم انتصاراً مبيناً واكرههم على الخضوع لسلطته والعمل باوامره وبعد ذلك عبر نهر الرين ثلاثاً وحارب الالمان واخضعهم ثم ارتد واحصى رقم الاسرى عشرين الف اسير كانوا في قبضة ملوك تلك الامة القوية

وكان يليانوس آخذاً مدة وجوده بالديار الغالية في اصلاح احوال الرعايا وتهذيبهم ولما استتب له الامر وسادت الراحة وخيم السلام في جميع تلك الارجاء على اثر انتصاراته العظيمة بادر الى تشييد ما خربته البرابرة قبلاً فمهد الطرق وبنى المدائن والاسوار وساس الشعب بحلم ووداعة محامياً عن المظلوم ومراقباً اعمال القضاة والحكام وحدث مرة ان الحكومة رامت زيادة الضرائب فسعى جهده لمنع هذه الزيادة معتذراً بان حالة الغاليين لا تمكنهم مطلقاً من نقد ما هو مفروض عليهم وقد اشار الى ذلك برسالة ارسلها الى احد اصدقائه قال فيها بعد ان اظهر حسن سلوكه وافعاله المشكورة والمبرورة هل يمكن تلميذ افلاطون وارسطوطاليس ان يفعل غير ما فعلته وهل استطيع ان اغفل عن مصالح رعيتي التعيسة التي اؤتمنت عليها ألم اتم في هذا المنصب العالي لادفع عن الشعب مظالم مولاء اللصوص الاجلاف فاذا كان القائد الخائن يعاقب بالموت وبالطرح خارج المدافن فباي عدل يمكنني اجراء حكم كهذا اذا كنت انا نفسي اوان الخطر قد اهملت واجبات اهم واسمع فالله الذي رفعني هو يحميني ويساعدني بعنايته وان قضى عليَّ العذاب والشقاء فاني اجد تعزية وسلوى في اماني وطهارة ضميري واذا ارتأى الملك عزلي وارسال من يخلفني فانا اطيع ما يأمره بلا كره لاني افضل ان اعمل الصلاح مدة يسيرة من ان اصرف زماناً طويلاً في اقتراف الذنوب وارتكاب الشرور والمحرمات غير خاشٍ المعاقبة عقاباً

واعظم مدينة جهد يليانوس في تكبيرها وتحسينها هي مدينة باريس مركز حكومته ايام

الشتاء . الا انها مع عظمتها السابقة واجتهاد يليانوس في تحسينها كانت صغيرة جدًا بالنسبة الى المدينة الحالية الممتدة على ضفتي نهر السين الى امد بعيد لانها كانت محصورة في الجزيرة الصغيرة الواقعة في وسط النهر الذي كان يغسل وهو جارٍ اسفل اسوارها وفي الجهة الشمالية كانت الارض ملأى بالغابات والاشجار القديمة الناسنة والى الجهة الجنوبية حيث الان المدرسة الكلية كانت منازل الاهلين والملعب والحامات وساحة واسعة لتعليم وتدريب الجنود وكانت مساحتها وقتئذٍ ٥٨٧٨٤٨ مترًا مربعًا مع انها الان نحو ثمانية وسبعين الفًا وعشرين كلومترًا مربعًا وكانت موصولة بالبر الذي يقابلها بجسري خشب

وطار خبر انتصار يليانوس في سائر الاقطار وتحدث الناس بفضائله وعدله والثناء عليه وبالغوا في الثناء فاثار ذلك غضب وحسد الملك واهل بلاطه واشفقوا على انفسهم منهُ وسعوا في احباط اعماله وارداته ان امكن فاصدر لذلك قسطنطيوس سنة ٣٦٠ امرًا يامرهُ به ان يرسل نخبة جيوشه واشجع كتائبه الى الديار الاسيوية لمحاربة الفرس فيها فلبى يليانوس امر الملك طائعًا واوعز الى الجنود بالمسير فسارت كرهًا وحين وصولها الى باريس جاهرت بالعصيان وخلعت طاعة قسطنطيوس ونادت بيليانوس ملكًا اولاً او اغسطس ولعل يليانوس نفسهُ هو الذي هاجها سرًا لتفعل ما فعلت ولما تم ما ارادهُ تظاهر بالانصياع ليكون آمنًا لوم اللائمين وكان هذا الامير مع ما هو عليه من سعة الاطلاع وتوقد الذهن شديد الاعتقاد بمحبة الآلهة له حتى انهُ لما بلغتهُ اخبار عصيان الجنود نام برهة ثم هب وحدث اصدقاءهُ انهُ ابصر في منامه مَلَك المملكة واقفًا على بابه يستأذنهُ في الدخول ويحثهُ على الطمع والاقدام واذ ذهل مما رأى حوّل وجههُ الى جوبتير اله الآلهة فاوعز اليه بوحي ان يخضع لنصائحه وطلب الجيوش

واراد يليانوس بادئ بدء ان يستر اطاعة هذه ببرقع الانصياع فارسل رسالة الى قسطنطيوس قال له فيها انهُ غير راغب في الملك وانما حالة البلاد الحاضرة وهيجان الجنود بدعيانه الى قبول ذلك المنصب الرفيع وانهُ يحتاج في كل حال الى رضاه عنهُ وتثبيته ليصبح انتخابهُ قانونيًا فغضب قسطنطيوس وكتب اليه ان يترك في الحال لقب ومنصب اغسطس اي الملك المالك وان يعتبر نفسهُ وزيرًا خاضعًا لاوامره وان يجعل زمام الاحكام والجنود في قبضة من يرغب البلاط الملوكي في تنصيبه فعلم يليانوس ان ذاك امر وراءه الاكمة ما وراءها وتأكد ان الحرب الاهلية لا بد منها فاستعد لها ولما قرأ رسالة قسطنطيوس يوبخهُ فيها انهُ خائن كفر بنعمته ونسي انعامهُ عليه بتربيته وهو يتيم مهمل وترقيته الى اعلى درجات الفخار صرخ قائلاً ويلاه ان قاتل انسبائي ومبيد عائلتي يوبخني بوقاحة انني كنت يتيمًا مهملاً فبالحقيقة انهُ يحرضني

بكلامه ان اشمر عن ساعد الهمة واباً در للانتقام منه منذكراً ما اصابني من الرزايا بسببه ثم كتب اليه كتاباً فصّل فيه ايمان حنثه وغصبه وعداوته له التي كتمها مدة عشرين عاماً وبعد ذلك جحد علناً الديانة المسيحية وابتهل الى آلهة الروماويين ان تحفظه من الاخطار وتنصره على العدى وفي الحال جمع جيوشه وتقدم بها مسرعاً وما زال سائراً حتى وصل الى بلاد ايلريا فحارب العساكر التي هناك واسر قائدها لبسيليان ولما احضر ذلك الاسير لديه رفعه وهدأ روعه فتذمل ليسبليان واراد مدحه والتزلف اليه بقوله ايها الملك لماذا تعرض نفسك للاخطار وتهجم على الاعداء بنفر قليل فاجابه يليانوس على الفور دع هذه النصائح والتحذيرات لمولاك قوسطنطيوس واعلم اني اذ منت لك بتقبيل ذيل ثوبي لا لتكون لي مستشاراً بل لتعرب عن حاجتك وداوم يليانوس وكتائبه المسير حتى دخلوا مدينة سرميوم (الان ميتر وفيتش) فاستقبلهم الاهلون بالتجلة والترحاب وكان قسطنطيوس بعد رجوع سابور الى بلاده قد استعد لنزال ابن عمه وخصمه فزحف برجاله الى انطاكية ومنها الى موبسكرين وهي مدينة في بلاد كليكية على بعد اثني عشر ميلاً رومانياً من طرسوس فقضى نحبه فيها سنة ٣٦١ في الرابعة والخمسين من عمره والرابعة والعشرين من ملكه وبموته استتبت الراحة في سائر اقطار المملكة وخضع الجميع ليليانوس الذي دخل القسطنطينية باحتفال عظيم وبديع وبعد بضعة ايام استقبل بنفسه جثة الملك المتوفي وسار بجنازته الى كنيسة الرسل حيث دفن بالاكرام اللائق به وحسب العادة المألوفة

الفصل الثالث

في ملك يليانوس المعروف بالجاحد من سنة ٣٦١ الى سنة ٣٦٣ وملك يوفيانوس من سنة ٣٦٣ الى سنة ٣٦٤

اذا كان في كلام بعض المؤرخين القدماء حقيقة او كان لاحاديثهم صحة نرى يليانوس ملكاً فاضلاً وورعاً زاهداً يبغض المجد والافتخار ويؤثر العزلة في كهوف النساك واندية العلماء على السلطة وعرش الملوك غير ان رفعته بوالاحوال الى نصيبه وبعدئذ دعته الى هذا المقام العالي والجأته ان يصدع بامور في الاحكام بيد قوية ولاخذ اشعار ونصائح الحكماء والعلماء الاعلام بيده الاخرى غير ناس ومتذكراً ابداً قول استاذه افلاطون ان رعاية جماهير الناس تسلم دائماً لرجال متفردين في الصفات وان سياسة الامم تحتاج الى مساعدة وعناية الآلهة والارواح فجهد لذلك حسب زعمه ان يبلغ درجة الكمال منفصلاً قطهير نفسه من الادران الارضية والشهوات الجسدية بعفافه وزهده فبلغ انه لم يعرف قط الدعارة وانه تزوج حبا

نعيينهِ قيصر سياسة لا شهوةً وهياماً وقيل ايضاً انهُ كان سريع الخاطر وشديد الانتباه الى درجة تحار فيها العقول لانهُ كان قادراً ان يكتب ويسمع ويأمر ويتكلم بوقت واحد وهذا كما لا يخفى من الامور الخارقة العادة والخلاصة ان بليانوس كان فيلسوفاً مشي على سنن حكماء اليونانيين القدماء. وفاضلاً زاهداً حسب رأي الاكثرين الا انهُ كان يقصد في كل ذلك الاشتهار لا الفضيلة الحقيقية من حيث هي وكان بلا ريب كاتباً بارعاً ذا عقلٍ سامٍ واجتهادٍ غريب فانهُ كتب في ليالي الشتاء الباردة مدة سنتين صرف احداها في القسطنطينية والاخرى بانطاكية عدة كتب بليغة وشهيرة واصلح عوائد العظماء ونفى من قصره ومن جميع محال الحكومة البذخ وكل آثار الترف وكان متصوفاً وراغباً الى الجميع ان يقتدوا بهِ وجاهداً في تلطيف السلطة الملكية ومنح الشعب امتيازات جمهورية كثيرة اما معاملتهُ للمسيحيين ورغبتهُ في بناء هيكل اليهود باورشليم واعتقاداتهُ الوثنية فمذكورة في الفصل السادس من هذا الباب كما سبقت الاشارة وتقدم المقال

واراد هذا الملك النشيط ان ينال قصب السبق في مضمار جميع ضروب الفخر والاشتهار فجيش سنة ٣٦٢ جيشاً عرمرماً وقصد افتتاح مملكة الفرس مقتدياً بشجاعة وسياسة اسكندر ذي القرنين ونابذاً وراءهُ ظهرياً اعمال اسلافهِ الذين لم يحاربوا الاكاسرة الا اذ بدوهم بحمة واعتداء على املاكهم الاسيوية فسار وجيش الرعب يتقدمهُ حتى وصل الى بلاد الفرس فهدم الجسور التي مرَّ عليها وولج ظافراً غانماً ثم افتتح اقليم اشور وخرب مدائن كبيرة وحصينة وقتل اهلها وترك اموالها غنيمة لعساكره الابطال الذين لم يرتضوا بما اكتسبوا بل تذمروا وتأوهوا متظلمين فجمعهم وقال لهم ان الاموال التي تبتغونها وتنشدونها بالارواح هي بين ايدي الفرس اعدائكم فانظروا الى هذه المملكة الواسعة وثروتها واعلموا ان جميع ذلك غنيمة لا تظفرون بها الا بالشجاعة واقتحام الاخطار ايها الجنود ان الجمهورية الرومانية التي رتعت مدة مديدة في بحبوحة الثروة والفخار قد اصبحت الان في فقر مدقع لان ملوكها ورؤساءها الضعفاء ووزراءها الخائنين قد اشتروا راحتهم ورددوا هجمات البرابرة المتدربين بالذهب الاصفر الوضاح فذهبت لذلك نقودنا جزافاً وخربت مدننا واقفرت بلادنا بعد ان كانت آهلة زاهرة اما انا فلم ارث من الملوك اجدادي سوى نفس ابية لا تعرف الضعف ولا الجزع ولما كان الفوز الحقيقي هو في سمو الادراك والعقل فقط قد اعتصمت بالفقر الشريف وهو الفضيلة التي افتخر بها فبريسيوس في الزمان القديم والتي يمكنكم ان تنالوها اذا اصغيتم الى صوت الآلهة وانذار رئيسكم وقائدكم واذا كنتم لا تودون سوى الفتن والشر ورفاتنا مستعد ان اموت ميتة شريفة تليق برجل فاضل

نال المقام الاول بين العالمين واذا كنت غير أهل لهذا فتفضلوا من تحبون وانا استقيل السلطة بلا كره وسريعاً.

فضجت الجنود حينئذٍ باصوات الفرح وابدوا اشارات الخضوع والسرور

بالحقيقة ان المؤرخ المتمدن البصير لا يستطيع ان يقابل بين حالة البشر في الزمان القديم والحديث الا ويرى بوناً عظيماً في السياسة والاخلاق والحروب وبعدها بلا ريب الانفعال والشفقة على ابناء جنسه ويعلم علم اليقين ان الناس قد قضت قروناً عديدة وهي تتمرغ في حمأة الذل وتقاسي ظلم الظالمين لانه اذا كان يليانوس وهو الملك الذي يفتخر بالحكمة والتصوف يسمح لعساكره بهدم المدائن وقتل اهلها ونهب ما يملكون فلا يمكنه ان يتصور ويلات الحروب الحادثة على اثر انتصار قائد وحشي يعتقد الاغتنام كل الاغتنام في نهب الفقراء وسلب المهج ومع ذلك ربما كان يليانوس في ما اتاه مكرهاً لا بطلاً لانه سبق اليه بقوة العوائد وطباع وعصيان الجنود

وكان يليانوس سائراً على ضفة الفرات وسفنه الكثيرة كانت تتبعه حاملة الآلات والزاد ولما وصل الى ستسيفون (الان خراب بالقرب من تكتي كسرى) وهي احدى العواصم وجد قناة قديمة مردومة يمكنه منها ان يعبر الى نهر الدجلة على بعد من المدينة فاصلحها ونقل عمارته من نهر الى آخر وكان ناوياً ان يسير في الدجلة كما سار في الفرات فمنعه رجل فارسي شريف التجأ اليه متظاهراً بالحقد على كسرى وما قصده بذلك الا المكر والغدر بالرومانيين ليغادروا الاراضي الخصبة ويتوغلوا في قفار لا ماء ولا طعام فيها فرضخ يليانوس لمشورته وحرق عمارته جميعها ما خلا سفناً قليلة ابقاها وحملها في البر على مركبات ليمكنه ان يعبر فيها ما يلاقيه بطريقه من الانهر والجداول وقيل ان يليانوس فعل ما فعله عن حكمة وروية لان نهر الفرات لا يصلح لسير السفن وراء بابل وكذلك الدجلة وراء اوبس وهو مكان قريب من المعسكر فاختار يليانوس حينئذٍ ان يحرق عمارته ليحرم منافعها الاعداء وليشجع رجاله محرضاً اياهم الا يرجوا نجاة بغير جسارتهم والظفر

ولما نظر الفرس تقدم الرومانيين جعلوا البلاد وخربوها وتركوها قفراً يباباً لا يمكن حيواناً ان يعيش فيها حتى اذا شعروا بضيق اعدائهم ونهك قواهم انقضوا عليهم انقضاض الجوارح او الصواعق واعملوا فيهم السيوف البواتر وعوامل الرماح وكان الرومانيون يلتقونهم دائماً بقلب ثابت وشجاعة عظيمة ويردونهم بالفشل الا انهم لم يستطيعوا ان يحولوا بهم متى ولوا الادبار لان الحر الزائد المقدار كاد يخنق عساكر يليانوس الذين كان اكثرهم من بلاد جرمانيا وفرنسا

وهي بلاد باردة جداً بالنسبة الى العراقيين في شهري ناجر ولا ريب ان حالة الرومانيين والفرس في هذه الغزوة تشابه كل التشابه حالة الفرنسويين والروس سنة ١٨١٢ ولا فرق بينهما الاّ يكون اولئك قد اماتهم الحرّ المهلك وهولاء قد اهلكهم البرد القارس

وفي احدى الليالي اذ كان يليانوس راقداً ابصر في منامه ملاك المملكة مرتدياً كفناً وخارجاً من سرادقه فهبّ مذعوراً وخرج خارجاً ليستنشق النسيم فنظر شهاباً ثاقباً مرّ في الجوّ مرّ السحاب وغاب عن بصره فتأكد اذ ذاك ان ما رآه هو علامات ودية انذرهُ بها المريخ اله الحرب وبعد ذلك نازل الفرس في ارض ممنوعة وكان لشدة الحرّ قد طرح درعه وخوذته ولم يأخذ سوى ترس وسيف فتقدم بين الصفوف وجال كالغضنفر وما زال فاتكاً حتى اصابته حربة خرقت جنبه فاراد نزعها بيده فقطعت انامله وخرّ على الارض مغشياً عليه فحمله اعوانه الى السرادق وانتشر خبر جرحه بين الرومانيين فزادوا نشاطاً ورغبة في الانتقام ودامو مع اعدائهم في عراك وصدام حتى خيم الظلام وانكفّ كل فريق الى معسكره

ولما افاق يليانوس اراد الخروج الى ساحة القتال فلم يقدر لانه اصبح في حالة يرثى لها واوشك ان يشرب كأس الحمام فجمع اصدقاءه واخذ يطارحهم الكلام في الفلسفة ويباحثهم في ما وراء الطبيعة كما فعل سقراط بالسجن قبل موته ثم استرعى السمع وقال لهم ما يأتي

ايها الاصدقاء والاعوان الاحباء

قد آن اوان رحيلي من هذا العالم فانا ارد بسرور على الطبيعة ما انا مديون لها به وقد علمت من مباحث الفلسفة وتيقنت ان الروح هي افضل جداً من الجسد وان انفصالها عنه يستلزم الفرح والحبور لا الحزن والكآبة والديانة تعلمنا وتؤكد لنا ان الموت العاجل هو عنوان الخير وجزاء فاعليه المتقين وانا اشكر الآلهة لانعامها عليّ به وتخليصي من الحيوة الدنيا التي ربما تقودني يوماً ما الى افساد اخلاقي واعمالي المشهورة بالحسن والتقوى وكما اني عشت صالحاً اموت صالحاً مسروراً بنقاوة ضميري وطهارة نيتي جميع ايام حياتي ويمكنني القول ان السلطة السامية التي تقلدتها وهي من مواهب الآلهة قد حفظتها ومسكتها بيدين طاهرتين لا تعرفان الدنس واذ كنت اكره الاستبداد ونتائجه قد عرفت واعتبرت ان سعادة الامة هي غاية كل حكومة قانونية في الدنيا ولذلك كانت جميع افعالي خاضعة لنواميس الحكمة والعدل والانصاف وكنت في كل حال متكلاً على عناية الآلهة وقوتها راغباً في السلام متى كان ضرورياً ومشمراً عن ساعد الهمة لايقاد نار الحرب حينما تدعوني اليها مصالح الوطن غير مدخر وسعاً وباذلاً

روحي في هذا السبيل مع علمي السابق ان موتي لا بد ان يكون فلا نحمد الكائن السرمدي الذي لم يسمح بموتي على يد احد الظالمين او بسيف احد الخائنين او بعذاب الامراض المؤلمة بل اعدَّ لي موتًا شريفًا في ساحة المجد والفخار وانه لضرب من الجنون ان يعاند الانسان القضاء والقدر وكنت اود ان اكلمكم كثيرًا ولكن الساعة الاخيرة قد دنت فعليكم ان تختاروا خليفة لي رجلًا عاقلًا وحكيمًا اما انا فلا اعين احدًا لهذا المنصب الرفيع خوفًا من انكم لا تسرون به ويكون عرضة للخطر والاضطهاد قال هذا وبعد قليل اي في نصف الليل من اليوم السادس من شهر حزيران سنة ٣٦٣ قضى نحبه في الثانية والثلاثين من عمره والثانية من ملكه وفي اليوم التالي اجتمع قواد الجيش وانتخبوا ملكًا عليهم يوفيانوس وهو رئيس خدام او اعوان الملك المتوفى

ودامت الحرب بين الرومانيين والفرس قائمة على قدم وساق حتى نفد زاد الاولين وذاق عدد عديد من الآخرين طعم الموت الزؤام فرضي اذ ذاك الفريقان بتوقيع عهدة صلح مآلها تخلية الرومانيين بلاد ارمينيا وقسم من مسوبوتاميا اي الجزيرة للفرس ومحافظة الامتين مدة ثلاثين سنة على السلام التام اما جثة يليانوس فحنطت واحضرت الى طرسوس حيث دفنت في ضريح فاخر عظيم بني على ضفة نهر كدنوس وهو نهر تلك المدينة غير ان بعضًا من اصدقائه كان راغبًا في تنفيذ وصيته لانه قال عند موته ان تلميذ افلاطون يجب عليه ان يرقد براحة في كهوف جمعية العلماء والحكماء وكانت الجنود تطلب دفنه برومية في ساحة المريخ بالقرب من يوليوس قيصر

وبعد ان احتمل يوفيانوس وكتائبه لتعوب السفر وألم الجوع وويلات القتال وصل الى انطاكية فاقام فيها مدة ثم زايلها وسار مسرعًا الى القسطنطينية فلم يبلغها بل مات في ١٧ شباط سنة ٣٦٤ في مدينة داداستانا (الان طور بلها وكسنك) واسباب موته غير معروفة تمامًا لانه وجد ميتًا في فراشه فقيل انه مات بعسر الهضم وقيل انه اوقد نارًا في غرفته ونام فخنقه حامض الفحم وقيل خلاف ذلك والمظنون ايضًا انه مات مسمومًا اما مدة ملكه فهي ثمانية اشهر غير كاملة وكان هذا الملك سمح الاخلاق حر الاديان في مملكته فظير يليانوس الذي تقدمه

الفصل الرابع

في ملك فالنس من سنة ٣٦٤ الى سنة ٣٧٨

وقضى قواد الجيش عشرة ايام في بحث وجدال الى ان اجمعوا جميعًا على انتخاب فالنتنيان

ملكًا وهو رجل طويل القامة جميل ومهيب محبوب من اصدقائه ومرهوب من اعدائه قد الف العفة والقناعة منذ صباه فشب جبارًا قويًا غير انهُ كان قليل الخبرة بالعلوم جاهلاً اللغة اليونانية وقواعد الانشاء خبيرًا بالفنون الحربية ومسيحيًا غيورًا وجسورًا حكي عنهُ انهُ دخل ذات يوم مع بليانوس الى هيكل الوثنيين في انطاكية فتقدم الكاهن الوثني ورش الملك واعوانه بماء مقدس فوقع من ذلك الماء بعض نقط على ثوب فالنتنيان فغضب غضبًا شديدًا وصفع الكاهن ومزّق ثوبهُ اما الملك الفيلسوف فقدرهُ حق قدره وصفح عنهُ وكان عمر فالنتنيان حين تنصيبهِ ثلاثًا واربعين سنة وحدث ان العساكر بعدما حيتهُ ورضيت بهِ ملكًا طلبت اليهِ ان يتخذ لهُ شريكًا في تدبير مهام المملكة فجمع حينئذٍ فالنتنيان الرؤساء للبحث في هذا الامر فنهض احدهم المدعو دغاليفوس وقال لهُ ايها الملك السعيد اذا اردت ان تراعي مصالح عائلتك فقط فلك اخ يمكنك انتخابهُ واذا كنت تحب الجمهور والجمهورية فانتخب من الرومانيين من تراهُ اهلاً لذلك فصمت فالنتنيان وبعد ثلاثين يومًا انتخب شقيقهُ فالنس ملكًا وهو امير مسيحي على مذهب اريوس كان يحب اخاهُ محبة شديدة وينقاد لهُ ولآرائهِ في جميع الامور فاقتسم الاخوان المملكة الرومانية ونال فالنس وهو الاصغر البلاد الشرقية من حدود نهر الدانوب السفلى الى تخوم مملكة الفرس وتولى فالنتنيان احكام ايليريا وايطاليا وغاليا وذلك من بلاد اليونان الى اسوار سوكتلاندا ومن اسوار سوكتلاندا الى جبل الاطلس في افريقيا الشمالية ولما تمت القسمة تعانق الاخوان وانفصلا فذهب الاكبر الى ميلان ورجع الاصغر الى القسطنطينية ليسوس شعوبًا مختلفي الاجناس لم يعرف ولم يدر قط لغاتهم وفي السنة التالية عصاهُ رجل اسمهُ بروكوبس وهو احد انسباء يليانوس وكاد يسلبهُ الملك لولا شجاعة ومهارة وزرائهِ وقوادهِ الذين اغروا الجنود التي انضمت الى العاصي بتركهِ فتركتهُ وقبضت عليهِ سنة ٣٦٦ واماتتهُ شرَّ ميتةٍ

ان الاعتقاد الباطل بالسحر والسحرة قد اذاق الانام مدة قرون عديدة عذابًا اليمًا وضحى مئات والوفًا من بني البشر على مذابح الخرافات والاوهام فاوروبا نفسها التي وصلت الى هذه الدرجة السامية من السؤدد والتهذيب لم تبطل حرق وقتل السحرة وعوائد اخرى خرافية وقبيحة الا في القرن السابق وعليهِ فقد جهد فالنس منذ تبوأ العرش في اهلاك هؤلاء الاقوام البغية ناتي

باب الفكاهات

رواية الاختفاء الغريب

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي نصيري

(تابع ما قبله)

فصحت ميهونا زوجتك انا تجهل كونك متزوجًا

اما الموسيو بلاك فاستتبع الحديث بنبرات متغيرة وقال لا تعجبا اذا اغربت هذه الحادثة على حكمة وكلاء البوليس ثم عاود التكلم بعد فترة قليلة وقال انها ما عرفت مني ابدًا بصفة زوجتي ولم يجمعنا مسكن واحد ولكن اذا كانت بركة الكاهن وحدها كافية لعقد الزواج تكون صاحبة هذه الصورة التي تريانها امامكما هي زوجتي الشرعية

ثم نهض وادار الى جهة الحائط تلك الصورة المسكرة وتركنا وجهًا لوجه امام صورة ابنة عمه الكونتيسة دي ميراك وقال ما من شيء يرغمني على التكلم باكثر من هذا لقد عهدت اليكما لازالة شكوككما غير المعتاد له بصدره ما صرحت به حتى الان لاحد من البشر ولكن الحوادث المكتومة وما ينشأ عنها من الحذر وشقشقة اللسان لا تكون تأثيراتها في فؤادي اخف الما من التصريح علانية بافشاء الاسرار ولا ريب انكما تتصوران الف افتراض اذا امتنعت الان عن استيفاء الحديث وتصحيح اسمي واسمها مدة الحادثات العمومية ومن يعلم ايضًا فربما تداخلكما شكوك اعظم من الشكوك التي دخلتكما بخصوصي الى هذه الساعة اني اعتبركما يا سيديّ من اصحاب الشرف وربما يكون لكما عائلة وزوجة واولاد اعزاء عليكما ولا ريب انكما بنفوس كريمة وبهمكما المحافظة على سمعتكما الا فقولا اذن هل تؤكدان لي اذا ثبت لكما ان اعمالي في الايام الاخيرة لا علاقة لها كليًا بالخيانة المقصودة انكما تحافظان على سري في كل ما يتعلق بهذه الاعمال والاسباب التي دفعتني اليها

قال الموسيو كريس يمكنك ان تعتمد عليّ تمام الاعتماد بحفظ سرك في كل ما هو خارج عن واجبات مصلحتي كمفتش للبوليس اما من خصوص الحذر وشقشقة اللسان فليس لي وقت لمباشرتهما

فسأل ومعاونك

قال بصيبة الخرس عندما يجد في ذلك مصلحة

قال كفى اني وثقت بامانتكما ثم قطب حاجبيه وتنحنح بداه وبدأ يقص علينا سيرة فقال

اني لا ارى بدًّا من الابتداء بالتكلم عن ابي وان عزّ عليّ كثيرًا ذكر اسمه في هذه السيرة فان هذا الرجل كان بارادة ثابتة وافكار لا تتزعزع وكان جل رغبته ان يراني حاصلاً على سمعة شريفة ومحافظًا على ثروة عائلتنا القديمة وكان يقول لي منذ طفوليتي اني ارضي جميع رغائبه اذا تتبعت بامانة السبيل الذي يرسمه لي ولكن اذا خالفت اوامره وارتكبت شيئًا من المعاصي او اجريت اعمالاً لا تليق بشرف عائلتنا يحرمني من ارثه بلا شفقة ويطردني من بيته

وعندما بلغت سن الرجال عشقت ابنة عمي افيليون بالاك الى حد فقدت معه كل راحة افكاري ولما فاتحت ابي للمرة الاولى بذلك صرح علانية انه لا يرضى ابدًا بهذا الزواج ونصحني ان اسافر للتغلب على هذا الحب المشوم فنقدت بادئ بدء كل نعزية ولم يكن من مشاهدة البلاد والوجوه الجديدة الاّ زيادة اوجاعي بخسران الفتاة التي تصورت فيها وفتنني منتهى الجمال ثم انقطعت بعد ئذٍ الى حياة مضطربة اهم ملذاتها دروس الطبيعة والصيد فذهبت الى كاليفورنيا في بطريق البر وتجولت في احراش اوراغور وفلوريدا المزهرة ثم في صحاري كنادا والولايات الشمالية وفي هذه السفرة الاخيرة طرأ عليّ حادث كان له نفوذ عظيم مادي على حياتي وان لم يؤثر فيّ وفتنني الا تأثيرًا طفيفًا وقتيًا

وكنت قد رجعت اذ ذاك من كنادا وجعلت اقضي الايام الاخيرة من خريف يدبع على شطوط بحيرة جيورج واذ وصلني تحرير من احد اصدقائي يدعوني به لموافاته الى قرية صغيرة تسمى فيرمون حيثما يكثر هنالك وجود السمك في الانهر والسواقي ويقل الصيادون فسافرت سريعًا الى هذه القرية البعيدة التي اشار اليها ولم يكن طريقها سهلاً لانها في وسط بلاد وعرة المسالك على بعد عشرين ميلاً من الخطوط الحديدية من اللازم لبلوغها ان يقطع المسافر مسافة طويلة على عربة السفر ثم يسافر بعد ذلك على الخيل نحو ساعة او ساعتين وكنت لا اعرف الطريق فضللت في ليلة من اظلم الليالي في بلاد مجهولة ولزيادة مصابي عرج الجواد ثم ما لبث ان اظهر العجز وانتصر على المشي بخطوات متمهلة

وبعد برهة من الزمان نظرت عن بعدٍ بفرح متزيد منزلاً مضيئًا تحققت من مشهده انه

فندق للغرباء وكانت جميع ابوابه ونوافذه مقفلة نظرًا لزمهرير البرد واشتداد الانواء في تلك الليلة فضربت مرارًا على الباب ثم دعوت من في المنزل حتى يحضر من يأخذ جوادي ففتح الباب وظهر على العتبة رجل في يده قنديل فاخبرته باسم مونسرغوني وعند ذلك اجابني بصوت خشن حقًا ان هذه الليلة لمن أقبح الليالي ولا تلبث الامطار والعواصف ان تتزايد من الان الى بضع ساعات

وما انهى هذه الكلمات حتى عصف الهواء بشدة في المشي وانغلق الباب بعنف وكان على مقربة من الباب شجرة فجعلت اغصانها تضطرب بصوت مرعب

قال الرجل ادخل سريعًا ان السماء ستفتح ميازيبها وتمطر سيولاً

فوثبت عن جوادي الى الارض ودخلت فوجدت رجلاً آخر ينتظرني في المشي فدلني باشارة من يده على غرفة ضئيلة ضيقة ثم ذهب ساكتًا لمساعدة رفيقه في اخذ جوادي الى الاصطبل وكان الرجل الاول اصغر سنًا من الاخير

وعندما دخلت الى الغرفة التي دلني عليها اخذتني الدهشة اذ وجدت نفسي امام فتاة توهمت لمشهدها اني في حلم فهي بجمال مفرد لا يمكن زواله من الافكار ولها قوة ساحرة غريبة ومن الامور التي يستحيل استقصاء وصفها زهو قامتها الرشيقة ولون بشرتها العاجية وبهاء شعرها الذهبي ونار اعينها الشديدة الزرقة وملامح القلق غير العادي المرتسمة على وجهها وعند دخولي نهضت واقفة على قدميها وبقيت مكانها بلا حراك وقد اسندت يديها على طاولة امامها من الخشب الابيض وكانت جميع مظاهرها وقتئذ تترجم عن الذهول والخوف فكشفت عن راسي وحييتها باحترام فما اجابتني على هذه التحية ولكنها اضطربت برعشة قوية من قمة راسها الى اطراف قدميها ثم شخصت اليّ باعين مغرورقة بالخوف ودلتني باشارة على الباب كأنها تطلب اليّ بتوسل ان اسافر وعند ذلك فتح الباب المذكور فجاءة ودخل الرجلان ثم تقدما نحوي بقدم ثقيل فاخفضت الفتاة رأسها وخرجت بلطف من القاعة قبل ابتدائهما بالحديث

فقال الرجل الاكبر سنهما للآخر بصوت حلقي وبلهجة المهابة ظاهرة قل للوتزا ان تساوي فراش الغرفة الشمالية الغربية

اما الرجل الآخر فلم يتحرك من مكانه وبقي واقفًا بجانب الموقدة يتدفأ ويجفف ثيابه على النار المشتعلة ضمنها ثم اجاب بصوت مستنكر سوف تفعل ذلك من تلقاء نفسها بدون ان احمل هذا العناء لاني غارق بالمياه الى عظامي

وكان الكبير سنهما في نحو الخمسين من العمر عظيم البنية والقامة كالجبابرة فقطب حاجبيه

ولا ريب ان مظاهره التهديدية اثرت برفيقه الآخر حيث ما لبث ان رمى ثيابه على كرسي وخرج من الغرفة

فاجهد الرجل الكبير قواه لتلطيف هيأته بما في الامكان وقال ان شبان هذه الايام محبون للاستقلال اما في ايامنا فبالعكس كانوا محافظين على الانتظام والطاعة فما امكنني الا ان ابتسم عند استماعي مثل هذه الكلمات من ذلك الجبار العريض الاكتاف ثم جلست بجانب النار واقتصرت من المجاوبة على هذا السؤال البسيط هذا ابنك قال نعم والفتاة التي نظرتها عند دخولك هي اخته فانا صاحب هذا الفندق وهما يخدمان فيه ولكن قلما نكتسب منه حيث لا يسافر احد من هذه الجهات الا نادرًا فتفكرت وفتشت بالتلال العديدة التي التزمت بصعودها اثناء سفري على الجواد وقلت اعرف ذلك هل نبعد عن بونتونفيل كثيرًا من هنا

اجاب نحو ميلين او ثلاثة اميال وما من صعوبة بقطعها نهارًا ولكن السير اليها في ليلة كهذه كثير المخاطر

قلت اظن ذلك ولا ريب اني توفقت بوجود هذا الملجأ لان الشتاء والعواصف على ازدياد

فالقى الرجل نظرًا على امتعتي وهي تتألف من صندوق سفر صغير وعباءة وادوات للصيد وظهر لي كأنه غير مرتض من نتيجة هذا الفحص ثم سأل هل انت ذاهب للصيد

قلت نعم

قال ان سواقينا وانهرنا ملأى بالسمك ولا سيما الشنفوش منه فهل انت وحدك

فما اعجبتني كثيرًا هذه السؤالات ولكني فكرت بسلاسة ارضائه بالجواب فقلت لا لي رفيق في بونيتونفيل

فاعبث بلحيته وهو ينظر اليّ بهيأة مشومة وقال اذن يوجد من ينتظرك

فما جاوبته على هذا السؤال البارد وجعلت ادفئ رجلي على النار لاني كنت متألمًا من شدة البرد

اما الرجل فعاود الحديث وهو ينظر الى ثوبي الجوخ الازرق السميك وسأل هل صار لك زمان طويل وانت تتجول في البلاد

قلت منذ اوائل الصيف

فتجددت على وجهه ملامح عدم الارتضاء وقال وهو يحاول اتخاذ هيأة المسالمة هل اتيت

قادم من ترواي او من نيويورك

قلت من نيويورك

قال هذه مدينة عجيبة عرفتها قليلاً فكم من الاموال مدفونة في تلك المنازل العظيمة القائمة على شارع والستريت

فاشرت اليه بالايجاب وعند ذلك قرب كرسيه من كرسيّ ثم دخل ابنه وجلس على يساري يتشاوران فما شعرت الا وانا متضايق بين الاب والابن فوقفني هذا المركز فاخرت الى الوراء وسألت هل الآن كانت غرفتي قد تهيأت فاجابني بالسلب والتزمت ان ابقى جالساً رغماً عني لدى قابي كنت قد سر كل الشعور من دينك المرهقين الخصمين

ومضى على ذلك نحو نصف ساعة وكانت الزوابع قد اشتدت وبلغت منتهى قوتها فان الامطار والجليد المندفعين بقوة الهواء على الزجاج كان يسمع له صوت مزعج والرعد يتزايد ويقصف فوق رؤوسنا او يتكرر من ربوة الى ربوة فشعرت واحدة هذه كوني مسروراً بالرغم عما لقيت من الكدر في هذا الفندق لوجودي من خلال سقف السيرقي وسط هذه الزوابع الهائلة وبينما انا على هذه الحال اذ سمعت فجأة من الباب صوتاً لطيفاً يقول ان غرفة حضرتك تهيأت

فالتفت واذا الفتاة التي اترى في عدد حولي تلك التي لم اجد سمعتها على عتبة الباب فنهضت وجمعت امتعتي ثم التفت اليها وقلت هاتها شاكراً مسرعاً الى غرفتي

قال صاحب الفندق وقد حياني تحية المساء لا تخف تماماً من وقعة مرجح قرب المنزل لان الصواعق والاهوال لا تنزل حوله وفي مدة اقامتك تسمع لها اصوات مزعجة ولكن المكان قوي لا يبالي ولا يصيبه سوء . . .

قلت شكراً حسبي ذلك لاني احترت بعد حيل فخر معها على الرعد والبرق وانف فلا تخف واعلم اني سانام بتمام الراحة

ثم صعدت السلم متأثراً الفتاة حتى وصلت الى غرفة كبيرة وسيعة الاثاث وكان هنالك سرير كبير له قبة مغطاة بستائر ... وانما في وقت لا ... الرقاد ومن حولي مثل هذه الستائر المرخية الا دواح

فرفعتها عن السرير بيد واحدة ثم التفت نظراً الى ما حولي في الغرفة وسألت هل تامريني بشيء اخر

فشكرتها وقلت ابداً وفي الحال التفتت وعليها من مظاهر الحزن والسكينة ما تعذر

عليّ ايضاحهُ

وعندما انفرد بي المقام في تلك الغرفة المتسعة التي نصفها عار تقريبًا ويكاد نورها الضعيف ان لا يتميز عن الظلمة وسمعت اصوات الهواء المضطرب تعصف في الموقد وتحرك اغصان الشجرة الكبيرة المتصلة بالجدار بما يسمع له انات كئيبة مرهبة هجر اعيني الرقاد بالرغم عن تعبي وبقيت يابسًا على مقعدي كأني سمرت عليهِ بقوة غير منظورة ولم اعد انتبه لمشهد السرير الكبير المستنكر بعد رفع الستائر وبالحقيقة اني تعجبت كثيرًا من هذه الاستعدادات الفكرية لاني كنت مستجمعًا حواسي ولكن ارادة اسمى من ارادتي كانت تقيدني كما يقال بسلاسل من حديد

ولم استفق من هذه الغيبوبة الفكرية الا على صوت عاصفة قوية زعزعت المسكن فرجعت الى صوابي وفكرت بلزوم الرقاد فجعلت اخلع ثيابي واذ وقعت يدي بالصدفة على جزدانى فقطنت بأميال الحكمة الغريزية الى لزوم التحرس فاقفلت الباب بالسكرة ثم سحبت من الكيس الصغير الاوراق المالية واخفيتها في جيب سترتي السري وتركت قنديلي مضيئًا ونمت بثيابي ولا اذكر اني فعلت شيئًا من هذا في حياتي قبل تلك الليلة

وقد لا يمكنني ايضاح الاسباب التي حملتني على هذا التصرف لاني كنت لا اشعر بخوف محدد وان تكن مظاهر الرجلين صاحبي الفندق ما يدعو الى الارتياب بهما وكان من اصوات الزوبعة واضطراب ذلك المنزل القديم ان ابقياني ساهرًا مدة من الزمان ثم غفوت اخيرًا وكانت الزوبعة مستمرة فما شعرت الا وقد مستني يد فنهضت مبهوتًا ووثبت الى خارج الفراش واذا لوئزا امامي وفي يدها العباءة فقالت لي بصوت مرتعش مخفض ارجوك ان تلبس ثيابك وتتبعني لان المنزل متداعي السقوط الا تسمع كيف يقرقع ويضطرب انهُ لا يلزم لسقوط سقفهِ الا ان يعصف بهِ الهواء مرة اخرى

ثم اتجهت لنحو الباب الذي تركتهُ مسقوفًا فتعجبت لذلك شديدًا ولكنها شاهدت ترددي فعادت على اعقابها وادارت اليَّ وجهًا تنبعث منهُ ملامح العزم الوطيد بما دفعني رغمًا عني الى اتباعها وقالت الا تريد ان تحضر معي اني لا اجسر على تركك هنا لئلا اكون مسئولة بموتك

فنظرت نظرة الاسف الى فراشي وقلت انت تبالغين لان هذا المسكن القديم قوي الجدران ومثل هذه العواصف لا تدمرهُ فكررت هذه العبارة انا بالحق.. اسمع اذن

وبالحقيقة ان العواصف كانت شديدة الحد ان يتصور السامع بان الفندق لا يلبث ان

يتهدم من اساسا تو تعلت صحدث ولكن كيف الخروج في مثل هذه الليلة المرعبة

قالت سأسير برفقتك

فتقدمت اليها على سبيل الملاطفة وقلت انا نفعل ذلك . . .

فاوقفتني عن الكلام بالاشارة وقالت لك قبعتك وصندوق السفر اما من خصوص قصبة الصيد فلا يمكن اخذها

قلت ولكن . . .

فاجابت اذ نا صاغية وقالت اسكت ان ابي واخي سيسيرا فتقانك على رايك و يقولان ان الذهاب في هذا الليل خطر وجنون ولكن اياك وان تسامح لما ان هذا الذهاب تتوقف عليه سلامة حياتك لان هذا المنزل على وشك السقوط ولا يمكن ان تجد السلامة بالرغم عن هذه الزوابع الا على الطريق العامة

ثم نزلت سريعا السلم وتبعتني الى القاعة التي فارقتها منذ ثلاث او اربع ساعات فاذا وجدت ما تراى في ذلك المكان الذي شعرت فيه للمرة الاولى بحاسة الخوف من الخطر حتى جمد دمي في عروقي . . الا اني . . وكل شيء . . . لان النار كانت مشتعلة في المستوقدة والوان معرجة والساعة القديمة المعلقة تدل على ما يقرب من نصف الليل وكان موضوعا على الصاولة قنديل ينبعث نوره بما يكفي لاضاءة المكان وليس في هذا كله ما يحمل على الخوف ولكن المخيف المرهب هو مشهد ذينك الجبار بن التمثالين المنتصبين بسكوت في تلك القاعة وكان الواحد منها مستندا الى الباب المؤدي الى الدهليز والثاني الى الباب المتصل بالمطبخ فوجهت نظرا سريعا الى لوترا الواقفة بجانبي وفي الحال عادت الى قلبي الطمانينة حيث لا يمكن ان يمسني سوء ما دمت محروسا بهذه الارادة الحديدية التي تختلج في صدر رفيقة الفتاة ثم تقدمت خطوة وصندوقي على اكتافي الى جهة الباب الذي يحرسه الاب ولكن لوترا جذبتني بحرارة الى الوراء وقالت لا تبد حراكا ثم التفتت الى اخيها وقالت كارلس افتح الباب ودع هذا الرجل يخرج لانه خائف من سقوط المنزل بالزوابع ويريد تركه وعند ذلك اتكأ كارلس المذكور بعزم على المقبض فقالت استعجل لان هذه هي المرة الاولى التي وجدتك فيها بخدمة

فاجاب اخوها بخشونة ان هذا الرجل مجنون ولولا جنونه لما فكر بالخروج في هذه الزوابع ولا ريب انك اشد جنونا منه حتى سلمت معه بهذا التفكر وانه يهمني كثيرا المحافظة على صحتك وصحته ومن المستحيل اجابتك الى مرغوبك فتظاهرت كانها لم تسمع هذا الحديث ثم ابتعدت عن النار التي كنا بقربها وقالت هل تريد ان تفتح الباب اجب نعم ام لا

اجاب لا ابدًا ان الباب مقفل بطقتين بالمفتاح ولا يمكن ان يفتحه لا انا ولا احد

فاظلم وجهها المصفر ثم التفتت لجهة ابيها وكان متظاهرًا بعدم استماعها وقالت يجب ان يفتح هذا الباب لان هذا الرجل يريد السفر ومن اللازم ان يسافر فهل تريد يا ابي ان تفتح الباب او افتحه انا

فاجابها بعرير يترجم عن منتهى الغيظ ثم وثب عن الباب الذي يحرسه وانقض على هذه الفتاة كأنه يحاول ذبحها فرفعت ذراعي للمحاماة عنها واذا نظرة منها بمعنى السكينة وعدم الخوف ازالت اضطرابي ثم صاحت اذا تقدمت خطوة واحدة ايضًا القي الى النار هذه الاوراق التي تهمكما كثيرًا واميتكما قهرًا عليها انا الاثنين

ثم اخرجت من صدرها رزمة من الاوراق المالية وقربتها من النار المشتعلة فجعل الرجل الموخط شعره بالشيب يلعن ويتقسم ولكنه وقف بلا حراك مكانه وهو مسحور لمشهد هذه الاوراق

فقالت الفتاة بصوت الآمر انت تعلم اني لا اتكلم عادة كثيرًا ثم يمكنك فيما بعد ان تخنقني وتقتلني ولكن اختر الان بين هذين الامرين وهما اما ان يخرج هذا الرجل صحيحًا سالمًا من هذا المسكن واما ان اعدم هذه الاموال ثم عادت فقربت الاوراق من النار

فكرر ابوها اللعن والسباب وهو واقف مكانه لا يجسر على الحراك اما الابن فلم يفعل كذلك بل انقض على اخته كالمجنون بقصد اعدامها وفي الحال قطعت عليه الطريق بضربة قوية من قبضتي القته طريحًا عند اقدامي اما هي فلازمت السكوت ثم تخلت النار عن ورقة مالية من التي في يدها فاحترقت وتلاشت باقل من لمح البصر

فارسل كبير اللصين عند هذا المشهد عويرًا شديدًا كالوحش الكاسر وجعل يضرب ارجله بعنف الى الارض ثم ركض الى الباب ففتحه بحدة وقال كفى كفى . اذهبا . . اخرجا يا سخيفي العقل عسى ان تسحقكما الصاعقة على الطريق ولا تبقي على احد منكما والان اعطيني الدراهم

قالت ابتعد عن الباب ثم تناولت قنديلا وقالت فليشعل لنا كارلس هذا القنديل ويجلي لنا الطريق

وفي الحال اجرى الاثنان بمقتضى هذه الاوامر فتراجع الاب محجمًا الى الوراء واشعل الابن القنديل فما نحن فيه بقي علينا الا الرحيل فقالت لموتزر ... بي وانا اسير على اثرك

قلت لا لا . ابدًا نسير سوية جنبًا لجنب

قال صاحب الفندق والدرام

اجابت الفتاة ادفعها اليك عند رجوعي



الفصل الثاني عشر

حب زوجة

لا يمكن ان انسى مدى الحياة ياسادتي بعد خروجنا من ذلك المنزل اللعين لا العواصف الخفيفة التي كادت تحملنا وتطير بنا في الفضاء ولا السيول المدرار التي غرقت ثيابنا ونفذت الى اجسادنا في اقل من ثانية ولا شدة الظلام الدامس المخيفة المنابة في تلك الليلة فامسكتني لوترا من يدي وقادتني بسرعة وكان من هذا الضغطة اللطيفة الشديدة ان ارعشتني حتى تخيلت ان الزوبعة نفسها ستأخذ سفوف مع الفتاة وان الرياح تعيرها اجنحة الطيران ولما صرنا على الطريق العام وقفت ونظرت الى ورائها واذا اللصان اللعينان قد تركا الفندق وانطلقا على اثرنا فارسلت لوترا صوتاً مختنقاً ثم ركضت مذعورة نحو شجرة وجلست بجانبها واذا بزيد الدهشة جوادي مسرجاً فسكت الفتاة رباطه وعلقت القنديل في قمعة السرج ثم ضربته بعنف على احشائه فانطلق مزيد الغيظ يعسف الطريق بمنتهى قوته وبعد ذلك رجعت اليّ وتمتمت بصوت منخفض لا تبدِ حراكاً

وفي ذلك الحين مر الرجلان بجانبنا وهما يركضان بعجلة فقالت لوترا بصوت يكاد لا يسمع سيتبعان القنديل ثم عادت الى امساكي من يدي وانطلقت بي في الجهة المعارضة للطريق التي سلكها الجواد وقالت اذا اردت ان تثق بي اقودك الى ملجأ امين

وكان الهواء يدفعنا ويساعدنا على السير بسرعة غريبة وفي اثناء الطريق قلت لها بالحقيقة انك طيبة القلب بما لا يقدر . لماذا تعرضين نفسك لكل هذه المخاطر من اجل رجل غريب

فشددت بيدها على يدي ولم تخفض سيرها بالرغم عن الهواء والثلوج ثم وقفت فجأة وقالت بصوت منخفض الك علم باننا على شفير واد عميق لا يعرف له قرار وهذا الطريق يمتد عليه مسافة ميل تقريباً وكثيراً ما صادف فيه المسافرون وخيولهم الموت في الليالي المظلمة

وكان في لهجتها واسلوبها ما لا يعلم كنهه من الاسرار التي ادهشتني ونبهتني اني نجوت باعجوبة من حتف مقرر فقلت اذن هذا الطريق خطر

اجابت بصوت مرتعش جداً

ولست اعلم كم استمر هذا المسير بين الوحول ومجاري المياه والاغلب انه استمر نحو ثلاثة ارباع الساعة وعلى كل فان هذه المدة ظهرت لديّ بمقام الاجيال الطويلة ثم وقفت اخيراً رفيقتي امام كوخ صغير وقالت وصلنا

فسمعت منها هذه الكلمات بسرور لا توصف لان قواي كانت قد نفذت اما لوترا فرفعت بعزيمة قبضة الباب وقرعته بعنف وقالت ستكون هنا بمقام الامن

والذي ظهر لي انها محقة بهذا القول لان الرجلين الذين افلقنا رقادهما في ذلك الليل اقبلا نا بمزيد الانس والملاطفة وادخلانا الى جانب النار ثم قدما لنا طعاماً لناكل

وعند ذلك طفح قلبي بحاسة الامتنان المزيد لاخلاص وبسالة هذه الفتاة التي انقذت حياتي وكانت واقفة بجانب الموقدة تجفف ثيابها وضفائر شعرها الذهبي الطويلة المبللة بالامطار فدهشت لمشهد صباها حيث لا يستدل من مظهرها ان عمرها اكثر من ست عشرة سنة ومع هذا فان اعينها الحالكة كانت تشف عن ارادة عظيمة لا تقهر فانحنيت امامها مظهراً لها امتناني وتشكراتي التي لا تحد

فالتفتت اليّ وقالت بصوت حزين متمهل ما فعلت خلاف واجباتي وانا سعيدة بنجاحي ولكن اذا كنت تزعم حقيقة انك مديون لي ببعض التشكرات فعدني بالسكوت الى الابد عن الحوادث التي توقعت معك في هذا الليل

واذ ذاك خطر على فكري ذلك المشهد المرعب الذي يهدد حياتي فادخلت يدي عن غير قصد مني الى جيب سترتي فما وجدت الاوراق المالية

اما الفتاة فبقيت بلا اضطراب وقالت عدني بذلك لان هذا الوعد يضمن راحتي فنظرت بسكوت الى يديّ الفارغتين ولحظت لوترا اضطرابي فسالت هل اضعت شيئاً . ابحث في جيوب عباتك

فاجريت بحسب امرها واذا الاوراق المالية الضائعة في العباة فاخرجتها منها وقلت اعدك بشرفي اني احافظ على هذا السر قالت سوف تجد ورقة مفقودة ولست اعلم قيمتها ولكن الظروف لسوء الحظ كانت حاتمة علينا بلزوم المخاطرة بشيء من الاشياء

فصحت يالك من فتاة شريفة لقد سلبت عقلي بما ابديت من الشجاعة والمهارة

وظهر لي كانها جرحت بهذه المدائح فتمتمت بلهجة من الخجل موجعة للفواد ان هذه هي المرة الاولى التي حاولا بها ارتكاب مثل هذه المعصية نعم انهما سرقا .. سرقا مراراً ولكن ابداً

ابدًا لم يتعمد اتيان احد كما فعلا في هذا الليل حيث كان مرادهما ان يقتلاك يا سيدي لانهما نظرا لك من ثقب في جدار غرفتك تنقل اموالك من جيب الى آخر فاعماهما هذا المشهد المجنون . .
نعم كان مرادهما ان يقتلاك وان يلقيا جثتك وجوادك الى الوادي ولكنني اطلعت على مقاصدهما فتركتهما مهتمين باسراج الجواد في الاصطبل وصعدت لانبئك وقد رأيت من الضروري الاستيلاء على اوراقك المالية لاعتقاد جبانتك وكان بودي ان ابعدها اليك سالمة بتمامها كما اخذتها ولكن انت تعلم كيف استحال عليّ ذلك فاتوسل اليك والحالة هذه بكتمان هذا السر ولا تنسَ ان ذينك المجرمين هما ابي واخي

قلت انا اعاهدك اني لا اخونها

فتحركت شفتاها بتبسم لطيف تلطفت به ملامح وجهها واكسبها جمالاً غريباً وعند ذلك طفح قلبي بالشفقة على هذه البنية المسكينة فقلت لها ان نصيبك مشؤوم ولا ريب انك كثيرة التعاسة

فحولت اليّ نظراً حزيناً وقالت مرتعشة اني خلقت للشر والخيانة لكن لم اخلق للجناية

فصحت اه يا الهي هل من اللازم اذن . . .

فقاطعتني وقالت لا . لا .. يوجد من الاعمال ما يفصم حتى عرى روابط الدم وما من شيء يلزمني من الان وصاعداً بعيشة العار ثم استتبعت الحديث بسكينة مدهشة كانها تتكلم عن امر منتهى البساطة وقالت اني لا اعود ابداً الى المنزل الذي تركناه منذ هنيهة

قلت على م عولت .. فانت صغيرة السن و . . .

اجابت لا تخف اني شديدة العزم ثم تبسمت فلمعت تلك البسمة على شفتيها كاشعة من اشعات الشمس

وفي تلك الليلة لم اعد اخاطبها بشيء ولكن في صباح اليوم التالي عندما نظرتها جالسة في المطبخ خطر على قلبي خاطر فجائي فسألتها عما اذا كانت تستحسن الذهاب للتثقف في احدى المدارس

فانتشرت على وجهها لهذه العبارة اشعة المسرة واجابت بصوت متخلل الاضطراب روحي فدى العلم والمعرفة

ومن العبث ايضاح جميع المحاورات التي حصلت بيني وبينها ومقدار المتاعب التي قاسيتها حتى سمحت لي اخيراً ان اتولى دفع المصاريف اللازمة عنها للمدرسة بشرط ان اتركها اولاً كخادمة عند احدى العائلات في مبلنيل الى ان تجمع بنفسها الدراهم الضرورية لشراء الثياب والملابس التي لا يستغنى عنها لهذه الغاية

وقد تساهلت معها بهذا الشرط ارضاً لاحساساتها الرقيقة ثم ادخلتها بعد ذلك ببضعة شهور الى احسن مدارس البنات في ترواي ودفعت عنها سلفاً اجرة التعليم عن ثلاث سنوات بعد ان تركت لها ايضاً على سبيل الاحتياط مبلغاً كافياً لسد احتياجاتها

وعند رجوعي الى نيويورك عدت لمشاهدة ابنة عمي افيلين بلاك وكان حبها لا يزال آخذاً بمجامع فؤادي الى حد ان نسيت سريعاً تلك الفتاة التي انقذت حياتي

وهكذا مضى سنتان وانا عبد لابنة عمي وكان املي ان اتغلب بمرور الزمان على ارادة ابي الجهة الاقتران منها ولكنه بقي ثابتاً في رايه وبالرغم عن مرضه — لانه كان يتقلب على فراش المرض القاسي الذي قضى عليه بعد شهرين — كان ساهراً عليَّ بدقة ثم ظهر لي من لحظاته انه مهتم باستخراج اسراري من اعماق قلبي فكان يقول لي اني ولده الوحيد وان جل رغبته ان تخلف لي عن ثروته ولكنه سيبحث على وريث آخر اذا اصررت على رغبة الزواج بافيلين بلاك حيث لا يمكنه ان يصادق ابداً على جواز الزيجة بين اولاد العم ولا يريد ان يترك اسمه ولا شيئاً من امواله لنسل غير شرعي ثم اصر على وجوب اتمام زواجي قبل وفاته وقال لي يوماً خذ لك يا ولدي امرأة بسيطة ومحتشمة فتنال وابا ها بركتي ولا يهمني سواء كانت هذه المرأة فقيرة او من عائلة غير شريفة بشرط ان تكون طيبة محبوبة نقية اني اترك لك الحرية باختيار الفتاة التي تريدها وامنحك فرصة شهر للعمل بمقتضى هذه الارادة حتى اذا مضى الاجل ولم تحضر امرأتك الى هنا بجانب فراش اوجاعي اباشر البحث على وريث غيرك بخضع بعناية لارادتي الاخيرة

وكانت الفرصة والحالة هذه شهراً واحداً فما تركت فتاة من جميلات نيويورك الا انظرتها ولكن وجدت اخيراً انه من المستحيل ان احب او اتزوج واحدة منهن فرجعت خائباً وحدثت ابنة عمي بياسي فما افادتني شيئاً لانها كانت متكبرة وتحب ثروتي بقدر ما تحبني وربما اكثر ايضاً ثم قالت لي اذا كان لا بد لحفظ هذه الثروة من زواجك فاشور عليك ان تتزوج ولكن اباك والتزوج بامرأة من درجتي في الهيأة الاجتماعية حيث لا اريد مزاحمة لي في ملكي ومن اللازم ان تختار لك امرأة تكون اكثر اتضاعاً واقل طمعاً من افيلين بلاك انما لا تمنحها اسمك لانه اسمي ايضاً

وكان الوقت يمر بسرعة كلية ففي احد الايام خطر على افكاري تذكار لوترا ولست اعلم كيف ولا لماذا فاضربت عنه اولاً باحتقار ولكنه عاودني باصرار ولم يحل عن افكاري حتى اعتقدت انها هي الواسطة الوحيدة لا تفاديَّ من هذه الورطة نعم انها ابنة تعيسة لبعض اللصوص والقتلة ولكنها تركتهما الى الابد ولا يمكن ان تجتمع بذينك اللصين فيما بعد وزد على

هذا ان ابي لا يهمه شرف العائلة وسيهمل عليّ بذلك اخذا اصلها ثم قلت في نفسي ان لوترا ستكون امرأة وديعة محتشمة مطيعة وساتمكن معها من المحافظة على حريتي المكنة فلا تسالني شيئاً ولا تلزمني بشيء خلاف المعاملات المرادية العادية وهي بجمال غريب يساعد بعون الله على محو تذكار انيلين بلا لك المتكبرة من افكاري

وفي صباح احد الايام توجهت لاحضار لوترا وكنت لم اشاهدها منذ وداعي لها في اليوم الثاني من تلك الليلة المائلة التي حدثتكما عنها فاعرفتها لاني وجدتها طويلة رشيقة بصفات الكمال السادر وشعرها الاشقر الذهبي الجميل يحيط بوجهها البديع كشعاع من نور وكان حديثها واساليبها وكل شيء فيها يدل على نتائج معتبرة للاداب التي تلقتها وان البذر البري انبت نباتاً فاخراً فاثرت فيّ هذه المظاهر تاثيراً لحد ان شعرت بنوع من الارتباك فما قدرت على مخاطبتها بخلاف المخاطبة بالاحترام بدلاً من المخاطبة الحماية والرعاية التي اعتدت عليها اولاً اما هي فانتبهت الى ذلك وتبسمت بظرف سكر زاد في تمسكاً بعزمي

وكان مرادي ان اعقد زواجاً سريعاً فاخفيت عنها ثروتي ومركزي ولم يمض عشرة ايام الا رضيت بالاقتران مني فعقدنا زواجنا في تروفيل بحضور الشهود فقط وبقي هذا السر مخفياً عن العموم وعن اعز اصدقائي

وبعد نهاية الصلاة سافرنا الى نيويورك ولم اعلم احداً برجوعي فدخلنا تقريباً كاغراب الى هذا المنزل وذهبنا لمشاهدة ابي في غرفته وكنت قد اخبرت لوترا انه في حال النزع وانه لا يسعنا من اجله السفر والاحتفال باعياد العرس لاني مديون له بكل شيء ولا ريب انه من المحزن المؤثر ان تذهب المرأة من هيكل العرس الى فراش الميت ولكن هذا الشرط كان ضرورياً لزواجنا ولا يكن مجانبته فقبلت به وهي تبسم تلك التبسمات الحزينة التي لا توصف والتي ما قدرت على ادراكها الا بعد اشهر طويلة من الحزن والوجد

وعند دخولنا الى الغرفة اقفلت الباب وقلت والدي انا اسأل بتالم منذ ازالة المتقدم السريع الذي اجراه المرض في غيابي هاك زوجتي يا ابي

فنهض جالساً على سريره بتعب ونظر طويلاً الى لوترا باضطراب متزايد ثم ارسل صوت فرح ومد اليها ذراعيه فالقت نفسها بينهما واسندت راسها على صدر ذلك الرجل الخشن الذي مع مزيد حبه لاولاده كان لا يعاملهم بمثل هذه العواطف الحية وكرر هذه اللفظة يا ابنتي يا ابنتي ولم يسألها عن عائلتها ولا عن شيء اخر وكنت لا اعرف والحق يقال قبل تلك الساعة مقدار حنو الوالد

ثم لا يسعني استيفاء الشرح عن الاحساسات المختلفة التي اختلجت في اثناء هذا المشهد .... هل اجسر ياترى على الاعتراف بها .. انه استولى عليّ وقتئذ نوع من الحسد والبغض فقلت في نفسي لماذا يا ترى لم تحصل افيلين بلاك على اعتبار ومحبة والدي بينما هذه الفتاة التي التقطها عن الطريق اكتسبت مودته واعجابه من النظرة الاولى

واذ ذاك عظم عليّ الامر كثيراً فرجوت لوتزا ان تتركني وحدي مع ابي ثم انتظرت الى ان اقفل الباب خلف هذه الفتاة المسكينة وصحت ها قد خضعت لارادتك يا ابي واحضرت لك ابنة فباركني اذن حسب وعدك ودعني اسافر حيث لا يمكنني ان اعيش مع امرأة لا احبها

وفي تلك الساعة فتح الباب فجأة قبل ان يتمكن والدي من الجواب وتقدمت تلك الفتاة المسكينة التي جرحت واهينت بحديثي وهي في فجر السعادة .. فاه يا الهي ما هذا الوجه المنقبض الذي زالت عنه حالاً انوار الفرح واكفهر بملامح الاوجاع التي لا تحد اني لا اقدر ان افكر الان ولا ارتعش بذلك النزع المقرون بالسكوت واليأس ولا كيف امكن ان ابقى بلا تأثر ولكن ما لنا ولهذا الان فلنضرب عنه كشحاً ولنكمل انها تقدمت رأساً اليّ وقالت بصوت خائر منخفض وهي تشد على مقاطع الكلام احقيق ما قلته الان وسمعته بتعاستي أآكيد انك لم تتزوج بي وانا لست من مصافك الا لانك اجبرت على ذلك احقيق انك لا تحبني وانك دنست سر الزواج المقدس قل .. تكلم احقيق كل ذلك

وعند ذلك اضطربت شفتا ابي الشاحبتان وهو على فراش الموت كأنه يحاول التكلم ولكن لم يسمع صوت فاستجمعت قواي وشجاعتي واوضحت لها اسفي عن هذه الكلمات غير المقصودة التي تلفظت بها بلا تروي وسمعتها واكدت لها ان لا دخل لها ابداً بما اوجب خيبة امالي العزيزة واني لم انو مطلقاً مسها وجرح احساساتها ثم توسلت اليها ان تصفح عني ووعدتها بالبقاء معها في المنزل اذا كان ذهابي يكدرها حيث لا غرض لي بمسها وجل رغبتي هي المحافظة على شرفي واستحقاقي

ومن الامور التي لا يمكن وصفها ملامح الاحتقار التي انتشرت وقتئذ على وجهها الساطع بانوار الجمال في حال اليأس فارسلت لحظاً لا تفي بايضاح معانيه الالفاظ وتمتمت اذن فهمت كل شيء

فما امكنني والحالة هذه الا ان اطرق الى الارض والعن الساعة التي ولدت فيها فصاح والدي كولمان .. كولمان كيف تبعد ابنتي عن فراش موتي

فنظرت اليه مضطرباً وكانت لوتزا قد فتحت الباب بلطف وركضت اليها وصحت ما هذا الذي تعلمينه فاوقفتني بنظرة وقالت لا يجوز ان يتحرك الآن احد يا ولدي الاولاد اسافر انا اني احببتك من تاريخ اليوم الذي دخلت فيه الى بيت ابي ثم عبدتك عبادة في سفرتي حتى انتبه الى برودة ابائك عندما طلبت اليّ الاقتران بي لاني اشتغلت بفرحي عن ملاحظة احوالك كيف لا وهذا الاقتران كان منتهى سعادتي وآمالي حيث كنت احبك كثيرا وما زلت احبك الى الآن ولما فارقتك ويا حبذا لو استطيع اكثر من ذلك لضمانة سعادتك غير ان الظروف حكمت عليك ان تتزوج زواجاً ظاهرياً وقد اخترتني لهذه الغاية فلا باس كن متيقناً اني لا اخون مدى حياتي هذا السر وعندما تاتي الساعة — هل تاتي يا ترى — التي تكون فيها باحتياج لحضوري واخلاصي فحينئذ لا يمنعني عن المجيء اليك الا الموت وسابقى الى ذلك الحين كما اردت ان اكون اي امرأة لا حق لها بشيء حتى ولا بالاسم الذي وهبتها في هذا الصباح

ثم اسلت الى الخارج الغرفة باشارة شبيهة بالحركة وبدت كلم فاردت ان انبهها واذا صوت من والدي ارجعني اليه وكان قد فقد وعيه فما امكنني ان اتركه على هذه الحال وكانت دانيال في الغرفة المجاورة فناديتها وصحت معي هذه السيدة التي تنزل السلم عن الذهاب — وفي حال اضطرابي دعوتها زوجتي ايضاً — ثم ركضت لمساعدة ابي وبقيت بجانبه زماناً طويلاً قبل ان ينال صلابة ولما فتح اعينه طلب تلك الزوجة الجميلة التي ظهرت له كاشعة من نور فهممت الى الخروج واذا بالسيدة دانيال قد دخلت مذعورة وقالت ذهبت السيدة بلا ملك يا سيدي ولم استطع امساكها

الفصل الثالث عشر

قلب قروح

ومن تلك الساعة ما عدت نظرت امرأتي يا سيدي ولا اعلم اين ذهبت اما ابي فتلاشت قواه بعد هذا العارض وانحدر بسرعة الى الموت وما زلت اتصور الى الآن تلك الاعين النارية موجهة بتلق الى الباب وبعد موته عاد اليّ تذكار لوترا التي نسبت لها باليأس فبقيت كاني محاط بكفن من تبكيت الضمير وكان من تحجلي يسوءاً انما لي وجهلي لما اصابها ان جعلا في بطباع خشنة وحشية فوق العادة

ثم زادت اوجاعي عندما علمت بخطبة انيلين يلاك للكونت دي سيراك نعم كنت متاكداً منذ مدة ان هذه الفتاة محبة لنفسها وللثروة وانها فلذت بتركها والاقتران من غيرها جميع حقوقي

عليها الا ان هذا الخبر اثر مع ذلك تاثيرًا عظيمًا بكبريائي فما قدرت ان افهم كيف يمكن الثروة والمركز ان يتغلبا بمثل هذه السرعة على الحب ولكن ما لبثت مرارتي ان اضمحلت تدريجًا ولم يعد يستغرق جميع حواسي الا وجه لوترا المشرق بانوار الحب والكفر بالذات وما حصلت لهذا الفكر على شيء من الراحة والفرح لانني كنت لا اقدر على نسيان الماضي وتصرفي الدني والروابط السرية التي لا تلبث متى عرفت من الناس ان تعود عليّ بمنتهى العار والمرارة

ثم علمت اخيرًا ان اباها واخاها لصان هاربان من السجن ولكن استحال عليّ نسيانها فان النظرة الاخيرة التي وجهتها اليّ عند ترك غرفة ابي كانت تتبعني ليلاً ونهارًا وهذه الصورة التي نظرتماها الان نقلتها عن تصوراتي لان هذه الفتاة حاضرة دائمًا امام اعيني ثم اكتسب ذلك الوجه يومًا فيومًا لونهُ وحياته وقد صورتها بثوب الحرير الازرق والزيق المزركش وضمة الورد حتى امثل بذلك الثياب التي لبستها يوم زواجنا فجاءت المشابهة بين الصورة والاصل تامة بما يحير العقول وبقيت اكرر هذه الكلمة — يا زوجتي — في اوقات يأسي وهكذا تمثلت احلام افكاري وكانت هذه الصورة هي كل شيء بالنظر اليّ فوضعتها خلف صورة ابن عمي وبقيت اقضي ساعات طويلة من الليل واذا انظر بحرارة اليها

وفي كل هذه المدة لم يصلني خبر عن لوترا اما ابوها واخوها فكانت الاخبار متواصلة عن اثامها وقد ملئت الجرائد وانطلقت الالسنة العمومية بتعداد اعمالها الفظيعة فاين كانت يا ترى وماذا اصابها وهل استهلها الشر او ماتت في ربعان الصبا اني كلما كررت هذه الاسئلة كلما تزايد عذابي

وكنت لا ادري الى اية جهة اوجه مباحثي وقد انهكني الارتياب وتبكيت الضمير فصرت فريسة للسوداء المستمرة ولم يوثر فيّ شيئًا خبر ترمل ابنة عمي بعد شهر من زواجها ورجوعها الى اميركا ولست اعلم هل السبب في ذلك هو مرض السوداء الملم بي او خمود جمرة حبي لهذه الكونتيسة البديعة فعزمت ان اتاكد الحقيقة بهذا الخصوص فاجتمعت بها في حفلة رقص كنت متاكدًا وجودها فيها فما اثر فيّ جمالها المتعظم وشعرت اني احب بحرارة شديدة زوجتي المسكينة المفقودة

وعند هذا اليقين زالت عن اعيني الغشاوة وظهر لي جليًا ان لمستقبلي املاً ولحياتي غاية فاعتمدت ان ابحث عن زوجتي واحضرها الى منزلي ولو وجدتها في السجن بجانب الجانين وكان صوت خفي يقول لي انها في نفس نيويورك لان حبها ولا ريب يمنعها من الابتعاد عن زوجها

ورأيت من الحكمة ان اعهد الى البوليس بهذا السر ولكن الكبريا دفعني الى استعمال جميع الوسائط الممكنة قبل ذلك

واذ ذاك اشتغلت بحمى اليأس فجعلت اجوب الطرقات آملاً ان اراها بين الجماهير ولكن اتعابي ذهبت عبثاً ولم ارها لا هي ولا من يشبهها

وفي احدى الليالي وهي نفس الليلة التي اختفت فيها الخياطة من منزلي اصابني قلق شديد فلم استطع الرقاد وكان الطقس حاراً منهكاً فلبست ثيابي ونزلت الى الدار لاستنشاق الهواء ووقفت برهة بجانب شعرية الباب المشرف على الطريق واذ رأيت في الجهة الثانية من الباب خيال المرأة المنصرفة اليها جميع افكاري الا فاحكما والحالة هذه على مقدار اضطرابي ودهشتي عند هذا المشهد لقد قلت لحالي ان هذا الخيال كان حقيقة وان الوجه الذي نظرته هو وجه الخياطة التي نبحث عنها ولربما يكون الحق معك حيث اظن اني نظرتها وتتذرى بثياب بسيطة كثياب خياطة

ومن ذلك الحين امتنعت عن البحث في الاحياء العامرة وانطلقت الى الضواحي الماهولة بالفقراء والرعاع وغيرهم من اسافل البشر ولا حاجة للاسهاب في هذا الموضوع حيث تاثرني احدكما ووقف على كل شيء ثم صرت اخيراً كالمجنون ومع اعتقادي بطهارة لوترا اثر في مشهد الفقر والرذيلة في كل يوم فخشيت ان يدفعها اليأس الى نصيب مجرد الذكر به كاف لارعاشي جزعاً وزد على هذا وجود ابيها واخيها فعلى م اغتصيا لا ترى تلك المخلوقة المحبة المخلصة وكنت اخشى احياناً ان اراها مع البنات التعيسات اللواتي يجتمعن بلا على ارصفة احيائنا المختلفة والخلاصة اني شربت المرارة حتى ثمالتها

وفي اثناء هياج ارتياعي اردت ان احدث ابنة عمي بكل شيء واطلب مساعدتها لايجاد هذه البنية المسكينة ولكن وجهها المتكبر الخشن اوقف كلماتي على شفتي

ومنذ بضعة ليالٍ صادفت فتاة بشعر ذهبي وهي غير زوجتي ولكن قوة لا تقهر دفعتني الى تأثرها ومكالمتها عما اذا كان لها صديقة بشعر ذهبي كشعرها فاجابت بالسلب وكان جوابها بحزن وزهو ولم يستدل منها على مقدار سمو الدرجة التي يمكن ان تنحط اليها المرأة والخلاصة ان محادثتنا اقتصرت على هذا الحد ولم استفد منها شيئاً عن لوترا وفي اليوم الثاني توجهت الى الفندق القديم في مقاطعة فيرمون باملي ان اكتشف ثمة على اثرها ولكنني وجدت البيت المذكور مهجوراً وهكذا اختفى املي الاخير مع بقية امالي امامي خصوص الثياب الموجودة في الجارور التي رايتماها منذ ساعة او ساعتين فلا اقدر ان امدكما بشيء عنها

اني لا اجسر على الامل ولكن اذا كانت هذه الثياب قد حضرتها حقيقة الى هذا المنزل الفتاة المفقودة فلا ريب حينئذٍ اننا مشرفون على اثر نتوصل به الى حل هذه المعضلة التي اعطي من اجلها طوعًا كل ثروتي فاه يا زوجتي . . .

ثم قاطع حديثه وقال ما عدت اتكلم عنها قبل معرفة الحقيقة ومن اللازم ان توضح السيدة دانيال . . . .

واذ ذاك فتح الباب فجأة ودخلت السيدة دانيال

الفصل الرابع عشر

السيدة دانيال

وكانت مدبرة المنزل المذكورة لا تزال برداءها وقبعتها وهي بوجه مكفهر فنظرت الى سيدها بهيأة الخوف والدهشة وقالت هل طلبتني يا سيدي

اجابها بجهد نعم قولي لي يا دانيال من هي هذه الفتاة التي خبأتها عدة شهور في غرفة الطابق الثالث من اين اتت وما هو اسمها

فارسلت المرأة المسكينة الينا نظر الاستغاثة فقال الموسيو كربس تكلمي لقد مضى اوان التجهم

فصاحت المرأة اه يا الهي . . اه يا الهي ثم سقطت على مقعد بجانبنا وقالت ان هذه الفتاة هي زوجتك ياسيدي اعني المخلوقة المسكينة التي . . .

وعند هذه الكلمات اظهر الموسيو بلاك امارات التعجب الممزوج بمظاهر اليأس والحب والوجد واستتبعت السيدة دانيال حديثها برعشة فقالت كنت اقسمت لها ياسيدي اني لا اخونها في حياتي فانها جاءت اليّ بعد وفاة والدك بخمسة عشر يومًا تخبرني بقصة حبها لك وجاءعها وسألتني عما اذا كنت قادرة على تخبئتها حيث تفرض عليها واجباتها كامرأة متزوجة ان لا تعيش خارج منزل زوجها ثم لبست شعرها الاسود المستعار حتى تبرهن لي انها لا تعرف وحصلت على رضائي ففتحت لها ابواب المنزل وقلبي وحافظت بامانة على اليمين التي حلفتها

وكان الموسيو بلاك قد اصفر لونه بما يشبه الموتى فصاح مضطربًا ولكن عند ما اختفت ونشلت ماذا حصل

قالت السيدة دانيال اه ياسيدي لو تعلم منذ ارما تحملته من الاوجاع وقتئذٍ فاني كنت من جهة مقيدة بوعدي لا استطيع التكلم بشيء ومن جهة ثانية لا اعلم اين ذهبت ولا

ماذا اصابها وقاسي مرارة العذاب الشديد لدى رؤيا تلك لاهيا بغير حركة حتى تستغرقك افكار اخرى بينما لا يبعد ان نكون قد تلك بجبانها وقتلت من الاشقياء الذين اختلسوها فبحقك لا تسألني عما تحملته من تاريخ هذه الحادثة لان هذه الفتاة كانت احسن واطهر امرأة على وجه البسيطة

فصاح الموسيو بلاك وقد استولى عليه الخوف الشديد لانت احسن امرأة على هذه البسيطة ما المعنى بذلك

اجابت اني نادمة الان من المورك حيثما نظرتها هنالك جثة بلا روح

نصاح الموسيو بلاك ابداً .. ابداً .. هذه ليست هي ولا ريب انها امرأة تشبهها

قالت فليسمع ملك الرب ويحقق ظنونك ولكن من اين لغيرها تلك الضفائر الطويلة الذهبية التي ما نظرت مثلها في حياتي

فقاطعت حديثها وقلت الحق مع الموسيو بلاك ان الجثة التي نظرتها في المورك ليست جثة امراتي ولدينا براهين على ذلك

قالت ما هذا

قلت لا .. لا .. ليست جثتها ان هذا المبت المتيبس هو نشاء سكينة غر الموسيو بلاك بجمال شعرها في احدى الليالي وتحادث معها برهة

وعند ذلك ارتمت السيدة دابال على ركبتيها وتمتمت اشكرك يا الهي . اشكرك يا الهي ثم صاحت ما هذا الذي فعلته وكيف بحت بسرها وهي في قيد الحياة لقد خنتها اذن وهي لا تأمل الا بي وتتكل على امانتي

فوضع الموسيو بلاك يده على كتفها وقال اني احب زوجتي يا دابال فنهضت بحرارة وسالت انت تحبها ثم رفعت رأسها بتهلل نحو السماء وقالت فليتمجد اسم الرب

وبعد هذا المشهد لم يبق علينا الا ان نتداول في احسن الوسائط التي يجب اتباعها لنجاح مباحثنا وكان من اللازم بأي ثمن كان ايجاد المرأة المتيبسة التي خزانت امينها بما سمعنا من الحديث ولا ريب انها نشلت من ابيها واخيها ولا يلزم لايجادها الا ان نجدها

الفصل الخامس عشر

مذاكرة

وفي صباح اليوم الثاني حار بيني وبين الموسيو كريس مذاكرة مهمة فيما يتعلق بتعيين خطة

البحث ومكان اجرائه للاكتشاف على اللصين شوتما كير فقال من مذهبي ان نبحث بحثاً مدققاً في جميع الاحياء الالمانية وقد تعين لهذه المهمة المعاون شميد وروزنتال ولا ريب انهما يأتيان بنتائج حسنة

اما انا فلم اشاركه في هذا المذهب وقلت لا اظن ان هذين الشقيين يختبئان بين مواطنيهما الالمان حيث معهما امرأة بظواهر ممتازة ووجودها في حي كثير السكان كهذا الحي يكون داعياً لاشاعات ونقولات عديدة بهما مجانبتها

اجاب الحق معك ولا سيما لان الالمان مشهورون بالهذر وشقشقة اللسان

قلت لو كان مرادهما ان يسيئوا معاملتها لاختلفت الحال ولكن الذي نعلمه نحن ان هذه المرأة مكانها منهما الان كالارض المخصبة المراد بيعها لهم صالح بحراستها وتحسين احوالها لينا يحضر وقت المبيع اليس من الامور المقررة ان غاية هذين اللصين بانتشال هذه البنية انما هي تهديد الموسيو بلاك والحصول منه على مبالغ وافرة من المال

قال نعم لهما هذه الغاية اوغايات اخرى مثلها ولربما املا ان يخاف الموسيو بلاك من الافتضاح ويسهل لهما سبل الفرار الى الجهة الثانية من الاوقيانس

قلت في الحالة هذه لايمكن ان يوجدا في حي الالمان ولا في بنية الاحياء الايطالية والفرنساوية والارلندية ومن اللازم ان يكونا في مكان لا يستلفت اليهما الانظار ولربما في الضواحي الخارجية فعلى المعاون شميد ان يتوجه للبحث عليهما في الضواحي المذكورة

قال هل نسيت المنشورات الصادرة بخصوصهما من الحكومة انهما يخاطران باستلفات الانظار اليهما في البرية اكثر مما لو كانا في منزل موحش من منازل نيويورك المطروقة

قلت فني اي مكان تظنهما اذن

فتامل الموسيو كريس برهة وقال نحن الاثنان متفقان وأبا على القول ان هذين اللصين لم ينتشلا البنية المذكورة الا للانتفاع من الموسيو بلاك فلا ريب اذن ان هذا الرجل هو الغرض المصوبة اليه افكارهما وجميع اعمالهما لا تخرج عن دائرة منزله ولا تتعدى شخصه وثروته فهيا بنا الان لننظر ماذا يفعل اللصوص بادئ بدء متى تأمروا على اختلاس بنك ما انهم يستاجرون اذا امكن منزلاً بجانب تلك البناية التي عمدوا على الدخول اليها ويصرفون اشهراً برمتها وهم يتجسسون للاكتشاف على الممر السري المودي الى صندوق المال ثم يتفقون مع حارس الاموال او البواب وخلاصة القول انهم يصوبون السهام على فريستهم بما يضمن النجاح قبل الانقضاض عليها وهكذا يتصرف الان اللصان شوتما كير فمن المؤكد اذن انهما يسكنان مسكناً قريباً من

منزل الموسيو بلاك وهو موضوع ملاحظتها المستمرة ولو كان عندنا وقت . . .

قلت ما من وقت عندنا ومن اشد الامور عذابا على قلب الانسان ان يفكر بان هذه البنية الكريمة هي في قبضة مثل هؤلاء اللصوص

اما الموسيو كريس فاستمر على حديثه وقال لو كان عندنا وقت لما لزمنا خلاف الانتظار حيث لا يلبثان يبعد مدة ان ينقض عليها بسهولة والانسب كالبازي الذي يسقط من تلقاء ذاته في حبائل الصائد ولكن الوقت ضيق كما قلت والخص ذلك للوغ الغاية ان تبحث وتترقب الاماكن المحيطة بمنزل الموسيو بلاك لان هذين الشقيين اذا صدقت ظنوني واختباراتي هما على مقربة من ذلك المنزل يترصدان فريستهما

قلت ساذهب انا بنفسي واقيم في ذلك الجوار ولكنني اعرف الان ان القاطنين في كل مسكن من تلك الناحية ولا يوجد في ذلك المركز يسكنها الاغنياء بين يومين او ثلاثة وليس اسبوعين اما المنازل القائمة على الطرق الداخلية فاعرفها ايضا ويمكنني ان اسمي جميع مستأجريها ومع هذا فلا باس ان اباشر العمل اجابة لطلبك

قال حسن وسارسل ايضا من يلاحظ حي الالمان والاحياء الاخر لان الغاية التي نجد وراءها لا نضيع معها الا فعلا

قلت وانت ماذا تفعل

قال سوف العب دوري متى انتهيت من دورك

الفصل السادس عشر

الصليب الاحمر

فبدأت سريعا بالعمل وتوقفت مهمتي بالنجاح ولكن اسمعنا الان كيف وبأية واسطة انني بعد ان صرفت نهارا طويلا بمراقبة جميع الاماكن المجاورة بلا فائدة عدت تعبا الى غرفتي — ولربما يذكر القراء اني استاجرت غرفة مؤثثة في الجهة الامامية من منزل مقابل تماما لمنزل الموسيو بلاك — وبالنظر الى مشاغل افكاري في تلك الساعة تجاوزت الطابق الموجودة به غرفتي وصعدت بلا انتباه الى طابق اخر ثم خرجت متماديا احاول فتح باب الغرفة القائمة تماما فوق غرفتي ولما لم تنفتح انتبهت الى خطائي وتعجبت كثيرا بهذا الخطاء ولا سيما حيث لا يوجد مشابهة بين الروافين لان الرواق الثاني كان اوسع من الاول او يؤدي الى غرف اكثر فتضعضعت لذلك ورجعت مذعورا وفي اثناء مسيري شعرت كاني دست على شيء تحت رجلي

وكان من مبادئي ان لا اهمل شيئًا ولو مهما كان عرضيًا بحسب الظاهر بدون فحص فانحنيت لارى ما هذا الذي سحقته بقدمي واذا هو قطعة قلم من الرصاص الاحمر

واذ ذاك فطنت الى امرين نسيتهما تقريبًا وكان من هذه الذكرى ان ونقت بهما على اثر قادني رأسًا للاكتشاف والقبض على هذين المشتبهين

فقد تقدم معنا القول اني لحظت عند ذهابي الى منزل اللصين شوغماكير بقرب فيرمون صليبًا مرسومًا على النافذة بقلم رصاص احمر فما علقت وتتلذ اهمية كبرى على هذا الامر ولربما استمرّ مزويًا في عالم النسيان لو لم اجد قلم الرصاص الذي تكلمت عنه ولانا مضطرب الحواس بفكر هذين اللصين وعند ذلك خطر على فكري ايضًا ان صاحبة المسكن المؤنث التي اسكنه حدثتني منذ بضعة ايام عن مستأجري الطابق الذي فوق غرفتي وقالت انهم رجلان وامرأة وانها غير مرتاحة الافكار من جهتهم ولكنهم يدفعون الاجرة في اوقاتها ويصعب عليها اخراجهم

وقد تبادرت جميع هذه العوارض الصغيرة دفعة واحدة على افكاري فتنبهت فيّ الشكوك وعدت الى ذلك الباب اتأمله باصغاء وكان مدهونًا بالابيض وهو اقل انتظامًا من ابواب الطابق الاسفل وليس فيه شيء خصوصي يستدعي الالتفات ولكن كان يوجد عن يساره باب آخر مرسوم في وسطه ولربما بنفس قلم الرصاص الذي في يدي صليب احمر شكل الصليب الذي نظرته على احدى نوافذ الفندق القائم على مفرق الطرق في كرانبي

فارتعشت من قمة راسي الى اطراف اقدامي وتيقنت والحالة هذه ان الاشخاص الثلاثة الذين ابحث عنهم يسكنون فوق غرفتي تمامًا وفي نفس المنزل الذي اسكنه منذ خمسة عشر يومًا وكان من هذا الصليب السري ان سحرني فانحنيت لجهة القفل واذ سمعت غطيطًا قويًا فشعرت بميل جنوني لدفع ذلك الباب المقفل والدخول الى الداخل ثم وضعت يدي على السكرة لانفاذ عزمي واذا صوت غطيط اقوى من الاول اعادني الى الصواب والتفكر فرأيت انه ليس اقتدار على معاركة ذلك الجبار الموجود داخل الغرفة واذ ذاك نزلت بتمهل الى غرفتي وقضيت الليل بتمامه وانا اترقب بلا فائدة الحركات الصادرة من فوق وافكر بتنظيم خطة اجري بموجبها للاكتشاف عما اذا كان الرجلان المذكوران هما نفس اللصين الذين اشغلا جميع رجال البوليس

وقبل شروق الفجر نهضت واقفًا على رجليّ لاني سمعت وقع اقدام ثقيلة على السلم واردت ان الحق بصاحبها ولكن فكرت اخيرًا ان افضل واول شيء يجب عمله انما هو الاستعلام

من صاحبة المنزل عن هؤلاء المستأجرين فقد هببت للاجتماع بها في المطبخ وكانت مهتمة ثمه بقضاء واجبات منزلها فرجوتها ان تقصد معي الى غرفتي ثم وجهت اليها عدة سؤالات فسارعت الى جوابي بمزيد الاهتمام لانها كانت قد سالت الي منذ اول يوم رأتني وكنت قد شجعت هذا الميل بها في امكاني قصا وبلغها كثيرا ما تاتي عليّ اسرارها لاعتقادها ان هذه الثقة من قبلها تصادف مني قبولا ودادا وما قالته لي ان وجود هذين الرجلين في المنزل شغل شاغل لافكاري بالرغم عن الاجرة الوافرة التي يدفعانها فيهما لا يخرجان الا نادرا ولا سيما احدهما الذي يدخن دائما بالغليون ويسود الغرفة بالدخان الذي يشربه ولغريب انهما بخيلان جدا ولا يتركان للفتاة حريتها ولا دقيقة واحدة وعندما يتغيبان بالصدفة عن المنزل لا يعودان اليه الا متاخرين جدا فلا ريب والحالة هذه ان تصرفاتهما واحوالهما ما يوجب القلق ولكن الدراهم التي . . . . . .

قلت فهمت ان هذه الدراهم تحملك على مقابلة جميع هذه العوارض المكدرة بالصبر لانه من الضروريات اللازمة لاصحاب الاملاك ثم شرت عليها بالحاح ان لا تسمح باخراجها من المنزل

اما هي فاستتبعت حديثها بخصوص هؤلاء المستأجرين وقالت يظهر من هيأة الفتاة انها تعيسة وانها بمنتهى الظرف والوداعة ويكاد قلبي يتفطر حزنا عليها لدى رؤياها مسجونة في هذه الغرفة الصغيرة يحرسها على الدوام احد هذين الشقيين والاثنان سوية والرجل الكبير يقول عنها انها ابنته وهي لا تنكر ذلك ولكن يصعب عليّ كثيرا التصديق ان هذه المخلوقة الجميلة الممتازة هي قريبة لذينك الوحشيين الخشنين وعندما تراها . .

فقاطعتها وقلت هذا ما اريد الوصول اليه فان هذه الفتاة اذ اصدق ظني ولم اخطئ معروض كما ثقة لمن يكتشف عليها ويسعى بانقاذها مبلغ وافر من الدراهم ثم اخبرت صاحبة المسكن عاجلا بحقيقة امري واني لست كما توهمت من مستخدمي المحلات التجارية وانما انا معاون في دائرة البوليس

فسببت لها هذه المكاشفة في اول الامر بعض الاضطراب ولكنها وعدتني اخيرا انها تساعدني بمنتهى قدرتها وافهمت لي انها تحافظ على كتمان هذا السر حيث لا يمكن تحقيق مقاصدي بايقاف هذين اللصين بلا تجمع وضوضاء الا بذلك

وفي صباح اليوم الثاني قبل الظهر انتقلت الى غرفة محاذية للغرفة المرسوم على بابها الصليب الاحمر وكان من الضروري ان انتكر واظهر بزي جديد فلبست ثياب مصور فرنساوي فقير

كان بيني و بينه سابقاً علائق صداقية ثم تظاهرت كأني مريض شلة و بعد ان علقت على الجدران عدة من رسومه وتماثيله جعلت الاحظ بسكينة جيراني آملاً بالنجاح القريب

وكان صديقي القديم المصور مصاباً بسعال مستمر وحيث اعتمدت على تقليده بكل شيء جعلت آكدر السكوت من وقت الى آخر بسعال وعطاس حتى يعبت ولم ارد بذلك الاحتجاب عن جيراني المذكورين بل بالعكس كان قصدي بهذا استلفات افكارهم الى وجودي وجل رغبتي ان يعتقدوا كوني كليل النظر تقريباً وقصف مصدر وراني ملتزم تحرك باب غرفتي مفتوحاً ليلاً ونهاراً لحرارة النار المنتشرة في المنزل و يسرني ان تمشي في الرواق مسلماً على من اصادفه حتى اذا انتهيت من التنزه وانقطع السعال انكببت على عمل بعض تماثيل صغيرة بقصد الاكتساب والتعيش وهذا العمل المهم يستلزم الجلوس على طاولة صغيرة في وسط الغرفة مواجهة للباب

فما انتهيت من السعال للمرة الثالثة الا صدقت ظنوني وفتح الباب المحاذي لبابي فجأة وسمعت صوتاً خشناً يقول ما هذا السعال وحرية الحق اذا عدت الى مثل هذه الضوضاء الجهنمية . . .

فقاطعه صوت لطيف وقال دعني اذهب لرؤياه

ولم يكن كلمح البصر الا خرجت لوترا بلاك الى الرواق وكنت قد تأكدت انها هي صاحبة هذا الصوت قبل مشاهدة ثيابها ولما اقتربت مني انكببت على عملي ولم اجسر على النظر اليها مخافة الافتضاح فقالت لي بصوت ودادي نشربه القلوب انك تسعل باسلوب هائل اما من علاج لهذا السعال

فدفعت عني الادوات بيد مضطربة ثم تجاسرت على رفع رأسي للمجاوبة وقلت لا .. لا يوجد علاج ولكن سعالي اليوم اشد من العادة وانا متأسف كثيراً ياسيدتي لاني ازعجتكم

فالتفت عنها الشال المحيط براسها ثم اقتربت مني وقالت لست انا المزعوجة من هذا السعال بل ابي لانه قليل الصبر فيحقك لا تواخذه اذا اغلظ لك احياناً الحديث اما من جهتي فانا اني متكدرة كثيراً لاوجاعك

وكان لهذه المرأة اقتدار لا يوصف على استئسار القلوب ولدى تاملها وهي واقفة بجانبي بثوب من الصوف المعتم يغطي نصفها تقريباً الشال الثخين تحققت انها اجمل مخلوقة في العالم

فحاولت تقليد اللهجة الفرنسوية بقدر الامكان وقلت بصوت منخفض انت كريمة ياسيدتي وهذه الملاطفة من قبلك موجبة لانتعاش فوادي

وعند ذلك صدر صوت من الغرفة المجاورة يشف عن خروج المصبر فاشرت اليها بالذهاب حتى لا تغضب هذا الرجل الذي يظهر من اعماله ان له سلطاناً عظيماً عليها

قالت سوف اذهب لكن اخبرني الآن ما هذا الذي نصنعه هنا فقصصت عليها اخبار حياتي اليومية بالتفاصيل التي يهمني ان نعرفها هي ثم ابوها بواسطتها

فظهر عليها لذلك مظاهر الاهتمام الشديد باحوالي ثم ملأت اعينها الجميلة الشديدة الزرقة غير مرة بالدموع كأنها تذكرت مصائبها بما سمعت من مصائبي وكانت اصوات التذمر الصادرة من الغرفة قد تزايدت كثيراً فعزمت على الذهاب وقالت لا تنس ما قلته لك ولا تتكدر منهما اذا كانا يعاملانك بخشونة فهما بشوشان اكثر منك وسوف ترى

ثم ظهر على شفتيها الشاحبتين بالمصائب تبسمات الاوجاع وكنت قد اعتقدت وفتنني بصدق ظنوني فبقيت عدة ايام لا ابدي عملاً ظاهراً البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

نساء الجابون

اصدرت امبراطورة الجابون امرها الى نساء الامبراطورية بلزوم الاعراض عن الزي الجابوني القديم والتزيي بالزي الاوربي وقد اجرى الاهلون بمقتضى هذه الاوامر لان جميع النساء كن لابسات بحسب الزي الاوربي في الحفلة الرسمية التي اعدها وزير الحرب في ٢٣ كانون الثاني

ارث

ذكرت الفيكارو ان البرنس مونتبليار الذي توفي اخيراً ترك ثروة وقدرها ٦٠ مليون فرنك الى مملكة ايطاليا

انفجار في بوني

ذكر في رسالة برقية انه حصل انفجار في معادن بوني وان نحو سبعين من الفعلة دفنوا تحت التراب والامل ضعيف بانقاذهم

المؤتمر الفلكي

قد توافد على باريز اخيراً المرخصون الفلكيون من جميع مراصد العالم ومن اعظم علماء الارض لعقد مؤتمر ينظر في الطريقة الجديدة التي حسنها بعض الفرنساويين وهي اخذ الارصاد الفلكية بواسطة آلة التصوير وسيكون لهذا الاكتشاف شأن مهم في الحقائق العلمية يرتقي بوعلم الفلك الى اسمى مراقي التقدم حيث لا يلبث ان يستعاض من الآن فصاعداً عن اعين الرصاد بآلة التصوير التي تمتد في الفضاء الى ما لا تصل اليه اعين البشر وتمتاز عليها بحفظ الآثار التي تصيبها ومن المحتمل ايضاً ان

تتغلغل في عباب الجوّ ونستخرج منها صور الكواكب التي لا ترى باعظم المراقب

وليست هذه هي المرة الاولى التي استعمل فيها الفلكيون آلة التصوير لرسم الكواكب ولكن كان من المستحيل الحصول بسرعة قبل اختراع الواح الجلاتينو بروميد الشديدة التأثر على رسم النجوم البعيدة وقد اقتضي سنة ١٨٨١ لتصوير نجم من ذوات الاذناب بالواح الكولوديون مدة ثلاثة ايام بينما لا يلزم لذلك الان بحسب الاختراع الجديد الا بضع ساعات فيكون الفضل في الحالة هذه بما ينتظر حصوله من التقدم المهم في علم الفلك لالواح التصوير الجديدة ومن هنا يعلم ان كل اختراع في العلم ولو مهما كان صغيرًا في بدايته تترتب عليه فوائد كثيرة فيما بعد ومن العبث ان يهزأ ببعض الاكتشافات الحقيرة لان العلم لا يهمل شيئًا الا ويسبر غوره للانتفاع بهِ يومًا

وقد اصطنع لهذه الغاية آلة من اكبر الآلات التصويرية التي استعملت الى الآن وتمكن الراصدون بها من رسم نجوم لا ترى بالاعين المجردة واكتشفوا على احد النجوم الخفية ثم توغلوا في اعماق السماء الى ما لم يبلغهُ احد قبلهم باعظم الآلات واقواها اما المدة اللازمة لاتمام الرسم فتختلف باختلاف انوار الكواكب لان الموسيو جانسن تمكن من رسم الشمس في ١/٣٠٠٠ من الثانية وقد تزيد هذه المدة باختلاف كبر النجوم المراد رسمها ومتى رسمت تعرف مسافاتها وما يراد معرفته عنها بنوع من الجهر المكبر وهكذا يستخدم الجهر وكان مخصصًا فوائده الى الآن بمعرفة دقائق الكائنات الصغيرة لاستخراج اسرار الفلك الاعلى

ولا يخفى ان علم الفلك حتى ايامنا هذه قاصر على معرفة حركة الكواكب التي في دائرة الشمس وبعض ذوات الاذناب اما النجوم البعيدة فلا يعرف عنها شيء ولا يمكن استخراج شيء من اسرارها الا بمراقبة مستمرة دقيقة يتناقل ارصادها الخلف عن السلف قرونًا عديدة وعلى فرض ان اعين البشر نجحت بمتابعة هذا العمل الشاق فمن يضمن صحة هذه الارصاد وخلوها من السهو والخطإ خلافًا للرسم بآلة التصوير فانه يزيل كل هذه المصاعب والمراد الان بالمؤتمر الفلكي المنعقد في باريس انما هو المباشرة باخذ خريطة السماء العامة بهذه الطريقة وستشتمل هذه الخريطة على خمسة عشر او عشرين مليونًا من النجوم التي ترى باعظم المكبرات وسوف تنجز هذه المهمة التي سيشترك بها اثنا عشر مرصدًا بمدة عشر سنوات وحينئذٍ يكون علماء قرننا الحاضر ان يخلفوا للقرون الآتية عن حالة السماء في الجيل التاسع عشر حتى اذا عاود الفلكيون القادمون التحقيقات الفلكية تبين لهم اوجه التغيير الطارئة على العوالم العلوية ويحصلون من ذلك على اكتشافات مهمة

الحابيس والصناعة

تقدم ولد من عمدة الصناعة في ستري الى البارون رازالك وزير العدلية في النمسا بطلب

الحيوانات الاشغال الصناعية من الحبوس لانها
مضرة بعمال الصناعة فوعدهم الوزير ببذل
الجهد لمنع مقدار المضار

النوم

لهجت الجرائد الانكليزية اخيرًا بذكر
رجل اسمه رنالدس نام خمسة عشر يومًا متتابعة وقد
اقام هذا الرجل طويلاً في المستشفى وكثيرًا ما
كان يرقد فجأة ويبقى نائمًا عدة ايام فكانوا
يوقظونه بالقاء اشعة من النور على اعينه لكن
لا يلبث ان يعاوده الرقاد بعد قليل وفي احد
الايام بينما كان يأكل في احدى الكوكدات
الفرنساوية في لوندرا اذ فاجأته نوبة النوم
فنقل الى المستشفى حيث امكن ايقاظه ومناولته
الطعام من وقت الى آخر بامرار اليد
على جبهته مرارًا عديدة من فوق الى اسفل
وكان يغشاه النوم احيانًا وهو يأكل ويشرب
اما منشأ هذا الحادث فنوع من الامراض
العصبية التي يكثر وقوعها

وطالما ذكرت الجرائد عن اناس وجدوا
نيامًا على المقاعد في الطرقات العامة ثم يوجد
الآن في مستشفى باريز امرأة يستغرقها احيانًا
الرقاد وتبقى نائمة عدة شهور والاغرب ان فتاة
من قرية صغيرة من مقاطعة اسن صار لها
نائمة حتى الآن مدة اربع سنوات متواصلة
وقد ذهب الدكتور ارجارد برلون لفحصها
فوجد انها في الخامسة والعشرين من العمر ولدى
السؤال عن امها علم ان الفتاة المذكورة اعتراها
هذا المرض منذ ٣ ايار سنة ١٨٨٣ اذ تكررت
عليها بعد ذلك النوبات العصبية ثم نامت ولم
تعد تعي منذ ذلك اليوم وهي تقتات بصب
عدة ملاعق من الحليب ومح البيض
والمشروب في فمها ومن الممكن ان تعيش زمنًا
ايضًا ولكن الموت يتبع عادة مثل هذه الازمات
الطويلة ومن النادر ان يمتد اجل النوم الى
اربع سنوات كما حصل لهذه الفتاة ولكن حوادث
النوم المنقطع كثيرة فمن ذلك ان ليكراند دو
سول شاهد ١٨٦٨ مريضًا نام بحضوره وبقي
نائمًا الى ان مات بعد سنة من ذلك التاريخ
وفي تلك السنة ايضًا استمر احد المرضى من
شارنتون بلا حراك على الاطلاق عشرة
شهور ولهذه الحوادث امثال كثيرة في الازمنة
الماضية ففي سنة ١٧١٣ نام نجار في دير الراهبات
ستة شهور وسنة ١٧٠٧ لهجت الالسن كثيرًا
بذكر نائم هولاندا فانه بقي بلا شعور وبلا حراك
نحو ستة شهور ايضًا وسنة ١٧٠٩ نشر الموسيو
ديونيس الجراح الشهير عن فتاة في الخامسة
والعشرين من العمر تدعى اليزابيت ديغيني انها
اصيبت في ٢٦ ايار سنة ١٧٠٩ بمرض فوق
العادة اشغلت به الخواطر في باريز اياما لانها
كانت ترقد فجأة وتستمر نائمة بمزيد الراحة
اياما طويلة حتى يتوهم الناظرون انها تتصنع
بذلك لغش الناس

الفريد دي موسه

لا نظن يوجد من يعرف اللغة الفرنساوية

وقرأ شيئاً عن اداب الفرنسا ويعرف ولم يسمع بذكر الفريد دي موسه الشاعر الفرنساوي الشهير برقة معانيه واساليبه التي تمتزج بالارواح امتزاج الراح وتسترق القلوب وتحرك الاحساس ولهذا الشاعر شان عظيم في بلاده يجلون قدره ويعظمون شأنه وقد اكثر في اشعاره من اظهار الحيرة والحب والشكوى والبكا ووجدت ابياته الاخيرة على فراش موته مبللة بدموعه وفي الجرائد الاخيرة ان اخته لادين موسه اتفقت مع جمعية الاداب الفرنسوية على بناء تمثال له اقراراً بفضله وتخليداً لذكره

زواج غريب

استمال احد العملة الاميركان زوجة احد اصحابه اليوم ثم فرّ بها الى فرية ويلمينكتون حيثما تزوج بها هنالك فرفع زوجها الاول دعواه الى الحكومة ولدى القبض على الهاربين ومثولهم جميعاً امام المحكمة قال الزوج الاول لخاطف امراته ان زوجتي تنفلت عليّ وقد صرحت لي بذلك ولهذا انعهد بتركها لك والتنازل عن جميع حقوقي عليها بشرط ان تدفع لي لقاء ذلك خمسين ريالاً اميركانياً ومصاريف الدعوى فبادر الخصم الى القبول بهذا الشرط وانقده على الفور المبلغ المطلوب وفي الحال صادقت المحكمة رسمياً على هذا الزواج الغريب وامرت باطلاق سراح العروسين

كنز

أُخبرت السيدة سين جورمون دوماس سنة ١٨٨٠ بالاكتشاف على رق غزال يستفاد منه وجود كنز مالي دفنه تحت الارض جدها يوحنا دوماس حاكم الملك في القرن الثامن عشر وهذا الكنز يؤلف من صكوك مالية وجواهر واوراق عائلية وسبائك ذهب بما قيمته ٤٠ مليون فرنك وبعد التحقيق الطويل ترجح في ذهن السيدة المذكورة ان هذا الكنز مدفون في خرائب قصر فيليكولاي الموجود اليوم في ملك المركيزة دي سيفراك فاتفقت معها على مباشرة البحث اللازم في تلك الاراضي بشرط ان تدفع لها متى نجح السعي ووجد الكنز مبلغ مائة وعشرة الاف فرنك ثم وقع الاختلاف بينهما سنة ١٨٨٢ اذ كانت المركيزة دي سيفراك ترفض الترخيص باجراء هذه المباحث في املاكها والسيدة دوماس تلح بلزوم الاستيلاء على اموال اجدادها المدفونة في تلك الارض ولدى المرافعة اعترفت المحكمة للسيدة دوماس بحق مواصلة البحث لاجل محدود حتى اذا انتهى ذلك الاجل تسقط حقوقها بذلك ويعود حق التصرف بالارض وما فيها لصاحبة الملك ومن الغريب ان الاجل المضروب انتهى في نفس اليوم الذي وصل فيه الباحثون الى سقف القبو المشهودة فيه الاموال فمنعتها عنهم المسيدة دي سيفراك وطردتهم من اراضيها حسب منطوق الحكم وهكذا تجددت الدعوى بينهما فطلبت السيدة دوماس ان يحكم لها باستلام اموالها الشرعية

التي وجدت امام المحكمة فاسقطتها من هذا المطلب بناء على فوات الاجل المعين للبحث وحكمت عليها بالمصاريف وابنت الكنتربنادمو الى السيدة دي سبنراك غير بارة

احصاء الشعب الالماني

ذكرت بعض الجرائد عدد الالمان من ذكور واناث مع المقابلة بين احصاء سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨٥ فظهر من ذلك ان المذكور بلغت في السنة الاولى ٢٢١٨٥٤٢٣ والاناث ٢٣٠٤٨٦٣٨ المجموع ٤٥٢٣٤٠٦١ نسمًا اما في سنة ١٨٨٥ فقد بلغ الذكور ٢٢٩٣٧٦٦٤ ٢ والاناث ٢٣٩٢٣٠٤٠ المجموع ٤٦٨٥٥٧٠٤ انفس فتكون الزيادة من الذكور ٦٤٨٢٣١ ومن الاناث ٨٧٨٤١٢ المجموع ١٦٢٦٤٣ نفسًا

علاج للشهقة

افاد الدكتور موهن ان التبخير بالحامض الكربونيك يتكفل بالشفاء السريع من الشهقة وذلك ان يلبس المصاب بهذا المرض عند الصباح ثيابًا نظيفة ثم يخرج من غرفته ويحرق في الغرفة المذكورة مقدار ٢٥ غرامًا من الكبريت في كل متر مكعب و يترك البخار في الغرفة مدة خمس ساعات وبعد ذلك تهوى الغرفة جيدًا و يرقد فيها العليل فينال الشفاء سريعًا

حسن المجازاة في بلاد الانكليز

لا مناوزت الامة الانكليزية انها اعظم امة تحسن مجازاة رجالها من اهل السيف والقلم بالعطايا المالية لانها تكرم جنودها وعلماءها باموال لا فرق وروانب باهظة تردد الافكار بتصديقها فهي تعطي كلاً من القواد مقامات وكبار الضباط الذين يتعبون من الجيش بعد خدمة اثنتي عشرة سنة ٩٢٠٠ ليرا استرلينية على سبيل المكافأة وبعد عشرين سنة يكون لهم الحق براتب تقاعد قدره ١٢٥٠٠ فرنك اما ثاني القائد والقائد فراتب الاول منهما ١٩٠٠٠ فرنك والثاني ٣٠٥٠٠ فرنك وقد تختلف رواتب الجرحى من ٧٥ الى ١٠٠٠ فرنك ولا باس من ايضاح النعم والجوائز التي نالها القائد و بلينكتون الانكليزي فانه حصل سنة ١٨١٠ بعد حرب اسبانيا على راتب سنوي قيمته ٥٠٠٠٠ فرنك وفي سنة ١٨١٢ على لقب دوق مع مبلغ اخر سنوي كالاول ثم على مبلغ ثالث قدره ٢٣٥٠٠٠ فرنك وذلك سنة ١٨١٤ ولما لم تكف كل هذه المبالغ اعطي له هبة قدرها اثنا عشر مليونًا وخمسمائة الف فرنك وبعد موقعة وترلو حصل على هبة ثانية قيمتها خمس ملايين ثم على قسم من غنائم الحرب وكان قد ارتفع الى مقام القيادة العامة فنابه منها ستون الف ليرا استرلينية ولقب بابرنس وترلو واهداه ملك هولندا املاكًا لابن اخيه بمناسبة هذا اللقب وتقرر اعطاء الوارثين الاولين وقيمتها مائة

الف فرنك في كل سنة الى قسلهِ على ممر الاجيال ثم لا يخفى ان الجنرال ولسلي ايضًا حصل بعد حملة مصر على لقب لورد وهبة قدرها ٥٠ الف ليرا استرلينية

اما رجال الاقلام فليسوا اقل شانًا في انكلترا من رجال السيف لان الحكومة الانكليزية تدفع للمدرسين من ٣٥ الى ٧٥ الف فرنك بينما لا يدفع لهم في فرنسا اكثر من عشرة الاف فرنك وكان تينيزون الشاعر المجيد يكتسب سنويًا اكثر من مائة الف فرنك ثم نال اخيرًا لقب لورد والقصاص الشهير تاكيري يكتسب الان من قصصهِ خمسين الف فرنك في السنة وياخذ فضلاً عن ذلك ٢٥٠ فرنك اجرة عن كل وجه يكتبهُ وقد تعدل ما اعطاه الكنبي موري للورد بيرون الشاعر الانكليزي البليغ فبلغ نحو اربعمائة الف فرنك اما ولترسكوت فاكتسب من مولفاتهِ مليونين ودفعوا لتيمس اجرة فصل واحد نشر في اعمدته الفين وخمسمائة فرنك

الالتهاب الرئوي

قدم الموسيو جاكود الى المجمع العلمي تقريرًا يستفاد منهُ ان البرد وحدهُ كاف لتوليد هذا الالتهاب وان لا صحة لما يقال من ان جراثيم هذا المرض السامة تاتي من الخارج والصحيح ان هذه الجراثيم موجودة دائمًا في الجوف ولكنها تكتسب هذه الخاصية المضرة وتستحيل الى جراثيم قتالة بفاعيل المرض الطارئ

رثاء

فجعت العائلة الطرادية الكريمة بوفاة شيخها وكبيرها الوجيه المكرم المرحوم الطيب الذكر اسحق طراد وكان شهمًا غيورًا نقيًا نبيلاً وديعًا محبًا للخير محسنًا الى الانسانية قضى في الثمانين من العمر وخلف لمواطنيهِ اسفًا وافرًا ومآثر فضل كثيرة نخص بالذكر منها اعمالهُ المشكورة في حادثة سنة ستين المنفجعة فنعزي عائلته الكريمة على فقده ونشترك معها بابداء مزيد الاسف على هذه الخسارة العظيمة ·

وقد اطلعنا على تاريخ لضريحهِ من نظم صديقنا الودود الفاضل الذكي الفواد نجيب افندي ابرهيم طراد اجاد فيهِ ناظمهُ منتهى الاجادة فاخترنا اثباتهُ في مجلتنا وهو

بنو طراد بكوا شيخًا تلألأ في معالم المجد بالاحسان والجاه
قاسى البلايا كايوب وهمتهُ ما لا يقاسي باشالب واشباه
قد انحلت جسمهُ التقوى وديدنهُ ألَّا يعزيهِ في بلواه إلا هي
والله قال لهُ ارخ على عجل ضحيت نفسك يا اسحاق لله

سنة ١٨٨٧

عود ميمون

عاد سيادة العالم العلامة الفاضل الخطير المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة الطائفة المارونية في بيروت الكلي الاحترام من اسفاره في روميه والاستانة بعد ان تشرف بالمثول امام حضرة السلطان الاعظم ونال من لدنه العالي مزيد التعطفات الشاهانية وحيث ان سيادة هذا الحبر الجليل هو من العلماء الافاضل المشهورين في بلادنا وغيرها بخدمة العلم والسعي في كل ما يأول الى نمو الآداب وانتشار المعارف كما نشهد على ذلك مؤلفاته العديدة وآثار فضله الكثيرة واخصها مدرسة الحكمة الزاهرة التي انشأها في مدينتنا منذ سنوات عديدة لتهذيب الشبان على مبادىء الآداب الصحيحة والوطنية الحقة فلا يسع الصفاء والحالة هذه بصفة كونه جريدة علمية يهمها امر العلماء الا ان يشترك مع رصيفاتها بتقديم واجبات التهاني لسيادته بهذا العود الميمون وبما نال من التعطفات الشاهانية والاكرام اللائق بذاته الكريمة

الصيدلة

فاتنا ان نذكر في العدد الماضي عن عود جناب الاديبين النجيبين جبران افندي الخوري ونخله افندي بامين من الاستانة العلية محرزين بالشهادة الرسمية التي تجيز لهما معاطاة فن الصيدلة في ممالك الدولة العلية وهما من الشبان الاذكياء الالباء الماهرين في هذه الصناعة فنهنئهما بذلك

وقد نال ايضاً الاجازة الرسمية بمعاطاة هذا الفن جناب النبيه اللبيب خليل افندي شبطيني فنأمل لهم جميعاً النجاح

العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب

هو شرح علقه جناب العالم العلامة اللغوي الشهير المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني على ديوان وحيد عصره الشاعر البليغ ابي الطيب المتنبي وقد روى هذا الشرح واكمله جناب العلامة اللغوي المدقق الشيخ ابرهيم اليازجي فجاء شرحاً سهياً وافياً بالغرض استخرجت به اسرار المعاني العويصة من كنوزها فلم يبق شيء من المشكلات الا اتى على حل رموزه بمزيد الاجادة والاستيفاء واورده باسلوب بديع رائق يشرح السمع والذوق ويشهد للشارح الشهير بما عهد به من طول الباع وسعة الاطلاع وغزارة الفضل والعلم ثم ذيل الشارح المشار اليه هذا الكتاب النفيس بفصل اورد فيه ما يروى للمتنبي من القصائد والمقطعات التي خلت منها نسخ الديوان مع الشرح الوافي على ذلك واتبعه بكلام على شعر المتنبي يتضمن طرائف شتى

ترتاح لمطالعتها النفوس وخلاصة القول ان هذا الكتاب المفيد فريد في بابه تضيق صفحات الصفاء عن استيفاء الواجب من وصف كما لا نه فنشكر لحضرة العلامة الفاضل اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي حسن سعيه باكماله ونشره افادة للعموم ونحض الادباء من آل المطالعة على اقتنائه لانه كنز لا يثمن بالنظر الى فوائده الزاخرة

روضة الازهار

اهدي الينا الجزء الاول والثاني من كتاب روضة الازهار في منتخبات الفكاهات والاخبار وهو مجموع اخبار ونوادر ادبية جامعة بين اللذة والفائدة عربة عن اللغة الفرنساوية جناب الاديب البارع المعلم جرجس افندي نوفل وقد حصر المجلد الاول منه بعشرة اجزاء تصدر تباعًا وكل منها يشتمل على ٦٤ صفحة وجعل قيمة الاشتراك فيه خمسة فرنكات في بيروت وستة في الجهات

الف يوم ويوم

هو كتاب يشتمل على حكايات وحوادث فارسية وتركية وصينية على نسق الف ليلة وليلة عربه عن الفرنساوية ايضًا جناب البارع الاديب المعلم جرجس افندي نوفل المومأ اليه وقد اصدر منه الجزء الاول والثاني وجعل بدل الاشتراك في مجموع الكتاب البالغ عدد صفحاته ٩٦٠ ثمانية فرنكات في بيروت وعشرة في الخارج وهو جدير بالمطالعة لما فيه من النكات الادبية والنوادر الملذة

خريطة سورية

اهدتنا المطبعة الاميركية الزاهرة نسخة خريطة كبيرة ملونة لولاية سورية وهي مطبوعة بمزيد الاتقان على قماش مسقول براق وتشتمل بالتفصيل الوافي على جميع المواقع والمدن والقرى والمزارع من كبيرة وصغيرة مع رسم صغير للمواقع التي سكنتها اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر ولا ريب انها من احسن ما تتزين به المنازل والقاعات العمومية والمكاتب وثمنها ٢٥ غرشًا فنحض الناس على اقتنائها لان ثمنها اقل من القليل بالنسبة الى ما صرف عليها من العناية والاهتمام بضبطها واتقانها

وقائع تلماك

هي قصة ادبية وضعها في اللغة الفرنسوية الاسقف فنلون الشهير لتهذيب وتثقيف دوك دي بورغون ولي عهد لويس الرابع عشر وقد ضمنها نصائح وتحذيرات من الظلم والرذائل محرضًا بها تلميذه على اتباع جادة العدل والانصاف ومدبجًا جميع ذلك بحوادث بديعة نسقها بترتيب عجيب وعبارات هي بلا ريب منتهى البلاغة وحد الاعجاز. قد ترجمت هذه القصة الى العربية وطبعت ثانية بمناظرة المعلم شاهين عطيه ثمنها ١٥ غرشًا

قصة حمزة البهلوان

هي قصة حماسية ادبية قد نسج بردها ونظم عقدها جناب نخله افندي القلفاط وزينها بالاشعار البديعة والمطارحات الرشيقة فجاءت من احسن القصص المعروفة تفوق قصة عنترة الفوارس بالشجاعة وكثرة الوقائع التي تأخذ بالنفوس كل مأخذ وهي مقسومة الى اربعة مجلدات قيمة الاشتراك بها عشرة فرنكات صدر منها المجلد الاول والمجلد الثاني وقد اخذنا الآن بسرعة انجازها عدة وجيزة

اعلان

بناء على ما نشره جناب الفاضل علي بك ناصر الدين في آخر السنة الاولى وفي الجزء الاول من هذه السنة اعلن لحضرة الجمهور اني قد التزمت طبع مجلة الصفاء هذه واعتمدت اتقانها وضبطها وجعل عدد صفحاتها في السنة سبعمائة وثمانيًا وستين صفحة تصدر في كل شهر اربعًا وستين وقد اخترت لتحريرها نفرًا من افاضل الكتبة المستعدين ان يدونوا فيها ما يهم ذكره من مقالات علمية وادبية وتاريخية وفكاهية وافردت بابًا مخصوصًا للمراسلات والمناظرات الادبية التي يتحفنا بها اهل العلم والادب وعينت قيمة الاشتراك عن كل عام خمسة عشر فرنكًا في بيروت ولبنان وعشرين في الخارج خالصة اجرة البريد وآمل ان هذه الخدمة الوطنية تروق في اعين ابناء الوطن فيتلقونها بالرضى والقبول.

كاتبه

جرجي حنا

غرزوزي

وكلاء الصفا ومحلات الاشتراك

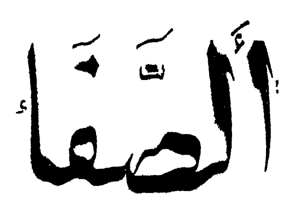
في بيروت ادارة المطبعة اللبنانية في الطابق العلوي من سوق الخواجات رعد وهاني

مركز متصرفية لبنان . ابرهيم بك الاسود
مركز قضاء الشوف . حسن افندي الخطيب
بغداد . الخواجه نابوليون الماريني
حمص . سليمان افندي يوسف نعمه
حماه . الدكتور امين افندي الحلبي
حوران . الشيخ علي القاضي
راشيا . عبدالله افندي مالك
زحله . شاهين افندي عازار
المعلقه . يوسف افندي سنو باشكاتب محكمة البداية
بعبدا . الدكتور فارس افندي ملاط
دير القمر . سليم افندي الجاهل
بعلبك . ابرهيم افندي نجيم
طرابلس الشام . المعلم ابراهيم بشاره الشويري
اللاذقية . اسعد افندي داغر
غزه . منيب افندي طنوس
دمشق . مخايل افندي منصور
والخواجه يوسف الخواجه

الاستانة العلية . عبد الله افندي الخياط
حلب . مخايل افندي صقال
الاسكندرونة - ديمتري افندي زريق
القدس . ملحم افندي صالح نصر
يافا . القس مراد الحداد والمعلم سليم ابو نادر
حيفا . الدكتور شكري ابو طاحي
عكاء . نعمان افندي ابي شعر
الناصرة . القس ساروفيم ابو طاحي
صفد . رشيد افندي حبيب
جديدة مرجعيون . يعقوب افندي نده
صيدا . قيصر افندي عترأون
الاسكندرية . حبيب افندي غرزوزي
طنطا . الخواجه فضل الله شحاده
دمياط . نخله افندي قصيري
عموم الارياف المصرية . رشيد افندي سعاده
وكيل جريدة الاهرام البهية

وكالة الصفاء العامة في القطر المصري

وكيلنا العام في مصر المحروسة وسائر القطر المصري فضل الله افندي غرزوزي فمن رغب الاشتراك في محل ليس لنا به وكيل خصوصي فعليه ان يخابره و يشترك على يده



الجزء الثاني من السنة الثانية

في ١ و١٣ نيسان سنة ١٨٨٧ = الموافق ٣٠ رجب سنة ١٣٠٤

الارض والشمس

اعتقد الأولون شدة علاقة الارض بالشمس وتوقفها عليها قبل وضع علم الفلك وغيره من سائر العلوم وعدوا الشمس لكونها مصدر ضوء العالم وحرارته وحياته . ولا ريب في انه لا عبادة من عبادات الاقدمين الوثنية طبيعية كهذه العبادة . فانهم قبل ان عرفوا حقيقة الشمس سروا بان خروا لها سجدًا ككائن صالح عظيم ينير العالم ويحيي بحرارته عند شروقه ويغادره مظلمًا باردًا بعد غروبه

ولا ريب في ان طلاب الحكمة لا يلتذون بمعرفة الحوادث الا بادراك عللها وعليه فلا بد من ان يسألوا عن كيفية استمداد الارض ضوءها وحرارتها من الشمس وعلة تحركها حولها . ولكننا لا نرى من سبيل الى بيان ذلك كما تقتضي الحال الا بعد توجيه الانظار الى ما اكتشف من الحقائق المتعلقة بالتابع والمتبوع اي الارض والشمس فان في ذلك مصعدًا ذا مراقٍ نتوصل من احداها الى الاخرى الى ان نبلغ مدرك العلاقة الشديدة بين الجرمين وذلك انهما كانا في الاصل كتلةً واحدة او جزءًا من مادة تشغل مساحة عظيمة من الفضاء

اما بعض تلك المكتشفات فان الارض كانت في الدهور الخالية كتلة من نار او لطخة من بخار يتوقد في باطن السماء . وقد بقي لنا فيها آثار تدل على ما كانت عليه في تلك الاحقاب ومن ذلك انا اذا حفرنا حفرة عميقة طلبًا للماء كما اتى القوم في ضواحي لندن وباريس فقد نجد الماء على عمق نحو ربع ميل سخنًا وكذا العمال في مناجم الفحم الحجري العميقة حتى يشق العمل على الفعلة وعليهم شيء من الملبوسات . وفي انحاء كثيرة من الغبراء حمّات (اي ينابيع ذوات ماء

حار) وقد تنقضي عليها قرون كثيرة ولم تبرد ما يشعر به . وفي كل ارجاء البسيطة تقريبًا جبال تقذف بالنيران والابخرة والغازات الحامية وذوب الصخور بقوة عظيمة وبمقادير جسيمة

فيستدل بالطبع من كل ما لوحظ من هذه الحقائق في بلدان العالم سواءٌ كانت اشدها بردًا او اعظمها حرًّا انهُ لا بدَّ من ان يكون باطن الارض شديد الحرارة . واذ كان عمق اعمق تلك الحفر والمناجم بالنسبة الى كل جرم الارض لا يساوي ثخن دهان الكرة المدرسية العادية لزم ان تكون الارض كرة حارة ذات قشرة باردة على ظاهرها ولأن سطح الارض بارد لم يمكنها ان تضيء بضوءها الذاتي ومع كل ذلك لا يشك في انها تنير في السماء كما ينير القمر لانها تضاهيه بانعكاس الضوء الذي يستمدانه من الشمس

ولو انتقلنا من الارض الى اقرب الاجرام السموية اليها كالقمر الذي يدور حولها كما تدور هي حول الشمس لرأينا برهانًا قاطعًا على ان الارض ليست الكرة الوحيدة التي تضيء بغنى عن الشمس . وسطحها وان كان باردًا عليهِ اثار من تأثير حرارتها الباطنة

ومخاربط التلال العديدة عليها ليست الا براكين تهيج احيانًا كجبل بتروف او باردة خمدت منذ ازمان كالجبال المتباينة الواقعة غربي نابولي . وما الثغور المستديرة على رؤوسها الا منتفسات قذف منها بمقادير عظيمة من الغبار والرماد والبخار وذوب الصخور في اوقات مختلفة . وكثيرًا ما سالت الصخور على جوانب البراكين وتكاثفت غيوم واسعة من البخار والغبار الحامي وقذف منها بمواد متنوعة بقوة عظيمة الى غير ذلك من الغرائب البركانية التي يضيق المقام باستيفائها هنا وكل ذلك شاهد بصحة القول بحرارة باطن الارض الشديدة

وما شوهد في تلال غربي نابولي من آثار البراكين جزء مما رؤي في سطح القمر من سلسلة مخاربط كبيرة ذات ثغور واسعة . ومن عدد وافر من الثغور الصغيرة يتصل بعضها ببعض صفوفًا في كثير من الاتجاه ومن الفوهات الكبيرة التي تحيط احداها بالأُخرى وقد شوهد في بعضها عدد وافر من الفوهات الصغيرة الى غير ذلك من المشاهد المشابهة غيرها في اقطار كثيرة من سطح الارض التي لم نرَ باعثًا يحملنا على ان لا نحكم بان مثل هذه المرتفعات المخروطة على وجه القمر براكين لان فوهاتها واضحة يتحقق انها منافذ قذف منها بذوب الصخور وغيرها من المواد الحامية كما قذف بمثلها من البراكين الارضية . ولم تنحصر تلك المشاهد في جهة واحدة من سطح القمر بل عمت اكثرهُ تقريبًا . وقد عدَّ علماء الفلك البراكين القمرية ومسحوها فوجدوها انها اكثر واعظم من البراكين الارضية والاثار التي تدل على الافعال البركانية في القمر اكثر كثيرًا مما نراهُ في الارض . ومع ان سطح القمر شديد البرد ولا ينير من ذاته بل يعكس الينا النور الذي

استمدته من الشمس لابد من ان باطنه كان شديد الحرارة لها قشرة صلبة تنفذها الذوائب الداخلية وخرجت من تلك الفوهات والمآخذ الكثيرة

هذا والى الآن لم يكتشف برقيب من مراقب الدقيقة هيجان بركان في القمر . ولكن يبين من ظواهر القمر ان الفعل البركاني العظيم هناك قد تناهى . وعلى فرض ان حرارة باطن القمر اشد من حرارة ظاهره لم يبق منها ما هو كاف لهياج براكينه المعهودة

ولا بد ان يبرد باطن الارض كما برد باطن القمر . ومما يدل على هذه الحقيقة الفرق في درجة الحرارة بين باطنها وظاهرها فان قشرتها صارت ابرد من باطنها ولو لم تكن قد استمرت على خسارة حرارتها في الفضاء . فان حرارة الارض لم تزل تخرق قشرتها ولم تشعر بها لانها متى بلغت سطح الارض انتشرت في الفضاء سريعاً

فقد رأينا من ذلك ان الارض لا يمكن ان تبقى دائماً على ما هي عليه الآن فلا بدّ من انها كانت منذ مليون من السنين ذات حرارة اعظم جداً من حرارتها الآن ولربما كانت منذ ۱۰۰ مليون سنة كرة من مواد ذائبة لا ارض فيها ولا بحار وبالضرورة لا حياة على سطحها وتسطيحها من ناحيتي قطبيها تستلزمه كل كرة سائلة من تأثير الدوران على المحور بالضرورة . والمرجح ان ذلك التسطيح كان من ذلك الوقت لانها كانت قبله بخاراً

وظن كثيرون من الفلاسفة كون الارض بخاراً غاية ما وراءها للعقل من أمد فهو بداءة تاريخها الحقيقي الذي عرفوه من الارض نفسها ومن ثم وجهوا كل خواطرهم الى ما يعرف من الشمس فقالوا ان كون الشمس حارة فمما عرف منذ القديم . ولكن لم تعلم كيفية شدة حرارتها الا في الايام المتأخرة . والفرق الجوهري بين الشمس والارض والقمر هو كون ضوء الاولى ذاتياً فيها ونور الاخريين مستمداً منها . ولما امتحن ضوء الشمس بالمنظار الطيفي وجد ان درجة الحرارة في الشمس شديدة جداً حتى لا يوجد فيها الا غاز او بخار . والضوء والحرارة اللذين نستمدها من الشمس صادران عن الجوّ متاججة اكتشف بينها معادن هي من مثل اصلب المعادن في الارض وقد رجح ان اكثر المواد البسيطة التي تتركب الارض منها يوجد مثلها في الشمس ولكنها بخار . فلو طرحت كرتنا الارضية في الشمس لتحولت سريعاً الى بخار رشاح

فقد ظهر من ملاحظة وجه الشمس ان الكلف الظاهر عليه يدور على الدوام من الغرب الى الشرق وهذا يدل على حركة ابطأ من حركة الارض فان وجه الشمس المنير الذي نراه يقتضي لكي يدور على محوره دورة واحدة نحو ۲٥ يوماً من ايامنا على الاقل . ولكن جهة دورانها مثل جهة دوران الارض

ثم ان الارض والقمر الذي يدور حولها ليسا الا بعض الاجرام السموية التي تدور حول الشمس . فانا اذا لاحظنا مواضع الكواكب في السماء باعتناء راينا ان كلاً منها باقٍ في مركزه بالنظر الى سائر الكواكب ولو ظهر لنا ان السماء كلها سائرة ببطوء نحو المغرب . ولكن في بعض فصول السنة نرى البعض ثوابت في بادي الامر فاذا راقبناها بتدقيق راينها تنتقل من مراكزها سائرة ومجاوزة الكواكب الأُخر . فهذه سماها الاقدمون بالسيارات التي عرفت الآن انها تدور حول الشمس في اوقات مختلفة وابعاد متفاوتة . فنقدر ان نحكم مما اظهرهُ لنا المرقب ان هذه السيارات تشبه ارضنا من اوجهٍ عديدة . منها انها تدور على محاورها . ومنها ان لبعضها اقمارًا تدور حولها . ومنها ان في بعضها علامات تدل على جوٍ ذي غيوم ورياح . وفي احدها المعروف بالمريخ ثلوج وجليد على قطبتيهِ كما على قطبي الارض . وبعض هذه السيارات اكبر من الارض كثيرًا . وبعضها اصغر منها كثيرًا . وبعضها اقرب الى الشمس منا وبعضها ابعد كثيرًا . فكل هذه السيارات التي منها ارضنا وتدور حول الشمس كمركز لها نسمي بالعالم الشمسي

ومجمل ما تقدم ان الشمس مركز العالم الشمسي وانها كرة عظيمة جدًّا مؤلفة من غازات وابخرة حامية الى درجة البياض تدور على محورها وتشع ضوءها وحرارتها في الفضاء الى حد بعيد وحول هذا النيّر المركزي تدور عدة من السيارات في فسحة واحدة عامة وتستمد الحرارة والضوء منها يدور حول بعضها توابع اصغر منها نعرف بالاقمار كما يدور القمر حول الارض . والسيارات تتحرك بمثل الحركة الدورية التي تحركها الشمس والارض هي احدى السيارات واحوالها الحاضرة تدل على انها كانت أحر منها الان ويمكن انها كانت في اول نشأتها سائلة او غازية

ولا يوضح هذه الحقائق ويربط بعضها ببعض الا الراي السديمي الذي يثبت ان كل العالم الشمسي كان في اول امره كالغيم الرقيق وهو ما يعرف في مصطلح الفلك بالسديم . وهذا السديم قد تكاثف واشتعل تدريجًا وتجزأ على التوالي . وصارت تلك الاجزاء سيارات بالتكاثف والتبرد الدائمين على كرور الدهور . وما الشمس الا بقية من ذلك السديم العظيم في درجة البياض . وهي لم تزل تتكاثف وتتبرد ببطوء وقد بقيت مركزًا لذلك العالم تدور حولهُ دائمًا تلك الاجزاء المختلفة المنفصلة عنهُ والله اعلم

الهواء

الهواء من اهم ما يبحث عنهُ الانسان لانهُ قوام حياة النبات والحيوان . يفتقر اليهِ الحي في اليقظة والمنام ولا يستغني عنهُ دقائق ولو طوى الايام وبدونهِ الموت العام . اذا كان

نقياً نعش الجسوم واذا كثر فساده صار من اقتل السموم. واذا قصف في الارض قلع الاشجار واذا برد في الجو اخترل الامطار مع انه مادة تدق على الابصار. وهو جسم سيال تام الشفافية يحيط بالكرة الارضية ويملأ الدائرة الجوية حيث البروق والرعود والثلوج والامطار وبدونه لا يحدث اثر من تلك الآثار. فان علونا قنن ما شمخ من الاطواد او هبطنا الى اعماق المناجم والوهاد وانحجنا الى غير ذلك من الارجاء رايناها مشغولة بالهواء

فيهمنا البحث اولاً عن هذا الاوقيانوس الهوائي العظيم الذي يحيط بالارض الى حد بعيد لنعلم ما هيئته وتركيبه وعلوه وضغطه وحرارته ورطوبته وحركاته وفوائده وعلاقته بالارض الى غير ذلك من متعلقاته وسنأتي ان شاء الله على كل تلك المباحث تسهيلاً لمعرفة ما بني عليها من الحقائق الفلسفية والمكتشفات العلمية وما يتعلق بها من الغرائب الجوية والحوادث الارضية فنقول

اعتقد الاقدمون ان الهواء احد اربعة عناصر تركبت الارض منها سموها بالاركان على حد قول العلامة الرئيس ابن سينا

اما الطبيعيات فالأركانُ　　　تقوم من مزاجها الابدانُ
وقول بقراط بها صحيحُ　　　نارٌ وماءٌ وثرى وريحُ

وبطل ذلك الاعتقاد من عهد ليس ببعيد اذ علم ان الهواء ليس عنصراً بسيطاً بل هو مزيج من عنصرين غازيين يسمى احدهما بالنتروجين والاخر بالاكسجين وعلى ذلك برهان سهل وهو انك اذا احرقت قطعة من الفصفور في اناء مسدود فينعزل بذلك الاكسجين باتحاده بالفصفور فيتولد منهما جوهر مركب ويبقى النتروجين وحده والكيميون يفصلون عنصري الهواء بطرق مختلفة ولكن نتيجة كل تلك الطرق واحدة ابداً اي انه في كل ١٠٠ جزء من الهواء العادي وزناً ٧٩ جزءاً من النتروجين و ٢١ جزءاً من الاكسجين

ثم اذ فحص الهواء فحصاً مدققاً وجد انه مشتمل على اشياء غير النتروجين والاكسجين اذ فيه دائماً مقادير صغيرة جداً من دقائق جامدة وغازات مختلفة وابخرة متنوعة ولكنها عرضية زهيدة بالنسبة الى عنصريه الرئيسين الذين لا يتغيران. على ان هذه الاجزاء ليست باقل شأن من النتروجين والاكسجين لان وجودها يتبرهن بسهولة كوجودهما فيه

اما وجود العدد العظيم من الدقائق الجامدة في الهواء فظاهر فانا اذا نظرت الى الضوء الداخل من نافذة الى غرفة مظلمة فانك ترى في تلك الاشعة الوفاً من ذرات الهباء متحركة بحركة الهواء وهي لا ترى الا في تلك الاشعة لانعكاس النور عنها الى سائر جهات تلك الغرفة. فهي في الهواء ابداً ولو قصرت العين المجردة عن ان تراها لفرط صغرها

فاذا فحصنا هذه الدقايق بالمجهر وجدناها مؤلفة من ذرات الغبار على الغالب الا انا نرى بينها احياناً جراثيم حية صغيرة اذا وجدت مقرًا مناسبًا لها نولد منها نباتات وحيوانات دقيقة وحينئذٍ تنشأ بعض الامراض وتنتشر بواسطة استقرار هذه الجراثيم الدقيقة في اجسادنا ونموها فيها اذ انها لفرط صغرها تدخل مع الهواء الى الرئتين ومن هناك تدخل الى الدم

فيشق علينا ان ننقي الهواء من هذه الذرات الصغيرة ولكن قد نابت الامطار عنا في هذا الامر العجيب . اذ انه من اعظم وظايف المطر ان يغسل الهواء ويخلصه من اوضاره. فاذا جمع مقدار من مياه المطر باعتناء ولا سيما في المدن الكبيرة وترك في آناء الى ان يتبخر كله وقطر في ما ابقاهُ في الاناء بالمجهر وجد فيها دقايق جامدة كثيرة مؤلفة من الغبار والكنس المخلوط بتبلورات من موادٍ مختلفة ككبريتات الصودا والملح العادي. ونعلم ان فيه سوى هذه الدقايق الجرثومية او دقايق صغيرة من مواد مختلفة قابلة الذوبان عالقة في الهواء ينزلها المطر معه الى التربة فيبقي الهواء ويجعله صالحًا للصحة ويمد التربة بموادٍ تفيد النبات

وفي الهواء غير ما ذكر من هذه الاجزاء الجامدة ثلاث موادٍ غير منظورة اثنتان منها غازان احدها الاوزون والآخر الحامض الكربونيك والثالثة بخار الماء ويشعر احيانًا بعد الرعد ان للهواء رايحة مخصوصة كالتي عن آلةٍ كهربائية وهذا هو الاوزون الذي اعتقد انهُ اكسجين في حالٍ خاصة . وهو يسهل سرعة انحلال المواد الحيوانية والنباتية المتحدة بالغازات في الهواء وبهذا يطهرهُ من المفاسد وينقيهِ من الاقذار واكثر ما يكون ذلك حيث يهب نسيم البحر وافلة في محال الازدحام في المدن . ويظهر ان صحة الهواء وعدمها متوقفة بالاكثر على مقدار الاوزون الذي يقدر بقدر تغير اللون الذي ينشئهُ الهواء في وقتٍ معلوم على قطعةٍ من الورق معلقة بالنشا ويوديد البوتاسيوم

ولنلتفت الان الى الحامض الكربونيك فنقول . اذا اشتعلت قطعة من الفحم الحجري حتى لم يبقَ منها سوى بقية قليلة من الرماد . او اذا أوقدت شمعة حتى ذابت كلها . فماذا يكون قد حدث ياترى لمادة الفحمة أو الشمعة . فالذي يتبادر اليهِ الوهم انها تلاشت . والحق انهُ لم يتلاشَ شيءٌ منها بل انها باشتعالها تغيرت هيئتها من مادة منظورة الى أُخرى غير منظورة ومادتها لم تزل بل تبقى الى الابد ولو لم نقدر ان نرجعها الى الحال التي كانت عليهِ قبل الاشتعال . غير انَّا نقدر على الاقل ان نبين انها باقية في الهواء

واما مادة قطعة الفحم أو الشمعة فمركبة من عناصر مختلفة اسم احدها كربون وهذا العنصر احد اجزاء المادة الرئيسية التي تركب منها كل نباتٍ وحيوانٍ . فاعظم قسم من اجسادنا مركب

منه. ففي احراق قطعة من الفحم الحجري (واصل الفحم الحجري نبات قديم اشتد الضغط عليه فتحجر) او في اشتعال شمعة ينفصل عنهما ما بها من الكربون حالاً ويمتزج بالهواء وبعضه ينتشر بهيئة دقائق صغيرة جامدة من الكتن ترى على صحفة باردة توضع على لهيب الشمعة فتكسوها حلة سوداء من دخانها. ومثل ذلك الدخان الذي يخرج من المداخن الى الهواء

ولكن القسم الاعظم من الكربون لا يخرج الى الهواء بهيئة دخان بل يتحد اتحاداً كيماوياً بأكسجين الهواء الذي بواسطته يحدث الاشتعال فيتكون من اتحادهما غاز الحامض الكربونيك وهذا الاتحاد الكيماوي عينه هو الذي نسميه احتراقاً واشتعالاً. فمتى منع الهواء عن ضوء الشمعة تنطفئ لعدم كفاية الاكسجين الذي به يقوم الاشتعال. فكل المواد العادية القابلة الاشتعال تمد الجو بغاز الحامض الكربونيك

ومن المعلوم ان هذا المقدار صغير بالنسبة الى اتساع الجو. لان مقدار المادة الحيوانية والنباتية المشتعلة بواسطتها مما لا بد من ان تكون بالطبع طفيفة بمقابلتها مع هواء الجو العظيم. ولكن القسم الاوفر من ذلك الغاز هو الناتج عن تنفس الحيوانات. فاننا بتنفسنا ندخل الهواء الى الرئتين ويبلغ الدم وهناك يحدث فعل كفعل الاشتعال لان اكسجين الهواء يتحد بكربون الدم وحينئذ يتولد الحامض الكربونيك ويخرج مع الهواء الى الخارج وهكذا في التنفس التالي وهلم جرًّا. فكما تنطفئ الشمعة بوضع زجاجة فوقها تحجب الهواء عنها هكذا تكون نهاية حياة كل حيوان ان تحجب الهواء عنه. وكلما تنفس الحيوان مرة يضيف الى الهواء مقداراً من غاز الحامض الكربونيك. وسنبين كيفية نشوء ذلك الحامض من النبات مما يأتي

لانه اذا كان النبات الحي في ضوء الشمس كان له قوة على امتصاص الكربون من الحامض الكربونيك الذي يتألف منه اعظم جزء من بنيته. وحين يموت يفلت من انحلاله ما فيه من الكربون ايضاً ويتحد بالاكسجين ويتحول الى غاز الحامض الكربونيك الذي ينزل به المطر الى التربة او يصعد به الهواء الى الجو

واخيراً نقول انه في انحاء كثيرة في العالم ولا سيما الاصقاع البركانية يخرج من الارض مقادير عظيمة من هذا الغاز عينه. فمن كل هذه المصادر يمتلئ الجو من غاز الحامض الكربونيك على الدوام ليعوض عما خسره منه مما امتصه النبات

على ان مقدار هذا الغاز في الهواء طفيف جداً بالنسبة الى ما فيه من النتروجين والاكسجين ونقدر انه لا يزيد حجمه على اربعة اجزاء في كل عشرة الاف جزء من الهواء العادي النقي. وهو مع هذه القلة كافٍ لنمو النبات على كل وجه الارض

ثم انهُ في الهواء دائمًا قدر من البخار المائي غير منظور. فانهُ متى سخن الماء بخر وارتفع الى الهواء. فاذا وضع اناءٌ مملوٌ ماءً مثلاً في وسط غرفة على لهب مصباح يغلي الماء. واذا بقي كذلك يبخر كلهُ ولم يظهر في هواء تلك الغرفة تغيير مع كل ما اضيف اليهِ من البخار. ولكن يسهل تحويل بعض البخار الى ماء اذا وضع في الغرفة قطعة باردة من الزجاج او المعدن او غير ذلك مما يكون جافًا تمامًا. فحالاً يكمد سطح تلك القطعة وتجتمع عليهِ الرطوبة. وان كانت تلك القطعة كبيرة سميكة حتى تحتمل حرارة هواء الغرفة بضع دقائق قبل ان تساوي حرارتها حرارة الهواء تحولت الرطوبة الى قطرات سائلة. وذلك لان ما حول تلك القطعة من هواء الغرفة قد برد وخسر بعضًا من رطوبتهِ. فالهواء البارد لا يستطيع حفظ البخار المنحل كالهواء الحار. فقابلية الهواء للبخار تتوقف على درجة حرارتهِ كما سنبينهُ في جزء آخر ان شاء الله

هذا ولم نفتقر الى ان نغلي الماء في حجرة لنبين وجود بخار الماء في هوائها لانهُ في كل غرفة دافئة يجتمع فيها الناس بخار كافٍ ليظهر على زجاجة باردة. ففي ايام البرد يرى الماء جاريًا على سطوح زجاج الكوى الداخلية متحولاً عما اخذتهُ من بخار الهواء في تلك الغرفة. واكثر ذلك الماء بخار من تنفس اولئك الناس

فكلٌ منا بتنفسهِ يخرج الى الهواء بخارًا مائيًا كل دقيقة ولا نقدر ان نرى ذلك البخار ما دامت حرارة الهواء الذي حولنا كافية لان تلطفهُ سريعًا. ولكن ذلك البخار يظهر متى وقع على ما يبرد كما لو تنفسنا على قطعةٍ باردة من الزجاج او المعدن فانهُ يظهر عليهِ حينئذٍ غشاوة من الرطوبة او نراهُ خارجًا من أفواهنا كضباب في الهواء حين نتنفس في يوم شديد البرد

فمهما كان الهواء جافًا فلا بدَّ من ان يكون فيهِ قدر من بخار الماء الخفي. فكل ضبابةٍ او سحابةٍ تتكاثف في الجو وكل شؤبوب من المطر والبرد والثلج وكل قطرةٍ من الندى تنشأ على اوراق الاشجار يشهد بوجود هذا البخار في الهواء

وفائدة ذلك القدر من البخار في الهواء مما لا يمكن تثمينهُ لانهُ مصدر حياة كُلّ ما في الارض من نبت وحيوان كالمطر والينابيع والجداول والانهر والبحيرات الى غير ذلك من صنوف المياه وبدونها تمسي الارض قفرًا بلا حياة كسطح القمر على ما وصلت اليهِ معرفتنا. والى ذلك البخار الخفي الدائم ينسب كثيرٌ من التغيرات الجوية كهبوب الرياح والعواصف

ويتغير مقدار بخار الماء في الهواء من يوم الى يوم بل من ساعة الى ساعة. ويُعَدُّ هذا المقدار ايضًا طفيفًا بالنسبة الى ثقل الهواء لان ثقلهُ يختلف من اربعة اجزاء الى ستة عشر جزءًا في كل الف جزء من الهواء

والخلاصة ان الهواء مزيج من عنصرين رئيسيين وهما النتروجين والاكسجين وان فيه دقائق جامدة مثل ذرات الهباء ويخالطها احيانًا جراثيم صغيرة حية تولد الامراض العضالة. وفيه ايضًا الأوزون الذي يتوقف على كميته صحة الهواء. وفيه غاز الحامض الكربونيك. وفيه بخار الماء الذي هو مصدر مياه الارض. والاكسجين الذي فيه قوام حياة الحيوان والكربون قوام حياة النبات فيستنشق الحيوان اكسجينًا صرفًا ويخرجه ممزوجًا بالكربون فيمتص النبات ما فيه من الكربون ويترك البقية اكسجينًا صرفًا وهلمّ جرا الى ما شاء الله. فسبحانه من خالق حكيم جعل نفاية المملكة الواحدة حياة المملكة الاخرى

جراثيم المرض والموت

علم اكثر اهل المطالعة بالراي الجرثومي وقلّ من جهل ما يعتنى به ويبنى عليه. وقد حاز هذا الراي القبول العام لانه يعلل بوضوح كثيرًا من الامراض التي تعدي الانسان وما يقرب منه من الحيوان من حيث كونها ناشئة عن جراثيم حية صغيرة. واما كون تلك الجراثيم نباتية او حيوانية او نباتية حيوانية معًا فلم يزل في اكثر الحوادث تحت الريب. فاذا قابلنا بين حمى الجدري وحمى التطعيم بالجدري البقري اتضح لدينا خيفة هذا الراي. وبيانًا لذلك نقول

انه حين يطعم الطبيب ولدًا يدخل الى جسده بواسطة خدش جلده مقدارًا صغيرًا من من مادة التلقيح المنوية. ومعلوم ان هذه المادة تؤخذ من نغاط مطعوم ولد طعم حديثًا او من نغاط ضرع بقرة بعد ان تعدى بالجدري الحقيقي وهي تشتمل في كلا الحالين على مقدار من الجراثيم الحية الصغيرة المستكنة في لعقا التلقيح. فمتى دخلت الى جسم الولد تكاثرت فيه ونمت وانتشرت في اعضائه ثم نشا عنها النغاط في محل التلقيح فتحدث حمى مثل حمى الجدري الا انها الطف. فلذلك كان التطعيم علاجا واقيًا من اعراض الجدري الثقيلة. ولا يخفى ان جراثيم الجدري اذا انتقلت من مصاب الى صحيح راسًا او بواسطة تتكاثر وتنمى وتنتشر في الانسجة والدم فتظهر كل اعراض المرض الدالة عليه ثم تهلك بعد ان تتوالى عليها اطوار الحياة الخاصة بها فتزول الاعراض الدالة عنها. فوضح من ثم وجه التشابه في كلتا الحالتين وان علتها وجود الجراثيم الحية ونموها

وفي ذلك ما يماثل نمو الحيوانات والنبات مماثلة غريبة لان الحمى لا تظهر الا بعد مضي زمن من دخول المادة المرضية يعرف بزمن الحضانة كما ان توليد الكائنات انما يكون بعد تكون الجرثومة. وتنمو الحمى كما ينمو الحيوان والنبات نموًا يأتي بها الى طور البلوغ. ويحط المرض كما يحط جسم الحي بإجتيازه الى الشيخوخة والموت. فالمماثلة بين الحياة العادية والولادة والنمو وبين نشوء المرض ونموه وانحطاطه واضحة تامة

وفضلاً عليهِ نرى هذه المماثلة واضحة في اشياء اخر منها ان للحميات اشكالاً يتعلق كل منها بعلة خاصة يتولد عنها في الاصحاء مثلها كما يتولد كل نوع من النبات والحيوان من شكلهِ. فكل مرض ينشيء نوعهُ كما يولد كلٌّ من الكلب والهر نوعهُ على ما افادهُ المستر تندل في بعض مباحثهِ. واعراض كل مرض مميزة عن غيره من الامراض. فاعراض الحمى القرمزية ليست كاعراض الجدري واعراض الحصبة تختلف عن كليهما. واعراض التيفوس تغاير اعراض الثلاثة. كما ان نوع الهر مثلاً يختلف عن نوع الريم من صفاتهِ وطباعهِ ونوعية معاشهِ الى غير ذلك

فمما تقدم يعلم ان فايدة الراي الجرثومي قد بلغت في هذا العصر من الاعتبار مبلغاً شهد بفضل العلم ودل على اهميتهِ لدى العموم. فقد صلح الراي الجرثومي لتقوية تصورنا بان امراضنا الوبائيه ليست الا نتيجة تولد الآليات الدنيا اذ قد ثبت بالعمل ان عدداً عظيماً جداً من نباتات دنيا تحدث في جلد الانسان تاثيرات وامراضاً تشبه اعراضها الاعراض الحادثة عن الحمى في كل جسدهِ. وعلى هذا المنوال ينشأ المرض المعروف بالحزاز بواسطة نمو الفطر الحالي في بشرة الجلد واكثر امراض الجلد حادث من تاثير النباتات الدقيقة فيهِ. فاذا تحقق ان مرضاً من الامراض الخاصة بالجلد قد نشأ عن نمو بعض انواع النباتات الدنيئة رجح بقياس التمثيل ان غيره من الامراض المعدية والاوبئة هي بالحقيقة نتيجة كائنات حية دقيقة

وكثيراً ما اتجه الفكر العام للبحث عن الراي الجرثومي واُلّف فيهِ مؤخراً عدة مؤلفات ذات شان بينت لنا بعض ما احدثته الاليات الدنيا في توليد المرض. فالموسيو بستور الذي رفتة ابحاثه عن نشوء الاليات الدنيا وانتشارها الى اعلى مقام بين رجال هذا العصر قد استوفى البيان عن العلل التي تولد المرض المعروف بالجمرة او الحمى الطحالية وهو مرض لا يصيب الانسان الا نادراً مع انهُ وبيل في الخيل والغنم والبقر وقد تحملت فرنسا بسببهِ اشد الخسائر وعدّ في كثير من البلدان رزية كبرى ومما اغرب العلامة المذكور في كشفه مرض دود القز بعد ان كادت تضيع بهِ ثروة فرنسا من جهة محصول الحرير سنة ١٨٦٢. فقد ابان ان علة المرض المذكور انما هي نمو دقايق صغيرة في اجسام دود القز وتكاثرها فيها. وان تلك الدقايق انما هي بالحقيقة جراثيم اليات دنيا. ثم توغل بالبحث فاوضح ان البيض الذي ينقف منهُ الدود معرض للعدوى بالعلة المذكورة موروثة من العلة التي اصيب بها الفراش. وبرهن ايضاً بعد امتحانات صعبة متوالية ان علة دود القز تنتشر كسائر الامراض المعدية وتتفشى بين كل الدود متى لامس المصاب السليم. ومن قواعدهِ في تربية دود القز قولهُ " على من يربي الدود ان يعزل المصاب عن الصحيح كما ينفصل المصاب بمرض معدٍ عن السليم ". على ان هذه المعرفة التي

أدت الى مثل هذه النتائج الخطيرة ما نحصلت الا بعد جهد جهيد وتضحية الذات للعمل اشهرًا كثيرة. وما النصل في تحصيل هذه المنافع الا للمجهر (اي الميكرسكوب وهو نظارة تكبر المرئيات يرى بها ما لا يرى بالعين المجردة)

واذا امعنا النظر في الحمى الطحالية بعد ان عرفت حقيقتها الان راينا العلامة بستور منتصرًا في جهاد البحث والتدقيق. فلا يخفى ان بعض الباحثين رأى سنة ١٨٥٠ في دم الحيوانات المصابة بالعلة المذكورة جسيمات صغيرة على شكل انابيب من نوع الاليات السافلة. وقد عرف ان هذه الاليات ناشئة عن دقائق هي بالحقيقة جراثيمها. فانا اذا راقبنا هذه الاليات مرارًا متوالية رايناها نقط متناهية بالصغر هي ذرات تنمو حتى تصير على شكل صفوف خرزية منتظمة بين تلك الانابيب ثم تتلاشى الانابيب فتصير تلك الذرات جراثيم فتنمو الى ان تصير انبوبيات جديدة. فهذه المربوات التي لا تحصى من الانبوبيات والذريرات تحدث اعراض الحمى الطحالية في جسم الحيوان. وعلى الجملة فان الحمى نتيجة نمو هذه الانبوبيات في البناء الحي وانتشارها فيه

فلو اخذنا هذه الانبوبيات وانميناها في سائل كالرطوبة المائية لعين الثور لطعمنا بها جسم الحيوان الصحيح وزرعنا فيه جراثيم الحمى الطحالية. على ان قطرة من محلول مشتمل على هذه الانبوبيات اذا دخلت الى جسم خنزير من خنازير غينيا ولدت الحمى الطحالية فيه والعجب من كل ذلك ما تبين من انه اذا اخذ دم المصاب بهذه الحمى جافًا ولو من اربع سنين وادخل الى جسم شاة صحيح هبت الانبوبيات من رقادها ونمت وتكاثرت وانتشرت فيه فاحدثت الحمى المذكورة نفسها

فهذه الملاحظات الدقيقة مهدت سبيل البحث للعلامة بستور بما أُتيح له من سعة الاطلاع والتجلد على الاستنباط الحقائق فبين علة ظهور الحمى الطحالية فجأة في قطعان من الغنم لم تكن مصابة من قبل بهذه العلة. ومن الواضح انه اذا كان الراي الجرثومي صحيحًا بني على هذا الفرض بيان حقيقة هذه التفشيات المتقطعة الفجائية بحسب الظاهر بخلاف ما اذا ثبت القول بالتولد الذاتي فانه يؤدي الى نقض الراي الجرثومي. على ان العلامة بستور قد حل معضلات مشاكل هذه المسئلة فاثبت الراي الاول ونقض الثاني اذ علم بان المواضع التي ظهرت الحمى الطحالية قد تفشت فيها تفشيًا فجائيًا غير منتظر هي مراكز اولية للمرض ولو بلغت المدة بين زوال المرض وبين عوده عدة سنين. فان قيل كيف نهيائه تقرير ذلك في التفشي الحديث قلنا انه سواء كان للتفشي الواحد علاقة بالآخر ولم تكن له علاقة به بان كان منقطعًا عنه بالكلية لا بدّ من

ان تكون الحيوانات التي اصابتها الحمى وقتلتها قد دفنت في الارض دفناً عميقاً يظهر في بادىء الراي مانعاً من انتشار العدوى . ولكن ممكنات الطبيعة واحوالها لا حصر لها ولا احد ادرى بذلك من العلامة بستور . فاذا دفن السم في التربة فاما ان يستقر في محله او ان يتنقل صعداً ليعدي القطعان الحديثة التي تقتات بالكلا النابت على مدافن اسلافها . فعرف بستور بقوة ذكائه ان الخراطين في هذه الحالة تكون واسطة لحمل الجراثيم المرضية من باطن الارض المدفونة فيها اجساد الحيوانات مما هلك بهذه العلة وعلوقها بالكلا الذي تقتات به القطعان السليمة . ولكي يحقق ذلك عمد الى التجربة بان استحضر المادة المتضمنة في جهاز الدود الماصّ وادخلها في طعام الحيوانات السليمة المأخوذ راساً من المراعي النقية فتفشت فيها الحمى الطحالية حالاً وشوهدت الانبوبيات منتشرة في دمها انتشاراً ذريعاً . فكان ذلك برهاناً واضحاً على سبب هذه العلة . وقد اثبت ايضاً ان هذه الانبوبيات الوبيلة يمكن انتقالها الى الاجسام الصحيحة بواسطة رعي الكلا واستنشاق الهباء فتتولد فيها الحمى المذكورة ثم ادّى به الاجتهاد الى ايجاد طريقة الوقاية من العلة المذكورة بتلقيح مادتها مخففة في الحيوانات السليمة فخف المرض بذلك كما تخفف الجدري بعد التطعيم بالجدري البقري كان ذلك فضلاً عميماً على الذين يربون الماشية في فرنسا وغيرها

فقد اتضح مما مرَّ بيانهُ ان معرفة الانسان بطبيعة الامراض قد تقدمت تقدماً مهماً . وهنا لا بدَّ من تنبيه القرآء الى امرين يستحقان الالتفات

احدهما . الاهتمام بكل مبداء طفيف في كل موضوع مهم . فانهُ كان في مدينة فلورنسا منذ مائتي سنة او اكثر طبيب اسمهُ فرنسيسكو ريدي عرف ان دود اللحم لم ينشأ عن اللحم نفسهِ « بالتولد الذاتي » بل تولد من بيض ذبان اللحم واثبت ذلك بتجربة بسيطة حملتهُ اليها الملاحظة اليومية وهي انهُ اذا لفَّ بقطعةٍ دقيقة النسيج تمنع من وضع الذبان ببضهُ فيهِ . فكان امتحان ريدي بسيطاً جداً ولكنهُ كان اساساً لبناء المذهب العلمي المعروف « بالراي الجرثومي » ولا يخفى ان هذا الراي شاغل لخواطر العلماء في كل صوب

والثاني ان درس علوم التاريخ الطبيعي يؤدي الى فوائد علمية وعملية تفوق الحصر والبيان ومن جملة هذه الفوائد ما نتج عن الراي الجرثومي الذي هو من مباحث التاريخ الطبيعي من كشف حقايق كثيرة كانت لولا هذا العلم غامضة وما تلا كشف هذه الحقايق من المنافع في تحسين الصحة اذ عرف به سبب الامراض الوبيلة المعدية في الانسان والحيوان كما سبق البيان والله اعلم

الينابيع والانهار تحت الارض

لا تنفك مياه الارض عن دورانها العظيم منتقلة من البر والبحر الى الهواء ومنه اليهما وذلك ان البخار غير المنظور يصعد الى الهواء من كل سطح الكرة ولا سيما الاجزاء المائية فيتكاثف في الجو ويتحول الى غيوم ومن ثم يتحول الى اصله المائي فيرجع الى سطح الارض مطراً او ثلجاً او برداً او ندى او غير ذلك. وهذه علة ما في قلب الارض من الحياض والينابيع والانهار التي هي موضوع بحثنا الآن

وبيان ذلك انه بعد ان تنحل الغيوم وتسقط مطراً يغيض بعضها في الارض الجافة ويجري بعضها على سطحها ويمد الجداول والشلالات الدائمة الجريان بما تقتضيه من وافر المياه. والانهر مع كثرتها لا تنفك تجري الى البحور ولا يزيد مساوته عما هو ولا يرتفع عن حده مع كل ما يدخله من مياه الانهر العظيمة لانه يرجع تلك الامداد المائية الجسيمة الى الهواء بخاراً يتكاثف هنالك ويتحول الى ماء يجري الى البحر ايضاً. فانحدار الماء الى الكرة الارضية وصعوده منها هما علة حياتها مثل ما للدورة الدموية علة حياة الجسم الحيواني

هذا وللماء مدخل عظيم في بنية كل من اجسام الحيوان والنبات. فلو توقفت تلك الدورة المائية لبطلت ارضنا ان تكون كرة ما هولة خضراء كما هي الآن وحرمت من غيومها وينابيعها وانهارها وحرقت بقوة حرارة الشمس في النهار واشتد بردها كثيراً بتشعع الحرارة في الليل واصبحت صامتة لا حياة فيها

وقد تقدم ان رطوبة الهواء ترجع الى الارض اما سائلة كالمطر واما جامدة كالبرد والثلج. اما المطر فحيث يبلغ سطح الارض يتخلل بعضه التربة وما بقي يجري جداول وانهاراً راجعاً الى البحر فيناسب اولاً ان نتتبع سير ذلك البعض الذي يحجب تحت الارض. فاول ما يخطر في البال طبعاً هو ان ما ينزل في الارض يتخلل التربة ويخرج من دائرة المياه السطحية. ولو صح ذلك لنقصت المياه الجارية فوق الارض وظهر عليها ذلك النقص بكل وضوح وصغر حجم الانهار والبحيرات او جفت بالكلية مع اننا نرى ان المواقع ليس كذلك. فلا بد اذن من وجود ذريعة أخرى بها يرجع ذلك الماء الى سطح الارض ايضاً وذلك لا يتم الا بواسطة الينابيع التي هي خروج المياه التي تحت الارض من منافذ الى سطحها

واما العلاقة الخاصة بين الينابيع العادية ووقوع المطر فمعروفة لدى كل عاقل. فانا نعلم انه في زمن القيظ تقل مياه كثير من الينابيع والابار وكثير منها يجف بعد ان يكون الماء غزيراً فيها زمن المطر. فمن الواضح الجلي ان هذه المياه صادرة عن ماء المطر الذي يتصفى في

الصخور التي تحت سطح الارض. على ان الينابيع العميقة المناشي قلما تتأثر من التغييرات السطحية او تكاد لا تشعر بها لان مياهها مجتمعة في فسحة واسعة في قلب الارض فيندر ان يؤثر ماء المطر فيها اذ يقتضي تأثيرهُ فيها وقتاً اطول مما يقتضي تأثيرهُ في الينابيع القريبة من السطح

ولأن صلب الصخور مسام ينفذها الماء ويجري في الشقوق التي في مجاري الانهار والجداول وقرار البحيرات واعماق البحار . فلذلك لا تبقى مياه المطر في التربة بل تفيض جارية في مسام الصخور والمغايض تحت الارض ومثلها المياه الخارجة من البحيرات والانهار وما شاكلها فانها تغيض في الصخور وغيرها من شقوق الارض بكثير مما تحمله من الرمل والاشياء والغثاء

ففي الابار العميقة في بعض قطايع فرنسا اول ما انفجر من مائها اوراق وغيرها من اجزاء النبات على عمق ٤٠٠ قدم وكانت هذه البقايا الالية حديثة ظن القوم انها قد سقطت من تلال تبعد عن تلك الابار نحو ١٥٠ ميلاً وجرت مع الماء في قنوات تحت الارض وشغلت بقطع كل تلك المسافة نحو ثلاثة او اربعة اشهر وقد شوهد مثل ذلك في اماكن أُخرى وخرج احياناً مع الماء سمك حيٌّ من ثقوب على عمق ١٧٠ قدماً

فتترطب الصخور في محالٍّ كثيرة تحت اديم الارض بذلك الرشوح الدائم والانحدار للماء المستمر من سطح الارض. وقد ورد عدة براهين على ان الماء دائم الوجود تقريباً في المقالع والحفر والمناجم. وعلى الجملة يكاد يكون الماء في كل محلٍ حفر الصخر فيه حفرة عظيمة. وهذه المياه تحت الارض احد الموانع التي كانت تحول دون العملة في مقالع الحجر ومناجم الفحم قبل ادخال الآلة البخارية اليها فانهم حين كانوا يصلون الى عمق معلوم في المنجم تكثر فيه المياه ويستحيل عليهم التخلص منها. ولكن وجود الآلات البخارية القوية لنزع الماء في كل منجم الآن ووفرة الاتعاب والنفقات في سبيل ذلك تدل على غزارة المياه تحت الارض

وحفر الابار من الامثلة المعروفة لايضاح الطريقة التي تخرق بها المياه التربة والصخور في كل مكان. وقد حفرت هذه التجاويف الصناعية في اكثر انحاء العالم لتكون اوعية تجمع فيها تلك المياه. وقد افادت هذه الابار كثيراً مع انها حفرت في محلات قلما ظن وجود الماء فيها وهكذا استخدمت الآبار في شواطي افريقية حيث يندر المطر والماء النازل من سطح الارض طفيف جداً. وقد حفر المهاجرون الفرنسويون آباراً تعرف بالارتوازية على الحد الشمالي من الصحاري القفراء وظهرت المياه قرب سطح الارض في الصحاري الرملية بين القاهرة والسويس كانها على عمق خمسين قدماً. فوجود تلك البقاع الخضراء الخصبة والاجارع في وسط تلك المفاوز السحيقة في افريقية دليل على وجود الينابيع هنالك واذا حفر حفرة عمقها ثلاثون او اربعون

قدماً في وادي محانادي وغيرها من انهار الهند حيث يتعذر سقوط المطر في فصل جاف اجتمع الماء فيها وهو ما لم يبق ادخر بيبه فيه

فظهر من ذلك ان الينابيع لم تستمد كل مياهها من المطر الحالي الساقط على ما يجاورها من القطائع ولم تقتصر عليه دائماً لانه لو صح ذلك ما دامت الينابيع والانهار طول السنة في صحاري افريقية حيث يندر وقوع المطر جداً

والعمق الذي يبلغه الماء متوقف كثيراً على ماهية الصخور وحالتها في كل محل . فانه وان وجد في بعض المناجم ماء لا يوجد في بعضها ولو كان عميقاً وحين نقب احد جبال الالب لايصال الطريق الحديدية بين فرنسا وايطاليا وجدت الصخور جافة تماماً على عمق . . . ٥ قدم من قنة جبل سنس . فلا سبيل الى الظن ان الماء ينبض كله في الارض الى عمق عظيم جداً لكن لا بد من ان بعضه يجد ممراً هنا وهناك فيتزل الى عمق عظيم حتى يبلغ الاقسام الشديدة حيث تسيل المواد الذائبة . وهذا هو الماء الذي يجري في جوف الارض الى درجة عظيمة جداً فتنشأ عنه بعض الزلازل كما بينا ذلك في الكلام على الزلازل وهو بعض هيجان البراكين ايضاً

ومن المرجح ان بعض المياه التي تسيل الى هذا العمق العظيم يتلاشى في قلب الارض على الدوام ولو قذفت البراكين من فوهاتها كثيراً من البخار تلك المياه . فان بعضه يحل قبل نفوذه ويتحد كيماوياً باجزاء رسوب الصخور . فاذا كان ذلك كذلك تخسر الارض من مائها خسارة بطيئة لا يشعر بها . فيترجح انه ان دام الحال على هذا المنوال ينتج عنه ضرورة نقص مياه الارض شيئاً فشيئاً حتى تجف وتمسي عقيمة كالقمر

ومع ان المطر الذي يقع على الارض يتوزع فوق سطحها لا يظهر كله عليه بل يغور بعضه في كل محل في التربة وفي الشقوق تحت الارض حتى يخرج من مراكز معلومة الى السطح ايضاً . وبعضه يجري سريعاً في جداول وانهار الى ان يصب في البحر وعلى هذا النمط تجمع مجاري المياه تحت الارض من مجار كثيرة متشعبة وتخرج الى السطح في الينابيع

فكيفية صعود الماء الذي غار في الارض حقيقة يعسر فهمها احياناً فعلينا ان نذكر ان موقع الينابيع اوطى من سطح الارض الذي نزل فيه ماء تلك الينابيع . وان شئنا ان نحقق الاسلوب الذي تجري به المياه تحت الارض نرى انه لا بعد من ان يكون في احدى طريقتين . الاولى الميل البسيط الى المراكز كما في الينابيع السطحية والثانية ضغط السوائل الراكدة كالينابيع العميقة المناشي،

اما الينابيع السطحية فيخرج منها الماء الذي يجري دائمًا في الارض اما الى الاسفل واما على خط مستقيم بسبب انخفاض قليل في الارض فتتخلل المياه طبقة الصخور ذات المسام او الفتوت وتجري الى ان تبلغ طبقة صلبة لا تخرق فتتوقف المياه عن نزولها الطبيعي عند تلك الطبقة وتستقر عليها جارية الى هنا وهناك فاذا انفق وانفصلت تلك الصخور بواد او غيرها فهناك يكون ينبوع او سلسلة ينابيع على جانب الوادي عند ملتقى الصخرين . وعلى هذه الطريقة عينها ينزل ماء المطر الساقط على الجبل فيجري تحت الارض الى ان يندفع في الينابيع عند حضيضه . ففي مثل هذه الينابيع تنحدر المياه انحدارها العادي تحت الارض بالجاذبية الى المركز وتخرج من منفذ اسفل من مجراها . هذا وكثير من ماء الشتاء بسبب المغناطيسية يتخلل التربة ويجري الى اقرب البرك اليه دون ان ينفذ

فحين تتجمع المياه بين الصخور تحت الارض بواسطة المسام او الفتوت تكون تلك الصخور كحياض لها تصعد فيه الى ان تجد منفذًا الى الخارج فتظهر في هذه الينابيع السطحية

واما الينابيع العميقة المنشأ فتغرق مياهها في سيرها تحت الارض الى مكان اسفل من منافذها وتصعد بناموس ضغط السوائل كما في المحص . ومن الواضح انه يمكننا ان نفرض طول المحص كيف شئنا . فاذا أُمدّ اطول جانبي المحص بالماء استمر خروج الماء من اقصرها الى ما شاء الله . وعلى هذا النسق تنزل المياه في قناة الينبوع العميق المنشأ تحت الارض الى عمق مئات من الاقدام لانها لا تستطيع الرجوع الى السطح ولا يعارض سيرها شيء . فبعد ان تصل الى اعظم عمق يمكنها الوصول اليه وهو كثيرًا ما يسفل الى حد بعيد عن سطح البحر تتجمع المياه هناك وتشغل فتوت الصخور التي عارضتها في سيرها فيشتد الضغط عليها من فوق فيدفعها فترتفع من مكان آخر فتشق من امامها ما امكنها من الارضين الى ان تنفذ السطح وهنالك تنفجر ينبوعًا . واما الماء الذي يسقط على الاراضي العالية ويغار في التربة والصخور وينزل في صخور ممكن خرقها لترتبها طبقات مختلفة فيتخلل تلك الشقوق التي توافق سيره . وقد ربما ينزل الى هذه الشقوق من المياه بقدر ما يخرج منها من الينابيع

فالمجاري الطبيعية التي تسير فيها المياه تحت الارض ذات تعاريج كثيرة تقطع بعضها بعضًا ويشتبك بعضها في بعض كثيرًا لكثرة ما في الصخور من الفتوت التي تصل بعضها عن بعض فتحتبك مجاري المياه بسبب تلك الفتوت حتى تصير على هيئة شبكة . وكثيرًا ما تنزل المياه في الارض وتنحصر في محل ثم تصعد الى قرب السطح ومن ثم تنزل في طريق آخر الى العمق وهلم جرا الى ان تخرج في الينابيع

فبعد التأمل نرى انه لا بد من ان كثيرات من الصخور تحت الارض مروية بالمياه على الدوام فان استطعنا الوصول اليها كان لنا منها كنز لا ينقطع من الماء كالينابيع . والذين ادركوا هذه المعرفة انتهزوا فرصتها وحفروا الآبار الارتوازية العميقة المنسوبة الى ولاية ارتواز في فرنسا حيث استخدمت تلك الآبار قديماً . واما المبدأ الذي عملت هذه الآبار عليه فكما يأتي

اذا كان في احدى النقط تحت الكبيرة طبقة من الصخور التي لا تخرق فوق طبقة ذات مسام فالماء الذي يغور في الارض الى الطبقة السفلى يتراكم هناك كانه في حوض منحصر . فاذا ثقبت الطبقة العليا التي انحصر ذلك الماء تحتها انفجر حالاً كما يتفجر من منفذ طبيعي . واذا كان ذلك الثقب في المحل المناسب صعد الماء الى حد اعلى من سطح الارض . واحياناً تنفجر المياه من مثل تلك المنافذ بقوة عظيمة حتى يبلغ علو النوفرة نيفاً وثلاثين قدماً عن سطح الارض . وقد استعملت قوة النوفرة في شمالي فرنسا حتى صارت تدير حجر الرحى . وعلى هذا المبدإ حفرت آبار كثيرة في لندن وما جاورها فان مياهها التي تسقط على الاراضي العالية وتغيض في الارض تتصفى بمرورها بين الرمال والحصى الى ان تنحصر فوق الصلصال وتستقر هناك فحين تحفر الآبار الى هذا العمق تصعد المياه بكثرة وقد اخذ سطح المياه ينخفض في آبار كثيرة تدريجاً كل سنة لان ما ينتقى منها اعظم مما يدخلها من ماء الارض

فالماء الذي يخرج الى سطح الارض من الينابيع الظاهرة ليس هو كل الماء الذي يجري تحت الارض دائماً . فان وفرة الينابيع انما هي بالحقيقة اعظم جداً مما يظهر للعيان لان كثيراً من المياه التي تصعد من باطن الارض لا ينبعث من الينابيع بل حين يبلغ السطح يرجع فيغور في التربة او يبقى على وجهها في مجارٍ صغيرة ولذلك ترى بعض الاراضي المفلوحة بقاعاً خضراء وادغالاً من الانجم ومستنقعات حتى في ايام القيظ في الربيع . فانه في ذلك الفصل تجف التربة لقلة المطر مع ان بعض الارض حولها يكون ثرياً لما يفيض من قلب الارض اليه

فنستدل مما تقدم ان المياه التي تغور في الارض وتصعد الى ان تبلغ السطح ترتد ونبتدئ سيراً جديداً تحت الارض

ومعلوم ان جريان الماء الطبيعي من الاعلى الى الاسفل لا بد من ان يجري كثير منه في قنوات الى الصخور تحت البحر فيتفجر هناك لا على البر ولذلك ترى كثيراً من ينابيع الماء العذب عند شط البحر وكثيراً ما لوحظت ينابيع قوية وانهار تنفجر من قلب الارض الى سطحها على بعد قليل من شط البحر المتوسط ومن هذه الينابيع نستدل السفن ما يكفيها من المياه العذبة على الدوام . هذا ولا شك في ان قدراً عظيماً من المياه العذبة يتفجر تحت مياه البحر

فالينابيع والآبار الصناعية مصادر وحيدة لماء سكان البلدان التي لا انهار فيها بسبب قلة المطر او عدمه على ان فائدة الينابيع لا تنقص في الاقاليم ذات الامطار والانهار عنها في تلك فلنتامل الآن بما سيحدث للأرض لو جرت كل مياه المطر على سطحها ما لا دون ان يغور شيء منها تحته فان الانهار والجداول التي تجري فيها المياه على اثر الشآبيب تجف حالما ينقطع المطر. فالمياه الجارية تحت الارض هي التي تمد سطحها بالمياه الدائمة بواسطة الينابيع وتنعشه وتبقيه اخضر ولو في زمن القيظ

ثم ان ماء المطر يكاد يكون نقيًا ولكن في نزوله يصحب قليلاً من الهواء وبعض الاوضار العالقة عليه . على ان هذا المزيج طفيف في ماء المطر ولا سيما ان كان بعيدًا عن الابخرة الصاعدة من المدن والدخان المنتشر من المعامل

فاذا تاملنا في ماء ينبوع فمهما كان صافيًا رأيناه ممزوجًا بمواد مختلفة وتظهر تلك المواد للعيان اذا اغلي بعض ذلك الماء في اناء على النار حتى يتبخر فتبقى المواد في اسفل الاناء مثل غشاوة عليه وهذه المواد قد انحلت انحلالاً كيماويًا في الماء ولم تؤثر في صفائه ونقاوته وتكاد في اكثر الاحوال لا تغير طعمه وتوجد هذه المواد في مياه كل ينبوع ولكن مقدارها يختلف كثيرًا في بعض المياه عنه في البعض الآخر . واحيانًا يقل جدًا بالنسبة الى الماء واحيانًا يكثر كثيرًا واقله خمسون جزءًا في كل مليون جزء من الماء واكثره ٢٢٧٠٠ جزء في المليون وهذا يساوي مقدار الاملاح في بعض اجزاء الاوقيانوس الباسيفيكي

من اي من الوالدين يرث الولد المحاسن العقلية

قال المستر فرنسيس غلتن مؤلف كتاب « الذكاء الارثي » من المحقق لدى الناس عامةً ان محاسن القوى العقلية لا تورث الا من الأم . ولكن مباحثي اوصلتني الى نتيجة تنافي ذلك فانني قد تحققت ان المحاسن العقلية تنتقل بالارث اليناً انتقالاً عجيبًا من كلا الوالدين وان الولد قد يحرم صفات احد الوالدين الحسنى لما يناقضها من صفات الآخر . وهل من سبيل لتمييز الصفات التي يحصل عليها الحكيم بالارث من الصفات التي يكتسبها من الاقتداء والتهذيب وبذل الهمة وموافقة الاحوال ذلك مما لم يستطعه احد من حكماء الارض وعلمائها الى هذه الساعة

وقد تحقق انه كان لاكثر العلماء والمشاهير امهات اشتهرت بسمو العقل والادراك كما كون وبفون وكندورست وكوفيه ودالبرت وفورسيس وغريغوري ووات . وكان لبرودي وتجسيان جدتان شهيرتان بالفهم والذكاء . وكان لسكلر والدة مولعة بالموسيقى ولوعًا غريبًا قال كوت ان ابنها ورث منها اغرب ما يمكن المرء من الادراك والتصور . وكانت ام اللورد ارسكين آية

في العقل. وكانت ام السير ولترسكوت من اشهر الناس بالقوى العقلية مع ان اباه كان بليداً. ولم يمتز ابونابوليون في عقله عن غيره ولكن امه قد امتازت بقوة فهمها

وهذا لا يناقض ما قاله من ان الولد يرث القوى العقلية من الوالدين انما يثبت منه ان للوالدة تأثيراً في عقل الولد اكثر من تأثير الوالد فيه لانها هي اول اساتذته ومهذبيه. فتكسبه كل ما استطاعت منذ نشأة ادراكه لشدة ميله اليها والتسليم لها ولانها بسجاياها النسائية واميالها وعنايتها وبلاهتها ومشاركتها له في شعوره ومحبتها اياه ورفقها له وقوتها تهذب طباعه وتغرس فيه ما شرف من حب الصيت والشرف وتضرم في صدره نيران ما كرم وسما من الاميال ولهذا كانت الوالدة الحكيمة من خير المواهب الالهية

مختصر تاريخ الفلسفة

معرب بقلم نجيب افندي ابرهيم طراد

تابع ما قبله

الفلسفة الحديثة

قد مهدت غزوات الصليبيين وسقوط مدينة القسطنطينية سبل امتزاج اليونانيين باللاتينيين وجعلت بينهم علائق كانت نتيجتها تجديد تعاليم المدرسة الاسكندرية وتأخير سير الفلسفة المدرسية الافلاطونية فزاغ كثيرون عن طريق الهدى وتشبثوا باوهام مذهب الانتقاء الوثني وتاهوا في بوادي الفلسفة الباطنية والارتياب واشهر هولاء الفلاسفة باراسلس وفانيني وجوردانو وبرونو وصوتابين غير ان الفلسفة المدرسية لم تعدم مع ذلك بين ارباب العلم خداماً وانصاراً بل ظلت جارية مجراها واعظم فيلسوف مدرسي ظهر في القرن الخامس عشر والسادس عشر وزمن احياء العلوم في الديار الاوربية هو سبارس المنطقي اللاهوتي الذي يعدونه الان من طبقة القديس توما لان مباحثه في العقليات وكتبه في اعمال البشر والشرائع هي وافية بالمطلوب وواضحة وكافية لتعليم المنطق العقلي والادبي

فهذا الرجل الحاذق تلميذ القديس توما قدر بذكاه ان يوفق بين الفلسفة اللفظية والحقيقية بقوله ان الحقيقي هو المعروف كذلك من نفسه وان العموميات والاجناس لا توجد الا بالافراد غير ان الجنس في الانسانية مثلاً ليس موجوداً باسره في كل فرد بل تختلف الافراد بالعرضيات حسب مذهب الحقيقيين واذا نطعنا النظر الى الاشخاص نرى ان العموميات

والاجناس اشياء معروفة ايضاً لا الفاظاً محضاً كما حكم اللفظيون اذ ليس لفظي الرحمة والانسانية يوجد شي‌ء حقيقي موجود حقيقة الا هو الاشخاص المتشاركة في الانسانية وهم البشر

وهاك بيان اسماء اشهر الفلاسفة الذين ظهروا بعد القرن السادس عشر وغاية تعاليمهم الفلسفية بوجه الاختصار

فرنسيس باكون من فارولام فيلسوف انكليزي ولد سنة ١٥٦١ ومات سنة ١٦٢٦ والف عدة كتب مفادها ان قوة الادراك لاتتأثر الا بالاشياء الحسية وان الطريقة العلمية الوحيدة هي الملاحظة والاستنتاج

ديكارت فيلسوف فرنسوي ولد سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠ ومفاد تعليمه

اولاً. لا يجب عليَّ ان اقرّ الا بما كان واضحاً

ثانياً. يمكنني ان انكر كل شي‌ء الا هذا الامر وهو انني افتكر

ثالثاً. انا افتكر اذاً انا موجود

رابعاً. انا افتكر بما لا نهاية له اذاً ما لا نهاية له موجود

خامساً. لما كان ما لا نهاية له اوالله هو رب الحقيقة فلا يمكنه ان يسمح بضلال الحواس اذاً العالم الحسي موجود

بسكال ولد سنة ١٦٢٣ ومات سنة ١٦٦٢ تتضمن افكاره بعض قطع فلسفية الا انه لم يبحث فيها عن الفلسفة الا لينقضها وغاية تعليمه ان الانسان غير قادر ان يعرف نفسه ولا يمكنه ان يعرف شيئاً عنها الا ما اوحى الله به اليه وعليه قوله ان الانسان يفوق الانسان جداً ولكي تعلم حقيقة حالك اسمع ما يمليه عليك الله استاذك الاعلى وربك

سبنوزا هو فيلسوف يهودي هولاندي ولد سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧ قال ان المادة موجودة من نفسها اي غير مخلوقة واستنتج من ذلك وجود مادة واحدة غير متناهية هي الله فالاجسام هي هيئات تلك المادة الحسية والعقول هي هيئات المادة المذكورة الفكرية فمذهبه هذا هو مذهب البانثيوس

بوسيه ولد سنة ١٦٢٧ ومات سنة ١٧٠٤ كتب هذا الاسقف رسالة فلسفية في معرفة الله والنفس ووفق بها بين اجلّ الحقائق الموجودة في تعاليم القديس اغسطينس والقديس توما وديكارت

لوك فيلسوف انكليزي ولد سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٧٠٤ قال ان كل الافكار ناتجة عن الحواس فلا يعرف الانسان طبيعيًا غير الاجسام وان بالوحي الحقائق الطبيعية قد اعلن الله ذاته للبشر

مالبرانش ولد سنة ١٦٣٨ ومات سنة ١٧٠٤ ومذهبه ان الانسان يرى كل شيء بالله وحده وانكر قوتي الادراك والارادة وقال ان الله باعث الحوادث وان النفوس والاجسام ليست سوى اسباب عرضية وان هذا العالم هو احسن شيء ممكن

فنيلون ولد سنة ١٦٥٠ ومات سنة ١٧١٥ كتب هذا الاسقف كتاباً في وجود الله ورسائل في الفلسفة العقلية فاجاد في كلا الموضعين وكانت كتاباته واضحة دقيقة وكافية للتعليم

لايبنتس فيلسوف الماني ولد سنة ١٦٤٦ ومات سنة ١٧١٦ وكتب كتاباً في اللاهوت ناقض به بايل ودحض برسالته في الادراك البشري اراء لوك الا انه ارتكب ثلاث غلطات مهمة في نشيته اولاً مبادىء الاجادة ومعناها استصواب كل ما هو موجود والحكم عليها بانها غاية في الجودة ثانياً مذهب الجوهري ومعناه ان جواهر المادة متحركة وروحية ثالثاً الاتفاق والترتيب المقرر وغايته نزع حرية الانسان وجعل قصد عناية الله حفظاً وجد وترتب منذ الازل

فولتير (سنة ١٦٩٤ — سنة ١٧٧٨) قد تباينت اراء العلماء بشان هذا الكاتب الشاعر البليغ فانكر عليه كثيرون كل فلسفة وقالوا ان هو الا ناسخ ماسخ افكار من سلفه وانتصر له البعض وحكم له بالسيادة بين الفلاسفة والعلماء الاعلام في القرن الثامن عشر والصحيح انه فيلسوف استعان بفلسفة من تقدمه وزادها اراء خصوصية الا انه كان مترددا بحكمه في الامور المهمة فاذا اثبت باحدى رسائله شيئاً لابد ان ينقضه ويشك به في رسالة اخرى وجل فلسفته نقض تعاليم الديانة المسيحية والطعن على بعض خدمتها منهما لنيف الكهنة بذنب البعض اقتراء غير متحاش في هذا الامر مبالغة ومن ارائه الفلسفية التي لم يحل عنها حتى الممات اعتقاده وجود اله خالق منح مادة الانسان بقدرته العظيمة قوة الادراك مشبهاً ذلك بالجاذبية التي وان تكن غير منظورة هي من خواص المواد (المعرب)

روسو (١٧١٢ — ١٧٧٦) هو فيلسوف كاتب بليغ غير ان آراءه الفلسفية هي في الغالب فاسدة لايمكن اجراؤها وقد اجتهد نظير فولتير ان ينقض الديانة المسيحية الا انه اقر بوجود اله قادر خالق منح الانسان نفساً حية خالدة (المعرب)

كوندلاك ولد سنة ١٧١٥ ومات سنة ١٧٨٠ وقال ان الافكار هي احساسات متحولة

ريد الاسكوتلندي ولد سنة ١٧١٠ ومات ١٧٩٦ وقال ان البرهان الوحيد على حقيقة امر حكم العموم عليه

كانت الالماني ولد سنة ١٧٢٤ ومات سنة ١٨٠٤ وانكر على الافكار حقيقة مادية وقال ان ارادة كل شخص هي نظير شريعة عامة الا انه ناقض نفسه بقوله ان للاحساسات حقيقة مادية

فيخت الالماني تلميذ كانت ولد سنة ١٧٦٢ ومات سنة ١٨١٤ اوصل تعاليم استاذه الى نتيجتها النهائية بقوله انهُ لا حقيقة لشيء كان خارجاً عني

شيلنك الالماني ولد سنة ١٧٧٥ ومات سنة ١٨٥٤ وقال ان الموجود المطلق هو اصل كل كائن وكل معرفة والوجود المطلق يحاكيه قولك انا وخلافي فهذا هو مذهب البانثيوس

هيغل الالماني تلميذ شيلنك ولد سنة ١٧٧٠ ومات ١٨٣١ وعلم ايضاً مبادئ المبانثيوس وقال ان الافكار تنتج من العقل وينتج من الافكار العالم المادي الذي ليس شيئاً بنفسهِ وخارجاً عن العقل وانهُ لا وجود له الا بافكارنا ثم ان الافكار تقر لنفسها بالوجود فقط ولمن الارواح تعرف الله من ذاتها

دي بونالد ولد سنة ١٧٥٤ ومات سنة ١٨٤٠ وادعى ان الانسان لا يمكنهُ ان يفتكر شيئاً لولا الكلام واننا لا نعرف الا ما منحناه بهذه الوسيلة فهذا هو المذهب التقليدي

لامني ولد سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨٣٥ قال ان الوسيلة الوحيدة لنا لكل شيء هي رضى العموم بهِ

اما التعاليم والمذاهب الفلسفية الموجودة في هذه الايام والخارجة عن الفلسفة الصحيحة فهي المذهب التقليدي والمذهب العقليّ والمذهب الحقيقي او الحسي والمذهب العام فالمذهب التقليدي وضعهُ دي بونالد ولامني ومآلهُ اننا لا نعلم شيئاً لم نتعلمهُ والمذهب العقلي مبنيّ على تعاليم علماء وكتبة القرن الثامن عشر ومآلهُ عدم الاقرار بشيء لا يدركهُ العقل فهذان المذهبان هما نقيضان لان الاول يحكم بعجز الانسان عن ادراك شيء بعقلهِ فقط والثاني يقول ان الانسان يمكنهُ ان يدرك بعقلهِ الطبيعي كل شيء والمذهب الثالث هو المذهب الحقيقي الحسي او المادي ومفاده عدم الحكم بحقيقة شيء لا يدرك بالحواس والمذهب الرابع هو المذهب العام وموضوعهُ اننا لا نعرف شيئاً خارجاً عما لا نهاية لهُ وهو الله الذي نعرف بهِ كل ما نعرفهُ فيستنتج من ذلك اننا نرى الله بالعقل وندرك بهِ وبجوهرهِ الالهي كل ما ندركهُ ويمكننا القول ان المذهبين الاخرين هما نقيضان ايضاً لاننا بحسب الاول نرى كل شيء محدوداً وحسياً ومعناهُ انهُ خارج المادة لا يوجد شيء مفهوم وحقيقي وحسب الثاني نرى ان الله هو الكل والكل هو الله ومعناه انهُ لا يوجد شيء مفهوم ولا حقيقي بالخارج عنهُ

وخلاف هذه المذاهب الاربعة يوجد مذهبان لا يستحقان الذكر هما مذهب الانتقاء ومذهب السبريتيالسم او الروحي فالاول وموضوعهُ الانتقاء احسن التعاليم الفلسفية ليس مذهباً قائماً بذاتهِ بل هو قديم وشائع لان كل فلسفة حقيقية يلزمها الانتقاء ولا يمكن انساناً وحده ان يأتي هذا العمل المهم بل يجب عليهِ ان يستعين بمباحث ودروس من سلفهِ واذا كان المراد بالسبريتيالسم الاقرار بوجود الله وروح طاهرة ووجود نفس حية في الانسان فهو شائع ايضاً

لان كل فيلسوف حقيقي يتبع هذا المذهب حسب المعنى المذكور اه

وظهرت في هذا العصر الآراء الدرونية وهي مذهب التحول وموضوعها ان حالة الكائنات الحاضرة نتجت عن الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء اللذين أديا الى هذا التحسين المنظور ومن رام الزيادة في هذا الامر فعليه بمطالعة مؤلفات درون وخلافه في اللغات الاوربية او مطالعة كتاب بخنر المعرب بقلم الكاتب البارع الدكتور شبلي افندي شميل صاحب مجلة الشفاء في محروسة مصر وتلاوة المناظرات المفيدة التي حدثت بعد تعريب الكتاب المشار اليه لا سيما ردود جناب العالم العلامة واللغوي البليغ ابرهيم افندي الحوراني (المعرب)

الوان الظلال

اذا وقعت ظلال الاجسام في نور واحد وهي بمعزل عن سائر الاجسام وكانت مما ينعكس عنها النور كان لونها بالضرورة اسود. ولو لحظت الظلال في ضوء الشمس وضوء المصباح في صباح احد الايام الصيف ومسائها ترى زرقاء وذلك لما وقع عليها من نور القبة الزرقاء. وتختلف الوان هذه الظلال باختلاف البلدان والفصول وتتغير من ازرق ضارب الى الصفرة الى اسود يضرب الى البنفسجية. فاذا كان في الافق الجزء صفراء او ذهبية حمراء انعكس من اسفل الجو عند شروق الشمس او غروبها كانت الوان الظلال خضراء بسبب اتحاد هذه الاشعة العرضية بلون الظل الازرق. فاذا كان ضوء الشمس وضوء الاشعة ضعيفا ظهرت ظلال الجسم الناجمة عن نور السماء ايضا فكان للجسم ظلان احدهما ازرق والاخر اصفر فاتح. وترى الظلال الملونة الجميلة داخل الغرفة اذا خالط الظل الواحد زرقة الجو والاخر خضرة دهان الرواشن والكوى والجدران او الوان غيرها من الاثاث

فلكي ترى مناظر الظل الملون حسنة امسك ابرة في شعاعة من نور منتشر بحيث يقع ظلها على صحيفة من الورق الابيض وحينئذ لا يكون ظلها اسود حالكا بل يكون محاطا بحواشٍ منيرة ملونة بالوان الطيف الشمسي ويكون الظل الاسود خطا منيرا كأن الابرة شفافة

المناظرة والمراسلة

حضرة مدير مجلة الصفاء البهية

قد اطلعت على المقالة المدرجة في مجلة الصفاء في المرخم صفحة ٣١ فعجبت من ان محررها عمد الى الافتراء ومال الى التشفي بما كنت كان في صدره حزازات ولم يكن يخطر ببالي الكاتب

الذي يريد حط قدره بما اتهم . الا انني عثرت صدفة على كتاب عنوانهُ شرح طبائع الحيوان الفهُ العالم العلامة اللغوي الشهير فارس افندي الشدياق وهو مطبوع في مالطة سنة ١٨٤١ فاثرت نقل كلامهِ على الرخم بحرفيتهِ ليعلم القراء الكرام ان كاتبنا لم يصب الغرض بما رمى ولكنهُ قد استهدف . قال مؤلف الكتاب المذكور صفحة ٢٧٢ بعد الكلام على البط

الرخم

«الرخم المعروف (لانهُ اصناف كثيرة) اكبر من البجع بكثير ويشبهُ في الشكل والخلقة مشابهة شديدة ولهُ عنق طويلة واصابعهُ متصلة بجلدة ولكن اخص ما فيهِ هو كبر منقاره والجراب الذي تحتهُ وطول منقارهِ خمس عشرة اصبعاً وذلك من عند نقطتهِ الى اول شدقهِ الذي هو بعيد عن عينيهِ جهة وراء واما جرابهُ فانهُ ملتصق بحد منقارهِ الاسفل وممتد مع طولهِ ويقال انهُ يسع خمس عشرة زجاجة ولهُ قدرة على قبضهِ وبسطهِ حين يشاء واذا كان فارغاً فلا يكاد يرى ولكنهُ عند الظفر بالسمك يتسع اتساعاً لا مزيد عليهِ واول ما ينتهز فرصة مثل هذه يشحن هذا الجراب ثم ينصرف الى خلوتهِ ويأكلهُ على هينتهِ وقيل ان هذا الجراب يسع من السمك ما يشبع ستة انفار جياع ثم انهُ وان يكن شكل هذا المخلوق غريباً فالحكايات التي اختلقت في حقهِ اغرب فقد حكي عنهُ انهُ يطعم فراخهُ ويغذوهم من دمهِ وانهُ يشحن جرابهُ بالماء ليسقيهن في الفلا ولما عجب الناس من شذوذ صورتهِ وغرابة خلقتهِ قصدوا ان يخصوه بصفات واحوال اغرب واعجب وجعلوا انهُ يتصرف بهذا المدخر الذي يملكهُ تصرف الولد المشفوق ولكن غاية الامر هو ان الرخم غليظ بطيء الحركة كثير الاكل وليس لهُ دارية الا للمحافظة على روحهِ وذريتهِ ولا مدادهن بقدر من المؤنة كافٍ الا انهُ لا يغفل عن تربيتهن وترشيحهن الى ان يستطعن الارتزاق لانفسهن وهو وان يكن كما يرى بليداً احمق يقبل التعليم في حالتهِ كونهِ جوياً ذكر احد ذوي الخبرة بالحيوان انهُ راى واحداً من هذا النوع كان يخرج صباحاً بامر صاحبهِ ثم يرجع اليهِ قبيل المساء وجرابهُ مشحون بالسلب وكان بعض ذلك مختصاً بالكروان وبعضهُ يبقى مؤونة لهُ وذكر غيره طائراً آخر كان عند القيصر مكسيميليانوس عاش بضعاً وثمانين سنة وكان لا يفارق جيشهُ عند رحيلهم»

اليأس يهنا

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين

تأليف نجيب افندي ابرهيم طراد (تابع ما قبله)

وسنة ٣٢٢ رفعت القبائل الغوتية (١) والسرماتية (٢) راية العصيان وهجمت على بعض الولايات الرومانية فابتدر اليها قسطنطين بجنوده وحاربها حرباً تشيب لهولها الاطفال فالجأها الى الرجوع والخضوع له واجبر الغوتيين ساكني اقليم داسيا (مملكة رومانيا وما يجاورها) ان يقدموا له دائماً جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي هذا هو الخبر الصحيح خلافاً لما روى اوسابيوس من ان جنود قسطنطين غشيت سائر الاقاليم الروسية واخضعت تلك القبائل المختلفة الاسماء والاجناس وجعلت جميع اراضيها الى اقصى حدها الشمالي ولايات رومانية

واراد هذا الملك النشيط ان يوطد اركان سلطته ويدعمها وان يخلد ذكر اسمه بين العالمين فعمد الى تاسيس مدينة جديدة يمكنه منها ان يحصن اطراف مملكته من هجمات البرابرة الكثيرين وان يراقب بسهولة اعمال ملوك الفرس الحاقدين وان يبادر بسرعة ويرد كيدهم في نحرهم اذا اعتدوا عليه كما كانوا يفعلون فاختار لذلك سنة ٣٢٤ مدينة بزنطيوم القديمة الواقعة عند بوغاز البوسفور ووسعها وزينها بالابنية الجميلة والتماثيل البديعة التي كان اكثرها قديماً ومجلوباً من بلاد اليونان لان انحطاط شأن الصناعة في تلك الايام لم يمكن ارباب الفنون من عمل مثلها فاحتاج سلطان الرومانيين العظيم ان يأخذ ثمرة اجتهاد وحذق الاصابع الاثينية في القرون السابقة ليجمل بها قصور وشوارع مدينته فلم يغنه اقتداره ودراهمه عن الافتقار الى فضل اليونانيين القدماء الاولى

---

(١) هي قبائل بربرية كانت ساكنة في بروسيا بالقرب من سواحل بحر البلتيك قد هاجرت من اوطانها وسكنت في القرن الثالث بعد المسيح بالقرب من بحر الاسود وانقسمت هناك الى قسمين كبيرين احدهما «الاوسترغوث» او القبائل الغوتية الشرقية والاخر الفيسغوث او القبائل الغوتية الغربية وكان هولاء الاقوام شجعاناً اشداء فحاربوا بجروبهم الدولة الرومانية الغربية في القرن الخامس واضعفوا بهجماتهم قوة الدولة الشرقية كما ستعلم وفتحوا قسماً عظيماً من اوربا واسسوا مملكة قوية في اسبانيا بقيت الى حين استيلاء العرب عليها

(٢) هي القبائل الساكنة في القسم الشرقي من بولونيا والجنوبي من روسيا ما عدا شبه جزيرة القرم

ارتقوا في سلم المعارف والفنون درجة سامية لم يدركها بعدهم من البشر سوى الاوربيين في الايام المتأخرة وسنة ٣٣٠ أتمّ بناءها ودعاها رومية الثانية او الجديدة الا انهُ تغلب عليها اسم القسطنطينية (في اليونانية قسطنطينوبوليس اي مدينة قسطنطين) ثم زينها على نسق عاصمة العالم الروماني القديمة واعطاها الامتيازات الممنوحة لتلك وجعلها قاعدة المملكة باسرها لكنهُ لم يستطع ان يحرم رومية حقوق التقدم بين المدائن كافة لاهميتها التاريخية وكونها مهد السلطة الرومانية ومشهد افتخار هذه الامة في اول نشأتها واوان مجدها ونجاحها

ولا يخفى عن الناقد البصير حكمة وذكاء قسطنطين لاختياره القسطنطينية عاصمة لمملكته لانها مبنية على طرفي اوربا وآسيا ومصونة من اعتداء البرابرة بمركزها الطبيعي البديع والمنيع فبوغازا البوسفور والدردنيل هما كبابين يصدان الاعداء ويردان بالفشل غزواتهم البحرية ويجعلانها في كل حال مركزًا للتجارة ومحطًّا للقوافل والسفن الواردة الى الاقطار الشرقية والصادرة منها

وخلاصة القول عن قسطنطين ان المورخين والكتبة المعاصرين قد تباينوا في وصف صفاته وذكر اعماله الخطيرة فمنهم من اثنى عليهِ وبالغ في الثناء حتى انهُ فضلهُ على ملوك العالم قاطبة فهولاء هم المسيحيون الذين شدوا بهِ ازرهم وشرفوا بانتمائهم اليهِ وباعتناقهِ دينهم وانتمائهِ الى ربهم وفاديهم يسوع المسيح ومنهم من ذمهُ وشبههُ بنيرون الظالم وكليغولا سفاك الدماء وهولاء هم الوثنيون الذين تحاملوا عليهِ بغضًا وحسدًا وسنة ٣٢٦ قتل قسطنطين سرًّا ابنهُ البكر كرسبس لخيانة اتهم بها ويقول اليونانيون انهُ ندم بعد ذلك على ما فعلهُ ندمًا شديدًا على قتل ابنهِ ابيشالوم وانهُ صنع لهُ تمثالًا كتب على قاعدتهِ «الى ابني الحبيب الذي قتلتهُ ظلمًا» ولقد يذكرني هذا الحادث قتل بطرس الاكبر ملك روسيا ابنهُ الوحيد وان يكن في اسباب الحكمين وتيجتهما اختلاف بيّن فان المورخين العاقلين يبررونهُ ويعدون ما اتاه فضيلة لا ذنبًا لفساد ابنهِ وعصيانهِ وتأكدهِ انهُ اذا دام حيًّا لابد ان يقلع اثار التمدن الذي جهد طول حياتهِ في غرسهِ بالبلاد الروسية وقيل ان كرسبس علق قلبه بربيبتهِ فوستا امرأة ابيهِ فوشت بهِ الى قسطنطين فحنق وامر بقتلهِ وانهُ عرف بعد ذلك براءتهُ فندم على ما فعل وخنق بالحمام امرأتهُ فوستا المذكورة لتأكدهِ كذبها وزناها مع احد خدام القصر وكيف كانت الحال فالخبر الاخير لا نجزم بصحتهِ لاحتياجهِ الى شهادات وبراهين قاطعة من مورخين صادقين

وقضى هذا الملك العظيم والشهير باقي عمرهِ في الراحة والسعادة والهناء ولم يقلقهُ مدة تلك الايام سوى عصيان بعض القبائل البربرية كالغوثيين والسرمتيين فحاربهم واخضعهم بعد ان أفنى جنودهم وقتل عددًا عديدًا من الاهلين ثم جيش الجيوش وقصد محاربة ملك الفرس الذي

جاهر بالعداوة واستعد للقتال فاضافة وارجعه الى بلاده والجأه الى طلب السلام قبل ان يصليه نار الحرب والكفاح وفي ٢٢ ايار سنة ٣٣٧ مات بضواحي نيكوميديا (ازنكميد) وكان قد خرج اليها لتبديل الهواء فاغتالته المنية في السادسة والستين من عمره والاحدى والثلاثين من ملكه فنقلت جثته الى القسطنطينية ودفنت فيها بالتجلة والاكرام ولا ريب ان قسطنطين هو احكم سلطان تبوأ عرش القياصرة ووطد السلطة الملكية ماحياً آثار الحكومة الجمهورية ومقيماً حكاماً كثيرين فرقهم في البلاد ليحكموا بين الشعب حسب القوانين التي وضعها ويكونوا خاضعين لاوامر مسعة وزراء عينهم ليعتنوا في سياسة المملكة وادارة مهامها وهو اول ملك فطن الى هذا الترتيب البديع الذي جرت عليه الممالك بعده وفي الايام الحاضرة مع بعض زيادات واصلاحات كما هو معلوم ومشهور

الفصل الثاني

في ملك قسطنطين الثاني وقسطنطيوس الثاني وقسطانس الاول

من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٦١

تتقدم البلاد وتنجح بتقدم ونجاح رجالها لان قوة الملوك وحكومات العالم متوقفة على قوة الرعايا الادبية والمادية وليست الممالك سوى الامة تتمثل طباعها واعمالها بطباع واعمال رئيسها الماسك بيده عنان احكامها فان اراد ملك حكيم اصلاح عوائد شعبه ولم يكن في الشعب استعداد لذلك يذهب تعبه ادراج الرياح حتى اذا مضى لسبيله يندر بلا ريب مملكته بالحالة التي الفاها فيها نعم ان الملك العظيم الذي يعيش زماناً طويلاً بالسلام التام يستطيع احياناً ان

(١) ورد في مختصر تاريخ الرومانيين تاليف الاب كارو اليسوعي وهو الكتاب الذي يعتمد عليه الاباء اليسوعيون في كليتهم لتعليم الاولاد التاريخ المشار اليه ما مفاده ان ابناء قسطنطين الكبير الذين خلفوه ثلثة اسم اكبرهم قوسطانس ملك الى سنة ٣٦١ والثاني قونسطان ملك الى سنة ٣٥٠ والثالث اوالصغير هو قسطنطين الثاني ملك الى سنة ٣٤٠ ويستفاد من الاسفار التي بين يدي وهي من اجل المؤلفات في هذا الموضوع ان قسطنطين هو الاكبر وانما سمي بالفتى او الصغير نسبة الى ابيه في اللقب لا الى اخوته في العمر وان قونسطانس الذي يدعوه المؤلف قونسطان هو الاصغر وان قسطنطيوس الذي يدعوه قونسطانس هو الاوسط وورد فيه ايضاً ان قسطنطين نسل ثلثة من اولاده والمعروف انه قتل ابنه كرسبس وابن اخته ليسينيوس واظن ان الاب كارو قد كتب ما كتبه سهواً ومع ذلك ربما كانت الحقيقة وراء ما ذكرت فالافادة في كل حال مرغوب فيها لا عنها

يذلل المصاعب ويصلح اخلاق رعاياه الفاسدة ويستنهض هممهم الواهية مظهراً لهم حالة الامم المجاورة ليسلكوا مسلكها ويتخذوا اعمالها الحسنة لما يفكرون وما يفعلون قدوة ومثالاً لكن اولئك الملوك نادرو الوجود وقلما يسمح الدهر بهم لتعذر وصعوبة حدوث ما ذكر في كل آن ومكان وعليهِ فالدولة الرومانية الممتدة سلطتها من جزائر بريطانيا الى سواحل افريقية الشمالية ومن هناك الى بلاد الفرس والعرب كانت آخذة في السقوط لفساد اهلها وانغماسهم بالرذائل ولما مات قسطنطين ونقلص ظل حكمتهِ وحكمهِ عن تلك الارجاء عادت البلاد الى حالتها الاولى وطمعت بها الاعداء فلم يجدهِ اجتهادهُ شيئاً ولعلهُ ارتكب غلطاً فادحاً بقسمتهِ المملكة بين اولاده الذين رضوا عن الجنود الثائرة والقاتلة انسباءهم جميعاً ما عدا غلّوس ويليانوس ونال اكبرهم وهو قسطنطين الثاني السيادة بين اخوتهِ ومدينة القسطنطينية العاصمة الجديدة واوربا الغربية وحاز قسطنطيوس ثراكة والديار الشرقية وتولى قنسطانس ايطاليا وافريقيا وجنوب ايلريا وكان عمر الاكبر احدى وعشرين سنة والاصغر سبع عشرة فقط

ونظر سابور ملك الفرس حالة المملكة الرومانية وحداثة ملوكها وظن ان الاوان قد آن للاستيلاء على بعض الاقطار الشرقية فجاهر قسطنطيوس بالعداوة وقاد جيوشهُ الجرارة الى ساحات القتال فالتقاه الرومانيون بهمة ونشاط وجرت بين الفريقين وقائع وحروب عديدة كان النصر باكثرها معقوداً بلواء كسرى الساساني ودامت الحال هكذا الى ان كانت سنة ٣٥٠ وقد ضاق الرومانيون ذرعاً وجيوش الفرس منتشرة انتشار الجراد حول نسيبيس (نصيبين) الحصينة وهي تطلب تسليمها والاهلون يرتعدون خوفاً ويودون الموت قبل خيبتهم وانتصار العدى لان سابور كان ناوياً سبيهم واستعبادهم واستبدالهم باقوام اعاجم يسكنون مدينتهم ويكونون بمثابة حصن منيع لمملكتهِ العظيمة فحول لذلك مجرى النهر مكدونيس (الآن نهر الحوالة) وبعث بالجند تهاجم الاسوار وترمي المدافعين ولقد كاد يظفر بالحصن لو لم يثغر النهر بقوة الضغط الاسداد التي اقامها فطغت المياهُ على المحاصرين وسهلت لاعدائهم ردهم واهلاك عدد عديد منهم فرفع سابور الحصار وانكفأ راجعاً ليحارب البرابرة الاسويين الذين جالوا باطراف بلادهِ وعثوا فيها مفسدين

وروى بعض الثقات الاتقياء ما مفادهُ ان القديس يعقوب النسيبي او النصيبي اسقف تلك المدينة ومنقذها لما رأى حالة مواطنيهِ التعيسة وما احاط بهم من الاخطار تضرع الى الله ان يحفظ شعبهُ من الشدائد والاضرار ويمنح القواد المسيحيين الغلبة على البربر ثم ارتقى الى اعلى السور ورفع يديهِ الى السماء مبتهلاً وطالباً اليهِ تعالى ان يصب على الاعداء رجزاً ويهلكهم ويقضي بهم بالبعوض

والذباب كما فعل بفرعون والمصريين وسنحاريب قبلاً فارسل الله في الحال الوفاً من الحشرات انتشرت في معسكر الفرس فاقلقتهم واجبرتهم الى تقويض خيامهم ومبارحة تلك البطاح بلا ترتيب ونظام

ولم يتفق اولاد قسطنطين على قسمة المملكة بالسكينة والسلام الا قليلاً واعقب توليهم الاحكام حروباً وفتناً تصلي الشعب نار عذاب وشقاء لا تطفى الا بدماء الرجال وويلات القتال لانه يستحيل في العالم استتباب الراحة والامن في بلاد يتنازعها رئيسان لا رئيس فوقهما وكيف بالروماني والنتيجة ولم ثلاثة ملوك يرغبون جميعاً في توسيع نطاق سلطتهم وزيادة مجدهم وفوتهم قسطنطين وهو الاكبر ان ما ناله من مملكة ابيه قليل لا يساوي نصيبه الحقيقي واعلن لذلك اخاه قونسطانس العداوة وبادر الى محاربته بالخيل والرجل فمات قتيلاً سنة ٣٤٠ بسيف بعض جنود قونسطانس الذين كانوا بالقرب من مدينة اكيلي فاستولى المنتصر على املاكه واضافها الى قسمه الاصلي وسنة ٣٥٠ عصى قونسطانس احد قواده المدعو مغننتيوس وسلبه الملك ففر الملك هارباً الى اسبانيا فلحقه بعض الفرسان وقتلوه هناك وكان قسطنطيوس المالك في الشرق قد اهتاج لما حدث فجهز عساكره وزحف لمحاربة اخيه ولما علم موته حول قوته لقهر عدو عائلته مغننتيوس المغتصب فجرت بينهما وقعات كثيرة اشهرها وقعة مورسا (الان اسك عاصمة سلافونيا) حدثت في ٢٨ ايلول سنة ٣٥١ وكانت نتيجتها خسارة الفريقين اربعة وخمسين الف راجل باسل وخيل قيل ان وقعة مورسا هدمت اركان الدولة الرومانية لان جنود المملكة التي عليها الاعتماد قد دفنت في ساحتها ولم يكن انتصار قسطنطيوس في تلك الوقعة كافياً لاذلال خصمه بل ظلت الحرب ثائرة الى سنة ٣٥٣ فنفدت اذ ذاك حيل مغننتيوس وطلب مهادنة عدوه ولما لم ينجح اخترط حسامه وانتحر في ١٠ آب حكي انه قتل بيده قبل انتحاره امه واخاه وقيل انه لم يقتلهما بل انتحرا هما ايضاً لانهما سئما الحياة بعده وهكذا اصبحت المملكة الرومانية مملكة واحدة سالمة من الانقسام وخاضعة لملك واحد هو قسطنطيوس كما كانت واحدة وخاضعة لابيه قسطنطين قبل وفاته

وانه لغني عن البيان ان اولاد قسطنطين لم يرثوا فضائل وحكمة ابيهم الشهيرة ولولا ذلك لم يصبهم من النائبات اشدها ولم يؤل امرهم الى ما آل اليه وكان قسطنطيوس الذي خلف اخويه ضعيف الراي جباناً نال تلك الفوز لحسن حظه وتلك النصرات العظيمة التي وطدت سلطته ببسالة جنوده وامانة رعاياه تذكاراً لقسطنطين الكبير احب ملوكهم اليهم وكان هذا الملك الخامل دائب السعي وراء الملذات وشديد الخوف من غدر الناس به فترك الحكم والسياسة لتبعته

لا سيا الخصيان الذين غروه سنة ٣٥١ ان يمنح ابن عمه غلوس رتبة قيصر فاتم عليه بها وارسله الى انطاكية ليسوس منها اقطار الشرق كافة و يؤخذ من كلام المورخين ان غلوس كان جاحداً ذا خلال قبيحة جداً يوصف بالغضب بلا سبب والظلم بلا شفقة والقتل بلا داع ولا رحمة وكانت امراته قسطنطينة اشد منه جنونا وعتواً فشبهها بعضهم بالجنيات الجهنمية التي تشكو الظماء طول المدى ولا يرويها سوى دم البشر ومن مظالمها التي تذكر قتلها اعتداء وعدواناً رجلاً شريفاً فاضلاً نقياً اسمه كلامانيوس الاسكندري لانه رفض مراعاة الخطير في عشق حماتها وكانت حماته قد شكته اليها واعطتها اجرة على قتله عقد لؤلؤ فاخر فمل المشرقيون من افعال هذين الوحشيين المنكرة ورفعوا امرهما الى الملك متظلمين وكان غلوس قد تظاهر بالنفور وحب الاستقلال فاحتال عليه قسطنطيوس واحضره سنة ٣٥٤ الى ايطاليا وهناك قتله بالسجن كاحقر المجرمين مع كثير من اصدقائه وانصاره وخدامه ولم يبق من العائلة الفلافية الملكية عائلة قسطنطين الكبير سوى الملك المالك وابن عمه يليانوس اخي غلوس المقتول

وبات يليانوس بعد مصرع اخيه في خوف وضيق لان الخصيان والحراس كانوا يرقبونه ويتهددونه بالموت الزؤام ويميتون امامه في كل يوم بعض اصدقاء اخيه واعوانه فتاكد استحالة نجاته واصبح ينتظر في كل ساعة صدور امر اعدامه ومرت عليه وهو في تلك الحالة بالسجن الايام والاسابيع والشهور الى ان تمكنت الملكة ايزوبيا من استعطاف زوجها عليه فامر الملك بالافراج عنه وارسله الى اثينا ليعيش فيها بعيداً من البلاط الملوكي وكبراء المملكة ودسائسها ولما كان يليانوس وثنياً جاحداً الديانة المسيحية اعتقد كل الاعتقاد ان الالهة قد خلصته لتنجيه من الهلاك الذي اعدته بعدما لحواسم قسطنطين وعائلته من الدنيا وقد كتب ذلك هو نفسه في قصة فصيحة رشيقة ترجمها الى اللغة الفرنسوية الأب دلابلتيري في كتابه المسمى تاريخ يوفيان

وصرف يليانوس باثينا ستة اشهر كان شغله الشاغل في اثنائها درس الفلسفة اليونانية ومعاشرة الفلاسفة والعلماء الاعلام فبرع في جميع الدروس التي القيت عليه ونبغ في سائر المباحث التي خاض عبابها بقريحته الوقادة وعقله السامي وكان من جملة رفقائه بالمدرسة القديسان غريغوريوس وباسيليوس اشهر آباء الكنيسة المسيحية وفي اواخر سنة ٣٥٤ دعاه الملك الى ميلان وعينه قيصر على الغرب ليحفظ تلك الاقطار من السرمتيين والبرابرة الذين لا يفترون عن الفتك بالامم المجاورة والاعتداء عليهم فخلع يليانوس اذ ذاك رداء الفلاسفة وثياب المتصوفين وحلق لحيته ولبس اللباس الملوكي وتقلد السيف عنوان السلطة وقد اخبر ذلك هو نفسه بقوله انني كنت عديم الخبرة بطرائق لبس الملوك واساليب محادثة اعوانهم وتملقهم

حتى انني كنت مدة بضعة ايام موضوع ضحك وسخر اهل البلاط جميعاً . وفي ذلك الاوان تزوج هيلانة شقيقة قسطنطيوس ورحل الى البلاد الغالية بمكان حكومته غير انه لم يسر قط بارتقائه الى منصب القياصرة الرفيع بل عد ذاته اسيراً محفوفاً بالاخطار في ديار بعيدة ترقب بها حركاته وسكناته خوفاً من ان يجاهر بالعصيان او ياتي اعمالاً مخالفة لاوامر من ارسله

واراد قسطنطيوس الملك بعد ذلك بعامين ان يزور رومية عاصمة العالم الروماني القديمة فسار اليها بموكب عظيم واحتفال بديع وتوارد الناس اليها افواجاً من كل فج عميق ليشاهدوه ويسروا بمرآه فزاد حضورهم بهجة موكبه الملوكي بهاءً وجمالاً وما زال سائراً بجلال ووقار حتى دخل تلك المدينة الشهيرة فلقيه بالاكرام والاجلال اعضاء المجلس العالي والكبراء والشرفاء وغصت الشوارع والاندية التي مر فيها وعليها بجماهير الرجال والنساء والاولاد والجميع فرحون يحيون امبراطورهم وسلطانهم الموفور بتحيات الوداد والاخلاص فابتهج قسطنطيوس بما لقي غاية الابتهاج وذهب الى المجلس وصعد المنبر والقى على الحاضرين خطاباً موجزاً اشكر به همتهم ووددادهم له ثم امر بالعاب عمومية في الملاعب والميادين واحضر من هيليو بوليس (الان قرية المطرية) في القطر المصري عمود رخام طوله نحو مائة وخمسين قدماً واقامه في ساحة الملعب الكبير غير ان البابا سكستس الخامس نقله في القرن السادس عشر الى الساحة الواقعة امام كنيسة القديس يوحنا لاتران البطريركية . وكان قسطنطين الاول ناوياً احضار العمود المشار اليه ليزين به القسطنطينية عاصمته الجديدة فاهداه ابنه الى رومية خلافاً لما عزم عليه ابوه ويرى

ان آلات القتال المهلكة المخترعة في الايام المتاخرة قد قللت الحروب لازدياد ويلاتها وجعلت المحاربة مدة زمان طويل امراً مستصعباً او مستحيلاً لكثرة النفقات اللازمة لتجييش الجيوش وتعبئتها وتحصين الحصون الى غير ذلك من مقتضيات القتال التي لا يمكننا تعدادها واستيفاؤها اما في الازمنة القديمة لعهد الرومانيين فنرى الحرب قائمة في كل آن على قدم وساق لاعتداء البرابرة الدائم ولتأكدهم ان في حرب الامم المجاورة غنيمة لا خسارة يطلبونها فقسطنطيوس بعد ان مكث شهراً كاملاً في رومية غادرها وزحف بجنوده الى ضفاف نهر الدانوب ليفني السرمتيين والكواديين المتوحشين الذين علموا العداوة للسياسة الرومانية فتك بهم فتكاً ذريعاً واخضعهم لسلطته بالشروط التي رآها ووجدها موافقة لحالة البلاد والسلطنة وكان في تلك الارجاء قبيلة بربرية هي قبيلة الليمغانتيين فاراد الملك افناءها او طردها لان وجودها يفسد طباع وعوائد الباقين فبادر اليه رجالها الابطال وفتيانها الاشداء وحاربوه حرباً لا تبقي ولا تذر مفضلين جميعاً ان يموتوا تحت ظل السيوف على ان يزايلوا وطنهم ويذلوا مستعبدين.

للغرباء فلنبهم الملك الروماني بكتائبه الحسمة واصلاهم حرباً عواناً كادوا بها يفنون فرأى رؤساؤهم اذ ذاك ان المطاعة خير من العناد وافبلوا على قسطنطيوس يستعطفونه حتى عطف عليهم ورضي باستحيائهم بشرط ان يهاجروا تلك الديار ويسكنوا بلاداً اخرى ولما كان اليوم المعين لعرضهم وقف الملك على عرشه وخاطبهم بكلمات رفيقة اعرب فيها عن حبه لرعاياه كافة واشفاقه عليهم فاصغوا اليه اولاً بسكوت تام وهدوء ثم اخذ احدهم نعله ونفذها في الهواء وصاح « مرها » مرها » وكانه به يقول مرحى مرحى وهي لفظة عندهم يحرضون بها بعضهم على القتال وفي الحال تالبوا وهجموا على الملك هجوم الضراغم فاعترضهم الحراس والجنود الذين جادوا بانفسهم ليسهلوا لاميرهم سبل الهرب والنجاة وبعد ذلك اتتهم الكتائب والفرسان وقاتلتهم حتى افنتهم ومحت اسمهم من الوجود

وبينما كان سلطان الرومانيين آخذاً في اصلاح احوال رعاياه الساكنة عند وورآء نهر الدانوب واخماد نار الفتنة والعصيان في اطراف المملكة المغربية كان سابور ملك الفرس فاكراً في محاربته وجاهداً في الاستيلاء على املاكه الشرقية وسنة ٣٥١ زحف بجيوشه الاعاجم وتقدم في ارض كردستان حتى وصل الى مدينة امادا او ديار بكر وحاصرها حصاراً شديداً بمائة الف جندي فطال الحصار مدة مديدة ولقي المحاصرون من سكان المدينة وحاميتها ويلاً وويلاً وشاهدوا منهم اسوداً لا تخاف الموت الزؤام بل تذيقه الاعداء بجسارة تفوق وصف الواصفين ولما طال امد الانتظار وتجرع قسم عظيم من العساكر الرومانية كاس الحمام في ميادين القتال ومجال الفخر والاهوال اقتحم الفرس الاسوار والحصون واستولوا عليها عنوة ثم دخلوا المدينة وقد

المبقية تأتي

باب الفكاهات

رواية الاختفاء الغريب

معربة بقلم جناب الاديب سامي افندي قصيري

(تابع ما قبله)

فصاح الموسيو بلاك بلاهج من العبوسة والتهديد ما فهمت المراد بهما مستجيل ذلك ان الماضي لا يرد وما من امل لي ولا لك بالمستقبل ثم شاهد الموسيو بلاك وقتئذٍ انها ابدت اشارة

سلية فاستنيع حديثة وقال نعم ما من امل لنا نحن الاثنين بالمستقبل اما من جهة الماضي فانا لا نستطيع طيه ولا نشره ثم على فرض امكان ذلك فلا اظنك ترضين به ولا ريب انك لا تعودين فيما بعد الى هذا الموضوع لان التكلم به عبث وبلا فائدة كنت اريد مشاهدتك مرة ثانية يا اخيلين بلاك اما الان فصارت تهمني كثيراً هذه المواجهة الجديدة الا فاصفحي لي عن حرية حديثي واذني لي في الانصراف قالت اني اصفح لك عن حرية حديثك ولكن . . .

ثم ظهر بصراحة من لحظاتها انها لا تاذن له في مطلوبه الاخير اما هو فلم يجر بمقتضى هذه الاشارة بل نبسم بمرارة وحيى وخرج

الفصل السادس

قطعة من نوب

وفي اليوم الثاني من حفلة المرقص سكنت منزلاً موثثاً مواجهاً لمنزل الموسيو بلاك وكانت الغرفة التي اخترتها لنفسي من المسكن تشرف على جميع الممر ويمكنني ان اترقب منها وانا بمزيد الراحة ذهاب واياب الرجل العظيم الذي اصبح شغلاً شاغلاً لافكاري

ومن الموكد ان سلوك هذا الرجل كان غريباً في بابه لانه كان يصرف قسماً عظيماً من اوقات النهار وهو يجوب الطرق راكضاً لاعباً مضطرباً كأنه يريد البحث على شيء من الاشياء

وكان لا يعود الى منزله غالباً الا الساعة الخامسة وعندما لا يكون عنده احد للعشا يعاود الخروج في الساعة السابعة راكضاً في الشوارع كعادته وشاخصاً بنظره الى جميع النساء اللواتي يصادفهن في طريقه وكنت معتاداً على المسير في اثره املاً بالاكتشاف على شي فزاد تعجبي وفضولي لما وجدت بعد مدة انه ترك الاحياء العظيمة العامرة وجعل يتسلل في طرق الضواحي الضيقة الحقيرة

ومن ذلك الحين ما عدت فارقته على الاطلاق وكنت اتبعه متنكراً وهو لا ينتبه الي

وهكذا بقينا مدة خمسة ايام متتابعة ونحن نطوف الممرات القذرة ونقف امام دكاكين الصيارف وننظر من خلال الشعريات الى داخل الحانات ونخاطر بالمسير في الطرق المظلمة حيث يكمن كثيرون من قطاع الطرق الاشقياء

فما هي غاية الموسيو بلاك يا ترى بهذه المباحث . - لا اعلم . ولكن من الموكد انه كان يبحث

عن امرأة لانه كان لا يهتم بمشاهدة الرجال وهو يسير بافكار مضطربة حتى اني نظرته مرة يدوس غلاماً سقط امامه وهو لا يشعر

وفي مساء اليوم الثالث وصلنا بعد دورات مختلفة الى منزل في ندسوررحيثما تسكن الكونتيسة دي ميراك فقرع الجرس ثم تجاوز فجأة الشارع ووقف مطرقاً الى الارض ويديه خلف ظهره كانه يتردد بالدخول واذ ذاك وصلت عربة انحدرت منها السيدة دي ميراك بثياب السهرة

وعندما راها الموسيو بلاك القى عليها نظراً عجولاً وكانت ملتفة برداء الرقص ثم تأخر الى الوراء متميزاً من الغيظ واتجه ركضاً الى منزله وفي اليوم الرابع شعرت اني مريض فالتزمت باسف ان امتنع عن مرافقته وان لا افارق الغرفة فالتحفت بالغطاء منذ الصباح وجلست بجانب النافذة فشاهدته خارجاً كالعادة وصرفت بقية النهار بملاحظة وجه السيدة دانيال المضطرب وكنت اراها من وقت الى اخر من خلال الزجاج والذي لحظته انها اشد قلقاً في ذلك النهار منها في غيره فكانت تنظر غالباً الى الشارع كانها تترقب رجوع سيدها وقد علمت بعد ذلك ان هذه المرأة المسكينة فقدت راحتها في تلك المدة وانها كانت تواصل الذهاب بلا انقطاع الى دائرة البوليس للسؤال عما جد بخصوص الفتاة المفقودة

وفي مساء اليوم الذي بدأت فيه بتتبع اثار الموسيو بلاك حصل ضرب من المحادثة بين السيدة دانيال والموسيو كريس فاظهرت المرأة خوفها من ان تكون الفتاة المفقودة قد ماتت ثم سالت على فرض حصول ذلك هل يمكن البوليس الاكتشاف على هذه المصيبة فاجيبت بالايجاب وعند ذلك سكن روعها قليلاً ثم صرحت وهي خارجة انه اذا لم يقف البوليس على شيء بعد ايام معدودة تتولى البحث هي بنفسها . . .

ولم تتم عبارتها ولكنها ابدت اشارة بمعنى التهديد

وبعد انتظار طويل عاد الموسيو بلاك الى منزله وكانت السيدة دانيال عند النافذة تترقب رجوعه فانسحبت مذعورة واختفت خلف الستار واما هو فجعل يصعد السلم بظاهر القنوط والتعب

وفي صباح اليوم الثاني نهضت مرتاحاً ووجدت اني قادر على اجراء مهمتي وكان ذلك اليوم من اجمل اوقات الشتاء فانتظرت الى ان بلغ الموسيو بلاك الشارع وانطلقت على اثره اما هو فلم يداوم طريقه كالعادة بل اشار الى عربة الترموي في شارع ادبزون بالوقوف ولا اعلم هل فعل ذلك عن قنوط بالنظر الى خيبة مباحثه السابقة او لسبب اخر وعند ذلك حاولت الصعود الى نفس العربة التي توجه اليها واذا به قد تاخر فجأة بعض خطوات

الى الوراء وجعل يتامل بمزيد الاعتناء فتاة تحمل سلا بذراعها ثم مشى بجانبها كما لو كان في نيته ان يخاطبها

فنزلت انا ايضاً من الترموي ومشيت في الجهة الثانية من الطريق على مساواة الموسيو بلاك وبعد قليل اقترب منها وكان يظهر من ثيابها انها ابنة او زوجة لبعض الفقراء ثم رافقها وهو يتحادث معها الى اسفل روستريت فتبعتهما من اقرب ما يمكن وعندما تركها غيّر طريقه وصعد من جهتي فلحظت عند مروره بجانبي انه اشد عبوسة من العادة وحينئذٍ انقطعت عن ملاحقته وتاثرت الفتاة ثم زاد عجبي اضعافاً عندما رايت ان هذه الفتاة التي اهتم بها الموسيو بلاك كل هذا الاهتمام بثياب بالية تلبس صدرية من الصوف الثخين الاسود وشالاً مخططاً وقبعة مستديرة بعلوها الريش وثوباً من النسيج الهندي الجرد اطرافه محرقة

وعند ذلك عدت الى السوال من نفسي قائلاً لماذا يا ترى اعار الموسيو بلاك هذه الفتاة كل هذا الاعتناء وكانت تسير بمنتهى السرعة فجعلت اركض وراءها ولكنني تعرقلت بحبل كانت تلعب به الاولاد على عرض الطريق فسقطت على طولي الى الارض وفي تلك الاثناء القت الفتاة المذكورة شيئاً على الرصيف

وعند نهوضي وجدت انها اختفت فعدت الى البحث على الشيء الذي القته واذا هو قطعة من قماش ثوبها الخلق المحرق انفصلت عنه بمسيرها فوضعت هذه القطعة بمزيد الحرص في جزدانى

وبعد ظهر ذلك اليوم صرفت وقتي بمشاغل اخرى اما في اليوم الثاني فلم يخرج الموسيو بلاك وعلمت من فاني خادمة الغرفة انه يتهيأ للسفر ولكنها لا تعلم المكان المقصود بسفره اما من خصوص المسيو دانيال فقد قالت لي عنه انها لا تزال حزينة كئيبة وان المنزل اشبه قبر

فعدت سريعاً الى غرفتي وجعلت ارتب صندوقي بقصد السفر ايضاً ولسان حالي يقول حيثما تذهب اذهب

ولست انكر اني تضايقت كثيراً حيث تحملت كل هذه المتاعب ولم اصل الى شيء او بالحري وصلت الى ما لا يستحق الذكر فشعرت كاني منصرف بصحتي وطمحت نفسي الى الفوز باي ثمن كان وعليه ففي اليوم الثاني عندما وصل الموسيو بلاك الى محطة السكة الحديدية في هيدسون واخذ تذكرة سفر الى بوني وهي قرية صغيرة في شمالي الولاية فيرمونت تقدم من بعده شاب بتمام الذهو من وكلاء المعامل التجارية — او بالحري على هذه المظاهر — واخذ تذكرة الى نفس هذا المكان

بدون ان ينتبه اليه الموسيو بلاك لانهٔ قليل الظنون لا يفكر مطلقاً بوجود من يراقبهُ ومع هذا وجدت من الحكمة أن اركب عربة خلاف العربة التي ركبها وان احاول عدم الظهور اثناء الطريق من نيويورك الى بوتني

الفصل السابع

منزل على مفرق الطرق

فبقيت على طول مسافة الطريق اردد في نفسي هذا السوال ولا افتح عليَّ بحل معضلاتهِ وهو لماذ ياترى اقدم الموسيو بلاك على السفر في هذا الفصل وما الداعي لذهابهِ الى قرية صغيرة وبلا اهمية كقرية بوتني

ثم تزايد عجبي وكدري عندما وصلنا الى المحطة المقصودة في الساعة الخامسة بعد الظهر وسمعت الموسيو بلاك يسال عن عربة سفر بقصد الذهاب الى قرية اخرى أقل اهمية من هذه القرية ولا سيما لانهُ امتعض عندما علم ان العربة لا تسير بين القريتين المذكورتين الا مرة واحدة في كل صباح ثم قال لهُ الرجل الذي يحادثهُ لربما تلتزم ياسيدي بالانتظار الى الغد اللهم اذا لم يتوفق لك الحصول على خيل من صاحب هذا الفندق الذي تراه امامك ولكن لا اظن ذلك حيث يوجد اليوم جنازة و . . .

اما الموسيو بلاك فلم بعد ينتظر استيفاء الحديث واتجه نحو الفندق الذي دلهُ عليهِ ثم اقترب من صاحبهِ وسالهُ عما اذا كان ممكنًا ذهابهُ في نفس ذلك المساء الى قرية ميلفيل باية اجرة كانت

قال صاحب الفندق ان السفر الى هذه القرية نادر يكاد لا يحصل مرة واحدة كل خمس سنوات ولكن رجلاً مسنًا من اعيان هذه الناحية توفي اليوم في ميلفيل فذهبت القرية لجنازتهِ وليس لكم والحالة هذه الا ان تنتظروا الى عربة الغد وعند ذلك دخل الموسيو بلاك الى الفندق فصحت اني مستعجل كثيرًا ولديَّ اشغال مهمة اريد بحثها في ميلفيل ومن اللازم ولو مهما كلفتني الظروف ان اذهب اليها حالاً

واقتصر صاحب الفندق من الجواب على هز راسهِ فجعلت امشي ذهابًا وايابًا وجل قصدي ان اتمكن من استماع محادثة الموسيو بلاك وصاحب الفندق الذي ذهب لمقابلتهِ

فسمعت الموسيو بلاك يتكلم معهُ بادئ بدء كمن لا يحتمل البقاء تلك الليلة في بوتني ولما لم تستفد شيئًا انسحب الى غرفة بدون ان يصرح باسمهِ وهو على ما نا كنت اخبرتُ مجهول من

الاهلين في تلك الناحية

فتمكنت بسياسة دقيقة من اخذ الغرفة المجاورة لغرفته وكانت نتيجة ذلك ان اعيني لم تذق الرقاد في تلك الليلة لان الموسيو بلاك صرف الليل وهو يتمشى ذهاباً واياباً في غرفته بطريقة مقلقة

وفي صباح اليوم الثاني ركبنا العربة فجلس الموسيو بلاك داخلاً وجلست انا بجانب السائق وكان يستغرق هذا الرجل السكوت المطلق وافكاره يشاغل قريبة عن مشاهد الطبيعة

وعند الظهر وصلنا الى ميلفيل ولكن ما بلغت ارجلنا الثرى الا سمعت الموسيو بلاك يامر صاحب الفندق ان يسرج له جواداً حيث مراده الركوب بعد تناول الغذاء

ولم يكن ذلك في حسابي فشعرت اني اخذت على حين غفلة وقلت في نفسي كيف يمكنني من الآن وصاعداً ان اداوم اتباعه بدون ان انبه شكوكه على حين لا يلزم لخسارة كل شيء الا ان تنبه هذه الشكوك ثم هل يمكن من جهة ثانية ان ارجع عن تاثره عندما اشرفت على الاستفادة من هذا التاثر

وبينما انا في هذه الحيرة واذا بادر صاحب الفندق الى مساعدتي عن غير قصد فقال هل مرادك انت ايضاً يا سيدي ان تذهب الى بري فقد صار لي ثلاثة ايام وانا بانتظار رجل اخبرت عن قصده بالذهاب الى تلك الناحية

فاتخذت هيأة عظيمة وقلت هذا انا وكل الامل ان لا تحطل علي الانتظار لاني تاخرت يومين ولا ريب ان كل شيء مهيأ للسفر اليس كذلك ثم دخلت فراراً من التورط في سؤالات اخرى مدركة الى قاعة الطعام مهيأة خشنة حتى لا يجسر احد على مفاتحتي بشيء من الاشياء

وفي اثناء الطعام طفق الموسيو بلاك يتاملني وكان جالساً تجاهي فتظاهرت بعدم الانتباه اليه واكلت بسرعة ثم امتطيت جواداً وتقدمته وعندما صرت على الطريق تباطأت بالمسير حيث لا اعرف المكان الذي يقصده وبعد عدة دقائق نظرته قليلاً فحسنت الجواد قليلاً وكانت الحكمة تقضي عليّ بلزوم التاخر عنه

وعند وصولي الى احد مفارق الطرق اوقفت الجواد والتفت كمن يحاول الرجوع وكان الموسيو بلاك متاخراً عني نحو خمسين خطوة فلدى اقترابه مني حييته بتودد وسالته بصفة احد وكلاء المعامل التجارية عن طريق بري

فاجابني على تحيتي واشار باصبعه الى الطريق التي على يساره وقال لي بسكينة ان هذه لا تؤدي الى المكان المطلوب ثم اعرض عني وانطلق فيها

وعند ذلك وقعت في مشكلة يصعب حلها لاني اذا تاثرته بعد هذا الجواب بتفضح سري ثم لا يمكن من جهة ثانية الا ان اتاثره ولو مهما تفاقمت الموانع

ولما لم اجد خطة اوفق من هذه الخطة عطفت لجهة اليمين الى ان غاب الموسيو بلاك عن نظري ثم انتظرت نحو خمسين دقيقة ايضاً ورجعت على اعقابي اسوق جوادي المسن بمنتهى طاقته من جهة الشمال الى جهة الغرب

وبعد ربع ساعة تقريباً عدت الى مشاهدة الموسيو بلاك وكان ماشياً يتمهل فاستترت خلف بعض الاشجار الى ان اختفى عني بالجف تل كان يسلكه بعناء ثم عاودت الجري غير معتنٍ بشيء من جمال تلك الاراضي لان جميع افكاري كانت منصرفة بكليتها الى الموسيو بلاك ولا سيما لاني نظرته يتفحص روفلفيرا في يده

فخفت قليلاً في بادىء الامر ولكن ظهر اخيراً انه ليس المقصود بهذا الاستعداد لانه لم يلتفت ابداً الى ورائه ثم انسل فجأة في طريق ضيقة تنتهي عند منزل منفرد غريب الظواهر

وكان ذلك المنزل قائماً على ربوة صغيرة بين ثلاث طرق وله واجهة عريضة يستدل من مشهده انه فندق لكن دواخينه المغطاة بالحشيش لا يتبعث منها اثر الدخان اما الابواب والمنافذ فكانت مقفلة والذي يزيد في مظاهر ذلك المنزل المرهبة انما هي شجرة عظيمة من السنديان مغروسة امام الباب كحارس

وكان الموسيو بلاك قد اعاد الروفلفير الى جيبه وانطلق بسرعة لجهة المنزل وعند ذلك عرجت الى حرش متصل بالطريق ثم ترجلت عن الجواد وبعد ان ربطته بشجرة هنالك هرعت جرياً لنحو ذلك الفندق الذي قصده رفيقي فبلغناه في آن واحد تقريباً

وعند وصولي وجدت البناية المذكورة بمظاهر مخيفة ترتعش لمشهدها القلوب اما الموسيو بلاك فلم يصب بمثل هذه التاثيرات بل اقترب من الباب الكبير ممتطياً جواده وجعل يقرع شديداً بقبضة كرباجه على الواحه المشققة فلم يجب احد

ثم حاول فتح السكرة واذا الباب مقفل بالمفتاح فدار من حول المنزل ولما لم يجد مدخلاً وقف برهة قاطباً حاجبيه فقلت في نفسي ما الذي يريد عمله يا ترى واذا به قد رد عنان جواده فجأة الى الجهة المعارضة وانطلق عابساً الى ناحية ميلفيل

وهكذا اتضح جلياً ان الموسيو بلاك لم يقصد بهذا السفر الشاق الذي باشره منذ يومين اثنين الا زيارة هذا المنزل الخرب. فما المعنى يا ترى بكل هذا الخفي والحق يقال لم افهم شيئاً

وبعد عدة دقايق خرجت من الاجمة التي كنت مختفياً ضمنها ودرت من حول ذلك

المنزل السري عسى اجد نقبًا او منفذًا لم ينتبه اليهما الموسيو بلاك فما وجدت شيئًا وكانت الابواب والنوافذ مقفلة باحكام نكاد يصيبني القنوط واذ نظرت نحوًا من ولدين او ثلاثة قادمين من المدرسة فتقدمت اليهم بمنتهى ما يمكن من مظاهر البشاشة والتبسم وسالتهم من يسكن هذا المنزل المنفرد

فاصفر لونهم وقال لاحدهم متعجبًا الا نعرف ذلك ان هذا المنزل يسكنه اللصان اللذان سلبا بنك ر ونلاند ـ وقد سجنا ونجيا و . . .

وفي الحال تقدمت فتاة صغيرة من هولاء الاولاد بظاهر الخوف وقبضت على ذراع رفيقها ومنعته من اتمام الحديث ثم ابتعدوا جميعًا ركضًا وتركوني مبهوتًا

وكان هذا المنزل القديم حقيقة هو مسكن اللصين الشهيرين المدعوين باسم شونما كير وقد حار البوليس مدة وهو يبحث عليهما بلا فائدة

وبعد ذلك عدت الى التامل في هذه البناية ولكن تاملي في هذه المرة كان بتاثيرات مخالفة للتاثيرات الاولى فظهر لي وقتئذ ان جميع هذه المآخذ المقفلة تشف عن الجرائم ولحظت على احدها علامة الصليب مرسومة بقلم احمر

وقد اثر فيَّ كثيرًا منظر تلك الشجرة العظيمة وتراءى لي انها مؤتمنة على اسرار هائلة وانها تتمتم باصوات التهديد عندما يحركها الهواء

وفي الحال خطر على بالي بسرعة البرق هذا الفكر وهو ماذا جاء ليفعل الموسيو بلاك الرجل الممتاز المحبوب من كل نيو يورك في هذا المكان الملطخ بالعار والدماء وما الذي قاده الى منزل لصين نصيبهما الفكر بلك هل الخوف او اليأس والبخل او الانتقام وكان من المستحيل عليَّ ادراك هذه الغوامض ولكن رغبتي بالدخول الى ذلك المنزل الهائل تزايدت كثيرًا عما قبل وكانت الطرق المتلاصقة على مقربة من ذلك المكان مقفرة لا يوجد عليها اثر لي والاولاد انفسهم الذين تكلمت معهم اختفوا خلف بعض البيوت التي ترى من بعيد في وسط ذلك السهل المتسع ثم لاحظت وقتئذ ايضًا ان بعض اغصان الشجرة يبلغ سطح المنزل فخلعت ثوبي وجعلت اتسلقها غير مبال ببنطلوني الجديد وبعد اجتهاد ان عظيم وصلت الى نوافذ الطابق الاعلى متاثرًا ببعض الخدوش ثم اندفعت وثبًا من كوة مفتوحة فسقطت داخلًا على كدس من الزجاج المكسر وسمع لذلك صوت ارعشني على غير عادة لاني كنت مشهورًا بعدم الخوف ولما تمالكت روعي وجدت نفسي في غرفة بجدران عارية وفي احدى قرانيها كرسيان قديمان ثم مقلاة يكسوها الصدأ وعرمة من الخرق وبعض الثياب القذرة البالية

وكان في الجهة الثانية من ذلك المكان منفذ ضيق يودي الى سلم مظلم فانحدرت منه الى غرفة اصغر من الاولى فوجدت سلمًا اخر فنزلته الى ان بلغت الطابق الاسفل فاذا غرفة مربعة فيها سرير كبير باعمدة عار من الافرشة وعلى مقربة منه خزانة قديمة ومقعد وطاولة لها مشهد مرعب ولكنها لا تذكر بجانب السرير وستائره القطنية الجردة المرفوعة. القرابي بما يمثل للناظر عظام هيكل عظيم من اجسام الجبابرة ملفوف بالقباطين

وبعد ان ارسلت نظرًا منتقدًا الى بعض الغرف ولم اجد شيئًا خصوصيًا انتقلت بالتتابع الى الغرف الاخرى وكان منتشرًا فيها بعض الامتعة المكسرة فنظرت في احداها فراشًا ثبت لي من مظهره ان اليد التي فرشته يد رجل وانه اشغل منذ قريب وكان معلقًا على الجدران ثياب من المحتمل ان تكون استعملت امس

وعند ذلك خفق قلبي وتصورت كأن هذين اللصين الشقيين سيظهران فجأة امامي فازحت بيدي عن النافذة ستارًا يستدل من بقاياه انه كان قبلاً بزيد الزهو ونظرت على ضوء النهار ان الجدران مزينة برسوم ماخوذة من الجرائد وان جميع هذه الرسوم منتقاة بذوق واحد ونية واحدة وهي تمثل رجالاً ونساء في مواقف خطرة فمن ذلك قناص يعارك نمرًا وجندي يدافع عن احد رفقائه ثم فتاة من ذوات اللين والشدة منتصبة بمظاهر الخوف والذهول المشهد .... ما قدرت على معرفته ومن المستحيل تمييزه لان القسم الباقي من الصورة كان ممزقًا

وكان ملقيًا على الارض نصف شمعدان وقطعة من جريدة فالتقطها واذا هي جزء من عدد نشر قبل يومين من جريدة نهيروت ديرو تلاند فثبت لدي والحالة هذه ان اللصين كانا في المنزل او حضرا اليه قبل البارحة على الاقل ولدى التفكر بالزجاج المكسر الذي سقطت عليه عند ما وثبت من الكوة علمت اني لست انا هو الرجل الاول الذي دخل المنزل بهذه الطريقة

فبدأت اشعر باحساسات الخوف المتزايد وقلت في نفسي هل يكفي روخلبري للدفاع يا ترى اذا التقيت الان بهذين اللصين ثم شعرت وقتئذٍ بما يشعر به الثعلب عند ما يسقط في الفخ

وعند ذلك اتجهت بقدم متمهل نحو السلم واعرت اذنًا صاغية فلم اسمع شيئًا الا اضطراب اغصان الشجرة العظيمة ودوي الهواء في المواقد وكان ذلك كله من موجبات المرعشة وقريبًا من حالة القبور ولكنني مع هذا اعتمدت على مداومة النزول

وهكذا وصلت وانا قابض بيدي على غدارتي الى شبه قاعة ثم الى المطبخ حيثما تاكدت ثمة

انتظاري على فتح النوافذ فحصلت على قليل من الخطاطيف وتقدمت الى مكان الوقيد افحص داخله فوجدت بعض بقايا من ثياب محروقة ولدى امعان النظر عرفت انها من الثياب التي يلبسها المحكوم عليهم في السجون ثم نظرت بين الرماد شيئاً لامعاً واذا هو حلقة من القيود التي يكبل بها الجانون قبادرت الى وضعها في جيبي للانتفاع بها عند الحاجة

وهنا بدات افكر هل من المناسب يا ترى ان انحدر الى القبو وبعد التامل الطويل اعتمدت على عدم التهور بمثل هذا العمل بالنظر الى مركزي الحاضر ثم فتحت النافذة ووثبت الى الجنينة واذ ذاك سمعت صوت باب فتح واقفل بتمهل وكان ذلك الصوت صادراً من القبو

وفي اثناء رجوعي الى ميلفيل تواردت على راسي الافكار الكثيرة المتضاربة وكنت معتقداً بزيد الارتضاء اني اكتشفت على امر كثير الاهمية وان هذا الاكتشاف سيعود عليّ بالارباح لان الجائزة المدفوعة لمن يقبض على ذينك اللصين عظيمة جداً فاعتمدت والحالة هذه ان اخبر حالاً رئيس البوليس بنتيجة اعمالي

وعند وصولي الى فندق ميلفيل كان الموسيو لاك قد سبقني اليه بنحو ساعة فاخذت صاحب الفندق على حدة وسالته عما اذا كان قادراً ان يفيدني شيئاً عن منزل اللصين الذي مررت بقربه اثناء رجوعي من هذه الرحلة

فصاح صاحب الفندق يا للعجب ان الرجل الذي سبقك وصعد الان الى غرفته سالني ايضاً عدة سوالات بخصوص هذا المسكن فلا ريب اذن ان هذا الكوخ كثير الاهمية

فضحكت وقلت صحيح لان الجرائد مشحونة باخبار هذين الشقيين ولهذا صار بهم الناس كثيري الاطلاع على كل ما يتعلق بهما ثم عدت الى السؤال منه بالحاح عن ذلك المسكن وصاحبيه

قال ان ما اعرفه عنهما قليل جداً غير انه يكفي لاهانة شنقهما يوماً ما فان هذين اللصين كان المعلوم عنهما في اول الامر انهما فقيران وان فقرهما لا يكسبهما شيئاً ولكن بقيت الناس لا تظن بهما سوءاً الى ان سرق بنك رونلاند وجبتئذ افتضح امرهما واتهما بجرائم عديدة وان لم تثبت ضدهما الى الان بطريقة قانونية تم حكم عليهما كما لا يخفاك بالاشغال الشاقة مدة عشرين سنة ولكن تمكنا من الفرار منذ شهرين ومن ذلك الحين لم يعد يسمع عنهما شيء . فيا لهما من زوج حيث لا اظنك تجهل ان اللصين المذكورين هما اب وابنه

فسالت ومتى اقفل فندقهما

اجاب في نفس يوم ايقافهما

قلت وهل فتح بعد ذلك

اجاب نعم فتحة مرة واحدة مفتشو البوليس لاجراء البحث والتفتيش القانونيين

قلت واين مفتاحة

اجاب لا اعلم

واذ ذاك وجدت من مقتضيات الحكمة ان اقصر على هذه السوالات ولا ازيد عليها ثم دفعت المتوجب عليّ لذلك الفندق وسافرت الى بوتني فوصلت اليها في الساعة المناسبة لركوب القطار الى نيويورك

وفي صباح اليوم الثاني نحو الساعة الخامسة وصلت الى العاصمة وبادرت في الحال الى دائرة البوليس حيثما صرحت بكل شي وفي نفس ذلك اليوم صدرت الاوامر الضرورية الى اثنين من معاوني البوليس لتقبض على اللصين شوئما كيرا يا وجدا

الفصل الثامن

كلمة سمعت بالصدفة

وفي ذلك المساء حصل بيني وبين فاني بجانب الباب السري محادثة طويلة وكانت متهيجة كثيرًا فلما لحقتني اندفعت لملاقاتي وصاحت سمعت اليوم اشياء .. اشياء

قلت وما الذي سمعته اخبريني

فاسندت يدها على قلبها وقالت بصوت منخفض خفت كثيرًا واوشك ان يغمى عليّ عند ما سمعت تلك السيدة الجميلة تلفظ كلمة جناية و . .

فقاطعتها وقلت اية سيدة جميلة تريدين لا تبتدئي بسيرتك من نصفها يا عزيزتي لاني اريد الوقوف عليها بكليتها

فعادت الى الحديث بقليل من السكينة وقالت حسن . ان السيدة دلانيال حصلت منذ برهة على زيارة امراة ملابسها . . .

فصحت بفروغ صبر دعينا من هذا . . دعينا من هذا .. لان هذه التفصيلات قلما تهم صرحي لي ما هو اسمها واتركيني من ثيابها

فكررت فاني بحرارة هذه اللفظة اسمها من اين لي ان اعرفه ان هذه المرأة لم تحضر لزيارتي انا ولا علم لي باسمها

قلت ولكنك نظرتها فكيف كانت هيئتها

قالت هذا ما حاولت ايضاحه لك عند ما قاطعتني فهي كملكة ولم ار في حياتي مثل هذه

السيدة العظيمة بذلك الثوب الحريري الطويل وتلك الجواهر الكبيرة

فسألت هل هي سمراء

اجابت ان عينيها وشعرها سود كالابنوس

قلت وهل هي طويلة ومهيبة

فاشارت بالايجاب وتمتمت هل تعرفها

قلت اظن ذلك. فان هذه السيدة حضرت اليوم لزيارة السيدة دانيال

اجابت نعم والذي اظنه انها كانت عالمة بتغيب سيدي عن المنزل ومعتقد انه لا يعود اليه قبل ذهابها

قلت عجلي بايضاح كل شيء فقد نفد صبري

قالت كنت صاعدة لتغيير ثيابي في نحو الساعة الثالثة واذ سمعت اثناء مروري في الرواق بجانب باب القاعة هذه السيدة العظيمة تحادث دانيال وهي تجيبها على حديثها بخشونة واشمئزاز صريح اما السيدة الغريبة فلم تقلق لهذه المعاملة وبقيت مستمرة على مخاطبتها بلطف وعند خروجها من القاعة كنت اتصور انها هي كبيرة الخدم وليس السيدة دانيال لانها بالغت كثيرًا في تمليقها وملاطفتها متوسلة اليها ان تحضر لمشاهدتها حتى تحدثها عن الماضي ولكن دانيال بقيت غير متأثرة لكل هذه الملاطفات وعلى وجهها من آثار البغض والتكره من هذه المرأة ملامح جلية ثم دخلت مجاورتها واذ فتح الباب بعنف وظهر الموسيو بلاك على السلم وفي يده صندوق سيكار صغير وعند مشاهدتها ارتعش مبهوتًا ثم انحنى بعض الشيء يعني التحية فقالت له الزائرة انها لم تكن تتوقع مقابلته وحسبت بالرحيل فاوقفها وقادها الى القاعة فتبعتهما السيدة دانيال باعين مضطربة ثم فرت من الرواق كالمجنونة وعند ذلك حاذني الخوف الشديد لاني كنت مختبئة بقرب السلم السري وخشيت ان تشعر بي وتكتهما لحسن الحظ مرت من جانبي ولم ترني فقلت في نفسي لابد من وجود سر خفي هنا واعتمدت ان ابقى مكاني الى ان تذهب هذه الزائرة

ولم انتظر طويلاً لانهما خرجا بعد بضع دقائق من القاعة وكان الموسيو بلاك يتقدمها وهي تتبعه فاستغربت ذلك كثيرًا علمًا بحسن ادارة احترامه واكرامه للنساء ثم تضاعف استغرابي عندما نظرتهما صاعدين بسرعة على السلم الكبير وكانت دبتها تنم عن نوع خصوصي من مزيد القلق ثم دخلا الى الدائرة المعروفة بغرفة الموسيو بلاك فما امكنني بالرغم من الاخطار التي تتهددني اذا علم بي الا ان اتبعهما واسمع حديثهما من ثقب الباب

قلت وما الذي سمعتهِ

قالت ان اول شيء طرق اذاني انما هو صوت فرح وهذه الكلمات فاذن انت حاصل دائمًا على هذا المشهد امام اعينك ولا اعلم ما الذي ارادت قوله بهذه العبارة ولا ما هو ذلك المشهد الذي اطلعها عليهِ ثم مشى الى اخر الغرفة وعند ذلك ارسلت المراة صوتًا متالمًا وجعلت تخاطبهُ وشوشة بعجلة فلم افهم شيئًا ثم علا صوتها بالنحيب وصاحت اصمت لا تقل شيئًا وافتكر ان الجناية دخلت عائلتنا وهي اشرف العائلات واقدمهن في هذه البلاد. اه يا كولمان كيف امكنك ان تفعل ذلك ثم صاحت فاني وقد عتق وجهها بحمرة الاضطراب نعم ان هذه الكلمات التي قلتها هي نفس كلماتها

فاخذني الذهول من نتيجة هذه الحادثة وقلت بماذا اجاب الموسيو بلاك

قالت لا اعلم لاني ركضت حالاً مذعورة الى غرفتي واعتمدت ان لا اسمع شيئًا زيادة عما سمعتهُ ما دام الحديث متعلقًا بجناية

قلت وبعد ذلك هل اخبرت احدًا بشيء من هذا الحديث الذي قصصتهِ عليَّ

اجابت ابدًا ولا يمكن ان افعل ذلك بعد وعدي بان . . .

ولا لزوم لزيادة التكلم عما دار بيننا من الحادثة بعد ذلك مما لا علاقة لهُ بهذه السيرة

وكنت قد علمت من المباحث التي اجريتها ان الكونتيسة دي مارك لها ولع شديد بالجواهر فاعتمدت ان انتفع بذلك للدخول الى منزلها لانها هي وحدها مطلعة على سر الموسيو بلاك الخفي فاستعرت من احد الباعة اصدقائي جوهرة فريدة كثيرة الثمن وانطلقت الى منزل الكونتيسة ولدى قرع الباب فتحتهُ جارية جميلة فرجوتها ان تستاذن لي سيدتها بالدخول فعادت بعد قليل وقالت ان الكونتيسة مريضة ولا يمكنها مواجهة احد فطلبت اليها حتى لا ارجع بخفي حنين ان تاخذ لسيدتها الجوهرة وتخبرها ان هذا الحجر الثمين فريد في جنسهِ وانهُ لا يتوفق لها دائمًا مثل هذه الفرصة لشرائهِ

فاطاعت الخادمة بامتعاض ثم عادت سريعًا واخبرتني ان سيدتها قبلت بمواجهتي

وعند دخولي وجدتها تتمشى ذهابًا وايابًا على طول القاعة وفي يدها تحرير يستدل من ظواهر الاحوال انها اكملت مطالعتهُ ولما انتبهت الى حضوري وضعت التحرير في كتاب مفتوح قليلاً ثم تناولت الجوهرة التي احضرتها لها وكانت موضوعة على طاولة هناك فدهشت لمشهد التغيير الطارىء على هيأتها منذ حفلة الرقص الخيرية لان وجهها كان عابسًا لا يرى عليهِ اثر النور

واذ ذاك شعرت كاني حصلت على جزاء اتعابي وقلت في نفسي انها نقدت كل امل اماهي فقالت بصوت تعب يتخلله بالرغم عن ذلك لهجة تنم عن سعة اطلاعها بمعرفة الجواهر هذا جوهر بديع من اين جئت به هل تقدر ان تثبت لي حنك ببيعه

فتغاضيت عن القسم الاول من السؤال وقلت ليس لي ما الحاجة ياسيدتي بهذا الخصوص وان شئت فاعلمي جميع بوليس نيو يورك اني احضرت اليك هذه الجوهرة

فرفعت اكتافها وتاملت الجوهرة من قريب ثم قالت بلا مع الوجل والتعب لست في حاجة الى جواهر من هذا النوع وفضلاً عن هذا فاني مشوشة الافكار وليس لي جلد على الشراء في هذا النهار فكم تريد ثمنها

وعند ذلك طلبت ثمناً باهظاً فارسلت اليَّ بتعجب نظراً نافذاً وقالت الاصوب ان تربها الى اناس اخرين حيث عما يخصني ا فالا اريد ان ابدد اموالي على هذه الصورة

فوضعت الجوهرة بتمهل في العلبة وقلت اريد مع هذا ان ابيعها لك ولربما . . . وفي تلك الساعة سمع صوت امرأة في الغرفة الثانية فعاودت الكونتيسة اخذ الجوهرة من يدي ثم دخلت بحرارة الى الغرفة المذكورة المحاذية للقاعة التي كنا فيها وتركت الباب مفتوحاً وصاحت هل هذا انت يا أمي

واذ ذاك نظرتها تعانق امرأة لابسة بحسب الزي الاخير ثم اريها الجوهرة ودلتها عليَّ باصبعها اما انا فاندفعت بعجلة لنحو الكتاب الذي وضعت فيه التحرير عند حضوري وكان لا يلزمني الا ان ارفع الغطاء عن ذلك السر لارضاء فضولي فاستغنمت فرصة اشتغال الصديقتين ببعضهما وتحويل ظهرهما اليَّ وفتحت الكتاب ثم شخصت بالعين الواحدة الى السيدتين المذكورتين اراقب حركاتهما وارسلت العين الثانية الى التحرير الموضوع امامي وهكذا تمكنت من مطالعة الاسطر الآتية

يا عزيزتي سيسيليا

صرفت كل ما في وسعي لايجاد قماش من جنس الشال الذي ارسلتيه لي ولم انجح بذلك فماذا بقيت مصرة على زركشة ثوبك بهذا النوع من القماش تلتزم بمراجعة افكار السيدة روديفان ولكنني انصح لك على كل ان تغيري افكارك وتختاري محلاً بلون انصع

ذهبت امس مساء لمقابلة السيدة كاري فوجدت ان لولو شيتاندين وقد شاخت وصار زوجها مقامراً سكيراً ولكنها لا تزال مطبوعة على حب المسرات لانها مجملة باخلاق هنيئة

سالتني عن اخبار ابن عمي كوسلان بلا كاني اصادفه احياناً وهو بصحة جيدة ولكنه بلغ من

الكآبة والعبوسة منتهى ما يمكن تصوره في جنس الانسان اما من خصوص بعض الامال التي حدثتك عنها مرارًا فقد اختفت الى الابد لانه فعل ما ‥ ‥

وعند ذلك انقطعت المحادثة بين السيدتين وتحركت الكونتيسة فلمحت من سوء بختي واقفلت الكتاب بسرعة

فقالت الكونتيسة بتعب ان جوهرتك بمنتهى الظرف ولكنني لا اميل الى شرائها كما قلت لك ومع هذا فسوف اراجع افكاري اذا رضيت بنصف الثمن الذي طلبته ‥ ‥

قلت اعذريني ياسيدتي الكونتيسة لاني انا ايضًا فكرت مليًا في مدة غيابك ورأيت اني لا استطيع تخفيض شيء من الثمن الاول والذي اظنه ان الموسيو بلاك في المرة الثانية يشتريها بلا معالجة اذا تمنعت عن اخذها بالقيمة المطلوبة

فنظرت اليّ بمظاهر الارتياب وصاحت العلك تبيع الموسيو بلاك ايضًا

قلت اني ابيع جميع الناس وحيث انه خبير بهذه الانواع فاظن ‥ ‥ ‥

فتحولت عني ببرودة واظلم وجهها ثم قالت بع جوهرتك لمن تريده ليس لي حاجة بها فاخذت الجوهرة وتركت القاعة

الفصل التاسع

بعض شعرات ذهبية

وبعد ذلك بيومين او ثلاثة عدت لمقابلة الموسيو كريس وكانت افكاره بمشاغل قوية فقال ان ذينك اللصين شوما كبير قد اتعبانا وخيبت اثارهما على جميع معاوني البوليس والذي يظهر انهما مختبئان في بعض نواحي نيويورك ‥ ولكن اين ياترى ‥ ثم انهى العبارة باشارة معنوية

فصحت هما مختبئان هنا في مدينة نيويورك ‧ لا ريب اذن انهما على يقين من مناعة موقفهما وانا اراهن من يشاء ان هذين اللصين الشقيين الالمانيين سيقبض عليهما قبل مرور شهر من هذا التاريخ والامل ان لا يظهر وقتئذٍ ان بعض اعيان المدينة من اصحاب المقامات العالية بهم اقل شأنًا واكثر شرورًا من هولاء اللصوص ثم اخبرته بحديث خاني فقال تعاظمت الاحوال ولا اعلم كيف تنتهي كل هذه المشاكل فقد لفظت اذن كلمة الجناية اه ثم اه كان بودي ان اعرف باية زاوية من زوايا الارض توجد هذه الفتاة التي نبحث عنها

وفي تلك الساعة دخل احد معاوني البوليس وكان في يده تحرير فدفعه الى الموسيو كريس وعند تلاوته صاح صيحات التعجب وقال اقرأ هذا فتناولت منه التحرير وقرأت ما يأتي

وجدت في هذا الصباح في النهر الشرقي في حي المر الخامس جثة فتاة بنفس السمات التي اخبرتني عنها والذي يظهر انها ماتت منذ بضعة ايام وقد ارسلنا بالبرق الى دائرة البوليس نطلب تعليماتها بهذا الخصوص فاذا رغبت مشاهدة الجثة قبل نقلها ان المورك يجب ان تحضر حالاً الى الرصيف ٤٨

قلت فلنذهب اذن باسمنا للتحقيق . . .

فقاطعني الموسيو كريس وقال لربما يخالط الوليمة العظيمة التي عدها الموسيو بلاك في هذا المساء بعض المكدرات

وبعد نحو من ساعة كنت انا والموسيو كريس بجانب تلك الجثة وقد اثر فيّ شديداً ذلك المشهد لان اسراراً كثيرة كانت تحيط بهذه الحادثة والاشخاص الذين يرجح اشتراكهم بالجناية من اصحاب المراكز السامية في الهيأة الاجتماعية بحيث يستحيل عليّ في جنب ذلك امتلاك صوابي واظهار التأني وعدم المبالاة ثم شعرت وقتئذٍ ان قلبي يخفق خوفاً من رفع الغطاء عن الجثة والكشف عنها ولا اعلم اسباب هذا الخوف

وعند ذلك قال احد المأمورين وهو يزيح عنها الغطاء ان هذه الجثة بنت الظرف ولكن يا للخسارة حيث بليت بعض تكاويتها مما اشرت الى خشنا شعرها الذهبي المحيط وجهها البالي وقلت لا يهمنا ذلك لان هذا الشعر وحده كاف لاثبات كون هذه الفتاة هي غير الفتاة التي نبحث عنها ثم التفت لارى هل خف وقري بهذا اليقين اما الموسيو كريس فلم يتحرك من مكانه وجعل يتمتم قائلاً طويلة ورشيقة بوجه مصفر واعين سود حقاً يا للخسارة حيث بليت بعض تكاوين وجهها

فقبضت عليه من ذراعه وقلت ان فاني اكدت لنا غير مرة ان شعر السيدة اميني اسود اما هذه . وعند ذلك وقع نظري من جديد بسرعة على تلك الجثة فصحت مالي ولشعرها هذه هي نفس الفتاة التي نظرتها ماشية بجانب الموسيو بلاك منذ بضعة ايام في رومستريت وقد عرفتها جيداً من ثيابها

ثم فتحت جزداني واخرجت منه قطعة القماش التي التقطتها عن الطريق ولدى مقابلتها على الخرق البالية الموضوعة بجانب الجثة ظهر لنا انها من نفس ذلك النسيج ولونه ورقشته

وعند ذلك جعل الموسيو كريس يفحص عدة كدوح في راس واذرع الفتاة المسكينة العارية ولا ريب انها آثار ضربات قوية بشيء من العصي والنبابيت وبعد سكوت قليل قال كيف كان الحال يجب على الموسيو بلاك ان يصرح عن هي هذه الفتاة المسكينة شهيدة اليأس

او الغدر ثم التفت وسأل عما اذا كان في الجثة آثار اخرى تدل على استعمال القوة والعنف

قال المستخدم نعم فان الجسد كله ملطخ بآثار الضرب

فعض الموسيو كريس على شفتيه بهيأة التهديد وقال وهو يغطي بيد مرتعشة وجه الفتاة المصفر هاك نوع من القتل الخشن المستنكر

و بينما نحن خارجان وقد وصلنا الى قرب الباب قلت للمرة الثانية من المؤكد ان هذه هي غير الفتاة التي اختفت من منزل الموسيو بلاك

قال لست من رايك في ذلك

قلت فهل تظن اذن انني لم تخبرنا بسمات الفتاة الحقيقية وانها حاولت غشنا بالتمويه

فتبسم الموسيو كريس ثم استدعى المأمور وكان ماشيًا خلفنا وقال له اعطني تذكرة السمات التي ارسلتها منذ بضعة ايام الى بوليس الشطوط حتى يجري ملاحظتها اذا وجد بالصدفة جثة ما

فاخرج المأمور من جيبه رقعة مطبوعة تناولتها منه واذا مكتوب فيها الكلمات الآتية

ابحثوا على جثة فتاة طويلة رشيقة حسنة التركيب بشرة مصفرة وشعر طويل ذهبي بلون نادر واخبروني بحال الاكتشاف على مثل هذه الجثة

قلت ما فهمت شيئًا فضرب رئيسي على كتفي وقال وهو يشدد على كل مقطع من الفاظه عندما تذهب من الان وصاعدًا الى غرفة للبحث على حادث خفي انظر الى تحت الطاولة فاذا وجدت مشطًا فيه بعض شعرات ذهبية تيقن ان صاحبتك فاني لها مقصد بالمحاولة عندما تدعي ان الفتاة التي مشطت شعرها بذلك المشط لها شعر اسود

الفصل العاشر

سر غرفة الموسيو بلاك

ثم ذهبنا رأسًا الى منزل الموسيو بلاك ولدى السؤال عنه من كبير الخدم اجاب انه على المائدة وعنده اناس للعشاء ولكن يمكنني اذا رغبتما ان اخبره بمجيئكما

قال الموسيو كريس لا فائدة من ذلك والاصوب ان ننتظره فانحنى الخادم امامنا ثم تقدمنا في الرواق وفتح لنا بابًا لقاعة صغيرة بديعة مزينة بطنافس وستائر حمر ثم اتجه الى قاعة الطعام وقال اني ذاهب لاعلم سيدي بحضوركما

فجعلت أُدير كرسيًا فاخرًا بجانب رئيسي وقلت لا اظن ان نهاية العشاء تكون موافقة

للموسيو بلاك كبدايتو ثم سالته هل تظن انه يترك ضيوفه ويأتي لمواجهتنا

اجاب لا اظن ذلك لان الموسيو بلاك اذا صدق بكري مجبول على العظمة والتشامخ ولا يمكن ان يستدل على فلقوا لباطني بشيء من المظاهر الخارجية

قلت ان هذا كله لا يمنع خوفي من المشهد المتوقع حصوله الان

فالقى الموسيو كريس نظرا على الجدران المزخرفة والاثاث الفاخر الثمين المزينة به القاعة الصغيرة وقال الحق معك

وفي تلك الساعة دخل خادم يحمل صينية عليها فنجاني وانقداح وضعها على طاولة صغيرة بجانبينا وقال ان الموسيو بلاك يهديكم تحياته ويقول ان المنزل منزلكما وهو سيحضر لمقابلتكما عندما يتيسر له ذلك

فتمتم الموسيو كريس الفاظا غير مفهومة وارسل نظرة غريبا الى تمثال من الخزف البديع مزينة به الموقدة وكنت قد مددت يدي الى احدى القناني فتوقفت لهذه النظرة ولا اعلم لماذا

قال الموسيو كريس الاوفق ان نمتنع عن معاقرة عقاره وهكذا حصل فانا بقينا هنالك اكثر من نصف ساعة نسمع جلبة الاصوات وقهقهات الضحك الصادرة من قاعة الطعام وتكتكة الساعة الكبيرة ثم نهض اخيرا المدعوون عن المائدة ومروا امام بابنا بطريقهم الى القاعات الكبرى وكانوا جميعا من نخبة الهيأة الاجتماعية ومن جنس الرجال لان منزل الموسيو بلاك كان محظورا دخوله على النساء

وعندالنظر الى هذه المسرات القلبية الناشئة عن علائق المودة وجودة الطعام تزايد وجه الموسيو كريس اكفهرارا وجعل يلعب بعصاه وهو بشاغل فوق العادة ثم دخل الموسيو بلاك بعد مرور المدعوين الى القاعة الصغيرة التي كنا فيها واخذ يستعذر منا عن عاقته فنهض الموسيو كريس لتحيته بملامح من العزم والثبات علمت منها اقتداره على منا ومة ذلك الرجل المهيب

وعند ذلك قال الموسيو بلاك وهو يلقي بطرف اعتنائه الى ورقة الزيارة التي في يده لقد حضرت لمواجهتي يا سيدي في ساعة فوق العادة فما الغاية من زيارتك يا ترى هل المراد بها امور سياسية

فنظرت اليه متمهلا وقلت في نفسي الطعلة يمثل رواية او قسينا حقيقة اما رئيسي فاجابه قائلا انا لم نحضر لامور سياسية يا سيدي بل لامور اخرى لا تنقص عنها اهمية فهل يحسن لديك اصدار امرك باقفال هذا الباب

فظهر على الموسيو بلاك لذلك مظاهر الدهشة ولكنه اجابه سريعا الى هذا السؤال ثم تامل

الموسيو كريس جيداً من قريب وقال بلهجة متغيرة اظن ياسيدي اني نظرتك قبل هذه المرة

فانحنى الموسيو كريس امامه متبسماً وقال نعم تشرفت بمحادثتك في نفس هذا المنزل

وعند ذلك تنبهت تذكرات الموسيو بلاك فعاود الحديث رافعاً اكتافه كالعادة وقال نعم تذكرت الان انك تبحث على خياطة اختفت من منزلي منذ بضعة ايام فهل وجدتها

قال الموسيو كريس بخطارة اظن ذلك فان النهر ياسيدي يقذف احياناً فريسته

قال تعني بهذا انها غرقت يسوءني كثيراً ان تندفع فتاة خارجة من منزلي الى مثل هذا اليأس فما هو السبب الذي حملها على ذلك يا ترى

فتقدم الموسيو كريس خطوة الى الامام وقال بثبات واحترام ان الغاية الوحيدة من مجيئنا في هذا المساء لزيارتك يا سيدي انما هي الرغبة بالاطلاع على هذا السبب وحيث انك نظرتها من اجل قريب يمكنك ولا ريب ان تلقي اشعة من النور على ذلك السر الخفي المتعلق بها

قال العفو ياموسيو كريس اظن اني قلت لك قبل الان اني لا اتذكر ولا بوجه من الوجوه هذه الفتاة لاني كنت اجهل وجودها في بيتي ومن العبث سوالي بخصوصها

فعاود الموسيو كريس الانحناء وقال نعم اتذكر كل ذلك واذا ما سالتك عن وجود شيء من العلائق بينك وبين السيدة اميلي اثناء وجودها في بيتك بل عن الحادثة التي نعلم يقيناً انها تبادلت بينكما في بروستريت منذ ثلاثة او اربعة ايام . اعن هذه الحادثة حصلت بينكما اليس كذلك

فصبغ وجه الموسيو بلاك وكان قد بقي بلا تأثر الى ذلك الحين بحمرة الدم القاني وصاح الحذار لنفسك لقد تجاوزت الحدود ثم امسك فجأة عن اتمام الحديث

ولم يكن الموسيو بلاك من اصحاب الحدة فتلطف غضبه سريعاً واستتبع حديثه بسكينة وقال صحيح اني نظرت وتكلمت مع فتاة فقيرة في بروستريت ولكن كنت لا اعرف وقتئذٍ ان هذه الفتاة دخلت منزلي والان لا اسلم بصحة هذه الدعوى مالم تويد ببراهين قوية ثم سأل بصوت عظيم رنان لقد سمحت اذن دوائر الحكومة بان تراقب حركاتي واعمالي الى هذه الدرجة حتى ان عملاً بسيطاً من مثل وقوفي في بعض الشوارع لمحادثة فتاة فقيرة مكدودة الحظ يقيد في سجلاتها كشيء مهم جدير بالملاحظة

قال رئيسي ان الرجل الوطني ياسيدي لا يجب ان يتعجب اذا ما ترقبه رجال الحكومة عندما ينبه

باعمالو الظنون للاشتباه به

فشد بعنق على قصته وشخص بنظره الى الموسيو كريس ثم التفت اليّ وقال تعني بقولك هذا ان رجال البوليس تابعوا خطواتي

اجاب الموسيو كريس بلطف نعم ياسيدي حيث لم يكن في الوسع الاّ اجراء ذلك

فارسل اليّ الموسيو بلاك نظرًا طافحًا بالغضب وسال في نيويورك وفي الخارج

فاجابه عني الموسيو كريس وقال علمنا انك حاولت اخيرًا مشاهدة اللصين الالمانيين شوغما كيبر

فتنهد الموسيو بلاك طويلاً ثم نظر بحزن الى صورة ابيه وسقط على مقعد بقربه وبعد برهة من السكوت قال ارجوك ان تصرح بظنونك

قال العفو ياسيدي ليس لي ظنون وما حضرت الاّ لاعلمك بوفاة الفتاة التي نظرت معك في بحر وستريت واسالك عما اذا كنت قادرًا على مدنا بشيء من الافادات التي تسهل مجاري العدالة

قال لا لعمري لا اقدر على شيء من هذا ولكن من اللازم ان تعرف انت بعد هذه المراقبة لماذا ترافقت مع هذه الفتاة وغيرها ايضًا ولماذا ذهبت الى مسكن اللصين شوغما كيبر و . . . ثم قطع حديثه وسال بخشونة هل نعرف اسباب ذلك

ولم يكن الموسيو كريس من الرجال الذين يتورطون في المجاوبة على مثل هذا السوال فتامل قليلاً خاتم الموسيو بلاك المرصع بفص كبير من الياقوت الثمين وقال بلطف اني بتمام الاستعداد لاستماع ايضاحاتك

فظهر على وجه الموسيو بلاك ملامح الخشونة وقال فاذن انت معتقد ان لك حق بطلب هذه الايضاحات هل لك ان تصرح بالاسباب التي خولتك هذا الحق

قال الموسيو كريس لا باس ان اصرح لك بهذه الاسباب وان تكن مصلحتي لا تلزمني بذلك واظهر لك بصفة كوني معتمدًا للبوليس حقي بالدخول الى منزل رجل من اصحاب المراكز السامية في الحياة الاجتماعية كحضرتك والسوال منه عن اعماله الخصوصية . افترض ياسيدي انك وجدت يومًا في دائرة البوليس وان كبيرة خدم احد الوطنيين الحاصل على احترام الجميع حضرت الى الدائرة المذكورة واخبرتنا ان فتاة مستخدمة في المنزل بصفة خياطة اختفت امس ليلاً وانها تفكر بالاستناد الى بعض الادلة انها تسلّلت عنوة من النافذة ثم ظهر ان المرأة المذكورة في حال غريبة من الهياج وهي تطلب بالحاجة مساعدة البوليس معترفة انه لا يوجد بينها وبين هذه الفتاة

شيء من القرابة ولكن يوجد كثير من الحب والمودة ونوكد بلزوم ايجادها ملمحة الى دفع مبالغ وافرة جائزة لمن يجدها الا انها لا تصرح بمصادر هذه الاموال التي تعد بها بعد نفاذ اموالها الخاصة وعند ما تسأل عما اذا كان سيدها مطلعًا على هذه الحادثة يتغير لونها وتضطرب وتقول انهُ لا يهتم بامر الخدم وانهُ متخلف لها عن ادارة المنزل المطلقة ثم تظهر عليها سمات الخوف الشديد متى عرض عليها مفاتحة سيدها بامر هذا الاختفاء الغريب

افترض ايضًا ياسيدي انك ذهبت مع معاوني البوليس الى منزل الرجل العظيم الذي حصلت فيهِ هذه الحادثة وانا دخلنا سوية الى غرفة السيدة اميلي وهو اسم الفتاة المفقودة فوجدنا اولا ان هذه الغرفة من احسن غرف المنزل وهي مزينة بالاثاث الفاخر ثم منتشر في جهات متعددة منها كتب من افضل المولفات وبيانو وموسيقى والخلاصة ان كل شيء في تلك الغرفة يدل ان الفتاة التي تسكنها ليست من النساء العاديات وانها امرأة من اصحاب المراتب العالية وقد صادقت على ذلك ايضًا بعدئذٍ السيدة دانيال كبيرة الخدم ثم يظهر من بعض الاحوال ان السيدة اميلي ذهبت حقيقة من النافذة ولكن ليس من الواضح انها ذهبت رغمًا عنها ومع ذلك فالسيدة دانيال توكد بطريقة غريبة انها شلت قوة والذي يرجح صحة هذه الدعوى وجود الستائر ممزقة وآثار الدم

ثم لدينا ايضًا تفصيلات اخرى فانا وجدنا سكينًا صغيرًا بقبضة من صدف في المدار تحت النافذة ولا ريب ان هذا السكين هو الذي استعمل لفتح الجروح التي سالت منها نقط الدم والاعجب انهُ جزء من الادوات المزينة بها محفظة الكتب التي وجدت مفتوحة في غرفة السيدة اميلي فيثبت من ذلك انها هي التي استخدمتهُ ضد اعدائها حيث لا يمكن ابدًا ان يتنازل الرجل الى استعمال هذا السلاح الضعيف ثم اكدت السيدة دانيال فضلاً عن ذلك ان الناشلين كانوا اثنين لانها سمعت اصواتهما في وسط الليل

فمثل هذه الحوادث ياسيدي تنبه الفضول ولا سيما عندما يتظاهر صاحب المنزل بعدم الاهتمام مطلقًا في هذه المسألة ويلوح على كبيرة خدمه انها تخشى كثيرًا وجودهُ في الغرفة اثناء زيارتنا وفضلاً عن هذا فان كل اشارة من اشاراتهِ وكل كلمة من كلماتهِ تشف عن حزن عميق

وعند هذه الكلمات ارسل الموسيو بلاك الى الموسيو كريس نظرًا مستفهمًا هو فلم يبال بهذا النظر واستمر على حديثهِ فقال نعم ان كل هذا ينبه الفضول ويستلزم البحث وعند البحث تتولد من هذه العوارض اشياء اخرى فان صاحب المنزل كان في جبنتهِ حين انشال الفتاة

وقد تظر ايضاً من خلال الشعرية عندما تخلصت من مغتصبيها وجاءت الى تلك الناحية بقصد الرجوع الى المنزل ولكنها عند رؤياها خدها خوف وفرت راجعة الى نفس اولئك الرجال الذين حاولت اولاً التخلص منهم

ثم سأل فجأة الموسيو كريس وهو ينظر بهيأة خطيرة الى حذائه هل كلمتها وقتئذ يا سيدي

فابدى الموسيو بلاك اشارة السلب وهو في حال شديدة من التاثر بهذه الادلة التي الحمة بها رغيسي ثم استتبع الموسيو كريس الحديث وقال ان البحث كشف لنا على نحو من قضيتين او ثلاث قضايا اخرى مهمة فمن ذلك ان صاحب المنزل المشار اليه لا يحب الاجتماع بالنساء بل بالعكس يتجنبهن ويبتعد عنهن وانه يقضي قسماً من اوقاته متجولاً في اقبح شوارع نيويورك المظلمة القذرة حيثما نظر مراراً يتحادث مع بنات من ذوات المعيشة الرديئة ثم يوجد ما يحمل على الظن بالاستناد الى بعض السمات ان هذه البنية التعيسة التي تحادث معها اخيراً هي نفس الفتاة التي اختفت من منزله . . . .

فصاح الموسيو بلاك بسلطان مستحيل ذلك لقد اخطأت في هذا الظن

فسأل الموسيو كريس ولماذا

قال لان الفتاة التي تلمح اليها بحديثك لها شعر جميل ذهبي بخلاف الفتاة التي نشلت من منزلي

قال صحيح كنت ظاناً يا سيدي انك لا تعرف الفتاة التي نشلت من منزلك وانك لم تنظر شعرها ولم تلاحظه

اجاب لو كان لها شعر اشقر بلون الذهب لما امكن الا ان انظره والاحظه

فتبسم الموسيو كريس ثم فتح جزدانه واخرج بعض شعرات وقال هذا مثال منه الا ترى ان لونه نادر كالذهب وانه لا يفرق شيئاً عن شعر الفتاة التي رافقتها في تلك الليلة

ففحص الموسيو بلاك على المشعرات بتلهف ثم ضمها الى صدره وصاح اين وجدتها

قال وجدتها في المشط الذي امتشطت به السيدة اميلي ليلة اختفائها

فرنا الموسيو بلاك الى الارض ثم حملق عينيه بالموسيو كريس وقال انا نضيع الوقت بالباطل لان كل ما قلته لا يسوغ حضورك لمنزلي ولا اسباب معاملتك وانا لست من الرجال الذين يلعب بهم فما الذي تخفيه عني

وعند ذلك حول الموسيو كريس اليّ نظره سريعاً ثم نهض وقال الحق معك و . . . هل

تريد ان اكمل

قال نعم يجب ان تستوفي حديثك الى النهاية حيث لا اظن بوجود ما يستحق بهذا الحديث فما عندك من الاقوال بخصوص سري لمقابلة اللصين شونا كبر

فهزّ الموسيو كريس رأسهُ بهيأة خطيرة

قال الموسيو بلاك ماذا . . هلا تريد التكلم عن هذا السر

اجاب اني ما حضرت هنا للبحث عن اسرار لا علاقة لها بالفتاة المكلف بايجادها

قال الموسيو بلاك فاذن من العبث اطالة هذه المواجهة لاني سمحت لك وشجعتك على التصريح بجميع الظنون التي داخلتك من نحوي علمًا مني ان اعمالي منذ بضعة ايام كانت بمظاهر غير عادية يستغربها كل من يجهل سرها ولكن حيث صرحت الان انك لا تريد التداخل على الاطلاق بخلاف الامور المتعلقة بالفتاة التي فقدت من منزلي فاكرر لك القول بلزوم الانقطاع حالاً عن هذه المحادثة العقيمة حيث لا اعرف هذه الفتاة كما قلت لك وليس في اشاراتي واعمالي في هذه الايام الاخيرة ما يتعلق بها على الاطلاق

قال الموسيو كريس فاذن انت تنكر كل علاقة بينك و بين المرأة او السيدة او الخياطة التي اقامت احد عشر شهرًا في الغرفة الجميلة من الطابق الثالث الذي تشرفت بمشاهدتك فيهِ للمرة الاولى

قال الموسيو بلاك بعظمة ليس لي عادة ان أثبت الشيء الواحد مرتين

فانحنى الموسيو كريس واخذ قبعتهُ وكان عرضة للاضطراب الشديد ثم تمتم بصوت خائر اني متأسف . . . . ولكنهُ عاد فجأة الى الانتصاب بمنتهى قامتهِ وارجع القبعة الى جانبهِ وقال اني احترمك كثيرًا ياحضرة الموسيو بلاك وكان بودي ان افارق منزلك بدون ان اصرح لك بما يثقل عليَّ ويخنقني ولكن لم يعد في وسعي السكوت لان واجبات مصلحتي تلزمني وتلزمك بالايضاح يومًا ما ولربما في مكان لا يكون انسب من هذا المكان لمثل ذلك فاعلم اذن انهُ لا يمكنني ان اصدقك ياسيدي عندما توكد لي انك لا تعرف الفتاة التي فقدت من منزلك

فاظهر الموسيو بلاك سمات الاحتقار وقال بصوت خشن لا انكر كونك جسورًا ولكنك خالٍ من الحكمة

ثم تناول قبعة الموسيو كريس عن المقعد ودفعها اليهِ

فاحتج رئيسي على هذه المعاملة وقال العفو ياسيدي ولكن قبل ذهابي اريد ان أؤيد عدالة ظنوني بالعمل والامل ان تتنازل لاعتباري حينئذٍ كامور من اصحاب الذمة والشرف ثم قال

هل تريد ان نصعد الى غرفتك لأريك ثمة عياناً من الادلة الدامغة ما يثبت يقيناً اني لست غمراً ولا وقحاً

وكنت لا اظن ان هذا الطلب يصادف قبولاً من صاحب المنزل المتعظم ولهذا تعجبت عندما رأيته مدهوشاً ومنتصراً على هذا الجواب انا وغرفتي جميعاً تحت اوامرك ولكن لا يمكن ابداً ان نجد ثمة ما يؤيد مدعاك

قال الموسيو كريس دعني اجرب

فتبسم الموسيو بلاك بمرارة واتجه نحو الباب ثم اشار باصبعه الي وقال يمكن معاونك هذا ان يصعد معنا حيث على فرض انتصار دعواك يلزمك شهود

فتبعتهما مسروراً بهذه الرخصة لان فضولي كان قد بلغ وقتئذٍ منتهى حدوده وكان من السكينة والعظمة اللتين اظهرهما الموسيو بلاك ان خشيت على الموسيو كريس من الخيبة وكنت لا اعلم كيف يستطيع النهوض من هذه السقطة اذا زلت قدمه وخابت ظنونه

ولكن بعد دخولنا الى الغرفة اضمحلت شكوكي حيث لا يمكن ان ينظر احد الى هيأة الموسيو كريس وقتئذٍ ولا يتاكد اعتقاده بالفوز لان السر الموجود في تلك الغرفة من شأنه ان يوضح ويؤيد على التصرف فانه ارسل الى ما حوله نظرة لا تترجم عنه الافكار ثم انتصب بدون ان يلفظ كلمة امام الصورة التي مر معنا ذكرها وانها الزينة الوحيدة لهذه الغرفة

وعند هذا المشهد اخذ الموسيو بلاك الذهول وقال بخشونة ان هذه هي صورة ابنة عمي الكونتيسة دي ميراك

فانحنى الموسيو كريس وبقي ينظر الى الموسيو بلاك عدة ثوان بهيأة مشوشة ثم تقدم خطوة الى الامام وقلب بسرعة الصورة فظهر مرسوماً على الجهة الثانية منها صورة امرأة بجمال غريب لا يعبر عنه اللسان فهي ببشرة مصفرة بلون العاج وجبين ساحر واعين زرق كالفيروز والاغرب انها بشعر اشقر ذهبي لامع

فصاح الموسيو بلاك بصوت خشن ما هذه الجسارة

وعند ذلك التفت اليه فاذا هو ينظر الى رئيسي باعين تتطاير منها شرار الغضب والتهديد اما الموسيو كريس فبقي واقفاً مكانه بظاهر الانتظار واصبعه موجه الى الصورة

ثم استتبع الموسيو بلاك كلامه وقال كنت لا اظن انك تظهر مثل هذه الوقاحة . . انا . . انا . . .

ومن الغريب ان هذا الرجل تغير وقتئذٍ تماماً وظهر عليه التردد والاضطراب فتحبت شفتاه

وارتعشت يداهُ ولم يعد فيهِ اثر من ذلك الرجل الشريف المتعظم المحتقر الذي كان يخاطبنا بخشونة منذ عدة دقائق

قال الموسيو كربس باحترام اوضحت لك رغبتي بتأييد عدالة ظنوني وهذا تأييدها . هل نظرت الى لون شعر المرأة المتجهة صورتها على الدوام لجهة الحائط اجب هل يشبه او لا لخصلة الشعر التي كانت في يدك منذ هنيهة واني احلف لك بشرفي اني وجدتها في مشط الفتاة المسكينة التي اختفت من منزلك ثم ليس هذا هو كل ما عندي من البراهين انظر ايضاً الى ثياب هذه المرأة في هذه الصورة فهي تلبس ثوباً ثميناً من الحرير الازرق الناصع وزيقاً مريناً باحسن الزراكش ودبوساً غريباً ثم ضمة من الورد هل نظرت جيداً كل ذلك . . تكرم بالمجيء معي الى فوق

وكان الموسيو بلاك اذ ذاك قد وهن عزمهُ وصار مطيعاً كالولد الصغير فتبع الموسيو كربس الذي صعد امامهُ بسكينةٍ واستحقاق الى غرفة السيدة اميلي المهجورة وعند دخولهِ اشعل الغاز ثم فتح جارور الخزانة وقال بصوت خطير ادعيت ياسيد باتني اهنك عندما قلت لك لا اقدر ان اصدق انك لا تعرف ابداً السيدة اميلي فهل تبقى مصرّاً على هذا الانكار بوجود هذه الادلة

ثم رفع بجدة المحرمة البيضاء المبسوطة على وجه الجارور بما كشف عن ثوب الحرير الازرق والزيق المزركش والدبوس الغريب والورد الذابل وقال ان السيدة دانيال اكدت لنا ان هذه الثياب تخص السيدة اميلي وانها احضرتها معها فهل تجسر ياترى على القول عنها انها غير الثياب التي رأيناها في الصورة منذ هنيهة

فصدر صوت حزين من شفتي الموسيو بلاك ثم سقط جاثياً على ركبتيهِ امام الجارور وصاح متلهفاً اه يا الهي اه يا الهي ما هذه الاشياء

وبعد هذه التلهفات نهض فجأةً بملامح الاضطراب الشديد وجعل يقرع الجرس بعنف ولدى ظهور فاني على الباب قال ابن السيدة دانيال ارسليها حالاً الى هنا فمن اللازم ان اراها في هذه الساعة

قالت الخادمة ان السيدة دانيال قد خرجت يا سيدي بعد العشاء فاظهر العجب وقال خرجت . في مثل هذه الساعة

قالت نعم ياسيدي فهي تخرج غالبًا في السهرة منذ بضعة ايام

قال ارسليها اليَّ في حال رجوعها ثم عاود النظر الى الامتعة الموجودة في الجارور وبهيأة من القلق يستحيل ايضاحها وتمتم قائلاً لا اعلم المراد بكل هذه الاشياء ولا اقدر ان اوضح لكما كيف وصلت هذه الامتعة الى هذا المكان ولكن اذا ردتما الرجوع معي الى غرفتي ابذل كل ما في

امكانني الا ان اتكلم باشياء اخرى نعم يسوؤني كثيراً ان ابوح باسراري ولكن الحوادث لسوء الحظ تفاقمت وما عدت قادراً على حفظ اسراري الخصوصية لنفسي

الفصل الحادي عشر

لوترا

وعندما عدنا الى الاجتماع في غرفته بدأ الموسيو بلالك الحديث فقال لقد ظننتما ولا انكر ان ظنكما مؤسس على بعض الظاهر المعقولة ان صاحبة هذه الصورة والخياطة التي اقامت في منزلي هما شخص واحد ولكن لا تلبث ظنونكما ان تتغير عندما تعلمان بهذا الحادث الغريب وهو ان هذه الصورة هي صورة زوجتي

البقية تأتي

اخبار واكتشافات واختراعات

طريقة حديثة لفحص كبريتات الكينا

يمزج مزيج من خمسين سنتيغراماً من كبريتات الكينا في عشرة غرامات ماء لدرجة الغليان ١٠٠ او يضاف الى ذلك حالاً خمسة عشر سنتيغراماً من كرومات البوتاس الاصفر ثم يخضخض جيداً ويترك للراحة مدة اربع ساعات وبعد ذلك يرشح ويضاف الى المرشح الصافي نقطة من سيال الصودا الكاوي فاذا كانت كمية الاملاح الغريبة (كبريتات السنكونيدين او كبريتات السكينيدين) الموجودة في كبريتات الكينا هي اكثر من غرامين في المائة يظهر في السيال راسب بحال اضافة الصودا او قبل مرور ساعة من اضافته

ثم يوجد طريقة اخرى قريبة من الاولى ولكن يعوض فيها عن كرومات البوتاس الاصفر باوكسلات البوتاس وذلك ان يغلى مقدار غرامين من كبريتات الكينا في خمسة وخمسين غراماً من الماء مدة بضع دقائق ثم يضاف الى ذلك خمسون سنتيغراماً من اوكسلات البوتاس مذوبة في خمسة غرامات ماء ويضاف الى المزيج كله مقدار من الماء الى ان يبلغ وزن الجميع سبعين وستين غراماً ونصفاً ثم يوضع في حمام مائي لا تزيد درجة الحرارة فيه عن ٦٠ سنتيغراداً مدة نصف ساعة مع وجوب المحافظة على هذه الدرجة من الحرارة ونكرر خضخضة المزيج من وقت الى اخر وبعد ذلك يرشح ويضاف الى كل عشرة غرامات من السيال نقطة من سيال الصودا الكاوي وقد يمكن بهذه الطريقة معرفة الاملاح الغريبة لحد الجزء الواحد في المائة جزء

فلاح روسي

ذكرت الجرائد الاخيرة عن وفاة فلاح روسي له شان مهم في التاريخ وهو الرجل الذي قاد نابليون الاول من موسكو الى تخوم المانيا توفي في قرية صغيرة من بفاريا في السنة التاسعة والتسعين من عمره وقد حافظ الى الساعة الاخيرة من حياته على الذهب الذي اعطي له من الامبراطور الفرنساوي بمناسبة ذلك وقيمته ٤٠ فرنكا .

منابع المياه الحارة في يوكاري بانيا

ذكر عن رسالة من صوفيه ان منابع المياه الحارة في يوكاري بانيا من البلغار نضب ماؤها ويخشى من حدوث زلازل على اثر ذلك حيث لا يذكر البشر ان هذه المنابع طرأ عليها قبل اليوم مثل هذا الطارئ .

علاج لمرض السل

يستفاد من الجرائد الاميركية ان الدكتور لانشلين كبير الاطباء في مستشفى فلادلفيا اكتشف على علاج عجيب لم يسبق له مثيل في السجلات الطبية فانه شهد شفاء ثلاثين مصدورًا في الدرجة الاخيرة من السل الرئوي وذلك بواسطة حقن الحامض الكاربونيك وقد صرح زملاؤه في المستشفى المذكور ان هذا العلاج هو الترياق الشافي لهذا المرض ونحن نستلفت انظار اطبائنا الى هذا العلاج المهم ونأمل ان يتكرموا علينا باراءهم وبما يكون من نتيجة اختبارانهم في هذا الموضوع

تظاهر بعض طلبة العلم

اجرى طلبة الهندسة في مدرسة الفنون البارزية تظاهرًا عدوانيًا ضد احد المدرسين فطافوا افواجًا في شارع سين ميشيل الحان يلغوني الجسر وكان يتقدمهم اثنان يحملان على رمح طويل رأسًا اصطناعيًا للمدرس المذكور وعند وصولهم الى النهر لفظوا خطبًا حماسية ثم طرحوا الراس بغيظ الى اعماق المياه

باريز اسكلة بحرية

لهجت الافكار كثيرًا في فرنسا لجعل باريز اسكلة بحرية وقد تكلم اخيرًا في هذا الموضوع الموسيو امبل لابادي وهو يرى اتمام ذلك بفتح خليج من الهافر الى باريز يمتد في وادي السين ويكون عرضه ٨٥ مترًا وان ينشا مرفاء لخمسين مركبًا تلجأ اليه عند اشتداد الانواء وتكون نهاية هذا الخليج عند سهل جينفيليه حيثما تشيد هنالك الاسكلة البحرية وقد تعدلت مصاريف هذا المشروع بمليار من الفرنكات بما فيه ثمن الاراضي اللازمة لذلك

قال الموسيو لابادي ولا حاجة للتصريح بمقدار اهمية هذا الخليج وفوائده التجارية للعاصمة الفرنساوية اما من جهة الدفاع العسكري فقد يسهل به التوصل الى ادخال المؤن والذخائر

الى المدينة بما يعزز قواها ويجعل اخذها من المستحيلات

الدفن المدني

قرر المجلس البلدي في مقاطعة ايزير من فرنسا ان يستعاض عن الاجراس في الدفن المدني بإطلاق البارود وان يطلق ثلاث طلقات للرجل وطلقتان للمرأة وطلقة واحدة للولد الصغير

حق الرجل بفض تحارير زوجته

عقد المحامون في مدينة باريز جمعية خاصة لحل هذه المعضلة وهي هل يجوز للرجل ان يفض التحارير الخصوصية المتعلقة بزوجته واجمعوا بهم اخيرًا على ان للرجل الحق المطلق بفض هذه التحارير فاستاء لذلك الجنس اللطيف وبعزز سيرفع الى مقام اعلى من اصلى حربًا عوانًا ضد هذا القرار

الزلازل

لا يخفى ان الزلازل لا تزال مجهولة الاسباب الى الآن وقد تضاربت بخصوصها آراء العلماء وكثرت مباحثهم في هذا الموضوع بالنظر الى ما حصل اخيرًا من تعدد الزلازل في ايطاليا وجنوبي فرنسا وقد اكد الموسيو دي بارفيل في مقالة علمية نشرها اخيرًا ان للقمر تأثيرًا في داخلية الارض كتأثيره في البحر ولا يزال هذا الراي موضوعا للبحث في المجمع العلمي الفرنساوي

بنادق لا تضر

اكتشف الموسيو ادوار فيليب على طريقة لاطلاق البنادق مصوبة الى صدور الناس بدون ان تضر على الاطلاق وهي ان يستعاض عن البارود بمركب آخر ممزوج بقليل من الغولبنات وقد يرى لهذا المركب عند اطلاقه نار حمراء ودخان لطيف سريع الزوال ولا يفرق شيئًا بصفاته عن البارود ولكنه لا يجرح ولا يحرق وهذا الاكتشاف مفيد جدًا للتمرينات العسكرية وللالعاب والروايات وقد تقرر استعماله في الاوبرا الفرنساوية

حاسة الشم

اجمع الراي العام ان احساسات النساء اشد تنبهًا ودقة من احساسات الرجال ولكن ظهر اخيرًا بالتجارب ان حاسة الشم وحدها في الرجل اقوى منها في المرأة وهذا الامتياز لا يحق للرجال ان يفتخروا به على الجنس اللطيف لان هذه الحاسة تشتد غالبًا في المراتب السفلة من مراتب الانسان المدنية وتوجد بقوة غريبة في الحيوانات اما في الحشرات فشديدة جدًا الى حد انها تغلب فيها على بقية الحواس وتقوم منها مقام النظر والسمع من الانسان ثم تشتد ايضًا في بعض انواع السمك وفي الكلاب وقد تختلف في الانسان باختلاف اجناسه وانواعه ومن راي هو مبولد ان الهنود يقدرون على تمييز الاشياء

شهيرة من مغنيات الافرنج

افادت الجرائد الاخيرة ان المغنية الشهيرة لانيلسون تزوجت الكونت دي ميراندا وقد ولدت هذه الفتاة من ابوين فقيرين من الفلاحين في اسوج ولكنها اشتهرت اخيرًا شهرة عظيمة فاحرزت السبق والتقدم على رصيفاتها ونالت الحظوة عند الملوك والعظماء فلم يبقَ احد من رؤساء الحكومات الا اتحفها بوسام او شيء من علامات الشرف بحيث لو ارادت ان تتزين بكل ما عندها من النياشين لما وسعها صدرها وعند ذهابها اخيرًا الى بلادها اسوج وتزوج مع الموسيو ستراكوف احتفل مواطنوها باستقبالها احتفالاً عظيمًا واطلق لها مائة مدفع ومدفع اجلالاً لشانها ولما سافرت سنة ١٨٧٠ الى اميركا بلغ مدخولها اليومي ثلاثين الف فرنك وجمعت في الشهور الستة الاولى من اقامتها هنالك ما ينيف عن ستة ملايين فرنك او ثلاثمائة الف ليرا فليتأمل

الصيدلة

حضر من الاستانة في هذه الاثناء جناب الصيدليين الماهرين المتفننين جرجس افندي طنوس عون ومسعود افندي الحيمري محوبين بالشهادة الرسمية التي تصرح لها معاطاة فن الصيدلة في الممالك المحروسة الشاهانية وكلاهما من اصحاب البراعة وسعة العلم الحاصلين على ثقة الجمهور فنهنئهما بذلك

وقد ورد في رسالة من الاستانة ان جناب الاديب البارع داود افندي نحول احرز الشهادة الاصولية المرسمية (دبلومه) ولا بدع فهو من نجباء الفضل والادب المتاقرين بسعة الاطلاع وقد تلقن واكمل دروسه القانونية منذ خمس عشرة سنة في المدرسة الكلية الاميركانية ونال الدبيلومه المدرسية فنحصه خالص التهنئة بهذا الفوز الجديد

مدرسة البنات السورية الانجيلية

في مساء ٦ الجاري احتفلت مدرسة البنات السورية الانجيلية بتذكار السنة الخامسة والعشرين من تاسيسها فغص المكان بالمدعوين والمدعوات وهم جميع اللواتي علمن وتعلمن في هذه المدرسة مع ازواج المتزوجات منهن ثم تناوبت فيه الخطب فتلا جناب الدكتور هنري جسب خطابًا نفيسًا رحب به بالحاضرين ثم تلاه جناب العلامة ابرهيم افندي الحوراني وقرأ خطابًا بالنيابة عن السيدة الفاضلة سلمى طنوس وبعد ذلك القى الدكتور بوست خطاب الوداع

وفي مساء اليوم الثاني احتفل بتوزيع الشهادات على اللواتي اكملن دروسهن القانونية في هذه المدرسة فتليت الخطب النفيسة من بعض الافاضل ثم وزع جناب العالم الفيلسوف الدكتور كرنيليوس فانديك الشهادات

المذكورة على مستحقاتها وعند نهاية الحفلة ارتجل الدكتور زخور افندي العازار خطاباً اثنى فيه على المدرسة وذويها ونحن نشاركه في هذا الثناء ونأمل لها دوام النجاح والترقي

المرفاء

ذهب جناب السري اللبيب الوطني يوسف افندي مطران منذ مدة الى الاستانة العلية يسعى للحصول على الامتياز ببناء مرفاء امين لمينا بيروت وقد طالعنا اخيراً في جرائد الاستانة ما يستفاد منه ان الاستدعاء المتقدم من وطنينا الموما اليه الى نظارة النافعة الجليلة بهذا الخصوص تحررت عليه الشروط اللازمة ورفع الى الباب العالي فبتنا نتوقع صدور الامر الكريم بتحقيق هذا المشروع المهم الجزيل المنافع

انارة بيروت بالغاز

لقد باشرت شراكة انارة بيروت بالغاز اعمالها بهمة تبشر بقرب نجازها وقد اتصل بنا انه حصل الاتفاق بين مجلس بلديتنا والشراكة المذكورة على ان تقدم الشراكة خمسمائة قنديل لانارة المدينة وان تدفع لها البلدية لقاء ذلك الفين ليرا عثمانية وذلك عن السنة الاولى حتى اذا انتهت هذه السنة تصير البلدية حرة فتجدد الاتفاق على الصورة التي تناسبها

آثار قديمة في صيدا

اكتشف في صيدا حديثاً على آثار قديمة جليلة القدر والقيمة وهي تتألف من تسعة توابيت وجدت اثناء الحفر في سهل الاياعة منها ثلاثة منقوشة ابدع نقش وثلاثة نقشها قليل وثلاثة بسيطة وكلها من الرخام الابيض الناصع البراق وطول هذه التوابيت نحو ثلاثة امتار بعرض مترين تقريباً وهي مكسورة من بعض جوانبها اما التوابيت المنقوشة فعلى الاول منها تماثيل نسوة باكيات وصور البدو والخيل وبعض صور صغيرة وتاج صغير دقيق الصنعة وعلى الثاني صورة فارسين يقبض الواحد منهما بيده على عنز والاخر على قوس ونشاب وصورة امرأتين متقابلتين لهما اجنحة الطيور وافخاذ وارجل الكلاب وامرأتين راكبتين على فرسين وعلى اكتافهما فلل الماء مجوفة وتحت ارجل الخيل امرأة مغمى عليها ثم صورة سريرين نصفها الاسفل على هيأة اسد ولبوة وصورة ثمانية من الفرسان واربعة من المشاة منقسمين الى قسمين متقابلين فالقسم الاول ثلاثة فرسان متجهة وجوههم الى جهة والرابع الى جهة اخرى وامامهم امرأتان وكذلك القسم الثاني وانما امامه رجالات وتحت ذلك اسد رابض وستة فرسان

وجميع هذه الصور بارزة ومجملة بنقوش الزينة الفاخرة العجيبة ثم يوجد في طرف غطاء هذا التابوت رفرفان بارزان نصف ذراع تقريباً وفي كل منهما اسد رابض وفاغر فاهُ اما التابوت الثالث فادق صنعاً من التابوتين الاولين وعلى جانبيه صورة وقائع وحروب دموية بين ثلاثين فارساً اسلحتهم النبال والرماح

والسكاكين وهي محفورة بصناعة غريبة تبلغ حد الاعجاز فيتصور الناظر كأنه يشرف على ساحة قتال حقيقية اما في جهة الراس فيوجد صورة فرسان ورجال ونساء ويشاهد على بعض التوابيت مراسح رقص بصور مختلفة تنيف على المائة صورة ويقال انه لم يشاهد مثلها في دار الآثار القديمة في فرنسا ولا في الاستانة العلية وانه لا يمكن تقديرها بثمن ولا ريب انها من افخر التحف التي تتزين بها معارض الآثار القديمة

التحفة الحميدية

هي محرك مائي اخترعه جناب وطنينا الاديب رفعتلو يوسف افندي سرمهندس جبل لبنان وقد احتفل باظهار حركته منذ اسبوعين في محل تركيب آلاته على الجناح في الساحل البحري من اراضي جبل لبنان والذي ظهر منه الى الآن انه يستخدم حركة البحر التي تظهر عند اشتداد هياج الموج لتحريك الآلات والاستعاضة بذلك عن الفحم الحجري اما فوائده فيقال انها تنحصر في الحاضر بادارة المطاحن والمعاصر القريبة من الشط وفلح الارض وغير ذلك والامل مصروف الى زيادة الانتفاع به في المستقبل فنرجو له النجاح

جمعية بولص الرسول الارثوذكسية

اذاعت جمعية بولص الرسول الارثوذكسية كراسا بانها لسنة ١٨٨٦ وهي السنة الرابعة من تأسيسها وقد ظهر من مطالعته ان مدخولها في هذه السنة بلغ ٢٨٠٥٦ غرشًا ومصروفها ٧٦٩٢ فيكون الباقي ٢٠٣٦٤ غرشًا تصرفها مع غيرها من صدقات المحسنين في سبيل العمل الخيري الذي انتدبت اليه

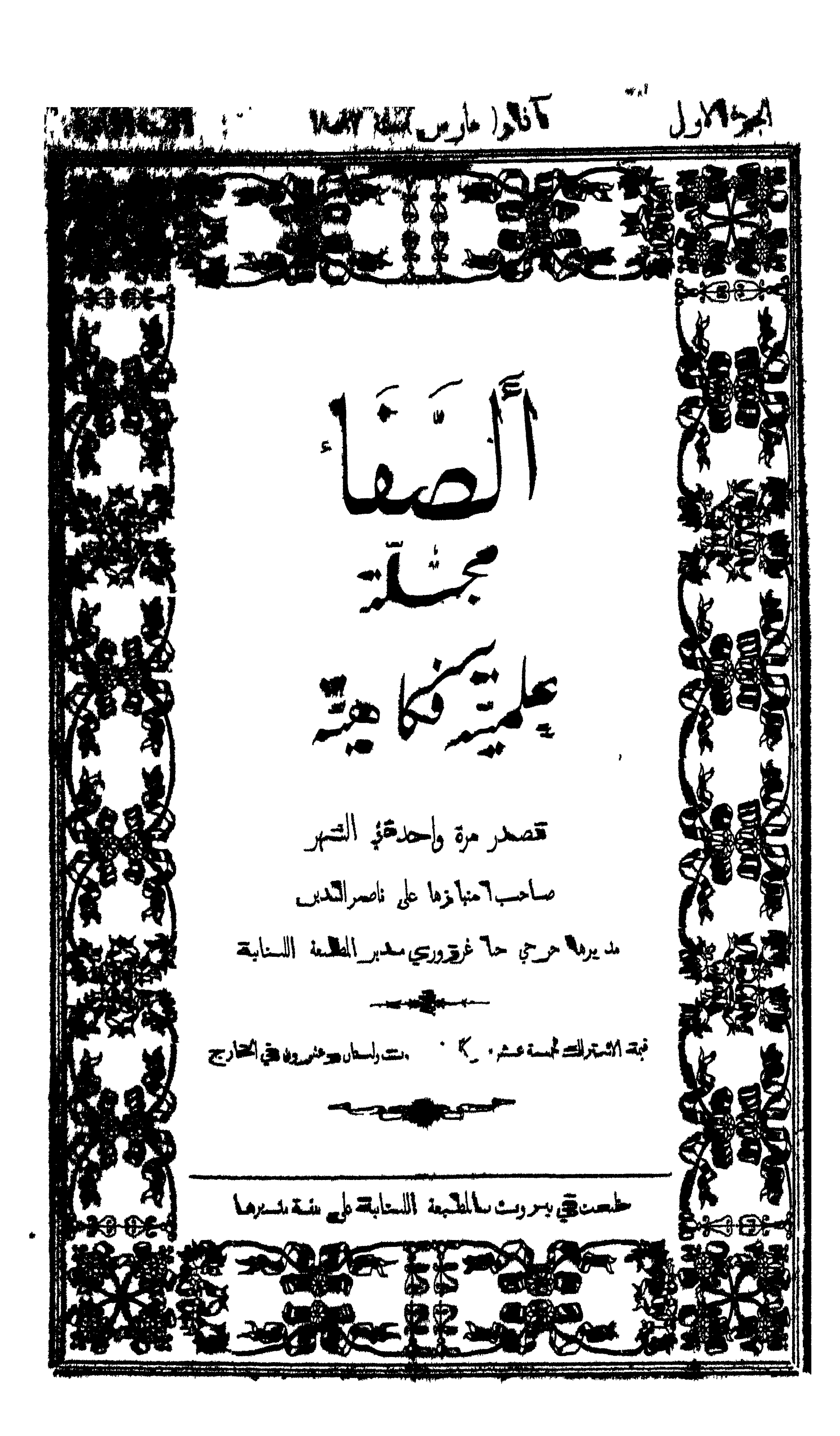
الخواطر في اللغة

اهدانا جناب الاديب الاريب جبر افندي ضومط نسخة من مؤلفه الخواطر في اللغة وهذا الكتاب يبحث في تصاريف الافعال والاسماء وما يعرض عليها مع ذكر الاسباب والتعليل عن اصل الزيادة الى غير ذلك من المباحث الصرفية التي تهم مطالعتها كل من يريد التعمق في فلسفة الصرف من ابناء اللغة فنشكر له حسن سعيه وناّمل لمؤلفه رواجًا

مختصر الغراماطيق الفرنساوي

اهدى الينا جناب الاديبين الافنديين خليل وامين الخوري صاحبي المكتبة الجامعة مختصر الغراماطيق الفرنساوي تأليف الاديب البارع المعلم يوسف افندي الحرفوش وهو كتاب جزيل الفائدة لطلبة اللغة الفرنساوية من المبتدئين ولا حاجة للاسهاب في ذكر فوائده فان براعة مؤلفه في اللغة الفرنساوية واصول التعليم تغني عن زيادة التبيان فنحض على اقتنائه

الجزء الاول   آذار ١ مارس سنة [illegible]



ألصفا

مجلة علمية فكاهية

تصدر مرة واحدة في الشهر

صاحب امتيازها علي ناصر الدين

مديرها جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

قيمة الاشتراك خمسة عشر [illegible] ت ولبنان وعشرون في الخارج

طبعت في بيروت بالمطبعة اللبنانية على نفقة مديرها



الجزء الاول من السنة الثانية

في ١ و١٣ آذار سنة ١٨٨٧ = الموافق ٨ جماد الثانية سنة ١٣٠٤

اعلان

بما ان اشتغالي الخصوصية لم تسمح لي الآن بادارة (جريدة الصفاء) فقد فوضت ادارة طبعها وتحريرها الى الجناب الاديب جرجي افندي جبرائيل عرموري صاحب المطبعة اللبنانية الكائنة في سوق الخواجات رعد وحاتم في بيروت التي هي من الان فصاعدا محل طبع وادارة الصفاء وبناء عليه فجميع التحارير والرسائل التي ترد برسم الصفاء ينبغي ان ترسل راسا لجرجي افندي الموما اليه وايضا يعتمد عليه وعلى المطبعة في كلما يختص بالاشتراك والدفع وخلافه

كاتبه

صاحب امتياز الصفاء

علي ناصر الدين

مقدمة السنة الثانية

بسم الله خير الاسماء

الحمد لله الذي بسط بآيات المنير احكام الظلام . وبث كتائب الغي بمناصل الاقلام . وانار أذهان الحكماء بمصابيح الصفاء وشموس الجلاء وايدهم بالذكر والفهم واصابة الرأي والعزم . وحلى بهم الغبراء كما رصع بالدراري الزرقاء . وسخر لهم الاحوال والطرق وذلل المشارق وفرحت المغارب عن المشارق

اما بعد فالعلم قوام الالباب وملاك الآداب . وصدر العقلاء . وحلي الحكماء . واس العمران وشرف الاوطان . وقوة السكان . ودفينا لمن لا الناس ومربع الخيرات . ومرتع المسرات . ومصنع المبرات . جنة يترقرق فيها معين النعيم ونسيم حياة من نسيم هجرته احياء بعض المشرق

فعادت امواتاً . ونشرت به ام المغرب بعد ان كانت رفاتاً . واجرت منه في تناثيها فراتاً . فغدت حزونها صحصاناً . وبلاقعها عمراناً . واعراؤها جناناً . انبتت لجيناً واثمرت عقياناً . ونحن في قفار الامل . واطمار العدم والكسل . نشهل بذكرى الايام الاول . ونلهو عن الصروح بالطلل . ونباهي الحلي بالعطل . فهل تدرك الغايات بذكر ما فات . وسولي المباريت نباري العاصفات . وهل يظهر الاعزل على الكمي . بوصف ما كان لسلفه من المعضب اليمني . لقد بلغ الاقوام ما لا يتجاوز الآمال . وأنت تجتزئ عن السلسل بالآل . وعن الحقائق بصور الخيال

ماذا يفيدك ذكر الخاليات وفي مشاهد الحال ما لم تنتظر الأول
ان هز عطفك تذكار الالى سلفوا ولم تزل دون ما نالوا وما وصلوا
ولم تسر مع رجال العصر مطلقة أعنة الجد فيما يحسن العمل
ما أنت الا مثال الفرط بينهما او كالنعامة لاطير ولا جمل

على ان العلوم في سورية لم تعدم انصاراً . يدلجونها عشياً واسحاراً . يستفرغون المجهود في توطيد اركانها ويبذلون الوسع في اعلاء بنيانها . لكنهم نزر من جم . وفطر من يم . وقلما جليت معارفهم من الصدور . وجليت عرائس افكارهم من الخدور . غلت ايديهم المتربة . واقصتهم عن تلك المرتبة . ولا تمهد لهم الاسباب . وتذلل الصعاب الا بترواج ما يسطرون من مقالة او خطاب . وابتياع ما يحبرون من رسالة او كتاب . اوبيذل ما يطغي الغلة . من ثواب جريدة او مجلة . والا كانوا هم الخاطبون وهم السامعون وهم المؤلفون وهم المطالعون . فكيف يرقي الوطن . وتسمو الفطن . وتنشط الهمم . ويدأب القلم . وصحف الفنون كاسده . ونيران الاذكياء خامده . الا ان السابقين ما شاؤا في مضماره . ونسبوا غارب مخاره . الا بجرائده واسفاره . ومن اغرب ما يسطر على الطروس . ونكاد نعجب له رم الرموس . ان ذوي النفوس الابية . وسقاة شمول الحمية . يرون ما شرف به اسلافهم على الامم . رسوماً عفاها القدم . وهم لاهون عنها بالاماني . ويختالون في برد التواني . والعصر اوان المسابق في ميادين المعارف . وتسويد سمر اليراع على بيض المشارف . فحنت منا الافئدة حنين النزيع الى الديار . الى ان نقضي بمثل تلك الصحف الاوطار . واخترنا لذلك هذه المجلة . عهد بها الينا سلالة الاجلة . اوحد الاصدقاء المخلصين والاصفياء المواطنين . صاحب امتيازها الفاضل علي بك ناصر الدين . ونحن على يقين من طفافة المادة والاقتصار على المستطاع في تلك الجادة . ولكن غاية ما توجبه الحكمة صدق الخدمة واصابة ما تسع الهمة . وقد استعنا على ذلك نوابغ الكتاب ونخبة من مسدد الاراء فاصاب

وهاجت به الذكرى الى عهد موطنٍ فاقست له الآثار ذكرًا مؤبدا
ولم يكفه التذكار فانساع داعيًا ليعمر فوق الرسم صرحًا مشيدا

وقد عزمنا بحول الله ان نودع هذه المجلة ما ينفع عامة القراء ويلذ لخاصة ارباب المعارف الالباء من اللغويات والاديات والعقليات والطبيعيات والرياضيات والصناعيات والمكتشفات والمخترعات والتواريخ والروايات والمناظرات والمباحثات والملح والفكاهات وغير ذلك من النافعات . وجعلناها اربعًا وستين صفحة كل شهر نرسيًا للمباحث التي تقتضيها احوال هذا العصر . والامل ان يظافرنا نصراء الوطنية . وان يضافرنا سجراء الانسانية . وان يقبل اخوان الصفاء عليه . وان يرفل اخوان الوفاء اليه . وان يمدنا ارباب المعرفة والفضل . واعيان القول الفصل بما تستضيء به العقول من المنقول والمعقول

وهنا نسأل سلطان الازل ان يؤيد خليفة خير الدول . من رفع للعلم في عصر خلافته العلم وجلا بنبراس درايته الظلم . وحكمت بحكمته الاملاك فنشرت لها حو بنودًا . واستنارت بطلعته الافلاك فطلعت كواكبها سعودًا . ظل الله الوارف على العباد . وملجأ الامة والبلاد . ومصدر الامن والنعمة . ومنشأ العدل والرحمة . سلطان السلاطين وخليفة رب العالمين السلطان ابن السلطان خير ملوك الزمان السلطان عبد الحميد خان . ايد الله عرشه ونصره . وصان شأنه وقدره . وولاته واوليائه . وانصاره واصدقائه . ما توالى الجديدان و بزغ النيران

هيئة الارض وحركاتها وما يتعلق بذلك

اختلف الاقدمون في هيئة الارض لقلة معارفهم بالنسبة الى معارف اهل العصور الحديثة وراوا فيها اراء كثيرة بنوها على عوائدهم ومعتقداتهم الوهمية . فمنهم من نسب اليها عدم التناهي في العظم والاتساع كانها لا تقاس ولا تحد . ومنهم من ارتأى انها محدودة مربعة يحيط بها جدرانٌ ترتكز السماء عليها . وقال بعضهم انها جزيرة يكتنفها بحر لا نهاية له . وقال بعضهم بانها اسطوانة واخرون بانها نصف كرة الى غير ذلك من الظنون والاوهام التي يضحك منها الصغار في هذا الزمان

واما اليوم فقد اجمع العلماء المحققون مع اختلاف اوطانهم ومذاهبهم على ان الارض كروية كالشمس والقمر . واول من قال بكرويتها فيثاغورس الفيلسوف الذي نبغ قبل ميلاد المسيح بسنين عديدة . وبقي قوله غير مصدق الى مئات من السنين بعد الميلاد . ومن ثم اخذ العلماء ينعمون

النظر في منظر الطبيعة كالكسوف والخسوف ونجم القطب الشمالي والاشباح البعيدة الى غير ذلك من الحوادث الطبيعية ولاحظوا عدة ملاحظات ضموا بعضها الى بعض وقطروا فيها النظر المدقق فتحققوا استدارة الارض واقاموا على كروينها خمسة ادلة قاطعة

الاول . ان من طاف حول الارض على خط مستقيم دون ان يرجع الى الوراء وجد نفسهُ بعد سنين في المكان الذي سافر منهُ . ذلك لا يمكن ما لم تكن الارض كروية الشكل . واول من طاف لهذا القصد المستر مجلان من سنة ١٥١٩ الى سنة ١٥٢١ م . ولكنهُ قتل في جزائر فيليبين قبل ان يتم غايتهُ فارجع بعض مستخدميهِ سفنهُ . ثم خلفهُ في ذلك كثيرون كدريك وانسون وكوك . وكلهم تحققوا بذلك كروية الارض

الثاني . انهُ اذا وقفت على الشاطئ وراقبت سفينة ماخرة عنك رأيتها تتوارى عن عينيك تدريجًا . فاول ما يتوارى عنك جرمها ثم قلوعها ثم دقلها الى ان تتوارى باسرها . وبالعكس اذا كانت ماخرة اليك فانك ترى بالمرقب رؤوس ادقالها وكلما اقتربت كان ما يظهر منها اكثر فاكثر حتى تراها كلها . وهكذا اذا وقفت بجانب سهل متسع الاطراف ونظرت الى الاشجار والاشباح البعيدة لا تستطيع ان ترى منها الا رؤوسها وكلما اقتربت اليها رأيت منها ما لم ترهُ قبل الى ان تراها كلها

الثالث . ان الشمس عند ما تشرق لا تضيءُ على كل البسيطة دفعة واحدة بل على قسم منها فقط . فلو كانت الارض مسطحة كما توهم بعض الاقدمين لاشرقت عليها كلها . فشروقها في الاماكن الشرقية اسبق كثيرًا منهُ في الغربية وما الحاجز لا يصل الضياء الى الاصقاع الغربية دفعة الا تحدب سطح الارض . وهكذا اذا صعدت على جبل عالٍ فانك ترى من على قنتهِ ما لم ترهُ من عند حضيضهِ

الرابع . ان الارض في دورانها السنوي تتوسط احيانًا بين الشمس والقمر فتحجب نورها عنهُ فيخسف . فترى ظل الارض عليهِ مستديرًا وما كان ظلهُ مستديرًا فهو مستدير بلا ريب

الخامس . انك اذا نظرت الى نجم القطب وانت سائر نحو الشمال رأيتهُ يرتفع كلما سرت الى تلك الجهة لزوال تحدب الارض بينك وبينهُ . وبالعكس اذا سافرت نحو الجنوب فانك تراهُ ينخفض في الافق كلما بعدت . فيستدل من هذا ان الارض مستديرة من الشمال الى الجنوب ايضًا . فلو كانت الارض سهلًا مستديرًا لاستحال حدوث ذلك

هذا وان الارض ليست كرة تامة لتسطحها من ناحيتي قطبيها . فهي مثل البرتقانة والخط المستقيم الموهوم من احد ذينك الجانبين المسطحين الى الآخر مارًّا بالمركز يسمى محورها . وكل

منهما قطبية - والخط الموهوم حولها على بعدٍ واحدٍ من تينك القطبتين يسمى خط الاستواء

والمتطوحون ان علة تسطح الارض او كون الاجزاء القطبية اقرب الى مركزها من الاستوائية وادنى منها الى التسطح ان الباري تعالى اول ما حركها كانت مثل البخار بردت بتشعع الحرارة في الفضاء فكانت كرة مائعة تقاوم قوة التباعد عن المركز جاذبيتها. ومعظم تلك المقاومة عند خط الاستواء وتضعف نسبة القرب الى القطبتين فتتلاشى عندها. فانضغطت الاجزاء القطبية وتباعدت الاجزاء الاستوائية عن المركز حتى بلغ الفرق بين القطر الاستوائي والمحور نحو ستة وعشرين ميلاً. فكانت هيئة الارض اهليلجية. ولكن الفرق بين ذلك القطر والمحور زهيد بالنسبة الى طوليهما ولذلك لم تبعد تلك الهيئة عن هيئة الكرة التامة

ومع اختلاف الاقدمين في هيئة الارض اتفقوا على ثبوتها وانها مركز الكون يسير الشمس والقمر وسائر الكواكب حولها كل يوم فطورًا تكون فوقها وتارة تحتها. والحق ان الارض هي التي تدور على محورها من الغرب الى الشرق دورة كاملة في نحو اربع وعشرين ساعة فيتخيل من على سطحها ان العالم يدور حولها. وحركة الارض هذه هي علة الليل والنهار لانه بها يتحول اجزاء بعض سطح الارض عن الشمس على التوالي فتظلم والاجزاء البعض تقابلها كذلك فتنير. والابعد من اجزاء الارض عن محورها هو الاسرع حركة وبالعكس فالاماكن التي على خط الاستواء اسرع من التي على شماليها وجنوبيه. ومن ثم تتباطأ تلك الحركة على التوالي حتى تتلاشى عند القطبيتين. فاذا اردت ان تعرف معدل سرعة مكان فاقسم اميال دائرة عرضه على وقت الدورة الكاملة فالخارج هو المطلوب. وهذا المعدل لمكانٍ على خط الاستواء هو ٥٠٠ يرد في الثانية ويتناقص بالنسبة الى القرب من احدى القطبتين

فان قيل اذا كانت الارض تدور بمثل هذه السرعة فلماذا لا تدفع ما على سطحها الى الفضاء ولماذا تعود اليها المواد المقذوف بها الى الهواء. قلنا ان قوة جذب الارض المواد على سطحها الى مركزها اعظم من القوة الدافعة المعروفة بقوة التباعد عن المركز كثيرًا. وهذه القوة تختلف باختلاف العرض ومعظمها عند خط الاستواء وهي هنالك واحد من سبعة عشر من الجاذبية وتتناقص بنسبة البعد عن خط الاستواء الى كلٍ من القطبتين وتتلاشى عندهما. فلا يمكن ان تندفع المواد عند خط الاستواء عن سطحها ما لم تصر سرعتها اكثر من سبعة عشر مثل سرعتها الان. ولو صارت سبعة عشر مثلها فقط لزالت قوة الجذب ولم يبقَ للمواد ثقل عند ذلك الخط

وللارض حركة ثانية تدور بها حول الشمس دورة كاملة في نحو ٣٦٥ يومًا وهي علة الفصول

ومدارها حول الشمس هليلجي لا دائرة تامة ولذلك كانت ابعادها عن الشمس متفاوتة على توالي ايام السنة . وبعدها الاوسط نحو ٦٠٫٣٢٨٫١٩٠ ميل . فمعدل سرعتها ٦٨٠٠٠ ميل في الساعة . ومحورها مائل على سطح مدارها نحو ٢٣٫٥ درجة ويوازي نفسه ابدًا . وهذا علة اختلاف الليل والنهار وتباين الفصول . فلو كان محور الارض عموديًا على سطح مدارها لاستوى الليل والنهار كل السنة على كل سطح الارض . فقطبتها الشمالية تتجه الى الشمس في الصيف وتتحول عنها في الشتاء . فيستوي الليل والنهار في الاماكن التي على خط التنصيف بين القطبتين ويختلفان بالنسبة الى القرب من احدى القطبتين ويكون كلٌّ من الليل والنهار في كلٍّ منهما نصف سنة

وتقع الشمس مرتين في كل سنة على خط الاستواء الاولى في ٢٢ اذار والثانية في نحو ٢٢ ايلول فيمرُّ الخط الفاصل بين نصفي الارض المستنير والمظلم في القطبتين فيتساوى الليل والنهار على كل سطح الارض . ولهذا سميت نقطتا هذين الموقعين بالاعتدالين . وسمي الاعتدال الاول الاعتدال الربيعي والثاني الاعتدال الخريفي . وبعد الاعتدال الربيعي تقترب اجزاء الارض الشمالية شيئًا فشيئًا من ضوء الشمس فيطول النهار كذلك فلا تغيب الشمس عن الدائرة الشمالية في نصف الصيف فيكون فيها نهار دائم . ويطول النهار في شهر حزيران كلما أُقترب الى الشمال وعكس ذلك في الاعتدال الخريفي . فان القطبة الشمالية تاخذ في التحول عن الشمس فيقصر النهار في شمالي خط الاستواء . وفي نصف الشتاء لا تطلع الشمس في الدائرة الشمالية فيكون فيها ليلٌ دائم وتطول الليالي في كانون الاول كلما أُقترب الى القطبة الشمالية . ومن ذلك يتضح انهُ حين يكون ليلٌ دائم في القطبة الشمالية يكون نهار دائم في الجنوبية ولا يتساوى الليل والنهار في القطبتين الاَّ في الاعتدالين واذا قصر النهار في الشمالية طال في الجنوبية واذا طال في الشمالية قصر في الجنوبية وهكذا الى ما شاء الله

والخلاصة ان الارض اشبه بكرة تامة سابحة في الفضاء كسائر النجوم السيارة في العالم الشمسي لو امكننا ان نبعد عنها بضعة ملايين من الاميال لرأيناها مثل قمر كبير لامع نسير في السماء تتلألأ النجوم حولها من كل الانحاء وشاهدنا بعض اجزائها منيرًا اكثر من البعض وظهرت لنا قطبتاها المع الاجزاء لما عليها من الثلج والجمد . ولو امكننا ان نبلغ الشمس والمسافة التي بينها وبين الارض تزيد على احد وتسعين مليونًا من الاميال لرأينا ارضنا نجمًا لامعًا . ولو امكننا ان نصل الى احدى الثوابت واستطعنا ان ننظر الشمس منها لرأيناها كذلك ولم نستطع ان نرى ارضنا . فهي وان ظهرت لنا عظيمة لا تعد بالنسبة الى النجوم الثوابت الاَّ كذرة من ذرات الهباء فتبارك الخلاق الحكيم

الزلازل

ما من رزيئة يرهب منها الانسان ولا من حادث طبيعي تقشعر منها الابدان كاهتزاز الارض ورواسيها وانهدام كهوفها ومجاهلها والجبال فيها . واي شيء ارهب من ان تزلزل الارض زلزالها وتهلك نساءها ورجالها وتردي كل حي على الاديم من نبات وبهيم وتترك رياض الجنان كجوف الجحيم فكم وجفت البلاد وخفقت الاكباد وفارقت الارواح الاجساد ولبس الافق على السكان والمساكن اثواب الحداد وتوارى وراء حجب الرماد . وكم من معشر كانوا يمرحون في جنان خصيب وينشقون المسرات بين تصعيد ونصويب فاجأهم هادم اللذات من تحت الثرى وهدم المدائن والقرى واوتي الجبال عليهم ساجده ولجج اليم اليهم صاعده واستأصلت الاشجار من المغارس واصبحت الديار رسوماً دوارس وآثاراً طوامس

ومن امثال ذلك زلزلة ليسبون عاصمة البرتوغال فانها اهلكت سنة ١٧٥٥ نحو ٦٠٠٠٠ نفس وزلزلة كلابريا التي حدثت بعدها واهلكت ٤٠٠٠٠ نفس وغير ذلك كثير مما لا يسعنا استيفاؤه في هذا المقام

واضرار الزلازل لا ينحصر في منشئها بل يبلغ امتداداً الوف من الاميال المربعة حاملاً وقر المنية والبلاء الى المقاطعات والولايات

واذا اعتبرنا الزلازل بعض اعمال الطبيعة لم يكن تأثيرها في الاحياء كتأثيرها في سطح الارض وذلك من الامور التي استدعت انظار العلماء . ولم يشعر بان زلزلة انتابت صقعاً دفعة بل كانت تبتدئ في طرف وتنتهي بسرعة الى الآخر او انها تبتدئ بقوة عظيمة في بعض المواضع ثم تضعف بانتشارها الى سائر الجهات ولكنها تنشأ بمثل هزيم الرعد البعيد او قصيف المدافع او طقطقة المركبات وبعد بضع دقائق تبدو بعظائم اهوالها وغرائب افعالها وترتفع الارض اول نشأة الزلزلة وتسفل بالتناوب ويعقب ذلك بعد دقائق قليلة اهتزازات متوالية اقل ضرراً من الاولى . فمثل فعل الزلزلة في الارض مثل فعل موجة في سفينة تمر تحتها فتترنح ادقالها كذلك نرى الاشباح العالية والاشجار تتردد وقت الزلزال تردد تلك الادقال

وكثيراً ما تنشق الارض وقت الزلازل وتبتلع الشقوق ما عليها من الاشجار والبيوت والاحياء وغيرها ثم تلتحم كانها لم تكن وقد يبقى بعضها مفتوحاً وينسع بما يجري اليه من المياه حتى يصير وادياً

وقد تنجد الاغوار او تغور الانجاد في بعض الزلازل وقد يرتفع غور البحر فيكون جزيرة كما حدث في ساحل شيلي من اميركا الجنوبية سنة ١٨٥٠ حيث ارتفع الفرار ونشأت جزيرة سانتا ماريا وعلت عشر اقدام فوق سطح البحر وتعرض للهواء ما عليها من الاصداف البحرية الملتصقة بها فهبت ريحها الخبيثة . وتعاقبت الزلازل في وادي ميسسبي من نهاية سنة ١٨١١ الى ١٨١٢ وفي نهاية هذه السنة انخفضت الارضون في بعض الاماكن فكانت وهاد واسعة جرت اليها المياه فصارت بحيرات بلغ محيط احداها خمسين ميلاً وسمي بعض تلك الارض «البلاد الغرقى» . وشوهد هناك كثيرٌ من كبار الاشجار كالجوز والبلوط والتوت والسرو وغيرها على امد عشر اقدام او عشرين قدماً او اكثر تحت الماء ولا تزال الى الان تمرّ القوارب بين اغصانها المغمورة

واشد الزلازل هولاً واهلاً كما تبتدئ هزتها في البحر ثم تمتد الى البر لانها لا تقتصر على هز ما تبلغه من البر بل تهز المياه بعنف شديد فتندفع على الشاطئ بقوة عظيمة ويبتدئ التموج من منشاء الهزة ويمتد على سطح البحر وينتشر الى كل الجهات وحين يبلغ الضحل يرتفع ويطم بسرعةٍ غريبة على البر وقد يبلغ علو الامواج حينئذٍ ستين قدماً فتغمر الشاطئ وتجرف الارض الى حدٍ بعيد

واهتزاز الزلزلة اسرع من تموج المياه فتدرك البر اولاً وتتلف ما تتلف ثم تليها الامواج فلم تبقِ ولم تذر ومثل ذلك زلزلة ليسبون سنة ١٧٥٥ فانها اخربتها اولاً ثم غمرتها المياه ومثلها زلزلة بيرو واكوادور وفانها بعد ان دمرتها الزلزلة الهائلة سنة ١٨٦٨ طرأت عليها زلزلة اخرى في الثالث عشر من آب سنة ١٨٦٩ فطغت الامواج على اريكا التي هي اعظم مينا شمالي بيرو وعطلت في بضع دقائق كل السفن فيها وحطم بعضها وطرحت احدى البوارج على البر في نحو ربع ساعة وتوارت اخرى ولم يوقف على اثرها

واكثر ما تحدث الزلازل في الاقاليم البركانية فهي ليست مقصورة عليها . ويمتد اقليم الزلازل العظيم في العالم القديم موازٍ ورس على شطوط البحر المتوسط الى واسط اسيا . وتكثر الزلازل في العالم الجديد اي اميركا في طرف القارة الغربي واوفرها من كولمبيا الى اكوادور وبيرو وشيلي

ويغلب ان تشغل الزلزلة مساحة واسعة . وقد شغلت زلزلة ليسبون على ما قاله المحققون ما تساوي مساحته اربعة اضعاف مساحة اوربا . وشغلت زلزلة بيرو في الثالث عشر من آب سنة ١٨٦٩ زهاء ٣٠٠٠ ميل

اما علة الزلازل الحقيقية فلم تعرف الى الآن والأرجح ان لها عللاً مختلفة فتنشأ احياناً عن خرق سقوف الكهوف التي لا ريب في وجودها في باطن الارض ولا سيما بطون الارضين البركانية او عن تشقق الصخور فجأة بقوة شديدة او عن تولد البخار ونفوذه كذلك ومهما كانت العلة فما هي الا قذفة فجائية من صميم باطن الارض تاتي بغرائب الاهوال

وقد نظر الاستاذ ريمان احد اهل برنزويك الجديدة في علة الزلزلة فقال ما خلاصته

لا بأس ان نلم في هذا المقام بذكر احدث آراء العلماء في طبيعة الارض ما وراء الاعماق التي يتاح للبشر الوصول اليها الآن لان البحث في ذلك يمهد السبيل الى معرفة علة الزلازل. ولا يخفى ان المتعارف عند العلماء منذ زمان طويل هو ان باطن الارض سيال وان ظاهرها ليس سوى قشرة تحيط به قد جمدت بتشعع الحرارة. ونحن لا نشك في ان باطن الارض عند ثلاثين ميلاً من سطحها محتدم بالحرارة الى حد تذوب عنده سائر المواد. ودليله انه كلما تعمقنا ٥٠ قدماً في الارض ارتفعت الحرارة درجة واحدة حتى انه متى وصل العمق ثلاثين ميلاً ذابت عنده كل المواد المعروفة. ومن المعقول انها تكون في حال السيولة لولا ما يعترض هذا الزعم من التغيير الذي يطرأ عليها بسبب شدة الضغط لان معدل الضغط عند هذا الحد يبلغ ١٠٠٠٠ وسق على كل قدم مربعة. ومن المعلوم الضروري انه لا يتاح للعلماء اجراء التجارب والامتحانات في المواد عند تلك الدرجة العالية من الحرارة وعلى معدل ذلك الضغط الشديد. فلم يبق بعد ذلك للحقيقة من سبيل سوى الفرض او الحدس والتخمين ويعبر الجيولوجيون عن المواد عند عمق ثلاثين ميلاً بالمادة المائية ولا يعلم الى اي حد من العمق تبقى تلك المواد كذلك ولكن من المحقق انها تأخذ في التكاثف شيئاً فشيئاً حتى ان باطن الارض يكون جامداً ولعل ذلك عائد الى شدة الضغط البالغ ١٠٠ او ٢٠٠ او ٣٠٠ ميل من سطحها

وقد قال السير وليم طمسن ان قلب الارض بالغ من الصلابة درجة تفوق كثيراً اليبس والصلابة اللذين على وجه الارض وقد قال ايضاً ان صلابة قشرة الارض يلزم ان تضاهي الفولاذ حتى تتوازن جذب القمر والشمس وخلاصة ذلك ان قشرة الارض موضوعة على ثقل عظيم من المادة المائية البالغة درجة لا تدرك من الحرارة

فاذ قد تبين ذلك نأتي الآن الى بيان علة الزلازل فنقول. من المعلوم انه اذا جرى شيء من الماء الى مادة محتدمة بالحرارة كما في العمق المذكور تبخر ولكن الضغط الحاصل على المواد المذكورة في عمق ثلاثين ميلاً يمنع على الارجح تولد البخار. ويجب الانتباه ايضاً لكون الضغط

البالغ . . . . ١٠٠٠ وسق على القدم المربعة يزداد ايضًا بعد ذلك . فاذا جرى الماء الى قسم منها وكان القسم المجاور له من قشرة الارض اضعف من غيره فلا بدّ له من تحمل الضغط الفاعل عليهِ من الباطن فتتصدّع اذ ذاك القشرة في ذلك المحل وهو عين الحادث في الزلازل وعندي ان هذا الراي اقرب الى الحقيقة من غيره . ويعلل ايضًا عن حدوث الزلازل بطريقةٍ اخرى وهو انهُ لما كانت قشرة الارض آخذة في الجمود من الاسفل تصدعت في بعض المحال فجرت اليها المواد السائلة من العمق من جرّاء الضغط الشديد بقوةٍ تقلب شكل قارة برمتها لو حدث الفعل المذكور على سطح الارض وان تلك الحركة العنيفة تولد تموّجًا يبلغ الى حد ثلاثين ميلاً . والله اعلم

التلفون والفونغراف

انفع قوات الطبيعة التي استخدمها البشر واشدها لزومًا الكهربائية فانهم اتخذوها بريدًا يبلغ الانباء الى اقاصي الارض ويأتي بها منها بسرعة البرق ويأملون ان تكون مسيرًا للسفن والقطار ومصابيح للمساكن في كل البلاد . ومن اغرب فوائدها نقل الصوت من مدينة الى اخرى كما هو المشاهد من التلفون

ومخترعهُ الاستاذ كراهام بَلْ ولد سنة ١٧٤٣ في مدينة ايدنبرج من اعمال سكوتلاندا وهو ابن المستر ملفيل بَلْ الذي اكتشف كيفية تعليم الصم المتكلم فانهُ راى علة عجزهم عنهُ عدم سماعهم الاصوات لا خلل اعضاء الصوت فحاول ان يعلمهم بواسطة حركة الشفتين فنجح نجاحًا غريبًا ثم هاجر مع ابنهِ الى اميركا ومارسا هذه الصناعة فادركا غاية ما وراءها امد وعلّما في مدة وجيزة ثلاثة الآف اصم وابرآهم فنطقوا بافصح لغة واحسن لهجة . وعين الولد لمهارتهِ في طريقة والدهِ استاذًا للفسيولوجيا الصوتية في مدرسة بستن الجامعة . وبعد ان شغل وقتًا طويلاً في البحث عن حقيقة الصوت بلغ بعد خيبتهِ مرارًا ان اخترع التلفون وهو آلة تنقل الصوت بعينهِ من مكان الى اخر كما ينقل التلغراف العلامات وهو يشبههُ من اوجه كثيرة ويختلف عنهُ بانهُ ابسط عملاً ولا يحتاج الى بطرية ولا الى عملة ماهرين مع ان النتائج اعجب . فان الاشارات في التلغراف يجب ان تفسر قبل ان تحمل الى اصحابها واما التلفون فينقل الصوت بعينهِ الى اذن السامع فيعرف المتكلم بهِ اذا كان من الفهم

ويتركب التلفون من اسطوانة طولها خمسة وستة قرار يط فيها قضيب من المغنطيس ولفة من اسلاك النحاس حول طرفه الاعلى يمتد طرفاها الى اسفل الاسطوانة ويعلقان بسلك الانباء او بغيره الى المحل المقصود. وامام قضيب المغنطيس صفيحة من الحديد ثخنها كثخن ورقة الكتابة وكيفية سير الصوت فيه هي ان صوت المتكلم يحدث اهتزازاً في صفيحة الحديد التي تمغنطت بقضيب المغنطيس وباهتزازها يتولد مجرى كهربائي يتقطع بحسب تقطع الصوت ويسير على السلك الى المحل المقصود حيث تكون آلة اخرى كتلك فتدخل الكهربائية الى لفة الاسلاك فتجذب صفيحة الحديد وتدفعها بحسب تقطع الصوت فيحدث باهتزازها صوت كصوت المتكلم

وعرض بل هذا المخترع في مشهد فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ فنال حظاً وافراً من التفات اهل العلم اليه ومدحهم له لما لحقهم من العجب بآلته ولا سيما السر وليم طمسن الشهير. قال هذا العلامة على اثر ذلك نأمل ان يحسن المخترع هذه الآلة حتى يستطاع الخطاب بها على امد مئات من الاميال. فتشجع بل بذلك واخذ يستفرغ المجهود في تحسينها حتى حقق امال السر وليم طمسن واعملها بعد سنة من ذلك في مشهد جماعة في بستن فسمعوا اصوات الغناء من بروفيدنس والمسافة بينهما ثلاثة واربعون ميلاً. وعرضها سنة ١٨٧٨ على الملكة فكتوريا وحاشيتها في اوسبرن وجرت المكالمة فيه بين اوسبرن على الجانب الواحد وكوز وسوثمبتون ولندن على الجانب الاخر فسمعوا صوت البوق من سوثمبتون واصوات الغناء من احد مغنيات لندن كما لو كانت في غرفة مجاورة. ومد سلك التلفون في البحر بين انكلترا وفرنسا وتكلم جماعة من الرجال والنساء في دوفر نحو ساعتين مع اصحابهم في كالاي والمسافة بينهما اثنان وعشرون ميلاً

ولم يستعمل التلفون يومئذ بين ابعاد شاسعة لكن الاستاذ بل قال حديثاً انه لم يجد صعوبة في اجراء المخاطبة على سلك التلفون العادي بين نيويورك وبستن والمسافة مئتان وخمسون ميلاً واستعمل التلفون بين برلين ومصيف البرنس بسمرك في فرزين والمسافة بينهما مئتان وثلاثون ميلاً. والغالب اليوم استعماله بين الاماكن التي لا يزيد البعد بينها على خمسة اميال لاجل المواصلة التجارية والاعمال الخاصة. وفي المعادن في بنسلفانيا وكاليفورنيا ونفادا وبين الغواصين والذين في القارب يمد سلك التلفون في انبوبة التنفس الى آلة التلفون داخل الخوذة

ومن منافع التلفون استعماله في تدوة التجارة في المدن الشهيرة في اميركا وغيرها. وفي اميركا مراكز كثيرة في المدن العظيمة كنيويورك وشيكاغو وغيرها يتصل بها اسلاك متميزة بالاعداد من وكلائهم في الجهات المختلفة فاذا اراد احدهم ان يتكلم مع آخر نبه الكاتب بواسطة الجرس

الكهربائي واخبره بعدد السلك الذي يريد ان يخابر صاحبه فيوصل السلك ويجري الخطاب بينهما كما لو كانا في مخدع واحد

ولا لزوم للانسان ان يرفع صوته عن الدرجة المعتادة فان الآلات التي تصنع اليوم بلغت من الدقة مبلغاً عظيماً حتى انها تبلغ الاصوات بغاية الجلاء ولو كانت دون الدرجة المعتادة . وفي اميركا اليوم اكثر من اربعين الف تلفون وقد رغب فيه اهل انكلترا ايضاً وسيكثر عندهم كذلك . وكثر استعماله بين المتاجر في المدينة والمعامل خارجها . والغريب من كل ما ذكر استعماله بين البيت والكنيسة كما فعل احد اهالي هاليفكس

ومن عجيب الآلات الحديثة الفونغراف وهو آلة تكتب الصوت على صفيحة معدن رقيقة اخترعه المستر اديسون احد اهل نيويورك سنة ١٨٧٧ وهو يتألف من صفيحة من الحديد في وسطها ناتئ من الفولاذ له راس من الماس يشبه راس القلم وامامه لفة من ورق التوتيا الرقيق تدور على محورها . فيجعل صوت المتكلم اهتزازاً في صفيحة الحديد فيخس راس الناتئ لفة ورق التوتيا الدائرة ويغادر فيها اثراً واضحاً . ثم ترسل هذه اللفة الى الشخص المقصود فيضعها في آلة شبيهة بهذه ويضع اذنه امامها ويديرها فتضرب في دورانها راس الناتئ وتحدث اهتزازاً في صفيحة الحديد يمثل صوت المتكلم بدون ادنى تغيير ويمكن ان تحفظ هذه اللفة سنين كثيرة بدون حدوث ادنى تغيير . وان تقرأ مراراً حتى تفنى لفة التوتيا من جرى ضربها بالناتئ

ولم يشع استعمال الفونغراف لكن يرجى منه خير عظيم في المستقبل . ومن منافعه سهولة كتابة الافكار وعدم نفقة الكتابة بالحبر والقلم . واعظم النفع في ذلك للخطباء والمؤلفين - ويغني الفونغراف السامع عن حل رموز خط الكاتب . ويمكن ان تكتب به نسختان في وقت واحد واذا رسمت فيه وصية ميت امكن القضاة بعد سنين كثيرة ان يسمعوها بصوته فلا يحتاجون الى وصية مكتوبة . فهذه الآلة التي تظهر اليوم مجرد لعبة يرجى منها نفع عظيم في المستقبل وكل من التلفون والفونغراف قليل النفقة كثير الفائدة

النمل العسال

من غريب المناظر في امركا مشهد في كولورادو من مكسيكا الجديدة يسمونه حديقة الالهة . وهو ساحة يحيط بها صخور من الرمل الاحمر بينها شقوق من تأثير الطبيعة اصبحت بها تلك الطبقات الصخرية امثال العُمُد فتوهموها آلهة لمشابهتها آلهة اليونان . وقد ذهب الدكتور مكوك الفيلادلفي

الى تلك الحديقة رغبة في ان يبحث فيها عن صنائع النمل العسال. فاتفق انه شاهد كثيرًا مما اراده هنالك فالقى العصا وضرب اطناب خيمته في حديقة الآلهة وطفق يبحث عن صنائع ذلك النمل العجيب

وبعد ان نظر مليًا وبلغ غاية الاستقراء رأى انه ينقسم الى فرق مختلفة كغيره من صنوف النمل الكثيرة. فالصنف كله ينقسم الى ثلاثة اقسام. الملكات او الاناث الولود. والذكور اي النمل ذي الاجنحة والعاملة او الخدام. وهذا الاخير ينقسم ايضًا الى ثلاثة اقسام الكبير والصغير والاتقاف (اي الفراخ حين تخرج من البيض) على ان من هذا ما يصح ان يكون قسمًا رابعًا وهو حامل العسل وهذا يتمدد بطنه حتى يشبه الكرة او الخرزة مما يدخره فيه من الاري. وقد فتح الدكتور مكوك بعض قرى هذا النمل فوجد العاملة العسالة متشبثة بسقفها بقوائمها كالذباب واذا انها صفراء ذات معد كالكرات شفافة بارزة من جوانبها فقد لاح من ذلك الخصر الرقيق يرى العسل فيها كالكهرباء

فان قيل من اين اتى بذلك العسل قلنا ان النمل مولع بالسكر وكثيرًا ما يختلس الاري الذي تخرجه النبات ليغري به حشرات النحل على ان النمل قد يؤذي النبات بذلك اذى عظيمًا ولذلك سلح الخالق سوق كثير من النباتات ذات الاري باشواك دقيقة كالشعر وغدد لزجة لمنع النمل من التسلق عليها ونهب اريها وقد ينتفع النبات بالغراء النمل بأريه كنفرط اواسط اميركا. قال المستر بلت ان على رجلية كل ورقة منه غدة عسلية تجذب اليها بعض النمل المحارب ليقيها ضرر غيره من النمال

وقد افرغ الدكتور مكوك مجهوده في البحث عن طريقة ذلك النمل في جني العسل فرأى انه يعمل ليلًا. فاضطر ان يتبعه في الظلمات حاملًا المصباح الى ان دخل اجمة غاء فرآه ازدحم على بلوطة هنالك واخذ يجني الاري من عفصها. والعفص ليس بثمر البلوط كما يتوهم كثير العامة بل مفرز يتجمع على صورة المعلومة لبعض الطوارئ. وتاخذ العاملة الاري الى القرية وتعطيه الحاملات فتبلعه ولا تهضمه بل تحفظه في المعدة الاولى الى حين الحاجة كما يحفظ النحل عسله في سوقه. وحين تجوع العاملة تاتي وتدفع الحاملة بقرونها فتضغط معدتها فيخرج بعض العسل الى افواهها فترتشفه العاملة. وبما حاملات العسل في هذا الاعتبار الآنية المذخوره فهي من اعظم منافع ذلك النمل

هذا وليست الحاملات العسل صنفًا مستقلًا برأسه بل هي بعض الكبيرة العاملة تغيرت على ما قال الدكتور مكوك وهو ليس ممن يذهبون الى تنوع الافراد. وقد حمله على ذلك القول انه

شاهد في القرى كثيرًا من العاملة الكبيرة في حال التغير والمصير الى الحاملة العسل . وهذا ما الجأتها اليه الاحوال لان غذاء الاناث والذكور والاتلاف يتوقف على غيرها ابدًا . ولذلك كان لا بد لبقائها من طعام يذخرها . فالنمل كالنحل في الادخار الا ان النحل يذخر العسل في مسدسات الشهد . والنمل العسال في معد الحاملات . والنمل المعادي يذخر الحبوب في اماكن من قريتهِ بغية البقاء ودفعًا للموت جوعًا في حين لا يستطيع اصابة ما يغتذي بهِ

ولا ريب في ان الباري تعالى جعل الميل في بعض العاملات الى ان تؤمن غيرها على ما تجنيهِ وجعلهُ في الحاملات الى ان تذخر في بطونها العسل لغيرها لبقاء نوعها ثم قوي ذلك الميل فيها على توالي السنين وورثته الاعقاب كذلك

ولهذا لم يتوقع ذلك الدكتور ان يجني النمل العسال شمعًا كالنحل بل قال انهُ يمتنع عليهِ اذ لا ميل لهُ اليهِ . فالنحل يحصر صغارهُ في بيوت مسدساتهِ والنمل يتركها بيضه (المبيض للنمل كالبيض لغيره) وانقافه في انحاء قريتهِ ويرث كل ما اعتادهُ نوعهُ . والحاملة العسل لا تهضم شيئًا منهُ ما لم ينزل الى المعدة الثانية وهي كحوصلة الطير . فمتى جاعت نزلت اليها من المعدة الاولى ما تحتاج اليهِ من العسل . ومتى رجعت العاملات من المجاني كانت معدها الاولى ممتدة فترجع الحاري الى افواهها وتطعم الانقاف وغيرها مما يتوقف حياتهُ عليها في القرية . وبعضها يجني كثيرًا و يطعم عددًا وافرًا

وقد شاهد الدكتور مكوك عدة من العاملات الكثيرة الجشع ترجع الى القرية وتتشبث بالسقف كالحاملات فتتحول شيئًا فشيئًا الى ان تصير منها فتذخر فيها العاملات جناها مؤنة الى وقت الحاجة لان الحاملات يكفيها القليل مما يذخر فيها لسكونها وعدم دابها

فسبحان من خلق البرايا بقدرتهِ ورتب كل شيءٍ بحكمتهِ واعتنى باحقر مخلوقاتهِ كما يعتني باعظمها . ان الله في خلقهِ عجبًا وفي كونهِ ايات لأُولي الالباب وهو المدبر الحكيم

الياقوت

الياقوت اثمن الجواهر واغلاها بعد الماس . وصنوفهُ ذات الشأن اربعة . الاول الياقوت الشرقي وهو شفاف احمر مخمليّ الملمس وهو افخر صنوف الياقوت واحسنهُ منظرًا وابهاهُ لونًا وثقلهُ النوعي ٤٫٢٨ وبلوراته الاصلية منشورات شبيهة بالمعين الا انها كثيرًا ما تتغير عن

شكلها بالاحتكاك حتى انه قد يوجد في الطبيعة بهيئة الكرة وهو مركب اصلاً من الالومينا النقي وقليل من اكسيد الحديد الذي يتلون لونه. وافضل هذا الصنف ما يؤتى به من جزيرة سيلان وبعده الهندي وبعده الصيني. والياقوت الشرقي قليل جداً والصغير حجارته كانت قيمة احسن الحجارة الكبيرة منه تزيد على قيمة ما يساويها من الماس. قيل ان بعضهم وجد ياقوتة منه بقدر بيضة الحمام. وهذا من النوادر. وعند ملوك فرنسا ياقوتة من هذا الصنف يزيد ثقلها على ٢٣ قيراطاً ثمنت سنة ١٧٩١ مثلاً ثلاثة وسبعين الفاً وخمس مئة فرنك. وقيمتها الآن نحو مئة الف فرنك. وفي مشهد دبفونشير في انكلترا ياقوتة اخرى من الحجر البوليفيت المعروفة اشتهرت كثيراً لبهاء لونها مع ان ثقلها لا يزيد على اربعة قراريط. وقد رسموا عليها صورتي اله الحب والهة الجمال. وذكر ذهبوت انه كان عند الامبراطور رندولف ياقوتة بحجم بيضة الحمام الصغيرة وثمنها يبلغ على عشرة آلاف ليرة انكليزية. وعند ملك آفا ياقوتة بهذا القدر يلبسها كقرط في اذنيه

وقد فقد كثير من حجارة الياقوت التي اشتهرت في العصور الحديثة كالتي اراها الملكة اليصابات للسر توماس ملفيل والتي كانت عند رنجيت سنغ وثقلها يعدل ثقل اربعة عشر روبة وقد كتب عليها اسماء كثيرين من الملوك كاحمد شاه وغيره وكالياقوتات الثلاث اللواتي كن لتشارلس الجسور دوك برغندي وكان يدعوهن بالاخوات الثلاث وكثير غيرها

ومن خواص الياقوت الشرقي انه يكسر النور انكساراً مزدوجاً وعدم تاثير الحرارة في لونه وبنيته وشدة صلابته جعل حفره صعباً جداً. وفي مخدع المعادن في مشهد باريس حجران من هذا الياقوت يصعب بل يتعذر حفرهما كما يرام

الثاني الشوكي ولعله سمي كذلك لفرط حادية زوايا بلوراته وهو يختلف عن الاول في تركيبه فانه يشتمل فوق الالومينا النقي على المغنيسيا والسليكا واكسيد الحديد. وبلوراته ذات ثماني زوايا وسطوحها مثلثات — وكثيراً ما يرى بهيئة الحبوب ولا شكل له لما يطرأ عليه من الحك. وهو شفاف صلب جداً غير قابل الصهر وحفره اسهل من حفر الياقوت الشرقي وثقله النوعي ٣.٢ وله لمعان زجاجي وهو مختلف الحمرة عادة ولونه الغالب شقيقي. وهو يشغل مقاماً سامياً بين الجواهر الكريمة لكنه لا يبلغ مقام الياقوت الشرقي مع ان اصليهما واحد تقريباً. ويوجد هذا الياقوت في الصخور الكلسية والدولوميت ورمال الانهر في سيلان وباكو وميصور واقطار كثيرة من هندستان والهند الصينية. واحسنه ما يؤتى به من باكرجبال كمبوديا. وفي تاج ملوك فرنسا ياقوتة من هذا الصنف ثقلها ٥٦ قيراطاً وقيمتها ستة وخمسون الف فرنك. وفي مشهد اردوسكاشي

ياقوتة اخرى تمثل آلهة الزرع حاملة اغمار القمح واخرى في مشهد دوك اورليانس وهي كهيئة قلب عليهِ راس ذو لحية قيل انهُ مثال لاحد الفلاسفة او الابطال اليونانيين

الثالث البلخي وهو دون الثاني واقل منهُ لمعانًا لونهُ خمري وقد يكون وردياً وثقلهُ النوعي ٣،٦٣ وهذا ان لم تكن حجارتهُ كبيرة نقية حسنة اللون كانت قيمتهُ زهيدة بالنسبة الى غيره. وهو قابل لان يصقل حسنًا. وعند ملوك فرنسا ياقوتة منهُ ثقلها نحو من ٢١ قيراطًا وقيمتها عشرة الاف فرنك. وفي تاج ملوك انكلترا ياقوتة كبيرة بهيئة قلب لونها احمر يضرب الى السواد ولا تزال على حالها الطبيعي دون ادنى صقل او حفر. وقد اتى بهذه الياقوتة من اسبانيا الامير ادورد ولي عهد انكلترا المعروف بالامير الاسود عندما ذهب لمساعدة دون بادرو والعاتي سنة ١٣٦٧

وذكر ده بركون انهُ كان عند احد اهالي باريس ثلاث ياقوتات من هذا الصنف الاولى كهيئة المنشور المعين وثقلها نحو ١٢٤ قيراطًا. وكانت اصلاً في التاج الذهبي المرصع بالجواهر الذي توج بهِ اسطفانس الخامس لويس الحليم في ريمس سنة ٨١٤ امبراطورًا للمغرب. والثانية كهيئة البيضة وثقلها نحو ٢٤٥ قيراطًا اهداها اهالي نابولي الى تشارلس دوك انجو سنة ١٢٦٤ والثالثة وثقلها ٢٠٩ قراريط كانت بين جواهر حنة دوكة بريتانيا التي تزوجت سنة ١٤٩١ تشارلس الثامن ملك فرنسا. وذكروا انهُ كان لشاه العجم ياقوتة كهيئة الموشور المستطيل عرضها نحو اصبع وثقلها نحو عشرين درهمًا ولونها لا مثيل لهُ. وسأل الشاه يومًا سفير فينيسيا قائلاً كم تظن هذه الياقوتة تساوي فقال مدينة بل مملكة. الرابع الالمندي او الالبندي نسبة الى المبند او المند وهي مدينة في اسيا الصغرى. وهو يختلف كثيرًا عن الثلاثة الاولى في تركيبهِ وخواصهِ فانهُ مركب من الالومينا والسليكا واكسيد الحديد. وانما عدوه من الياقوت لبهاء لونهِ الاحمر القاني. وبلورانهُ مكعبة وهو معتدل الصلابة يصهر بحرارة عالية وثقلهُ النوعي ٤،١٥٧. والياقوت على صنوفهِ يتخذ حليًا ويستعمل في الساعات لصلابتهِ وبوني بحجارتهِ المستعملة كذلك من كلكتا

ويحفر الياقوت ويصقل بالسنباذج على دولاب من الرصاص. واذا كانت حجارتهُ صغيرة وخشي عليها من الانكسار وضعت على دولاب من نحاس وحفرت بسحوق الماس. ويوضع عند صقلهِ على دولاب من النحاس مغشى بحجر الجلاء الفينيسي

مختصر تاريخ الفلسفة

معرب بقلم نجيب افندي ابرهيم طراد

المراد بتاريخ الفلسفة شرح تعاليم مشاهير الفلاسفة في الازمنة القديمة والحديثة فينقسم هذا البحث باعتبار الزمان الى قسمين عظيمين اولها تاريخ الفلسفة قبل المسيح ويبحث فيه عن فلسفة العبرانيين والهنود والصينيين والفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين

اولاً العبرانيون - فلسفة العبرانيين ممتزجة بتعاليمهم الدينية التي اوحي بها الى موسى ومفادها الاعتقاد ان الله واحد خالق السماء والارض وانه يجازي الصالحين ويعاقب الخطاة وان الانسان ذو نفس حية خالدة

ثانياً الهنود. فلسفة الهنود ممتزجة ايضًا بتعاليمهم الدينية التي يمكن القول عنها انها مجموع مناقضات ظاهرة وقبيحة لان الانسان يرى فيها تارة المبادىء المتصورية والمادية والكفرية وتارة مبادىء البانثيوس ومعناها الكل في اله واحد والاله الواحد هو الكل كيف لا واعتقادهم ان براما وحده هو المكون وما كان خارجاً عن براما هو وهم محض

ثالثاً الصينيون. يجل الصينيون حكيمين اولها لونسي وهو عالم بحث عن الارواح ومفاد تعليمه وجود الله وشريعة التناسخ والحكيم الصيني الثاني هو كونفسيوس افاد ان الله واحد ذو عناية بالبشر وان النفس روح وبحث عن واجبات الانسان في الدنيا واثبت ان اهمها هو اكرام المرء لوالديه وللملكه

رابعاً الفرس - ان فيلسوف الفرس هو زورستر الذي قال بوجود مبدإ اولي في العالم ولد مبدأين آخرين هما اورمزد اصل الخير واهرمان اصل الشر

خامساً المصريون. اعتقد المصريون وجود مبدإ اولي ولد مبدأين هما اب وام كل المخلوقات

سادساً اليونانيون - ان اليونانيين هم اول شعب في العالم فصل في تعاليمه الفلسفة عن الدين واعظم فيلسوف ظهر عندهم هو سقراط لذلك نقسم تاريخ الفلسفة اليونانية باعتبار الزمان الى قسمين اي الزمان الذي قبل ظهور سقراط والزمان الذي بعده

ظهر قبل سقراط ثلاث شيع فلسفية هي الشيعة الايونية والشيعة الايطالية والشيعة الآلية

اما الشيعة الايونية ورئيسها هو تالس فقد بحثت عن مبدإ وطبيعة الدنيا واقرت اخيرًا بوجود اله مفصول عن العالم

الشيعة الايطالية رئيسها فيثاغورس ومبدأ ها ان كل شي خرج من واحد والى ذلك الواحد يعود وان المخلوقات خاضعة لشريعة التناسخ

الشيعة الألية رئيسها كزنوفونس كانت تنكر الخليقة وتعلم مبدأ الباثيوس المادي ولما كانت هذه الشيع الثلاث فاسدة النتيجة تولدت منها شيعة الارتياب وهي عدم الاقرار بحقيقة شيء ‑

هكذا كانت حالة الفلسفة في بلاد اليونان حين ظهور سقراط الفيلسوف المعظم قد محض هذا الحكيم بتدقيقه وتحقيقه آراء من سلفه وقرر مبادئ حقيقية عن الله والانسان وعن العالم المادي وقد دوّن فلسفة سقراط كما هي المؤرخ المشهير كزنيفون ومزجها افلاطون بافكاره وآرائه فاكسبها طلاوة جديدة وجمالاً بهيًا وظهر بعد سقراط شيع عديدة اخذت اكثر تعاليمها عنه واقرت باكثر مبادئه واشهر هذه الشيع ثمانٍ

اولاً جمعية الاكاديمس ورئيسها افلاطون اشهر تلاميذ سقراط غير ان هذه الجمعية لم تحافظ على تعاليمها الاصلية بل تمسكت ببعض مبادىء ارتيابية اهمها ان الرجل العاقل لا يؤكد شيئًا اذ كل ما يفتكره ممكن لا اكيد

ثانيًا الليكون ورئيسها ارسطوطاليس تلميذ افلاطون

ثالثًا . الشيعة الكلبية ورئيسها انتيثينس تلميذ سقراط واشهر فيلسوف كلبي هو ديوجانس اما تعاليم الكلبيين فهي ادبية وتنحصر في احتقار كل شيء في العالم حتى العلوم

رابعًا . الفلسفة الرواقية ومنشئها زنو الذي كان اولاً كلبيًا ومفاد تعليمه ان لا سعادة بغير الفضيلة ولا شر بغير الرذائل

خامسًا . الشيعة الكيرنيكية ورئيسها ارستيس تلميذ سقراط قد حصرت سعادة الانسان في اللذات الحسية والشهوات

سادسًا . الشيعة الابيقورية نسبةً الى ابيقورس قالت ان العالم تكون بالتقاء الجواهر الفردة ببعضها اتفاقًا وحكمت كارستبس ان سعادة المرء في الشهوات

سابعًا . شيعة ميغارا او الشيعة الجدلية منشئها اقليدس غير اقليدس المهندس هولاء الفلاسفة كانوا يجهدون انفسهم بالجدال وافحام الخصم سواء كان ما يريدون اثباته فاسدًا او صحيحًا

ثامنًا . شيعة الارتياب قد جدد هذه الشيعة بعد اندراسها بيرّو وخلاصة تعاليمها ان الانسان يجب عليه ان يبحث عن الحقيقة ولكنه لا يظفر بها ابدًا فلذلك يلزمه الارتياب في كل شيء

الرومانيون . — لم يظهر قط فيلسوف روماني وانما انتحل الرومانيون الفلسفة اليونانية

تاريخ الفلسفة بعد المسيح

يقسم تاريخ الفلسفة بعد المسيح الى ثلاثة ازمنة

الزمان الاول من المسيح الى حين غزوة البرابرة وفيه ظهرت الفلسفة اليونانية الشرقية

الزمان الثاني من غزوة البرابرة الى حين استيلاء الاتراك على القسطنطينية وفيه ظهرت الفلسفة المدرسية

الزمان الثالث من حين انقراض الدولة الرومانية الشرقية الى ايامنا هذه

الفلسفة اليونانية الشرقية

ازهرت هذه الفلسفة في مدينة الاسكندرية واشتهر بها مدرستان احداها وثنية واعظم المدرسين فيها بلوتينس وبورفيرس وبروكليس والاخرى مسيحية واشهر اساتذتها اكليمندس الاسكندري واورجنس وكانت غاية فلاسفة الاسكندرية الوثنيين التوصل لمعرفة او مشاهدة الله بقوى العقل او السحر وطريقتهم هي الاختيار وما هذا انتقاء احسن التعاليم المعروفة اما غاية فلاسفة الاسكندرية المسيحيين فهي فهم وشرح ما يدرك بالعقل من التعاليم الدينية والتفسير بكلام ونصوص الكتب المقدسة مما يعجز عقل البشر عن ادراكه وطريقتهم هي الانتقاء ايضا الا انهم كانوا يخلصون النية ويوسعون دائرة بحثهم بخلاف خصومهم الوثنيين الذين كانوا ينكرون التوراة ويجهدون في تكذيبها ونقضها والمسيحيون الاسكندريون كانوا يعتمدون على انوار العقل الطبيعية غير منكرين ما يمكن تقريبه بالحجج البسيطة ويتبع اصحاب الانتقاء الوثنيين جماعة الغنوسيين ومعناه ارباب العلم الحقيقي فهولاء كانوا يتلون افكار افلاطون ويدعونها «أيون» ويدّعون بمعرفة تفسير الديانة المسيحية حسب افكارهم وكانوا يعلمون بوجود مبدأين احدهما للخير والاخر للشر وظهر في الغرب القديس اغسطينوس والقديس توما اللذان بلا ريب من اشهر المعلمين واعظم الفلاسفة واول رجل علم اللاهوت بطريقة منطقية قانونية هو القديس يوحنا الدمشقي فيعدونه لذلك اب الفلسفة المدرسية

الفلسفة المدرسية

ومعناها في الاصطلاح تعليم الفلسفة واللاهوت بطريقة قانونية وغايتها قسمة ما يراد تعليمه الى ابواب وفصول ليكون لكل بحث باب مختص به ويصير التعليم واضحا سهل التناول لا تمتزج به المطالب المختلفة بعضها ببعض بل تكون موضوعة بترتيب قانوني ثم تحدد الكلمات والمسائل المشكلة وتوضح ويوخذ اساسا للمقالات والبحث العبارات الحقيقية والآيات البينات التي لسبب

وضوحها لا تحتاج الى برهان اما القياس المنطقي فكان المعول عليه في كل الامور والاحوال ودليل ذلك ما نراه مسطرًا في كتب كتبة تلك العصور والفلاسفة المدرسيون لم يبدعوا شيئًا بل علموا ورتبوا واوضحوا ما جمعه اسلافهم ومن المؤكد ان لا ابداع في الفلسفة اذ كل انسان عاقل يدرك تعاليم الفلسفة الحقيقية من دون ان يدرسها لانها اي الفلسفة ليست سوى تصديق ما يتصوره المرء طبيعيًا

وكانت الفلسفة قبل ارسطوطاليس متفرقة فجمعها الا انها عادت بعده الى حالتها الاولى وتركها الاسكندريون على علاتها وكتب القديس اغسطينس في جميع مباحث الفلسفة الا ان آراءهُ الفلسفية منتشرة في كتبه بلا ترتيب فلسفي ومتابعة افكاره المتعددة التي يروم ايضاحها والمواضيع الكثيرة التي كتب فيها وبقيت الحال هكذا الى ان ظهر القديس يوحنا الدمشقي ومدارس القرون المتوسطة التي شادها شارلمين فابتدىء من ذلك الوقت في ترتيب مباحث ومطالب الفلسفة واللاهوت بطريقة صالحة للتعليم واشهر اساتذة القرون المتوسطة هم القديس انسلم والقديس توما دكان والقديس بونافنتير وديتس سكوت اما القديس توما الملقب بملك التعليم والمعلم الملكي فكان رئيس الفلاسفة المدرسيين واعظمهم وكتابه في اللاهوت هو كتاب وافٍ في الفلسفة

وظهر في القرون المتوسطة شيعتان مهمتان هما الشيعة اللفظية والشيعة الحقيقية فالاولى رئيسها روسكلين (في القرن الحادي عشر) ادعت ان العموميات او الافكار العمومية مثل التدوير والانسانية ليست صفات ناتجة عن حقيقة المادة وانما هي اسماء والفاظ اما الشيعة الحقيقية ورئيسها غليوم دي شامبو تلميذ روسكلين فقالت ان العموميات هي من صفات الاشياء الجوهرية والانسانية والتدوير مثلاً موجودان في كل فرد من الجنس وانما يحصل الاختلاف بالعرض وعليه قولهم ان الانسانية موجودة في كل انسان وان المرء يباين رفيقه بالعرض فقط فيستنتج من الشيعة الاولى الفلسفة التصورية ومن هذه الآراء الباتئية المعنوية ومن الثانية يستنتج المذهب الباتئي الحسي او المادي

البقية تاتي

اللابون

من قلم نجيب افندي ابرهيم طراد

بلاد اللابون واقعة في شمال اوربا او هي الطرف الشمالي الاقصى من مملكتي روسيا واسوج ووراء خط ممتد من جون كاندلاكس في البحر الابيض الى جزائر لودوفين النورجية وهذه البلاد الباردة صخرية وفيها جبال مجدبة تكسوها الثلوج وتتخللها اودية جميلة تجري فيها

الجداول متسلسلة بين الآجام والآكام الى ان تصب في الانهر والبحيرات الكبيرة وتنبت تلك الاراضي في الصيف اعشاباً ورياحين تسر الناظر غير ان ايام الصيف قصيرة جداً وعددها مائة أو تسعون واكثر ايام السنة شتاء بارد وثلوج وصقيع وجليد

وتوهم الناس بادئ بدء ان اللابون حيوانات تباين البشر تبايناً تاماً فقالوا ان جسد اللابوني وبر وعينيه في صدره والصحيح انه انسان ضعيف البنية معوج الجسم خفيف اللحية او لا لحية له اصفر يشبه بعينيه الجنس المغولي وخداه بارزان وفمه كبير وشعره اسود ويكون احياناً اسمر او اشقر صغير اليدين والرجلين وصوته كصوت الاناث ولون جلده اسمر لسبب الدخان المالئ خيمته ايام الشتاء ومن صفات هولاء الاقوام الادبية الصبر واحتمال المشقات لا يعرفون العشق والهيام بل يتزوجون لغايات اشعبية اذ اجمل النساء عندهم من كانت غنية تملك بعض الوعال (رنه) ويسميهم الروس والاسوجيون لابون كما ذكرنا اما هم فيدعون انفسهم سملاش والنروجيون والدنمركيون يدعونهم فنلانديين غير الفنلانديين المشهورين في كتب الجغرافية

ويوصف اللابوني بالبخل واللؤم لا يضيف احداً ولا يكلم غريباً اتى بلاده الا اذا كان ذلك الغريب رجلاً روسياً او اسوجياً حضر لشراء ما يملكه من جلد وفرو وهو خبيث ميال الى الاغراض على الاطلاق وشديد الخوف جبان لا يدافع عن نفسه اذا اغتاظ منه روسي او اسوجي وضربه ضرباً عنيفاً وانما يأخذ في التحبب ليحرك شفقته ومع انه يحتمل البرد بصبر عجيب يهجم على الادباب والذئاب بشجاعة عظيمة ومن المؤكد انه لا يحب اباه ولا امه ويترك بيت والديه حينما يترعرع والابوان يزوجان بنتهما لمن ينقدهما مهرها عرفاً ويلبس اللابوني قبعة طويلة يضع في راسها بلوطة ويلبس رداء جلد واسعاً جداً يربطه بزنار ويعلق بهذا الزنار كيس تبغ وكيساً آخر فيه ملعقة وغليون ويلبس في رجليه قفازين غير انه لا يعرف القمصان ولا الجوارب والمرأة تلبس كالرجل ولا فرق بينهما الا بهيئة القبعة وقد اعتنق اللابونيون الخاضعون للروسيين الديانة المسيحية حسب تعاليم الكنيسة اليونانية الارثوذكسية وتنصر الاخرون الخاضعون للاسوجيين واقتبلوا تعاليم الكنيسة البروتستانتية غير ان الفريقين يمزجان باعتقاداتهما المسيحية بعض خرافات وثنية قديمة

وينقسم اللابونيون باعتبار معيشتهم الى ثلاثة اقسام القسم الاول يسكن في السواحل ويتعيش بصيد الاسماك ويبيع ما يبقى منها للروس ويقتني احياناً بعض وعول وبقرة ومسكنه كمسكن الصيادين . القسم الثاني هم الساكنون في الغابات ومساكنهم كمساكن الاولين ويقتنون بعض وعول ويصطادون الاسماك من البحيرات والانهر ويقنصون الحيوانات

البرية مثل الذئب والثعلب وغيرها - والقسم الثالث هم السا كنون في الجبال فهولاء يعتنون بتربية الحيوانات ليعيشوا بدرها ولحومها ويلبسوا جلودها وخيامهم واطية غير قوية علوها متران وعرضها كذلك وينام فيها الاب وامرأته وبنوه وبناته وخادم اوخادمان واكثر من اثني عشر كلبًا

وفي ابتداء الربيع حينما يزول الثلج وتاخذ الاعشاب في الظهور يرحل اللابوني الى قمم الجبال حيث لا مرعى ولا كلأ وسبب ذلك انه لو بقي في ذلك المكان لتفسد الذباب وحشرات كثيرة واضرت المواشي واماتتها اما في الاماكن العالية والجزر الصغيرة فلا يوجد شيء من ذلك والغريب ان الرنه يتهافت على شرب ماء البحر مرة واحدة في السنة تهافت العطاش على الماء الزلال ولا يعلم ما سبب هذا الامر وانما يظنون انه يميت بشربه الماء الملح جراثيم الحشرات المؤذية ولا يشرب الرنه ماء البحر اكثر من مرة واحدة في السنة ولو أُكره على شربه ومتى عاد الشتاء ببرده وزمهريره يعود اللابوني الى محله الاول فينصب خيمته ويفرش جلوده ويوقد ناره فيتصاعد الدخان ويملأ الخيمة ويعمي بصره ويمتع نفسه بالماطعامه فتلفه لا ملح فيه ويظهر ان ايام الشتاء هي اجمل وابهج ايام اللابوني لانه يسرح فيها و يمرح ويسافر بسرعة عجيبة على الثلج ماشيًا او بمركبة ويقطع مسافة ثلاثين او اربعين ميلا ليذهب الى الكنيسة التي بناها الاسوجيون ولا يبالي ابدًا البحيرات والانهر لانه يجتازها بتبقايه مسرعًا اذا البرد قد جمدها وجعلها كالارض اليابسة ويقطع اللابوني بمركبته التي تجرها الرنه مسافة اثنين وثلاثين كيلومترًا في الساعة وذلك يقارب سرعة السكك الحديدية

قبائل البتاغون

من قلم نجيب افندي ابرهيم طراد

ان قبائل البتاغون ساكنة بالاراضي الواقعة في اميركا الجنوبية بين لابلاتا وبوغاز مجلان وهي بلاد مجدبة قاحلة لا تنبت سوى اعشاب قليلة متفرقة في سهولها الواسعة حيث يقل الماء العذب الزلال وتكثر البحيرات والملاحات فتشبه باليبوسة اقاليم اواسط افريقيا ويزيد وجه ذلك الشبه وجود حيوانات كالنعامة وقد اكتشف هذه القفار سنة ١٥٢٠ السائح الشهير فرديناد مجلان البرتوغالي في رحلته حول الدنيا وتطلق لفظة البتاغون مجازًا في اللغات الاوربية على رجل طويل جبار وسبب ذلك ان البتاغون اطول الناس قامة واكبرهم جسمًا ولما نظرهم الاسبانيون عن بعد اول مرة ظنوهم مردة او من سلالة الجبابرة الاقدمين الذين نوهم المبشر بوجودهم فحدثوا عنهم وبالغوا حتى قالوا ان طول البتاغوني ست اوسبع اذرع وان الرجل الاوربي يكتفي ان

بعرجين رجليه كما كانت تمر السفن الداخلة الى رودس بين رجلي التمثال المنصوب في مينائها والصحيح ان البتاغوني مع كونه طويلاً لا تكون قامته اطول من ثلاث اذرع ونصف الى اربع وامرأته البتاغونية طويلة ايضاً ولكنها اقصر منه ونسبتها اليه كنسبة المرأة الى الرجل في بلادنا وفي جميع العالم

وهؤلاء الاقوام الاشداء اغبياء ومتوحشون يطوفون اراضيهم المقفرة في طلب الرزق وهم حاسرون حفاة لا يعرفون ثياباً سوى رداء واحد من جلد الحيوانات يتنكبونه ويرسلونه الى الاقدام ويلبسون في ارجلهم جوارب جلد تشبه بهيئتها رجل البط واشارة الى ذلك قد دعوا بتاغون باللسان الاسبانيولي اي رجل البط الوبرة ويصور البتاغوني حول عينه الواحدة دائرة حمراء وحول عينه الاخرى دائرة سوداء ويصبغ بدنه بلونين مختلفين هما الاسود والابيض ويرسم على القسم الابيض صورة القمر بلون اسود وعلى القسم الاسود صورة الشمس بلون ابيض اما صفات البتاغون فحسنة جداً لانهم يوصفون بالبشاشة والشجاعة وكرم الاخلاق ولا يعرفون الحقد ولا الانتقام وطعامهم الحيوانات البرية مثل الغوناكو وهو يشبه الوعل ويصطادونه بالهجوم عليه في المراعي واحاطته من كل الجهات لئلا يهرب اويرمونه بحجارة ملفوفة بالجلود ويصطادون ايضاً الناندو وهو حيوان يشبه النعامة فيجفلونه ويطردونه الى جهة يكون كامناً بها بعضهم فيضربونه بالحجارة ويعينه في الحال

والمظنون ان تمدن البتاغون سهل لولا وجودهم ضمن قفار لا تنبت شيئاً وتلزمهم ان يطوفوا تلك البوادي ليصطادوا حيواناتها ويتخذوا لحومها طعاماً وجلودها لباساً وخياماً

الرياضيّات

مسألة رياضية

مربع خمسة وثلاثين بيتاً يطلب ان يوضع فيه ستة اعداد مكررة كل منها ست مرات بحيث يتحلى المربع ويشترط فيه ما يأتي اذا ضربت اعداد صفوفه المستقيمة العرضية والعامودية واعداد الصفين القطريين المستقيمين اي من كل زاوية الى مقابلتها بعضها في بعض كل صف على حدة (والصفوف ١٤) تكون الحواصل كلها متساوية

فما هي صورة هذا الشكل المربع المرتبة فيه الاعداد المشار اليها بحيث لا يخل فيه شيء من الشروط المذكورة بتمامها وما هي القاعدة العمومية لاستخراج هذه الاعداد المجهولة ولمعرفة كيفية ترتيبها في الشكل المومأ اليه

ح . ع .

حل المسألة الجبرية الواردة في الجزء الرابع من السنة الاولى من الصفاء

بقلم جناب الاديب امين افندي جابر

لنفرض ان ثمن الدرة ك والخاتم الاول ثمنه ي والخاتم الثاني ثمنه ل وبحسب شروط المسألة اذا صاغ الدرة في اول الخاتمين الخ يكون لنا ك + ي = ل + ٢٣ك/٢١ اي الدرة مع ١/٢١ من قيمتها

ثم اذا صاغ الدرة في الثاني لنا من ذلك ك + ل = ٤ ي + ١٠ ثم ثمن الدرة اي ك = (٥ل + ك)/٧ فهنا لنا ثلاثة مجاهيل في ثلاث معادلات

(١) ك + ي = ل + ٢٣ك/٢١
(٢) ك + ل = ٤ ي + ١٠
(٣) ك = (٥ل + ك)/٧

بالجبر والمقابلة والقسمة

(٤) ك = ٢١/٢ ي — ٢١/٢ ل
(٥) ك = ٤ ي — ل + ١٠
(٦) ك = ٣٥ل/٦

وحسب الاولية الحادية عشرة وهي ان الاشياء المتساوية لشيء واحد متساوية بعضها لبعض فلنا

(٧) ٢١/٢ي — ٢١/٢ ل = ٤ي — ل + ١٠ بالمقابلة
(٨) ٤ي — ل + ١٠ = ٣٥ل/٦ بالجبر والمقابلة

لنا

(٩) ١٣/٢ي — ١٩/٢ ل = ١٠
(١٠) — ٢٤ ي + ٤١ل = ٦٠

بضرب المعادلة التاسعة في ٨ والعاشرة في ٩ لنا

(١١) ١٦٣ي — ٢٤٠ ل = ٨٠
(١٢) — ١٦٣ي + ٢٦٤ل = ٥٤٠

بالجمع لنا من ذلك ١٢٩ ل = ٦٣٠

ل = ٦٣٠/١٢٩ اي ٤٢٣/٧٧٤ ثم بالتعويض في المعادلة ٦ لنا ك = ٢١٧٠/٧٧٤ ثم التعويض في المعادلة الثانية لنا ي = ٤٤٣٠/٧٧٤ وعند الامتحان يبان ذلك

وقد ورد لنا حلها ايضاً من بغداد بقلم رزق الله افندي عزو

اخبار واكتشافات واختراعات

سكة حديدية لنقل البواخر

تقرر انشاء سكة حديدية في المكسيك من اميركا لنقل البواخر بشحنها وركابها وملاحيها من سين فرانسيسكو الى يوبنبوسا يرعلى مسافة ماتين وخمسين كيلومترًا في ست عشرة ساعة وقد تعدلت نفقاتها بما قدره ٧٥ مليون ريال اميركاني (٣٧٥ مليون فرنك) وتعهد ملتزمها المهندس الشهير الموسيو ايادس بانجازها في سنتين اثنتين اي سنة ١٨٨٩ ولا يخفى على احد اهمية هذا المشروع العظيم وانه من عجائب هذا العصر التي لا يتصور امكان حدوثها العقل . وليست هذه هي المرة الاولى التي عهد بها الانسان للمراكب البحرية طريق السير على اليابسة فان حكومة فينيسيا نقلت عمارتها البحرية برأسها سنة ١٤٢٨ من نهر ادج الى بحيرة بناكو

غريبة

حدث اخيرًا في مدينة ادنبورج حادثة غريبة صرفت اليها الخواطر فان اللورد مارهام من اصحاب الامتياز والمراكز السامية في مدينة كريال عرض معاشًا سنويًا لمدى الحياة قدره مئتا ليرا استرلينيه يدفعها كل سنة لمن يقبل بالمعيشة تحت الارض مدة عشر سنوات مقطوعًا عن العالم لا يشاهد احدًا على الاطلاق ويترك شعره واظافره ولحيته تنمو نموها الطبيعي بدون ان تمس في كل هذه المدة وقد انشأ هذه الغاية في جنينته الخاصة سردابًا تحت الارض قسمه الى قاعة وحمام وغرفة للقراءة فيها مكتبة عظيمة تحوي من جميع الكتب الادبية المفيدة ولهذا السرداب باب ضيق يتزل منه مع بعض منافذ اخرى يرسل منها الطعام والماء بحيث لا يلزم الدفين الا ان يقرع جرسًا امامه للحصول على جميع مرغوبه

ولما شاع الخبر تقاطر على هذا اللورد كثيرون لاختيارهم لهذه المهمة شابًا يدعى غيليوم دوفيس ابن كاهن فقير فانزل الى ذلك السرداب وقضى فيه عشر سنوات ثم بعد استيفاء المدة خرج يطالب بالمعاش السنوي المتفق عليه وكان اللورد قد توفي في تلك الاثناء فابى ورثاؤه دفع هذا المعاش لان الاتفاقية المعقودة بينهما تصرح بلزوم دفعه لمدى الحياة بوجه عام ولا يعلم هل المراد بذلك مدى حياة اللورد المشترط او الشاب السجين والناس تنتظر بفروغ صبر نهاية هذه المحاكمة

اختراع جديد

ذكر في الجرائد الفرنساوية انهُ سيحصل قريبًا اختبارات مهمة في محطة مونتبارناس لمنبه كهربائي اخترع حديثًا والغاية منهُ ضمانة الامن للمسافرين في القطارات الحديدية حتى اذا فتح احد ابواب العربات مثلاً في اثناء سير القطار اووقع احد الركاب في خطر او حاول النزول ينبه الربان الى ذلك بدق جرس ثم يظهر على لوح امامهُ عدد العربة المعرضة للخطر فيبادر لملافاة الطوارئ قبل حصولها

الة لكتابة العميان

لا يخفى ان العميان مصطلحون الى الان على مراسلة بعضهم بحسب طريقة برالي وهي ان يطبعوا بقلم مخصوص على ورق سميك نقطا نافرة على ان تكون النقطة الواحدة بمقام الالف والنقطتان بمقام الباء وهلم جرا وهكذا يركبون جملاً طويلة لا يتوصل الى حلها غير العميان او المتضلعين كثيرًا في هذه الطريقة من اصحاب النظر وقد اخترعت حديثًا آلة جديدة ترسم بحال طبع النقط المذكورة احرف الهجاء المراد كتابتها بحسب صورتها الاصلية فصار يمكن العميان والحالة هذه ان يراسلوا ايًا شاءوا من الناس بالاستناد الى هذه الالة المفيدة وثمنها عشرون فرنكًا

التليفون بين فرنسا والبلجيك

يستفاد من الاخبار الاخيرة انهُ تم الاتفاق بين فرنسا والبلجيك على مد التليفون بين البلدين وقد جرت المصادقة من الحكومتين على الاتفاقية المذكورة بحيث لا يلبث المشتركون في باريز وبروكسل ان يخابروا بعضهم من منازلهم بدون تكلف اقل المشقات وقد تعينت اجرة المحادثة بين البلدين عن كل خمس دقائق ثلاثة فرنكات ثم ورد بعد ذلك ان اتصالات التليفون تقررت بين البلجيك وفرنسا

المد والجزر في البحر المتوسط

نشر الموسيو هنري دي بارفيل مقالة علمية نوه بها الى فساد ما ذكر في بعض الكتب العلمية من كبيرة وصغيرة لجهة عدم حصول المد والجزر في البحر المتوسط واثبت خلاف ذلك وان البحر المتوسط كغيره من البحور يحصل فيهِ المد والجزر ولكنهما فيهِ اقل منهما في الاوقيانوس وبحر المانش وقد لحظ ذلك منذ بضع سنوات وتاكد من التحقيقات الاخيرة التي باشرها الموسيو فيكان كبير المهندسين في فرنسا

صيام الكلاب

انكر بعض الفسيولوجيين ما اشتهر اخيراً من امكان الصيام مدة اربعين او ثلاثين يوماً بدون متناولة شيء من القوت وصرحوا انه لا ثقة لهم بمن يدعي هذه الدعوى من الاطباء ولكن ظهر اخيراً من التجارب ما حقق هذه الدعوى واصمت كل معترض فان الموسيو لابورد اراد امتحان ذلك في الكلاب فاحضر كلباً وزنه خمسة عشر كيلو غراماً وخمسمائة غرام ومنع عنه الغذاء والماء ثم احضر كلباً اخر من جنسه ووزنه وحجر عليه بجانب رفيقه ومنع عنه الغذاء دون الماء فمات الكلب الاول بعد عشرين يوماً من صومه اما الكلب الثاني فبقي حياً نشيطاً واستمر صائماً اربعين يوماً وكان يمكن اطالة مدة صيامه الى اكثر من ذلك بالنظر الى حالة صحته وفي اليوم العشرين بلغ وزن الكلب الميت ٦ كيلو غرامات اما الكلب الذي بقي حياً فبلغ ٩ كيلو غرامات وخمسمائة غرام ومن ذلك الحين كان يقلل تقصيه وشربه للماء تدريجياً وقد بلغ وزنه في نهاية اليوم الاربعين من صيامه ٧ كيلو غرامات و٥٠٠ غرام

الموسيو شيفرول

افادت اخبار فرنسا الاخيرة ان العالم الشهير الموسيو شيفرول استعفى من جمعية النبات والتاريخ الطبيعي ومن جمعية المزروعات الوطنية وبان له انه معتمد على ترك زملائه في مجمع العلماء قريباً ايضاً والاعتزال الى ديجون بجانب ابيه ولقد اعلم العالم من العمر مئة سنة صرفها في خدمة الانسانية والعلم وافاد العالم فوائد جمة ومن اهم اكتشافاته عمل الشمع الذي نضيء به قاعاتنا الى الان

حكاية

لا يخفى ان الدكتور سوكي صام اخيراً مدة ثلاثين يوماً كما نقلت الينا ذلك الرسائل البرقية والجرائد وكانت قد حصلت المقاولة بينه وبين الموسيو لارني على ان يدفع له هذا الرجل عند نهاية صيامه بمقتضى الشروط المعقودة بينهما خمسة عشر الف فرنك ووضع هذا المبلغ امانة عند احد الصيارف في باريس ولكن الموسيو لارني يمانع الان بتسليمه الى الدكتور سوكي المذكور بدعوى ان صيامه لم يكن مشدداً وانه خالف الشروط المبنية عليها هذه المقاولة فان الدكتور سوكي ملتزم بمقتضى هذه الشروط ان يصوم ثلاثين يوماً متتابعة لا يتناول في اثنائها شيئاً خلاف ماء فيشي وماء هونيادي يانوس وان لا يشرب من شرابه المشهور الا مرة واحدة في اليوم الاول من صومه ثم تعهد ايضاً بالمسير للتنزه اثناء الصوم ماشياً على رجليه وان يباشر جميع انواع الالعاب

الجسدية كلعب السيف ولعب الجومنستيك وخلافها ومتى انتهى اجل الصيام بتناول الغذاء للمرة الاولى على مرأى من العموم والذي يدعيه الموسيو لابرني الآن ان الدكتور سوكي خالف هذه الشروط في مواد شتى واهمها انه شرب من شرابه (ويظن انه من الافيون) في اليوم الثامن من صومه بدون مصادقة العمدة الطبية ولا عمدة الجرائد المكلفة بملاحظة الصيام وفضلاً عن هذا فان الدكتور سوكي لم يذهب لمناولة الطعام بعد نهاية صومه في ملعب الدنياترو كما تعهد ومن اجل هذه المخالفات يلتمس من العمدة التي اقيمت حكماً بينهما لفصل هذه الدعوى ان تمنع الصراف المؤتمن على المال من تسليمه الى الصائم الشهير اما الدكتور سوكي فيبرئ نفسه ويؤيد كونه اتم بتعهداته بكمال الدقة والضبط ويظهر من الشهادة التي حررتها العمدة الطبية صحة صيام هذا الدكتور وان التهامه للخمسة عشر غراماً من الافيون لا يجحف بصحة هذا الصوم

المنتحرون في ويانه

بلغ عدد المنتحرين في ويانه سنة ١٨٨٦ الماضية ثلاثمائة وخمسة وسبعين نفساً بينهم مائة واثنتان وسبعون من النساء

الاحصاآت

ان الحكومة الاولى التي باشرت احصاء رعاياها انما هي حكومة الصين وذلك ايام الامبراطور ياو سنة ٢٣٢٨ قبل المسيح ثم استعملته بعد ذلك اليهود والرومانيون والعرب ومنذ الجيل الثامن عشر صار الاحصاء علماً وكتب بعضهم كتباً اظهر فيها اهمية هذا العلم ومركزه وحدوده وعلاقاته مع بقية العلوم وهو اليوم من القواعد الضرورية لانتظام الممالك وشغل شاغل لرجال العلم بالنظر الى حصول الزيادة والنقصان في اعداد الامم والبحث في معرفة الاسباب التي يتوقف عليها النمو والراحة والتقدم

اكتشاف مهم

اكتشف احد الجابونيين المدارسين في المدارس الفرنساوية على طريقة جديدة لاصطناع ورق جميل شفاف قوي من الاعشاب البحرية يلون بجميع الالوان ويمكن استعمال هذا النوع من الورق بدلاً من الزجاج

غرائب الخلق

قرأنا في الجريدة الدنيا عن وجود عائلة برمانية في بار بزبكسو اجسادها الشعر من قمم

راسها الى اطراف اقدامها وهي البقية الباقية لجنس من الخلق فرضته الايام والناس تتوارد افواجاً للتفرج على هذه العائلة الغريبة

سياحة حول الارض

ان احد الاميركانيين واسمه طوماس ستيفانس رأى ان يسوح حول الارض على عربة صغيرة بعجلتين يديرها الراكب بارجله فنزل صحواً بعجلته المذكورة الى مركب نقله الى شطوط اوربا وبعد ان تجول في جميع الطرق الصعبة في هذه القارة ركب قطاراً وتوجه الى اسيا ثم وصل منطايا حملالاتي افغانستان فاساء الانكليز ثمة معاملته والتزم ان يركب البحر فانحدر مع عجلته الى باخرة نقلته الى بومباي حيثما ركب فيلاً وتوغل في داخلية الهند والاخبار الاخيرة الواردة من هذا السائح تفيد كونه في شانغاي وان الصينيين اساؤوا معاملته كالانكليز في افغانستان وعند مروره في كينكنج وذلك في ١٦ تشرين الثاني الاخير لحق به الناس يراشقونه بالحجارة ظناً منهم انه من الارواح الشريرة ثم هجم عليه الاهلون في كينكريتو وكسروا عربته شنعاً وكادوا يقضون عليه لولم تتداخل الضابطة وتنقذه من ايديهم وتسفره خفية من المدينة الى شنغاي اثناء الليل على مركب شراعي ثم سافر من هنالك الى الجابون على باخرة تجارية ووصل الى ناجازكي في ١٢ تشرين الثاني والمنتظر وصوله قريباً الى سين فرنسيسكو وقد استعد مواطنوه الاميركان لملاقاته باحتفال عظيم ولا سيما عندما يكشف لهم عن بقايا العجلة التي اصحبها معه في جميع هذه الاسفار

ونشرت جريدة الاسبيرو التي تطبع في نيويورك ان القبطان كلودمان مراده ان يباشر وحده نفس هذه السياحة حول الارض على فلك صغير ولا يخفى على احد مقدار الاخطار التي تتهدد هذا الرجل بهذه السياحة الغريبة لكنها لا تخلو من الفوائد فمنها يعلم الباحثون ما يمكن الرجل المنفرد ان يعمله في عرض البحر عندما يكون ملتزماً بادارة الدفة ونشر القلوع واعداد الطعام واخذ الوقت الضروري للرقاد والراحة بدون مساعد على الاطلاق

احصاء الحيوانات في فرنسا

يظهر من الاحصاءات الاخيرة التي اجرتها وزارة المزروعات الفرنساوية انه يوجد في فرنسا ٢٩١١٠٠٠ راس خيل و٥٨١٨٠٠٠ ثور و٢٣٦١٦٠٠٠ خروف و١٢١٤٠٠٠ بقرة و١٤٨٢٠٠٠ ماعز و٢٣٨٠٠٠ بغل و٣٨٧٠٠٠ حمار ويستدل من هذا التعديل على ازدياد الحيوانات في فرنسا ولا سيما البقر فانها زادت عن التعديل السابق مقدار مليون ومائة وثمانية وخمسين الفاً

اكبر جواهر العالم

ان عمدة الجواهر في لندرا حاصلة الان على اكبر جوهرة وجدت في العالم من الماس الابيض الصافي وقد بلغ وزنها اربعماية قيراط ولا يخفى ان ملك البورتغال اشترى جوهرة تزن تسعة عشر قيراطًا بمائتين الف فرنك وقد وجدت هذه الجوهرة الفريدة في جنوبي افريقيا

مخترع الالة البخارية

افادت الجرائد الفرنساوية انهُ احتفل اخيرًا بنصب تمثال للعالم الفاضل دينيس بابين مخترع الالة البخارية في متحف الصنائع والفنون وهذا التمثال يمثل العالم المشار اليهِ واقفاً ويده اليسرى على دست مرتفع على موقدة كانهُ ينتظر تكون البخار وقد نقش على قاعدة ذلك التمثال ما ياتي دينيس بابين ولد سنة ١٦٤٧ وتوفي ١٧١٤ واخترع الالة البخارية سنة ١٦٩٠ نشيد تمثالهُ باكتتاب وطني ١٨٨٦

طريقة جديدة لمعالجة الجدري

ذكر في الاونيون فرماسيتيك ان الدكتور دسي كاستيل استنبط طريقة جديدة لمعالجة هذا الداء باستعمال الايثير والافيون وقد اختبر هذه الطريقة كثيرون من الاطباء واثبتوا نجاحها وكان هذا الدكتور قد ابتدأ باستعمال الايثير حقناً تحت الجلد ولكن وجد اخيرًا ان حبوب الايثير تاتي بنفس هذه الفائدة وتكون انسب عملاً واقرب تناولاً اما طريقة استعمال العلاج فهي ان يعطى للبالغ في مدة ٢٤ ساعة ١٥ حبة من الايثير و٢٠ سنتيغرامًا من خلاصة الافيون تقسم الى جرعات متوازنة على عدد الساعات اما في الليل فيفسح بين الجرعات المذكورة حتى لا ينبه المريض وقد يحصل عن ذلك تقدم سريع الى الصحة وزوال الاوجاع ومنع التشوه واذا انذر التقيح بالخطر وكثر انتشار البثور فيكون من المناسب دهنها بمزيج جزء من مرهم الزيبق مع جزئين من الشحم . ولكن الحذار الحذار من طلي الوجه بسائل الكولوديون كما يشير جهلاً بعض الاطباء حيث يخشى حينئذٍ من اشتداد العوارض الخطرة وزيادة البثور والتقيح ولربما يتاتى عنهُ الموت ايضاً كما اثبت ذلك بالاختبار الدكتور كومبي عضو جمعية المستشفيات الطبية في فرنسا

الفليكوفين

هو مستحلب يركب من اربعة اجزاء من مح البيض وخمسة من الجليسيرين وهذا الاستحضار مفيد جدًا للامراض الجلدية والحروق ولا سيما لتشقق حلمات الثدي

استحضار للوقاية من الصدأ

ذكرت الدنكل جورنال عن استحضار مركب من غرام واحد من سيانور البوتاسيوم وغرامين اثنين من الصابون والطباشير المغسول لوقاية المواد المعدنية من الصدأ. ولا حاجة للتوصية بلزوم التحرس التام عند استعمال هذا الاستحضار السام

شهيدا الكوكايين

حدث في شهر تشرين الثاني الاخير ان الدكتور كاوصين الروسي اراد ان يجري للمرة الاولى امام جمع غفير مفعول التخدير الموضعي بواسطة الحقن تحت الجلد بمحلول الكوكايين فاستعمل من ذلك مقدار غرام ونصف لفتاة في الثانية والعشرين من العمر بدعوى ان الفرنساويين يستعملون اضعاف هذه الكمية فتم العمل بسهولة ولكن ما لبثت الفتاة ان توفيت على اثر ذلك ولما رأى الدكتور المذكور نتيجة عمله انتحر

غاز الفلور

عرض الخبير الكيماوي الموسيو مواسان معلم درس السموم ومعالجتها على جلسة المجمع الصيدلي الفرنساوي طريقة استعملها للحصول على غاز الفلور وكان قد تعسر الى الآن الحصول على هذا الغاز بسبب اتحاده مع الاواني التي تستعمل لحصره باشكال جرارها وانابيبها ولكن هذا الكيماوي تمكن بعد تعب جزيل وتجارب عديدة واختبارات مختلفة من حصره وهو غاز عديم اللون له رائحة موثرة كريهة قريبة من رائحة الكلور ويمكن الحصول منه على ليتر ونصف الى ليترين في الساعة

براءة في روسيا

اصدرت المحكمة الجزائية الروسية حكمها في دعوى براءة حصلت من مدة بين اصغر اولاد الجنرال لازاروف الشهير في الحرب الاخيرة والقبطان بانيوتين من حرس الامبراطور الخاص وذلك ان القبطان نيودوري بانيوتين المذكور تودد الى عائلة لازاروف اثناء وجودها في مياه كيسلوفودسك من القوقاز ثم علق بحب الفتاة ابنة لازاروف شقيقة المبارز وقال لها في احد الايام اني لم اصادف في حياتي بين النساء من وجدت فيَّ مثل هذه التأثيرات التي اوجدتها نعم اني عرفت سابقاً فتاة احببتها وهي الاميرة ن. ولكن نسيتها الان كل النسيان وعند اواخر الخريف تقدم اليها يطلب الاقتران منها فاجابته بالايجاب وقالت انها ترغب حصوله على رضا عائلته قبل الزواج ثم سافرت الى بطرسبرج وكانت اخبار هذه الخطبة

قد سبقتها اليها وانتشرت على السنة العموم فتواردت عليها التهاني من جميع الجهات ثم مضى بعد ذلك مدة مديدة بدون ان يصلها خبر عن عائلة الموسيو نابوتيين ولما طال الانتظار كتبت اليه بهذا الخصوص ثم ارسلت رسالة برقية تسالهُ فيها عن اسباب هذا السكوت فاجابها اني عند ما صرحت لعائلتي بمرادي اغمي على امي لان نصيبي كان مقرراً منذ زمن طويل ومن اللازم ان اتزوج الاميرة او . . التي اخبرتك عنها في القوقاز ولا ريب اني اذ نسيت نحوك بكثرة التودد اليك ولكن حبي يشفع بذنبي واكدي انك ستنفين على الدوام افضل تذكار لحياتي وعند وصول هذه الرسالة الى السيدة لازاروف اجابته بهذه العبارة اني سعيدة لاني كنت على وشك الاقتران من رجل بلا مزية ونبهت الى ذلك في الساعة المناسبة

وبعد هذه المراسلة ببضعة ايام علم الناس باقتران الموسيو نابوتيين من الاميرة او .

وبلغ هذا الخبر اخوة الفتاة فكتبوا الى صغيرهم بطرس لازاروف ان يحضر الى اراضي القبطان بانيوتيين ويطلبهُ للبراز وكان شقيقهم المذكور قد ذهب ونفذ الى بطرسبرج يطالب من الغراندوق نقولا الذي استدعاه اليها بالبرق لاستيضاحه عن هذه المسالة فكتب من هناك الى الموسيو بانيوتيين رسالة عدوانية يطلبهُ فيها للمبارزة وصدف اذ ذاك ان القبطان كان مع عروسه في اراضيه يصرف واياها شهر العسل بالمسرات فاجابت امهُ بتاجيل الطلب الى حين رجوع ابنها ثم اجتمع بعد ذلك الخصمان وتقرر البراز واتفق الشهود بعد مداولات طويلة على جعل مكان القتال في تسارسكوي سيلو على نحو عشرين فرسخاً من بطرسبرج وتعين الاجتماع في ٣ نيسان الساعة السادسة مساء في حرش بجانب الطريق العام وكان السلاح المختار للقتال الغدارات على ان يتبادل الاثنان اطلاق الرصاص على خمسة وعشرين قدماً مع الحق لكل منهما بالتقدم الى خمسة عشر قدماً وان الغدارة التي تصلد يعاد حشوها بحيث ينتهي كل شيء في ثلاث دقائق وعند اللقاء صلدت غدارة الموسيو لازاروف فاعاد حشوها بحسب الشروط ثم تقدم اربع خطوات واطلقها فاصابت احشاء خصمه فسقط الى الارض متأثراً بجرح قتال قضي عليه في اليوم الثاني من ذلك البراز ثم رفعت القضية حالاً الى مسامع الامبراطور واحضر الموسيو بطرس لازاروف للمحاكمة بحسب القانون الروسي وما تراه انه اذا قتل المعتدى عليه في البراز يحكم على المعتدي بسجن ست سنوات وثمانية شهور واذا قتل المعتدي يجازى المعتدى عليه بسجن سنتين وستة شهور وقد صرح وكيل الامبراطور اثناء المحاكمة ان الموسيو لازاروف معتدٍ وطلب معاملته بما ينطبق من القانون الروسي على المعتدين اما وكيل المدعى عليه فدافع عن موكله بمزيد الفصاحة وختمت الجلسة بالحكم على بطرس لازاروف بحبس سنتين كاملتين وستة شهور

كلوريد القصدير

قرأنا في المونيتور دي بروديي شيميك ان الدكتور ابورا اى استعمال كلوريد القصدير بدلاً من محلول السليماني لمنع الفساد وهو اقل سماً وضرراً وممن المقرر انه اشد تاثيراً من كلوريد الزنك وكبريتات النحاس والزنك والحديد وطريقة استعماله هي ان يمزج بما يعادله من كلوريد الامونيوم حتى لا يستحيل الى اوكسيكلوريد القصدير ويتعذر ذوبانه

جنون احد محرري الجرائد

اصيب احد محرري الجرائد في ريبيسمون فرنسا بجنون فجائي حاد فحمل بندقيته وانطلق الى الشارع العام يرمي المارة بالرصاص فجرح خمسة اشخاص وما زال الى ان حضرت الشرطة وقبضت عليه

جمعية زهرة الاحسان الارثوذكسية

نشرت جمعية زهرة الاحسان الارثوذكسية كراسة ا ت فيه حساب دخلها وخرجها في السنة السادسة من تاسيسها اي سنة ١٨٨٦ الماضية فكان الوارد اليها من صدقات المحسنات واجر التعليم وشغل التلميذات ١١٣٢٠١ غرشاً و٣٠ باره وبلغ ما انفقته من مصاريف عادية ٧٩٦٦٤٨ غرشاً و ٥ بارة وقد وقفنا على مقدمة لتلك الرسالة اظهرت فيها الجمعية ما تلاقيه في كل يوم من المعقبات في طريق النجاح معلنة للمحسنات الكريمات ازدياد نفقاتها في كل عام قياماً بواجب اعالة وتهذيب التلميذات قد ٦ ثلوسنت عليهن لتغرس في قلوبهن وهن صغيرات مبادئ التمدن الحقيقي والدين كي يكن يوماً ما زينة وطنهن السوري وسبب تقدمه وفلاحه وقد راينا لها في عرض ذلك كلاماً موجزاً اشارت به الى اعراض بعض المحسنات عنها بلا سبب يوجب الملل والانقطاع عن مساعدتها المداومة ونعزيز هذا العمل المبرور

ولا يخفى ان جمعية زهرة الاحسان هذه هي مأثرة وطنية قد انشاها في ثغرنا منذ بضعة اعوام بعض السيدات الفاضلات لتربية وتعليم بنات الارثوذكسيين الفقيرات مجاناً وتهذيب غيرهن اللواتي لم يجدن الدهر باجرة زهيدة لا تتجاوز ربع ما تتقاضاه المدارس الاجنبية مع انها تفوقهن جميعاً في حسن الادارة والترتيب العائدين على الرئيسة الفاضلة المتبتلة لبيبة جهشان بثناء العموم وشكرهم العميم فنرجو ان نداء الجمعية المذكورة يصادف صدى في صدور السيدات المحسنات فيرمقنها بالاحسان اليها شفقة على بنات لا يعرفن ملجأ سواها وخدمة للانسانية التي لم تعدم على ما نظن في بلاد نا بين ربات الخدور رضاعات كريمات فاضلات

باب التاريخ

تاريخ الدولة الرومانية الشرقية
او تاريخ ملوك القسطنطينية المسيحيين
تاليف الاديب البارع نجيب افندي ابرهيم طراد

الديباجة

ان تقدم المعارف والعلوم في بلادٍ ما لأعظم دليل على تقدم تلك البلاد في معارج التمدن والثروة لان الانسان اذا كان وحشيًّا لا يمكنهُ ان يدرك لذة العلوم العقلية الادبية واذا كان فقيرًا محتاجًا الى قوتهِ الضروري يجهد في تحصيلهِ نابذًا وراءهُ ظهريًّا قواعد العلم واقوال العلماء . ولقد يسرُّني جدًّا ان أرى كثيرين من ابناء مدينتنا الزاهرة وسكان قطرنا السوري باذلين الهمة لادراك ما سبقهم اليهِ الغربيون وما وضعهُ قبلاً اجدادهم الكرام الفضلاء ايام كانت شموس المعارف مشرقة في ديارهم الشرقية فلنا من ذلك بشرى بتحسين حالتنا الادبية المادية وأملٌ وطيدٌ ان هلال نجاحنا سيصير بدرًا كاملاً ان اعتني الدارسون منا بدرس لغتهم التي رضعوها مع اللبان ليمكنهم ان ينشروا لمواطنيهم بلسانهم العربي ما يرونهُ مسطرًا في الكتب الاعجمية وقد ادرك المدرسون الافاضل في كل العالم ان تعلم اللغات الغريبة مهم لاكتساب افكار وحكمة الغرباء . وقد ذكر العرب ذلك كثيرًا في نثرهم وشعرهم ولكنهم رأوا درس لغتهم الاصلية اهم وانفع

من يا ترى لم يبصر بعض الذين يدَّعون الرفعة والذكاء يتفاخرون بجهلهم اللغة العربية ويتحادثون اناء الليل واطراف النهار بلغة اجنبية هي الفرنسوية مثلاً وهم في الغالب لم يتقنوها ولا يمكنهم التكلم بها صحيحًا أيجهلون ان تكلم المرء بلغتهِ يشرح صدرهُ ويسرُّ المخاطب لانهُ يكون اقدر على تادية المعاني والتعبير عن حاسياتهِ بسهولة ووضوح . لقد آن الاوان ايها الكتبة ان تشمروا عن ساعد الهمة وتجردوا اليراع لاصلاح خلل مواطنيكم اذ تقدم البلاد متوقف على تقدم المعارف والعلوم التي انتم خدامها فكونوا اذًا خدامًا امناء غيورين ولا يفعلنكم نعيق ولوم بعض الكسالى الذين لا يدرون شيئًا ولا يدرون انهم لا يدرون فمثلهم مثل الزنابير الحائمة على خلايا النحل لتنسد بسهولة ما جنتهُ تلك بالكد والتعب هذا واني قد وضعت رسالة موجزة بهذا

الموضوع متضمنة اقتفادتنا أدبيًا لطبقات سائر ها قربيًا وآمل انكم ترمقونها بعين الرضى وتتخذونها كستوطئة لترسا ئلكم البليغة المبيدة

اما الآن فاني مقدم لحضرة الجمهور الجزء الثالث من تاريخ الرومانيين العام وهو تاريخ الدولة الرومانية الشرقية الى حين انقراضها سنة ١٤٥٣ ب. م وقد أثبت به تاريخ كنيسة المسيح في سائر الاقطار من تنصر قسطنطين الكبير الى زمان الانشقاق العظيم مقتصرًا بعدهُ على تاريخ الكنيسة الشرقية ومفردًا الثالث فصولاً مخصوصة أدرجت كلاً منها في اخر كل قرن ليكون هذا البحث المهم اسهل تناولاً وشاملاً بترتيب جميل تفصيل جميع الحوادث الدينية الحادثة في تلك الاعصار

ولما كان تاريخ الكنيسة من اهم المباحث العلمية التاريخية وأدقها لا سيما بديارنا السورية لتعدد المذاهب فيها وتباين الاغراض اخالف قبل الشروع في هذا المشروع ان المتعصبين منهم سيرشقونني بسهام التحامل والتوبيخ ان ابديت رأيًا مخالفًا لمعتقدهم ففرارًا من الشحناء والجدال وعملاً باوامر الحكومة السنية قد وقفت وقفة مؤرخ بصير متنزه عن الاغراض ومتحاشيًا ما أمكن عن الخوض في عباب المسائل اللاهوتية ومحترسًا من تخديش الاذهان وحاصرًا ذلك البحث ضمن دائرة التحفظ والحايدة لتكون النتيجة تاريخية محضًا لا يرى الخصوم فيها الى النميمة سبيلاً

ولا ريب ان ابناء بلادنا العربية سيتلقون هذا التاريخ بالقبول والاقبال عليه متفكهين بمطالعة اخباره المفيدة والمهمة اذ يرون فيه سياسة القياصرة الشرقيين واحوال مملكتهم الشهيرة التي بعد ان ثبتت مدة اثني عشر قرنًا سقطت وخضعت لشوكة ذوي الجلالة سلاطين آل عثمان المعظمين واصبحت القسطنطينية مدينة قسطنطين عاصمة السلطنة العثمانية المحروسة وكرسي الخلافة الاسلامية المؤيدة

تمهيد

ان رومية قاعدة المدائن الايطالية وعاصمة ممالك العالم في الزمان القديم كانت في اول نشأتها مدينة صغيرة حقيرة بناها رئيس لصوص وجعلها ملجأ للقتلة وحمى للسارقين فاصبحت بعد ذلك بهمة وحكمة القابضين على زمام احكامها ام المدائن وسيدة سائر الاقطار ولقد ظهر فيها ايام الجمهورية ابطال فضلاء وطدوا سلطتها واعلوا منار مجدها في المشرقين فكانت فضائلهم وشجاعتهم زينة تلك الاعصر الخشنة ولم تزل اعمالهم عبرة للناس وذكرى تجعل تاريخ تلك الايام ايام الجمهورية من ابدع الاسفار التي سطرها البشر منذ اتيح لهم الوجود حتى يخال ان رجالها العظام لا مثيل لهم في الدنيا وان كتبة تصيهم قد بلغوا في البلاغة حد الاعجاز

تلك الصفات الحسنة التي خلدت اسم الرومانيين ووطدت ركن مجدهم قد زالت منهم اخيرًا بزوال وخضوع الامم القوية التي عارضتهم وحاربتهم زمانًا طويلاً فانغمس اذ ذاك الشعب بالملذات والفواحش واعرض عن العفة والفضيلة سجيه رفعة شانه اعراض الرجل الحر الكريم عن الدناءة والرذائل واضرم الرؤساء نار الفتنة والانقسام واهملوا مصالح الوطن ومقتضيات الانسانية واستعبدوا رجالاً دانت لهم ولاجدادهم اعاظم الارضيين واستخف بعض ملوكهم مثل كليغولا ونيرون بحياة الانام فقتلوا اقرب الناس اليهم واجروا باحياء وشوارع عاصمة العالم دماء ابنائها انهارًا غيرانهم نالوا عاجلاً او آجلاً جزاء ظلمهم القبيح وتجرعوا جميعًا كؤوس الردى قتلاً

اما سلاطين رومية الاولون من اوكتافيوس الملقب باغسطس الى ديوكلسيانوس المتبوئ العرش سنة ٢٨٤ ب . م فكانوا يتعاقبون سرير الملك بانتخاب الجمهور او الجيوش وكانوا يلقبون بامراء المجلس العالي (السناتوس) ورؤسائه كأن حكومة رومية والعالم الروماني لم تزل حكومة جمهورية برأسها اميرٌ يتولى منصبه طول حياته . واول ملك منهم وضع اساس السلطة الملكية القانونية هو ديوكلسيانوس المذكور وقد وطد تلك السلطة قسطنطين الكبير بفتوحه واعماله الكثيرة المستحقة الذكر على تراخي السنين

وكانت الدولة الرومانية حين تنصيب ديوكلسيانوس واقفة على شفا الخراب لان جيوش البرابرة المحيطة بها من كل الجهات كانت ناهضة في طلب الاستقلال وراغبة في اذلالها فبادر ذلك الملك النشيط الى محاربتها وتمكن من اخضاع بعض الثائرين ولما كانت الاخطار المحدقة به على ازدياد في كل يوم وكان غير قادر وحده على كبح جماح اولئك المتوحشين ومقاتلة الفرس اتخذ شركاء له في الملك ثلثة اشخاص دعا احدهم وهو مكسيميانوس اغسطس والآخرين وهما غلريوس وقسطنطيوس ابو قسطنطين دعاهما قيصرين ومعنى لفظة اغسطس مجازًا الملك المالك ومعنى قيصر نائبه او وليّ العهد وقد عرفت هذه الحكومة وقتئذ بحكومة الامراء الاربعة

ونال ديوكلسيانوس من تلك القسمة ملك الاقطار الشرقية وتولى مكسيميانوس احكام الديار الايطالية والافريقية واخذ قسطنطيوس جزيرة بريطانيا وبلاد غاليا (فرنسا) واسبانيا وما بقي اي بلاد ايليريا والاراضي الواقعة بالقرب من نهر الدانوب حازها غلريوس وابقى ديوكلسيانوس لنفسه حق السيادة بين ارفاقه الثلثة ليحفظ وحدة المملكة وبعد اقتسامها وفي سنة ٣٠٥ ب . م استقال السلطة مع رفيقه مكسيميانوس وصرف باقي عمره في العزلة الى ان قبض سنة ٣١٣ ب . م وخلف هذين الملكين رفيقاهما غلريوس وقسطنطيوس ودعي كلٌّ منهما اغسطس الا ان

قسطنطيوس لم يعش بعد ذلك زمانًا طويلاً بل مات سنة ٣٠٦ ب ٠ م في مدينة يورك الانكليزية فاقام الجيش خليفة له ابنه قسطنطين من هيلانة زوجتهِ الاولى

وزعم ديوكلسيانوس ان قسمة المملكة الى اربعة اقسام توطد اركان قوتها وتسهل اسباب كبح جماح الاقوام الثائرين فكان انما ابتغاه حدة وجوده مترائسًا على ارفاقهِ وماسكًا بيدهِ زمام السياسة والاحكام لكنه حينما غادر العرش وراح ليعيش منفردًا ويذوق لذة الراحة والخلوة عصفت الاطماع برؤوس الرؤساء واصبح ما رتبهُ وخاله وسيلة للقوة والسلام سببًا للضعف والحروب الكثيرة التي ضربت عن ذكرها صفحًا لخروجها عن دائرة موضوع هذا الكتاب وانما اقول ليكون القارئ على بصيرة ان غلريوس خليفته كان رجلاً طمعًا ظالمًا فخورًا فاراد ان ينصب احبولة يوقع بها ارفاقه ليستبد وحده بالاحكام فعوقب بما جنت يداهُ وسلبة البلاد الايطالية والافريقية صهره مكسنتيوس الذي اعلن قسطنطين العداوة كما سنعلم ففقد لذلك الملك والحيوة

الباب الاول

من ملك قسطنطين الكبير سنة ٣٠٦ الى حين انقسام الدولة الرومانية انقسامًا نهائيًا سنة ٣٩٥ ب ٠ م الى مملكة شرقية وغربية

الفصل الاول

في ملك قسطنطين الكبير من سنة ٣٠٦ الى سنة ٣٣٧ ب ٠ م

كان قسطنطين الكبير اول ملوك المسيحيين واعظمهم عفيفًا لا يعبأُ بالملاهي والمسرات وشهمًا شجاعًا طويلاً القامة مهيبًا لا يعرف الخوف ولا ترعهُ جيوش الحمام قد اشتهر بالبشاشة والاقدام وبرع في كل الامور التي يحتاج اليها لسياسة مملكتهِ الواسعة وقد اختلف العلماء المؤرخون في تعيين موضع ولادتهِ وحقيقة حالة امهِ هيلانة قبل اقترانها بابيهِ فحكى بعضهم انهُ ولد في انكلترا وان جده ابا امهُ هو ملك تلك الجزيرة وقال آخرون انهُ ولد في مكدونية وانهُ ابن سرية وذهب غيرهم ايضًا مذاهب شتى والصحيح انهُ ولد سنة ٢٧٣ ب ٠ م في مدينة نيسا البلغارية وكانت هيلانة امهُ ابنة عابية اقترن بها قسطنطيوس اقترانًا شرعيًا قبل ارتقائهِ الى منصب القياصرة العظيم ولكنهُ طلقها سنة ٢٩٣ ب ٠ م لتزوجهِ ثيودورة نسيبة مكسميانوس اغسطس

وبقيت كذلك الى ان تولى ابنها فرفع مقامها واعطاها رتبة ملكة وام ملوك

ونال قسطنطين سريعًا بحكمته واقدامه شهرة عظيمة فبادر مكسيميانوس الملك السابق الى تزويجه بابنته فوستا ليصادقه ويثبت محالفته لاركان عرش ابنه مكسنتيوس لان الحروب الاهلية كانت قائمة وقتئذٍ على قدم وساق لكثرة عدد الراغبين في الملك وتباين آراء الكبراء فبات الشعب الروماني من جرآء ذلك في خوف واضطراب لان عوامل اطماع الروساء كانت تنازعه في كل حين لذة الراحة والسلام

ولم يكن مكسيميانوس وابنه ليرضيا بما فازا به وبعيشان متحدين ومتوخيين لهما ولرعاياهما راحة وفلاحًا بل كانا في خصام دائم ادى بهما الى الشقاق والعداوة فغادر مكسيميانوس بلاط ابنه ولجئ الى قسطنطين واعتزل السلطة والاحكام برهة ثانية الا انه ما لبث ان بعد ذلك صهره واغتنم فرصة غيابه من عاصمته فلبس ثوب الارجوان وقبض على صولجان الحكم وادعى الملك فبادر اليه قسطنطين كالبرق الخاطف واذاقه حربًا لا تبقي ولا تذر وساقه سنة ٣١٠ ب . م اسيرًا وقضى عليه ان يقتل نفسه بيده فمات هذا الملك الجاهل قتلاً مع انه كان قادرًا ان يقضي باقي عمره بالصفو والهناء لو كان فاضلاً حكيمًا .

وبينما كان قسطنطين جاهدًا في تحسين احوال الغاليين واراحتهم وعاملاً كل ما يكسبه ثقة وثناء الجميع كان مكسنتيوس سلطانًا رومية ساعيًا في ظلم الانام ومناقضة ناموس الانسانية والعدل يخرب المدائن ويردي سكانها لذنب طفيف يقترفه بعض الروساء ثم يختال بنصرته مفتخرًا كانه اوتي فتحًا مبينًا ولم يرَ مع ذلك مانعًا من انتهاك حرمة رعاياه ونهب اموال اغنياء رومية وقتل شرفائها وكبرائها جورًا ليستلب اراضيهم ويسافح نساءهم وبناتهم فبلغ انه هام بامرأة مسيحية فاضلة اسمها صفرونيا فقتلت نفسها تخلصًا من شروره وفجوره وكانت جنوده الكثيرة منتشرة في رومية وايطاليا انتشار الجراد تقتل من تريد وتنهب ما تريد اقتداء باعمال رئيسها واميرها الوحشي الذي عقّ والده علنًا مدة حياته وقام بعد موته يطالب بدمه ويطلب الانتقام ممن قتله عدلاً فاستعد للحرب وجيش جيوشه البالغ عددها مائة وسبعين الف راجل وثماني عشر الف فارس واعلن العداوة قسطنطين طمعًا في قهره والاستيلاء على الاقطار الخاضعة له

وكان قسطنطين راغبًا في اجتناب هذه الحرب ما امكن الا انه لم يرَ بدًّا منها لسفه مكسنتيوس وعتوه فجهز لذلك جنوده البالغ عددها تسعين الف راجل وثمانية الاف فارس فاد نصفها الى ميادين القتال ومواقف الطعان وابقى النصف الاخر في البلاد لحمايتها ومنع اسباب الشقاق والفساد

ان اجتياز انيبال قائد القرطجنيين جبال الالب في القرن الثالث قبل المسيح قد حير الامم القديمة والحديثة وجعل لذلك البطل ذكراً لا ينسى لان طرق هذه الجبال الشاهقة لم تكن مطروقة وقتئذٍ وكان الجبليون اقواماً اشداء متوحشين محاربين وهو سائر وجهدوا مراراً في ارداءه وارداء من تبعه خلالاً وغدراً وكذلك قد دُهش الناس اجمعون لاجتياز بونبارت وجيوشه الفرنسوية تلك الجبال في اول هذا القرن القرن التاسع عشر لان امراء ايطاليا وملوك النمسا قد حصنتها وبنت فيها قلاعاً وحصوناً مرتفعة ترد الطارق وهو كليل فضلاً عن ان نقل المؤن والاسلحة يامنا في الاراضي المستوعرة يستلزم مشقات لم يعرفها الاقدمون

تلك الجبال العظيمة والشهيرة لم تكن في شيء من ذلك لعهد قسطنطين لانه ولجها وجنوده آمنا سالماً واحتل سفحها ومكسنتيوس غافل عنه وظان انه لم يتزايل بعد ضفات نهر الرين في بلاد غاليا (فرنسا) حيث كان معسكراً ثم تقدم في الديار الايطالية وافتتح المدائن واستولى على الاقاليم الواقعة بين الالب ونهر البو بشجاعته وحكمته وبسالة جنوده ولا ريب ان هذا البطل العظيم قد حاكى في حملته يوليوس قيصر اول القياصرة الرومانيين لانه اتى مثله من بلاد غاليا واستولى على ايطاليا وافتتح مدائنها في ايام قلائل وكان مكسنتيوس غارقاً في بحار الملذات والتنعم بينما كان خصمه النشيط يجول كالغضنفر الرئبال في ساحات الوغى غير مبالٍ بالاخطار والتعب ومستقبلاً الاهلين المغلوبين بالبشاشة والعفو شأن مشاهير الرجال الكرام وما زال كذلك حتى التقى بمكسنتيوس (١) وجيوشه سنة ٣١٢ ب . م بمكان في اقليم توسكانا على بعد بضعة اميال من رومية اسمه سكسار وبرا فا لتحم الجيشان وخاض قسطنطين بنفسه عجاج القتال ونازل الفرسان حتى كسر جيش عدوه العرمرم والجأه الى الفرار فلوى مكسنتيوس عنان جواده وولى هارباً فمرّ على جسر فوق التيبر وكانت العساكر الهاربة مزدحمة عليه فدفعته الى النهر فسقط فيه ومات غرقاً

ودخل قسطنطين الى رومية محتفلاً بنصرته على عدوه الالد فاستقبله الشعب بالترحاب والاكرام ومنحه المجلس العالي القاباً عديدة شريفة ورتباً كثيرة منها رتبة الاغسطس الاول او الملك الاول بين الملوك وعدل هذا الامبراطور بعد نصرته فأمن الخائف في الديار الايطالية والافريقية وضمن للمغلوبين صيانة اموالهم وما يملكون فساد الامن ورتع الناس في بحبوحة

(١) قال مورخو الكنيسة ان قسطنطين قبل التقائه بمكسنتيوس راى في السماء بعد الزوال صليباً من النور بهياً مكتوب حوله ما ياتي «بهذه العلامة ستظفر» وانه اعتنق لذلك الديانة المسيحية وعززها انظر الكلام على هذا الحادث وخلافه في الفصل السادس من الباب الاول

الراحة والسلام ناسين المشقات التي تجشموها والمظالم التي اصابتهم ايام ملك ذلك الامبر الجائر الخبيث

ومما يدلنا دلالة واضحة على عدل قسطنطين واعتدال احكامه ابان انجاح عفوه العام عن انصار واصدقاء مكسنتيوس فانه لم ياخذهم بذنبهم بل صفح عنهم صفح ملك قادر كريم معيرًا لاقوال اعدائهم الطالبين هلاكهم اذنًا صماء. غير انه قتل ابني مكسنتيوس وجميع انسبائه لينجو من شرهم ويامن بموتهم طوارق الانقسام وحدثان الدهر وفرق انفار فرقة الحرس الملوكي ومنع تجديدها لان وجودها مضرٌ وداع دائمًا الى القلق والاضطراب وبعد ان مكث شهرين او ثلاثة برومية غادرها ليجول في مملكته الواسعة والشاسعة الاطراف

وفي سنة ٣١٥ انشبت الحرب بينه وبين ليسينيوس المالك في الشرق ولا يعلم اي منهما اشهرها اولاً وانما يوكدون ان ليسينيوس كان ناويًا ارداء قسطنطين سرًا او جهرًا فجرت لذلك بين الفريقين واقعتان عظيمتان احداهما بالقرب من مدينة سيباليس في بلاد النمسا والاخرى بالقرب من مدينة مارديا في بلاد ثراكة فانتصر ملك الغرب بكلتيهما وامضى على اثرهما عهدة صلح مآل شروطها حصر املاك ليسينيوس في آسيا الصغرى وسوريا ومصر واعطاء ما بقي له غير ان هذين الملكين لم يحافظا زمانًا طويلاً على شروط تلك العهدة بل اضرما نار العداوة والخصام وسنة ٣٢٣ جرت بينهما وقعة مهولة بالقرب من مدينة ادرنه انتصر فيها قسطنطين انتصارًا تامًا ولحق بعدوه الى اسوار بزنطيوم (القسطنطينية) واستولى عليها عنوة ثم هزم جيوش الاعداء في وقعة اخرى بالقرب من اشقودره واستظهر ابنه كرسبس عليهم في وقعة بحرية دامت يومين وانجلت عن تدمير سفنهم وقتل ربانها وجنودها فاستقال ليسينيوس اذ ذاك السلطنة وطلب ان يعيش منفردًا في مدينة سالونيك فسمح له الا انه قتل بعد ذلك حالاً لخيانة اتهم بها ولم يتحقق علي ما اظن صحتها فاصبح قسطنطين عقبي هذه النصرة حاكم الرومانيين الوحيد وملكهم المطلق

وتمتع الشعب الروماني والممالك الخاضعة له بالسلام التام مدة ثماني سنوات صرفها قسطنطين في اصلاح شؤون مملكته وشرائعها ووضع قوانين جديدة استلزمتها احوال ذلك العصر ابطالاً لبعض عوائد فاسدة كانت جارية اذ ذاك منها منعه الوالدين منعًا مشددًا ان يقتلوا اطفالهم متى كانوا غير قادرين على اعالتهم وقصاصه من يفتض بكرًا قصاصًا صارمًا واعدامه الحيوة واذا كانت البنت راضية بما حدث فيجرع الاثنان كاس الحمام حرقًا او قتلاً او يطرحان في الملاعب العمومية لتدوسهما وتفترسهما الوحوش الضارية واذا عرف ان عبدًا قد اسعف

العاشقين فجزاؤه لا محالة الموت الزؤام ولست ادري ما الداعي لهذه القساوة العظيمة واظن ان هذا القانون لم يعمل به زمناً طويلاً اذ القساوة وحدها غير كافية لاصلاح عوائد الشعب وتأديبه بل التاديب كل التاديب في تهذيبه وتعليمه المبادئ الحسنة وتعويده ان يعتبر الشرائع كملجاً يلجأ اليه فراراً من غدر واعتداء البشر لا كعدو قادر يخضع له كرهاً وفرائصه ترتعد منه خوفاً

البقية تاتي

باب الفكاهات

رواية الاختفاء الغريب

(معربة بقلم جناب الاديب البارع سامي افندي قصيري)

الفصل الاول

طارئ خفي

حكى احد وكلاء البوليس الشاب الشهير الموسيو بركلا (الاذا) وقد سمي بهذا الاسم بالنظر الى كثرة الحاجته في السؤال والاستفهام وهو من امهر المعاونين في الاكتشاف على حقائق الحوادث من بعد الموسيو كربس الذائع الصيت قال كثيراً ما لهجت الجرائد وتلقت الافكار باخبار اختفاء بعض الناس ولكن دوائر البوليس قد يعهد اليها احياناً في وقائع مثل هذه تبقى مع مزيد غرابتها تحت طي السر العميق ولا تتعقبها الجرائد ومرادي ان اقص عليكم الان قصة من هذا النوع كما وقعت حقيقة بتمام تفاصيلها الصادقة ما عدا اسماء الاشخاص لان مصلحتي تقضي عليَّ بلزوم الاضراب عن الاسماء الحقيقية

فاجتمعنا من حوله رغبة منا بالوقوف على هذه القصة التي وصفها بالغرابة اما هو فجلس على مقعد في وسطنا وجعل يتكلم بظاهر الارتضاء التي تلوح عادة على كل من يقص خبراً له في بعض نقاصيله ما تمت فقال

كنت صباح احد في دائرة البوليس ملازماً خدمتي واذ فتح الباب فجأة ودخلت امرأة متوسطة العمر بظاهر الموقار وكان من هياجها واضطرابها ان استجلبا انتباهي فسألتها عن مرادها

وعند ذلك القت نظرًا قلقًا على جميع معاوني البوليس العديدين المنتشرين في القاعة وقالت اريد مخاطبة احد مفتشي البوليس وجل رغبتي ان لا يذيع الخبر فقد اختفت امس ليلاً فتاة من منزلنا و . . . ثم وقفت برهة مختنقة بالعبرات ولكنها عادت الى اتمام الكلام وقالت اريد ان يبحث عنها

قلت فتاة . . من اي نوع وما الذي تعنينه بقولك منزلنا فوجهت اليَّ لحظًا نافذًا افسد المجاوبة ثم قالت انت صغير السن الا يوجد هنا من رؤسائك من اقدر على مخاطبته

فرفعت اكتافي واشرت الى الموسيو كريس وكان مارًا وقتئذٍ من جهتنا وللحال اظهرت المرأة ثقة تامة به فاخذته الى زاوية القاعة وقالت له بصوت منخفض بعض كلمات لم اسمعها اما الموسيو كريس فسمع لها بدون انتباه في اول الامر ولكنه ما لبث ان ابدى اشارة فجائية تدل على مزيد الاهتمام والاصغاء وحينئذٍ توهمت ان الموسيو كريس يريد ادارة هذا العمل بنفسه فهممت الى الخروج واذا رئيس البوليس قد دخل الى الدائرة وسال اين الموسيو كريس . . قل له اني بانتظاره

وكان الموسيو كريس قد نظره فبادر مسرعًا اليه وعند مروره بجانبي قال لي في اذني

خذ معك معاونًا واصحب هذه المرأة واذا وجدت لزومًا ارسل من يستدعيني لاني سابقى هنا الى الساعة الثانية فبادرت الى الطاعة واستدعيت المعاون هاريس ثم عدت الى الاقتراب من المرأة وقلت من اين آتية . اني مكلف بالذهاب معك لفحص دعواك

فدلتني باصبعها على الموسيو كريس وكان مهتمًا بالحديث مع رئيس البوليس وقالت هو آمرك بذلك

فاشرت اليها بالايجاب وخرجنا سوية وعلى الطريق قالت لي اني ابنة من عدد *

من المر الثاني حيثما يقطن الموسيو بلاك

وكان اسم الموسيو بلاك شهيرًا جدًا ومعروفًا من الجميع فعلمت لماذا ابدى الموسيو كريس اشارة الدهشة

اما المرأة فاستتبعت حديثها وقالت ان فتاة من خياطات المسكن اختفت امس ليلاً بطريقة مفزعة فانها نشلت من غرفتها ثم لحظت على وجهي ملامح عدم التصديق فعادت الحديث بحدة وقالت نعم نشلت او اغتصبت لانها بلا ريب لم تذهب باختيارها ومن اللازم ان توجد ولو اقتضى لذلك ان اصرف اخر فلس من الدراهم التي جمعتها بتعبي واقتصادي

وكانت متهيجة كثيراً وكلامها تكشف عن انفعالات شديدة بما دفعني الى السؤال منها عما اذا كانت هذه الفتاة من قريباتها

فارسلت نظرها مستكشفة الى جميع الجهات ما سوى الجهة التي كنت فيها وقالت لا ليست من قرباتي ولكنها صديقة من اعز صديقاتي وانا . انا . ثم قاطعت نفسها وصاحت من اللازم ان توجد

وكنا قد قطعنا تقريباً نصف الطريق فقبضت على ذراعي وقالت من الضروري اللازم ان يبقى هذا الخبر تحت السر ولا يذيع ثم اشارت باصبعها الى نحو دائرة البوليس التي تركناها وقالت انا قلت له ذلك وهو وعدني بحفظ السر .. اليس من الممكن يا ترى ان لا يشك العالم بشيء فسألتها واي شيء يشك العالم

قالت بالتفتيش الحاصل لايجاد هذه الفتاة

قلت لا استطيع مجاوبتك ما لم اطلع على تفاصيل الحقيقة فما هو اسم هذه الفتاة وما الذي يحملك على الاعتقاد انها لم تذهب باختيارها من باب المنزل

اجابت انها بالاجمال ليست من النساء اللواتي يتصرفن هذا التصرف وقد يستدل على ذلك ايضاً من مشهد غرفتها ثم صاحت فجأة انهم نزلوا جميعاً من النافذة وخرجوا من الباب الصغير المؤدي الى الطريق

قلت ومن تعنين بقولك نزلوا وخرجوا

اجابت الخاطفون الذين اختطفوها

فارسلت رغماً عني صوتاً يعني التعجب ولا ريب ان الموسيو كريس لو كان مكاني لامسك من نفسه ولم يرسل هذا الصوت فسالتني المرأة الا تصدق اذن انها نشلت بالقوة قلت لا . . لا اصدق على الاقل انها نشلت بالصفة التي تتوهمينها

فعاودت الاشارة الى دائرة البوليس وكنا قد ابتعدنا عنها كثيراً وقالت هو صدقني ولم تظهر عليه مثلك مظاهر الارتياب

فضحكت وقلت هل اخبرته انها نشلت

اجابت نعم اخبرته بذلك فقال هذا كثير الامكان والحق معه لاني سمعت صوت رجال في غرفتها و . . .

قلت سمعت صوت رجال في غرفتها وكم كانت الساعة وقتئذ

اجابت نحو نصف الليل تقريباً وكنت نائمة فاستيقظت على صوت وشوشتهم

قلت صرحي لي اين غرفتك من غرفتها

قالت ان غرفتها في الطابق الثالث تجاه الدار وغرفتي في الطابق نفسه ولكنها في المقسم الداخلي

قلت من تكونين في منزل الموسيو بلاك

اجابت كبيرة الخدم ومدبرة المنزل

وكان الموسيو بلاك عزبا

قلت وهل استيقظت في تلك الليلة على وشوشة او اصوات سمعتها من غرفة هذه الفتاة

اجابت نعم وفي بادئ الامر ظننت انها من المنازل المجاورة لان اصواتهم تصلنا غالبا عندما يكثرون الضجيج ولكنني تيقنت اخيرا وانا بمزيد الدهشة انها من غرفتها ثم نظرت اليَّ بغضب وقالت ان هذه الفتاة طيبة عفيفة نعم طيبة عفيفة ولا يوجد مثلها في كل نيويورك و. . .

فتكدرت قليلا حيث لم استطع التغلب على تاثيراتي ثم قاطعتها بلطف وقلت مهلا . . مهلا . . لم اقل شيئا وقد صدقت واعتقدت انها نفس الفضيلة . فمسحت المرأة المذكورة جبهتها بيد مرتعشة كورقة وسالت اين كنا من الحديث يا ترى ثم ظهر عليها كانها تذكرت وقالت نعم نعم . . سمعت اصواتا فتعجبت كثيرا ونهضت للاصغاء ولربما شعرت بي الفتاة عند فتحي للباب وتنبهت بذلك الى مجيئي لان كل شيء عاود الرجوع بسرعة الى السكوت والسكينة فاصغيت برهة ثم دعوتها واسندت اذني على السكرة فلم تجبني فجددت النداء فاجابت ماذا ولم تفتح الباب

قلت سمعت كأن اناسا يحدثون في غرفتك وقد اخافني ذلك فقالت الظاهر ان ما سمعته في المنازل المجاورة فاعتذرت منها ورجعت الى غرفتي ولم اعد اسمع شيئا ولكنني في هذا الصباح عندما اغتصبت الباب ودخلت الغرفة وجدت النافذة مفتوحة وعدة اثار بينت منها حصول المقاومة فعلمت اني لم اخطئ واني عندما ذهبت الى بابها كان عندها رجال وان هؤلاء الرجال اختطفوها

قلت هل خرجوا بها من النافذة

اجابت ان الموسيو بلاك يشيد الان جناحا لمنزله وقد نصب لهذه الغاية سلما يصعد به الى الطابق الثالث ولا ريب ان هذا هو السلم الذي استخدموه لانزالها

قلت يظهر لي ان هذه الفتاة ذهبت طوعا بطلب اراديها واختيارها فشدت المرأة على ذراعي بقوة عظيمة وقالت بعناء لا نصدق ذلك وثق ان ما اقوله هو الحق ان هذه الفتاة ولا

ريب قد تحملت امس مرارة النزع بما يحكي لونها فريباً . دالم تكن مانت الملك لا تعلم من هي هذه التي احدثك عنها ولم نرها في حياتك . . .

فسألتها وهل هي جميلة ثم اسرعت خطوتي لاني لاحظت ان بعض المارة يراقبنا

والذي ظهر لي ان هذا السؤال اثر فيها فقالت لا اعلم الا اني انا كنت اجدها دائماً جميلة وقربا لا يجدها جميع الناس كما اجدها انا لان ذلك يتوقف على كيفية النظر اليها

وعند ذلك شعرت للمرة الاولى ولا اعلم لماذا اني مدفوع للاهتمام بحديثها وكان صوتها غريباً وجميع تصوراتها منصرفة الى فكر واحد وقد نبهت اقوالها شكوكي واعتمدت على ملاحظتها من قريب فحدقت نظري في بياض اعينها وسألتها لماذا يا ترى هي التي جاءت لتعلم الحكومة باختفاء هذه البنية العلى الموسيو بلاك غير عالم بهذه الحادثة

فاضطربت ملامح وجهها قليلاً وقالت لا بل اخبرته بذلك على الغذاء ولكن الموسيو بلاك لا يهتم كثيراً بخدمه وهو يعتمد عليَّ كل الاعتماد في جميع متعلقات المنزل

قلت فهو يجهل اذن مجيئك الى دائرة البوليس

اجابت نعم يا سيدي وقد فعلت حسناً اني لم اخبره بذلك حيث لا لزوم لاخباره وسوف ادخل واياك الى المنزل من الباب السري لان الموسيو بلاك لا يحب المداخلة بشيء من الاشيا و . . .

قلت وماذا قال عندما اخبرتِه صباحاً ان هذه الفتاة . . . ثم سألت ما هو اسمها اجابت اميلي

قلت عندما اخبرته ان السيدة اميلي اختفت ليلاً من المنزل

اجابت لم يقل شيئاً خطيراً انما كان وقتئذٍ على المائدة يطالع جريدة فقطب حاجبيه بهيئة متضعضعة وطلب اليَّ ان اهتم باعمال الخدم واتركه

قلت وهل اطعت

اجابت نعم يا سيدي لان الموسيو بلاك لا يمكن مراجعته مرتين

ولم يصعب عليَّ تصديقها بذلك لاني كنت قد صادفت مراراً عديدة هذا الرجل العظيم وتحققت انه يظهر من البرودة والتحرس بقضبان على من يقابله بمزيد التأدب وكنا قد وصلنا وقتئذٍ الى امام ذلك المنزل القديم وهو اجمل منزل في نيويورك فامرت رفيقي المعاون ان يتربص بجانب باب كبير مجاور و يترقب من هناك الاشارة المتفق عليها اذا وجدت لزوماً لحضور الموسيو كريس ثم التفت الى المرأة وهي في اضطراب متزايد وسألتها عما عزمت عليه لادخالي الى المنزل بدون علم سيدها فقالت سر خلفي ثم في السلم السري فلا يعرف الموسيو بلاك

شيئًا وعلى فرض انهُ رآك لا يقلقهُ حضورك

ثم اخرجت من جيبها مفتاحًا وفتحت بابًا يؤدي الى الطابق الارضي فانسللنا منهُ سريعًا نحن الاثنان

الفصل الثاني

بعض اثار

وكان اسم هذه المرأة السيدة دانيال فقادتني رأسًا الى غرفة في الطابق الثالث تجاه الدار ولدى مرورنا في الاروقة استجلب افكاري مشهد الطنافس النفيسة المبسوطة على الارض والسقوف المزينة بالصور الفاخرة وكانت مصلحتي كمفتش للبوليس قد دعتني غير مرة للبحث السري في احسن منازل الشارع الخامس ولكنني لا اذكر على الاطلاق اني دخلت منزلاً فاخرًا كهذا المنزل ومع اني لست ممن تنفعل بهم المتاثيرات الخارجية شعرت بشيءٍ من الاحترام لدى مشاهدة كل هذه الثروة والبذخ ولدى وصولي الى غرفة الفتاة المفقودة زالت عني تلك الحاسة واخلفها الفضول وحب الفوز وكان اول فكر طرق على ذهني وفتكرتُ بالرغم عن اقوال السيدة دانيال هوانهُ من المستحيل ان تكون هذه الغرفة لخياطة بسيطة كما تدعي لانها متسعة جدًا وفيها كثير من الاثاث والامتعة الفاخرة الزاهية

ولحظت السيدة دانيال تعجبي فبادرت الى التكلم بما يمكن وقالت ان هذه الغرفة مخصصة بالخياطة وعندما حضرت السيدة اميلي رايت من المناسب ان امدها فراشًا هنا من ان أنيمها في الطارمات على ان هذه الفتاة كانت بمنتهى اللطف ولم تتكلف شيئًا

وعند ذلك ارسلت نظرًا سريعًا الى ما حولي واذا محفظة للكتب مفتوحة على طاولة في وسط الغرفة وكاس مملوة بالورد الذابل على الموقد ثم مؤلفات شكسبير وماكولي على طاولة صغيرة فحصلت من هذا النظر على بعض النتائج وسألت المرأة هل وجدت الباب في هذا الصباح مقفلاً بالمفتاح ثم سرحت فكري عاجلاً في هذه الحقائق الثلاث الواضحة وهي

(١) ان الفراش لا يزال مرتبًا ويظهر انهُ لم يمس في الليل الماضي

(٢) لا بد من حصول مقاومة او مفاجأة في تلك الغرفة لان احدى الستائر كانت ممزقة وعلى الارض كرسي مكسور

(٣) ان المعتدين والفتاة المفقودة خرجوا من النافذة نعم ان هذا غريب ولكنهُ حصل

اجابت المرأة نعم يا سيدي وجدت الباب مقفلاً من الداخل ولكن لغرفتها طريق اخر من جهة غرفتي فدخلت منهُ وكان يسند الباب من تلك الناحية كرسي تمكنت من رفعها بالاعتناء

ولدى اقترابي من النافذة ونظري الى الخارج لم اجد صعوبة كبرى بالانحدار منها الى الطريق في ليلة مظلمة لان سطح الجناح الجديد حزا لبناية كان تقريبًا مساويًا لعلو النافذة واذ ذاك سالتني المرأة بقلق الا تظن بامكان نجاتها من هنا

قلت حصل ما هو اصعب من ذلك ثم حاولت النزول من النافذة الى السطح واذ خطر على بالي ان اسال السيدة دانيال عما اذا كانت ثياب الفتاة قد فقدت ايضًا

فبادرت سريعًا الى التفتيش في الخزائن والجوارير وقالت .. لا كل شيء هنا ما عدا قبعة وبرنس و . . . . ثم وقفت عن اتمام العبارة

قلت واي شيء

فجعلت تنقل الجوارير وقالت لا شيء . لا شيء خلاف بعض اشياء حقيرة

قلت متعجبًا بعض الاشياء حقيرة ان المرأة التي تحصل على الوقت الكافي لاستصحاب مثل هذه المبتزلات لا تكون قد اخذت بالقوة ثم شعرت نفسي قليلاً من هذه الاحوال فاردت التخلي عن العمل واعتمدت على ترك المنزل واذ اوقفني فجأة عن هذا العزم ملامح الارتياب التي رسمت وقتئذ على وجه السيدة دانيال قانها وضعت يدها على عينيها وقالت ما فهمت شيئًا من هذا . . ما فهمت شيئًا فالامر خطير ومن اللازم ان توجد السيدة اميلي

قلت اذا كانت هذه الفتاة قد ذهبت بمطلق اختيارها كما تدل على ذلك بعض الظروف وانت لست من قريباتها فلماذا يا ترى تظهرين كل هذا الاهتمام بهذه الحادثة وتلحين شديدًا لايجادها وارجاعها الى هنا

فتحولت عني وجعلت تمس بهياج بعض الاواني الموجودة على الطاولة ثم قالت الا يكفيك ان اتعهد بجميع المصاريف اللازمة لهذا البحث حتى تطلب الي ايضًا تبيين الاسباب التي تحملني على ذلك هل من الضروري ان اقول لك اني احب هذه الفتاة واني معتقدة انها نشلت بالقوة وانها كثيرة التعاسة واني مستعدة لاعطاء كل ما املك لمن يجدها

فما ارتضيت من هذه التصريحات وقلت ان هذه المصاريف يتحملها الموسيو بلاك وليس انت

فاصفرت واجابت قلت لك ان الموسيو بلاك لا يهتم بذلك

فعاودت النظر بسرعة الى جهات الغرفة الاربع وسألت المرأة كم لك من الزمان في هذا المنزل

قالت جئت اليه ايام ابي الموسيو بلاك الذي توفي منذ سنة

قلت وماذا فعلت بعد وفاته هل بقيت في خدمة ابنه

اجابت نعم يا سيدي

قلت والسيدة اميلي متى حضرت الى هنا

اجابت منذ احد عشر شهرًا تقريبًا

قلت أ ارلندية هي

قالت لا بل اميركانية وهي ليست من النساء الادبات

قلت ما الذي تعنينه بهذا العلها شقية حسنة التربية ظريفة

قالت لا اعلم بماذا اجيبك فهي بلا ريب متثقفة نعم انها ليست من العلماء ولكنها تعرف اشياء كثيرة لا تعرفها نحن ولها ولع بالقراءة . ثم قطعت حديثها وقالت سل الخدم عنها حيث لا ادري بما انكلم عندما يكون الحديث بخصوصها

فتاملت في هذه المرأة الموخط شعرها بالشيب بمزيد اصغاء لاعلم هل هي حقيقة كما تدل ظواهرها امرأة عادية ضعيفة وهل من سبب خفي يحملها على اظهار كل هذا التردد والتجهم ثم سالتها من اين جاءتك هذه الفتاة واين كان محلها قبل مجيئها اليك

قالت لا اعلم ولم استفهم كثيرًا عن احوالها فانها جاءت تطلب مني شغلاً فاعجبتني وارتبطت معها سريعًا بلا سوال على الاطلاق

فسالت وهل كنت مسرورة من خياطتها

اجابت نعم تمام المسرة

قلت هل كانت تزور او تزار اثناء اقامتها عندك

اجابت ابدًا . . ابدًا

ولا انكر اني تحيرت وقتئذٍ فقلت يكفي هذا الان حيث من اللازم ان اعرف اولاً هل تركت المنزل وحدها او معها رفقاء ثم نزلت على سطح البناية المشبك جدًا وعندما بلغت ذلك المكان تساءلت عما اذا كان ثمة لزوم لاستدعاء الموسيو كريس لان الظواهر كانت لا تدل الى ذلك الحين على وجود خطر على الفتاة وفرارها بمساعدة عاشق او بلا مساعدته لا يحسب في جملة المسائل الخطيرة التي تستوجب اهتمام جميع البوليس ثم اذا كانت هذه المرأة حاصلة حقيقة على دراهم وهي معتمدة على مجازاة المعاون الذي يظهر الفتاة المفقودة بنوال وافر فلماذا يا ترى لا احاول الاستئثار وحدي بهذا النوال ولكن الموسيو كريس على كل لا يمكن التلاعب معه ولا بد من استدعائه ووجدت لزومًا لذلك

وكان النزول عن السطح صعباً هائلاً غير ان النزول من الدار سهل ولا ريب ان الرجل يقدر على كل منها ولكن المرأة - . وعند هذا الفكر صافت على مذاهبي وعدت مفكراً على اعقابي واذ لمحت اعيني على السطح اثراً اوقفني مبهوتاً وكان هذا الاثر نقطة من الدم ثم ظهر بعيداً عنها بجانب النافذة نقطة اخرى ثم ثالثة ثم رابعة وهلم جراً الى حافة النافذة واذ ذاك اندفعت بسرعة الى الغرفة وجعلت اتامل باهتمام الطنافس ولكن كان من الصعب ان ترى الآثار التي اطلبها على الطنافس الحمراء المذكورة وشاهدت السيدة دانييال اانحنائي على الارض فسألتني على اي شيء ابحث فاشرت باصبعي الى نقطة من الدم بجانب النافذة وقلت انظري

فاقتربت من المكان الذي اشرت اليه ثم ارسلت صوتاً عظيماً وصاحت وهي صفراء مرتجفة دماء . . دماء . لقد قتلوها . - وهو . . .

ثم وقفت عن اتمام العبارة وكنت قد رفعت راسي فسألتني بصوت مختنق هل تظن ان هذه الدماء من دمائها

قلت يوجد ما يحمل على الظن بذلك ثم اريتها مكاناً اشتبهت اليه اخيراً وفيه نقط كثيرة متفرقة على زهور الطنفسة الحمراء فصاحت يا للمصيبة ماذا تريد ان تفعل وما الذي تستطيعه

قلت سارسل في طلب مفتش اخر للبوليس ثم اقتربت من النافذة واشرت الى المعاون هاريس ان يستدعي الموسيو كربس

فسألتني المرأة اليس هذا الذي تريد استدعاءه هو الضابط الذي نظرناه في دائرة البوليس

قلت نعم هو

فتلطفت احزان وجهها وقالت احسنت ان هذا الرجل يفيدنا اما انا فانحنيت كدري من هذه الكلمة الجارحة لاستخفافي وعدت اتامل في بعض العوارض التي فاتني الانتباه اليها عند دخولي الى الغرفة في المرة الاولى فان محفظة الكتب المفتوحة كانت خالية من التحارير والاوراق المسوّدة ولا يوجد فيها الا بعض اوراق بيضاء واقلام وحبر وكان موضوعاً على الطاولة فرشة ودبابيس للشعر كما لو كانت الفتاة المذكورة قد فوجئت وهي تسرح شعرها ليلاً والذي استجلب انتباهي بنوع خصوصي هو خلو المكان من جميع انوار الخياطة المستلزم وجودها في غرفة مخصوصة لهذا العمل

وبعد قليل من الزمان حضر الموسيو كربس وبوصوله تغيرت مجاري الاعمال فانه قرع الباب السري فبادرت لفتحه واخبرته بكل ما علمته الى ذلك الحين فتسلق بخفة السلم وبلغ الغرفة التي

كنت فيها قبل ان اتمكن من مراجعة نفسي بهذا السؤال وهو هل يضربي ما لبثا حضور الموسيو كريس على فرض ان السيدة دانيال ارادت وفاء وعدها المالي ثم نزل بسرعة وعلى وجهه مظاهر الاهتمام وكانت السيدة دانيال لا تزال باقية معي في الرواق فسألها عن اوصاف الفتاة وقال وضحي لي عن شعرها واعينها ولونها والخلاصة قولي كل ما تعرفينه عنها

فتمتمت المرأة لا .. لا - لا اعرف اذا كنت قادرة على ذلك ثم احمرت بتمام وقالت لا اقوى على التكلم ولكن ساحضر احدى الخادمات و.. وقبل الانيان على آخر كلامها اختفت عن العيان

فابدى الموسيو كريس اشارة الاستغراب ثم اخذ كاسًا موضوعًا على طاولة هنالك وجعل يتاملهُ وهو متحير الافكار فما جسرت على التلفظ بكلمة وبعد هنيهة رجعت السيدة دانيال ومعها خادمة عليها مظاهر الظرف والدلال وقالت ان هذه الخادمة تعرف جيدًا السيدة اميلي لانها كانت تخدمها على المائدة وهي ستخبرك عنها بكل ما تريد معرفته ثم نظرت الى الموسيو كريس بسكينة لم تظهر عليها قبل ذلك الحين وقالت اخبريها انك تبحث عن ابنة اخيك التي فرت من مسكنها منذ عدة اسابيع بقصد الاستخدام في احد منازل نيو يورك

فانحنى الموسيو كريس بظاهر الاعجاب والهزء علامة المصادقة ونظر باستخفاف الى محرمة في يد فاني ثم اعاد عليها نفس السوال الذي سالهُ من قبل للسيدة دانيال فاجابت بلا تردد انها حسنة الوجه ولا سيما لمن يحب الخدود البيض بما يعادل بياض هذه المحرمة قبل أن تستخدم لتنظيف الاواني الفضية واعينها اشد سوادًا من شعرها الاسود الحالك الذي لم اشاهد في حياتي ما يقارب سوادهُ بين الشعور وهي رقيقة القوام . . . .

وهنا التفت فاني نظرة بمزيد اللطف والمرشاقة على قوامها فسأل الموسيو كريس السيدة دانيال أصحيحة هذه الافادات وكان نظرهُ لا يزال شاخصًا باهتمام مزيد الى المطربوش الصغير الموضوع على قمة راس هذه الخادمة اللطيفة

اجابت السيدة دانيال بصوت منخفض كثيرًا تقريبًا وزادت على ذلك بحرارة نعم ان السيدة اميلي ليست سمينة ولكنها . . .

ثم وقفت فجأة عن اتمام الحديث واشارت الى فاني بالذهاب فقاطعها الموسيو كريس بلطف وقال مهلاً لقد قلت يا فاني ان شعر السيدة اميلي اسود فهل هو اشد سوادًا من شعرك

اجابت الخادمة وهي تساوي قياطين طربوشها نعم يا سيدي

قال اكشفي عن شعرك اذن

فرفعت طربوشها وهي تبسم بملامح المسرة

قال حسن . حسن . وبقية الخادمات . . الا يوجد عندك غير هذه الخادمة

قالت السيدة دانيال بلى يوجد خادمتان ياسيدي ولهما شعور سوداء كشعر فاني تقريباً

فوضع الموسيو كريس يده على صدره دلالة على ارتضائه و بعد ان اشار الى الخادمة بالانصراف قال فلنذهب الان الى الدار وفي الحال فتح باب القاعة ودخل رجل بتمهل الى الرواق وهو صاحب المنزل وكان متبدلاً بقصد الخروج وقبعته في يده فبنينا صماً لمرآه اما السيدة دانيال فعلى وجهها با لاحمرار الشديد وكان الموسيو بلاك بهيئة زاهية مهيبة متحرسة لاتخلو من العبوسة فتقدم اليه الموسيو كريس بظاهر المراعاة التي يحسن اتخاذها عند الحاجة وقال اظن كوني واقفاً الان بحضرة الموسيو بلاك

فرفع الموسيو بلاك راسه فجأة كمن استيقظ من حلم ونظر الى تبسمات الموسيو كريس الجدية ثم اجابه على كلامه بتحية لاتخلو من الاحتقار اما رفيقي فاستتبع حديثه وقال اسمح لي ان اعرفك بنفسي فانا الموسيو كريس مفتش البوليس الاول وقد اخبرنا في هذا الصباح ان فتاة من اتباعك اختفت من منزلك بطريقة غريبة فحضرت مع احد معاونيّ لنرى هل في هذا الحادث من الاهمية ما يستوجب اجراء البحث والتحقيق وها انا اعتذر منك كل الاعتذار عن دخولي الى منزلك واقف مسعي بكليتي لاتمام اوامرك

فقطب الموسيو بلاك حاجبيه متحيراً ثم لاحت منه التفاتة الى السيدة دانيال وقال لها هل فكرت اذن بلزوم الاهتمام في هذه المسألة فلم قدرت المرأة المسكينة على المجاوبة بكلمة واحدة واقتصرت على الاشارة بمعنى الايجاب اما الموسيو بلاك فبقي ينظر اليها بملامح الارتياب وقال لا اظن بضرورة اجراء مثل هذه الاحتياطات والذي اراه ان هذه الفتاة لا تلبث أن تعود والا . . .

وعند وصوله الى هذه الكلمة رفع اكتافه وتناول قفازيه فنظر الموسيو كريس الى هذين القفازين باهتمام فوق العادة واجاب بظهران هذه الفتاة لم تذهب وحدها وقد ساعدها او انتشلها اناس دخلوا منزلك بطريقة غير قانونية وهنا الصعوبة ياسيدي

فبقي الموسيو بلاك على حاله من عدم الاهتمام وقال اذا كنت معتقداً الصحة ما تقوله فمن اللازم المباشرة بالتحقيقات وانا لا اريد ولا بوجه من الوجوه ان امنع الحكومة من مساعدة المظلومين ولكن . . .

ثم عاود رفع اكتافه بما يشف عن الارتياب وعدم الاكتراث

وعند ذلك تقدمت السيدة دانيال مرتعشة الى الامام كانها تحاول التكلم ولكنها تأخرت سريعاً وهي في حال غريبة من التردد

اما الموسيو كريس فلم يلاحظ شيئاً من هذا وقال اربما لا يسوءك يا سيدي ان تتكرم بمرافقتي الى غرفة الفتاة المفقودة حيثما اريك ثمة من الآثار ما يوكد لك انا لم نحضر عبثاً الى منزلك

قال الموسيو بلاك صدقتك فلا حاجة الى الذهاب ولكن اذا كان ثمة شيء فوق العادة فلا باس من اجابة رغائبك ثم سال اين غرفة هذه الفتاة يا دانيال

فنظرت اليه بهيئة مذعورة وقالت اعطيتها الغرفة التي تلقي على الدار في الطابق الثالث لانها كبيرة ومنيرة بما يصلح للخياطة

والظاهر ان هذه التفصيلات كانت لا تهم كثيراً الموسيو بلاك فحرك بفروع صبر يده المكسوة بالقفاز واشار اليها ان تدله على الطريق فتزايد خوفها ثم التفتت الى الموسيو كريس وقالت لا حاجة ان يتكلف مولاي مشاق الصعود الى فوق ويكفي ان تخبره ان الستائر ممزقة والكرسي مكسور على الارض والنافذة مفتوحة و . . .

وكان من هذه المعارضة ان جعلت الموسيو بلاك يقرر عزمه حالا على الصعود فما جاءت السيدة دانيال على اخر كلماتها الا وصار الموسيو بلاك والموسيو كريس على السلم فتمتمت بصوت منخفض اه يا الهي من كان يظن بامكان حدوث هذا الطارىء

وكانت في حال شديدة من الاضطراب فلم تنتبه الى حضوري وركضت بسرعة الى غرفة الطابق الثالث فتبعتها

الفصل الثالث

فيما وجد في احد الجوارير

وعند وصولنا وجدنا الموسيو بلاك واقفاً في وسط الغرفة ينظر باعين متضعضعة الى حركات الموسيو كريس وهذا الضابط يدله باصبعه على جميع الآثار المختلفة التي استجلبت انتباهنا ويواصل العمل بهمة لا تكل وكان صاحب المسكن مداوماً مسك قبعته بيده بهيئة عابسة والسيدة دانيال في احدى زوايا الغرفة تنظر منها اليه فصاح الموسيو كريس ارأيت كيف ان هذا الاختفاء يشتم منه رائحة الاغتصاب وانها لم تحصل على الوقت الكافي لاخذ جميع امتعتها ثم اتجه فجاءة لنحو خزانتها وفتح سريعاً احد جواريرها سلفتاً لانظار الموسيو بلاك

وعند ذلك ارسلت السيدة دانيال صوتاً مختنقاً وركضت الى ما بين الخزانة والموسيو كريس تحاول منعه عن فتح بقية الجوارير وقالت لا تبرح عن بالكم يا سادتي ان فتاة محتشمة

كالسيدة اميلي لا ترضى ان يبحث في ثيابها بد غريبة

فبادر الموسيو كريس سريعًا الى اغلاق الجارور وقال الحق معك ياسيدتي ولرجوك المعذرة عن هذه الطريقة الخشنة التي استعملتها كمفتش للبوليس

اما السيدة دانيال فاقتربت من الخزانة الى ان التصقت بها كانها اعتمدت عليها عند الحاجة لجسدها الهزيل الفوى وكانت اعينها بلامح وحشية وهي شاخصة الى مولاها كانها تخشى اجراءات هذا الرجل العظيم اكثر من غيره

اما هو فبقي معرضًا عنها لا يهتم بها على الاطلاق وقال حيث اطلعت على كل شيء صار يمكنني الذهاب ولا ريب ان المسألة هي اهم مما توهمت فاذا وجدت لزومًا لتحقيقات مدققة باشر بها ولا اتوقف عن اجراء واجبات بما تسمح من تقضي للجلبة والضوضاء اما من جهة المنزل فهو تحت امرك بملاحظة السيدة دانيال الى الملتقى ياسادتي

ثم اجابنا على تحياتنا باستخفاف وزهو وخرج وبعد ذهابه ارسلت السيدة دانيال تنهدًا عميقًا اما الموسيو كريس فانحنى لجهة الجارور الذي دافعت عنه الخادمة شديدًا بوجود الموسيو بلاك وفتحه واذا محرمة بيضاء مبسوطة على وجهه ومن تحتها ثوب من الحرير الازرق الغامق مطوي بمزيد الاعتناء وزيق مزين باحسن الزراكش يضم طرفيه الى بعضهما دبوس نادر المثال من التي تستعمل لربطات الرقبة ثم ضمة صغيرة من الورد الاحمر الذابل تكلل ذلك الثوب كانه اثر مقدس من اثار الموتى

واذ ذاك نهضنا بدهشة وارسلنا نظرًا يعني الاستفهام عن غير ارادتنا الى السيدة دانيال فاجابت بسكينة لا تنطبق على ملامح اضطرابها اثناء وجود الموسيو بلاك ليس لي ما اقوله في هذا الموضوع ان هذه الثياب الثمينة الزاهية هي حقيقة للسيدة اميلي وقد احضرتها معها ومنها يثبت ان هذه الفتاة لبست من الخياطات العاديات وانها رأت اياما خيرًا من هذه الايام

فارسل الموسيو كريس لفظة تفيد التعجب وعاود الطريقة الى الثوب الازرق والزيق المبدع ثم غطى الجميع بالمحرمة واقفل الجارور بسكون

وبعد نحو من خمس دقائق ترك الغرفة وخرج وتبعته بعد هنيهة فوجدته خارجًا بتمهل من دائرة الموسيو بلاك الخصوصية وعندما رآني تبسم ففهمت انه اكتشف على اثر جديد او فطن على الاقل لافتراض لا يخلو من الفائدة ثم قال لي ان هذه الدائرة بمنتهى الظرف ولا ريب تلك تخسر خسارة عظيمة اذا لم يتسم لك الوقت بمشاهدتها فاقتربت منه حتى لا تراني السيدة

دانيال وكانت قد خرجت على اثرنا من الغرفة وسألته اصحيح ما تقول

اجاب — نعم ثم اسرع خطواته لجهة الدار فتحرك بذلك فضولي وكان الموسيو كريس قد وقف تحت مع الخادمات يمازحهن ويكتشف منهن بدقيقة على ما لا يصل اليه غيره بساعة فاستغنمت هذه الفرصة وصعدت السلم واسللت الى تلك الغرفة التي خاطبني عنها بالفاظ خفية

وعند دخولي اخذتني الدهشة لاني بدلاً من مظاهر البذخ والزخرف التي كنت اتوقع مشاهدتها وجدت نفسي في غرفة بسيطة بلا اثاث تقريباً في الجهة الواحدة منها مكتبة وفي الثانية ادوات الصناعة وهي عارية من الطنافس ولا يوجد فيها الا طنفسة واحدة ثمينة ولا اغرب ان هذه الطنفسة بدلاً من ان تكون في وسط الغرفة او في جانب الموقدة كانت مفروشة على طول احد الجدران ومن فوقها صورة انصرفت اليها افكاري وهي صورة امرأة متشامخة سلابة من ذوات الجمال الغريب ولها اعين نارية وشعر اسود يغطي بعضه قطعة البرنس الليلي الاحمر المتشحة به فقلت في نفسي هذه صورة اخته ولا يمكن ان تكون لامه لانها مصورة حديثاً ثم اقتربت كثيراً من هذه الصورة لارى هل من اثر للمشابهة بين هذه السمراء المتشامخة وصاحب المنزل فلحظت وجود مسافة ليست بقليلة بين الجدار والصورة وفكرت ان نحن هذا البروز يخفض من جمالها اما من جهة المشابهة فاني تأكدت وجود شيء منها بين الاثنين فمع ان اعينها كانت اوسع واشد لمعاناً وحرارة من اعين الموسيو بيلاك ولكنها من لونها

ولما انتهيت من الصورة التفت لملاحظة بقية اقسام الغرفة واذا السيدة دانيال امامي مزبدة بالغيظ فقالت بعظمة ان هذه الغرفة هي للموسيو بيلاك ولا يدخلها احد على الاطلاق الا انا وهو

فارسلت نظراً سريعاً الى ما حولي عساي اكتشف على ما اوجب ارتضاء الموسيو كريس وقلت اعذريني على هذه الجسارة لان الباب كان مفتوقاً والذي جذبني الى الدخول انما هو الجمال الباهر المنبعث من هذه الصورة .. فيا لله ما ابدعها. العلها شقيقة الموسيو بيلاك قالت لا لعمري ولكنها ابنة عمه ثم اقفلت الباب بعنف يدل على كدرها واشمئزازها وفي ذلك اليوم لم تعد تمكني الفرص من الاشتغال لحسابي الخاص لان الموسيو كريس عاود الصعود سريعاً من الاسفل وجعل يخاطب السيدة دانيال بمحادثة استغرقت جميع حواسي فقال لها ان معاوني الموسيو (بوركوا) اعلمني انك تلحين بلزوم ايجاد السيدة اميلي وانك مستعدة لدفع جميع المصاريف اللازمة لهذا البحث

اجابت عندي يا سيدي بضع مئات من الريالات موضوعة في البنك فخذها ولو كان عندي الوف لاعطيتها ايضاً لطيبة خاطر ولكني لسوء الحظ فقيرة ولا يمكنني ان اعدك بما فوق اقتداري ثم احمرت وقالت بجهد لدي ما يحمل على الاعتقاد بايجاد ملايين ايضاً عند اللزوم واقدر ان احلف لك يميناً معظماً انك تحصل على كل ما تطلبه مني فقط من اللازم ان توجد الفتاة . . من اللازم ان توجد باسرع ما يمكن

قال الموسيو كريس هل تظنين امكان رجوعها من تلقاء ذاتها

اجابت نعم ترجع اذا قدرت

قال هل تقولين ذلك لاعتقادك بانها كانت مسرورة في هذا المنزل

فاستنبعت كلامها بسكينة وقالت نعم كانت مسرورة هنا ولكنها تحبني ايضاً تحبني كثيراً ولا يمكن ان تفارق هذا المنزل مدى حياتها لو لم تجبر قوة على ذلك صدقني انها ارغمت على الذهاب ولا يغرك سكوتها عن طلب المساعدة واخذها للبرنس والقبعة لانها من النساء اللواتي لا يجبن الجلبة وكان من الممكن ان يقتلوها ولا ترفع صوتها

قال وما المعنى بقولك ان يقتلوها بالجمع

اجابت المعنى بذلك اني سمعت اصوات جملة رجال في غرفتها

قال هل تعرفين هذه الاصوات اذ اعتنيت الى استماعها

اجابت لا يا سيدي

قال وجهت اليك هذا السوال لاني سمعت ان الموسيو بلاك كان عنده اخيراً خادم تعرفين بعجب كثير بالسيدة اميلي

فصاحت السيدة دابال كذب . كذب لان هنري يعرف حدوده وانا لا اريد استماع مثل هذا الحديث . ان السيدة اميلي من النساء الكاملات الشريفات و . . . .

فقاطعها الموسيو كريس بلطف وقال مهلاً . مهلاً . اذا قلنا ان الكلب نظر الى المطران لا يفيد هذا ان المطران نظر الى الكلب ولا يخفاك ان من يتعاطى مصلحتنا يجب ان يفكر بكل شيء

قالت يجب ان لا تفكر بمثل هذه الاشياء

فشد الموسيو كريس برووس اصابعه الى طرف قبعته التي في يده ثم استتبع الحديث بعد سكوت قصير وقال انك تسهلين كثيراً مهمتنا ياسيدتي اذا كشفت لنا عن اسباب اهتمامك الشديد بهذه البنية لان اقل التفصيلات المتعلقة باصلها وشخصها تفيدنا لايجادها اكثر كثيراً

من جميع الاموال التي تعرضينها

وعند هذه الكلمات اكفهر وجه السيدة دابال وقالت صرحت لك بكل ما اعرفه عن هذه الفتاة فانها جاءت منذ سنين تقريبا تطلب مني شغلاً فاجبتها الى مطلوبها وبقيت عندنا من ذلك الحين . . . .

فصاح الموسيو كريس هلا تريدين التصريح باكثر من هذا فظهر على وجه المرأة لدقيقة من الزمان مظاهر التردد .

قال الموسيو كريس اذا بقيت مصرة على عدم التكلم فلا اظن باقتدارنا على حل هذه المعضلة

اجابت اخطأت لان هذه الفتاة على فرض ان لها سراً فلجميع الناس اسرار وهذا السر لا علاقة له باختفائها ولا يفيدكم شيئاً في هذا الموضوع واني معتقدة بهذا اليقين فلا تأمل مني كلمة واحدة زيادة عما قلته

وعلم الموسيو كريس انه يخاطب امرأة لا يؤثر فيها التخويف ولا التمليق فانكفأ عن الالحاح وقال اخبرينا اذن على الاقل ما هي الاشياء التي اخذتها معها من جوارير الخزانة

قالت ولا هذه ايضاً لا اقدر ان افيدك عنها حيث لا علاقة لها بفقدها لان هذه الاشياء التي لا تثمن بالنظر اليها لا تحسب شيئاً مذكوراً بالنظر الى غيرها ولا يستدل من ذلك الا انها امهلت برهة للحصول على ما لا يمكنها الاستغناء عنه

فنهض الموسيو كريس وقال لا بأس انك عهدت الينا بمعضلة لا تحل ولكنني لست من الرجال الذين يتأخرون امام الصعوبات وسأفعل المستحيل لايجاد هذه الفتاة ولكن يلزمك ان تساعدينا

فسألت انا . . وكيف ذلك

قال بنشرك في جريدة الهرالد اعلاناً . الم تقولي لنا انها تحبك وانها ترجع اليك متى استطاعت فاعلميها اذن بواسطة الجرائد بقلق اصدقائها ورغبتهم في الخلاص معها

فصاحت المرأة بحدة مستحيل ذلك لاني اخاف . . .

فسأل الموسيو كريس ولاي شيء تخافين

اجابت لا شيء ثم فكرت قليلاً وقالت لا بأس اذكري في الجرائد ان السيدة د . . في قلق مزيد من نحو السيدة اميلي وهي ترغب بحرارة الوقوف على مكان وجودها

قال اكتبي ذلك بالصورة التي تستصوبينها

وعند ذلك رأيت من المناسب ان اتكلم للمرة الاولى منذ بداية المحادثة بين الموسيو كريس والسيدة دانيال فقلت نعلمين حسناً اذا اضفت على ذلك كونك مستعدة لدفع اجرة المراسلات التي تصلك بخصوصها

قال الموسيو كريس تعم اضيفي هذه العبارة فقطبت السيدة دانيال حاجبيها ولم تجب بشيء اما نحن فبعد ان اخذنا التدقيقات اللازمة عن الثياب التي لبستها السيدة اميلي بالامس تركنا منزل الموسيو بلاك وخرجنا

الفصل الرابع

اودة موسسون

ولما صرنا عند عطفة الطريق وقفنا برهة نتأمل المنزل والجناح المشيد جديداً والسلم الذي يظن ان السيدة اميلي نزلت منه وبعد هنيهة قال الموسيو كريس ان هذه المسألة محجبة بالاسرار ولا اعلم لماذا اختارت هذه الفتاة مثل هذا السبيل لترك منزل صار لها فيه اكثر من سنة ولولا نمط النمط مما صدقت انه ان امرأة تخاطر بمثل هذا الاقدام والجسارة ثم قال من الضروري الحصول على صورتها لان الاوصاف التي قيلت لنا عنها لجهة كونها بشعر اسود وعيون سود وقامة رشيقة ووجه مصر لا تكفي لايجاد فتاة مفقودة في مدينة عظيمة كنيو يورك وهنا استتبع حديثه بظاهر المسرة وقال هذا الموسيو بلاك فهيا لرؤياه عسى نقف منه الآن على بعض افادات صريحة

ثم اسرع خطواته الى ان وصل اليه ووجه اليه بعض السؤالات فوقف ونظر اليه بهيئة متصعصعة ثم اجابه بصوت مرتفع لا تمكنت من استماعه

اعلمك باسف ياسيدي اني لا اقدر على مدك بشيء مما تطلب معرفته حيث لا اذكر من هي هذه الفتاة وما علمت بوجودها في منزلي الا في هذا الصباح لان جميع مهام المنزل منوطة بالسيدة دانيال؛

فانحنى الموسيو كريس امامه باحترام ووجه اليه سؤالاً آخر

قال الموسيو بلاك من المحتمل ان اكون رأيتها بالصدفة ولا اعلم لاني اصادف غالباً بعض الخدم في الرواق اما من جهة سنها وهل هي طويلة او قصيرة شقراء او سمراء جميلة او شنيعة فالخاطر كوني اعلم منك ياسيدي بهذا الخصوص

ثم سأل باشارة طبيعية من رأسه هل هذا هو كل ما تريده ٥

والظاهر ان الموسيو كريس لم يكتف بهذا الجواب لانه عاود التكلم فنظر اليه الموسيو بلاك

بدهشة واجابة بلطف اني لا اهتم بخدمي عندما يتركون منزلي وقد كان مثري والحق يقال من احسن الخدم ولكنهُ كثير التمسك برايه ويريد ان تستصوب الناس كل ما يستصوبهُ هو وانا لا اريد ولا اسمح ابدًا بمثل ذلك لمن يخدمني ولهذا اخرجتهُ من عندي. ولا اعلم ما ذا اصابهُ بعد ذلك

ثم استأذنهُ الموسيو كريس بالانصراف وبتعب الموسيو بلاك الى منزلهِ بقدم متمهل متعظم كعادتهِ اما انا فلحقت برئيسي وقلت لا احب ان يكون لي علاقة مع هذا الرجل لانهُ يتكلم بطريقة قلما تسر مخاطبهُ

اجاب من المحتمل مع ذلك ان يصير لك علاقة معهُ

فنظرت اليهِ متعجبًا. قال اذا لم تبدِ السيدة اميلي شيئًا من علامات الحياة ولم تنجح بالوقوف على آثارها فلا بد من اقامتك في جوار منزلهِ تدرس بتأنٍ كيفية حياة هذا الرجل وعوائد حاشيتهِ واصحابهِ حيث اذا صحَّ وجود سر في هذه المسألة فلا ريب ان عقدتهُ يجب استخراجها من وسط منزل الموسيو بلاك

فنظرت الى الموسيو كريس مبهوتًا وقلت انك نظرت شيئًا لم انظرهُ حتى امكنك أن تتكلم بمثل هذا اليقين

قال ما نظرت شيئًا خلاف الاشياء المعرضة للنظر والتي يراها كل من يحسن استعمال اعينهِ

فخجلت وسكت اما هو فاستتبع حديثهُ وقال لقد مرَّ عليك ايام حسنة ما توفقت لغيرك ولا لوم عليَّ اذا كنت لا تحسن درس الحوادث بما يوهلك لابداء رأيًا خصوصيًا في شأنها

فبقيت ساكتًا وتبعتهُ ممتعضًا الى دائرة البوليس وانا اقول في نفسي لا بد من ارجاع الموسيو كريس عن سوء ظنهِ بي قبل نهاية التحقيق

ثم ذهبت للبحث على المعاون الذي تولى امس حراسة الممر الخامس وسألتهُ هل شاهد احدًا داخلاً او خارجًا بين الساعة الحادية عشرة ونصف الليل من باب منزل الموسيو بلاك السري وكان هذا الباب كما لا يخفى مشرفًا على طريق متحابدة

اجاب لا لعمري ولكن زميلي تومسون اخبرنا في هذا الصباح بحادث غريب

قلت وما هو

قال كان مارًا امس نحو نصف الليل في الممر الثاني واذ نظر في زاوية بعض الشوارع رجلين وامرأة واقفين جميعًا تحت طنف هنالك ولدى مشاهدتهِ انسحب الرجلان الى الممر

وتقدمت المرأة نحو حجرة نوسبسون مكانة ينتظر وصولها اليه واذا بها قد وقفت امام باب على هيأة شعرية لمنزل الموسيو بلاك ونظر عليها كأنها تحاول فتحه ثم تأخرت مذعورة وغطت وجهها بين يديها وفرّت راجعة من حيث اتت وعند ذلك اضطربت افكار المعاون فاقترب من ذلك الباب ونظر من خلاله ليرى الاسباب التي اوجبت انذعار هذه البنية واذا وجه الموسيو بلاك الصفر مستند على شعرية الباب من الداخل وهو شاخص باعينه الى الخارج فتأخر المعاون بدوره مضطربًا لهذا المشهد العجيب ولما تمالك روعه لم يجد الموسيو بلاك ثم حاول فتح الباب فوجده مقفلاً عليه من باب المفتاح

قلت هل نوسبسون نفسه هو الذي اخبرك بهذا الحديث

اجاب نعم

قلت ان هذه الحادثة غريبة جدًا لك وارجوك ان لا تكرر ذكرها حيث لا يناسب التكلم كثيرًا عندما يكون المراد بالحديث رجلاً عظيمًا كالموسيو بلاك

ثم سرت سريعًا للاجتماع بنوسبسون فلم يزدني شيئًا على ما اخبرني به رفيقه الا ان الفتاة المذكورة طويلة رفيعة وانها متشحة بشال يغطي كل جسمها تقريبًا وبعد ذلك تفرغت للبحث خفية عن اعمال الموسيو بلاك الخصوصية وهاك ما علمته بهذا الخصوص وهو ان هذا الرجل لا يتداخل بادارة منزله ولا يخرج الا قليلاً ما عدا ايام الجمعيات السياسية المهمة لانه توصل بجمال ظاهره وحركته العظيم في الهيأة الاجتماعية وسعة ثروته الى امتلاك القلوب ومن الغريب انه يكره الاجتماعات ويرفض الذهاب الى الدعوات التي ترسل اليه لبعض الولائم حتى من اعز اصدقائه وهو فضلاً عن ذلك يتجنب معاشرة النساء ولا يذكر احد على الاطلاق انه نظر مع امرأة لا على الطريق ولا في الكنيسة ولا في مكان اخر ولو لم يكن الموسيو بلاك معروفًا من الجميع لانه ابن عائلة نقية شهيرة بغرابة الاطوار لما اهملت الناس بلا تقولات عديدة وافتراضات مستنكرة بشأن هذه العفة في رجل غني عزب وفي ريعان الشباب لان عمره وقتئذ كان لا يتجاوز الخامسة والثلاثين على ان غرابة اطوار عائلته صفحت به فكان ابوه مولعًا بمطالعة الكتب يحفظ الحديث لكل رجل او امرأة تخاطبه عن شكسبير ولا يريد ان يفحر بشيء من الاستخفاف بهذا الشاعر المجيد خلاف اقتداره على التوفيق بين الالفاظ بطريقة حسنة ولعمي بعض المحامين عن الدعاوي وجد يكره السمك شديدًا ولا يحتمل رؤيته على موائد الطعام وعليه فان ميل الموسيو بلاك الطفيف الى الابتعاد عن النساء كان معزوًّا عليه في جنب العوارض المتقدم ايضاحها عن اطوار عائلته

الغريبة ومع هذا فقد اكد لي احد زملائي السياسيين القدماء الذي اصحبهُ الى مجلس واشنطون انهُ كان متولعًا قبلاً بحب ابنة عمهِ افيلين بلاك وان هذه الفتاة تزوجت بعد ذلك بشيخ فرنساوي من اصحاب الملايين وهو الكونت دي ميراك ثم ترملت بعد قليل وعادت للسكنى في نيو يورك ولكنها على ما يظهر ليست على وفاق ووئام مع عاشقها القديم

ولدى تذكري للصورة التي شاهدتها في غرفة الموسيو بلاك سالت من حدثني عما اذا كانت الكونتيسة شديدة السمرة فاجابني بالايجاب واذ ذاك تراءى لي اني وقفت على شبه اثر لشيء ولكن عندما اخبرت الموسيو كريس بهذه التفصيلات ضحك مني واكد لي انني اذا اردت استخراج الحقيقة المختفية من اعماق هذا البئر لا اتوصل الى ذلك الا بعد عناء شديد واجتهادات عظيمة

الفصل الخامس

احدى جميلات نيو يورك

والذي يظهر ان جميع اجتهاداتنا للاكتشاف على الفتاة المفقودة او مكان وجودها ذهبت عبثًا وكذلك الاعلانات التي اذاعتها السيدة دانيال في الجرائد بقيت بلا جدوى فبدأت تضعف همتي وكاد يصيبني القنوط واذ علمت من فاني خادمة الغرفة الالمانية التي رايتها في منزل الموسيو بلاك بعض تفاصيل غريبة عن احوال السيدة دانيال مدبرة المنزل وكبيرة الخدم لاني كنت قد توددت الى هذه الفتاة منذ بضعة ايام وطارحتها الحب والغرام بها ولاني الحصول على ثقتها فتنبهت لذلك حرارتي الراقدة واملت النجاح لانها قالت لي على سبيل الاختصار ان السيدة دانيال لو كانت روحًا من الارواح لما امكن ان تضطرب حياتها بما يعادل اضطرابها الحاضر فهي لا تعرف السكينة ولا تستقر على حال من القلق تنزل وتصعد وتذهب وتعود ولسنا نعلم المراد بهذه الروعة الغريبة وفضلاً عن هذا فهي صفراء منهجة ويداها ترتعشان شديدًا ولا تستطيع ان ترفع بهما صحفة عن المائدة وعندما يكون الموسيو بلاك في المنزل تبقى منتصبة على قدميها بمنتهى التيقظ والاغرب انها لا تدخل عنده ولكنها تتمشى ذهابًا وايابًا وهي تعض على ايديها وتتكلم بصوت منخفض كمجنونة وقد نظرتها غير مرة ترفع يدها الى قبضة الباب ثم تتاخر مرتاعة الى الوراء واذا صدف خروج الموسيو بلاك وقتئذٍ من غرفته تفر مدبرة بمنتهى قوتها فما المعنى يا ترى بكل هذا . الى غير ذلك من مثله

وعندما سمعت هذه التصريحات لم يعد لديَّ من سبيل للشك بوجود سر عظيم في هذه المسألة يمس الموسيو بلاك نفسهُ واني اذا نجحت بكشفهِ تتقرر سعادتي

وبعد ذلك بأيام اخبرني فاني ان الموسيو بلاك مستعد على الذهاب مساء الى حفلة رقص تخصصت مداخيلها لاعمال خيرية فعزمت بلا تردد ان اتبعه الى تلك الحفلة املاً بالوقوف على الاسباب التي حملته على هذا الذهاب خلافاً لعوائده

وكان هنالك جمع غفير فجلت القاعة نحو ثلاث مرات قبل الاهتداء الى مشاهدة الرجل الذي اطلبه ثم انقبض قلبي قليلاً لدى رؤياه في احدى الزوايا المتحاشدة يتحادث مع شيخ من رجال السياسة فقلت في نفسي لو كنت عالماً ان الغرض من مجيئه الى هذه الحفلة انما هو التكلم بمواضيع سياسية لفضلت البقاء مع فاني اطارحها الغرام على هذا الحضور ثم وقفت على مقربة من الموسيو بلاك وجعلت اتأمل النساء واذ سكت فجأة الرجلان فالتفت واذا امرأة قد دخلت الى القاعة تتوكأ على ذراع رجل عظيم يستدل من مظهره انه غريب فعرفت حالاً انها صاحبة الصورة الموجودة في غرفة الموسيو بلاك وكانت قد تقدمت قليلاً بالسن عن ذي قبل واكتسب جمالها شيئاً من ملامح التحرس والعظمة فكأنما لسان حالها يقول انها لم تجد السعادة التي كانت تأملها برفضها الاقتران من الموسيو كولمان بلاك والاستعاضة عنه بالكونت دي ميراك الشيخ او بالحري هذه هي الافكار التي عبرت بها عن اضطرابها عندما التفتت رأسها المزينة بالجواهر ونظرت عاشقها القديم متقدماً على بعض خطوات منها فانها اجابته على سلامه بتحية باردة وظهر عليها كأنها اضطربت رغماً عن جهدها باظهار الجلد واخفاء ذلك الاضطراب

فقلت في نفسي انها لا تزال تحبه ثم التفت لارى تأثيرات هذا المشهد الضعيف على وجه الموسيو بلاك المجمل عادة بمظاهر السكينة فوجدته انه لم يتغير وان الشيخ السياسي مستمر على محادثته فتمرمر فؤادي واعتقدت ان اسير على اثر الكونتيسة

وكان من المستحيل علي الاقتراب منها لان خبر مجيئها الى الحفلة انتشر بسرعة فتزاحم عليها جمهور من الشبان وكان جل ما اريد معرفته هل يحادثها الموسيو بلاك في هذه السهرة اولا فطالت علي الساعات بالانتظار ولكن من الواجب على رجال الضابطة في حال العمل ان لا يعرفوا الضجر ولا التعب وفضلاً عن ذلك فان هذه المرأة التي اشتغلت بها افكاري لادرسها ولاحظتها كانت مستحقة لهذه العناية فاحطت علماً بكل دقائق جمالها كهيئة رأسها وبهاء لونها ومظهر شفتيها المحتقرتين وملامح اعينها الخائفة المسكرة الفتاكة

وبعد برهة من الزمان ابتعدت فجأة عن عشاقها ثم ارتفع صدرها وسطع وجهها بلتهب من النار دلالة على الارادة والحب وكان السبب في ذلك ان الموسيو بلاك تقدم وقتئذ نحوها بمظاهر السكينة وقبل يدها وهو يتمتم بعض كلمات لم اسمعها ثم تأخر خطوة الى الوراء وجعل

يخاطبها باقوال عادية عن تلك الحفلة اما هي فلم تجب بشيء وانصرت على فتح مروحتها واقفالها بلا اكتراث فكأنها تقول اني عالمة بلزوم الاصغاء بادي بدء الى هذه الاقوال العمومية ولهذا اعتصمت بالصبر

ومضى على الموسيو بلاك عدة دقائق وهو يخاطبها بهذا الحديث فلمعت اعين الكونتيسة بما يشف عن فروغ الصبر وزالت عنها تدريجا ملامح التبسم التي انارت وجهها وجعلت تنظر الى ما حولها كانها تبحث على واسطة لمجابهة الناس ثم اقتربت بلطف من شرفة احدى النوافذ فتبعها الموسيو بلاك اليها اما انا فاختفيت خلف احدى الستائر القريبة منها حتى لا يفوتني شيء من كلامها على الاطلاق

فقال الموسيو بلاك بلطف وسكينة اراك منضجرة في هذا المساء من كثرة المدائح المعروفة اليك من جميع الجهات

فاجابت بهزء هل تظن ذلك اني توهمت الخلاف عندما نظرتك قادمًا لمقابلتي

وخيم بعد ذلك السكوت فشققت بسكيني الستارة شقا لطيفا حتى ارى ماهو حاصل خلفها فاذا هو ينظر اليها بثبات لا يخلو من الخشونة ويتامل راسها الشامخ المزين بافخر الجواهر وجبينها الكامد الصافي واعينها اللامعة باشعة من النار الظاهرة وشفتيها الجميلتين القرمزيتين المرتجفتين باضطراب لا يمكن ملافاته والخلاصة ان نظرة احاط بها جميعًا من قم راسها الى اطراف قدميها بما فيه ثوبها المخملي العقيقي المغطى بالزراكش والماس ثم تلطف وجهه عند رؤياه لكل هذا الظرف والمحاسن الجذابة واوشكت تلك المظاهر الحسنة ان تضمحل ولكنه في اقل من لمح البصر عاود امتلاك نفسه وقال لها ببرودة كالسابق امن الممكن ان تعيش السيدة دي ميراك بعد انحنا نحن عوام الاميركان المساكين . حقًا انه يصعب علي تصديق ذلك

فبقيت جامدة بلا حراك كصنم ثم رفعت اعينها الكبيرة السوداء واستتبع الموسيو بلاك حديثه فقال بمرارة برح عن بالي ان لربما تكون السيدة افيلين بلاك رجوعها الى وطنها الاصلي قد محت من تصوراتها السنتين الاخيرتين من حياتها وصار يمكنها العود الى التمتع بالملذات المحبوبة منها كثيرًا ايام شبيبتها لان امثال هذه العوارض تحصل غالبًا على ما اكد لي البعض

ثم انحنى امامها الى الارض صاغرًا

فتمتمت الكونتيسة افيلين بلاك . مضى زمان طويل ولم اسم بهذا الاسم

فعبق وجه الموسيو بلاك بالحمرة الشديدة وقال اذا كان هذا الاسم قد ذكرك ببعض الاحزان المكدرة والافكار المشومة فسامحيني وانك علي ان لا اعود الى لفظه فيما بعد

وبعد ذلك تحركت شفتاها بتبسم مغتصب وقالت انت في ضلال مبين لان هذا الاسم وان ايقظ في بعض التاعسات والتذكرات المكدرة بذكري ايضاً بايام كثيرة سعيدة ولا يكدرني على الاطلاق استماعه . . من اقرب اسبابي

قال الموسيو بلاك انت تسمين الكونتيسة دي ميراك وافاربك يفتخرون عند ما يدعونك بهذا الاسم

فقدحت اعين الكونتيسة شرار الغضب وصاحت هل هذا هو كلومان بلاك الذي يتلفظ بهذا الحديث اني لا ارى في هذا الرجل المتكلم بهذه اللهجة الخشنة صديقي القديم

اجاب كثيرًا ما يغرب على المرء يا سيدتي حتى ينسى اعماله اذ اعرض عنها للاشتغال بمهام اخرى

فصاحت ماذا . . ما الذي تريد قوله . . هل تريد بذلك التلميح . .

ثم سقطت المروحة من يدها الى الارض فالتقطها الموسيو بلاك وقال لا اريد التلميح الى شيء ان هذه المواجهة هي مقابلة وداع معًا ولا اريد ان الفظ كلمة بمعنى التوبيخ واما . . . .

فاشارت اليه بالسكوت وصاحت ان ما قلته يستلزم شرحاً فما الذي فعلته يا ترى حتى توجه الي الفاظ التوبيخ

قال تسالينني عما فعلته لقد زعزعت ثقتي في جنس النساء واظهرت لي ان المرأة وان حلفت للرجل انها تحبه فقد تنساه وتتزوج برجل آخر مجرد عن كل مزية تستوجب الاحترام من اجل لقبه وغناه وجواهره لقد اظهرت لي ايضاً . . .

فصاحت الكونتيسة مصفرة كفى . . كفى . . ولكن ما الذي اظهرته لي

فارتعش الموسيو بلاك واحمر وجهه وبقي برهة ملازمًا السكوت ثم قال اسألك العفو واسحب كل كلمة بمعنى التوبيخ

ثم رفع عينيه يتامل وجه ابنة عمه المنتظم وكان متاثرًا بمفاعيل الحزن العميق الخشن فظهرت عليه فجأة ملامح الحنو وقالت الكونتيسة من العبث يا كلومان ان ننظر وراءنا حيث لنا نحن الاثنين من الهفوات ما يستوجب اللوم فلماذا يا ترى نكدر مستقبلنا بالعود الى ماض ما زلنا في حال من الشباب نساعدنا على نسيانه فانت تركتني واتصلت التعزية على فراقك بالميل الى الفخر والثروة والشرف نعم ان تصر في هذا قلما ينطبق على تخيلات الحب ولكني كفرت عن ذنوبي بخسارة السعادة وانت حاصل اليوم على ثروة واسعة ومركز عظيم في الهيأة الاجتماعية فكن كريماً ولا تلمني بل اغفر لي كما غفرت لك ولننسى الماضي و . .

البقية تاتي

اعلان

بناء على ما نشره جناب الفاضل علي بك ناصر الدين في آخر السنة الاولى وبداية هذا الجزء اعلن لحضرة الجمهور اني التزمت من الان فصاعدًا طبع مجلة الصفاء هذه واعتنيت باتقانها وضبطها وجعل عدد صفحاتها في السنة سبعمائة وثمانيًا وستين صفحة تصدر في كل شهر اربعًا وستين وقد اخترت لتحريرها نفرًا من افاضل الكتبة المستعدين ان يدرجوا فيها ما يهم ذكره من مقالات علمية وادبية وتاريخية وفكاهية وافردت بابًا مخصوصًا للمراسلات والمناظرات الادبية التي يتحفنا بها اهل العلم والادب وعينت قيمة الاشتراك عن كل عام خمسة عشر قرشًا في بيروت ولبنان وعشرين في الخارج خالصة اجرة البريد وآمل ان هذه الخدمة الوطنية تروق في اعين ابناء الوطن فيتلقونها بالرضى والقبول .

كل شخص يرسل اليه هذا العدد ولا يرده بعد مشتركًا

كاتبه

جرجي نجما

غرزوزي

اعلان

المرجو من حضرة وكلائنا ومشتركينا الكرام سرعة ارسال ما لديهم من قيم اشتراكات الصفاء عن سنة ٨٦ المنصرمة باول فرصة نقودًا او تحاويل او طوابع بوسطة بحيث لنا الامل الوافر بمزيد رغبتهم بتنشيط هكذا مشروعات لا يكلفون التكرار هذا الاعلان ويضاعفون بذلك ممنونيتنا

صاحب امتياز

الصفاء

تنبيه

ذكر سهوًا في صفحة ٤ تحت عنوان هيئة الارض وحركاتها سنة ١٨٤٠ والصواب سنة ١٨ م وسنة ١٨٣١ والصواب سنة ١٥٣١

وكذلك في صفحة ٣٥ تحت عنوان سكة حديدية اقل المداخر انه تقرر انشاؤها من سان فرنسيسكو الى بوينوساير والصواب من خليج المكسيك الى مياه الاوقيانوس الاتلانتيكي على برزخ توهانتبك